د. سعيد

أضعنا مفاتيح الجبال

الجزء الثاني

م. سليم چوروككايا

الترجمة عن الكردية

ياسين حسين

www.arsivakurdi.org

٢

د. سعيد

م. سليم چوروككايا

أضعنا مفاتيح الجبال

الترجمة عن الكردية

ياسين حسين

د. سعيد

م. سليم چوروككايا

- لن احارب من اجل تركيا ديموقراطية لكنني مستعد ان افدي كوردستان حرة وديموقراطية بروحي (د.سعيد)

- الدكتور سعيد هو جنرال استقلالنا وحريتنا لقد شارك في حماية كوردستان بقلب صاف، احيي روح الدكتور سعيد النقية والطاهرة وارواح كل شهداء كوردستان (مسعود بارازاني رئيس اقليم كوردستان)

- اتى الدكتور سعيد الى هذه الحياة كي ينقذها من هذه الحرب لكنه فداها بحياته، علينا ان نكتب اسمه باحرف من ذهب في الصفحات الكبرى العائدة لجيش حكومة كوردستان كي تظل ذكراه ماثلة دائما (الفيلسوف برنارد هنري ليفي Bernard-Henri Levy)

- كان الدكتور سعيد هو رمز لليقظة القومية الكوردية رمز للراية واللغة الكوردية رمز ليقظة الوطن وحرية الكورد (المفكر اسماعيل بشكجي)

- كان سعيد كالريح لا يكل ولا يمل ينهمر بغزارة وقوة لاتمنحه الكلمات حقه (الكاتبة آليزا ماركوس Aliza Marcos)

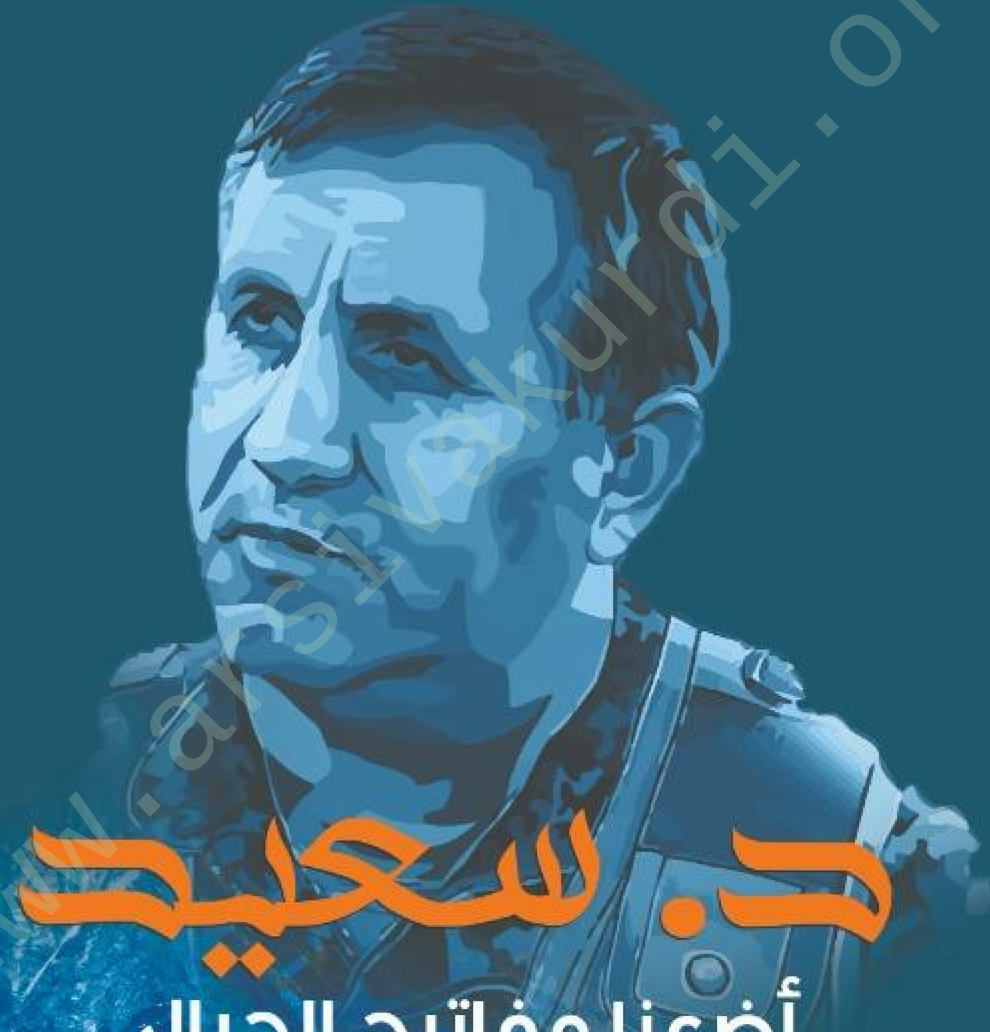

د. سعيد

أضعنا مفاتيح الجبال

الجزء الثاني

م. سليم چوروككايا

الترجمة عن الكردية

ياسين حسين

www.arsivakurdi.org

٢

د. سعيد

م. سليم چوروككايا

أضعنا مفاتيح الجبال

الترجمة عن الكردية

ياسين حسين

د. سعيد

م. سليم چوروككايا

- لن احارب من اجل تركيا ديموقراطية لكنني مستعد ان افدي كوردستان حرة وديموقراطية بروحي (د.سعيد)

- الدكتور سعيد هو جنرال استقلالنا وحريتنا لقد شارك في حماية كوردستان بقلب صاف، احيي روح الدكتور سعيد النقية والطاهرة وارواح كل شهداء كوردستان (مسعود بارازاني رئيس اقليم كوردستان)

- اتى الدكتور سعيد الى هذه الحياة كي ينقذها من هذه الحرب لكنه فداها بحياته، علينا ان نكتب اسمه باحرف من ذهب في الصفحات الكبرى العائدة لجيش حكومة كوردستان كي تظل ذكراه ماثلة دائما (الفيلسوف برنارد هنري ليفي Bernard-Henri Levy)

- كان الدكتور سعيد هو رمز لليقظة القومية الكوردية رمز للراية واللغة الكوردية رمز ليقظة الوطن وحرية الكورد (المفكر اسماعيل بشكجي)

- كان سعيد كالريح لا يكل ولا يمل ينهمر بغزارة وقوة لاتمنحه الكلمات حقه (الكاتبة آليزا ماركوس Aliza Marcos)

أضعنا مفاتيح الجبال

د. سعيد
م. سليم چوروككايا

الترجمة عن الكُردية
ياسين حسين

www.arsivakurdi.org

"كان سعيد كالريح، لا يكل ولا يمل.. ينهمر بغزارةٍ وقوة. لا تمنحه الكلمات حقه.."

آليزا ماركوس

www.arsivakurdi.org

قصة هذا الكتاب:

قامت الدولة التركية بعملية عسكرية في منطقة ديرسم سنة 1938. يقوم بعض الاهالي بمقاومة الجيش التركي.(بعض الأهالي قاوموا الجيش التركي). بين المقاومين لتلك العسكرية، (القوة العسكرية)، "حمه ميرزا سلي" رئيس عشيرة "دَمَنان" وابنه علي المعروف بشجاعته وجسارته. كان والده على ثقة بأنه هو وابنه لن ينهزمون (لن ينهزموا) في مقاومتهم أبداً.

يأتي ذلك اليوم الذي يفقد فيه إبنه حياته في المعركة، ويفقد والده الأمل في الانتصار، فيذهب ويُسلم نفسه لضابطٍ تركي ويقول له: "أيها الضابط، لقد خضنا حرباً بين بعضنا (مع بعضنا)، قتلنا منكم، وقتلتم منا، والآن، أنتم المنتصرون". يرد عليه الضابط:" انتظرت إلى هذا اليوم؟ لماذا أتيت اليوم كي تستسلم؟"

يرد عليه "حمه ميرزا سلي": "لقد أضعت مفاتيح الجبال".

لقد استلّ إسم هذا الكتاب من مقولة "حمه ميرزا سلي" ومن ألبوم الفنان الموسيقي "ميكائيل أصلان".

www.arsivakurdi.org

كلمة شكر:

قبل أن أبدأ بكتابة هذا الكتاب، قمت بالعديد من اللقاءات التقيت فيها مع رفاق "الدكتور سـعيد" الذين عاصروه في شبابه، ورافقوه وهو مشـارك في الجبهات مع قوات الگريلا وقوات الپيشـمرگه، وأمدوني بالكثير من المعلومات القيّمة. أشكرهم جزيل الشكر من كل قلبي. كما أشكر كل الذين ساعدوني في إنهاء الكتاب وهم مجموعة من الأصدقاء في مدن (مدينتي) دهوك وأربيل والنرويج (ودولة النرويج)، وخاصة السـيدة "مَهلكا فَرهونده" التي قـامت بـإخراج الكتـاب، والسـيد "مراد داغدَلَنه Murad Dağdelenê" الذي قام بمراجعته وتنقيحه..

-1-

في الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر، كان "سليم" قد عاد من البستان إلى البيت، وضع جاكيته على علّاقة الثياب وذهب ليجلس خلف جهاز الكمبيوتر. كما كل مرة، بدأ أول ما بدأ بتصفح صفحته على الفيسبوك. رأى رسالة من صديقه "كورأوغلو كارا أرسلان Köroğlu Karaaslan" الذي كان يُقيم في جنوب كُردستان. كانت الرسالة عبارة عن هذه الجملة: "لقد جُرح الدكتور سعيد، قائد الپيشمرگه في انفجار لغم زرعه داعش."

بقي ساكناً في مكانه، لا يزيح بصره عن تلك الرسالة. لا يدري ماذا يفعل. ارتجفت يداه وأحس بجفاف شديد في حلقه، وبدا قلقاً للغاية. قام من مكانه وذهب إلى المطبخ ليشرب كأساً من الماء، وعاد مرة أخرى ليجلس خلف الكمبيوتر. اتصل بصديقه "كورأوغلو كارا أرسلان Köroğlu Karaaslan" واستفسر منه عما جرى لـــ"الدكتور سعيد"، وتأكد منه أن الدكتور قد جُرح جراء انفجار لغم زرعه مسلحو داعش في منطقة "بعشيقة- قرية تيزخراب" في جنوب كردستان، وقد تم نقله بواسطة حوامة عسكرية إلى مشفى في مدينة أربيل.

رنّ هاتفه، وفور نطق المتصل بكلمة "مرحبا"، عرفه "سليم"، وكان إسمه "فيصل Weysel "، وهو كردي يعيش في مدينة أربيل.

سأله "سليم": كيف حال الدكتور؟

ردّ عليه "فيصل" بهدوء: "لا تقلقوا، لقد أصيب بحروق في وجهه، وقد يخسر إحدى عينيه. نحن الآن معه في المشفى."

قال له "سليم": "علينا أن نأتي به إلى ألمانيا على وجه السرعة." وأغلق الهاتف.

جلس مجدداً على جهاز الكمبيوتر وكتب نداءً لأصدقاء الدكتور سعيد، كتب فيه :" أيها الأصدقاء، من فضلكم، عليكم ألا تدعو أحداً يدخل إلى غرفة الدكتور سعيد، عدا الأطباء والمرضى."

كان وحيداً في البيت وبحاجة إلى مساعدة من أحدهم. لا يدري ماذا يفعل، حيث لم تكن زوجته "آيسَل" في البيت، أما "سوما" إبنة "الدكتور سعيد" فقد كانت في المدرسة، وهي بعيدة عنه مسافة خمسمائة كيلومتر. خرج من الصالة وتوجه إلى المطبخ. نظر حوله، لا يدري بنفسه كيف أتى إلى المطبخ؟ خرج من المطبخ وتوجه إلى غرفة النوم والهاتف في يده. نظر إلى الهاتف وضغط على رقم زوجته وقال لها:

" لقد جُرح سعيد في الحرب، تعالي بسرعة إلى البيت يا آيسل! أنا سأسافر إلى أربيل." وأغلق الهاتف على الفور.

كان جملة "أصيب بحروق في وجهه، وقد يخسر إحدى عينيه" تتردد في ذهنه. إتصل بصديق بروفيسور له وأخبره عن حالة "الدكتور سعيد" واستفسر منه: "أين توجد أفضل المشافي المختصة بالأمراض الجلدية وأمراض العيون في ألمانيا؟".

ردّ عليه صديقه: "سأسأل لك، واتصل بك لاحقاً لأخبرك.".

في مثل هكذا حالات يبدأ الإنسان بالتصرف بطريقة غريبة، يخطر على بال المرء أمور قد تكون بسيطة في الأحوال العادية، لكن ذاكرة المرء لا تسعفه على التفكير فيها. لكن في مثل هذه الحالة، تختلط الكثير من الأفكار في ذهن المرء ويبدو مشوشاً لا يركز على أمر محدد.

رنّ هاتفه، وتوقع أن يكون المتصل صديقه البروفيسور. لكن المتصل كان إبن قريته واسمه "موسى" وكان هذا بدوره يود أن يستفسر منه عن مدى صحة ذلك الخبر. بعد أن أكّد له "سليم" الخبر، قال له "موسى": "أنا قادم إليك."

www.arsivakurd.org

كان سيأتي من مدينة "بريمن" إلى مدينة "هامبورغ". أما هاتف "سليم" فلم يكن يتوقف عن الرنين، وكان المتصل هذه المرة صديقه البروفيسور الذي رد له الجواب عن المشافي قائلاً: "سألت عن المشافي في ألمانيا، وقالوا لي أن أفضل المشافي في مجال الحروق والعيون هو المشفى العسكري الكائن في مدينة كوبلنز."

شكره "سليم" على اتصاله وأغلق الهاتف.

رنّ الهاتف مرة أخرى، وكان المتصل هذه المرة المحامية "رَنا" صديقة "الدكتور سعيد"، وكانت تتصل من مدينة برلين، وقد سمعت بالخبر وتبكي بحرقة لسماعها ذلك الخبر. فطمأنها "سليم وقال لها: "احجزي تذكرة طائرة لثلاثة أشخاص من برلين إلى أربيل، سنأتي الآن إلى برلين."

اتصل به "فيصل" مجدداً وقال له: " سيتم جلب الدكتور سعيد إلى مدينة شتوتغارت بطائرة خاصة."

اعترض "سليم" على ذلك وقال له: "كلا، لا تأتوا به إلى شتوتغارت، لقد سألت ووجدت أفضل مشفى يفي بالغرض. توقفوا الآن إلى أن نجهز له مكاناً في ذلك المشفى."

قال له "فيصل": هو الآن مُخدرٌ و غائب عن الوعي، فالأطباء منعوا تحريكه لمدة ثمانية وأربعين ساعة..."

من أجل حجز مكان في المشفى العسكري في مدينة كوبلنز، إتصل "سليم" بـ"بيريفان" صديقة "الدكتور سعيد" التي كانت قد سمعت بالخبر أيضاً وكانت حزينة جداً لأجله. قالت بدورها بعد ان طلب منها "سليم" أن تحجز له مكاناً في المشفى العسكري: "حسناً، سأتصل الآن بالممثل الطبي هناك." وأغلقت الهاتف.

كان سليم قد استعد للسفر، وقد أتى "موسى" بدوره إليه، وحين خروجهم من البيت كان كل شيء جاهزاً لجلب "الدكتور سعيد" إلى المشفى العسكري في كوبلنز، وكانوا قد أخبروا أربيل بذلك.

خرجوا بسيارة "موسى" صوب مدينة برلين. هل كان سيتجه إلى برلين بالفعل؟ بل إنه كان عازماً على السفر إلى أربيل، لأول مرة يرى نفسه مشوشاً هكذا! كان يفكر في نفسه كي لا يسافر، لأنه إلى حين وصوله إلى هناك ستكون طائرة " الدكتور سعيد" قد وصلت إلى برلين. "إن سافرت، ستكون مجبراً على البقاء هناك أو ستضطر إلى العودة في نفس اليوم، وقد لا ترى أخاك مطلقاً."

كان يقول في نفسه إنه غائب عن الوعي، والدكاترة (الأطباء) الذين ذهبوا لجلبه بالطائرة الخاصة قد يطول معهم الأمر. "إذهب، فقد تصل إليه وقد تتحدث معه، ستقضي الوقت مع محبيه وأصدقاءه أمام المشفى." كان متردداً، أيسافر أم لا. كل ما يعرفه إنه كان يود الوصول بسرعة، إلى أين؟ لا يعلم بعد.

لم يكونا يتحدثان مع بعضهما، بقيا هو و"موسى" صامتين طوال الطريق، ينظرون إلى البيوت والأشجار وعواميد (أعمدة)الكهرباء على الطريق، لا يسمعون شيئاً سوى صوت محرك السيارة وهي تنطلق بهم صوب برلين.

حين وصلوا إلى برلين، كان الظلام يخيّم رويداً رويداً.. كانوا قد بحثوا في العنوان الذي سيذهبون إليه عن طريق شبكة الانترنت، لكنهم بالرغم من ذلك أضاعوا طريقهم. بات "موسى" يقود السيارة يميناً وشمالاً بدون أن يهتدي إلى مكان، إلى ان فقدوا الأمل في العثور على العنوان. قال له "سليم": "أعرف مطعماً لصديق لي بالقرب من هنا، لنذهب إليه." أشار له "سليم" على الطريق الذي سيقتفيه إلى ان وصلوا إلى هناك. ارتاحوا هناك لبرهة، ثم أتت المحامية "رَنا" صديقة "الدكتور سعيد" كي تأخذهم. كانت "رَنا" بالكاد تستطيع أن تقف على قدميها، شعرها مجعد وعيناها محمرّتان من البكاء. لم يعد هناك أي كلام يقولوه لبعضهم بعد الآن.

جلسوا (جلس) ثلاثتهم حول طاولة. مئات الأسئلة تتبادر إلى أذهانهم، لكنهم آثروا الصمت على الكلام،

www.arsiyakurdi.org

حتى إنهم كانوا يتفادون النظر إلى بعضهم.

قالت "رَنا": غداً صباحاً سوف تتجه الطائرة من برلين إلى فيينا. لم أقطع التذكرة بعد" كان صديقه صاحب المطعم جالساً معهم أيضاً، ولا يتكلم بدوره. بعد إن أنهت "رَنا" حديثها، قاموا من مكانهم وخرجوا بدون أن يودعوا الصديق صاحب المطعم واتجهوا صوب بيت "رَنا".

كانت حتى الأشجار في الشوارع تحس وكإنها حزينة، اوراقها المصفرّة تتساقط تباعاً. كان "سليم" يحس في نفسه إن قدومه هو مبعث للحزن على كل الأرجاء.

كانت برلين التي يعرفها قد تغيّرت أمام عينيه. لا شوارعها ولا ساحاتها ولا محطاتها كما السابق، حتى أضواء شوارعها كان تبعث منها أضواء حزينة.

كانت "رَنا" تتقدمهم في المسير، وهم وراءها يمشون بتؤدة. كان "سليم" محتاراً في مسألة حجزه لتذكرة الطائرة. كان يقول في نفسه: "قد تكون هذه المرأة الألمانية تعلم أكثر مني." فيسألها، لكنها كان تجاوبه: "هيا لنذهب الآن" كانت تمشي فقط ولا تتكلم. كانت تلك المرأة أشبه بشبح متشح بالسواد، بالكاد تستطيع المشي على قدميها الذين يحملانها بصعوبة.

مع أن موسى كان فاقداً للأمل، إلا إنه لم يُظهر حزنه أمامهم وأراد أن يظهر بمظهر الصبور القوي. كان "سليم" منهكاً أكثر منه. لم يعد يتذكر كيف تسلق الأدراج (الدَّرَج) أو دخل إلى المصعد، أو كيف دخل إلى صالون منزل "رَنا" ولا كيف جلس على الكنبة. حين فتح عينيه، كان قد مرّ الكثير من الوقت. قاموا بحجز تذاكر السفر عن طريق الانترنت. لم يفكروا في النوم، بل جلسوا يحتسون أقداحاً من الشاي إلى أن اقترب موعد سفرهم، وباتوا ينتظرون سيارة الأجرة التي طلبوها.

كان الفجر قد حل حين وصلوا إلى المطار الذي يعج بالحركة. اجتازوا نقطة التفتيش وأرادوا الذهاب إلى المكان المخصص للطائرة التي ستغادر إلى فيينا، وعثروا عليه بسهولة. جلسوا بجانب بعض في المطار، وحين سمعوا النداء من مكبر الصوت كي يذهب ركاب طائرة فيينا إلى المكان المخصص للتدقيق في جوازات السفر، ووقفوا في صف وراء بعضهم، إلى أن انتهوا من ذلك وتوجهوا بالحافلة إلى الطائرة. حين جلسوا على مقاعدهم في الطائرة، كان ما زال "سليم" متردداً في مسألة سفره، لكن قلبه كان يقول له: إذهب.

حين وصلوا إلى فيينا وركبوا في الطائرة المتوجهة إلى أربيل، إنضم إليهم "كارامان يافوز Karaman Yavuz" مراسل قناة "ARD " الألمانية. الذي حال سماعه بالخبر حمل كاميرته واتجه إلى المطار. كان من أصدقاء ومحبي "الدكتور سعيد" وكان قادماً بدوره من مدينة هامبورغ، ولأن الطائرة المتجهة إلى أربيل كانت صغيرة، جلسوا بالقرب من بعضهم، وكانوا يتحدثون أحياناً مع بعضهم. إلا إنهم لا حظوا أن المراسل كان يقوم بتصويرهم وهم على تلك الحالة.

كان "موسى" و "رَنا" بعيدان عن بعض الشيء. وهو جالس بمفرده، حتى لم تبق له أية صلة بالأرض، كان يطير في السماء، بين السحب، بين فراغ هائل، لا يرى شيئاً سوى أشعة الشمس، كإنه يعيش في عالم الغيوم فقط، أحاسيسه تحلّق في الفراغ. حين يواجه الإنسان الموت، يجد نفسه أمام فراغ هائل. لا المال، ولا الأملاك. لا السلطة ولا المعارضة، ولا المناصب، ولا الثياب الملونة والمزركشة، لا الزوجة، ولا الأصدقاء ولا الأكل ولا الشرب..لا قيمة لأي شيء بعد الموت.

كان ذلك الفراغ الأزرق يحتضن تلك الغيوم الزرقاء. هكذا تسيرون، وهكذا يتمرن ذهنكم على الفراغ حتى تندمجون معه. رويداً رويداً تنسون كل شيء، آلامكم، غضبكم، عذاباتكم، سعادتكم، حزنكم، مخاوفكم وخوفكم، انتظاراتكم، وأموركم المستعجلة، تنفصل أموركم الحياتية وملذاتكم عن بعضها.

كانوا مستعجلين على الوصول. ها (ها هي)الثمانية وأربعون ساعة على وشك الانقضاء. هل سيستطيع الدكتور سعيد فتح عينيه؟ هل سيتعرف عليهم حين يصلوا إليه؟ ماذا ستكون كلمته الأولى لهم؟ هل سيكون قادراً على الابتسام في وجوههم؟ أم... لم يكن "سليم" يود أن يساوره أي احتمال آخر بعد الـــ"أم!" تلك، لكنها كانت تطغى على تفكيره دائماً.

وصل على تلك الحالة إلى مطار أربيل. وحال خروجه من المطار أراد أن يصل إلى "فيصل"، فاتصل به هاتفياً وقال له: " نحن في المطار، إلى أين نأتي؟". ردّ عليه "فيصل" وقال له:" نحن أيضاً في المطار. أنا والدكتور ســعيد وطبيبين وقبطان الطائرة. طائرتنا على وشـك الإقلاع. إن خرجتم من بوابة المطار، التفوا إلى جهة اليسار، سترون طائرتنا واقفة هناك على المدرج."

أخبر "سليم" أصدقاءه بذلك، وخرجوا على الفور، فالتقوا بأصدقاء "الدكتور سعيد" الذي رحبوا بهم، ثم سرعان ما اتجهوا يساراً، بعد لحظات من المشي، رأوا طائرة صغيرة تستعد للإقلاع من المدرج.

جهّز "كارامان يافوز Karaman Yavuz" الكاميرا.. كان أعين الجميع تحدق في الطائرة الصــغيرة التي على وشك الإقلاع.

هم وصلوا، لكن "الدكتور سعيد" سيغادر. أحس "سليم" بخطأ ما، لكنه لم يكن يستطيع السيطرة على تفكيره. كان يستطيع إيقاف الطائرة. كانت تراوده هذه الفكرة. لكنه كان يقول في نفسه: "أستطيع أن أدبر لي مكاناً على متن تلك الطائرة، لكن ماذا سيفعل أصدقائي الذي أتينا سوية إلى هنا؟" فالطائرة لا تستطيع حملهم أيضاً. هل يجوز أن يتخلى عنهم ويركب الطائرة؟ فهم أيضاً كانوا مفجوعون بخبر إصابة الدكتور، والثلاثة لهم ذكريات معه؟ إضافة إلى إنهم غرباء هنا. كان يأتيه صوت من داخله يقول له:" أملهم هنا هو أنت فقط، لا يجوز أن تتركهم لوحدهم وتذهب لتركب الطائرة".

حين رأى الطائرة تحلق في الســماء، تتبعتها نظراته. اختفت الطائرة عن الأنظار، إلا أن نظراته كانت ما زالت تحدق صــوب تلك الجهة. قاطعه صــديق من لحظته تلك، قائلاً له :"لنذهب". أحس بقشــعريرة، وكأن ماءً مغلياً انصب على جسده. أحس بوحدة لا تطاق، كمقاتل مهزوم جيشه وفاقد لقائده، وحيداً يخوض المعركة. جملة "أتيت وهو غادر" كان تغلي في ذاكرته، لم يكن يستطيع إخراجها من فكره.

للحظة، عادت به ذاكرته إلى خمسة وعشرين سنة خلت. قبل خمسة وعشرين سنة حين أطلق سراحه من السجن، وكان يود الذهاب إلى "وادي البقاع" في لبنان. كان قد اجتاز نهر "مَريج" ووصل إلى "أثينا". كان قد سمع أن "الدكتور سعيد" في معسكر لـــ "PKK" في وادي البقاع. كان يستعجل كي يراه. لكنه بعد عشرات الأيام وصل إلى هناك، لكن "الدكتور سعيد" كان قد غادر من هناك أيضاً. وبعد أحد عشر عاماً رآه. لذلك كانت جملة "أنا أتيت وهو غادَرْ" معلقة في ذهنه.

غادروا المطار بسيارات القادمين لاستقبالهم إلى فندق "دارين بلازا" في مدينة أربيل. حين وصل إلى صــالة الاسـتقبال في الفندق، رأوا الزوار القادمين للاطمئنان على صــحة "الدكتور سـعيد" في اسـتقبالهم هناك، فرحب بهم.

في فترة المساء، قدم الكثيرون إلى الفندق. أصدقاء "الدكتور سعيد" ومسؤولي البلاد وقادة البيشمرگه، ووجهاء وأغنياء البلد والفقراء، نساء ورجال، ومن كل المشارب. كانوا جيمعاً قادمون إلى الفندق للترحيب به وللإطمئنان على صحة الدكتور.

كان الجميع حزينون من أجله، لكن من تأثر كثيراً بســماع الخبر كان"محمد" الذي كان من شــرقي كردستان. كان "سليم" يعرفه عن طريق الفيديوهات، كان مرافقاً لـــ"الدكتور سليمان". حين رأى "سليم"

في صـــالة الاســـتقبال في الفندق، حضـــنه بحرارة وكانت دموعه تنهمر بغزارة. قال "محمد" بنبرة باكية لـــ"سليم": " لقد سمعت أن الدكتور سعيد قد فقد إحدى عينيه، أريد أن أتبرع له بعينيّ الاثنتين. كان بمثابة كل شيء لي. ماذا سأفعل في هذه الحياة من دونه؟".

حين تركه "سليم"، رأى "روبار" و "لاجڤان آمد" الذين كانا يشاركان الدكتور في المعارك. كانوا دائماً معاً، حتى في كل الصـور التي يلتقطونها. كان ثلاثتهم بزي البيشـمرگه، وفي أياديهم بنادق"M16". كإنهم فرسان يوم المحشر...

كان سليم يستقبل المسؤولين، يصـافحهم واحداً واحداً ويسأل عن علومهم وأخبارهم. ومن جهة أخرى، كان يفكر في العودة. أرسل كل من "موسى" و "رَنا" إلى المطار وقال لهم: "إذهبوا إلى المطار، إن كانت هناك طائرة اليوم مســـاءً، ســـنغادر. وإن لم تجدوا، فحاولوا حجز التذاكر غداً صـــباحاً من أربيل إلى فرانكفورت."

في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم، سمعوا أن "الدكتور سعيد" قد وصل إلى ألمانيا. من نقل إليه الخبر كان من أحد معارفه وقال له: "الأطباء الألمان سيعلنون تقريراً عن وضعه الصحي بعد ساعات من الآن". كما سمع في نفس اللحظة أن الكثيرين من محبي الدكتور قد توجهوا من مدن ألمانية مختلفة إلى المشفى في مدينة كوبلنز.

قيل لـــ"سليم" أن الطائرة الخاصة التي نقلت الدكتور إلى ألمانيا، كانت قد حجزت من قبل رئاسة الإقليم وقد تم اســـتئجارها بتكلفة خمســـة وثلاثون ألف دولار. كان "عبد الخالق بابيري"المســـؤول في الحزب الديمقراطي الكردستاني قد قال له: "إنه قرار رئاسة الإقليم. ونحن سنساعد في كل شيء يخص الدكتور سـعيد وما يقترحه عائلته لأجل ذلك." شـكرهم "سـليم" وعاد إلى غرفته. لم يكن قادراً على النوم، لذلك، حمل الهاتف وبدأ يتصـل بأصـدقاءه في ألمانيا الذين كانوا أمام باب المشـفى العسـكري في مدينة كوبلنز. لكن، لا أحد يخبره بالخبر اليقين. كانوا يقولون أن الأطباء لا يســمحون حتى لأقرباءه بالدخول إلى غرفته ولا يقولون لهم شيئاً واضحاً عن حالته. كان جميع من كان أمام باب المشفى ينتظرون بفارغ الصبر تقرير الأطباء.

في الصباح الباكر، خرج "سليم" من غرفته إلى صالة الاستقبال في الفندق. كانت الصالة فارغة، وكأن الجمع الذي التم في اليوم السـابق كان كذباً. اتصـل بصـديق له كان أمام باب المشـفى في كوبلنز، أراد أن يعرف آخر التطورات هناك. لكنه أخبره أن لا أخبار جديدة عن وضعه، فأخبر صديقه أنه سيعود اليوم إلى ألمانيا.

كانوا قد حجزوا بعد الظهر في رحلة العودة إلى فرانكفورت. حين أصبحت الساعة الثامنة صباحاً، عج الفندق بالزوار مرة أخرى بمحبي وأصدقاء الدكتور. كان هناك من يذرفون الدموع ويتحدثون بصوت عال عن بطولاته كي يسـمع الجميع ذلك. كانوا قد أعدوا نفســهم (أنفســهم) للذهاب إلى المطار في فترة ما بعد الظهيرة، وكان أمام باب الفندق المئات. كان "كارامان يافوز Karaman Yavuz" مراســـل قناة "ARD" ســـيبقى في أربيل، وكان "ريناس جانو" وكيل البرلمان العراقي عن كتلة الحزب الديمقراطي الكردستاني سيحل مكانه في السفر معهم.

وصـــلت طائرة أربيل- فيينا في تمام الســـاعة الحادية عشـــرة إلى المطار، وكان المســـافرون الذين سيغادرون من هناك إلى فرانكفورت، يجتازون المكان المخصص للتدقيق في جوازات السفر. اجتاز كل من "موسى" و"ريناس جانو" ذلك المكان، لكن بوليس المطار أوقفوا "سليم" وقالوا له "هناك مشكلة".

بعد برهة، أتى عنصـرين من البوليس وأخذوه إلى مكتب في المطار. بقي "سـليم" في تلك الغرفة ينتظر

البوليس. استنسخ أحدهم نسخة من جواز سفره، بعدها أرسلوا نسخة منها عن طريق الفاكس إلى مركز ما. أما العنصر الآخر، فقد بحث عن إسم "سليم" في محرك الانترنت "غوغل". بعدها فتح متصفح "ويكيبيديا" وقرأ كل شيء مكتوب عن"سليم". رأى صورة له مع رئيسة الوزراء الألمانية "أنجيلا ميركل" وصورة أخرى له مع الكاتب الألماني "كونتر والراف Günter Wallraff"، فالتفت إلى زميله وقال له: "هذا الشخص ليس إرهابياً، إنه شخص معروف." أتى العنصر الذي أرسل جواز سفره بالفاكس ونظر إلى الورقة أمامه، ثم توجه إلى "سليم" قائلاً له: "هل لديك أية مشاكل مع الحكومة التركية؟"

" نعم، لدي مشاكل عميقة مع الدولة التركية بشأن القضية الكردية هناك. أنا متهم من قبلهم بسبب كتاباتي، والكتابة في هذا الشأن هي جريمة كبرى. لكن، بحسب شعاراتكم وقوانين الدول الأوربية لا ذنب لي. جُرح أخي الدكتور سعيد جرحاً بليغاً في تفجير أثناء تمشيطه لألغام كان قد زرعها داعش في منطقة بالقرب من الموصل. هو الآن في ألمانيا في مشفى عسكري في مدينة كوبلنز الألمانية. وضعه حرج، وعليّ أن أذهب الآن إليه، أرجو أن تتفضلوا بالسماح لي بالذهاب قبل أن تقلع طائرتي المتوجهة إلى هناك."

لكن، كان على البوليس استكمال تحقيقاتهم. حين رأى عنصر البوليس الذي كان يتفحص محرك البحث "غوغل" صفحة أخرى، صاح على "سليم". نظر بدوره إلى شاشة الكمبيوتر ورأى صورتين. كان مكتوباً بالقلم على جبهته في تلك الصورة حرف "ل" وعلى شواربه حرف "م". كانت الصورتين لشاب ذو شعر طويل. قال له عنصر البوليس:

"هذا أنت؟" حدق في الكمبيوتر مرة أخرى. حين تمعّن في الصورة جيداً، أدرك إنها صورته. كانت الصورة مأخوذة له سنة 1976، حين كان يعمل مدرساً في إحدى مدارس مدينة "ديرسم". كانت قد مرّت أربعين سنة على التقاط تلك الصورة. بعد أربعين سنة كان شاباً في مدينة "ديرسم" والآن رآها وهو في مركز للبوليس في مدينة "فيينا". وكأن القدر يلعب لعبته معه.

كان البوليس ينتظرون الأوامر من المركز. في تلك اللحظة، رن هاتف "سليم" وكان المتصل هو "دلشاد بارزاني" شقيق رئيس كردستان مسعود بارزاني. كان سفيراً لكردستان في ألمانيا. بعد تمنياته بالصحة والعافية للدكتور سعيد، قال لـ"سليم":

" لقد اتصلنا مع البوليس النمساوي وسيطلقون سراحكم قريباً." شكره "سليم" وما ان أغلق الخط حتى اتصلت "بيريفان" وقالت له "إنهم قد أعلموا ممثل العلاقات الخارجية الألماني والسفير الألماني في النمسا كي يقوموا بمحاولاتهم. حين قالت "بيريفان" ذلك، أدرك "سليم" إنهم سيخلون سبيله. كان يود أن يصل بأقصى سرعة إلى أخيه الدكتور سعيد. كانت قد مرت ستة إلى سبعة ساعات وهو لا يعلم عنه شيئاً. كانت طائرته قد أقلعت، والحصول على تذكرة أخرى في ذلك الوقت المتأخر إلى فرانكفورت كان صعباً. رنّ هاتف البوليس، والظاهر أن الإتصال كان يحمل بشارة خير له. كان عنصر البوليس يتكلم ويوافق بالإيجاب على كل ما يُقال له. بعد أن أغلق الخط، حمل جواز سفر "سليم" وناوله قائلاً له: "نعتذر منك.. تستطيع المغادرة الآن."

خرج من مكتب البوليس يحث الخطى. نزل إلى الطابق الأرضي، ثم أخرج تذكرة سفره من جيبه وأراد أن يذهب على الفور إلى مكتب الحجز، لكن "موسى" ظهر فجأة أمامه. غمرتهم السعادة بهذا اللقاء. قال له "موسى" أن "ريناس" و "رَنا" قد سافرا، أما هو، فقد أخّر أقلاع الطائرة لمدة ربع ساعة، لكن تحت ضغط البوليس، نزل من الطائرة التي توجهت إلى فرانكفورت، وبقي هو في المطار.

بقيا لوحدهما هناك، لا يعرفان أحداً هناك. وتذاكرهم قد انتهى مفعولها أيضاً. كانت طائرتهم التي

www.arsyakurdi.org

حجزوها مجدداً ستنطلق في الساعة العاشرة صباحاً من اليوم التالي. أرادوا استئجار سيارة كي تقلهم من المطار إلى مدينة كوبلنز. لكن "سليم" لم يكن يثق في مدى قدرة "موسى" على سياقة السيارة في تلك الطريق الطويلة (في ذلك الطريق الطويل) . تجولوا في ذلك المطار الكبير الواسع. تذكر "سليم" صديقته "شيلان" التي تسكن في دولة السويد. مع أن الوقت كان متأخراً، إلا أن "سليم" ضغط على رقمها في الهاتف، رفعت "شيلان السماعة، فقال لها: "أنا في فيينا. تأخرت عن طائرتي بسبب توقيفي من قبل البوليس النمساوي، لذلك بقيت هنا. هل هناك أحد من معارفك هنا؟" أعطته "شيلان" رقم هاتف "مصطفى ديرسمي"، وفور اتصاله به، جاء بعد نصف ساعة وأخذهم من المطار بسيارته إلى فندق في المدينة. اتصل "سليم" بزوجته "آيسل". كانت تبكي وتقول: "لقد فقد الدكتور سعيد حياته."

سقط الهاتف من يد "سليم" واسودت الرؤية أمام عينيه. جلس بصعوبة على فراشه. لم يصل إلى الدكتور سعيد مرة أخرى. قبل أن يصل إلى كوبلنز، كان قد غادر "الدكتور" سعيد إلى ديار الأبدية.

كان صديقه "مراد ساتك Murat Satık" قد أرسل له تذاكر الطائرة عبر الانترنت على هاتفه، وفي الصباح الباكر توجه إلى المطار واقلعت طائرته في الساعة العاشرة والربع متجهة إلى "بون- كولن".

في مطار "بون" كانت زوجته و"هيام" صديق الدكتور سعيد في استقبالهم. حين رآه "هيام" لم يتمالك نفسه واجتاحته نوبة بكاء واضطر إلى الخروج من المطار. بكى "سليم" أيضاً وتبعه إلى الخارج. توجه الإثنان وهم على تلك الحالة إلى مكان ركون سيارتهم. يقفون أحياناً ويسرعون الخطا أحياناً أخرى. كان كل من "موسى" و "آيسل" يودون أن يطيبوا خاطرهم، لكن هيهات.

بعد ان وصلا إلى بعضهما، حضنا بعضهما البعض واستمرا في البكاء. كانا يذرفان الدموع السخية بحرقة، فهم فقدوا قطعة من روحهم. كان وراء بكاءهما حزناً عميقاً، حيث قضى الإثنان أياماً عصيبة مع بعضهما، وسارا في دروب مقفرة وخطرة ووقفوا بصلابة أمام الكثير من متاعب الحياة. خاضوا سوية معارك كثيرة بدون أن تلين عزيمتهم. والآن، ها هم فاقدين للحيلة أمام الموت. لذلك كانا يبكيان، ويدركون ان من المحال أن يعيدوه مرة أخرى إلى الحياة.

كانت "آيسل" تتصرف بروية. ركب كل من "سليم" و "هيام" السيارة. حين وصلوا إلى منزل "هيام" في "كولن" كان هناك بعض الأصدقاء في انتظارهم. كانت "ديلارا" حفيدة عم الدكتور سعيد تبكي. لم تكن "روكن" زوجة "هيام" تعرف كيف تتصرف. بعد برهة، أتت "خديجة ياشار Hatice Yaşar" أيضاً. وكان وضعها النفسي متدهوراً أيضاً، عيونها غائرة ومهمومة. لم يراها أحد من قبل على تلك الحالة. كانت تنظر أمامها وكأنها لا ترى أي أحد من حولها. صامتة لا تتكلم. بالكاد كان شعرها القصير يغطي رقبتها. كان تفرك أصابعها وتنظر إلى "سليم" وكإنها ميتة. جميع من كان جالساً في صالون المنزل على شاكلة "خديجة". قطع "آزمان" صديق الدكتور سعيد حين كان كريلا في الجبال الصمت، دخل إلى الصالون بقامته الضخمة ولحيته الطويلة. لم يكن يقوى على الوقوف على رجليه من كثرة احتساءه للخمر. بعد ان صافح الجميع وجلس في المكان المخصص له. نظر إلى "سليم" وقال له بصوت مخنوق:

"كان مختلفاً عنا يا سليم. لم يكن يشبه أحداً منا. كان لديه الكثير من الأصدقاء، ويتواصل معهم جميعهم. لم يكن يتخاصم مع أحد ولا يتخاصم معه أحد. كان الجميع يحبونه. هو انتصر حين قام بكل ذلك."

"آزمان" ذو القامة الضخمة كقمم الجبال، بكى كطفل صغير. توقف عن البكاء حين دخل كل من "ريناس جانو" و"بيريفان".

كان يقال إنهم استأجروا صالة للقيام بمراسيم العزاء في مدينة "بريمن" الألمانية، وكان الكثيرون يتوجهون إلى هناك لتقديم واجب العزاء وللمشاركة في مراسيم دفن الجنازة التي كانت ما زالت في المشفى

العسكري في مدينة كوبلنز.
أصدقاء "الدكتور سعيد" ومحبيه كان (كانوا) قد أستأذنوا من الأطباء كي يدخلوا إلى غرفته ويلقوا عليه نظرة الوداع الأخيرة. كانت صديقته "زيڤا" متأثرة أكثر من الجميع. كانت قد قدمت إلى ألمانيا وبدأت بدراسة علم النفس في الجامعات الألمانية، وكانت تعمل كطبيبة نفسية. حين سمعت بخبر وفاة "الدكتور سعيد" اتجهت على الفور بسيارتها إلى المشفى العسكري. إضافة إلى تلك الجلبة في المشفى، إلا إنها استطاعت إيصال نفسها إلى غرفته. كان جثمان الدكتور ملفوفاً بشرشف أبيض وممدد على السرير. كان عاري الصدر، ووجهه إلى الأعلى وكإنه يبتسم للحضور. كان قلب "زيڤا" ينبض بقوة. اقتربت منه بخطوات مثقلة وخائفة. قالت له بصوت تشوبه العبرات: "كنت تقول لي أن الموت سهل وبسيط، والبقاء أصعب. إذاً، لماذا اخترت السهل والبسيط؟". اجتاحتها نوبة بكاء قوية.
كانت تذرف الدموع مدراراً على وجنتيها، وشعرها يغطي كل وجهها. كانت تقول: "قلت لي، لماذا يرغب الإنسان في الموت؟ هل تعلمين لماذا؟" كنت تجاوبني على سؤالك بنفسك وتقول :"هناك أناسٌ كسالى، لا يقوون على القيام بأي شيء، فتصبح حياتهم بلا معنى، لذلك يودون الموت. البعض يفقدون إيمانهم، لذلك يرغبون في الموت. هناك بعض البشر لأنهم لا يضيفون أية قيمة على الحياة، يبحثون عن الموت." حين رأيتني صامتة، أكملتَ حديثك وقلت: "هناك بعض الناس الذين يحاربون من أجل قضيتهم، وبدون أن يتمعنوا في التفكير فيها، يفقدون حياتهم." كنت تقول لي: "إذاً، لماذا ترغبين في الانتحار؟" الآن أسألك يا دكتور: لماذا متَّ؟ كانت تبكي بمرارة. اقتربت من سريره وهي على تلك الحالة، وتمددت على ظهرها بجانبه على السرير. أغلقت عيناها وأرادت الموت. وحين طلبوا منها القيام، قامت من على السرير، وقبلت جبهة الدكتور وخرجت من الغرفة.
لم يكن "سليم" يود الذهاب إلى المشفى كي لا يرى جثمان أخيه. أن يرى جثمانه سيقتنع بالفعل إنه مات بالفعل. لم يكن يريد أن تبقى آخر صورة للدكتور وهو ميت عالقة في ذاكرته. قال للجالسين في الصالة: "جهّزوا أنفسكم، سوف نسافر إلى بريمن."
كانوا قد استأجروا قاعة في حي "واله Walle" في مدينة بريمن، على العنوان " Waller-Heer str 165" وكان اسم القاعة "Event Palast". كان الناس يأتون إلى القاعة التي تأوي خمسمائة شخص من كل المدن الأوربية، بالقطارات والسيارات والطائرات يتوافدون للقيام بواجب العزاء. كان الجميع حزينون عليه، الجمعيات، الأحزاب السياسية، المؤسسات الكردية في أوربا، كلها تجلب أكاليل الورود ويضعونه على خشبة المسرح في القاعة، وكانت صور "الدكتور سعيد" تبث على شاشتها. رجال الدين كانوا يقومون بالأدعية على روحه.
كانت القاعة تستقبل المُعزّين من الساعة الثامنة صباحاً وحتى الساعة الثامنة مساءً. قام الكُرد القاطنين في مدينة "بريمن" بواجب عظيم تجاه تعزية الدكتور، كانوا يأوون المئات القادمين من الدول الأوربية الذين يودون البقاء في "بريمن"في بيوتهم، وهذا يدل على التماسك الاجتماعي القوي بين أبناء الجالية الكردية فيها، وكان الدكتور سعيد أحد مهندسي هذا التماسك، حيث ناضل طوال حياته من أجل ذلك، ولم يلق بالاً يوماً على المصالح الشخصية الآنيةً، بل أصبح مثلاً يحتذى به من قبل الكثيرين من معارفه.
جاء الناس من لندن، مدريد، باريس وستوكهولم، هم وأولادهم، يتوجهون إلى القاعة للمشاركة في هذا اليوم الحزين.
النساء يبكين بحرقة وكإنهن فقدوا فلذة كبدهن.. كان رفاقه الذين كانوا معه في الجبال "الگريلا" يقولون "لقد فقدنا قائداً فذاً". جاء أصدقاءه، أقرباءه، أخوته، أبناء قريته وزملاؤه في الدراسة والعمل. الفنانين

والسياسيين جاؤوا، الجميع ينحنون إجلالاً لمواقفه وعلى روحه. الكُرد الحاصلين على حق اللجوء السياسي في أوربا كانوا يقولون: "قام بما لم نستطع القيام به." كان الجميع يتحدثون عن خصاله ومزاياه.

استمر العزاء لخمسة أيام في القاعة. كما انتهت معاملة نقل الجثمان من المشفى العسكري في كوبلنز. قرر أخوة الدكتور سعيد وأقرباءه المقربين على إقامة مراسيم لنقل الجثمان. كان سيتم نقل الجثمان من المشفى العسكري في كوبلنز إلى مطار مدينة "دوسلدروف"، ومن هناك إلى مطار أربيل، وفي أربيل ستقام له مراسيم عسكرية، ومن هناك سيتم نقل الجثمان إلى مدينة دهوك وتبقى ليلة هناك، وفي الصباح الباكر سيتم نقل الجنازة عبر معبر ابراهيم الخليل إلى قريته "چلكانيێ" حيث سيدفن هناك.

بعد ان قرروا ذلك، قاموا بترتيب مسرح القاعة في اليوم الأخير، وعلقوا صور الدكتور سعيد وأخاه "حسن" و"عمر" الذين استشهدا في سبيل خلاص الشعب الكردي. تم وضع أكاليل الورود من قبل محبيه على جانبي المسرح. وتم تهيئة شخصين ، شاب وفتاة بالزي الكردي لتقديم الكلمات، حيث كانوا سيقدمون في البداية نبذة عن حياته، بعدها ألقى أصدقاءه المقربين كلماتهم، وكان بين الكلمات، كلمة لممثلي الأحزاب الكردية، وممثل المعهد الكردي في باريس، كلمة "علي أرتان" رئيس "Kurdische Gemeindeyê " وكلمة لـــــ"مهدي زانا" الرئيس السابق لبلدية ديار بكر، ومن الأحزاب اليسارية الألمانية " Ulla Jelpke"، كما ألقى الفنان "شفان برور" كلمة، إضافة إلى الكاتب أخيه"سليم چوروككايا Selîm Çurukkaya" وزوجة أخيه "آيسل چوروككايا Aysel Çurukkaya"، كما وردت برقيات من العديد من الشخصيات المعروفة والمثقفين والمفكرين والفنانين.

كان المصورون يصورون كل الكلمات، وبعض القنوات التلفزيونية كانت تبث برنامجها بشكل مباشر من القاعة، وكان من أعمق اللحظات تلك اللحظة التي تمت فيها دعوة زملاءه وأصدقاءه ورفاقه من البيشمرگه كي يمتثلوا على خشبة المسرح، فكل واحد منهم يعبر عن محطة من محطات حياته.

كلما كان يتم ذكر إسم الدكتور سعيد، كان الحضور بعضهم يصفق وبعضهم يبكي. الذين ألقوا الكلمات، بعضهم شبهوه بـ"كاوا الحداد" والبعض الآخر شبهوه بـ"تشي غيفارا".

بعد ان انتهت المراسيم، انطلقت السيارات صوب مدينة "دوسلدروف". وبعد يوم هناك، كانت ستقلع الطائرة التي تقل الجنازة إلى مدينة أربيل. امتلأ المطار بمحبيه وأصدقاءه.

في يوم (2016/11/11) حين هبطت الطائرة في أربيل. تم استلام الجنازة فوراً. قاموا بنقل أقرباء "الدكتور سعيد" بالسيارات إلى ساحة مخصصة للمراسيم، ولأن الطائرة تأخرت في الوصول إلى أربيل، كان المئات هناك واقفين بانتظارها.

كانوا قد وضعوا نعشه المغلف بالعلم الكردي في مكان عال في تلك الساحة التي اجتمع فيها الآلاف من المدنيين والعسكريين. كانت صور الدكتور في كل مكان من الساحة. حين وصل القادمون من ألمانيا إلى أربيل، وقف الجميع دقيقة صمت على روحه وروح جميع شهداء كردستان، تخلله عزف النشيد الوطني "أي رقيب". كانت قنوات التلفزة تنقل المراسيم نقلاً مباشراً على شاشاتها، والمصورون منهمكون بتصوير أدق التفاصيل في المراسيم.

تم وضع الإكليل الأول باسم رئيس إقليم كردستان مسعود بارزاني، ووضعها "عبد المُهيمن بارزاني". والباقة الأخرى كانت باسم رئيس حكومة إقليم كردستان ووضعت من قبل ممثله. الباقة الثالثة كانت باسم رئيس فرنسا وتم وضعها من قبل المفكر "برنارد هنري ليفي"، وألقى كلمة قصيرة ومعبرة قال فيها :"خاض الدكتور سعيد هذه الحرب كي يفتح أفق الحياة للناس، لكنه فقد حياته، يجب أن يُكتب إسم الدكتور سعيد بأحرف من ذهب بين جيش حكومة كردستان كي يبقى قدوة للنضال لا تنتسى." بعدها وضع

محافظ أربيل "نوزاد هادي" إكليلاً من الورود، وانتهت بذلك المراسيم العسكرية للجنازة.

صُفّت السيارات وراء بعضها كي تتوجه إلى دهوك. قافلة من آلاف الأشخاص تشكلت في موكب للسيارات.

كان علم كردستان وصور الدكتور على كل سيارات الموكب. يمر الموكب بالقرى والبلدات على جانبي الطريق، وكانت الناس كلها على طرفي الطريق تلوح بأياديها وتودع الشهيد، يرفعون الهتافات ويطلقون الرصاص تعبيراً عن حزنهم.

كان الجميع قد علم بقيمة الدكتور بعد استشهاده، ويعبرون عن وفاءهم لروحه بتلك الطريقة. حين وصل الموكب إلى حدود منطقة الإيزديين، اتسع الموكب أكثر، وكان الإيزديون بثيابهم البيضاء على جانبي الطريق ينحنون بإجلال لمرور جثمان الشهيد.

كلمة دهوك، تعني واديين. حين يمر الموكب من واد منهم، كانت أضواء السيارات أشبه بفيضان من الأضواء. إنها مدينة دهوك التي قضى فيها "الدكتور سعيد" معظم حياته فيها. الآن، تحتضن هذه المدينة بأضواءها الحزينة جثمانه. كات صور الدكتور الكبيرة معلقة على عواميد الكهرباء وعلى المفارق والأبنية الضخمة. صورته وهو يحمل بندقيته وجهاز الكشف عن الألغام في يده.

كان أهالي دهوك قد نزلوا إلى الشوارع، رجال ونساء وأطفال، يودعون موكب الشهيد. كما أن أمام مشفى المدينة قد تحول كالقيامة من كثرة الناس المتجمعة هناك، لم يكن أحد يدري أين توقفت نهاية الموكب.

مدينة دهوك، بكت بصمت على الشهيد، وأحياناً كان النحيب يطغى على ذلك الصمت.

حين وضعوا جنازة الدكتور في براد المشفى في دهوك، تناثر الجمع حول المشفى، وبدأت أصوات السيارات تخف رويداً رويداً، ساد هدوء حزين كل الشوارع والأشجار، حتى القمر الساطع في سماء المدينة كان الحزن بادياً على سطوعه.

من كان قادماً مع الجنازة من ألمانيا، تم توزيعهم على البيوت وفنادق المدينة.

في الصباح الباكر، كانت ستنطلق السيارة التي تحمل الجنازة إلى معبر ابراهيم الخليل مع تركيا، ولأجل ذلك، كانت قد جرت لقاءات بين مسؤولي حكومة إقليم كردستان والمسؤولين الأتراك لتسهيل عملية دخول الجنازة، كما التقى العديد من المثقفين في تركيا مع المسؤولين هناك لأجل ذلك، حيث أن الأقرباء المقربين للدكتور سعيد كانوا سيدخلون معه إلى تركيا.

في الساعات الأولى من الصباح، كانت كالعادة، العواميد على طرفي الشارع إلى معبر ابراهيم الخليل كان معلقاً عليها صور الدكتور وعلم كردستان، واجتمعت السيارت مرة أخرى لمرافقة الجنازة. كان الآلاف قد وضعوا صورة الدكتور على قلوبهم، النساء والأطفال والشباب الذي طبعوا صورته وهو بزي البيشمرگه على كنزاتهم.

كانت دهوك موشحة بصوره، وكإنه لم يمت، بل عاد إلى الحياة. أصبح الجميع دكتور سعيداً، صغاراً وكباراً.

انطلق الموكب من دهوك، وبعد ساعة وصل إلى بوابة معبر ابراهيم الخليل. لم تسمح الحكومة التركية بوصول القادمين من الطرف التركي إلى المعبر، كما إنها لم تسمح للاجئين السياسيين الكرد القادمين من أوربا مع الجنازة بالمرور، وكان بين هؤلاء كل من "سليم" شقيق الدكتور و زوجته "آيسل".

كان عليهم أن يودعوا بعضهم هناك. الذين كانوا سيذهبون مع الجنازة إلى القرية كانوا محددين مسبقاً، وكان بينهم "نجم الدين" شقيق الدكتور وزوجته "حُسنة"، وأبناء أخيه "بَرات" و "فرمان".. وغيرهم من

أقرباءه. إضـــافة إلى الناطق باســـم ممثلية الپيشـــمرگه "هلكورد حكمت" و"عبد الخالق بابيري" و "علي عوني" ممثل الحزب الديمقراطي الكردستاني، و"موسـى أحمد" ممثل جمعية بارزاني، إضـافة إلى لجنة أخرى من جنوب كردستان كانت ستتجه مع الجنازة إلى القرية.

حان وقت الوداع. حين قبّل "سـليم" الجنازة في سـيارة الإسـعاف، رأى الصـحفية الأمريكية "آليزا ماركوس" هناك، والتي حين علمت باســتشــهاد الدكتور وإرســال الجنازة من هولير إلى تركيا، قامت بالمجيء على الفور وأوصلت نفسها إلى المعبر. كان الحزن بادياً عليها أيضاً، وبعد أن رآها "سليم" طلب منها أن تتحدث عن الدكتور سعيد، وقالت بدورها:

"كان سعيد كالريح، لا يكل ولا يمل.. ينهمر بغزارةٍ وقوة. لا تمنحه الكلمات حقه"

انطلق الموكب صـوب تركيا! الدكتور سـعيد الذي لم يسـتطع طوال سـتة عشر عاماً الذهاب إلى تركيا، الآن يذهب إلى وطنه في تابوت. هو العارف بطريق "چلكانيێ" التابعة لمنطقة "چوليک" و"الخابور". سـنين طوال حارب هناك من أجل تلك الأرض، من أجل جبالها ووديانها وسـهولها، صـيفها وشـتاءها، ينـابيعهـا وأنهـارهـا. كـان يعرف كـل قرويي وأنـاس تلـك المنطقـة. وهم بـدورهم لم ينســوا قـائـدهم، من ""چولميرگ"، "ماردين"، "ديريك"، "شـرناخ"، "جزير"، "آمد"، "پاسـور"، "أرغَني" و "لجێ" كانوا قادمين وواقفين على الطرقات لاسـتقبال الجنازة. المغنون يؤلفون أغاني حزينة عنه. السـهول التي كانت تمر فيها الموكب وكإنها باتت ودياناً من حزنها، الجبال كان تحييه، وكإنها خجلى من تيتمها بعده.

غالبية الذين لا يعرفون قيمته، كانوا صـامتين. كانوا أسـرى الأكاذيب. تُرى هل تسـتطيع جنازة الدكتور سعيد أن تضخ فيهم الجرأة؟ صعب جداً ذلك! كان البعض من الكُرد أصبحوا عبيداً للدولة، والبعض الآخر عبيداً للـ"PKK". كانت عبودية بحيث كان العبد أيضاً يرى نفسه حراً!

كان واقع جيش العبيد والأسـرى أولئك مختلفاً.. كانوا يؤلفون أرواحهم على الكذب. مع إنهم يدركون ماضيهم، إلا إنهم كانوا يهربون منه. كان "الدكتور سعيد" أسطورة قد انمحت من ذاكرتهم. حتى إنهم كانوا يخافون من نطق إسمه...

حين انطلقت سـيارات الموكب من "آمَد" كان الظلام قد حل. وكلما يسـير الموكب كلما يزداد عدد السيارات فيه. انطلقت جنازته من تلك الطرق التي يعرفها جيداً وحارب من أجلها، وتوجه صوب "شاركا" الشمالية. قائد ذلك الموكب كان هو بنفسه مرة أخرى.

كان الليل هادئاً ومظلماً، فقط أضـواء سـيارات الموكب تبعث فيه النور. حين وصـلوا إلى واد عميق، خاف البعض أن يتعرضـوا لإطلاق النار هناك. قال أحدهم: "قد يُطلق من كان على هذا الطرف النار على الواقفين في الطرف الآخر، وبذلك يطلقون النار على بعضهم."

وقال آخر: "لا تهتم، فهم يدركون إنهم من أبناء جلدة واحدة."

وصـل الموكب في وقت متأخر إلى "چلكانيێ". لم ينم أحد في القرية، كانوا قد أشـعلوا النيران على أطراف الطريق كي يتدفأوا بها، ووضـعوا صـور كبيرة للـــــ"الدكتور سـعيد" على العواميد في جانبي الطريق، وكانت أعلام كردستان تزركش كل ساحات وشوارع وبيوت القرية.

بعد ستة عشر عاماً، استقبله القرويون جنازته بهذه العبارة :"لقد رفعت رؤوسنا."

أصـدقاء طفولته، فتيات القرية اللاتي كن معجبات به، زملاءه في مدرسـة القرية، عجائز القرية، كلهم كانوا واقفين بإجلال على طرفي الطريق. كان الجميع يبكون حين مرت سـيارات الموكب من أمامهم، بعضهم يصيح "دكتووور" وصوت آخر يصرخ:" لم يكن جائزاً أن تتركنا لوحدنا".

وضـعوا الجنازة في جامع القرية، وفي صـبـاح اليوم التـالي، توجـه قرويوا القرى الآخرى إلى

"چلكانيێ"احتشــد الآلاف هناك وحملوا النعش على اكتافهم وأخذوه إلى البيت الذي ولد فيه، ومن هناك توجهوا صوب المقبرة.

الرجال والنسوة يرفعون الأعلام والشعارات. كلهم يعلمون لماذا كان يحارب الدكتور سعيد ولأجل أي هدف استشهد. الكتاب والمثقفين والسياسيين والفنانين كل واحد منهم ألقوا كلماتهم بلغات مختلفة، ثم انحنوا بإجلال. بعد ان تفرّق الحشد، كان علم كردستان يرفرف على كل تلال تلك المنطقة.

كانوا قد أقاموا مراسيم للعزاء في مسجد "الحرية" (آزادي) مدينة دهوك، ولمدة ثلاثة أيام متواصلة، كان "سليم" و "مراد داغدَلَن Murat Dağdelen" و"ريناس جانو" يستقبلون آلاف المُعزّين، وبعد انتهاء تلك المراسيم، دعا رئيس إقليم كردستان مسعود بارزاني كل من "سليم" وزوجته "آيسَل" إلى منزله وعزّاهم بدوره، ولقب الدكتور بالجنرال بكلمته هذه: "الدكتور سعيد هو جنرال استقلالنا وحريتنا. لأنه كان بطلاً كردياً واقعياً، ساعد أخوته من البيشمرگه بكل صدق في حربهم ضد إرهابيي داعش. بكل جوارحه شارك في معارك حماية كردستان وقدم روحه الزكية على هذا الطريق. الدكتور سعيد سيكون حياً دائماً في ذاكرتنا ووجداننا. أحيي روحه الطاهرة وأرواح كل شهداء كردستان."

بعد يومين من كلمته، وافق برلمان كردستان على منح رتبة جنرال للدكتور سعيد.

www.arsivakurdi.org

-2-

استيقظ عيسى "عيسى خيرو"جد الدكتور سعيد، أي والد والدته، في الصباح الباكر. جهّزت له أخته "أمێ" بعض الزبدة واللبن وثلاثة أرغفة من خبز الصاج، إضافة إلى البصل، ووضعها له في خُرجٍ مصنوعٍ من وبر الماعز. حمل عيسى ذلك الخُرج، وخرج من بيته الطيني إلى باحة المنزل.

كان "عيسى" في عمر الثامنة عشرة، وبالكاد ظهرت شُعيرات شاربه. كان ذو قامة ممشوقة، عريض المنكبين، بجسد متناسق. يلبس قفطاناً قديماً أبيضاً، ويضع شالاً آمدياً على خاصرته. يحتذي حذاءً من جلد الثيران وفي يده عصا من شجر البلوط. كان يمتلك قرابة ثلاثين ماعزاً وعشرة خراف. حين فتح الباب، انطلقت الماعز إلى الخارج وتبعتها الخراف. كلبه "بَلَك" كان ينبح حول باحة الدار وكإنه كان بانتظار هذه اللحظة، وبات يركض حول القطيع هنا وهناك.

منطقة "حجيان" كانت منطقة جبلية، ومرعى القطعان هناك كان غالباً هو أوراق أشجار البلوط. كان "عيسى" يأخذ قطيعه كل صباح إلى تلك الجبال. عدا ذلك، كان هناك الكثير من الرعيان في القرية. أحياناً ما كانوا يدمجون قطعانهم مع بعضها ويتركونها في تلك الجبال كي ترعى على أشجار البلوط تلك. كانوا (كان) خوفهم من الدببة فقط. لذلك كانت هناك غابة في جبل "شارِك" إسمها "گەمێ هەش" أي غابة الدببة. وبحسب أقوال المعمرين هناك، فإن عشرات الدببة كان (كانت) تعيش في تلك الغابة، وكلما تجوع تلك الدببة، تخرج وتأكل أي حيوان تراه في طريقها. كان الرعيان يعرفون الكثير من هذه القصص. كان يحتاطون كثيراً من أجل حماية أنفسهم منهم، وعلى الغالب كانوا يعتمدون على كلابهم في ذلك.

في ذلك الصباح، حين أوصل "عيسى" قطيعه إلى الوادي القريب من القرية. ذهب للإطمئنان على الشرك الذي وضعه هناك من أجل اصطياد الحجل، ذلك الشرك الذي صنعه بمشقة كبيرة في فصل الشتاء. في البداية شُعيرات من ذيل الحصان من عند أحد معارفه. ودبّر خيطاً متيناً أيضاً، وبعد ذلك، جلب أغصان البلوط وبدأ بسكينه يصنع منها أربعة أسياخ، وثبتها في الأرض، وبدأ يغزل بخيطه ذاك حول تلك الأسياخ ويربط شُعيرات ذيل الحصان عليها ويُشكل عُقداً من بداية تلك الشُعيرات، وذلك لكي لا يستطيع الحجل الفكاك من تلك العُقد. كانت مهمة تلك الأسياخ الخشبية هو تثبيت تلك العقد على الأرض.

تسلق "عيسى" التل بشغف. وصل إلى المكان الذي وضع فيه الشرك. نظر إلى الى المرج القريب من هناك حيث أعشاش الحجل كثيرة في ذلك المرج. سحب الخيط الذي مده على مبعدة من الشرك. كان الخيط قد تدلى إلى الأسفل. استغرب من الأمر. فسحب الخيط ببطء. كان ثقيلاً جداً. خطا خطوتين نحو الأسفل وسحب خيطه بسرعة. كان قنفذ قد وقع في شركه.

كان الشرك ملتفاً على رقبة القنفذ. احتار "عيسى" من صيده هذا، فركل القنفذ ودحرجه إلى أسفل التل. حاول الذهاب إليه مرة أخرى كي يفك الشعيرات العالقة في رقبته، لكن القنفذ تكوّر على نفسه وأدخل رقبته في جسده الشوكي. توقف "عيسى" قليلاً منتظراً القنفذ كي يُخرج رأسه. أخرج القنفذ رأسه وسار قليلاً. فمد يده مسرعاً إليه كي يمسكه، لكن القنفذ تكوّر على نفسه مرة أخرى وأصبح كتلة من الأشواك. بعد عدة محاولات فاشلة، ادرك "عيسى" إنه لن يستطيع استرداد تلك الشعيرات بهذه الطريقة. تذكر النبع الواقع في أسفل التل. كان هناك نبع في أسفل ذلك الوادي، وقد شكّلوا سدّاً بالقرب من منبعها حتى تشكلت بحيرة كبيرة من مياهها. كان الرعيان يأخذون قطعانهم في أوقات الظهيرة كي تشرب أغنامهم من مياهها.

حمل السيخ الكبير من الشرك، وحمل القنفذ ونزل إلى البحيرة. كان كلبه ممدداً تحت ظل شجرة هناك وينظر إليه. مرّ "عيسى" بقربه. كان عليه أن يجتاز تلاً آخر. تسلق ذلك التل وتبعه كلبه "بَلَك" أيضاً.

اجتاز التل وظهرت البحيرة أمامه. كانت بعض ماعزه ممددة تحت ظل شجرة كبيرة هناك. وصل كلبه "بَلَك" قبله إلى البحيرة. وضع "عيسى" القنفذ" بين (في) الماء، فأخرج القنفذ رأسه وبدأ بالسباحة. نظر إلى أنفه المدور وأذنيه الصغيرتين، عيناه اللتان تكادان تخرجان من محجريهما، كم كانتا جميلتين. أرجله الأمامية كانت تشبه يد الإنسان. كان يتمعن في التحديق في القنفذ وهو يسبح ويتوجه صوبه. كان كطفل آدمي يلبس معطفاً من الأشواك. كان ينظر بدهشة إلى رجليه الأماميتين والخلفيتين، وكان ظاهراً أن القنفذ يود الخلاص من تلك الشعيرات حول رقبته.

رق قلب "عيسى" وبدا متعاطفاً معه، بدأ يفكر أن يفك وثاقه ويتركه حراً طليقاً. كان يقول في نفسه: "الله عليم، قد يكون هناك له أخوة وأخوات أو أبناء. وقد تكون له صديقة أيضاً."

سحب الخيط صوبه وبذلك اقترب القنفذ منه سباحة. مدّ يده إلى تلك الشعيرات وبدأ يفكّها عن رقبته. بدأ يربط عُقد الخيط مرة أخرى وجمعها مرة أخرى. حمل القنفذ وعاد به إلى مكانه الأول. حال وصوله إلى ذلك المكان رأى حجلاً يطير عالياً من هناك.

رقّ قلب "عيسى" على الحجل أيضاً وأقسم إنه لن يضع مصيدته مرة أخرى بالقرب من عشها. كان يقول لنفسه: "الحجل مخلوق أيضاً، لقد بنت هذا العش مع حجل ذكر، وقد وضعت أنثاها بيوضها في هذا العش، وسيخرج من هذه البيوض صيصاناً صغيرة. هذه الصيصان سوف تقلد أمها وحين تكبر ستغبغب بصوتها الشجي. سيملأون هذه الطبيعة بغبغتهم الجميلة. لكن، ماذا أقول؟ ها أنا أضع مصيدتي وشراكي بدون رحمة ووجدان، وحين أصطادها، أذبحها وآخذ بيوضها من عشها كي أقليها وآكلها، بدون أن يخطر في بالي أي عذاب خلفته للحجل الذكر بعد كل ذلك."

ظهرت كل أحاسيسه الإنسانية بسبب رؤيته لأرجل القنفذ التي كانت تشبه أرجل البشر. إن لم يشاهد أرجل القنفذ في تلك اللحظة، فقد كان هناك احتمال كبير أن يقطع رأس القنفذ أيضاً ويذهب به إلى البيت كي يجعل منه طعاماً له. إضافة إلى إنه كان سيضع مصيدته حول أعشاش الحجل ويخرّب أعشاشها أيضاً.

كان ينزل من على التل، عصا البلوط في يده، وخُرجه في يده، ومصيدته في يده الأخرى، وكلبه "بَلَك" وراءه في كل خطوة. وفجأة بدأ "بَلَك" بالنباح. بدأ "عيسى" بإطلاق صوت تفهمه الماعز صائحاً عليها كي تلتم على بعضها.

كان "بَلَك" يركض هنا وهناك وينبح نباحاً قوياً وكإنه يود أن ينبه "عيسى" على خطر محدق. لأن "عيسى" كان يثق في كلبه كثيراً، ركض مسرعاً وتسلق شجرة عالية فوق التل. نظر حوله، لم يجد شيئاً.

لم يتوقف "بَلَك" عن النباح، وكإنه (وكأنّه) يود العودة إلى القرية. تبعه "عيسى"، فسمع صرخة غريبة. لكنه لم يكن يرى بيوت القرية، كان عليه أن يتسلق هضبة أخرى حتى يرى البيوت. نادى على "بَلَك" وأفهمه بأنه سيتوجه إلى هناك. كان الكلب يتوجه إلى المكان الذي ينبعث منه الخطر، لذلك كان يود أن يُبعد "عيسى" إلى جهة القرية.

حين وصل "عيسى" على فوق الهضبة، أصابته الدهشة حين رأى الجنود العثمانيين أمام بيتهم في القرية وقد قبضوا على أربعة من اخوته وربطوهم بالحبال من رقابهم وساقوهم وهم مربوطين ببعضهم. كانت أختاه فوق سطح المنزل الطيني يلطمون أنفسهم بأياديهم ويبكون بحرقة. كان نفس المشهد أمام البيوت الأخرى في القرية التي كانت محاصرة بعدد كبير من الجنود.

شبّه "عيسى" أخواته (إخوته) بذلك القنفذ المقيد من رقبته، وشبّه قريته بعش الحجل. جلس في مكانه وبدأ بالبكاء. كان قد وضعوا كميناً حول القرية، وقد وقع إخوته وكل شباب القرية في الكمين. لكن للأسف، كان صيادهم لم يكن رحيماً كما هو كان رحيماً مع القنفذ والحجل.

www.arsivakurd.org

كان الزمن، زمن الحرب والغلاء. القوات الروسـية وصـلت حتى "كانى رش" و "گێخیێ". وحدات الشيخ "شريف" كانت قد وصلت حتى "گێخیێ" واستولت على مخازن الروس هناك ووزعت الأرزاق على القرويين الجوعى. لقد سمع بتلك الأخبار من قرويي قرية "كەلاخسێ" المجاورة لقريتهم.

تأكد أن الذين وضعوا الكمين حول القرية هم ليسوا من الروس، فقد فهم البعض من كلماتهم. صاح على كلبه "بَلَك"، أراد منه ألا ينبح. قال له: " أنظر هناك، سيأخذونني أنا أيضـاً مقيداً وسيقتلونك أنت أيضـاً." بقي حتى المساء في الغابة. وبعد أن حلّ الظلام، تأكد من خلو القرية من الغرباء. ساق قطيعه وتوجه نحو القرية. كان شقيقاته ما زلن يبكين على إخوتهم. كان الصراخ والبكاء يعلو في القرية. أدرك انهم أخذوا كل من وقع عينهم عليه وبقي الرعيان الذين كانوا خارج القرية فقط.

اجتمع كل الرجال الذين كانوا في الجبل يرعون قطعانهم، وكان بينهم "سَكمان" الذي قضى معظم حياته في مدينة "آمَد"، كان يجيد القراءة والكتابة باللغة العربية والعثمانية أيضـــاً، كان يقول "سَـكمان: ". أن الوضـع سـيء للغاية. الروس دخلوا إلى "چاپخورێ" والدولة العثمانية أعلنت النفير العام. وبموجبه على كل من يستطيع حمل السلاح الالتحاق بالجيش. والذين لا يودون الالتحاق يتم القبض عليهم ويساقون عنوة إلى الجبهات. الكثيرون من الذين يساقون إلى الجبهات إما أن يقتلوا برصاصات العدو، أو يموتون بسبب (من) الجوع ومن مرض التيفوئيد بسبب الحر الشديد.

عاد عيسى في وقت متأخر إلى البيت وقال لشقيقاته: "جهّزوا أنفسكن". سيحملون كا ما يلزمهم، ثيابهم، والأدوات الضـرورية في البيت. أخرج "عيسـى" بغله وحماره من الاسـطبل، ووضـع أسـرجتهم فوق ظهورهم. ووضـع كل ما يلزمهم، وأركبَ أخته الصـغرى "وچێ" على ظهر البغل. كانت "وچێ" فتاة جميلة جداً، لكنها منذ ولادتها كانت لديها مشكلة في رجلها اليمنى، فكانت تتلكأ عليها.

في حلكة الظلام الدامس، اقتادوا دوابهم وخرجوا من القرية يحرسهم "بَلَك" بدوره. كان "عيسى" يمسك برسـن البغل ويتقدمهم في المسـير، وخلفه الحمار وعليه الحمولة. وخلفهم قطيعه، وخلف القطيع أخته "أمێ"، أما كلبه "بَلَك" فكان يحرس كل شيء ويركض هنا وهناك.

كان "عيسـى" يود في تلك الليلة الوصـول إلى قرية "دوأشـێ" التي تقع على قمة جبل "شـارك". كانت القرية تتكون من ثلاثة أو أربعة بيوت فقط، يعيش في تلك القرية صـديق لوالده واسـمه "فارس". كانت القرية آمنة لكل من يود الاختباء أو التخفي عن الانظار، لأنها تقع على قمة الجبل والطريق إليها عصـي جداً، وكانت قمة الجبل تظل مكتسية بالثلج حتى في فصـل الصـيف أيضـاً، لذلك كانوا يسمون ذلك الجبل باسـم "الجبل الأبيض". كان أهالي تلك المنطقة ينظرون إلى الجبل بعين القداسـة. ويقع هذا الجبل بين مناطق "خارپێت" و "چاپخورێ" و "آمَد". ارتفاعه حوالي 2850 متراً عن سـطح البحر. كانت والدته "خانمێ" تسرد له الكثير من القصص عن هذا الجبل. أما قصة تسمية الجبل باسم "شارك" ومسألة تقديسه كانت على الشكل التالي:

حدثته والدته عن فتاة اسمها "شارك" وشاب اسمه "شَوون". كانوا أخوة وكانوا يعملون رعياناً في سهل "آمد" لدى إحدى آغوات المنطقة. في يوم من الأيام، حين يحتسي الآغا الحليب، يقول أن هذه الحليب تفوح منه رائحة الجبل الأبيض، فيرسل في طلب الراعي وأخته ويسألهم عن السبب، لكنهم لا يجاوبونه بشيء.

في اليوم التالي، يركب الآغا فرسه ويبدأ يقتفي خطا الراعي وأخته. حين وصلت القطعان إلى قمة الجبل، يختفي الراعي وأخته عن الأنظار بشـكل مفاجئ. حينذاك يشـك الآغا بشـكل قطعي ان هناك سـرٌ ما. يبدأ بالتوجه صوب الجبل الأبيض. ليلاً نهاراً لا ينقطع عن المسير. يقضي كل ليلة من سفرته تلك في قرية من القرى، حتى يصـل إلى قمة الجبل. وكلما يصـعد الجبل، كلما يشـم رائحة الورود الملونة ويرى آلاف

المناظر الخلابة أمامه. رأى غابات لم يدوسها أقدام الآدميين بعد. رأى صنوف وأشكال من المناحل. أنواع وأنواع من الفراشات الملونة الجميلة. روائح عطرة تفوح من كل مكان. حينها قال: "أها..طعم الحليب الذي احتسيته كان نفس هذه الرائحة."

كان يحس بنفســه وكأنه في عالم خيالي. ينبض قلبه بقوة من هول المناظر الجميلة التي يراها أمامه. يسـمع زقزقة لعصـافير يراها ويسـمعها لأول مرة. حين وصـل إلى حافة الغابة الكبيرة، خاف من الدببة هناك. لذلك بدأ يتمتم بالأدعية والآيات.

حين وصل إلى قمة الجبل، سمع صوت خرير الماء. أسرع الخطا كي يصل إلى الماء، وحين وصل، رأى مياهاً بيضـاء بلون حليبي تنبع من بين الصــخور. وقف على النبع وبدأ ينظر إلى الوادي أمامه. بدا مندهشاً وكإنه يرى الجنة بأم عينه.

جلس القرفصاء بالقرب من النبع وبدأ يغسل وجهه ويديه وشرب من ماءه. بعدها توضأ وبدأ يصلي، ولم ينتهي من صلاته بعد حتى تناهى إلى سمعه صوت ماعز بالقرب منه. فأصابه الشك ونظر حوله، ترك صلاته ونظر إلى منبع الصوت، وكان شكّه في محله. تلك كانت من ماعزه هو.

ترك الماعز وبدأ يمشي حافياً واختبأ خلف الصخور، فرأى قطيع ماعزه قد أتى إلى النبع. لم يكن يود أن يراه أحد هناك، وكتّم انفاسه حتى. حين نظر إلى القطيع، لمح الراعي وأخته هناك. فقال في نفسه: هذا هو الراعي "شَـوون" واخته "شـارك". أراد أن يخرج من مخبأه لكن الدنيا اسـودت أمام عينيه ولم يعد يرى شيئاً أمامه.

حين فتح عينيه مرة أخرى، لم يجد شيئاً أمامه سوى صوت خرير النبع. لا "شارك" ولا "شَوون" ولا القطيع. خرج من مخبأه وبدأ يصـيح بصـوت عال: "شـارك"، فعاد إليه صـدى صـوته وبقوة من الطرف الآخر من الجبل منادياً "شارك".

بدأ كل نهاره بالبحث عن الراعي واخته وقطيعه، لكنه لم يجدهم. فنزل من الجبل يائسـاً. بعد ثلاثة أيام، عاد الآغا إلى قريته، ورأى أن قطيعه قد عاد إلى البيت، لكن لا أثر لـ"شَوون" ولا لـ"شارك" ولم يكن يعلم أحدٌ في القرية عنهم شيئاً. سرد الآغا كل ما رآه للأهالي، وبعد هذه القصة أصبح اسم الجبل الأبيض "جبل شارك".

ذهب "عيسـى" أيضـاً مع أختيه للجوء إلى ذلك الجبل. كان لديه معلومات عن هذا الجبل. منهم من كان يقول أن هناك آثار حوافر "دُلدُل" فرس الخليفة علي بن أبي طالب في مكان ما على قمته. ومنهم من يقول أن الاسكندر المقدوني الأكبر قد بنا مقره الرئيسي على قمته. كان "عيسى" يتذكر هذه الأقاويل في طريقه إلى الجبل. حين مرّ من قرية "پەیێنێ" لم يود أن يلاحظ أحد من القرويين مروره. لذلك مرّ بطرف القرية، لكن كلاب تلك القرية أحست بمرورهم وبدأ بالنباح عليهم، وبدأ كلبه "بَلَك" يجاوبهم بالنباح، لكن "عيسى" نهره كي يقف عن النباح.

كان الظلام حالكاً، ولم يكن يُرى أي شيء في الغابة. كان "عيسى" يعرف تلك الأرجاء شبراً شبراً، فهو قد كبر هنا. وصلوا في منتصف الليل إلى قرية "دوأشێ"خرج صديق والده "فارس آغا" من البيت حين سمع نباح الكلاب في الخارج. مع أن الظلام كان حالكاً، إلا أن "فارس آغا" عرفه واتجه صوبه ومد إليه يده يصافحه وقال مرحباً به:

- أهلا ومرحباً بكم.

أنزلوا "وچێ" الجميلة من على ظهر البغل، وساقوا القطيع صـوب أحد الأحواش. أنزلوا الحمولة من على ظهر الحمار وأدخلوها إلى البيت ووضعوا البغل والحمار في الاسطبل. سرد "عيسى" كل ما جرى

له ولأخوته ولرجال القرية لـــ"فارس آغا". بدأ يذرف الدموع حين وصف ما فعلوه بأخوته وكيف ربطوا رقابهم ببعض بالحبال. بدأت "عائشـــة" زوجة "فارس آغا" بمشـــاركته في دموعه. كانت "حليمة" إبنة "فارس آغا" من عمر "أمێ"، لذلك اقتادت الضـــيوف إلى غرفة أخرى. أما "عيســـى" و"فارس آغا" فقد ناما في مكانهما من شدة التعب.

قرية "دوأشـێ" كانت مجاورة لقرية "كلاخسـێ" والتي كانت مقراً للــــ "شـيخ شـريف" قائد الألوية الحميدية والذي كان يحارب المحتلين الروس. كان يُقال أن الوحدات التي تقاتل معه قد اتجهت صـــوب "گێخيێ". كانت تلك الأرجاء مليئة بالجُند، ومن يجدون من الرجال، يقيدونه بحبل في رقبته ويسوقونه إلى الجيش. لذلك اختبأ "عيسى" عن الأنظار هناك.

ولأن القرية كان فيها ثلاثة أو أربعة بيوت فقط كما أسلفنا، فإن "عيسى" أدرك إنه لن يستطيع الاختباء لفترة طويلة هناك. تمتنت صداقة أخته مع "حليمة" إبنة "فارس آغا"، و"عيسى" بدوره بدأ يُعجب بها، فقد انجذب إلى جمالها، وقد التقت نظراتهم عدة مرات، لكنه كان ضـــيفاً وقد التجأ إليهم، لذلك كان يخجل من القيام بأي تصرف وحبس مشاعره وأحاسيسه تجاهها.

حياة اللجوء والهرب كانت صعبة عليه، وقد طالت ضيافته في القرية وعليه اللجوء إلى مكان آخر. فمن الصعب إخفاء شخص مطلوب في مثل تلك الظروف، لذلك أبى أن يكون سبباً للمشاكل بحق مضيفه.

قد قرر مغادرة القرية. كانت أخته "عائشة" تسكن في قرية "تونستێ" الواقعة على حافة نهر "مرادێ" وكانت متزوجة من شخص إسمه "حسين كوَسو". كان "حسين" بناءً. قدم إلى قريتهم قبل عدة سنوات من أجل بناء بعض البيوت، ورأى أخته "عائشة"، ثم طلب يدها وتزوجها.

تذكر "عيسى" يوم زواج أخته. كانت في غرفة وحولها العديد من النساء، يمشطون شعرها وهي تنظر إلى أولئك النســـوة بفرح غامر، فالكل يعرفون "عائشـــة" وأية فتاة جميلة ورحيمة هي. كانت قد لبسـت فستانها المورد والذي خيطته بيدها وذهبت تنظر إلى نفسها في المرآة. وضعت الكحل الأسود على عينيها، وقلّمت حواجبها. كان أنفها صغيراً ومتناسقاً مع وجهها، خدودها محمرّة ووجها بشوش دائماً.

وقف "عيسى" أمام صـديق والده "فارس آغا" وأخبره بأنه سـيغادر القرية، وبعدها أخبر أختاه أيضـاً بذلك.

مع أن "فارس آغا" لم يكن يريد منه الذهاب، إلا إنه أعد نفسه للرحيل. في فجر اليوم التالي، خرجوا من القرية. حين مرّ بالقرب من قرية "كلاخسـێ" أراد أن يصـل من هناك إلى نهر "مُرادێ" وتوجه صـوب الغابة السفلية، ومن هناك لن يراه أحد حتى يصل إلى حافة النهر.

كانت "وچێ" على البغل مرة أخرى، وكلبهم "بَلَك" خلف القطيع. يود أن يصـــل ظهراً إلى النهر ويجد من هناك ممراً كي يعبر بقطيعه النهر كي يصل إلى قرية أخته. كان قد مرّ من تلك الأرجاء سابقاً ويعرف تلك الطريق جيداً. حين وصل إلى المنطقة ما بين "چرا خراب" و "گۆمێ هەر" بات النهر لا يبعد عنه إلا مسافة خمسمائة متراً.

وصـــل في قيظ حر الظهيرة إلى هناك، وبدأ يبحث عن ممر فوق النهر كي يمروا به. ســـار مطولاً عند حافة النهر فوجد ممراً ووقف هناك، وضـع شـاله أرضـاً وقال لأخته: "اعتنوا بالقطيع". وبدأ يمشـي في النهر بين الماء يود الوصول إلى الحافة الأخرى. كان أعمق مكان في النهر يصل فيه الماء إلى ظهره. عاد إلى الوراء، فقال لأخته الكبرى أن تركب البغل، وأركب " وچێ" الحمار وقطعوا النهر بأمان. بعدها اجتاز هو أيضاً الماء وأحس بالراحة لذلك.

رأوا أمامهم ســـهلاً فسـيحاً. فجلســـوا هناك وأخرجوا بعض الزاد ليأكلوه وبدأوا يفكرون أي طريق

سيسلكون. لمحوا قطيعاً من الأغنام يسير إلى النهر. انفرجت أساريره برؤية ذلك القطيع وظل ينتظر وصوله. رأى الرعيان، كان رجلاً وامرأة يقودون ذلك القطيع. أراد أن يسألهم من هُم؟ ومن أين قادمون؟ وذلك لكي يتعرف عليهم. الرجل والمرأة بدورهم اقتربوا منهم حين رأوا رجلاً ومعه فتاتين. صافحوا بعضهم وبدأوا يسألون عن أحوال بعضهم البعض. سرد لهم "عيسى" قصته باختصار. ازداد شغفهم حين سمعوا قصته وقال الرجل لـ"عيسى":

"إسم قريتنا هو "تونست" وتبعد عن هنا مسافة خمسة وأربعين دقيقة مشياً. إن أردتم تعالوا إلى قريتنا واستقروا فيها. سيساعدونكم القرويون." أكدت المرأة التي معه بدورها كلام الرجل، ثم بدأت بالتحدث مع الفتيات.

قال "عيسى" للرجل: "إنا أعرف قرية "تونست"، وأختي متزوجة من رجل هناك." حين ذكر له "عيسى" هذه المعلومة، عرفوا بعضهم بعضاً وبدأوا من جديد باحتضان بعضهم. بدأوا مجدداً بحديث حار بينهم، ثم سرعان ما جمعوا قطعانهم وتوجهوا صوب القرية.

حين اجتازوا ذلك السهل، وصلوا إلى غابة فيها أشجار بلوط كبيرة. قالت لهم "بسێ" زوجة ذلك الراعي أن إسم هذه المنطقة هو "قَشَي" كانت منطقة صخرية ولا تصلح للزراعة. بعد مسيرهم لبرهة، قالت زوجة الراعي: "واسم هذه المنطقة هو "قَيلك". مرّوا من طريق كانت الأراضي الزراعية على طرفيه. توقفوا عند نبع يُقال له "چرا ڤاليَر" وشربوا ماءً بارداً منه. كانت أمامهم شجرتي توت ضخمتين وبعد تلك الشجرتين كانت هناك أشجار البطم. كان الوقت وقت الحصاد والرجال والنساء يرفعون مناجلهم بين الحقول ويقومون بجني محاصيلهم.

سارت "بسێ" أمام ضيوفها حتى وصلوا إلى منطقة يُقال لها "قَرارد". من هناك كانت بيوت قرية "تونست" تُشاهد من بعيد. كانت قرية جميلة، بيوتها المبنية من الحجارة بالكاد تظهر من بين الأشجار.

كان هناك نبع أمام القرية. يسميها القرويون باللهجة الكردية الزازائية بـ"چر"، وكانوا يسمون البيت المحاذي للنبع باسم ""کەی کوەسو" أي بيت " كوەسو" والبيت الآخر بجانبه كان اسمه بيت "قَمو" والآخر بيت "ديل" والبيت الآخر بيت "عبدالعزيز حكيمو" والآخر بيت"إيبی عرب" وبقربه بيت "سوافي" وفي الأسفل بيت "بون آلي كوب" وبجانبه آخر بيت ويُقال له بيت "إيبی اسماعيل". هذه البيوت لم تكن ملاصقة لبعضها. وأمام كل بيت من بيوت القرية هناك شجرة توت ضخمة. كان في وسط القرية جرن كبير، يطحن القرويون بواسطته قمحهم. كانت هناك بيوت أخرى عدا التي ذكرناها، وكان هناك بيوت في الأعلى لكل من: "هاڤن بون" و "ڤون بياز"، و"بون شريف آغا" و"کی علي آغا" و "كي شريف محمود شمدينو" و " بون إيسی عرب" و "بون کوبکی دربك" و"بون عارف" و"بون شريف" و "بون حجي" و"بون گونج" و "بون مستك" و"بون محمه" و"بون كلش".

حلّ "عيسى" وأخواته في اليوم الأول ضيوفاً على بيت "كي كوسو" أي في بيت أختهم. حين رأتهم أختهم الكبرى، بدأو باحتضان بعضهم، وحين سردت "وچێ" لأختها "عائشة" طريقة أخذهم لأخوتها وربطهم بالحبال من أعناقهم، علا صوت البكاء في كافة أرجاء المنزل.

كانت مضافة القرية في منزل "شريف آغا"، وكل القريوين (القرويين) يجتمعون هناك. طلبوا "عيسى" إلى المضافة، وذهب بدوره. حين بدأ المجتمعون بالحديث، طلبوا منه أن يسرد لهم ما جرى معه، فتحدث لهم كيف إنهم ربطوا بالحبال على رقابهم وساقوهم. تحدث لهم عن هجرته هو وأخواته من قريته. كان القرويون يستمعون إليه بشغف. تحدث عن قدوم الروس وقال لهم أن الحرب ما زالت مستمرة، وهناك مجاعة بين الشعب، وقد انتشر الفقر والفاقه. قال له القرويون إنهم سيساعدونه كي يستقر في قريتهم.

حين انتهى اجتماع القرويين في المضــافة، أخذوا "عيســى" إلى غرفة الضــيوف ووضــعوا له الفرش واللحف، وهو لشدة تعبه، ما ان وضع رأسه حتى غطّ في نوم عميق.
خلال أسـبوع من قدومه إلى هناك، استقطع القرويون له أرضـاً في مكان يقولون له "هَوىَ"كي يبنوا له بيتاً قريباً من مكان الجرن في منتصف القرية. بداية، أحضروا الحجارة التي سيبنون بها البيت، وثم قاموا بتكسيرها. كان كل شباب القرية يتشاركون في العمل، لأن العمل مقابل المال لم يكن قد دخل في حياتهم بعد، وكانت العلاقات الاجتماعية ما زالت تحتفظ بقيمها، حيث كان الشـباب يكسـرون الحجارة بشـكل طوعي، ثم يجلبون تلك الحجارة على ظهور البغال إلى مكان البيت. حفروا أسـاسـات البيت، وجهزوا الطين، وقطعوا أشجار السنديان، وبدأ البناؤون بالإعمار، فلا هُم ولا الشباب الذين يساعدونهم، لم يطلبوا مقابلاً مقابل كل ذلك. كان جميع القرويون يتشـاركون في تجهيز الطعام للعمال والبنّاءين. كان "عيسـى" سعيداً بكل ما يراه أمامه من روح إنسانية سامية.
كان البيت سيُعمر من طابقين، بحيث يكون الطابق الأول مكوناً من اسطبل وغرفة للمؤونة. أما الطابق الثاني، فكان سيكون مكوناً من غرفتين وصالة وحمامات، إضافة إلى ملحق ومكان للموقد.
حين أنهوا بناء الجدران، وضـعوا عواميد السـنديان فوقها وغطوها بأغصـان وعواميد أشـجار البلوط، وأدلقوا ذلك الطين الذي أحضروه عليها. وضعوا الأبواب والشـبابيك. وجلبوا الإسـمنت لأرضية الحمام والبلور من المدينة لأجل الباب، كما جلبوا مستلزمات المطبخ والأواني لهم. بعد شـهرين أنهوا البيت الذي سيسكنه "عيسى" وعائلته

www.arsivakurd.org

كانت هناك قرية واسمها "سافَران" بالقرب من القرية التي لجأ إليها "عيسى". وهي أيضاً كانت مغطاة بالأشجار وفي منطقة جبلية. كان يعيش طفل في تلك القرية، وحين يكبر ذلك الطفل سيصبح زوجاً لجدة "سعيد- الدكتور سعيد" أي إنه سيصبح جده. كان إسمه "مصطفى". من إحدى عادات تلك المنطقة إن حين يموت أول طفل في إحدى العائلات، لا يحلقون شعر الطفل الذي يليه لمدة سبعة سنوات، ويضعون حلقاً في أذنه أيضاً. كان "مصطفى" الإبن الثاني للعائلة، ومات أخاه الأكبر منه. لذلك، لم يحلقوا شعره لمدة سبعة سنوات، وكانت والدته تلبسه فستاناً، ووضعت حلقاً في أذنه، وكبر هذا الطفل كالبنات في العائلة.

حين أنهى "مصطفى" سنواته السبع، نزعوا الحلق من أذنه، لكن شعره بقي طويلاً ولم يحلقوه، وقبلت عائلته بذلك، وكل يوم كانت والدته تمشط شعره وتجدله له.

بعد أن أكمل سنواته السبع، علمه والده قراءة القرآن، حيث تعلم الألفباء العربية قبلها. كان يحب تعلم الألفباء، وبعدها تعلم سورة الفاتحة على مقاطع، قرءاة وكتابة.

عدا "مصطفى"، كان هناك طلاب آخرون يأتون إلى والده لتلقي العلوم الدينية، لكن "مصطفى" كان أشطرهم. كان عددهم حوالي خمسة عشرة طفلاً، بنات وشباب مختلطين. كل صباح كان كل طفل منهم يتوضأ في البيت ويحمل القرآن الذي يضعونه في خُرج ويعلقونه على أكتافهم، ثم يتوجهون إلى بيت والد "مصطفى" ويجلسون في الغرفة المخصصة للدرس. يجلسون على مقاعد خشبية ويفتحون المصاحف أمامهم. يؤشرون على الآية التي يقرأونها بأصابعهم إلى أن حين قدوم أستاذهم.

حين يأتي الاستاذ، كان يجلس على كرسي في منتصف الغرفة ويقول للطلاب :"إقرأوا." ولأن هناك فارق بين كل طالب وآخر، لذلك، كان كل واحد منهم يبدأ بالقراءة من مقطع ما. أحدهم يقول: "الحمدلله". وآخر يقول: "قُل هو الله أحد." وآخر يقول: "الله، لا إله إلا هو الحي القيوم..." كل واحد يبدأ بشكل مختلف عن الآخر. كان والد "مصطفى" كالمايسترو في الأوركسترا، كلما يسمع صوت نشاز من أحدهم، يحثه على إعادة الآية، حتى يُصحح الطالب قراءته.

كان الأستاذ "الملا" يعطي دروسه بدن (بدون) مقابل. كان يؤمن أنه سينال أتعابه في الدينا (الدنيا) الآخرة. كان يهتدي بقول "علي بن أبي طالب": " من علّمني حرفاً كنت له عبداً لمدة أربعين عاماً". لذلك كان سعيداً لإنه يعلم هؤلاء الأطفال القراءة والكتابة والآيات القرآنية.

كان ذلك الأسلوب في التعليم مختلفاً نوعاً ما. الملا كان قد حفظ القرآن كله، لكنه لم يكن يعلم تفسيره. أي إن الأطفال كانوا يتعلمون القراءة، إلا أن الكتابة كانت صعبة عليهم. أو إذا تعلموا الكتابة أيضاً، فإنهم لم يكونوا يعرفون معانيها، لأن القرآن كان عربياً، ولغتهم كانت اللغة الكردية الزازاكية. في يوم من الأيام تجرّأ على سؤال والده قائلاً له:

"نحن نقرأ كل هذا، لكننا لا نفهم شيئاً مما نحفظه يا أبي." صرخ فيه والده قائلاً : "أصمت أيها الزنديق، حين تتعلم اللغة العربية يوماً ما، حينها ستفهم معاني ما تحفظه." كان "مصطفى" يود أن يسأله: "وأنت أيضاً لا تعلم من معانيها شيئاً". لكنه لم يتجرّأ على ذلك.

لأن الملا لم يكن يفهم الكثير من معاني الآيات في القرآن، لذلك كان يشرحها على هواه وبحسب مصالحه. وقد يكون تعلم ذلك من الملا الذي تعلم منه بدوره ولقنه بذلك الشكل. مثلاً: ورد في القرآن التالي "ألهاكم التكاثر" أي "ألهتكم دنياكم والرغبة في الاستكثار من مباهجها كالمال والمنصب وغيرها، حتى فاجأكم الموت". أي طالب كان حين يصل إلى هذا المقطع، كان عليه أن يجلب البيض للملا مجبراً.

وحجتهم في ذلك أن الآية تقول "ألهاك (هێک- البيضة)" ولأن هذه السورة هي في بداية القرآن ويرد فيها إسم (البيضة) فكانوا يجعلونها حجّة ويقولون للأطفال: "حين تصلون إلى هنا، عليكم أن تجلبوا البيض للملا." كانت قد أصبحت كعادة دارجة في كل مكان، في حين لا توجد أية علاقة بين مفردة "ألهاكم" والبيضة.

مثال آخر: حين يصلون إلى آية "والعُصر (والعَصر) إن اللإنسان لفي خُسر"، كان الاطفال يجلبون معهم "العصيدة" التي تتكون من الطحين والدبس والسمنة. كان يغلون السمنة في آنية، بعدها يضعون الطحين عليه ويرشون عليه الدبس ومجدداً يرشون عليه السمنة الذائبة، بذلك تكون جاهزة للأكل.

في هذه الآية، كانوا يشبّهون بين مُفردتي "العُصر" (العَصر) و "العصيدة. وأسموا هذه الآية بإسم آية العصيدة، لذلك كانوا يجلبونها من بيوتهم للملا. في حين أن معنى الآية في اللغة العربية هي تشرح بيان أسباب الربح وأسباب الخسران، فالرابحون هم الذين تخلقوا بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والصبر. فلا توجد أية علاقة بين العُصر (والعَصر) والعصيدة البتة، لكن لا الملا ولا التلاميذ يفهمون لها معنى.

كذلك جملة "لفي خُسر". إذ أن الكُرد الزازا كانت لديهم أكلة شعبية واسمها "خُسر" وهي عبارة عن البرغل والسمنة، وكل طالب يصل إلى ذلك المقطع كان عليه أن يجلب للملا أكلة "الخُسر".

هكذا، ختم "مصطفى" القرآن ثلاثة وثلاثين مرة. ثم بدأ بحفظ المولود الكُردي- الكرمانجي والذي يبدأ بـ: الحمد لله رب العالمين" وختمه أيضاً. لكنه لم يفهم منها شيئاً أيضاً.

بعدها، أرسله والده إلى المدرسة، وقرأ في المدرسة سبعة سنوات على التوالي الدروس العربية. بعدها أصبح خبيراً في اللغة العربية، وتعلم الكردية الكرمانجية أيضاً. كان أستاذته يلقنونه علوم الرياضيات والفلك والتاريخ. حين عاد إلى قريته "سَفَران" أصبح من أفضل المدرسين في المنطقة. حتى إن البعض قالوا أن لديه كرامات، وخلال سنين قصيرة انتشر صيته في كامل المنطقة. ومن ناحية الكرامات، فقد أظهر تنبؤاته بالمستقبل، وكل من لديه مشكلة في حياته كان يلجأ إليه. كان القرويون يسألونه أسئلة شتى. مثلاً، يسألونه إن كان الثلج سيهطل أكثر أم المطر في الشتاء القادم. ويعدون نفسه للشتاء حسب أجوبته عليهم. يجهزون الحطب والمدافئ للشتاء القارس الذي يتنبأ به. النسوة التي لا تخلفن الأولاد كن يذهبن إليه. العائلات التي تريد تزويج أبناءها أيضاً كانوا يلجأون إليه في مسائل النصيب والحظ في الزواج وغيرها.

استغل الملا "مصطفى" حب أبناء المنطقة كلها له وجعلهم كلهم مريدين له. لكن شيوخ "کەلاخسێ" كانوا يكرهونه. كان الشيخ "علي پالو" هو شيخ طريقتهم النقشبندية وكان من أوائل شيوخ الدين في المنطقة. لكن الملا "مصطفى" كان يُصدر الفتاوي لوحده في قرية "سَفَران"، وكان شيوخ "کەلاخسێ" يتحدثون عنه ويقولون: "إن شعره الطويل كشعر النساء يتنافى مع تعاليم الإسلام."

لم يكن يود الملا "مصطفى" أن يواجههم، فهو كان يعلم إنهم أقوى منهم. في حرب الروس في معركة "شرفدين" أظهروا بطولة فائقة. كانت لديهم ألوية عسكرية، وحين انسحب الروس من المنطقة، ولا يعلم أحد من المنطقة سبب انسحابهم ذاك. حينها أصبح الشيوخ الكلاخسيون هم المسؤولين عن شؤون تلك المنطقة.

كان شيوخ "کەلاخسێ" وشيوخ "سولاخان" وشيوخ "چانێ" تربطهم صلة قرابة ببعضهم. وبحسب الأقاويل أن "سيد هاشمي" وهو من أجداد الشيخ "علي بالو" قد نزح من مدينة السليمانية إلى مدينة "آمَد" واستقر في مدينة "بسمل" قرية "چلستان"، والشيخ "علي بالو" ولد في هذه القرية أيضاً. نال الإجازة في

العلوم الدينية من مولانا "خالد البغدادي" ومن دمشق توجه إلى مدينة "الجىّ"، وأصبح ملا في تلك الأصقاع، لكن لعدة أسباب ترك مدينة "لجىّ" وهاجر إلى مدينة "ألازيز"، واستقر هناك في منطقة "بالو".
كان عالماً من المذهب الشافعي ومن أتباع الطريقة النقشبندية. فتح مدرسة في "بالو" وأصبح مُدرساً فيها، وكل أبناءهم يعتبرون شيوخاً، حتى إنه هو بنفسه قد منح لقب الشيخ للعديد من تلاميذه. كان شيوخ "كهلاخسىّ" وشيوخ "سولاخان" وشيوخ "چانىّ" كلهم من ذريته. إبنه "محمد فوزي" استقر في قرية "قولهسار" التابعة لمدينة "أرضروم" ونشر الطريقة فيها. انتشرت الطريقة النقشبندية بين الكُرد الزازا كثيراً. وكل الشافعيين أصبحوا من مُريديه، وانتشرت النقشبندية بين الزازا فقط، إضافة لبعض الكرُد الكُرمانج.

لم يكن شيوخ "كهلاخسىّ" وشيوخ "سولاخان" وشيوخ "چانىّ" وشيوخ "هنوس" يملكون الكثير من الأراضي. لأن تلك المناطق كانت جبلية، وكان أراضيهم بالكاد تكفيهم. لكن تأثيرهم المعنوي كان كبيراً هناك. امتد تأثيرهم ذاك على الشعب من "خارپێت" وحتى "بالو"، "فارقين"، "داراهێنىّ"، چاپخور"، "آمَد" و"أرضروم".

بعد الحرب العالمية الأولى، ولأن الدولة العثمانية قد خسرت الحرب، باتت تلك المنطقة تحت سلطة الشيوخ، ولعدم وجود مركز يدير الألوية الحميدية، باتت هذه الألوية تتصرف على هواها. ولأن الشيخ "شريف كلاخسي" قد أبدى بطولة منقطعة النظير في حربه ضد الروس، لذلك أصبح شخصية عسكرية مشهورة في المنطقة، والرئيس المعنوي للطريقة كان الشيخ "سعيد أفندي" حفيد الشيخ "علي بالو الخنوسي".

بحسب الأقاويل في تلك المنطقة، فإن الحس القومي بات ينتشر مع انتشار الطريقة النقشبندية حينذاك.

وبحسب ما كان يُقال، حين استلمت "الجونترك" الحكم سنة 1912 في تركيا، هرب الكثيرون من الوطنيين الكُرد بسبب الظلم والقمع عليهم من استانبول (اسطنبول) ولجأوا إلى مدينة دمشق واجتمعوا مع بعضهم فيها وأسسوا تنيظيماً فيها باسم "آزادي- الحرية". كان هدف ذلك التنظيم هو بناء دولة كردية مستقلة. تواصلت هذه المنظمة مع "الشيخ سعيد" و"الشيخ شريف" والكثيرين من الشخصيات الأخرى وانخرطوا هم أيضاً بدورهم فيه.

بحسب رأي هذا التنظيم، إن الكرد هم قومية مختلفة لها ثقافة خاصة بها. يعيشون على أرضهم التاريخية ولديهم لغة خاصة بهم. ارضهم محتلة. وكل الأقوام التي قامت بغزو بلادهم لم يمنحوهم حقوقهم، لا بل ظلموهم. في الحرب العالمية الأولى كانوا قد وضعوا شروطاً إيجابية لأجل الكُرد. وقد تكون تلك الشروط الايجابية فرصة لقيام دولة كردية، إضافة إلى أنه تم توقيع اتفاقية "سيفر" من قبل العثمانيين بعد خسارتهم في الحرب، وحينها، كسب الكُرد إدارة ذاتية لمناطقهم.

بعد تلك الأحداث، انطلق "الشيخ سعيد" على فرسه من "خنوس" برفقة رفاقه وبدأ بإلقاء الخطب على الناس في الكثير من المناطق هناك، كانت خطاباته لا تقتصر على الأمور الدينية فقط، بل كان يتحدث باللغة الكردية الكرمانجية والزازاكية عن ظلم الأتراك وجورهم.

منظمة "آزادي- الحرية" ايضاً بدأت بالتحرك بين الجماهير وبدأت توضح للناس هذه الحقائق:

"في الحرب العالمية الأولى قدم الكرد الكرمانج والزازا من أجل الدولة العثمانية آلاف الضحايا في الحرب مع الروس، لكنهم الآن ينكرون تلك البطولة والبسالة. قبل أن تتشكل جمهوريتهم، حارب "الديلوكيون" والرهاويون" و"المرعشيون" فرنسا، لكن حين أسسوا جمهوريتهم، لم يحسبوا حساباً للكرُد وأنكروا وجودهم. لم يكتفوا بذلك فقط، بل استلوا سيوفهم وبدأوا بقتل الكرد أيضاً.

أثناء الحرب مع الروس، لم تكن هناك لأحد علاقة مع الـ"ملا مصطفى". كان بعيداً عن كل شيء ويعمل من أجل الأمور الدنيوية. بعد أن انهى دراسته، بدأ يعمل كملا ورجل دين في تلك القرى وتزوج أيضاً. حين كان يلقى الوعوظ على مريديه، كان يقول لهم، إن الزواج من السنة النبوية. "نبي الإسلام كان قد تزوج من إثنا عشرة امرأة. إن كنتم تستطيعون أن تقوموا بواجباتهم، تزوجوا بهم. إنهم حرث لكم." كان بدوره قد تزوج من ثلاثة ويود أن يتزوج بالرابعة أيضاً.

لم يكن الـ"ملا مصطفى" يبقى في قرية "سَفَران" فقط، بل كان يركب فرسه الأبيض ويتجول في القرى المجاورة متى ما شاء. وكان أهالي تلك القرى يستقبلونه بحفاوة بالغة.

القرى التي تحولت إلى أطلال أثناء ثورة "الشيخ سعيد" والحرب الروسية، بدأت رويداً رويداً تُعمر مرة أخرى. لم يبق هناك أية مطلوبين في الجبال أيضاً. كان مريدوه يحثونه على الذهاب معهم إلى جبل "شارك". كان يُقال أن على قمة ذلك الجبل هناك عسل أصلي، وبين الأشجار الضخمة في قمة الجبل هناك مناحل طبيعية فيها أجود أنواع العسل. كان جل اهتمام مريديه هو جلب أفضل أنواع العسل لشيخهم.

استيقظ الـ"ملا مصطفى" باكراً من نومه، توضأ وصلى صلاة الفجر. قامت زوجاته بتمشيط وتجديل شعره. وكما كل مرة، بدأ يلف جديلته على رأسه ووضع جبته ووقف أمام المرآة التي جلبها من مدينة "آمَد". رجلٌ ذو قامة فارعة، عريض المنكبين، بأنف أفطس وقامة متناسقة. أدركت زوجاته من حركاته تلك أنه مزمع على السفر إلى مكان ما مرة أخرى، لكنه لم يخبر أي منهن بوجهته.

كان مُريدوه قد أعدّوا له كل شيء، وهو بدوره ركب فرسه متوجهاً صوب جبل "شارك والمريدون خلفه راكبين على أحصنتهم، لكن العادة الدارجة لديهم أن يسيروا خلفه بعدة خطوات. مرّوا من قرية "هجيّان" وتركوا خلفهم قرى "قَشو" و "پِينى".

توجه الـ"ملا مصطفى" على الفور إلى بيت "فارس آغا" في قرية "دوأشيّ". لم يكونوا يستطيعون إكمال مسيرهم بالأحصنة، لذلك كان عليهم تركها في بيت "فارس آغا" ومن ثم يُكملون مسيرهم سيراً على الأقدام.

حين رأى "فارس آغا" قدومهم من النافذة، خرج من البيت لملاقاتهم. كانت الأحصنة منهكة من التعب بسبب تسلقها ذلك الطريق الجبلي الوعر. مسك "فارس آغا" برسن فرس الـ"ملا مصطفى" وساعده على النزول من على صهوته. دعاه مع مريديه إلى مضافته وبدأ يسأل الملا عن أحواله.

ربطوا ستة أحصنة بالأشجار في باحة الدار. اتكأ الملا مع مريديه على المخدات المصفوفة في المضافة. دخلت "حليمة" إلى المضافة وفي يدها إبريق وكأساً من النحاس. كانت "حليمة" فتاة فارعة الطول، مليئة الجسم، خدودها موردة وجميلة، تلبس فستاناً من المخمل وتضع إيشارباً ملوناً على رأسها. ألقت التحية بنظراتها على الضيوف وتوجهت صوب الـ"ملا مصطفى" وسكبت له اللبن الخاثر البارد من الإبريق النحاسي وناولته. حدق فيه الملا ملياً وأخذ كأس اللبن من يدها. حين بدأت "حليمة" بتوزيع اللبن على الضيوف، كان الملا يتفحصها ويتستمتع (ويستمتع) بجمالها.

بعد ان ارتاح الملا ومريدوه لبرهة هناك، جهّزوا الأواني كي يذهبوا لجلب العسل، أما "فارس آغا" فتوجه إلى منحلة العسل في باحة داره وملأ علبة صغيرة منه وعاد إليهم. وحين خرجوا، تبعهم "فارس آغا" أيضاً وبدأ يمدح لهم في عسل جبل "شارك".

وصلوا إلى الغابة الكبيرة، وكان عليهم أن يصلوا إلى المناحل بين الأشجار الكبيرة. لكن "فارس آغا" غيّر طريقهم وأخذهم إلى عين ماء باردة شربوا منها. بعدها قال لهم:

" هل تعلمون ماذا سنفعل الآن؟". لم يكن الملا ومريدوه لديهم معلومات كيفية عن كيفية جلب العسل.

نظروا حولهم وبقوا ينتظرون. وضع "فارس آغا" العسل الذي جلبه معه على صخرة وقال لهم: " سيأتي النحل لتناول هذا العسل وبعدها سيذهبون لشرب الماء، والنحل الذي يتناول هذا العسل سوف يذهب لتناول العسل في مكان آخر، وحين يأتي النحل بكثرة إلى هنا، حينها سنعثر على مكانهم."

كانوا يستمعون إلى "فارس آغا" بذهول، فجلسوا القرفصاء عند نبع الماء ينتظرون قدوم النحل. لم تمض برهة حتى أتى النحل ووضعت على العسل الذي جلبه "فارس آغا". وبعد ذهاب النحل، أدركوا المكان الذي يضعون فيه عسلهم. قال "فارس آغا":

" إن أتت النحل بسرعة، فهذا يعني أن مكانهم قريب، وإن تأخروا، فهي علامة على بُعد مكانهم."

تتبعوا مكان ذهاب النحل ورأوا شجرة بلوط عتيقة. قاموا بلملمة الأوراق الجافة من حولها وأضرموا فيه النيران كي تهرب النحل من الدخان المتصاعد من الأوراق وقرّبوا النار على فوهة المنحلة. طار النحل من منحلتهم بسرعة فور شمهم للدخان. حمل "فارس آغا" المجرفة التي كان يحملها على ظهره وحفر مقدار كف يد واحدة من جذع الشجرة، ثم نظر إلى جذع المحفور ورأى داخل الجذع مليئاً بالعسل وشمعه. فسحب منه كمية بيده. حين رأى الـ"الملا مصطفى" قطرات العسل تتساقط من ذلك الشمع، تذكر عينا حليمة العسليتين أمامه.

وضعوا العسل بشمعه في الأواني التي جلبوها معهم وجهّزوا انفسهم للعودة قبل حلول موعد الصلاة. حين وصلوا إلى القرية، توضأ الـ"ملا مصطفى" ومريدوه وأقاموا الصلاة. تناولوا طعامهم وركبوا أحصنتهم عائدين إلى قرية "سَفَران". لم تكن "حليمة" تفارق مخيلته. تحدث في هذا الموضوع لوالدته:

" الزواج بزوجة رابعة ستّة، وأنا أستطيع أن أقوم بواجب زوجاتي جميعهم. وأتوقع إنهم سيوافقون على زواجي من حليمة. افتحي الموضوع أنتي (أنتِ) ايضاً مع عائلتها كي نعرف رأيهم أيضاً." رأت والدته أن إبنها مصرٌّ (مصرًّ) على رأيه، فتوجهت برفقة امرأتين أخريتين صوب قرية "دوأشێ". تمعنت في التحديق إلى حليمة ووالدتها. فقالت لهم بدون مقدمات أن الـ"ملا مصطفى"يريد الزواج بـ"حليمة". وبدون أن تعرف رأيهم في الموضوع، قامت من مكانها وعادت إلى القرية. حين سمعت "حليمة" كلامها، بدأت تذرف الدموع قائلة": " إن ذلك الرجل أكبر مني بكثير، ولديه ثلاثة زوجات. أنا لن أقبل به."

كانت "حليمة" وحيدة ابويها. لا أخوة ولا أخوات لها. لكن والدتها لم تكن تفكر مثلها. وكانت ترى أنه حين يأتي ملا كالـ"ملا مصطفى" لطلب يد ابنتهم، فهي بشارة خير بالنسبة لهم. وهذا يعني أن دولاب حظ ابنتها قد دار.

مرّت مدة من الزمن على ذلك الموضوع، رضخت "حليمة" لرأي والدتها ووالدها، وحين ذهبت والدة الملا للمرة الثالثة إلى قريتهم، أعلنوا لها عن موافقتهم وبدأوا بالتحضيرات لحفلة العرس.

لم يكونوا بحاجة إلى إعداد حفلة كبيرة، فهي الزوجة الرابعة للملا، ولم يكن مناسباً أن يقيموا حفلة كبيرة لأجل ذلك. في الصباح الباكر جهزوا أحصنتهم للانطلاق إلى قرية "دوأشێ"، كما أعدوا جهاز العروسة ووضعوه على البغل. ثمانية نساء وثمانية رجلاً كانوا يتأهبون للمغادرة. لبست النسوة عباءاتهن السود، وهمّوا بالخروج من القرية. كان بعض الرجال منهم يسيرون مشياً على أقدام ويمسكون برسن الأحصنة. مرّوا بصمت من القرى على التي على طريقهم. وصلوا ظهراً إلى قرية العروس وتم استقبالهم بحفاوة من قبل بيت "فارس آغا" والقرويين الآخرين. ربطوا أحصنتهم على جذوع الأشجار ودخلوا إلى المضافة.

حين جلبوا طعام الغداء، تناول الرجال طعامهم في مكان والنساء في مكان آخر. حاولوا جاهداً مع "حليمة" كي تشاركهم الطعام، لكنها أبت أن تتناول ولو لقمة واحدة. كانت تحس بألم في معدتها ورأسها، وتحس بدوار فظيع ينتابها. لم تستطع أن تبوح بما يعتريها لأحد. جهزوا الفرس الذي ستركبه العروسة،

www.arsivakurd.org

وألبسوها عباءة سوداء أيضاً وزينوا رأسها بشراشيب حمراء كعلامة على إنها العروسة.

أركبوها على الفرس المخصص لها. كانت تبكي بحرقة على نصيبها هذا، فلا معنى لرفضها، حيث أن عاداتهم هكذا وعليها أن ترضخ لتلك العادات.

كانت والدتها تقول لها أن قدرها ونصيبها هكذا وعليها أن تبقى صامتة أمام هذا القدر. كانت تبكي على قدرها هذا.

لم تكن تعلم أن قدرها هذا مكتوب بيد مَن؟ كانت والدتها تقول لها إنه قدر من الله! وهل كان بالفعل من عند الله؟ هل يجوز أن يقوم الله بهذه الأعمال الغير معقولة؟ أم لأنها ولدت في هذه المنطقة الجبلية النائية وكبرت فيها، لذلك يكون قدرها أسودٌ هكذا؟ أم أن السبب هو الدين الإسلامي الذي يبيح للرجل الزواج بأربعة ولا يحق للمراة إبداء رأيها البتّة في ذلك؟ أم هي عاداتهم وتقاليدهم؟ أم أن والديها هما السبب، وقد قبلا بزواجها بدون تردد؟ من أين لها أن تعلم؟ فهي لو كانت تعلم بأجوبة كل هذه الأسئلة لما كانت الآن على ظهر فرس ومتوجهة إلى قدرها الأسود.

لم تكن "حليمة" تحب الـ"ملا مصطفى" أبداً. ومنذ اليوم الذي حلت فيه عروسة على ذلك البيت، لم تعرف للراحة معنى. كانت تبكي خفية أحياناً، وأحياناً أخرى تبكي أمامهم. كانت ترى نفسها وكإنها عبدة في ذلك البيت. بالفعل كان عبدة، حيث أن الـ"ملا مصطفى" كان يضربها بشكل يومي كما كان يضرب زوجاته الأخريات أيضاً. أحياناً ما كان يضعهن أربعتهن في غرفة واحدة، ويحمل عصا غليظة في يده ويبدأ بضربهن ضرباً مبرحاً. كانت النسوة يتحصنون بأجساد بعضهن ويصرخن، ولا أحد يتجرّأ على مساعدتهن.

كان الـ"ملا مصطفى" يرى نفسه وكإنه يروض الحيوانات، وغرضه من ذلك هو تقديم النصح لهن. كان يردد أقوال السابقين في ذلك ويقول: "إن الضرب منبعه من الجنة؟" وكان يرى ضرب زوجاته أفضل طريق إلى الجنة.

كان أستاذه قد قال له في إحدى المرات أن من لم يستوعب النصيحة، فالوسيلة الأنجع هي الضرب، وقرأ مقولة لـ"زيا باشا" عن الضرب، حيث يقول" من لم يفهم النصيحة، عليكم بتهديده، وإن لم يفهم من التهديد، ما عليكم إلا ضربه." مثال ذلك: حين كان الثور يثور، كانوا يضعون على عينيه حاجزاً كي لا يرى أمامه ويضربونه بعصا طويلة، كان إسم تلك العصا هو "مساس". ولأجل الأحصنة كانوا يستعملون السوط، وكان يرى أنه لولا الضرب لما روّضت الحيوانات، لذلك كان يضرب زوجاته وغرضه من ذلك هو ترويضهن.

لاحظت "حليمة" أن زوجاته السابقات كن راضخات لكل ما يحل بهن. تأثّرت بذلك كثيراً وأرادت أن تضع حلاً لكل ما يجري، لكن لم تعثر على حل. تحدثت مع زوجاته الأخريات كل واحدة منهن على حدة وخفية، فقالت لها زوجته الأولى: "هو يضربنا ويحبنا في نفس الوقت؟ ماذا نستطيع أن نفعل إزاء ذلك؟" كانت ثالثتهن أذكى من البقية، لكنها لم تعتمد عليها أيضاً. قررت أخيراً الهرب إلى قريتها. لكن من أين وكيف؟ كانت تقول لنفسها إنها إن ذهبت إلى بيت والدها، فإنهما سيعيدونها طوعاً. أما القرى الأخرى من حولهم، فقد كانوا يعرفون بعضهم بعضاً، وكانت تُدرك انها لن تستطيع الجوء إلى أي منها. أصبحت الدنيا ضيقة عليها.

كان عالمها كل عبارة عن بضعة قرى مترامية من حولها. كانت كثيراً ما تدعو ربها، لكنها لم تتلقى أي جواب على أدعيتها. ارادت أن تبوح بكل ما يعتريها لزوجته الثالثة، لكنها علمت إنها حامل منه. لذلك أبت أن تفتح معها الموضوع.

كان عليها أن تبقى صامتة وتمضي حياتها في بيته. تخلف له الأولاد وترضخ لكل شيء. قد يجوز إنه حين يسمع بحملها يرق قلبه تجاهها. كان عليها أن تقول لزوجاته عن موضوع حملها ومن ثم لوالدته كي ينقلوا له تلك البشارة.

حين سمع الملا إنها حامل، لم يعبر عن فرحه قط. لم يرأف بحالها أبداً. كان دائماً يقول أن على المرء ألا يعبر عن فرحه أمام زوجاته، فقط حين يخلو بهن على السرير، حينها على المرء أن ينظر إليهن. وكان يفعل ذلك تماماً. أحياناً كان يجمع زوجاته في غرفة واحدة، ويحمل القرآن في يده، وبعد ان يقبله ثلاث مرات، يضعه على جبهته، من ثم يفتح تلك السور والآيات التي تتحدث عن نبي الإسلام وتعامله مع زوجاته ويقرأها لهن ويترجمها لهن إلى اللغة الكردية- الزازاكية، وكيف يتعامل الرسول مع زوجاته معاملة عادلة. كان يقول:

"نحن لأننا على سنة الرسول محمد (ص) علينا أن نتبع دينه وتعامله ونقبل بكل ما ورد منه."، ثم يقوم بقراءة الأية التالية: "يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك، بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت إيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيما"[1].

كان يشرح لهن هذه الآية لساعات ويقول لهن عن أهمية الزواج بأكثر من زوجة في حياة النبي "صحيحٌ أن هناك بعض الأشياء كانت مباحة له لأنه رسول الله، لكن الله تعالى منحنا نحن المؤمنون أيضاً ذلك الحق" كان الملا دائماً يأتي بالحجج والبراهين للناس على مسألة تعدده للزوجات.

وضعت "حليمة" حملها وكانت صبية، وبعد رضاء الـ"ملا مصطفى" أسمتها ابنتها باسم "گوليزار". بعد انقضاء اربعينية ابنتها، راودتها فكرة الهرب مجدداً. كانت مدينة "آمَد- دياربكر" مدينة كبيرة. إن هربت إلى هناك، فلن يعثر عليها الملا، ثم أن لا أحد هناك يعرفها. أما هنا، فكل شيء، القرى، التلال والمزارات، كلها كانت تؤيد الـ"ملا مصطفى". فكرت في الموضوع كثيراً، وتذكرت أن لوالدها صديق في مدينة "آمَد". كان لديه فرن هناك، يخبز الخبز ويبيعه. كانت مدينة، يباع فيها الخبز أيضاً. مدينة عجيبة، كل ساكنيها غريبون عن بعضهم البعض. هل سيعيدها صديق والدها "كريم" إلى والدها إن لجأت إليه؟ لم تكن تعلم!

كان صعباً جداً على امرأة أن تقطع تلك الجبال وتتوجه إلى مدينة "آمَد"، فهي لا تعرف تلك المدينة ولم تذهب إليها في حياتها. كانت تبحث عن طريق لها. كانت ترضع ابنتها وتفكر ليلاً نهاراً في طريق للهرب، لأن الملا لم يتغير معها أبداً ولم يبدي أية رحمة أو شفقة تجاهها.

كانت تثق بـ"زينب" الزوجة الثالثة للملا، وفي إحدى الليالي تجرّأت على البوح لها بكل ما في قلبها من كلام وقالت لها: "ما رأيك أن نهرب إلى مدينة آمد. أعرف شخصاً هناك هو صديق لوالدي. الملا مصطفى لن يعثر علينا هناك. وأساساً هو لا يستطيع المجيء إلى المدينة، وإن أتى فإنه لن يعثر علينا." حين أنهت كلامها. كعصفور يحس بطعم الحرية مجدداً، أحست براحة وسعادة لا توصف، ومن كثرة سعادتها هبت من مكانها وحضنت زينب وبدأت تقبلها. أما "زينب"، أحست وكإنها طائر حجل يفر من قفصه. حضنت "حليمة بدورها وبدأتا تذرفان الدموع.

لأول مرة منذ قدومهم إلى ذلك البيت يحسون بفرح كهذا. كانت دموعهن وكأنها دموع الفرح وبشارة

[1] . سورة الأحزاب:50

الخلاص، دموع أزالت كل الحواجز بينهن. أصبح بينهن سرٌ مشترك وما عليهن إلا أن يحافظن عليه.

منذ ذلك اليوم، وضـــعن الخطط، واتفقن على ألا تخبرن أحداً بها. كن يســـافرن في مخيلتهن إلى مدينة "آمَد" وكيفية قيامهن وقعودهن هناك.

في إحدى الصـــباحات، فاقت "حليمة" من نومها، رأت إبنتها تغط في نوم عميق، مالت عليها وقبّلتها بحرارة قائلة "في أمان الله يا صغيرتي" قامت مسرعة من مكانها ولبست ثيابها. ذهبت إلى الغرفة الأخرى التي تنام فيها "زينب" وفيقتها من النوم. لبست ثيابها هي أيضاً. كن قد جهزن الزاد والماء الذي سيأخذونه معهن في الليلة الماضـية. حملوه معهن، وخرجن من البيت بحجة إنهن سـيتوضـأن. ركضـن مسـرعتان صـــوب مدينة "آمَد". حين أنهكهن الركض، أدركن إنهن قطعن شـــوطاً كبيراً من طريق هربهن. ســـرن مسرعتان، حتى انبلاج الفجر...

لم يعد أي من أخوة "عيسى" الأربعة. كما لم يعد أي شاب ساقوه إلى الجيش من قرية "حجيان". بحسب الأقاويل أن الجنود الروس في 16 شباط سنة 1916 كانوا قد اجتاحوا "أرضـروم" وقاموا باحتلالها. لم يكن يرضـون بهذه المناطق، بل توجهوا صوب "موش" و"سيرت" و "چاپخورێ". قبل احتلال الروس لتلك المنطقة، كانت الدولة العثمانية قامت ببعض الاجراءات، مثل تهجير الأرمن من هناك. ســاقوا كل الأرمن القاطنين في"چاپخورێ" و "موش" و"أرزنجان" و"وان" و "سيواس" و "أضـنة" وهجروهم من أماكنهم. صــعدوا على المنابر وخطبوا في الجوامع التي كانت بمثابة بيوت الله على أن قتل الأرمن هو واجب على كل مسلم. من يقتلهم سيذهب إلى الجنة. كما ان اغتصـاب زوجاتهم والزواج ببناتهم لهو خير عظيم. حين بدأ احتلال الروس، كان الكثير من الأرمن قد تم تهجيرهم، منهم من تم قتلهم على الطرقات، ومنهم من ماتوا من الجوع والمرض. الكثيرون منهم كانوا قد تجمدوا وأسـلموا الروح برداً، ومن حالفهم الحظ منهم، هم من وصلوا إلى سوريا.

حين فهموا أن الروس يتوجهون نحو "چاپخورێ". قاموا بإصـدار نفير عام، وبموجبه على كل من يستطيع حمل السلاح أن يتوجه إلى القتال. لذلك قاموا بالبحث عن الشباب في القرى كي يسوقونهم عنوة. كان الملالي قد أصدروا فتاويهم ووصفوا الحرب ضد الروس بأنها حرب في سبيل الله وهي بمثابة الجهاد الأعظم. كما ان وجهاء "چاپخورێ" قد أعدوا وحداتهم لمقاومة الروس.

الآغا الـــ"كارَري" كان قد حصن ميليشياته على جبل "كارَر" و "وادي سيَّخ". قائد الألوية الحميدية الشيخ "شريف باشا" بدوره كان قد تحصن في قرى "خێزك" و "چان" و"قادا شەرفێ". كان الجيش الروسي قد هاجم "چاپخورێ" في نهاية شهر آذار. قاومت وحدات "شريف باشا" الجيش الروسي مقاومة بطولية. استمرت المعركة بينهم خمسة عشر يوماً. بعدها تكبد الروس خسائر فادحة، لذلك انسحبوا إلى "شرفَدين" وجبال "چارشَفێ". انتظر الروس إلى يوم 15 نيسان وبعدها قاموا بهجوم واسع حتى منطقة "أرزنجان". الجيش العثماني بدوره كان قد جلب جنوده إلى منطقة "چاپخورێ". كان "أحمد زيا" قائد الجيش العثماني قد وضع مقر قيادته في قرية "خێزكێ" على قمة الجبل هناك.

كان قد جلبوا عشرات الآلاف من الجند إلى الجبهة. حل شهر تموز، حيث القيظ والحر الشديد وانعدام الأكل. انتشـر مرض التيفوئيد بين الجنود. المئات منهم وقعوا في أرضــهم يصـارعون المرض. ترتفع حرارة أجسادهم، يتقيأون، ويحسون بألم قاس في رؤوسهم. لم يكن أمامهم فرصة مداواتهم. كانت دمامل حمر تظهر تحت آباطهم، ولا يحسون بأنفسهم. شفاههم متشققة، وبعضهم أصابتهم أمراض في أمعاءهم.

يُقال أن ضحايا هذا المرض من الجنود الروس كان أكثر. كان الإنسان يستطيع أن يحارب الروس بأية طريقة كانت، لكن من المحال محاربة مرض فتاك كالتيفوئيد. كان إثنان من أخوة "عيســى" قد ماتوا بذلك المرض.

أما قصة أخويه الأخرين، فكانت أقسى من قصة الذين ماتا بمرض التيفوئيد. يُقال أن إسم أخاه الكبير كان "أحمد". شاب ذكي. قبل أن يسوقوه إلى الجبهة كان يقضي جل حياته في مدينة "آمَد". كان بطلاً لا أحد يستطيع مصارعته. كان مشهوراً في كل شوارع وساحات "آمَد". كانت الناس تهابه بمجرد ذكر إسمه "أحمد خيرو". كان طويل القامة، طوله حوالي 190 سانتيمتر. عريض المنكبين، بعضلات غليظة. عيونه سوداء فاحمة، شواربه سود وغليظة. كان بطل زمانه. يساعد الفقراء ويقف في وجه الظالمين.

زار قريته "حجيان" من أجل رؤية إخوته. لكنه وقع في كمين الدولة العثمانية. بقي سنة بأكملها يحارب

الروس في جبهة "أرزنجان". بعد ان انسحب الروس في شهر كانون الثاني سنة 1917 من مدينة "أرزنجان". كان "أحمد" برفقة أخيه "يوسف" في الطريق لزيارة قريته "حجيان".

كان قد انهمر ثلج كثير في تلك المنطقة. توقفا في القرى على طريقهم، ثم ما يلبثون يكملون مسيرهم مرة أخرى. كانوا قد اجتازوا في منتصف شهر كانون الأول قرية "دَپێ"، ومكثوا ليلاً في قرية "سارجويێ". وفي الصباح التالي، وكان الجو مشرقاً، كان قد دبروا لأنفسهم زحافات وبدءا بالمسير مرة أخرى فوق الثلج.

بحسب ما رواه القرويون هناك، إنهم إن تسلقوا جبل "سلطان قُبَيس"[2] لكانا قد لمحا جبل "شارك" أمامهم.

كان الأخوين يسيران بثقة صوب قريتهم. حين يصلان إلى قمة جبل "قُبَيس" يتغير الجو فجأة، ويبدأ المطر الغزير بالهطول. تشكلت عاصفة من الأمطار مصحوبة بالثلوج القوية. بدأ "أحمد" يمسك بيد أخيه، فقد أدرك إنهم لم يعودوا يستطيعون المسير إلى الأمام. لذلك يقوم باحتضان أخيه "يوسف" وخرّا جالسين في أماكنهما بين الثلج. كانت وجوههم متيبسة من الصقيع، وأجسادهم مبتلة من المطر. احتضنا بعضهما كي يحسا بالدفء. بدأ "أحمد" يتأوه ويقول: "يا الله، يا قبيس." بدأ يتذكر بطولاته في مدينة "آمَد"، كما تذكر تلك الأساطير التي سمعها وترسخت في ذاكرته.

في إحدى الأيام، كان جالساً في إحدى مقاهي مدينة "آمَد"، ذلك المقهى كان يؤمه أبطال وجسوري المدينة. بدأ رجل طاعن في السن هناك يسرد قصة حصار قلعة "آمَد" من قبل الحيش الإسلامي: "في عام 639، توجه جيش قوامه ثمانية ألف محارب إلى مدينة آمد. وكان بين الثمانية آلاف مقاتل، ألف من صحابة الرسول. كان "أياز" هو قائد بوابة ماردين، و"سعيد إبن زيد" قائد بوابة "رها- أورفا، و "معاذ إبن جبل" قائد بوابة الجبل، و"خالد بن الوليد" قائداً على البوابة الجديدة. صمدت الأبراج المتينة أمام هذا الغزو، وقد طال الحصار لمدة ستة أشهر. بدأ الغلاء والجوع يتفشى بين الجيش الإسلامي. كانوا قد توقف الطعام الذي يجلبونه إلى خيمة "خالد بن الوليد"، فيسألهم بدوره عن السبب في ذلك؟ لكن الحارس يجيبه بإنه قد جلب له الطعام ووضعه في خيمته! في اليوم التالي حين يجلب الحارس الطعام إلى الخيمة، يضعه هناك ويبدأ بحراسة الطعام، فيرى كلباً يأتي وينقض على ذلك الطعام، فيتتبع الكلب ليرى إلى أين يذهب؟ يرى أن الكلب يحمل الطعام في فمه ويدخل إلى نفق مائي هناك يؤدي إلى داخل القلعة. يعود الحارس ويخبر "خالد بن الوليد" بما رآه. يقوم "خالد بن الوليد" بالعبور من ذلك النفق إلى داخل القلعة وكل من يرفض الدخول في دين الإسلام يقطع رأسه بالسيوف." بدا ذلك العجوز سعيداً بمعلوماته تلك التي يسردها للجالسين في المقهى.

حين استمرار الحصار على قلعة "آمَد" قرروا أن يحاصروا مدن "خارپێت" و "پالو" و"چاپخورێ" أيضاً. وقد تم تكليف صحابي الرسول "السلطان قبيس" لأجل هذه المهمة.

حين تذكر "أحمد" تلك القصة، بدأ يناجي ربه ويدعو السلطان قبيس لنجدته. احتضن أخاه وغط في نوم أبدي.

كان "السلطان قبيس" كما "أحمد" وأخيه "يوسف" قد مات في ذلك الجبل ودفن فيه. وبعد مرور الزمن، أسموا الجبل بإسمه وبنوا على قبره قبة. لأن "السلطان قبيس" كان غريباً عن هذه الأصقاع وقدم إليها غازياً، لذلك أصبح إسمه كأسطورة يتناقلها الأجيال. لكن "أحمد" و"يوسف" لأنهم أبناء هذه الأرض، فلم

---

2 . يعتبر أعلى قمة جبلية في المنطقة الواقعة بين "ألأزيز" و"ماجران"

www.arsivakurdi.org

يهتم أحد بهم ولا بقصتهم.
كان "عيسى" وأخواته ينتظرون قدوم أخوتهم بفارغ الصبر. واكثرهم اشتياقاً لهم كانت أختهم الصغرى"وچێ" التي شلّت إحدى رجليها. تبكي بحرقة كلما تتذكرهم. حين توصف حال إخوتها، وكيف وثقوا رقابهم بالحبال. تذكر تفاصيل الثياب التي كانوا يلبسونها، أحذيتهم، قبعاتهم، لباسهم، كان كل شيء وكإنه ماثل أمام عينيها، باتت كل هذه التفاصيل محفورة في ذاكرتها، خاصة حين تتحدث عن أسرهم وقلة حيلتهم، تبكي وتذرف الدموع مدراراً، وكل من يسمعها يبكي معها رأفة بهم.
لكن الحياة مستمرة. وتعلموا من القرويون أشياء جديدة. أما "عيسى" فقد ازداد عدد قطيعه وبنى لماعزه اسطبلاً كبيراً خلف بيته. أما أخته "أمێ"، فقد تم خطوبتها على الشاب "ابراهيم" ابن جارهم "اسماعيل".
لأن الحرب الروسية انتهت، عاد الهدوء إلى كل مكان. بدأ الناس ينسون آلامهم، وباتوا بحاجة إلى الترفيه عن أنفسهم، ولأجل ذلك، كان عليهم أن يقيموا حفلة في القرية على وقع الطبل والزرنا.
أرسلوا الخبر للعشاق بعد أن جهزوا الطبل والزرنا. كان مكان الحفلة في ساحة القرية عند الجرن. لبس الشبان والفتيات أجمل ثيابهم. بدأ الطبل بالقرع، وسرعان ما بدأ الرجال بالدخول إلى حلبة الرقص. أما النساء، فكن جالسات عند الجرن يتفرجن على رجالهن.
حين سمع قروويا (القروويون من) القرى الأخرى صوت الطبل والزرنا المنبعث من قرية "تونست" توجهوا على الفور إلى هناك، وبذلك اتسعت حلقة الرقص. كل واحد منهم يبرز مواهبه في الرقص، يحركون أجسادهم على وقع دقات الطبل القوية.
كانوا يرقصون على كل المقامات والأنغام، وكلما تتغير النغمة يتغير أسلوبهم في الرقص. أتى الدور على مزح الرجال، حيث ألبسوا رجلاً ثياب النساء، ووضعوا على رأسه إيشارباً، ثم لطخوا وجه شخص آخر بالشحوار الأسود، ثم وضعوا له لحية بيضاء اصطناعية، وهكذا جهّزوهم على شكل رجل وامرأة ووضعوا العصي في أيداي (أيادي) الأطفال وأطلقوهم إلى الخارج.
اسم هذه اللعبة باللهجة الكردية الزازاكية هي "كال- أي العجوز"، حين يشارك العجوز وعروسته في اللعبة، تزداد اللعبة مرحاً. الشاب الذي جعل نفسه العروسة كان يتلفت حوله ويحرك ردفيه كي يجذب الرجال، وحين يقوم بذلك على وقع دق الطبل، يأتي شاب ويمسكه من خاصرته، ويقوم بنفس الحركات التي كان يقوم بها الشاب العروسة. بعد تلك الحركات، يُمسك ذلك الشاب بيد العروسة- الشاب وينطلق بها هارباً من حلبة الرقص.
كانوا يقولون لتلك الحركة "خطف العروسة". لا يكون العريس- العجوز ذو اللحية على علم بخطف عروسته، بل يستمر في الرقص، لكنه يحس مؤخراً بذلك، فيوقف الرقص والطبل والزرنا. يوشوش ببضعة كلمات مع العجوز الآخر. يتوجه ذو الحية إلى المكان الأول الذي أتوا منه إلى حلبة الرقص، جلس القرفصاء ووضع عكازته على الأرض مطأطأً رأسه. يشم الأرض، يشم آثار أقدام عروسته التي اختطفت. يحرّك عكازته صوب وجهة اختطاف العروسة، أما الآخر الذي لطخوا وجهه بالسواد، فهو أيضاً يحمل عصاه ويتوجه صوب إشارة عكازة العجوز الاول وسرعان ما يعثرون على العروسة والشاب الذي خطفها، فيبرحونهم ضرباً بالعصي، كان لا يضربونهم على رؤوسهم، لكن لا يدعون مكاناً في جسدهم إلا ويضربونه، وبذلك يستعيدون شرفهم الذي تم اختطافه.
كانت هذه اللعبة تتكرر، حين يأتي شاب آخر ويختطف العروسة.
لعبة المساء أيضاً كانت أشبه بمسرحية. في اللهجة الكردية الزازاكية يقولون لمرافقي العروسة "بَربو". كان على المرافقين أن يكونوا من المتزوجين، ويقولون لأزواج النسوة "خوَندي". قبل حلول المغرب كان

هؤلاء الـ"خوَندي" يخرجون من العرس، والذين يودون عرض هذه المسرحية كانوا يقيمون محكمة، أكثر شخص في القرية مزحاً وذو روح مرحة كان يصبح قاضياً ويجلس في المكان المخصص له. وشاب آخر ضخم الجسد يقف بجانبه على إنه عنصر من الجندرمة.

يبدأ الشخص المرح الذي أصبح قاضياً بالمناداة على اسم شخص ما بصوت عال، يقول للشاب الجندرمة الواقف بقربه:

" بُني، إذهب للبحث عن هذا الرجل، أوثق يديه واجلبه إلى هنا".

يذهب الشاب للبحث عن ذلك الشخص.

يأتي كل من في القرية، من نساء ورجال وأطفال إلى مكان المحكمة.

بعد البحث عن ذلك الشخص، يتم القبض عليه من قبل الشاب الجندرمة، ويجلبه إلى المحكمة موثق اليدين. يسأله القاضي عن اسمه واسم عائلته. بعد ان يجيبه المتهم، يتم فك وثاقه. كان الرجل واقفاً أمام القاضي وكإنه متهم بالفعل. ينظر إليه القاضي ملياً، ثم يُخرج ورقة مطوية من جيبه، وبعد أن يفتحها جيداً، يتوجه إلى المتهم قائلاً له:

" أيها الواقف أمامي، أيها الرجل الذي ترتجف خوفاً أمامي، هل تعلم ما هو جزاؤك؟"

يرد عليه المتهم: "كلا".

ينظر القاضي إلى الجمهور الواقف لمشاهدتهم، ثم يتمعن التحديق في الورقة أمامه وكإنه يقرأها، ثم يقول لهم:

" هذا الرجل قام بالإمساك بخمسين سلحفاً في المكان الفلاني".

حين نطق بذلك، بدأ الحضور بالضحك.

بدون أن يتخلى عن جديته في المحكمة استأنف القاضي كلامه قائلاً:

" وضع هذا الرجل كل تلك السلاحف في كيس فوق بعضهم البعض. تصوروا بأنفسكم حال خمسين سلحفاً فوق بعضهم البعض في كيس واحد، كيف سيكون حالهم يا ترُى؟ ضعوا انفسكم ولو لدقيقة في مكان تلك السلاحف! وترون فوقكم تسعة وأربعين سلحفاً كالصخور على رؤوسكم."

كان الجميع يضحكون على كلامه.. استمر القاضي في كلامه:

"ماذا كنت تريد من تلك السلاحف؟ ماذا فعلوا بك؟ هل أكلوا قمحك؟ هل تحولوا إلى حجارة وانهمروا على رأسك؟"

علت القهقهات بين الجمهور المحتشد أمام المحكمة. توقف القاضي كي يقف الجمهور عن الضحك. وبعد ان ساد الصمت في المكان، يبدأ القاضي مرة أخرى:

" وفوق كل ذلك، حملت ذلك الكيس الذي فيه خمسون سلحفاً وتسلقت له الجبل. ألم تخجل من نفسك؟ إن صادفك أحدهم وسلّم عليك وقال لك ماذا تحمل، بماذا كنت ستُجيبه وأي خراء كنت ستأكل؟"

يقهقه الحضور. أما القاضي فيستمر في مرافعته:

" هل كنت ستقول له أن حملك هو كيسٌ من التراب؟ أم من الحجارة. قد كنت تُقنع ذلك الرجل بذلك، لكن إن تمزق كيسك وسقطت منه السلاحف، حينها كان سينكشف كذبك."

كان الرجل وكإنه أمام محاكمة جدية وقام بذنب كبير. أعين الجمهور كلها عليه. بعدها نطق القاضي بآخر حكم عليه وقال:

"لأنك قمت بجمع هذه السلاحف غصباً عنهم وكوّمتهم فوق بعضهم وقمت بإيذائهم، بعدها أخرجتهم من كيسك وذهب كل منها في اتجاه. ثلاثة منهم غرقوا في الماء. بسبب ظلمك هذا للسلاحف أطالب بإعدامك."

بدأ القاضيين الآخرين يوشوشون في آذان بعضهم البعض، وقال الأكبر سناً متوجهاً بكلامه إلى المتهم:
" بُني.. هل قمت بهذه الجريمة الكبرى أم لا؟ إن كنت قد قمت بذلك، لماذا وضعت تلك السلاحف في كيس، وأين كنت متوجهاً."
حينها يرفع أحد الحضور من الجمهور يده ويقول:
" يا جناب القاضي، أنا من ادعيت على هذا الرجل وأعلم أين كان ينوي أن يأخذ تلك السلاحف."
طلبه القاضي كي يقف أمام المحكمة وقال له: "تعال وأخبرنا بذلك."
خرج الرجل بين الحضور ووقف أمام المحكمة قائلاً:
"حضرة القاضي، هذا رجل خطير جداً. هو جار لي، وهو شخص حسود كثيراً. لم يكن في بيتي أية قملة، فقام هذا الرجل بجمع كل القمل من بيته وأفلتها على بيتي."
علت القهقهات من الجميع. أما المدعي، فاستمر في الكلام:
" يا جناب القاضي، هل تعلمون أين كان سيأخذ هذا الرجل تلك السلاحف؟"
القاضي:
" إلى أين كان سيأخذهم؟"
حين قال القاضي ذلك، نظر الجميع إلى الرجل كي يسمعوا جواب الرجل. جاوب الرجل القاضي قائلاً:
" جناب القاضي، لقد زرعت القمح في أرضي، وفي هذه السنة فإن قمحي سنابله طويلة وموسمي وفير منه. جلب هذا الرجل الحسود تلك السلاحف كي يرميها بين أرضي وتتلف قمحي."
قال القاضي:
"لقد فهمنا الموضوع إذاً"
يتشاور مع القضاة الآخرين وقرأوا حكمهم الأخير على الرجل قائلين:
" لأنك قمت بإيذاء خمسين سلحفاً وقمت بتمزيق الكيس، ولأن الحسد أصابك من وفرة زراعة جارك، عليك أن تجلب لنا ثلاثة عناقيد من العنب من الكروم." وبعد ان صاحوا على المتهم الآخر، بنفس الوتيرة قرأوا الحكم عليه، وبذلك الشكل تنتهي المحاكمة.

قبل المغيب، بدأوا بتحضير العروسة في بيت "عيسى". كانت "أمێ" فتاة جميلة جداً. قامتها هيفاء. كانت جالسة أمام المرأة التي جلبوها من منزل "شريف آغا". كانت فتاتين تقومان بتمشيط شعرها وتجديلها، ثم أسبلوا بعض الخصلات من شعرها على وجهها. وضعوا الكحل في عينيها، ووضعوا الحناء على يديها. بعد أن لبست فستانها المخملي الأحمر، باتت كل الأنظار تحدق فيها وفي جمالها الأخاذ.

حين كانت الفتيات منهمكات بتحضير العروسة، كانت اختها الصغرى "وچێ" منهمكة في تحضير نفسها ولبست أجمل فساتينها، وكانت تأتي وتذهب إلى الغرفة تتلكأ في مشيتها، كانت جميلة جداً وتريد بذلك لفت الأنظار إليها. كان شعرها أشقراً ووجهها ناصع البياض يلمع كالقمر. عيناها الغزلانيتان كانتا محط أنظار الجميع. كانت أقصر من أختها العروسة. لكن طريقة نطقها للكلام كانت مثيرة وتجعل كل الواقفين يستمعون إليها، إضافة إلى إنها كانت تبكي كثيراً لأتفه الأسباب...

بعد أن جهّزوا العروسة بشكل كامل، تفحصوا كل صندوقها الذي ستأخذه معها، كي لا يكون فيه أية نواقص. بدأ صوت الطبل والزرنا ينبعث أمام الباب. أتت النسوة الـ"بربو" اللاتي ستأخذن العروسة إلى بيت عريسها، وساروا بها إلى باب الحوش الخارجي، لكن أختها "وچێ" هبّت من مكانها وأغلقت الباب أمامهم. لم يكن أحد يستطيع فتح ذلك الباب. أقرباء العريس كانوا يعلمون بهذه العادة، لذلك كانوا قد جلبوا معهم بعض النقود. فتحت "وچێ" لهم الباب بعد سلموها النقود. كان على العريس ألا يكون هناك، حيث

عادات قرية "تونست" كانت كذلك.
البيت الذي كانت ســتنتقل إليه "أميّ" لم يكن بعيداً على أية حال. كان يبعد عن بيتهم حوالي أربعين خطوة فقط. وصلوا على وقع الطبل والزرنا إلى أمام منزل "اسماعيل". وضعوا ملعقة خشبية أمام عتبة الباب. وبحسب العادة الدارجة هناكن (هناك) كان على العروسة أن تكسر تلك الملعقة بضربة واحدة. قبل أن تدخل العروسة إلى البيت، رشوا حبات التفاح على رأسها. كان الأطفال الصغار يتناطحون كي يلموا ذلك التفاح من على الأرض. أما العروسة، فقد ركلت الملعقة الخشبية تلك بقوة وكسرتها، ثم دخلت إلى الغرفة. توقف صوت الطبل والزرنا.

يطلق الكُرد الزازا لقب "الشـــاباش"[3] على الجزء الأخير من حفلات الزواج. قبل أن يعود الناس إلى بيوتهم، يعود عازفو الطبل والزرنا إلى ساحة الرقص، يضعون الطبل في منتصف الساحة. يجلس رجال القرية والضيوف من القرى الأخرى على الكراسي حول الطبل. كان الرجل الذي يطلب الـ"شاباش" منهم اسمه "حمو". كان هذا نافخاً خبيراً في الزرنا وقارعاً جيداً على الطبل أيضاً، لكن خبرته كانت واسعة في الـــ"شاباش". كانت عيناه غائرتان، لكنه بصره كان سديداً في طلب الـــ"شاباش". كان ضليعاً في مدح الناس، وشخصاً مرحاً للغاية لا يضاهيه أحد في زرع الضحكة على وجوه الناس.
في ذلك المســاء، دار ثلاثة مرات حول الطبل، وبدأ يحدق في الرجال الجالســين حوله. كان "محمود شمدين" من وجهاء وكبار القرية. حدّق "حمو"فيه وفكر قليلاً، لم يصدر أي صوت من أحد من الجالسين. رفع "حمو" يديه وقال بصوت عال:
"محمود إبن درويش إبن شمدين آغا، أبا شريف، آغا قرية تونست. كل صباح تشرق الشمس علينا بفضله. يعيش القرويون في خير وأمان بفضله. يحضن نساء القرية أطفالهن الصغار بفضله. بفضله يتصالح من كان بينهم فرقة. وبفضله يختلط الأبيض بالأسود والليل بالنهار." ثم أردف بصوت جهوري: "شاباش.. شاباش له" وتوجه صوبه. وضع رأسه بين يديه وبدأ يهز رأسه. أخرج "محمود شاهين" بعض النقود من جيبه وناولها للشخص بقربه. أخذ "حمو" النقود ووضعها على الطبل. بدأ بمدح شخص آخر. وبعد أن أنهى الـ"شاباش" تفرق الحشد وتوجه كل منهم إلى بيته.
بقي "عيسى" واخته "وچيّ" لوحدهما في البيت. خسر أربعة أخوة وها أخته أيضاً تزوجت. أصبحت مأساتهم مضاعفة. لم يكن يعرف للأكل والشرب طعماً منذ اليوم الذي أخذوا فيه أخوته الأربعة. أصبح هزيلاً ونحيفاً. كان قد زرع قطعتي الأرض الصغيرتين اللتين وهبها له أهل القرية بالذرة والقمح. عدا ذلك، كان يسترزق من قطيعه أيضاً، وببعض النقود التي صمدها اشترى بقرة وثورين. واشترى نيراً و عدة فلاحة أيضاً لأجل الثور.
بعد أن تزوجت أخته، أصبح القرويون يحثونه على الزواج. كان "عيسى" شاباً فارع الطول وجسمه متناسق. وكان نشيطاً يفوق التصور. لا يعرف المهادنة والخداع. كان يحب الناس وهم يقدرونه. يهب لمساعدة الناس والمحتاجين، كان يرى لزاماً عليه أن يساعد أهالي القرية في أعمالهم، وذلك لأنهم آووه هو وعائلته.
في يوم من الأيام، بعث "علي آغا" في طلبه. توجه إلى بيته، وحين بقي الإثنان لوحدهما، قال له "علي آغا":

3 . الشـــاباش: كانت عادة دارجة في الحفلات الكردية، حيث يقوم عازفوا الطبل والزرنا بطلب هبة مادية من أقرباء العروس والعريس، وغالباً ما يختارون ميسوري الحال والوجهاء... المترجم.

" يا عيسى، أنا أعلم أنك شاب ذكي ونشيط. منذ مدة طويلة وأنت حزين على أخوتك. أنا أفهمك، لكن من يستطيع أن يوقف الموت، ولا أحد يستطيع أن يُعيد من مات إلى الحياة حتى لو حزن عليهم أبد الدهر. لقد حلت علينا مصيبة وراح عشرات الآلاف ضحايا فيها. رحم الله جميع الأموات. لقد زوجت أختك، ونتمنى لها الخير والسعادة. لكن، بقيت أنت وقد حان الوقت لك أنت أيضاً كي تفكر في وضعك وبيتك، عليك أن تجد من تقاسمك ظروف الحياة هذه. كما تعلم، حين توفي أخي "رشو" وزوجته، كان لديهم بنتاً واسمها "پاپێ". لقد جلبتها إلى بيتي بعد وفاة والديها، ولديّ ابنتين أيضاً. إحداهما "زينب" والأخرى "مَنوش". إن كنت موافقاً سأجعل بناتي يفتحوا الموضوع مع "پاپێ" كي نعرف رأيها أيضاً.

احمر واصفر وجه "عيسى" خجلاً. بدأ يفرك أصابع يديه ويطأطأ رأسه. فهم "علي آغا" من صمته هذا على إنها بادرة خير، وبدون أن يتحدثوا في الموضوع أكثر، ودعه "عيسى" خارجاً بعد أن قبّل يديه. كان "عيسى يعرف "پاپێ" جيداً، فتاة ما زالت في مقتبل العمر ولا يتعدى عمرها ثمانية عشر عاماً. كانت لطيفة بطباعها وذو بشرة حسنة وجميلة. قبل عدة أيام من جلسته مع "علي آغا" التقاها عند النبع. لمحها وهي تنظر إليه، إلا إنه غادر النبع خجلاً منها. فهم حينها أن "پاپێ" قد تحدثت عنه لبنات "علي آغا" وإنهما قد قالا لوالديهما شيئاً عن هذا الموضوع.

كانت "پاپێ" مثله وحيدة. وعمر "عيسى" أيضاً كان يناهز العشرين عاماً. ولم يكن لديه أحد في البيت عدا أخته الصغرى "وچێ". والزواج بات عليه حقاً في مثل هذه الظروف. بعد أسبوع، جاءته علامات الموافقة من بيت "علي آغا".

بدأ بالتحضيرات لعرسه في ذلك الصيف. بدأ يعمل ليلاً نهاراً. حصد قمحه، وبدأ بحواش التبن. وضع قمحه في غرفة المؤونة والتبن في الاسطبل كي يؤمن علف حيواناته في الشتاء. حين كان يقوم بهذه الأعمال، كانت أخته في البيت تحضر له الطعام وتقوم بأعمال المنزل. تضع له الأكل في خرقة قماش وتعبأ جرة ماء له، ثم تحملهما إليه حين كان يعمل في الأرض.

أصبحت "وچێ" أيضاً صبية، لكنها أصيبت بشلل في رجلها اليسرى. فتضع أصابع قدمها اليسرى على الأرض وتمشي عليها، ما يجعلها تتلكأ في مشيتها. لو كانت في بيئة أخرى أو في مجتمع آخر، لكانوا قد أخذوها على الأطباء وقد لم تعاني ما تعانيه الآن منذ صغرها، أما الآن، فقد رماها قدرها في هذه المناطق الجبلية وستظل تعاني طوال حياتها من هذا النقص، وبسبب هذا النقص الجسدي، لا يطلب أحد يدها للزواج، لا بل قد تصبح مثار شفقة من قبل الجميع.

لكنها كانت أجمل فتاة في القرية، حساسة ولطيفة مع الجميع. من ذكاءها الفذ كان توقف الكثيرين عن الكلام. لكن للأسف، تلك المجتمعات تنظر بعين النقص إلى الفتيات من هذا النوع، وخاصة إنها فتاة. حتى إمام جامع القرية كانت نظرته نفس نظرة البقية تجاه هذا النوع من البشر.

في خطوته الأولى، عقد "عيسى" خطبته على "پاپێ" وقبل أن يتزوجها، رآها مرتين فقط وتحدث معها. وحين حل يوم زفافه، لم يكن يريد أن يقيم حفلاً بالطبل والزرنا كما كان دارجاً. مع أن القرويون كانوا يطلبون منه إقامة حفلة العرس، إلا إنه كان يرد عليهم:

" لأن أنسى فاجعة أخوتي الذين فقدتهم إلى الأبد."

كان يود أن يقرأوا مولداً نبوياً على أرواح أخوته وأن يقيم مأدبة للقرويين. وافقه "علي آغا" على فكرته أيضاً. من أجل تحضير المأدبة اجتمعت نساء القرية في الغرفة الكبيرة ببيت "عيسى". أخذوا يجلبون الطحين بالقصعات الكبيرة وبدأوا يخلطونها مع البرغل، ثم ملأوا تلك القصعات بالماء وبدأوا بعجن البرغل والطحين. أرسلوا لكل عائلة من عائلات القرية بعض العجين، كي يقوموا بخبز ذلك العجين على

الصـــاج، ثم بعد الخبز يقومون بتقطيع تلك الأرغفة إلى قطع، ثم وضـــعوها بدورها في مناســـف كبيرة، ووضعوا رؤوس الثوم مع اللبن والسمنة. بعدها قاموا برش السمنة المغلية على قطع الخبز تلك. كانت هذه الوجبة لضـــيوف الحفل. لكن لم يكتفوا بذلك فقط، بل أن بعض نســـاء القرية جهزن أطعمة أخرى. القمح المطحون مع اللبن، ثم يضـعنه على النار ويبدأن بخفقه على النار حتى يسـتوي على النار. وحين يصـبح جاهزاً للأكل، يفرغون المحتوى في مناســـف فيها خبز الصـــاج ويدلقون اللبن مع الثوم والســـمنة المغلية فوقها.

عدا ذلك، كان "عيسى" قد ذبح ثلاثة رؤوس من الماعز، وكان قد جلب الباذنجان والفليفلة والبندورة من بستانه، ثم بدأوا بقلي هذه الخضـراوات، ومدّوا مائدتهم على أسـطح البيوت الطينية. حيث تناولوا طعامهم بعد القيام بإجراءات المولد. بعد الانتهاء من كل ذلك، بدأت مراسيم إخراج العروسة من منزل "علي آغا".

بعد حفلة العرس بشهرين، أحس "عيسى" بسعادة لا توصف حين سمع أن زوجته حامل. بدأ يعمل بكد أكثر. كان يحب عمله ويحب أن يقدم واجباته المنزلية لأخته وزوجته بدون نقصـان. كان قد أصـبح كواحد من أهالي قرية "تونسـت". كان يفيق في سـاعات الفجر الأولى، يأخذ قطيعه إلى نبع القرية ويسـلمه إلى الرعيان هناك، ثم يعود إلى البيت، ينظف الاسـطبل ومعالف حيواناته، ثم يبدأ بتناول الفطور مع أخته وزوجته.

كانت "وچێ" و "پاپێ" تقومان في الصـباح الباكر أيضـاً. بعد أن يقمن بتنظيف البيت، يبدأن بتحضـير طعام الفطور. كان "عيسى" يُقطع البصلة بضربة من يده، ثم يرش عليها الملح ويضعها على الصاج كي يشـويها. أما زوجته، فكانت تجلب العجين المصـنوع من طحين الذرة، وتبدأ بخبز الخبز الرقيق. تقّلب بالأرغفة حتى تستوي جيداً، ثم تحمل سفرة الفطور إلى وسط الصالة وتضعها على كرسي، وتجلب ثلاثة كراسي أخرى حول المائدة ويبدأون بتناوله.

أما "وچێ"، فقد كانت قد جهزت اللبن في القربة المعلقة على جذع شـجرة التوت في منتصـف الحوش، وتبدأ بخفقه حتى بدأت السـمنة تفور من فم القربة. حين كانوا يتناولون الفطور، لمح "عيسـى" أن الشـفّة السفلى لزوجته متورمة. سألها عن السبب، فجاوبته: "إنها حبة، تظهر لدى كل النساء الحوامل."

لم يهدأ باله لرؤية ذلك الورم، بل حمل "عيسـى" منجله وتوجه صـوب حقل "اسـماعيل". كانت هناك شجرة ورد في طريقه، فقطع منها غصنين وعاد مسرعاً إلى البيت. لف الغصنين الطريين على بعضهما، وبعد أن أشـعل النار في الموقد، وضـعهما في الموقد. كان قد تعلم هذا الشـيء من والدته. في المسـاء حين عاد إلى البيت، أخرج الغصنين المسودين، وبدأ يلم الشحوار فوقهما ووضعه في صحن صـغير، ثم جلب بعض السمن ووضعه في ذلك الصحن أيضاً، ثم بدأ يخفق المسحوق مع السمنة، وذهب إلى زوجته ووضع كمية من ذلك المسحوق على شفتها. كان ذلك الشحوار مع السمن يعتبر دواءً للحبوب والبثور.

لم يكن في القرية لا طبيب ولا مسـتشـفى، ومن يمرض عليه أن يُعالج نفسـه بنفسـه، أو كانوا يتوجهون صـــوب مزارات الأولياء في المنطقة، أو إلى الملالي ليكتبوا لهم الرقى. كما أن البعض كان يعتمد على الأدوية الشـــعبية الكردية. كانت القرية معزولة عن العالم الخارجي. لا طرق معبدة، ولا كهرباء. حتى أن القرويون لم يكونوا يعلمون شيئاً عن هذه الأمور ولا يعرفون أن هناك عالم آخر فيه هذه الأشياء.

لم يكونوا يعلمون عن الطرق المعبدة شيئاً لإنهم لم يروا السيارات بعد. كان لديهم مفارق حول القرية، وطرق دوابهم وقطعانهم. أما الكهرباء، فكانوا يسـتعينون بمواقد الحطب للتدفئة، وإن كانوا بحاجة إلى إنارة، فكانوا يجلبون أعواد من شـجر البلوط ويدقون رؤوسـها بالمعاول، ثم يشـعلون النار فيها كي ينيروا طريقهم في الظلام. حتى الفوانيس الغازية وغيرها لم يكونوا يعرفونها بعد.

كانت بيوتهم مبينة من الحجارة والطين الممزوج بالتبن. ولأن نوافذهم كانت صغيرة، لذلك كانت الإنارة قليلة فيها. أما المعالف والاسطبلات، فلم يكن فيها نوافذ أبداً، لذلك كانت مظلمة حتى في النهار. لذلك كان يُقال إن الجن تظهر في تلك القرى.

كانت القصص عن الجن كثيرة في القرية، وان الكثيرون منهم رأوهم في المعالف والاسطبلات. كان عالم القرويين عالم مغلق، بسيط وخيالي. كانوا يستلهمون أغلب مفاهيمهم من الأقاويل ودروس القرآن أو من أقوال الملالي، وما كانوا يتعلمونه من دروس القرآن ينحصر في المفردات التالية فقط: الجنة، جهنم، أنواع العذاب في جهنم، الجن، الملائكة، جسر الصراط، يوم المحشر، الشيطان والكابوس...

كانوا يلفقون القصص العجاب عن الكابوس. كان يُقال أن الإنسان حين يكون نائماً على ظهره. فجأة يصيبه خدر في كتفيه ورجليه، وتتنمل أكتافه ويضيق نفسه. لا يستطيع الانسان حينها لا القيام ولا أن يقلب نفسه على أية جهة أخرى. حتى إنه لا يستطيع الصراخ وطلب النجدة. حينها يكون الكابوس جاثماً على صدره. إن استطاع الإنسان حينذاك أن يضربه بإبرة أو مخرز، فإن ذلك الكابوس يتحول إلى امرأة جميلة وتكون تحت طاعته طيلة حياته، ولا تري نفسها لأي كان سواه. كان يُقال في القرى أن فلان من الناس لديه كوابيس. لم يسأل أحدهم لِمَ الكوابيس كلها إناث فقط!؟

كان القرويون مقيدين، أرواحهم أسيرة حسب مواعظ الملالي، حيث أفعال المرء تسجل دائماً. هناك ملاكين على كتفي كل شخص، الملاك على الكتف اليسرى يسجل ذنوب المرء، والملاك الأيمن يُسجل محاسنه. أما الإله في السموات، فكان يتتبعهم لحظة بلحظة. كل كلمة ينطقونها، كل فعل يقومون به. فهو عليم بكل شيء عنهم.

لم يكتفوا بذلك فقط، بل، يحسبون حساباً لما بعد الموت أيضاً، فكل حركة أو فعل منهم، يكون شاهداً عليهم في يوم القيامة وأمام رب العالمين. أي أن المرء سيحاسب على كل الأفعال التي قام بها في دنياه. كل عضو من جسد الإنسان، أنفه، دماغه، معدته، جلده، كلها ستشهد على محاسنه ومساوئه في يوم الحساب.

لم يكن يعلم أي منهم شيئاً عن تاريخ قرية "تونست"، ولم يكتب أحدٌ عنها شيئاً. كان في جنوب القرية مقبرة للمسلمين. كانوا قد وضعوا على كل قبر من عند الرأس والقدمين شواهد من الحجارة. لكن لم يكن هناك أي شيء مكتوب على تلك الشواهد. في شمال القرية أيضاً، كانت هناك مقبرة كبيرة للأرمن. لم يعدّ أحد القبور في تلك المقبرتين، لكن مقبرة الارمن كانت أكبر بكثير من مقبرة المسلمين. لم تكن هناك أية معلومات عن الأرمن. ومن يملك معلومات عنهم لم يكن يبوح بها. لكن قصة الأرمني الأخير في القرية "المعلم ديكران" كان الجميع يعرفونها. بحسب الأقاويل المتداولة، حين أتت الألوية الحميدية وأتى الجيش العثماني إلى القرية، كان ذلك اليوم هو يوم جمعة، وتوجهوا فور وصولهم إلى المسجد. صلوا مع القرويين صلاة الجمعة. كان من المحتمل أن ملا المسجد قد نفذ تعليماتهم وأصدر فتواه على الملأ أن قتل الأرمن هو واجب على كل مسلم.

بعد الصلاة، توجه الجنود إلى أمام حداد القرية "المعلم ديكران" الأرمني. طرقوا بابه وركلوه بقوة كي يخرج. "المعلم ديكران"، ذلك الرجل الأربعيني، الذي كان يقول لكل قروي "كريف"[4]، خرج من بيته. استغرب من رؤية الجنود والقرويين أمام باب منزله. لم تكن لديه أية مشاكل مع أي شخص في القرية، لذلك فهم الأمر أن هناك من لعب بعقلهم. سار معهم حتى ظل شجرة التوت.

---

4 . الكريف: كانت العادة المتداولة قديماً في القرى، أن من يود أن يقوم بختان أبناءه الذكور، كان عليه أن يختار شخصاً من القرية أو القرى المجاورة كي يحضن الطفل أثناء ختانه، وكان ذلك الشخص يصبح "كريفاً" للطفل والطفل بدوره يصبح "كريفاً" لذلك الشخص. بذلك تنعقد بينهم صلة قرابة أبدية... المترجم.

www.arsivakurdi.org

بعدها قامت القائمة. صـرخ فيه أحد القرويين بقوة وقال له: "أنطق بالشـهادتين. أشـهد أن لا إله إلا الله وأشـهد أن محمداً عبده ورسـوله." نظر "المعلم ديكران" إلى ذلك القروي الذي كان يراه صـديقاً له. كان جميع القرويين يحملون سـكاكينهم، ورفوشـهم، ومناجلهم، وكل الادوات الحديدية في بيوتهم.. كان ينظر إليهم بصـمت. القرويون الآخرون أيضـاً كانوا يحثونه على نطق الشـهادتين، ومع ذلك لم يقتنع "المعلم ديكران" بطلبهم. بعضـهم ضـربه وآخرون ركلوه وضـربوه بالعصـي، وهو ما كان منه إلا أن يتفادى ضرباتهم وركلاتهم بيديه وجسده.

فهم أحد القرويين أن" المعلم ديكران" لن ينطق الشهادتين. رأى غائطاً تحت شجرة من الأشجار. حمل القروي ذلك الغائط برفشه ووضعه أمام "المعلم ديكران". قرّب الرفش والغائط عليه من أنفه وقال له: "إما أن تنطق الشـهادتين وإما سـتأكل هذا الغائط!" حين قاوم "ديكران" طلبه هذا، تعرض بأخمص البنادق وبعصي القرويين للضرب المبرح.

خرجت زوجة "المعلم ديكران" الجميلة وابنته ذات الإثني عشـرة ربيعاً من البيت، وحين رأوا إنهم سـيقتلونه، بدأوا بالصـراخ والبكاء يطلبون المسـاعدة والنجدة. تكلموا مع جيرانهم وأصـدقائهم باللهجة الكردية الزازاكية يطلبون مسـاعدتهم لإنقاذه. لكن ضـميرهم كان قد مات، وإنسـانيتهم ماتت، حتى الرب الذي كانوا يتحدثون عنه في الكتب المقدسة كان قد مات. الجميع كانوا صامتين، ولم يلبي أحداً طلبهم.

حمل أحد الجند عصا، وسلمها لـ"المعلم ديكران" كي يتناول بها ذلك الغائط، وقروي آخر يضربه على بطنه ويقول له: "هيان كُل. كُل ومُت بعدها!". كان "المعلم ديكران" يحاول جاهداً حمل ذلك الغائط، لكنه لم يستطع. كان ينظر إلى القروي ذاك ويقول له: "اصبر يا كريف، اصبر. هذا أكل خراء وليس أكل أي شـيء آخر." وحين أنهى كلامه هذا، هجموا عليه وقتلوه ضـرباً. بقيت جثته تحت ظل شـجرة التوت. أما زوجته وابنته، فقد ساقوهم الجند معهم. بذلك، لم يبق أرمني واحد في القرية.

بدأت آلام المخاض على زوجة "عيسى". هرعت النسوة الخبيرات في مجال التوليد إلى بيت "عيسى" الذي خرج بدوره من المنزل وتوجه إلى بيت أخته "أمێ". مرت سـاعات طويلة ولم تلد زوجته بعد. قالت له أخته بإن الاجنة الذين تظهر أرجلهم أولاً أثناء الولادة، يتسـببون بنزف كثير لأمهاتهم.. كان "عيسـى" مندهشـاً من كلامها هذا... كان جالسـاً في الظلام الدامس، لا يتحرك، حتى القمر كان سـاكناً لا يتحرك، والنجوم وكإنها انطفأت عن البريق. كان صراخ زوجته يعلو في الأرجاء من شدة آلامها.

في الهزيع الأخير من الليل، ولدت زوجته له طفلة، لكن زوجته فقدت حياتها. حين سمع "عيسى" بذلك الخبر، كاد يغمى عليه. أحس بنوبة هسـتيريا، لا يصـدق ما حل بزوجته. خيّم الحزن على القرية، وبدأت النسوة الملتمات في بيته بالنحيب والبكاء. أخواته البنات بدأن يضربن على خدودهن ورؤوسهن حزناً على "پاپێ".

لم ينم أحد من القرويين في تلك الليلة. في سـاعات الفجر الأولى، ذهب الرجال إلى المقبرة وبدأوا بحفر قبر لها، والنسـوة جلبن السـطول الكبيرة لغلي الماء. بدأن بغسـل جسد "پاپێ" ونظفوه، ثم غلفوا جسـدها بالكفن. حين حملوا نعشـها متوجهين إلى المقبرة، كان كل أهالي القرية، بصـغارها وكبارها يبكون حزناً عليها.

بعد أن عادوا من المقبرة، أسموا الطفلة المولودة حديثاً باسم "زينب".

عقد الشـيخ سـعيد اجتماعاً كبيراً في قرية "چانێ". بعد ذلك الاجتماع، توجه برفقة الفرسـان معه إلى مدينة "سـمسور" وتحدث مع بعض الوجهاء والشخصيات هناك، أما في "چاپخورێ" فقد استقبله حشد كبير هناك. من هناك عاد إلى قرية "ديکێ" التي تقع بجانب نهر "مُرادێ". ألقى بعض المواعظ في القرية وسـأل عن أحوال القرويين. بعد الظهر، توجه من سـهل "چلكانيێ" عابراً سـلسـلة الجبال إلى قرية "كوركێ". هناك، اجتمع مع وجهاء عشـيرة "زكتيان". بعدها في 15 كانون الأول سـنة 1925، توجه الشيخ سعيد بوحدات كبيرة من الفرسان إلى "دارا هێنێ " واستقر هناك.

سمع بعض أهالي قرية "تونست" أن الشيخ سعيد سيصل إلى قرية "پيران". كانوا قد جهزوا أنفسهم لذلك، وركبوا أحصنتهم متوجهين إلى هناك. كانت قرية "پيران" تبعد عن قرية "تونست" مسافة أربعين كيلومتراً. كان جبل "شارك" يحاذي القرية من الجنوب. كان بين الجبل وقرية "تونست" واد عميق، ينبع من ذلك الوادي نهر "مُرادێ". أما قرية "پيران"، فكانت تقع في الجهة الأخرى من الجبل. توجه القرويون إلى ""پيران" لرؤية الشيخ سعيد والاستماع إلى مواعظه والاستفادة من علومه. كان ذلك في 13 شباط سنة 1925. مع أن الفصل كان شتاءً، إلا أن الجو كان صحواً ومشرقاً.

بعد أن أنهى الشيخ سعيد خطبته أمام حشد كبير من الناس. حاولت وحدة من الجيش التركي القبض على بعض الأشخاص، لكن الشيخ سعيد لم يدعهم يفعلوا ذلك. التقى بهم لأجل ذلك ومنعهم من القاء القبض على أحد. لكن الجنود لم يتنازلوا عن ذلك، وما هي إلا لحظات حتى سـمعوا صـوت إطلاق الرصـاص من الأسلحة، وانتشر خبر مقتل جندي من الجيش.

وصـل ذلك الخبر في اليوم التالي إلى قرية "تونسـت". كان الجميع متأهبين لكل طارئ. شـباب القرية اختبأوا عن الأنظار، وكان "محمود" إبن "عائشـة" أخت "عيسـى" بينهم. بحسـب الأخبار الواردة، فإن الشعب قد انتفض في "دارا هێنێ" وحرروها، ونصبوا "الفقه حسين موداني" والياً عليها.

كانت "دارا هێنێ" تقع شـرق قرية "تونسـت" وإن أراد أحد زيارتها، كان عليه أن يسـير مشـياً بجانب نهر "مرادێ". بحسـب آخر الأخبار الواردة، كان رجال قرى (پاول، پاكونى، سـوارو، مرێ، كرو، ڤندارێ، گوازرک و مايلاو) قد حملوا السلاح وتوجهوا على أحصنتهم صوب "دارا هێنێ".

أما القرى المحاذية لقرية "تونست" كـ: (خيلانا مزن، زوڤر، زوخاپا، خيدمم، اردورەک و ميرمحمدان) فقد توجهوا إلى قرية "پالۆ". في جنوب قرية "تونسـت" كانت قرى (كلاخسـێ، دواشـێ، قشـى، پينى، هجبيان، گاز، سەفران و قاسان) قد حملوا أسلحتهم متوجهين صوب "دارا هێنێ" أيضـاً. ومن هناك إلى "لجى" و "آمَد".

الشيخ "شريف كلاخسي" قد توجه بوحداته صوب "چاپخورێ" وحررها. ومن هناك كانوا قد توجهوا إلى "پالۆ"، وحين حرروها أيضـاً، توجه بوحداته إلى "خارپێت". وفي 25 شـباط سـنة 1925 حرروها أيضاً. أما مدن (مادن، أرغني وسيورك) فقد سقطت هي أيضاً في أيدي القوات الكردية. بحسب الأشخاص الذين كانوا ينقلون الأخبار إلى القرى، فإن الشيخ سعيد بنفسه سوف يقود الحملة على مدينة "آمَد".

لم يقف الجيش التركي عن الهجوم كثيراً. كانت كل الشـروط الداخلية والخارجية ضـد الانتفاضـة. لم تسقط مدينة "آمَد" رغم المحاولات الكثيرة، لكن "خارپێت" وقعت في يد المنتفضين. تغير الوضـع بعد ان تم القبض على الشيخ سـعيد ورفاقه في 14-15 نيسـان في "ڤارتو"، أما الذين لاذوا بالجبال، فقد استمروا في المقاومة، وبعض المنتفضين لجأوا إلى سوريا التي كانت تحت الانتداب الفرنسي.

كان إسم سوريا عند المقاومين حينذاك هو "بنخَت"[5]. أي كانت سوريا تسمى بجنوب خط سكة القطار.

في يوم 21 اكتوبر سنة 1921، وبحسب الاتفاقية الموقعة بين تركيا والحكومة الفرنسية، رسموا فيها الحدود بين الدولتين، وكانت سكة القطار القادم من اسطنبول وتصل حتى "ديلوك" هي الحدود الفاصلة. جنوب سكة القطار أصبحت سوريا و شمال السكة اصبح لتركيا، لكنهم كانوا يعلمون أن من يسكن شمال السكة ومن يسكن جنوبها هم الكُرد. وقد تكون التسمية –بنخَت- أتت لأن الكُرد الزازا والكرمانج لم يقبلوا بذلك التقسيم، لذلك أسموا ذلك الجزء بـ"بنخَت".

كان بعض المطلوبين من قرية "تونست" قد بقوا في القرية ولم يستطيعوا اللجوء إلى "بنخَت- سوريا" وكان بينهم شخص اسمه "حاجي" وبعدها لقب بــ" حاجي كايا. وشخص آخر كان اسمه "ككێ"، وبعد احصاء سنة 1930 أضاف كنية "تونج"، وكانت له أختاً وتدعى "فاطمة". عدا هؤلاء، كان "محمود" ابن أخت "عيسى" مطلوباً أيضاً كما أسلفنا سابقاً.

كان "گكێ" له علاقة مع "حسين أفندي" أخ "الشيخ شريف ابن الشيخ مصطفى كلاخسي". كان بانتظار خبر منهم. حين قمعت الدولة التركية الانتفاضة، بدأت بالبحث عن هؤلاء. لسنتين متواصلتين، كان هؤلاء يقضون حياتهم في الجبال ويختبؤن في القرى، وأحياناً ما يشتبكون مع الجنود الأتراك. أما العصابات المناوئة للدولة، فكانوا قد وضعوا مناطقهم تحت سيطرتهم. لذلك كان على المطلوبين الحذر التام. حين وصلت هذه الأنباء إلى"گكێ"، ركب حصانه وركبت أخته "فاطمة" على بغل وبدأوا بالمسير. انضم إليهم كل من "محمود" و"حاجي" أيضاً في قرية "ڤراردێ". كان الجو هادئاً ولطيفاً، وكإن ملايين النجوم في السماء تضيء لهم دربهم.

كان "گكێ" يلبس قفطاناً من الصوف وشال بني اللون، ويضع على رأسه طاقية سوداء. كان يقود حصانه الابيض ويلف لفافة تبغ ويدخنها. أما "محمود" و"حاجي" كان يتتبعونهم بخطوات حثيثة كي لحقوا بهم. كانت "فاطمة" لم تكمل بعد سنتها الثامنة عشرة، تلبس فستاناً مخملياً أسوداً يلمع تحت ضوء القمر، وتضع إيشارباً على رأسها، وكأن ذلك الإيشارب لائقاً عليها. وُضِع إسمها على لائحة المطلوبين لأن الشيخ "شريف" عقد اجتماعاً في بيتهم. أما "محمود" و"حاجي" فكانا معروفين، فمنذ اليوم الأول لبدء الانتفاضة كانا منخرطين في صفوفها. كان "محمود: شاباً قصير القامة وممتلئ الجسم. أما "حاجي"، فكان أنحف منه. كان "حاجي" يحب "فاطمة" لكنه لم يكن يُظهر حبه لها، أما "فاطمة" فلم تكن تعلم بشيء من ذلك.

وصلوا قبل موعدهم إلى نهر "مرادێ". خلع كل من "محمود" و"حاجي" نعليهما واجتازا النهر. سارت الأحصنة والمترجلين وراءهم. ابتلت أجسادهم، وساروا هكذا حتى وصلوا إلى غابة كبيرة، فرأوا مفرقاً أمامهم، اختاوروا طريقاً منه وأكملوا المسير.

كان "ككێ" لوحده يعلم أين سيلتقون. لذلك كان يستعجل في المسير. لم يكن يعلم كم شخص ينتظرونهم. كان ضوء القمر يُنير الغابة كلها، وكلما يسيرون اكثر، يسمعون نباح الكلاب في القرى القريبة عليهم.

حين اجتازوا الغابة، ارتاحوا قليلاً، ثم وصلوا إلى شجرة توت قريبة من قرية "كلاخسى". رأوا شخصاً بانتظارهم وكان وكإنه يعرفهم مسبقاً. صافحهم واحداً واحداً، وساروا خلفه إلى أن وصلوا إلى مكان خارج القرية قريباً من جبل "شارك" وقريبين على قرية "دوأشى". جلسوا قليلاً وبدأوا يدخنون لفافات تبغهم.

---

5 . بنخَت: أي جنوب خط سكة الحديد الذي كان يمر به قطار الشرق السريع، وكانت تلك السكة هي الحدود الفاصلة بين تركيا وسوريا... المترجم.

كان بينهم بعض النسـوة أيضـاً. تمعن "حاجي" و"ككێ" في النظر إليهم. فعرفوا شـخصـاً من بينهم. إنه الشيخ"حسين أفندي". كان فارع القامة والطول وبجانبه شاب بهي الطلعة واسمه "عبدالحميد أفندي" ولقبه "حمو رش". رغم صغر سنه، إلا إنه ذاع صيت بطولاته في معارك "خێزک"، "كران" و"مندویێ". أما الباقي، فكان الشيخ "انور" وكان في عمر "عبد الحميد أفندي" عمرهم حوالي 17-18 عاماً.

كانت معهم امرأة وفتاتين. عرف"ككێ" تلك المرأة. كانت من عائلة شيوخ "كلاخسی". كانوا قد أخذوا زوجها إلى الحرب الروسـية، ولم يعد منها. كان اسـمها "أمينة" ولديها بنتين وهن "إنجی" والأخرى "فاطمة".

كان هناك طفل بين تلك المجموعة. وكان إبن أحد الشـيوخ من "كلاخسـی". وكان تحت الأشـجار مجموعات أخرى وهم أيضـاً يعدون أحصـنتهم وبغالهم. أما مجموعتهم، فكان عددهم تسـعة أشـخاص. ورئيس المجموعة كان "حسـين أفندي". عادت ابنتا "أمينة" إلى القرية. أركبوا النسـاء على الأحصـنة، والبقية مترجلين، ساروا صوب مدينة "آمَد".

كان لدى "حسين أفندي" بندقية واسمها الــ"ماوزر" الانكليزي. تستوعب تلك البندقية خمسة طلقات في مخزنها. كان يضعها على كتفه ويسير في مقدمة المجموعة. أحياناً ما كان يتوقف عن المسير ويوقف سير المجموعة، ويعطيهم التعليمات عن كيفية المشـي. كانوا قد جلبوا معهم زاداً يكفيهم في رحلتهم. وكانوا يعلمون تمام العلم إنهم في طريقهم سيجدون ينابيع وأنهر. كانوا يسيرون ليلاً فقط، وفي النهار يختبئون عن الأعين. كان كل من في المجموعة يثقون ثقة تامة بـ"حسين أفندي".

كان لدى الشيخ "أنور" بندقية ماوزر أيضاً. كان قد سلّم بندقيته لصـديق له، لأن صـديقه لم يكن ينوي الفرار إلى "بنخَت- سـوريا"، وكان يود أن يقاتل في الجبال. كان يود أن تبقى معه رصـاصـة واحدة فقط، وضـعها في جيبه. طلب منه "عبدالحميد" تلك الطلقة عدة مرات، لكنه لم يقبل ويقول لأصـدقاءه: "هذه الطلقة تجعلني أحس بالأمان. أحس بالقوة حين تكون هذه الطلقة معي." كان يُخرج الطلقة من جيبه كلما أتى على سيرتها، ينظر إليها ويضحك. أما "عبدالحميد" كان يكتم غيظه، لأنه كان يريدها.

كانوا في مسيرهم لا يتحدثون إلى بعضـهم البعض تحسباً من أن يسمعهم أحد ما. يسيرون في الطرق الغير مأهولة والبعيدة عن القرى، ويختارون الوديان كي يرتاحوا فيها. أما حين يجلسـون لتناول الطعام، فكانوا يستغلون الفرصة للتحدث مع بعضهم. كان "عبدالحميد أفندي" يستغل الفرصة للحديث عن ذكرياته، وكان يستمتع أيما استمتاع بذلك، والبقية أيضاً كانوا سعيدين بسرده لتلك الذكريات، وحين يجدهم متلهفين للاستماع إليه، يبدأ هو بالمزيد ويقول:

"قبل شهر ونصف، سمعنا أن وحدات الفرسان تتوجه صوب قرية "ميآلان". كان عددنا ستة وكنا في منطقة قريبة من تلك القرية. توجهنا على الفور إلى القرية وتسـلقنا تلة مطلة على القرية، وبدأنا نسـتطلع الأمر من فوق تلك التلة. ما لفت انتباهنا إننا رأينا الكثير من الأحصنة مربوطة في مكان خارج القرية. كان لدينا ستة بنادق ماوزر، وأدركنا إننا لن نستطيع محاربة وحدات الفرسان تلك لأسلحتنا وعددنا القليل هذا. حين رأيت الأحصـنة هناك، قلت لرفاقي الخطة التي أفكر فيها. قلت لهم، تعالوا لنذهب ويأخذ كل واحد منا حصـاناً ونهرب بها. قبل أصـدقائي الفكرة. كان هناك في أسـفل القرية وادٍ عميق، فذهبنا إلى هناك، وحين صـعدنا صـوب القرية، رأينا إننا قريبون من الأحصـنة، أخرجنا سـكاكيننا واقتربنا منهم. قطعت بالسـكين حبل أكبر حصان فيهم وركبته وسرت به مسرعاً كالطلقة صوب نهر مرادێ."

كان يود أن يُكمل قصـته تلك، إلا أن "حسـين أفندي" ذكره أن هناك مجموعة أخرى بانتظارهم بالقرب من قرية "پيران"،لذلك ترد إكمال قصته وبقي صامتاً.

أكملوا مسيرهم ووصلوا بحلول العصر إلى جبل قريب من قرية "پيران"، كان هناك مجموعة كبيرة من المسلحين هناك، وانضم منهم خمسة آخرون إلى مجموعتهم. كان أحدهم "اكراگ"، وهو من قرية "پيران"، وشخص آخر من "خيلان" وآخر من "كيلَبوي" وآخر من "آردورَك". وكانت هناك عائلات من "دارا هێنیّ" و قرَبگان" و "چاپخوریّ"كان أعضاء مجموعة الشيخ "عبدالرحيم" كلهم مسلحين ببنادق ماوزر. تراجع ذلك الشخص الذي سلم تلك المجموعة لـ"حسين أفندي".

ازداد عدد مجموعتهم، لذلك كان عليهم الحذر أكثر في المسير. لذلك، وزع "حسين أفندي" تلك المجموعة الكبيرة على مجموعات صغيرة، وحدد ثلاثة مسلحين لحماية كل مجموعة، كما حدد العارفين بالطريق كي يتقدموا المجموعات. أثناء مسيرهم الليلي، كان على المجموعات أن تتبع بعضها وتحمي بعضها البعض.

كان "أنور أفندي" يسير خلف المجموعة كقائد لها. كان لا يحمل سلاحاً معه. حين كان يغتاظ من شيء ما، يُخرج طلقة البندقية تلك من جيبه ويضعها في كف يده. كان يعلم جيداً إنهم تجاوزوا منطقة الخطر، لكن هذه الطلقة كانت تُعيده إلى ماضيه. ضم يده عليها ونام هكذا.

في إحدى الأيام، حين انضم "ذوالكف" إلى مجموعتهم بالقرب من "پيران"، ورأى طلقة الماوزر في يده، قال له:

" يا أنور أفندي، لدي القليل من الطلقات، أعطني تلك الطلقة لوجه الله." ضم "أنور أفندي" يده ووضع الطلقة في جيبه ولم يجبه على طلبه. كان كل من في المجموعة يودون معرفة قصة تلك الطلقة، لكن "أنور أفندي" لم يكن يرغب في قصها لأحد.

كان "حسين أفندي" قائداً لكل المجموعات. لم يكن يُعرف عددهم، لكنهم حين المسير يكونون أشبه بجيش من الأحصنة والبغال والمترجلين.

حين اقتربت المجموعة من منطقة قريبة من "چلبَرانیّ"، أحس عليهم الجنود الأتراك. بدأوا بالمعركة معهم. ولأن المعركة كانت مفاجئة لهم، فقد استشهد الـ"ملا حسين قرباباني" وشخصين آخرين. كما قتل إثنان وثلاثون حصاناً وبغلاً بالطلقات. بعد تلك المعركة، توجهت المجموعة صوب" قرَجداغ".

كانوا واثقين أن الجبال العالية ستأويهم وتحميهم. كان ذلك الجبل يكتسي بأشجار البلوط العتيقة. إن لم تحميهم هذه الأشجار الباسقة، فالصخور السوداء الكبيرة كفيلة بحمايتهم بكل تأكيد. لأجل الوصول إلى ذلك الجبل، كان عليهم أن يمروا بسهل "گوران". وخوفاً من عملاء الدولة، كان عليهم أن يكونوا حذرين جداً.

بعد أن حل الظلام، اجتازوا ذلك السهل. حدث اشتباك بينهم وبين عصابة موالية للدولة في منطقة "سويرك" وقد جرحوا رئيس العصابة في كتفه. اختبأوا بين الصخور الضخمة هناك. في تلك الليلة، أبلغت تلك العصابة عن ما جرى معهم. في الصباح الباكر، سمعوا أصوات الطائرات تحلق فوقهم. في سنة 1927 حلقت طائرتين تركيتين فوق سهل "گوران" وجبل "قرَجداغ".

"حسين أفندي" كان خبيراً بالغارات وكيفية الحماية منها. فحذر كل المجموعات ومنها المختبئة فوق الجبل أن يحتاطوا جيداً وقال لهم: "لا تتحركوا من أماكنكم أبداً واختبأوا تحت الصخور، ولا تلبسوا الثياب البراقة كي لا يتم اكتشافكم من قبل الطائرات."

كانت الطائرات التي تحلق في الجو بطيار واحد. وقد يكون معه سلاح رشاش واحد فقط. كان صعباً عليهم أن يخبأوا الأحصنة والبغال بين الصخور. أما المجموعات، فقد اختارت كل منها مكاناً آمناً عن الأنظار بينها. كانت الطائرات تحلق بلا هوادة فوقهم، وأحياناً ما تطلق رشقات من رشاشاتها فوقهم. لكن لم يكن يتحرك أحد منهم من مكانه. حتى البغال والأحصنة بقيت في مكانها لا تتحرك خوفاً. كانت صعباً

على الطائرات رؤيتهم في تلك الجبال الحصـــينة. لكن، إذا اســـتمر الوضـــع على ما هو عليه، فإنهم لن يستطيعوا التقدم إلى الأمام وإكمال مسيرهم، وقد يأتي الجيش في أية لحظة إن طال الوضع هكذا.

توجه كبار المجموعة إلى "حسين أفندي" و"عبدالرحيم أفندي" واجتمعوا معهم. كان "يادو عباس" بين المجتمعين، وكان هذا ذا صـــيت بطولي في جبهات "چاپخورێ". قال أحدهم: "ألا تفيد الطلقات على الطائرات؟" جاوبه "حسـين أفندي": "وكيف لا تفيد، فقد صـنعت من الخشـب والتنك. إن أصـابت الطلقة الطيار أو مخزن الوقود، حينها ستسقط الطائرة."

قضـوا اجتماعهم هذا بين الصـخور في إحدى الوديان، كانت النسـوة جالسـات في مكان، والرجال في مكان آخر، يتناقشون في موضوع الطائرات.

سمعوا صوتاً قوياً بالقرب منهم، تأبط المسلحون أسلحتهم. اقترب الصوت أكثر منهم. وقعت الطائرة في الوادي. بدأت البنادق بالإطلاق عليها. كانت الطائرة تسـقط بسـرعة ووقعت محترقة على الأرض. حين رأت النسـوة سـقوط الطائرة، بدأن بالزغاريد، وكانت بينهن "فاطمة التونسـتية". أما الرجال، فاحتضـنوا بعضهم من الفرح.

حين رأى طيار الطائرة الأخرى ســقوط الطائرة، ترك المكان وذهب. أدركت المجموعة بعدها أن العصابات والجيش لن يلاحقونهم، وفي تلك الليلة انطلقوا من "قرَجداغ" صوب مدينة "نصيبين". اشتبكوا مع العصـــابات الموالية للأتراك والعرب في طريقهم في أكثر من مكان ووقع بعض الشـــهداء من بين صـفوفهم. اختبأوا في بعض المغارات حول قرية "شـكَفتى". نال منهم التعب والجوع والعطش، لكنهم بعد كل تلك الصعاب اقتربوا من الحدود.

كان قد مرّ عليهم إثنا عشر يوماً منذ خروجهم من "كلاخسى". في ساعات الفجر الأولى، قال لهم دليلهم: "ها قد اقتربنا من الحدود." كانوا ينتظرون المجموعة التي تليهم. لم يكن هناك مكان يختبؤون فيه في تلك المنطقة، لان تلك المنطقة سهلية، لا يوجد فيها لا وديان ولا أشجار يختبأوا تحتها.

بعد نقاش قصـير، قرروا أن يراقبوا كل شـيء من حولهم، وإن لم يحسـوا بأي خطر، حينها سـيجتازون الحدود، لذلك عيّنوا شـخصـين للاسـتطلاع، والبقية سـيبقون في أماكنهم منحني الظهور حتى تصـل إليهم المجموعة التالية. أصابهم القلق وحين لم يعد الأشخاص الذين أرسلوهم للاستطلاع.

حين أشـرقت الشـمس، عاد المستطلعون وأخبروهم أن الوضـع على الحدود هادئ ومناسـب للعبور. لم يكن هناك داع للتجمع بعد ذلك، فتوجهوا إلى الوادي القريب من الحدود. حين قال لهم الدليل أن مســافة مائتي متر تفصلهم عن الحدود، بدأ الراجلين بالركض، والفرسان أسرعوا بأحصنتهم.

باتوا على الأراضي التي تحتلها فرنسا. لكنهم كيف سيأخذون أسلحتهم معهم؟ سيتم الاستيلاء عليها من قبل الجنود الفرنسيين. حين ساروا بضعة أمتار إلى الأمام، رأوا هضبة صخرية أمامهم، فشحذوا خناجرهم وبدأوا يحفرون الأرض تحت تلك الصخور كي يُخبأوا بنادقهم تحتها.

فكّ "ذوالكُف أرغني" النطاق من حول ظهره. خبأ بندقيته تحت الأرض، ثم طلب من "أنور أفندي" أن يخبئ تلك الرصـاصـة التي معه أيضـاً. لكن "أنور أفندي" أشـار إليه برأسـه إشـارة الرفض، وقال له: "لن أعطيها لك."

لم يعقب أحداً منهم على الموضوع بأية كلمة...

www.arsivakurdi.org

-6-

كان كبار السن في قرية "تونست" يقولون أن شخصاً باسم "شمدين آغا" كان يعيش في هذه القرية. كان هذا الآغا آية في الجمال، عيونه زرق، حواجبه كثّة، جسده أبيض كالثلج، شعره أصفر كالشمع. عريض المنكبين وكفاه كمخالب الأسد، خدوده حمرٌ كورود الربيع، ووجهه ناصع البياض. نظراته حادة وقامته متناسقة. كان رجلاً قوياً، يملك تسعة قرى. كان يملك كل الأراضي الواقعة بين قرية "ميئالان" وحتى قرية "تونست".

كان يُقال لهذا المنطقة "داكو"منذ عهد العثمانيين، وقد تكون التسمية قبل عهدهم أيضاً. كان في منزل "صبري آغا تونستي" المنحدر من عائلة "شمدين آغا" قطعة من الحديد مصنوعة بشكل خاص، وما زالت هذه القطعة محفوظة لديهم. كانوا يحتفظون في هذه القطعة الحديدية بورقة طولها ستة أمتار، ومكتوب على هذه الورقة شجرة العائلة بالأحرف العربية. بحسب هذه الشجرة، في سنة 1300 ميلادية، كان هناك شخص يقيم في قرية "مردين" يدعى "حسين آغا داكويي". كان لديهم جمعية في ذلك الزمن، كانت عشيرة "زنكنه" إضافة إلى سبعة عشائر أخرى يدفعون الخراج لتلك الجمعية. مرة أخرى، بحسب ما هو مكتوب في تلك الشجرة، حين يتوفى "سيد حسين" وضع الورقة في عهدة إبنه "سيد عثمان". وبذلك انتقلت تلك الشجرة من يد إلى يد ومن جيل إلى آخر في تلك العائلة.

في عام 1700، كان قد حدث انقطاع في كتابة شجرة العائلة، ولولا ذلك، كانت الشجرة وصلت إلى "شمدين آغا". بحسب بحث صادر عن دائرة النفوس في "پالو" سنة 1800. البحث ذاك فيه المعلومات التاليةعن قرية "تونست":

"الحقل الأول 1: محمد آغا، آغا قرية داكو: طويل القامة، لحيته بيضاء، 57 سنة. إبنه ابراهيم، قامته ليست طويلة، شواربه صفر، 42 سنة. إبنه الآخر خليل، قامته ليست طويلة، شواربه سود، 32 سنة. الإبن الآخر، يوسف شابّ، 20 سنة. إبنه حسن، 14 سنة. حفيده اسماعيل، 10 سنوات. حفيده الآخر درويش، 7 سنوات" وهناك احتمال كبير أن يكون "شمدين آغا" من هذه العائلة.

يُقال أن الوقت كان وقت حراثة الأراضي. كان "شمدين آغا" قد سلّم أراضيه للفلاحين الجنانين. كان القرويون يحرثون أراضيهم بالمحراث. يزرعون القمح والشعير والذرة والبذور الاخرى. وحين يحل وقت الحصاد، يذهب "شمدين آغا" إلى تلك القرى كي يستطلع العمل فيها، وكان يأخذ ثمن نصف المحصول له والباقي لهم.

في إحدى الصباحات الباكرة، يستيقظ "شمدين آغا" مبكراً من نومه. يُجهز فرسه الذي كان اسمه "رَهشان". يلبس أنظف ثيابه، يتأبط خنجره وضع بندقيته على كتفه. ويركب صهوة جواده، مقرراً الذهاب من قرية "تونست" إلى قرية "ميئالان" البعيدة عنهم.

حين خرج من قرية "تونست"، وهو على جواده الجموح، كان الكثيرون ينظرون إليه بعين حاسدة. اجتاز قرية "ڤراردا" كالبرق، وكان قد توقف لشرب الماء في قرية "چرا ڤاليرێ".

في فترة الظهيرة، يصل إلى مقربة من قرية "ميئالان" ويتوقف عند نبع ماء هناك، ينزل من على ظهر فرسه "رهشان". يُعلق بندقيته بشجرة صفصاف ويربط فرسه بجذعها. بعد أن يتوضأ، يصلي. يحس بحاجة إلى النوم، فينام على الأعشاب تحت ظل شجرة الصفصاف تلك.

كان أعداءه يتعقبون خطواته. يقتربون منه حين يرونه نائماً تحت ظل تلك الشجرة، فيقتلونه بالبنادق، ولا يخلفون أثراً خلفهم ويتركون ذلك المكان هاربين. كانت بندقية "شمدين آغا" ما تزال معلقة على غصن

الشجرة في ذلك اليوم.

حين سمع "رهشان" صوت الطلقات النارية، رفع قوائمه الأمامية وبدأ يصهل بقوة. كان يركض هنا وهناك. وحين رأى القتلة قد فرّوا من المكان، توجه إلى صاحبه، يشم جسده وكإنه يود ان يعلم أن كان حياً أم ميتاً. رفع رأسه عدة مرات وبدأ يصهل صهيلاً متقطعاً.

حين أدرك أن "شمدين آغا" ميت، بدأت الدموع تنساب من عينيه، ثم توجه مسرعاً كالبرق صوب قريته "تونست".

البعض ممن رأوه، قالوا إنه نسر يطير على الأرض، وآخرون قالوا أن لهذا الحصان أجنحة مخفية. كان النساء والرجال ينظرون إليه، وكإنه علم أبيض يطير فوق الأرض من سرعته.

أدرك الجميع أن هذا الحصان هو لـــ"شمدين آغا". لكنهم لم يفهموا لِمَ يركض كالبرق هكذا. بعد برهة، اختفى "رهشان" عن الأنظار، وتمت مشاهدته هذه المرة يطير بين الحقول حول قرية "سواران" وكان يصهل بقوة. الذين سمعوا صهيله، خرجوا من بيوتهم وتسلقوا الأسطح ليشاهدوا ذلك الحصان الذي يطير كالنسر.

كان "رهشان" يريد أن يعبر عن مقتل صاحبه بهذه الطريقة، وكإنه يقول، أيها القرويون، يا أهالي قرية "قراني"، يا أهالي قرية "سواران"، أيها الرجال، أيتها النسوة، أيها الأطفال، لقد قُتل "شمدين آغا" صاحب هذه الأرض.

شاهد أهالي قرية "سواران" الحصان وهو يطير أمام أعينهم. كانوا يحسون أن الجبال المحاذية لنهر "مرادێ" تطير معه. حين غاب "رهشان" عن الأعين، بدأ العجزة في القرية يلقون التعاويذ والصلوات ويقولون: "كان حصان علي رضي الله عنه المسمى دلدل يطير أيضاً هكذا من جبل إلى آخر."

كان أهالي قرية "پولێ" ينظرون بدهشة إلى "رهشان". كان جسد الحصان متعرقاً، عيونه محمرّة، ثقوب أنفه بدت واسعة. كانت الأشجار تفسح له الطريق، تلقي بأغصانها صوب الاتجاه الذي يمر منه. تتوقف الأنهر عن الجريان حين يمر من فوقها ويتحول مجراها إلى سهل فسيح.

حين وصل الحصان إلى قرية "ڤراردا" أمام قرية "تونست" أسرع أكثر، أقام بركضه السريع عاصفة على الأرض وكإنه أقام حفلة للجن في المكان الذي يركض فيه. أهالي قرية "تونست" كان يقولون إنه طائر العنقاء، والبعض الآخر منهم قالوا إنه ملاك يطير في السماء.

توقف "رهشان" أمام بيت "شمدين آغا" كان واقفاً على قوائمه الخلفية ويصهل بقوة. خرج إبن "درويش" إبن "شمدين آغا" وحين رأى الحصان وحالته تلك، أدرك على الفور أن مصيبة ما حلت بوالده. مسك برسن الحصان الذي كان مقطوعاً، لكن الحصان لم يكن يتوقف، كإنه يريد بصهيله القوي ذاك أن يقول له شيئاً. اجتمع القرويون حول منزل "شمدين آغا" وبدأوا ينظرون إلى الحصان وجسده المتعرق، وكأن شلالات الماء تنبعث منه. كان بصهيله ذاك يود أن يقول للقرويين اتبعوني. يلتفت صوب وجهة صاحبه القتيل، ثم ينظر إلى القرويين الساكنين في أماكنهم، فتصيبه الخيبة لإنهم لا يتبعونه. بدأ برفع قوائمه الأمامية مرة أخرى وكإنه يود الصراخ ويقول لهم أن "شمدين آغا" قد قتل، اتبعوني.. وركض مرة أخرى.

أدرك القرويون أن هناك شيء ما قد حصل، فجهزوا خناجرهم وركبوا على أحصنتهم وبدأوا يسيرون خلف "رهشان". مرّ من قرية "ڤراردا" كنسمة هواء عليلة وضاع عن الأنظار. حين رأوه قرويوا "سواران" لحقوا به. لكن "رهشان" كان يختفي عن الأنظار كالبرق. كلما يمر من القرى، يتبعونه هم أيضاً، حتى ازداد عدد الفرسان وراءه.

حين وصل "رهشان" إلى مكان جثة صاحبه، رفع قوائمه الأمامية مرة أخرى، ثم ضربهما بقوة على الأرض، وصهل ثلاثة مرات وبدأ يضرب بقوائمه تباعاً وكإنه يقول لهم، ها هو "شمدين آغا" ملقى هنا على الأرض.

نزل القرويون من على أحصنتهم وتوجهوا إلى ذلك المكان ورأوا "شمدين آغا" ممدداً على ظهره ومضرّجاً بدماءه. أغلق "درويش" عينا والده وكلف بعض الأشخاص كي يجلبوا أغصان أشجار الحور ويضعوا جثة والده عليها كي ينقلوها إلى القرية.

كانت بندقية "شمدين آغا" ما تزال معلقة على غصن الشجرة هناك. لولا الجرح في جسده لكان الناظر إليه يحس وكإنه نائم تحت ظل تلك الشجرة نوماً عميقاً. بدأ برحلة العودة قبل حلول الظلام، وكل من يراهم من أهالي القرى على الطريق يلتحقون بهم، حتى أصبحوا كفيضان من البشر حين وصولهم إلى قرية "تونست".

أخذوا الجثة إلى مسجد القرية وغسلوها وكفنوها. كان ملالي القرية يتلون الآيات القرآنية عليه. وفي ساعات الفجر الأولى توجه الآلا ف صوب المقبرة ودفنوه فيها.

كان لدى "شمدين آغا" إبناً وحيداً، وهو "درويش". استغل الفلاحين وجود بقاءه بمفرده، ووضعوا أيديهم على الأراضي التي كان يزرعونها، ولم يبقى من أملاك "شمدين آغا" سوى قطعة أرض ومصيف في الجبل.

كانوا يقولون أن لدى "درويش" ستة أبناء. أصغر أبناءه كان اسمه "محمود" وهو أيضاً لديه إبن وحيد واسمه "شريف". كان قد تزوج وعقد قرانه على "زينب"، وهي الإبنة الكبرى لـ"علي آغا"، وفي خمسة سنين خلّف منها أبناً وبنتاً. كان إسم إبنه "سليم" (كان سليم هو إسمه الرسمي، لكن الناس كانوا ينادونه سليمان)، كان هذا الشخص هو والد "الدكتور سعيد"، وكان اسم البنت "بيريفان".

مرض "شريف" بمرض السل وهو في ريعان شبابه. ولم يكن هناك دواء لذلك المرض في ذلك الوقت. انقطع "شريف" عن تناول الطعام والشراب بسبب مرضه ذاك، وكان جسده يضعف يوماً بعد يوم. كان الأطباء الشعبيين ينصحونه باستنشاق الهواء النقي وعليه أن يتناول الأعشاب البرية، فهي وحدها الكفيلة بشفاءه. كان هواء قرية "تونست" نقياً، ففيها أشجار البلوط والرمان والدراق والسفرجل والمشمش والجوز وأنواع أخرى كثيرة. لكن "شريف" جرّب كل ما قالوه ولم يشفى من مرضه.

في عام 1930، قدم موظفي الدولة إلى القرية لتسجيل أسماء القرويين من أجل الإحصاء السكاني. بدأوا يذهبون إلى كل البيوت ويسجلون أسامي أفرادها. كان يُقال أن سجل نفوس مدينة "پالو" قد احترق أثناء انتفاضة الشيخ سعيد، لذلك ضاعت الكثير من ملفات المواطنين، لذلك قاموا بإحصاء آخر لتسجيل الأسماء بألقاب وكنى جديدة.

لم يكن أحد من القرية يعرف اللغة التركية، وكان موظفي الدولة قد جلبوا معهم مترجماً لأجل ذلك، ولا يسألون الأهالي ولا يتشاورون معهم حين يضيفون لقباً وكنية جديدة على أسماء عائلاتهم، حتى أن القرويون حتى اللحظة لم يكونوا يدركون معنى اللقب أو الكنية.

حين كنت تسأل أحد القرويين عن إسمه، كان يذكر إسمه واسم والده واسم جده. أي لم يكن لديهم ألقاب. لكن الآن هناك ألقاب باللغة التركية التي لا يجيدها القرويين، وضعتها الدولة وراء أسماءهم. منذ ذلك اليوم كان القرويين عليهم أن يُعرفوا أنفسهم وعائلاتهم بتلك الألقاب التي وضعتها الدولة لهم، ولا يجوز منذ ذلك الوقت أن يذكروا أسامي آبائهم وأجدادهم.

حين قدم موظفو الدولة إلى منطقة "چولگ" وضعت الألقاب التالية على عائلاتهم: كلج، چليك، تونچ،

اكگون، گول، بولوت، پولات، اوغور، دمير، آتش و گوناى. وأضـافوا لاحقة "كايا" على أغلب الأسـماء. حين دخلوا إلى منزل "شـــريف محمود شـــمدين" ورأوه مريضـــاً هزيلاً على الفراش، وضـــعوا لقب "چوروككايا Çürükkaya" على عائلته.

لم يتحسن وضع "شريف چوروككايا" الصحي. لم يترك مزاراً ولا عشبة ولا حجاباً ولا شيخاً ولا سيداً إلا وجربه، ولا أحد منهم عالج مرضـــه ذاك. حين توفي ســـنة 1933، كان قد إبنه "ســـليمان" وابنته "بيريفان" التي لم يتجاوز عمرها السنة بعد. كانت زوجته "زينب" ما تزال شابة، وبقيت أرملة تربي إبنها وابنتها.

كانت قرية "تونســـت" صـــغيرة، لا يتجاوز عدد بيوتها الثلاثين بيتاً، وكان كل أهالي القرية يعرفون بعضهم البعض. كان "علي آغا" والد "زينب" قد توفي أيضاً.

كان البعض ممكن شاركوا في انتفاضة الشيخ سعيد وتوجهوا إلى "بنخَت- سوريا" قد عادوا إلى بيوتهم بموجب العفو الذي صدر سنة 1928.

حين عادت "أمينة كلاخســـي" إلى القرية، كانت قد تزوجت من "إيبى عرب"، واســـتقرت مع ابنتيها "إينجى" و"فاطمة" في قرية "تونســـت". كانت "اينجىّ" مشـــهورة بجمالها، وكانت تحب "حســـن" الإبن الأكبر لـــــ"شريف آغا". لكن "حسين أفندي كلاخسي" كان يرفض زواجهما. لم يأبه "شريف آغا" بشيوخ "كلاخســي" عقد قران إبنه "حسـن" عليها. لم يرق ذلك لشـيوخ "كلاخسـي" ولأنهم لم يكونوا بتلك الجرأة كي يهاجموا عليه، لذلك أرسـلوا إليه بعض الأشـقياء إلى بيته. ادرك "شـريف آغا" أن هؤلاء قادمين إليه بسـوء لذلك اختبأ في القبو منزله وأغلق على نفســه الباب. كان القبو تحت منزله، وينزل إليه عبر أدراج. كان قد حفر ذلك القبو تحت داره لحفظ المؤونة فيه.

بحث عنه المهاجمين في بيته، لكنهم لم يعثروا عليه. حين دخل المهاجمون إلى الاســـطبل، حينها فتح "شـريف آغا" باب القبو ودخل إلى غرف البيت. حين لمحه أحد المسـلحين، أطلق عليه النار وأصـابه في رأسه. أرداه قتيلاً على الفور، وخلّف وراءه ثلاثة أبناء وهم: حسن آغا، صبري آغا و حلمي آغا.

"منوش" أخت "زينب" كانت قد تزوجت من "محمد حسى داود" في قرية "پولىّ". مات زوجها وخلفت منه إبناً إسمه "دياب" وبقيت هي أرملة.

عاشت الأختان مع اولادهما في قرية "تونست". في إحدى الأيام، قدم رجل إلى القرية وكان اسمه "علي مهاجر". والمهاجر تعني اللاجئ. كان "علي" هذا شخصاً ذكياً، يدخن التبغ، ولا يشبه القرويين في شيء. وكانت له بعض المواهب. كانت هناك بعض الأقاويل تقول أن "علي المهاجر" اصـــله أرمني. أثناء إبادة الأرمن في ســـنة 1915ن غيّر "علي" هويته ودينه وتحول إلى الإســـلام. كان قد عاش لمدة طويلة في "هنزارشا" وبقي مختبأً هناك. بعد أن هدأت الأجواء قليلاً، خرج واستقر في قرية "تونست".

تزوجت "زينب" في ذات القرية من "عباس كلش". وجلبت إبنها "سـليمان" وابنتها "بيريفان" وعاشـا معها. توفيت بعد أن خلفت من "عباس" إبنين، وهما "كلش" و"رمضان".

www.arsivakurdi.org

-7-

عاد "فارس آغا" بابنته "حليمة" من مدينة آمد إلى القرية. سردت "حليمة" لوالدها ما كا يفعله "ملا مصطفى" بها وقالت لوالدها إنها لن تعود إليه مجدداً. كان والدها يهاب الـ"ملا مصطفى"، فقال لابنته: "يا بنتي، أنتي زوجته على سنة الله. هو لن يتركك بهذه السهولة. ما الحل وماذا سنفعل؟" لكن حليمة كانت مصرّة على رأيها. سمع شيوخ "كلاخسى" الذين كانوا يكرهون "ملا مصطفى" بالأمر.

كانت هناك امرأة أخرى باسم حليمة بين الشيوخ الكلاخسيين. تعرفت الحليمتان على بعضهن البعض وبدءا بزيارة بعضهن. سردت حليمة للأخرة قصتها مع الـ"ملا مصطفى"، وحين سردت حليمة الكلاخسية قصتها لـ"حسين أفندي"، قال لها بدوره: "سوف أحل هذا الموضوع بشكل من الأشكال."

لأجل طلاقهما، كان على شخصية دينية أو مُلا أرفع مرتبة أن يفتي بطلاقهما. كان "حسين أفندي" يعلم أن "حليمة" قد تركت بيت "ملا مصطفى" منذ مدة طويلة، وكان يعلم إن هو أفتى في الطلاق، فلن يقف أي كان في وجه قراره هذا. كان يفكر في "حليمة"، إن اصدر الفتوى، فإنها ستتزوج من شخص أفضل. حين ذهب إلى قرية "تونست" ورأى "عيسى" هناك، أحبه كثيراً وأعجب بشخصيته، وهناك، فكر في "حليمة" وتزويجها من "عيسى". فقد توفيت زوجته، وله بنت منها. "حليمة" مناسبة له جداً. فتح الموضوع مباشرة مع "عيسى" الذي احمرّت وجنتيه من الخجل وقال: "هي مازالت زوجة الملا مصطفى يا حسين أفندي."

رد عليه "حسين أفندي": "إن هجرت المرأة زوجها لأكثر من ستة أشهر، تعتبر مطلقة شرعاً." أفتى بين المجتمعين هناك وقال: "من الآن فصاعداً حليمة مطلقة شرعاً."

كان "عيسى" يعرفها منذ اليوم الأول الذي ترك فيه قريته ولجأ إلى والدها. لو تدخل "حسين أفندي" حينذاك، لكانت الآن زوجته. تُرى ما هو رأي "حليمة" بزواجها منه الآن؟ لم تمض مدة طويلة حتى أتاه الخبر بالايجاب. لذلك، كان عليه أن يُسرع في الأمر، لأن ابنته ما تزال صغيرة، واخته "وچێ" لا تستطيع أن تقوم بأعباء المنزل لوحدها.

كان "فارس آغا" رجلاً غنياً. لديه ثلاثة آلاف رأس غنم، وستة رعيان كانوا يعملون لديه. الملا مصطفى أيضاً كان غنياً. لم تكن "حليمة" تعرف للفقر معنى. لم يكن منزل "عيسى" بالكامل المكمل بل كانت ينقصه الكثير.

إلى ذلك اليوم، لم يكن يفكر "عيسى" بوضعه، لكنه حين قرر الزواج من "حليمة" بدأ يفكر في ذلك. حين تفحص أدواته المنزلية، قام إلى المطبخ وبدأ ينظر إلى الأشياء الموجودة فيه. كان لديه إثنا عشر ملعقة خشبية. كان ممتناً لابن أخته "محمود كوَسي" الذي تعلم الصنعة حين لجأ إلى "بنخَت- سوريا"، وحين عاد إلى القرية، كان هو المعلم الوحيد في القرية وقد صنع له بيديه هذه الملاعق. كان بجانب الملاعق، ملعقة أخرى خشبية كبيرة يطلق عليها الـ"دمليون" اسم "كوندَس"، وكانت أيضاً من صنع ابن أخته.

أضافة إلى الملاعق، كان هناك سطل كبير وطشت، وبعض الأواني النحاسية فقط. كانت القدور مصنوعة من الرخام. كان الكُرد الزازا يطلقون على تلك القدور اسم "ديزا". وكان يقولون لكوز الماء "مَري".

كان قد اشترى أدوات المطبخ من قرية "پينه". كانت عملية الشراء والبيع تحصل في ذلك الوقت بدون مقابل نقدي، بل كان عن طريق تبادل البضائع، وغالباً ما يكون كيساً من القمح أو الشعير. كذلك كان في بيته خمسة أكواز مصنوعة من الرخام الأحمر ومطلية بالتراب الأبيض. ويضع على فوهة كل كوز قطعة

خشبية عريضة.
كان لديه ثلاثة أفرشة مصنوعة من وبر الماعز. اما الوسائد واللحف، فكانت أخته "وچێ" قد صنعتها بيديها من صوف الغنم.
عدا هذه الأمور، كان لديه بعض الرفوش والمعاول والمناجل ونير الفلاحة وقطع أخرى يستعملها في فلاحة وزراعة الأرض. لم يكن يملك شيئاً في هذه الدنيا عدا حيواناته.
أضافة إلى تربية الحيوانات، كان "عيسى" يعمل في فلاحة الأرض، وبالكاد كان يُدبر أمور معيشته بذلك. كانت أخته "وچێ" تساعده كثيراً في أعماله. في فصل الصيف، كانت تذهب إلى أشجار التوت وتقطف ثمارها، ثم تقوم بغليها كي تحولها إلى دبس والبعض الآخر تجففه. كانت تخفق اللبن بالقربة وتستخرج السمنة منه، ثم تضع تلك السمنة في قربة أخرى كي تحتفظ بها لفصل الشتاء. كذلك كانت تقطف البلوط وتضعها تحت الارض، وحين يأتي الشتاء، كانت تخرجهم من تحت الأرض وتضعهم بين جمرات الموقد كي يأكلونها مع العنب المجفف. كذلك كانت تجفف الفواكه كالتفاح والكمثرى أو تعصرها. أضافة إلى تجفيف الخضروات كالباذنجان والبندورة والفليفلة لفصل الشتاء.
انتشرت الفتوى التي أطلقها "حسين أفندي" والتي طلق بموجبها "حليمة" من "ملا مصطفى" الذي سمع بهذه الفتوى، لكنه لم يعلق عليها أبداً. أرسل "عيسى" أخته "عائشة" وامرأة أخرى من القرية إلى منزل "فارس آغا"، وعدن في اليوم التالي بالايجاب. بدأوا بالتحضيرات للعرس. ولأن الإثنان أرامل، لذلك لم يجدوا من المناسب أن يقوم بجلب الطبل والزرنا. عند المساء جلبوا العروسة على ظهر فرس، ومعها بعض الرجال والنساء وتوقفوا أمام باب "عيسى". حين أدخلوا العروسة إلى البيت، قرأوا المولد، ثم تناولوا الطعام. بذلك وصل كل من "عيسى" و"حليمة" إلى مرادهما.
كانت "وچێ" سعيدة جداً بذلك الزواج، حيث سيخف الحمل عنها، وستعتني زوجة أخيها الجديدة بابنة أخيها "زينب"، كما أن "حليمة" امرأة مطيعة وكانت تحب "وچێ"، لا تتكبر عليها، وتقومان مع بعضهما بكل أعمال المنزل. إضافة إلى ذلك، كانت "حليمة" امرأة متدينة أيضاً، كان كل الناس يصلون في اليوم خمس مرات، إلا هي، كانت تصلي عشرة مرات وأكثر في اليوم الواحد. حين تشرق الشمس وتغرب، تقوم بالأدعية والصلوات. لم تكن تعرف قراءة القرآن، بل تحفظ بعض الآيات منه فقط.
بعد ان تزوجت، خلّفت إبنة لـــ"عيسى" وأسموها "طيّبة". بعدها بسنين، أتتهم طفلة أخرى وأسموها "نازێ"، وكان حملها الأخير طفلاً وأسموه "أمين". كانت "حليمة" تحس بنقص لأنها لم تكن تجيد قراءة القرآن، لذلك أرسلت بناتها إلى "أمينة" كي تعلمهم قراءة القرآن. كانت "أمينة" بعد انتفاضة الشيخ سعيد قد توجهت إلى "بنخَتى" وتزوجت هناك من "إيبى عرب". بدأت كل من "طيبة" و "نازێ" بتعلم قراءة القرآن في بيت "أمينة".
فاطمة "إبنة "أمينة" كانت قد تزوجت من "محمد زكي أفندي" في القرية. أثناء انتفاضة الشيخ سعيد، كان قد تم القبض عليه في منطقة "ڤارتو" وأودعوه في سجن "دياربكر". في محاكم الاستقلال التي حلت بدلاً عن محاكم البرلمانيين، أصدروا حكم الإعدام بحقه.
كان قد تم القبض على "محمد زكي أفندي" أثناء الانتفاضة لأنه من أقرباء الشيخ سعيد، وكان ما زال في سن الرابعة عشر حين نفته الدولة الى قرية "تونست".
"حسن نافي أفندي" إبن "محمد زكي أفندي" كانوا من عائلة "الشيخ علي پالو". والدته كانت "فاقدة" وهي إبنة الشيخ سعيد. لذلك كان أهالي قرية "تونست" يكنون له كل الاحترام. منحوه أرضاً في أحسن بقعة من القرية، وبنوا له منزلاً من طابقين على تلك الأرض وزرعوا حديقة خلف وأمام المنزل. زرعوا

الكثير من أشجار التفاح والمشمش والكرز والدراق في حديقته. حين أصبح "محمد زكي أفندي" في عمر التاسعة عشرة، كانوا قد زوجوه بـــ"فاطمة" إبنة "علي رضا أفندي". وخلفوا من زواجهم ذاك إبناً أسموه "فيض الله. لكن "فاطمة" لم تعش طويلاً وتوفيت إثر مرض. حين بقي "محمد زكي أفندي" مع إبنه الصغير لوحده في البيت، قام بتزويجه من "فاطمة" إبنة "أمينة" وابنة أخ "الشيخ شريف".

إثر العفو الذي أصدرته الدولة التركية في عام 1928، عاد "ككىَ" (وكان القرويون ينادونه بـــ ككىَ سوافى) من "بنخَت- سوريا". حين عاد من سوريا، كان قد جلب معه جهاز راديو كبير مصنوع من خشب الجوز. كان أهالي القرية يقولون عن ذلك الراديو، إنه صندوق، ولكنه يتكلم. كان "ككىَ" لا يسمح لأي كان بالاقتراب من الراديو. ينظفه ويغلفه بقماشة نظيفة كي لا يتوسخ.

حين حلول العصر، يزيح القماشة عن الراديو، ويضع الراديو في نافذة البيت. ينظر إلى ساعته كي يتأكد من حلول الوقت. كانت الإذاعة الكردية في "يريفان" تبث برامجها باللغة الكردية، وتبث الأغاني الكردية. كان الأهالي يخرجون إلى أسطح منازلهم كي يسمعوا صوت "مريم خان، محمد عارف جزيري، كاويس آغا" المنبعث من صندوق"ككىَ". كانوا يستمعون بشغف وصمت إلى تلك الأصوات.

تزوج "ككىَ سوافي" من "حليمة" إبنة "شريف آغا". وزوّج أخته "فاطمة" بـــ "علي قوب" وكان إسم ابنتهم "سيران". أما "حاجي" حين عاد من سوريا، فقد تزوج من " عائشة" إبنة "ايبى عرب". و"محمود بدوره تزوج من فتاة اسمها "ليل".

كان "سليمان" الذي ترعرع في منزل "عباس" مع أخته "بيريفان" قد كبر وتزوج من "طيبة" إبنة "عيسى" الذي فكر في أمر تزويجها وفارق السن بين الإثنين، فقد كانت "طيبة" في سن التاسعة عشرة، أما هو في عمر السادسة عشرة، لكنه كان طويل القامة والعمر الأكبر من سنه بادياُ عليه.

كانت "طيبة" متوسطة القامة، ذكية وجميلة جداً. وكان جمالها هذا قد سلب لب "سليمان"، وبسبب فارق السن بينهما، كان يقول في نفسه إنها قد ترفضه. كان يخجل من مفاتحتها بالموضوع، وكان يسترق النظر إليها دائماً من بعيد.

كانت هناك بحيرة صغيرة في أسفل القرية يقولون لها بحيرة "خرتكان". في يوم من الأيام كان "سليمان" جالساً على صخرة بالقرب من البحيرة، سمع أصوات وقع أقدام على مقربة منه، كانت "طيبة" قادمة من القرية وتحمل في يدها زمبيلاً فيه ألبسة كي تقوم بغسلها في البحيرة.

بدون أن يشعر بنفسه، قام من مكانه وتوجه إليها، لم يكن يعرف ماذا سيفعل؟ حين رفعت "طيبة" رأسها ونظرت إليه، أخفض رأسه خجلاً وبدأ يلعب بأصابع يديه. كانت نبضات قلبه تنبض بقوة، كان يقول في نفسه: ماذا لو ذهبت إليها وحملت عنها الزمبيل؟ كلا، فهو لا يجرؤ على ذلك. اقتربت "طيبة" منه أكثر، وبدأ يحدق فيها مجدداً. التقت نظراتهما. بقيا على تلك الحالة لبرهة. وكأن "طيبة" تقول له بلغة العيون "ماذا تريد مني؟" أدارت ظهرها له وابتعدت.

سار بدوره وكإن قدماه لا تحملانه. لا يعلم إلى سيذهب. أخذ معه نظرات "طيبة"، تسلق التل في أعلى القرية، حيث يرى البحيرة من هناك. كانت "طيبة" تغسل الثياب هناك، وهو يستمتع بالنظر إليها.

إلى ذلك اليوم، لم يكن قد تحدث معها. لكنه منذ سنة يحبها ويعشقها، ولم يكن يبوح لأحد عن حبه لها. لكن "طيبة" كانت قد أدركت حب "سليمان" لها. كان يخجل أن يقول لها "أحبك"، لأن عادات القرية لا تسمح له بذلك. كلمات العيب، والذنب كانت تقف لهم بالمرصاد. لذلك، كان "سليمان" يكتفي بالنظر إليها من بعيد.

في ظهيرة إحدى الأيام، كان واقفاً على التل يسترق النظر إلى "طيبة" التي أنهت من غسيل الثياب

وحملت زمبيلها متوجهة إلى القرية. تبعها "سليمان" الذي لم يكن يفارق صورتها مخيلته بدون أن يقترب منها أو يتكلم معها.

عاد عصراً إلى البيت، ينهشه الجوع. جهزت له أخته "بيريفان" الطعام. تذوق بضعة لقم من طعامه وخرج مرة أخرى. فكر أن يبوح بما في قلبه لأخته، لكنه لم يفعل. لم يكن يريد أن يعرف أحد بقصته. كان يقول في نفسه: ماذا لو أعلنت حبي لها، وبعدها يرفضوا زواجي بها، حينها ماذا سأفعل؟

كان يتيماً، لا أحد له، كان من له شقيقتان وأخ من أبيه من الزوجة الأخرى. كان يعمل منذ الصباح الباكر في الأراضي، لكن صورة "طيبة" لم تكن تفارق مخيلته. والغريب في الأمر إنه لم يكن يفتح الموضوع معها أيضاً، فقد تجد حلاً بدورها إن فاتحها بالأمر. لكنه لم يقم بذلك أيضاً!

بقي وضع "سليمان" و"طيبة" على هذا الشكل.. بعد أيام أتاهم خبراً مشؤوماً من قرية "دوأشى"، حيث توفيت زوجة "حسن" التي كانت تربطها صلة "قرابة" مع "حليمة. خلّفت وراءها أربعة أطفال يتامى. وكان "حسن" قد أرسل بعض أقرباءه لطلب يد "طيبة" له.

لم يقُل أحداً أن "حسن" أكبر منها سناً، وإن إبنه في عمر "طيبة"، وكل ذلك لأن بيته يجب أن يكون فيه زوجة تربي له أولاده الصغار. أعطوه "طيبة" ولم يأبه أحدٌ بقلب "سليمان" الذي رضخ للأمر مكرهاً.

حين سمع "سليمان" ذلك الخبر، توقف في مكانه وكأن الشلل أصابه وتوقف دمه عن الجريان في جسده. حين ذهب إلى البيت، أغلق على نفسه الباب وبدأ يبكي بحرقة. أراد أن يساعده أحد ما في محنته هذه. توجه إلى الله، لكنه لم يتلق جواباً على طلبه. فكر للحظة باختطاف "طيبة" لكنهم كانوا قد أعلنوا خطبتها. كل الدروب وكل الأبواب كانت مقفلة في وجهه.

حين حل ضيوف العرس إلى القرية، كان "سليمان" قد لبس أجمل ثيابه ودخل في معمعة العرس. حسناً فعل حين لم يبح بحبه لـ"طيبة". لذلك، يستطيع الآن أن يقترب من بيتهم، فاقترابه من بيتها يشعره بسعادة جمة.

بقي ينظر مدة طويلة إلى الناس من حوله. لم يكن يريد أن يسمع صوت أي شيء. من يتحدث معه، لا يجيب إلا بكلمة: نعم! سمع أن بضعة نسوة والقليل من الرجال سوف يذهبون معها إلى قرية زوجها.

كان يود أن يذهب معهم إلى قرية "دوأشى" كي يبقى بالقرب منها. حتى لو توجهت إلى جهنم، فسيذهب معها. حين أركبوا العروسة على الفرس، لم يكد يشعر بنفسه إلا وأمسك برسن الفرس، وقال للرجل الذي يهيأ الفرس: "أنا سأذهب معها."

رد عليه الرجل بكلمة :"حسناً". حين رأى "سليمان" العروسة، كان يفرح في قلبه كاتماً غيظه. فرحاً بقربه منها، وكانت نبضات قلبه تُسمع خارج جسده من شدة فرحه بلقاءها. لكن بعد مرور الوقت، كان يحس بثقل شديد في كامل جسده. ساعد "سليمان" النسوة كي يضعوا العروسة على الفرس، وكانت المرة الأولى التي يلمس فيها جسد "طيبة" حيث لمست يداه رجليها حين ركبت على الفرس. بتلك الحالة من الهيجان والخجل، مسك بالرسن وبدأ يسير. كان "سليمان" يبكي في قلبه، يبكي صارخاً، لكن لا أحد يسمع صراخه. كان صوت في داخله يقول له:" إلى أين تأخذ هذه العروسة على ظهر هذا الفرس؟ أي رجل أنت؟ هل تعلم بما تفعله بنفسك؟ هذه الفتاة خي حبيبتك، وأنت تأخذ حبيبتك إلى رجل آخر!". سرعان ما يأتيه صوت آخر يقول له: "أنت مُجبر. لا حل أمامك. قدرك مكتوب هكذا. لا ضير، كن قريباً منها وابق على حبك لها." كان سليمان ينصت إلى الصوتين في داخله ويسير متثاقلاً.

لكنن هل كانت "طيبة" تدرك حبه لها؟ لم تكن تود الزواج بذلك الرجل، كانت تحس بشيء ما تجاه "سليمان" لا تدرك كنهه. كانت تود أن يبوح لها ولو بكلمة. لكن "سليمان" كان واقفاً بعيداً عنها وذهب.

ماذا ستفعل الآن؟ لقد زوجها والدها برجل آخر لا تعرفه البتة. كل ما تعلم عنه إنه رجل كبير في السن.

في تلك الجغرافيا، لا رأي لفتاة في سن التاسعة عشرة. كان قلبها، دينها، عرفها وعاداتها، أجنحتها، وعقلها أسيراً، ولا تعلم بذلك الأسر، وهي الطامة الكبرى، حين لا يُدرك الأسير بأسره.

وقف "سليمان" على مبعدة من "طيبة" قليلاً. كان أسير حبها، لكنه مقيد اليدين، أصبح كالصم والبكم واقفاً هناك. كانت "طيبة" أسيرة العادات والتقاليد، وهو أسير حبها. ينبض قلبه في قفص حديدي وكإنه يلفظ أنفاسه الأخيرة، لكن جسده كان يوجهه صوب نهر "مرادێ".

وصلوا إلى المعبر في النهر. قبل سنوات طويلة، كان والد "طيبة" واخته "وچێ" قد اجتازوا مع قطيعهم هذا النهر وتوجهوا صوب قرية "تونست". لم يقطع والديها علاقاتهم بالطرف الآخر من القرية، وأصبحت "طيبة" ضحية لتلك العلاقة.

حين عبروا النهر، ابتل جسد "سليمان" حتى ظهره. توقّف لبرهة وهو ماسك برسن الحصان. أراد أن ينظر إلى "طيبة"، لكن وجهها كان منقباً بالأسود. لم يراها، لكنها رأته. كانت معجبة بقامته ووجهه البهي ومنكبيه العريضين، وعيونه الخجلة.

بعد ان اجتازوا النهر، وصلوا إلى جرف قريب من الغابة. كان الرجال الذين معهم يسيرون ويتحدثون مع بعضهم البعض. إثنان منهم فقط كانا صامتين، وهما "سليمان" و "طيبة"، فمن المعيب أن تتحدث العروسة في عرفهم.

كان سليمان يمشي أمام وفد العروسة حزيناً، لا يود أن ينتهي هذا الطريق أبداً، أو إنه كان يود الموت في نهايته. انتابه الذعر حين فكر في فكرة الموت وقال في نفسه: "الموت، أينما يحل الموت، ينتهي الحب أيضاً." لكن، إن انتهى الطريق، هل كان سينتهي حبه أيضاً؟ كلا، فهو سيحب "طيبة" إلى الأبد. قد تصبح حبيبته زوجة لرجل آخر، لكنها ستبقى حبيبته. هل يستطيع أن يضع أياً كان حاجزاً أمام القلب؟ كلا! إذاً، لا أحد يستطيع الوقوف في وجه الحب. مع كل العقبات، والعرف والعادات التي يضعونها أمام الحب، إلا إنه سيترك قلبه لمن يحب.

وصلوا تخوم قرية "دوأشى" في الساعات الأخيرة من النهار. الشمس مالت فوق قمم جبل "شارك، وألقت قمة الجبل بظلاله على القرية وما حولها. نسمة هواء دافئة كانت تنبعث من الأجواء. جفت ثياب "سليمان" المبتلة. لكن، كلما يقترب الطريق من نهايته، كلما كان الضيق والحزن يشتد عليه.

بعد لحظات سوف يصلون إلى القرية، والنسوة سينزلون العروسة من على صهوة الحصان ويأخذونها إلى بيت ذلك الرجل. أما "سليمان" فسيعود وحيداً، سيبقى في عزلة عن كل شيء، فلن يعود ليله ليلاً ولا نهاره نهاراً. من الآن فصاعداً لن تنبعث الروائح العطرة من الورود، والبلابل ستتوقف عن التغريد. بدون "طيبة" لن يعود للحياة طعم ولا معنى.

يفقد الأمل كلما يقترب من المحطة الأخيرة. لا يعلم ماذا يفعل. قلة حيلته تلك وعدم معرفته أوصلته هو وحبيبته إلى بيت العريس. إنه المكان الأخير لانكسار آماله وأحاسيسه. كاد أن ينهار في مكانه، فتوجه صوب ظل شجرة كبيرة هناك واتكأ بظهره على جذعها. ظن الناس من حوله أن التعب قد نال منه، لذلك قال أحدهم: "اجلبوا لسليمان كأساً من الماء."

في رحلة العودة، كان سليمان يسير في مؤخرة الموكب. فهو بذلك يكون أقرب إلى حبيبته. كانت ملامح وجهها البهي، عيناها، خدودها الحمر، نظراتها الثاقبة، وأرجلها الصغيرة، لا تفارق مخيلته. كان يبتعد، ذابلاً، تختفي القرية عن الأنظار، وتختفي حبيبته فيها. لكن نظراتها كانت ما تزال ماثلة أمامه.

توقف قليلاً. كانت "طيبة" معه. مع إنه لم يلمس يديها حتى، إلا إنه يحبها منذ آلاف السنين. حتى لو

كانت بعيدة عنه، إلا أنه يحبها وسيظل على حبه لها. أحس براحة في داخله بعد ذلك، وقال :إذا، فإن حبي لها لن يموت أبداً. لقد أصبح الأمر شاقاً الآن، لقد دخل رجل آخر في حياتها. أصبحت الجبال، الطرق والانهار تفصل بيننا. إن كانت تصارحني بحبها، لما كانت هناك قوة على الأرض تستطيع إخماد نيران اللوعة في قلوبنا.

بعد أن عاد إلى القرية، بقي لأيام لا ينام. لا يأكل ولا يشرب. لا يتكلم مع أحد وبات متضايقاً من كل شيء حوله، من الأشجار، الحيوانات، الهواء، الأنهر، الشمس الساطعة. بات يرى كل شيء عبث في عبث. كان يؤنب نفسه على عزلته ووحدته تلك. كان يقول لنفسه: "لماذا لم أصارحها؟ لماذا لم أرسل أحداً من أقربائي كي يطلب لي يدها؟" بات كالمجانين في قيامه وقعوده.

كانت "زاهدة" أول من أحست فيه. منذ زمن وهي معجبة به تتابع تصرفاته، لكن "سليمان" لم يكن يعرها بالاً. كانت تراه مهموماً وتراقبه عن بعد. تراه في مكان خال خارج القرية، جالساً تحت ظل شجرة توت. اقتربت منه وقالت له:

"هل أنت مريض؟"

هب "سليمان" من مكانه متفاجئاً، وعاد إلى وعيه.

"كلا، صحتي جيدة."

لم تصدقه "زاهدة" وقالت له معاتبة:

"لماذا تتهرب مني؟"

فتح "سليمان" عينيه كالذي يستيقظ من نومه مذعوراً. كانت صورة "طيبة" ما تزال ماثلة أمام عينيه. إنها جميلة جداً. فاق من غفوته على إثر الجملة التي قالتها له "زاهدة". فقام من مكانه، لا يدري بماذا يجاوبها. بادرته "زاهدة" بجملة أخرى قلبت كيانه:

"أنظر حولك قليلاً كي ترى محبيك ومن ينشغلون بهمومك."

كان "سليمان" ما يزال مندهشاً ولا يجاوبها. أدارت "زاهدة" ظهرها له وذهبت مسرعة من عنده.

كأن "سليمان" فاق من حلم. يقول في نفسه: "صارحتني زاهدة وبكل وضوح بحبها لي" وكان سعيداً بذلك.

لم تقُل له"طيبة" أحبك البتة، لذلك كان يحس بجرح غائر في قلبه. كان دواءه فقط أن يتعلق بحب آخر. كانت "زاهدة" ستحل محل "طيبة" وبذلك ستُملأ الفراغ في داخله.

كانت "زاهدة" هنا، قريبة منه، وهي تحبه.

قام من مكانه، تملؤه أحاسيس أخرى. حين غادرت "طيبة" أحس وكإنه في عالم خال من كل شيء. لا يعلم إلى أين سيتوجه، فأتت "زاهدة" وقلبت أحاسيسه تلك بجملتين فقط. فتحت له أبواب عالم آخر، لذلك، بدأ يرى بصيص نور في نهاية نفقه المظلم ذاك.

حين عادإلى البيت، كان التفكير قد هدّه. يضع "زاهدة" في مكان "طيبة". لم يقبل بتلك المقارنة، فعيون "زاهدة" لا تشبهان عينا "طيبة". كانت إحداهن تقطع نياط القلب بنظراتها، أما الأخرى تنصحه. كانت ملامح "زاهدة" غير مألوفة لديه. لذلك كان سليمان يسترجع ملامح "طيبة" في مخيلته دائماً.

كان صراعه الداخلي هذا سيطول أمده، وبمرور الزمن، لا بد أن يحكم عقله، حينها، كان عليه أن يذهب إلى "زاهدة" ويخطفها إن قبلت بذلك، وحينها لن يقيم حفلة بالطبل والمزمار، والعواقب كانت ستكون وخيمة عليه.

بعد شهر، خبأ "طيبة" في قلبه، وتوجه إلى "زاهدة". رآها في مكان خارج القرية وقال لها: "أود أن

أتحدث معك. هل تستطيعين أن تأتي الليلة إلى شجرة التوت تلك؟" قبلت "زاهدة". تحدثت معه حديثاً مشوقاً جعلته يضحك بعض الشيء.

كان الليل في قرية "تونست" مختلفاً عن الليل في مكان آخر. كان القمر يسطع كالشمس ويسود الصمت كل مكان، لا يُسمع إلا نعيق البومة على الأشجار ونباح الكلاب من بعيد.

كانت ليلة من تلك الليالي، حين كان "سليمان" جالساً تحت شجرة التوت ينتظر قدوم "زاهدة"، وفور مجيئها كان سيعرض عليها أن يخطفها. إن قبلت بذلك، كانوا سيهربون سوية. ظهرت "زاهدة" من بعيد، تخطو خطواتها بثقة، وفور وصولها إليه مسك يدها وقال لها:

"هيا لنذهب!"

بدون أن تتفوه بكلمة، تبعته "زاهدة". حين انهوا الطريق المستقيم، وصلوا إلى وادٍ. مسكا بيدي بعضهما وركضا صوب ذلك الوادي، ثم جلسا للاستراحة في هضبة "دريَ آل" البعيدة عن القرية.

www.arsivakurdi.org

كانوا سيمدون سكة حديدية للقطار على حافة نهر "مرادێ" مقابل قرية "تونست". يُقال إن تلك السكة التي ستمتد حتى "پالو" ستنتهي قريباً. سيأتي شيء يسمونه القطار، يركبه المئات من الأشخاص، وهو عبارة عن ماكنة كبيرة كأفعى سوداء طويلة، أرجله من الحديد وسرعته أقوى من سرعة الحصان. من يقترب منه يصيبه الذعر من الصوت الذي يصدره. كان يشهق ويزفر كالحيوانات، يأكل الفحم حين يجوع، ويشرب الماء حين يعطش، وحين يتوقف يصدر صوتاً أشبه بالأزيز.

من رآى القطار، كان يصفه بهذا الشكل. أتوا بالكفار من أماكن بعيدة كي يمدوا له سكة. كان هؤلاء يقيسون كل الاتجاهات. لأجل مد سكة الحديد، كانت الحكومة في أنقرة ترفع شعارات جديدة من أجل قمع أية انتفاضة. ساقوا الرجال القادرين على العمل عنوة كي يعملوا في تمديد هذه السكة، ثم منحوهم القليل من المال وذلك كي يجعلوهم يبقون في العمل. كما إنهم فتحوا أنفاقاً مظلمة لعبور ذلك القطار.

كان "سليمان" من بين الرجال الذين أخذوهم عنوة إلى ذلك العمل. كان رجال قرية "تونست" يتوجهون في الصباح الباكر وهم يحملون زادهم متوجهين إلى ذلك العمل. كانوا يصلون إلى حافة نهر "مرادێ" بعد نصف ساعة من المسير، يحتازون المحطة التي كان يقال لها "زُقَر"، وبعدها بمائة متر يبدأون بالعمل الإجباري تحت أخمص بنادق الجنود. كانوا يحفرون نفقاً اسموه "هوسَل" بعد ثلاثمائة متر من ذلك المكان،. كانت مياه صافية رقراقة تنبع بالقرب من ذلك النفق.

لا يعلم أحد من القرويين سر تلك الماء. لكن البعض منهم كان يقول إنها تنبع من قمة جبل "شارك" وتصل إلى هنا.

كانوا سيحفرون نفقين بين محطة "زڤر" ومحطة "سوڤرن". والنفق الأخير كانوا سيحفرونه بدون أن يثقبوا الجبل. في تلك المنطقة، كانت السكة ستمتد حتى حافة نهر "مرادێ"، إن مدوا السكة في السهل فقط، لكان سيغلق من الثلوج وسيول الأمطار، لذلك بنوا أنفاقاً من الاسمنت والحجارة البيضاء فوق الطريق. كانوا يقولون إنهم سيفتحون النوافذ في تلك الأنفاق أيضاً، كانت تلك الأنفاق تشبه قطاراً أبيضاً من بعيد. حتى أن القرويون كانوا حين يتحدثون عن ذلك النفق يقولون عنه نفق بيت القطار. حين يهطل الثلج، يأتي القطار إلى ذلك البيت ويبقى فيه.

كان "سليمان" والقرويون الآخرون يعملون في ذلك النفق. يضربون ذلك الجبل بمعاولهم، يحملون الحجارة، وينفذون أوامر المعلمين. بذلك الشكل يقضون يومهم. كل يوم يزداد عدد العاملين في ذلك النفق. يحفرون الارض في مكان، ويحملون الحجارة على البغال وينصبون العواميد الحديدة في مكان آخر. على مسافة كيلومتر من نفق "هوسل" كانوا يحفرون الجبل. أحياناً يفجرون أشياء يقولون عنها الديناميت، ترتج الأرض بسببها، فيبتعدون عن المكان لحظة الانفجار.

بعد سنة، توضحت معالم السكة أمامهم. انتهوا من بناء محطة "زڤر"، ورفعوا جدران نفق "هوسل" ووضعوا حديد السكة في داخل النفق. كاد الطريق بين النفقين أن ينتهي. يحفرون الجبل من مكان، وتظهر فتحته في مكان آخر مطل على السهل. أما محطة"سوڤرن" التي كانت تبعد عنهم مسافة كيلومترين، فقد كان العمل فيه مستمراً.

كانت الطريق طويلة جداً، لا أحد يعلم إلى أين تمتد. كان يقول البعض إنها تمتد إلى قرية "دارا هێنێ"، ومن هناك تتجه صوب "كاله، وسالوخان وموش". حتى إنهم كانوا يقولون أن السكة ستمتد حتى بحيرة "وان" وستنتهي هناك.

غيرت سكة القطار الحياة الاجتماعية في القرية، حيث كسبوا النقود مقابل عملهم، وقبل العمل ذاك، لم يكن إلا القلة القليلة من القرويين يعرفون ما هي النقود، وحتى تلك الأثناء، لم يكن الغني غنياً بنقوده. كانوا يبيعون أغنامهم ودوابهم بالنقود، وكانوا يشترون بها الملح، الكاز والثياب فقط. عدا ذلك، لم تكن تلزمهم النقود.

كانت المرة الأولى لهم يبيعون فيها اللبن والسمنة والحليب مقابل النقود، كما إنهم كانوا يتقاضون أجراً زهيداً مقابل العمل في السكة. تعلم القرويون وتعرفوا على أشياء جديدة، وذلك لأن العمال الذي يعملون هناك كانوا يأتون من مناطق مختلفة، لذلك تعلموا من بعضهم أمور جديدة. بنوا صداقات جديدة. يلقون على بعضهم النكات ويقهقهون ضاحكين.

كان مبنى محطة "سوڤرن" مكوناً من ثلاثة طوابق. جدرانه صفراء وفيه نوافذ كبيرة، وسقفه من الاسمنت والحديد الصلب. لم يكن لها مثيل لا في "داكو" ولا في "سيون". كان القرويون يقولون أن سائق القطار سيسكن في هذه المحطة وكان القطار سيسير تحت أمرته، يقول له قف، فيقف. سر، يسير. هو فقط يعرف لغة ذلك القطار، وهو الوحيد الذي سيتحدث معه.

بعد الانتهاء من الطريق، كان "عبدالحميد أفندي" وأبناءه قد عادوا من "بنخَتێ". كان يُقال إنه استفاد من العفو الصادر وهي عودته الثانية إلى القرية. ولد في عام 1911، وهو ابن الشيخ "طاهر كلاخسي" ووالدته هي "پاپێ پولی". كان حتى عمر الرابعة عشرة يعيش في قرية "كلاخسی". في سنة 1925، رغم صغر سنه، إلا انه شارك في انتفاضة الشيخ سعيد، بعدها بقي لفترة في "بنخَت- سوريا"، وحين عاد إلى الوطن، رأى أن الانتفاضة ما تزال قائمة. حمل بندقيته وتوجه إلى جبل "شارك" مع رفاقه. لكن الدولة كانت تلاحقه دائماً.

كان جبل "شارك" مطلاً على مساحة واسعة، ينتهي من جهة الشمال بنهر "مرادێ"، ثم يمتد من "هێنێ" وحتى "پيران"، ويمتد من الغرب حتى "پالو"، ومن الشرق يصل بسلسلة جبال "دارا هێنی"، أما قرية "آكراغ" فقد كانت تقع على جهة "پالو".

كانت امرأة جميلة باسم "عائشة" تقيم في هذه القرية. تم نفي أخويها لإنهما كانا قد شاركا في انتفاضة الشيخ سعيد. تلك المرأة، لأنها بقيت لوحدها ولا سند لها، تزوجت من جندي من جنود الدولة. حين سمع الثوار بذلك، قتلوا زوجها، واصبحت أرملة وهي في مقتبل العمر. بحسب بعض الأقاويل، ان الذين لجأوا إلى الجبال أصبحوا قطاع طرق وأشقياء كما كانوا يقولون لهم. توجه "عبدالحميد أفندي" إلى قرية "آكراغ" وجلبها "عائشة" معه إلى جبل.

بقيت "عائشة" لسنوات في الجبال، ومع مرور الوقت، ظهرت الخيانة بينهم، والذين كانوا من الخاسرين، أصبحوا من المنتصرين.

في سنة 1932، توجه "عبدالحميد أفندي" وزوجته مرة أخرى إلى "بنخَت" واستقروا في حي "بشيرية" في مدينة القامشلي. هناك، خلفوا إبنين وهم "كمال فوزي" و "محمد سراج"، وارسلوهم إلى المدرسة التي كانوا يلقنونهم الدورس باللغتين الفرنسية والعربية. في سنة 1950 عادوا مجدداً بعد العفو الذي أصدره الحزب الديمقراطي.

لم يود الإقامة في قرية "كلاخسی" لأسباب غير معلومة. وقرر أن يبني لنفسه بيتاً بين قرية "تونست" وقرية "پولێ" مقابل محطة "سوڤرن".

كان "عمر قاسم" هو من منحه تلك الأرض، وهو من أقرباءه من جهة والدته. كان قد مرّت خمسة وعشرين سنة على الانتفاضة، لكن أهالي المنطقة، لم يكونوا قد نسيوا "عبدالحميد أفندي". فرحوا بعودته،

وبدأ أهالي القرى هناك ينقلون الحجارة ببغالهم كي يساعدوه في بناء بيته.
بعضـــهم نثروا التراب أمام بيته كي يجهزوا له حديقة للبيت. أما "عبدالحميد أفندي" فقد كان يشـــرف بدوره على العمل ولا يدعهم يضعوا الأشجار على هواهم، بل كان يجلب خيطاً ويمده، ثم يجلب المتر الذي جلبه معه من سوريا لقياس المسافات بين كل شجرة وأخرى. زرعوا انواع مختلفة من الأشجار. أشجار التفاح والدراق والمشمش والسفرجل والرمان باتت تزين حديقته.

صـــنع بعض النجارين في القرية زورقاً لعبور النهر أمام بيت "عبدالحميد أفندي". كان هذا الزورق يستطيع حمل عشرة أو خمسة عشرة شخصاً، إضافة إلى حصانين وبغل. كان سيسيّرون هذا الزروق بالمجاذيف. كانوا سيعبرون بواسطته النهر، وكان تأثير هذا الزورق على القرويين كتأثير القطار عليهم.

بحسب رواية بعض القرويين الذين شاهدوا ذلك، كان بعض القرويين سوف يتوجهون إلى الغابة لقطع الأخشاب. توجه في الصباح الباكر كل من "عارف" إبن "سعيد" و"أمين" إبن "عيسى" و"حليمة" إلى منزل "عبدالحميد أفندي"، وبحسب مخططهم، كان مجموعة من الشباب سيركبون البغال ويعبروا الطرف الآخر من النهر كي يقطعوا الأشجار. قطع الشباب الأشجار العامودية الطويلة. وبمساعدة الآخرين حملوا تلك العواميد على ظهور البغال وجلبوها إلى حافة النهر. هنا، فكوا الحبال حول تلك العواميد، وأرادوا أن يجتازوا النهر. قال الرجال الكبار في السن للشباب: "إبقوا هنا، نحن سنذهب لنصلي صلاة الظهر ونعود". الباقون عند النهر كانوا "أمين" و"سعيد عارف" و"سلى فات".

كانت نصـــف تلك العواميد في النهر. امتطى كل شـــاب منهم على ظهر عامود منهم يودون العبور إلى الطرف الآخر. كانوا يلعبون بتلك العواميد. لكن، بعض العواميد اتجهت إلى منطقة عميقة من النهر، وحاولوا قدر المستطاع جلبها. تمسك "أمين" بقوة بالعامود الذي هو على متنه. لكن جريان النهر كان أقوى منهم. استطاع كل من "سعيد" و"سلى فات" النجاة، لكن "امين" أخذه النهر، ولم يراه أحد من ذلك اليوم.

كان اليوم الأول من شهر رمضان، وكانت "حليمة" في الساعة الأخيرة قبل الإفطار تلم التوت لتصنع منه الدبس. عاد كل من ذهب لبناء بيت "عبدالحميد أفندي" وحين رأت أن ابنها "أمين" ليس بينهم، سألتهم عنه. حين قالوا لها ما جرى معهم. أحســت أن حجارة تلك الأصــقاع كلها تنهمر فوق رأســها. كان الكُرد الزازا يطلقون اســم "ڤيير" على ذلك المعبر في النهر. كان ذلك المعبر شـــاهداً على الكثير من الأحداث. شاهداً على لجوء "عيسى" وأخواته إلى القرية، شاهداً على هجرة المشاركين في الانتفاضة، شاهداً على ذهاب "طيبة" إلى قرية "دوأشي"، وشاهداً على رحيل "أمين" أيضاً.

بعد مرور ســـنة على زواج "طيبة" مات زوجها "حســـن". وبعد مرور أربعين يوماً حســـب العرف والعادات، عادت إلى بيت والديها. فرح "ســـليمان" بذلك النبأ أيما فرح. لا يدري هل هو ســـعيد بموت "حسن" أم بعودة "طيبة" إلى القرية!؟

كان يعلم شيئاً واحداً فقط، وهو إنه منذ سنة قد ألقى التراب على النار المتأججة في داخله، وحين سمع بموت "حسن" قامت رياح عاتية وألقت بذلك التراب من على تلك النار وألقتها بعيداً، وبدأت النار تستعر مرة أخرى في داخله.

كانت قد مرّت سنة على زواجه بـــــ"زاهدة" وكانت حياته معها لا بأس بها، وقد خلّف بنتاً منها. أخته "بيريفان" كانت قد تزوجت من "حســێ ليلێ" من قرية "گوازركێ". أما والدته "زينب" فقد توفيت، وزوجها "عباس" كان قد توجه بالقطار إلى "الأزيز" بعد مد سكة الحديد ومن هناك ذهب إلى "أضـنة"، وبحسب ما سمع عنه إنه قد استقر في قرية "كرمتى" عند ميناء "جيهان" وأصبح يعمل لدى شخص اسمه "أدهم آغا" وبعد مدة عاد إلى القرية وأخذ ابنيه "كلش" و"رمضان" معه إلى هناك وترك أراضيه وأملاكه في عهدة "سليمان".

بعد عودة "طيبة" إلى القرية، لم يهدأ لـــــ"سليمان" بالاً. كان ينظر إليها من بعيد. بات مشوشاً لإنه لا يعرف كيف سيتصرف. تذكر كل رجال القرية، وفكر في الأمر، ولم يعثر على شخص تزوج بامرأتين في نفس القرية.

لكن حب "طيبة" سلب لبه. كان محتاراً. العرف والعادات تقول له أن يبقى على زوجته وابنته. أراد أن يتشاور مع أحد ما. كانت هناك صديقة لـــــ"طيبة" واسمها "كوێ". ذهب إليها وسرد لها معاناته. حين سمعت هذه قصة "سليمان"، فرحت بالأمر وقالت له: "استطيع إقناع طيبة أذا أردت." حين فتحت "كوێ" الموضوع مع "طيبة"، بدأت اللقاءات بينهما. لم تكن "زاهدة" تعلم بالأمر. في مدة قصيرة، أقنعته "كوێ" كي يخطف "طيبة". حين خطفها، كان عمره ثمانية عشرة عاماً وعمر "طيبة" إحدى وعشرين عاماً.

جلبها "سليمان" إلى بيت "زاهدة" التي رضخت للأمر، فهي وحيدة ولا أحد لها أيضاً. رضخت لقدرها وقبلت الأمر. لكن "كوێ" و "طيبة" لم يهدأ لهن بال. منذ اليوم الأول بدأوا بحَبك الأحابيل. كانت "كوێ" تعرف "سليمان" جيداً. فهو إنسان صاف، لا يتوقف على الكثير من الأمور. يصدق الأمور بسرعة ويقرر بسرعة. لا يعرف منطقة وسطى بين الأسود والأبيض ولا يعلم بالفتن والأحابيل. أما "كوێ" فكانت ماهرة في حياكة هذه الأمور.

كانت عادات قرية "تونست" لا تسمح لأحد أن يطلق زوجته بدون سبب أو ذنب. كانت هناك قوانين لا تسمح للرجل أن يطرد زوجته من بيتها أو يقول أنه لا يريد هذه الزوجة، وكانت كل من "طيبة" و"كوێ" تعلمان بكل هذه القوانين.

حين كانت "كوێ" تخطط لما ستفعله. مرض "عيســى" والد "طيبة" وبدأوا بالانهماك في مرضـــه. لم يكن يعلم أحد من القرويين بمرض "عيســـى" وذلك لعدم وجود أطباء في القرية. توجهوا إلى الملالي كي يكتبوا له الرقي ولم يتركوا عشبة إلا وجلبوها له. كان "عيسى" يصيبه الضعف والهزول يوماً بعد يوم. كانت "وچێ" تبكي عليه بمرارة وتنادي "يا أخي.. يا أخي" وتضرب يدها على صدرها. فما زال جرح "أمين" غائراً في قلبها.

كانت "وچێ" قد ناهزت الخامســـة والأربعين من عمرها. كانت التجاعيد قد غزت وجنتيها وعيناها

غائرتين وباتت لا تستطيع المسير على رجل واحدة، وذلك بسبب الفقر المدقع الذي كانت تعيش فيه. لم يحالفها القدر بالزواج، وكانت دائماً ما تشتم رجلها المشلولة.

الآن، تركها أخاها "عيسى" لوحدها. كان الزمن قد حفر آثاره عليها وباءت يائسة من كل ما حولها. لن تنسى ذلك الألم، حين رأت إخوتها الذين وضعوا الحبال في رقابهم وساقوهم، والآن فقدت الخيط الوحيد الذي يربطها بهذه الحياة، بدأت تفقد قوتها رويداً رويداً، وبعد فترة قصيرة أسلمت الروح أيضاً ودفنوها بالقرب من قبر أخيها.

لأن "زينب" إبنة "عيسى" كانت متزوجة من "علي عيسى"، وبقيت "حليمة" لوحدها في البيت مع ابنتها "نازێ". لم يبق لديهم أحد يهتم بدوابهم. أما "كوێ"و"طيبة" فكانتا منهمكتين بحياكة الأحابيل لطرد "زاهدة" من بيتها.

في ذلك اليوم، كان "سليمان" قد توجه إلى "دارا هێنێ" لقضاء عمل هناك، ونام ليلة في بيت أحد معارفه هناك. في ظهيرة اليوم التالي عاد إلى البيت. رأى "طيبة" و"كوێ" جالستان في البيت. فقالوا له: "نريد أن نتحدث معك." لم تكن "زاهدة تعلم بأي شيء، كانت تنيّم ابنتها في الغرفة الأخرى.

بدأت "كوێ" بالتمهيد للموضوع، ثم قالت له: "على زاهدة ألا تبقى في هذا البيت." لم يعرف "سليمان" ماذا تقصد "كوێ" بكلامها هذا. فقال لها: "ماذا تقولين؟" جاوبته "كوێ" قائلة له: "علينا أن نسرد لك ما رأيناه البارحة. البارحة في وقت متأخر من الليل رأينا أنا وطيبة "زلفي كالاجان" لابساً سروالاً أبيضاً بين بستانكم. ونحن متأكدتين إنه كان خارجاً من غرفة زاهدة!" أكدت له "طيبة" أيضاً كلامها. ارتعد "سليمان" الذي يصدق بسهولة كل معلومة. احمرّت عيناه وبدأ يصرخ على "زاهدة" ويشتمها. تركت "زاهدة" ابنتها في مهدها وأتت إليه. حين هاجمها "سليمان" بالكاد أوصلت نفسها إلى الحوش هاربة منه. كان "سليمان" يهجم عليها ومقبض الرفش في يده. قال لها ثلاثة مرات" أنتي طالق." بحسب عرف وعاداتهم، أن من يكرر ثلاثة مرات هذه الجملة لزوجته ويسمعه شخصان وهو يقولها، تصبح زوجته مطلقة منه.

بصعوبة بالغة أنقذت نفسها من هجومه عليها ولجأت راكضة إلى منزل "صبري آغا" وهو من أقارب "سليمان". وكأن عار العالم كله بات على كاهلها. لقد لفقوا بحقها كذبة كبيرة في هذه القرية الصغيرة. أصبحت كالصماء، لا تستطيع الدفاع عن نفسها حتى. بقيت مدة طويلة لا تتحدث مع أحد، بعدها بدأت تحلف وتقسم لهم. لكن لا أحد كان يصدقها.

حين كانت تحدث مثل هذه الإشكالات في القرى، كان كبار القرية يقولون لأصحابها تكتموا عن الموضوع واطفأوه. علم جميع القرويين بطلاقها من "سليمان". لكن لا أحد يعلم السبب سوى "طيبة" و "كوێ" و "زاهدة". كانت "زاهدة" وحيدة، لا أحد لها في القرية. كيف ستربي ابنتها وكيف سيدبرون أمور معيشتهم؟ كان بيتها لا يبعد عن بيت "طيبة" سوى بضعة خطوات. باتت حاقدة على كل شيء من حولها، لا تتحمل أحداً، تضع يديها على أذنيها حين تبكي ابنتها كي لا تسمع بكاءها.

بعد ستة أشهر، تزوجت من رجل آخر. بعدها علمت أن ابنتها ماتت. البعض قالوا أن "طيبة" أطعمتها الدبس المغلي، وبذلك حرقت معدتها. لم تكن "زاهدة" تعلم ماذا ستفعل!. قالت لمعارفها: "سوف أقابل سليمان وزاهدة في الدنيا الآخرة.

نفذ كلاً من "كوێ" و"طيبة" الخطة على أكمل وجه، وطُردت "زاهدة" من بيتها زوجها. بعد أيام، انتقل "سليمان" و "طيبة" إلى منزل "حليمة".

بقي "سليمان" منهمكاً في أمور زراعة وفلاحة أراضيه وأراضي زوج أمه. إضافة إلى أنه كان عليه الاعتناء بدواب "عيسى".

كان لزوج والدته أراض كثيرة، وعليه تأمين العلف للدواب وتسيير أمور فلاحة وزراعة كل تلك الأراضي التي باتت على عاتقه. بعد سنة من زواجه بـ"طيبة" اتاهم طفل وأسموه "طاهر" لكن لم يكمل ابنهم سنته الثانية وتوفي إثرمرض ألمّ به.

كان "سليمان" جالساً في عزاء إبنه حين أتى أحد الجندرمة من مخفر "موسيان" وسلمه ورقة. استغرب من الأمر. فهو لا يجيد اللغة التركية. كان مختار القرية "علي مهاجر" زوج خالته "منوش"، ولا أحد غيره في القرية يجيد القراءة والكتابة بها. توجه "سليمان" والورقة في يده إلى بيت "علي مهاجر"، فقرأ له هذا تلك الورقة وقال له أن عليه التوجه إلى المقر العسكري في "داراهێنێ" في التاريخ والزمان المحددين في الورقة تلك.

كان قلقاً من مسألة العسكرية. بحسب ما سمع من حوله، أن لا أحد هناك يجيد اللغة الكردية الزازاكية، وحتى إن كانوا يعرفونها، فهي ممنوعة هناك.

لم يكن يعرف أحداً هناك. ماذا سيفعل وهو لا يجيد التركية ولا يعرف أحداً أيضاً؟

وعده "علي مهاجر" كي يذهب معه حتى مخفر "داراهێنێ". عاد حزيناً إلى بيته وقال لـ"طيبة" ما جرى معه. لا حل أمامه إلا أن جهّز نفسه وتوجه مع "علي مهاجر" إلى مخفر "داراهێنێ".

كان عليه أن يزور أخته "بيريفان" التي يحبها كثيراً. "بيريفان" التي أصبح المغنون يؤلفون الأغاني الزازاكية عن جمالها وشعرها الأسود. تزوجت أخته قبل سنة من "حسين ليلێ" في قرية "سَرسوت". هذه القرية التي قتل فيها جده "شمدين آغا" تحت شجرة البلوط. كانت هذه القرية تقع على طريق قرية "داراهێنێ". كان عليه أن ينام ليلة عند أخته وفي اليوم التالي يتوجه إلى المخفر.

حين خرج من البيت، بكت عليه ثلاثة نساء، وهن "طيبة" و حماته "حليمة" واخت زوجته "نازێ". كل القرويون كانوا واقفين أمام بيوتهم، يدعون له بالخير، وسار معهم الكثيرون حتى نبع القرية.

لقاء "سليمان" مع أخته "بيريفان" في قرية "سرسوت" لقاء لا يُنتسى. حين سمعت أخته إنهم سيسوقونه إلى العسكرية، ارتمت في حضنه وبدأت بالصراخ، وقع إيشاربها من رأسها وطهر شعرها المنسدل حتى وركها. اصفرّ وجهها والدموع تنهمر من عينيها، كانت حواجبها طويلة وكأنها مخططة بالقلم، وشفاهها بضة وخدودها كأن نبع الحياة ينبع منهما. أحست على نفسها لبرهة أن "علي مهاجر" واقف هناك، فجلبت لهم الكراسي. حين جلسا، اقتربت قطة منها وجلست عند رجليها، ثم أغلقت عينيها. دخل زوجها "حسين" عليهم. كان "حسين" رجلاً طويل القامة، فارع الطول ونحيف الجسد. خرجت "بيريفان" من الغرفة، حين رحّب زوجها بالضيوف. كان "حسين" هذا من الرجال الذين إن رأيتهم لأول مرة، تحس باحترامهم وتقديرهم. كان يصغي لحديث من أمامه ولا يقاطعه. كما إنه كان عازفاً ماهراً على الناي، لا أحد يضاهيه في كل قرية "داكو" سوى "درويش التونستي".

كان "درويش" يعيش في قرية "سليمان". تعلم الناي بنفسه، ولم يكن يجيد القراءة والكتابة ولا يعلم ما هي النوطة الموسيقية البتة. لا أحد يعلم من أين أتت موهبته تلك. منذ صغره، تعلم منه "سليمان" النفخ في الناي. وكان العازف الثالث على الناي بعد "حسين" و "درويش". أحياناً كثيرة ما كانوا يتنافسون على من يجيد العزف أكثر، لكن لم يكن أياً منهم يضاهي "درويش".

في تلك الليلة، حمل "حسين" نايه المعلقة على الجدار والمصنوعة من شجر التوت، وجلس على الكرسي الخشبي، وبدأ يعزف لرحيل "سليمان" كل المقامات الحزينة. هو بعزفه واخته "بيريفان" بدموعها.

كان "حسين" عاشقاً لـ"بيريفان"، ويحب "سليمان" أيضاً. يعزف معزوفة الحب والرحيل سوية. حين

رأى "سليمان" مهموماً، ناوله الناي وقال له:
" خذ واعزف قليلاً. سترتاح."

حمل "سليمان" الناي، وبدأ يعزف لأخته، ليُتمه، لوحدته، لفقره، لكل المآسي والويلات التي لاقاها في حياته. في نهاية العزف، بدأ يعزف أغنية "بيريفانێ" التي يحبها كثيراً، قام ووضع الناي على طرف.

غادروا قرية "سرسوت" في الصباح الباكر، ووصلوا إلى القاعدة العسكرية ظهراً. فور دخلوهم، تلقفهم الحرس، فقال لهم "علي مهاجر" إن هناك عسكري مطلوب معه وقادم كي يلتحق بالجيش.

بعد فترة، فصلوهم عن بعضهم. عاد "علي مهاجر" إلى القرية، أما "سليمان"، فأخذوه إلى مبنى لا يعلم هو ما في داخله.

انتظر كثيراً في ممر ذلك المبنى. لم يكن يفهم ما يجري حوله وما يقولون لبعضهم، لأن جميع من هناك لا يعرفون اللهجة الزازاكية. بدأ ينظر حوله عسى يجد أحداً يعرفه. أتى ذلك الجندي ومسكه من كتفه وأدخله إلى غرفة. حين دخل، رأى شاباً نحيفاً فارع الطول واقفاً هناك. حين خرج الجندي الحارس، توجه ذلك الشاب إلى "سليمان" وقال له باللهجة الزازاكية: "من أين أنت؟"

ابتسم "سليمان" وجاوبه: "أنا من قرية تونست، إسمي سليم، لكنهم ينادونني بسليمان. الآن أتيت إلى هنا كي يسوقونني إلى الجيش.

قال له الشاب:

"أنا إسمي علي، من قرية "كرّانێ"، وأنا أيضاً معروف باسم علي گارو، وأنا أيضاً أتيت للالتحاق بالجيش."

فرح "سليمان" كثيراً به، وبدأ يسأله سؤالاً تلو الآخر. كان "علي" يجيد بعض الكلمات التركية، وقال إنه تعلمها من حانوتي في قرية "داراهێنێ". كانوا في غمرة حديثهم، حتى دخل شاب آخر إلى الغرفة، كان اسمه "نظام الدين" كان من البلدة التي أسموها حديثاً بـــ"بينغول". كان يجيد التركية بطلاقة. بدأت صداقة الشبان الثلاثة من هنا. هذه الصداقة التي ستستمر لعشرات السنين.

عند المساء، أخذوا ثلاثتهم إلى محطة القطار بعد ان سلّموا أوراقهم الثبوتية لـ"نظام الدين"، ثم أركبوهم في القطار. كان "نظام الدين" يقول لهم إنهم سوف يذهبون "سييرت". لكن "سليمان" و"علي" كان يلفظونها "سێرتێ"، لا يعلمون أن تقع هذه المنطقة وكم هي تبعد عنهم! بدأ "نظام الدين" يشرح لهم:

"سنذهب إلى (خارپێت) وهناك سوف نغير القطار ونركب قطاراً آخر متوجهاً إلى (دياربكر) ومن هناك سوف نتوجه بالقطار إلى "مسرج"، ومن هناك، سوف نكمل طريقنا سيراً على الأقدام."

كان في القطار الكثير ممن يسوقونهم إلى الجيش. كانت العربات مليئة بهم. تعرفوا على الكثيرين فيها، لكنهم انفصلوا عن بعضهم في كل محطة يصلها القطار. كان "نظام الدين" يقول: "إن طريقنا سهلة حتى الوصول إلى (مسرج) لكن هناك أمامنا مسير ثمانية ساعات مشياً."

كان "سليمان" يرد عليه:

"سنسير تسعة ساعات، لا حل آخر أمامنا."

بعد سفر يومين، وصلوا إلى "سيرت". كان المكان الذي سيذهبون إليه مكتوباً في الأوراق التي سلموها لـــ"نظام الدين". سألوا من حولهم حتى وصلوا إلى المكان المزمع. كان ثمانية عشر شاباً قد سلموا أنفسهم. بداية سجلوا أسمائهم في غرفة. لأن "سليمان" لم يكن يفهم ولو كلمة واحدة من التركية، لذلك كان ينظر دائماً إلى "نظام الدين". حين أتى الدور عليه، سأله الضابط الذي يسجل الأسماء باللغة التركية:

"قُل لي إسمك، وكنيتك، ومواليدك." نظر "سليمان إلى "نظام الدين"، فتدخل هذا وقال: "لا يعرف

الترمكية يا سيدي." صرخ الضابط فيه وقال: "إن كان لا يعرف عليك أن تعلمه." أنتهى من تسجيل إسمه بمساعدة "نظام الدين". بعدها أخذوهم كمجموعة وسلموهم إلى الجاويش[6] الذي ساقهم بالمسبات والركلات أمامه حتى الطابق السفلي. صفوهم في صف واحد في الممر، ومن يخرج من الصف، يضربه الجاويش بالعصا ويقول لهم:

"أيها الداعرون، إنتهت حياتكم المدنية هنا، وبدأت خدمتكم للوطن الآن. من يُخطئ سوف أنكح أمه وزوجته.. هل فهمتم؟" من كان يفهم التركية، احمر وجههم خجلاً، أما "سليمان" فكان يعلم أن الجاويش غاضب من شيء ما.

بعد حفلة المسبات والشتائم، ادخلوهم واحداً واحداً إلى غرفة. كان في تلك الغرفة جندي يحمل ماكينة حلاقة في يده، وبدأ يحلق شعر رؤوسهم كالأغنام بتلك الماكينة. من ينتهي من حلاقة الشعر، يركض ويأتي آخر مكانه.

حين انتهوا من آخر رأس، صاح فيهم الجاويش بصوت عال:

"انزعوا كل ثيابكم عنكم، حتى سروالكم الداخلي أيضاً."

من كان يعرف التركية، نزع ثيابه، ومن لا يعرف، كان ينظر إلى رفاقه ويبدأ هو أيضاً بنزع ثيابه. بقي "سليمان" وبضعة آخرون واقفون لا يودون أن ينزعوا عن أنفسهم السراويل، لأنهم لم يكونوا يلبسون الكيلوتات عندهم، بل يكتفون بالسروايل. فهم الجاويش ذلك وهجم عليهم يضربهم بالعصي. دخل جنديين آخرين إلى الممر، وجعلوهم ينبطحون على بطونهم ونزعوا عنهم سراويلهم غصباً عنهم. صفّوا العراة في صف واحد. كان وجه "سليمان" محمراً من الخجل، وحين أراد أن يضع يديه بين فخذيه، ضربوه بالعصا على يده. وبدأ أحد الجنود بتمزيق سراويلهم. لقّنهم الجاويش الدرس العسكري الأول، وهو أن يقفوا كالتماثيل أمامه وقال لهم:

"يا أبنائي، منذ الآن فصاعداً انتم جنود. الدولة هي من ستمنحكم الثياب، وستكون ثيابكم موحدة."

حين قال ذلك، دخل مجموعة من الجند وفي أياديهم ثياب عسكرية بألوان ترابية إلى الغرفة، بعدها جلبوا بهم جزمات عسكرية أيضاً. قال أحد الجنود للجاويش:

"توجد ثياب داخلية وجوارب أيضاً يا سيدي."

صاح فيهم الجاويش قائلاً:

"العاهرين الذين يرتدون الكيلوت عليهم أن ينزعوه أيضاً. عليكم أن تكونوا عراة كرفاقكم. لماذا تخجلون كالنساء؟ أيها العاهرين، لا يوجد في العسكري شيء إسمه الخجل أو الشرف." بعد أمره هذا، من كانوا يلبسون الكيلوتات نزعوها، والذين يخجلون ويتململون، تأتيه العصي من حيث لا يدري.

توقف الجاويش بشكل مفاجئ وقال لهم:

"تفوح منكم رائحة نتنة أيها العاهرون. لا تستطيعون ان تلبسوا هذه الثياب وهذه الرائحة تفوح منكم. عودا إلى اليمين."

حين أمرهم الجاويش بذلك، عاد ثلاثة منهم إلى الصف الخلف، أما البقية الذين كانوا لا يفهمون التركية، فقد كان الضرب بالعصي من نصيبهم، وهكذا، كل من لا يفهم، يتلقى العصي.

كان هناك باب أمامهم، ساروا صوبه، بعد ان فتحوا الباب، كانت الغرفة عبارة عن صالة واسعة. أمرهم الجاويش:

---

6 . جاويش: رتبة عسكرية في الجيش التركي وبين الجندرمة، تقابلها رتبة المساعد في اللغة العربية.. المترجم

"انبطحوا هنا." لم يكن "سليمان" يفهم شيئاً، وكان يتساءل بينه وبين نفسه، هل العسكرية ستكون هكذا؟ بدأوا برش الماء عليهم بالخراطيم، بعدها أخرجوهم منتلك الصالة بصف نظامي. ثم ناولوهم الثياب العسكرية بعد أن وقعوهم على وصول لاستلام تلك الثياب.

بجزمات عسكرية سوداء، وقبعات عسكرية، أخذوهم إلى المهاجع المبنية من ثلاثة طوابق، وبدأوا يفرزونهم إلى الطوابق. ثم ألقوا عليهم التعليمات العسكرية في المهاجع، ومن لم ينفذ تلك التعليمات سوف يتعرض لأقسى العقوبات. ومن يتحدث باللغة الكردية سوف يحرقونهم. بعد ان فهم "سليمان" ما يقولونه من خلال "نظام الدين" كان عليه أن يبقى صامتاً لا يتكلم، فهو يتحدث بالزازاكية، وهي ممنوعة هنا.

جافاه النوم حتى الصباح. كان يتقلب على فراشه، وفي الصباح الباكر، فتح الجنود باب المهجع وقالوا:

"هيا إلى الاجتماع أيها الأوباش." فلبسوا ثيابهم وجزماتهم بسرعة وخرجوا. وقفوا في صف واحد في الساحة. قال لهم المدرب: "استرح." كان الكثيرون لا يفهون معنى هذه الكلمة. ثم قال :"استعد." ولم يتحرك أحداً منهم. بدأ يضرب بالعصا بكل قوة على رؤوسهم وقال لهم: "اتبعوني، انا أعرف كيف سأتصرف معكم." تقدمهم في المسير حتى وصلوا على ساحة مستوية.

ثمانية عشرة جندياً وقفوا في صفين هناك. دخل المدرب بين الصفين وقال لهم: "اسمعوني جيداً، إن أردتم ألا أعاقبكم، نفذوا ما أقوله لكم وتعلموا كيف تنفذون أوامري. نفذوا ما اقوم به." كان الجميع ينظرون إليه.

قال: "استرح." أبعد رجله اليمنى عن رجله اليسرى. قلّد الجميع حركاته. إذاً هذه هي "استرح؟". ثم قال: "استعد." وأعاد رجله إلى مكانها، وقلّدوه في هذه الحركة أيضاً. ثم قال: "حسناً، لكن لا يجوز بهذا الشكل، عليكم أن تفتحوا أرجلكم وتضمونها إلى بعضها كلكم مع بعضكم البعض وبنفس الحركات."

في اليوم الأول، تعلموا ساعتين على هذه الأمر العسكري بالركلات والكفوف. جربوا هذه الحركات. كان نصيب "سليمان" من الضرب وافراً. لأنه لم يكن يعلم الفرق بين كلمتي استرح واستعد. قد يكون هناك فارقاً بينهم، لكنه لا يعلمه. حين يقولون له "استرح" كان يضم رجليه وبالعكس. كان "سليمان" قد فهم الأمر، لكنه لم يعرف متى ينفذه. كان يتعرض للضرب المبرح لأنه لا يعرف لغتهم.

كانت دورة الأغرار ستة أشهر. كان هذه الدورة صعبة عليه، ويتعرض يومياً للضرب لأنه لا يفهم عليهم. أما الذين يعرفون التركية، فكانوا يتعرضون لضرب أقل، والضرب الذي يتلقونه كان لأنهم يفهمون شتائمهم، لذلك كانوا يتذمرون من تنفيذ الأوامر. الشيء الحسن في الموضوع أن "سليمان" لم يكن يفهم تلك المسبات التي يطلقونها بحقهم.

حين انتهت دورة الأغرار، طلبه قائد اللواء وقال له: "سأجعلك سائساً على خيولي." فهم "سليمان" كلمة سائس، لكنه لم يفهم كلمة الخيل منه. ضحك قائد اللواء ومسك بيده وأشار إلى الخيول أمامه. لأن "سليمان" لم يفهم مرة أخرى ما قاله، بدأ قائد اللواء يقلد صهيل الخيل له، حينها فهم عليه وأحنى رأسه لقائد اللواء في إشارة لقبوله بالأمر. حين رأى قائد اللواء أن "سليمان" تعلم بصعوبة بالغة الأوامر العسكرية البسيطة، قرر أن يأخذه إلى بيته. عرّفه على زوجته. كانت زوجته امرأة شقراء ناعمة. كانت جميلة جداً وصغيرة في السن مقارنة مع قائد اللواء. قالت المرأة إنها أحبت "سليمان" باللغة التركية التي لا يفهمها.

لا يدري "سليمان" ماذا قالت المرأة لزوجها، لكنهم تناولوا الطعام سوية. كان يتوقع إنهم يتحدثون عنه حين تناولهم للطعام. لكنه لم يكن يفهم شيئاً. بعد الطعام، صاح قائد اللواء على سائس خيله الذي سيتم تسريحه قريباً وأخذوا "سليمان" إلى اسطبل الخيول.

كان السائس القديم يعرف "نظام الدين" جيداً، لذلك قاموا باستدعاءه أيضاً ليقوم بالترجمة بين "سليمان"

وبين السائس القديم، وذلك لأن تربية الخيول تتطلب معرفة تامة عليه أن يلقن هذه المعرفة لـ"سليمان. كان يشـرح له قائلاً:" عليك أن تعلم أن الخيول يشـتمون الرائحة وتنبعث منهم أيضـاً من خلال جلودهم." كان على "نظام الدين" أن يشرح هذه الأمور البيولوجية لـــ"سليمان" الذي لم يتلقى التعليم في المدارس. كان "سليمان" يعتقد أن الحيوانات كما البشر، تشم الروائح وتتذوقها من خلال أفواههم وأنوفهم. أكمل السائس كلامه وقال: "الأمر الثاني الذي عليك أن تعلمه هو أن تحافظ على حرارة جسـد الحيوان، وعليك أن تزيح عنه الأشياء التي تبعث الحرارة في جسده." ترجم "نظام الدين" هذه العبارة له أيضاً، لكنه لم يعلم إن كان فهم الموضـوع أم لا!؟ استمر السائس في الحديث وقال: "لذلك، علينا أن نعتني بنظافة جلد الخيول." حين لوح "سليمان" برأسه في إشارة إلى إنه فهم هذا الأمر، حينها بدأ السائس بالانتقال إلى موضوع ترويض الخيل وتدليكه وقال:

" إن التدليك يفيد الخيل كثيراً." وبدأ يشـرح له ذلك: "حين تدليك الخيل، إن رأيته لا يذعن لك، عليك أن تخاطبه بكلمات ناعمة وألفاظ رقيقة."بعد ان أنهى كلامه هذا، قال له "سـليمان": "أية كلمات سـأقولها له. هل يعرف هذا الحصان اللغة الزازاكية؟" حين ترجم "نظام الدين كلامه هذا. ضحك السائس وقال:

" إن الحصان يحس بحرارة كلماتك، وهو يعلم بك إن نطقت بكلمات ناعمة أو بكلمات قاسية."

وصل إلة أدوات التدليك والترويض وبدأ يريها واحدة واحدة لـ"سليمان":

"هذه فرشاة لشعره. بهذه سوف تمشط شعره وذيله. وهذه فرشاة للوبر. وهذه للتدليك. ستضع يديك في هذين القفازين وتمسح به جلد الحصـان وتنظفه به. ستنظف حوافره بهذه. هذا مشط. هذا سطل الماء. هذه مناشـف كي تجفف بها جلده. عليك أن تسـتعمل هذه الأدوات بطريقة صـحيحة. على أدواتك هذه أن تكون نظيفة دائماً. وعليك أن تنظفها في الأسبوع مرة واحدة على الأقل."

حين انهى السائس كلامه عن ترويض الخيول، أخذ "سليمان" إلى الاسطبل وعرّفه على الحصان قائلاً:

" بداية، عليك أن تتكلم معه حتى يتعرّف عليك. عليك أن تخاطبه بكلمات رقيقة وبأسلوب ناعم."

وضع "سليمان" يده على رقبة الحصان وقال له باللهجة الزازاكية عدة مرات "أنا أحبك كثيراً." قال له السائس: "الصوت أهم من التدليك، ثم رائحتك أيضاً مهمة له. ضع يدك أمام أنفه كي يشم رائحتك."

بعد أن نفذ "سليمان" ما طلبه منه السائس. قام السائس للمرة الأخيرة بتدليك الحصـان من رأسـه وحتى قوائمه، ثم خرجوا من الأسطبل.

إذاً، أصبح "سليمان" سائس خيل قائد اللواء. عدا ذلك، كان أمامه واجبين آخرين أولهما، أن يذهب إلى "عالي أوكلو" أي المدرســة لتعلم الكتابة والقراءة، وثانيهما أن يقوم بأعمال عائلة قائد اللواء ويجلب لهم مستلزماتهم من السوق.

بحســب ما يقوله "ســليمان" أن أهالي "ســيرت" معظمهم كان يتكلمون باللغة الكردية- الكرمانجية، والعربية. وكان هناك من يتكلم بالتركية أيضـــاً. لكنه لم يقابل أحداً يعرف الزازاكية. كان يلاقي صـــعوبة بالغة في السوق، لأنهم لم يكونوا يعرفون لغته. بعد الكثير من المعاناة، أوجدت صاحبة البيت "زليخة" حلاً لذلك، وهو أن تكتب لوازم البيت كلها على ورقة وتسـلمها له. حين أخذ "سـليمان" قائمة اللوازم المكتوبة على الورقة، فهم عليه أصحاب الدكاكين وباتوا يعطونه ما يريد.

في المرة الأولى التي رأته فيها "زليخة" انشـــرح صـــدرها له. حركاته الخجلة كفتاة جميلة، نظراته البريئة، معاناته في اللغة، كلها كانت مثار إعجابها. بمرور الزمن، أصبح "سليمان" كفرد من عائلتهم. ولم يكتفي بجلب مستلزمات البيت من السـوق فقط، بل كان يقوم بأعمال داخل المنزل أيضـاً. كان يسـتطيع أن يجيب على أسـئلة "زليخة" ببضـعة كلمات تعلمها في المدرسـة. كانت "زليخة" تود أن تتحدث معه دائماً،

تريده أن يكون قريباً عليها. حين يقترب منها "سليمان" كانت وجنتاها تحمران من الخجل.

في إحدى الأيام، حين عاد من الســـوق، طرق الباب كالعادة. بقي لبرهة واقفاً والأكياس في يده. بعدها، فتحت له "زليخة" الباب. كان شـعرها مبتلاً وتضـع منشـفة فقط على صـدرها، وما تبقى من جسـدها عارٍ تماماً. بات يحدق في رقبتها التي كانت طويلة كرقبة الكركي. وقف في مكانه مندهشـــاً من جمالها، لا يعلم ماذا سيفعل. كان متردداً كيف سيدخل إلى الغرفة. قالت له "زليخة":

"ماذا تنتظر؟ تعال إلى الداخل." حين ســمعها تطلب منه ذلك، جفل وكإنه يســتيقظ من حلم جميل، وبدأ يدخل البيت مسرعاً متوجهاً إلى المطبخ.

أغلقت "زليخة" الباب، ودخلت إلى الحمام ونزعت المنشـفة، ثم نادت عليه: "سـليمان، تعال." كان قلبه ينبض بقوة. ركض مســرعاً إلى باب الحمام ووقف هناك. حين فتحت "زليخة" باب الحمام، رآها عارية تماماً أمامه. فتسـمّر "سـليمان" في مكانه. أراد العودة، لكن رجلاه لم تطاوعانه على ذلك، وكأن ماءً بارداً قد ألقي على جسده، بدأ يشهق ويزفر بقوة وكأن قلبه سيتوقف. مسكته "زليخة" من يده وسحبته إلى الداخل قائلة له:

"تعال يا خروفي، تعال وقُم بتدليك ظهري. هل ستقوم بتدليك الخيول دائماً فقط!؟"

www.arsivakurd.org

وصـل خبرٌ إلى قرية "تونسـت" وإذا صـح الخبر، فإنهم كانوا سـيبنون مدرسـة في القرية. كل طفل أتم عمر السابعة كان عليه أن يذهب إلى تلك المدرسة ويتعلم فيها اللغة التركية بشكل إلزامي.

جرت تغييرات كبيرة في القرية، بعد مد سكة القطار والمحطات التي بنوها، إضافة إلى بيت "عبدالحميد أفندي"، وذلك الزورق لعبور النهر.

كانت المدرسـة جديدة عليهم، ففي السـابق كان أطفال القرية يتعلمون على دروس القرآن فقط. يتعلمون منها اللغة العربية. لم يكونوا يعلمون ماذا سـيتعلمون في هذه المدرسـة، وكل ما يعلمونه أن الدولة سـتبني هذه المدرسة لتعليم الأطفال اللغة التركية.

لأن "سـليمان" كان في العسـكرية، كانت "حليمة" تقوم بأعباء المنزل، تأخذ الأغنام والماعز إلى المراعي. تجلب الفاكهة من الحديقة كي تجففها للشـتاء. تجلب الأعشـاب كي تجعلها علفاً للحيوانات. كانت هذه الأعمال للرجال فقط، لكنها مجبرة الآن أن تقوم بها. عدا الفلاحة وجلب الحطب، كانت تقوم بكل الأعمال الأخرى، كانت تلوح بمنجلها وتحمل أكوام الحنطة وتجلبها إلى البيدر.

كان الوقت هو وقت البيادر. قدم بعض الأشـخاص إلى قرية "تونسـت" وبدأوا بدق الأزاميل بالقرب من نبع القرية وحددوا ذلك المكان لبناء المدرسة. بعد خطبة الجمعة، قدم رجل يضع قبعة رياضية على رأسه ومعه بضـعة أشـخاص آخرين إلى القرية، وبدأ يتحدث للقرويين عن فوائد المدرسـة. بعدها، قال لهم. " من أجل بناء المدرسة، علينا أن نجلب الحجارة إلى هنا. كذلك سنكون بحاجة إلى الاسمنت، والأخشاب والحديد لصب السقف." كانوا سيجلبون الحجارة على ظهور البغال من منطقة قريبة من القرية، وبقية المواد كانوا سيجلبونها بالقطار من منطقة "خارپێت" إلى محطة "سوفرن" ومن المحطة كانوا سيحملونها على البغال ويجلبونها إلى القرية.

بعد أن وعد أهالي القرية إنهم سيسـاعدون اللجنة في بناء المدرسـة، وبدأوا في اليوم الأول بدق الإسفين الأول على الأرض. حسـب مخطط البناء، كانت المدرسـة سـتُبنى من طابقين، الطابق الأول سـيكون مخصصاً للحطب وأدوات التدفئة وغيرها من مواد المدرسة. كانت المدرسة ستكون عبارة عن صف واحد كبير، إضافة إلى غرفة الأستاذ وممر صغير. بوابة المدرسة كانت واسعة من باب ذو طرفين. الصف كان سيكون له أربعة نوافذ، أما غرفة الأستاذ، سيكون فيها نافذة كبيرة، إضافة إلى مطبخ، وعلى الجهة اليمنى، ستكون غرفة نوم الاستاذ وصالة صغيرة للجلوس.

لم يكن يعلم أحداً شـيئاً عن تاريخ قرية "تونسـت" ومن الصـعوبة الحصـول على أية سـجلات تاريخية. كانوا سـيبنون بالقرب من المدرسـة وقريباً من النبع دورات مياه ومراحيض للطلاب. لم تكن هناك مراحيض في القرية سـوى في منزل "محمد زكي أفندي". كان شـيئاً عجيباً! تُرى لماذا لم تتواجد المراحيض في القرية؟ كان علماء الآثار قد كتبوا في أبحاثهم أن الملك الآكادي "سايغون" كان قد بنى ستة مراحيض، وذلك سنة 2334 و 2279 قبل الميلاد. حتى إنه قد أسس لها نظام تصريف صحي متطور. في الأبحاث التي قام بها الأثريون في مصر أيضاً يوضحون إنهم قد رأوا فوهات تصريف في الأماكن الأثرية في الأهرامات، كان المصـريون القدماء يسـتعملونها كمراحيض لهم، وذلك في سـنة 1350 قبل الميلاد. كذلك هناك بحث عن حضـارة الهندوس القديمة وكيف إنهم اكتشـفوا مراحيض في مدينة "موهنجو دارو"، وذلك في الألفية الثالثة قبل الميلاد. كذلك الحيثيين والأورارتيين الذي عاشـوا بالقرب من بحيرة وان، نجد ان الإنسان حينذاك قد بنا المراحيض ودور الصرف الصحي.

تُرى، ماذا حدث حتى لا يعرف أهالي القرية ما هي المراحيض ونحن في سنة 1950 ميلادية؟

تُرى، لماذا تعيش تلك الغزلان في مرتفعات وقمم الجبال؟ لماذا النسور تبني أعشاشها بين الصخور وفي الأجراف الصخرية على المرتفعات؟ لم يكن هناك أحد يعرف الإجابة على هذه الأسئلة، لأن الإجابة عليها صعبة للغاية.

حين قالوا إنه سيبنون أربعة مراحيض في القرية، بات هذا الأمر موضع سخرية لدى الأهالي. كان أحد كبار السن في القرية يقول: "إنه فأل سيء حين يقوم الشخص بذلك في مكان مغلق.". كان في القرية نبع واحد، ويقع خارج القرية. واحتمال كبير أن يكون مكان النبع كان في السابق مجرى كبيراً. بعدها مددوا الخراطيم الماء إلى هنا. كانت بيوت القرية كلها على مياه هذا النبع. لم يكن في بيت أي منهم مجاري للماء.

كان في مكان ما بعيد عن القرية، عند أراضي زوج والدة "سليمان" فقط، كان هناك نبع يسمونه "ينى شب"وكانت مياهه باردة جداً.

لأجل تمديد المياه إلى القرية، كانوا سيكونون بحاجة إلى خراطيم وبواري. لكن القرويون لا يعلمون بعد ما هي الخراطيم! لم يكن يعلم أي منهم من أتيت أتت تلك البواري النحاسية عند نبع القرية. لكل هذه الأسباب، لم يبنوا المراحيض في بيوتهم، وإلا فأن الجميع كانوا يستطيعون حفر حفرة بالقرب من منازلهم ويبنوا حولها مرحاضاً. لكن لا يعلمون لِمَ إلى الآن لم يقوموا بذلك! كان في كل بيوت من بيوت القرية أباريق نحاسية، يملأون تلك الأباريق بالماء ويذهبون إلى الخلاء بين الأشجار ويقضون حاجتهم هناك. كانت هذه هي العادة الدارجة ليديهم (لديهم).

كانت المياه تجري من "درى آلىّ"، كانت هذه الساقية بعيدة خارج القرية مسافة كيلومتر واحد. وكي يقوموا بري أراضيهم، كان رجال القرية في كل سنة يبدأون بحفر سواقي جديدة، وكان هذ العمل يتطلب منهم الكثير من الجهد، وذلك لأنهم كانوا يحفرون السواقي بالرفوش والمعاول. لم يكن القرويون يعرفون ما هو الاسمنت. كانوا يحفرون الأرض حتى تصل المياه إلى أراضيهم.

كان القرويون منهمكون في العمل مع البناءين في مدرسة القرية. جلبوا أساسات المدرسة بواسطة البغال من محطة "سوﭬرن". وتعرفوا على الاسمنت لأول مرة أقناء بناء المدرسة. رأوا ألواح الحديد التي كانوا سيضعونها على سقف البناء لأول مرة. كانت المدرسة أول مبنى في القرية تعمر بالاسمنت والألواح الحديدية.

مع بدأ القطار بالعمل على سكته، بدأ القرويون بالذهاب والإياب بين "پالو" و "داراهێنیّ". كما أن نظام الإضاءة تغير في القرية، وباتوا يستعملون المصابيح الكازية والفوانيس. كانت الفانوس كالقمع، في أسفله علبة للكاز وفي رأسه فتيلة يشعلونها. كانوا يستعملون الفوانيس أثناء تفقدهم لاسطبلاتهم وغرف المؤونة لديهم.

مع أن المصباح الكازي قد تم اكتشافه في القرن التاسع من قبل "أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، إلا إنه وصل سنة 1950، أي بعد عشرة قرون إلى قرية "تونست".

في عام 1775، تم تعديل هذا المصباح الكازي من قبل شخص سويدي. أصبح مكان الكاز عريضاً وأضاف إليه زجاجة كي تنير حولها أكثر وتحمي النار من الأنطفاء.

انتشرت هذه المصابيح في جميع القرى، وبات القرويون يتنافسون على جلبها. آلة الإضاءة هذه التي كانت تسحب النور من الظلمة وتجعل الأشياء مرئية أمامهم، تجعل الصغار يرون وجوه جداتهم اللاتي كن يقصن عليهم القصص. هذه المصابيح جعلت حتى أعداد الجن تقل في القرية. المصباح الثاني، جلبه

"حسی دیلێ" بعد "محمد زكي أفندي". حين جلبه إلى بيته في القرية، وضعه في منتصف الصالون وأشعله. التمّ عليه كل القرويين، صغاراً وكباراً، ينظرون إليه مندهشين. حتى "عارف" الذي كانت تؤلمه أسنانه، قد أتى إلى منزل "عارف" لرؤية ذلك المصباح. اقترب من "حسی دیلێ" وقال له: "لا تكن عنيداً هكذا، تعال كي أقلع سنك." كان "حسين" الشخص الأوحد في قلع الأسنان بينهم. لم يتعلم من هذا العمل من أحد، لكنه منذ سنوات كان يمارس عملية قلع الأسنان. مع أن "عارف" أراد منه أن يؤجل عملية القلع إلى اليوم التالي، إلا أن "حسين" قال له: "سأستطيع قلع سنك أمام ضوء المصباح."

أجلس "عارف" على كرسي خشبي، ثم جلب المصباح الكازي الذي كان معلقاً على الجدار، ووضعه في يد الأشخاص طالباً منه أن يقرّبه من رأس "عارف". ذهب وجلب عدة قلع الأسنان من الغرفة الأخرى. فتح باب صندوق العدة وأخرج الملقط منه. طلب خمسة رجال من القرية كي يساعدوه في ذلك. مسك أحدهم برأس "عارف" والبقية كل واحد يمسك بطرف، بحيث لا يستطيع الرجل القيام بأية حركة. لم يكن "حسی دیلێ" يعلم ما هو المخدر. كان المخدر كالمرحاض أيضاً، لم يصل إلى القرية بعد. لكن البشرية كانت تستعمله منذ زمن. في سنة 1804 اكتشفه خبير أدوية ألماني وأطلق عليه إسم "مورفو" وهو إسم لأحد الآلهة اليونانيين "مورفو"، وأطلق على المخدر إسم "مورفين". لكن المورفين كان سيصل متأخراً إلى قرية "تونست" وقد لا يصل أبداً.

لكن "حسی" بدون أن يعلم شيئاً من هذه الأمور، فتح فم "عارف" جيداً، ورأى سناً منخوراً في فكه العلوي. وضع يده اليسرى على جبين "عارف" ومد الملقط بهدوء إلى ذلك السن المنخور، وبعد أن أحكم الإمساك به، قال :"يالله." وسحب السن بقوة. صرخ "عارف" بكل ما أوتي من قوة. لم يتم قلع السن، بل انكسر. في المرة الثانية حين مدّ الملقط إلى فمه، شق صراخ "عارف عرش السماء. التمت النسوةوالأطفال عليهم هناك، وفي كل صرخة من "عارف" كان الأطفال يبكون على حالته تلك.

لم يتم سحب العصب من سنه، لذلك، كان "حسی" منهمكاً فيه، أما "عارف" فكان يحاول الهرب من بين يديه، إلا أن الرجال كان ماسكين بيديه ورجليه ورأسه بإحكام. كان يصرخ ويصرخ والنساء والأطفال يبكون. لكن "حسی" لم يأبه به ولا ببكاء من حوله. لقد كان يعرف إنه بسحب العصب ستنتهي معاناته ومعاناة الباكين عليه أيضاً.

على أساس أن القرويين كانوا قادمين إلى بيت "حسی" فرحين بمشاهدة المصباح، إلا أن "حسی" جعل من زيارتهم تلك إلى عزاء وبكاء. بعد أن أنهى سحب العصب من مكان السن، توقف صراخ "عارف" وتوقف البقية عن البكاء. بعدها، جلب قطعة من القطن ووضعها في الماء المغلي، ثم وضعها في مكان السن المقلوع وقال لـ"عارف":

"أغلق فمك واضغط على القطن في فمك كي يتوقف النزيف."

لم يكن التغيير الحاصل من نصيب قرية "تونست" فقط، بل شمل كل المنطقة. لأن "داراهێنێ" كانت تعد مركز انتفاضة الشيخ سعيد، فقاموا بمعاقبة هذه البلدة، وكي يمحوا اسمها من التاريخ ومن ذاكرة أبناء المنطقة، قاموا بتغيير اسمها إلى "گنچ" وفي سنة 1936 أزالوا صفة المدينة عنها وجعلوها تابعة لمدينة "چاپخور" التي كانت أصغر منها. في سنة 1945، قاموا بتغيير إسم مدينة "چاپخور" أيضاً، وأسموها "بينغول".

تقع قرية "موسيان" بين قرية "تونست" و "داراهێنێ"، لكنها أقرب إلى الأخيرة. حين غيّروا إسم "داراهێنێ"، بذلك غيّروا الإسم التاريخي والذي يمتد إلى خمسمائة عام من الآن. كما غيّروا إسم "موسيان" إلى "ياماچ" وبنوا قاعدة عسكرية فيها. كما غيّروا إسم "گوڤدر" الى "گودر" وجعلوها تابعة

لـ"ياماچ".

تقع "گوڤدر" على الجهة اليمنى من نهر "مرادێ" على طريق "پالو". حين تعبر جسر "داراهێنێ" إلى جهة "چاپخور" ستكون أمام سلسلة جبلية. كانت "موسيان" هي القرية الأولى في منطقة "گوڤدر" والقرية الأخيرة كانت "تونست"، أما القرى الأخرى بعد هذه القرية، فكانت تابعة لـ"پالو".

حين بدأوا ببناء المدرسة في قرية "تونست" أصبح الجندرمة يأتون إلى القرية بكثرة. يهرب القرويين من طريقهم حين يرونهم قادمين من بعيد. وخاصة الرجال، كانوا يخافون من الجندرمة كثيراً. وحين يراهم الأطفال هاربين، يبدأون بدورهم بالهرب أيضاً، وما يدعو للغرابة أن دجاجات القرية أيضاً كانت تهرب حين ترى الجميع يهربون. هذا الهرب الذي بدأ منذ مئات السنين، كان تأثيره كبيراً على أرواح الناس والحيوانات أيضاً.

كان عدد الجندرمة القادمين إلى القرية في ذلك اليوم كبيراً. فهم القرويين أن هناك أمر ما. بدأ الرجال بالهرب مرة أخرى، ولحقهم الأطفال والدجاجات أيضاً. الذين يخفون قبعاتهم، كانوا واقفين مطأطأي الرؤوس أمام بيوتهم.

اقتربت قوات الجندرمة من طفل في العاشرة من عمره كان واقفاً عند النبعة وقالوا له: "لا تخف، أنظر إلينا، لن نمسك بسوء إن قلت لنا أين هو ذلك الرجل الذي نبحث عنه." وذكروا له اسم الرجل. من خوفه وذعره، أشار الطفل برأسه صوب القرية، في إشارة منه أن الرجل الذي يبحثون عنه هو في القرية.

حين دخلت الجندرمة إلى القرية، كان القرويون كالمساجين أمام البيوت ينتظرونهم، وكانت الجندرمة كي يسببوا الذعر أكثر للقرويين، يضربون كل من يأتي في طريقهم.

لم يسألوا أحداً. ضربوا الجميع، ثم بدأوا يهمسون في آذان بعضهم. بدأوا بالبحث ابتداءً من منزل "خجي ككێ"، لم يتركوا الغرف ولا الاسطبلات ولا معالف الحيوانات إلا وبحثوا فيها. خرجوا من ذلك البيت وتوجهوا إلى بيت "علي قوبى"، ولم يعثروا على شيء هناك أيضاً. كانت النسوة المجتمعات أمام البيوت ينظرن بهلع حولهن.

كانوا يبحثون عن شخص اسمه "سعيد عارف" وعثروا عليه في الاسطبل العائد لبيت "خالد بياز".

وضعوه على الأرض وبدأوا يضربونه بمقابض الرفوش. كانوا يدوسون على جسده بجزماتهم السوداء، ثم ربطوا يديه خلف ظهره وأخرجوه من الاسطبل. ضربوه بأخمص بنادقهم أمام أعين القرويين، ثم ساقوه إلى خارج القرية.

رأى البناؤون الذي يبنون المدرسة هذا المشهد أمامهم، لكن لم يتفوه أي منهم بكلمة خوفاً. انتهوا من بناء الجدران، ثم بدأوا بالسقف. وضع الخشب على أرضية الغرف ووضعوا الأبواب والنوافذ الكبيرة، لكنهم لم يدهنوه بعد. قال البناؤون لمختار القرية "علي مهاجر" أن الأستاذ سيأتي في غضون الشهرين القادمين كي يبدأ بتعليم الأطفال. كان على جميع أطفال القرية والذين تتراوح أعمارهم بين سبعة سنوات وأربعة عشرة سنة أن يجهزوا أنفسهم في فصل الخريف كي يذهبوا إلى المدرسة.

كانت هناك قرية صغيرة اسمها "دولێ" تقع على مسافة مسير ربع ساعة من قرية "تونست". كان على أطفال هذه القرية أيضاً أن يأتوا إلى هذه المدرسة. كان فصل الخريف والربيع بالنسبة لمجيء الأطفال وعودتهم سهلاً، إلا أن الصعوبة كانت في فصل الشتاء، وخاصة حين يهطل الثلج بغزارة أو حين يرتفع منسوب مياه النهر. كما ان منزل "عبدالحميد أفندي" على حافة النهر، وعلى أبناءه أيضاً أن يداوموا في مدرسة القرية.

العائدون من "بنخَت- سوريا" لم يكونوا يتحدثون مع أحد، وكإنهم يريدون بصمتهم ذاك أن ينسوا

الويلات والمآســـي التي جرت معهم. كانت حديقة منزل "حاجي" وحديقة "ككێ" مثار إعجاب القرويين، فهم أيضاً كانوا قد زرعوا الأشجار على طريقة حديقة "عبدالحميد أفندي". في سنوات هجرتهم تلك، كانوا قد تعلموا من الفرنسـيين زراعة الأشـجار وجلبوا علمهم هذا معهم إلى القرية. كانوا قد تعلموا أمور أخرى أيضاً منهم، لكنهم كانوا يخافون البوح بها.

كان "محمود الكوســى" ايضــاً ماهراً ويتقن العديد من الفنون، كان يصــنع المعالق الخشـبية، وأسـرجة الخيول. كما كان يعلم بجبر الكسور. لم يبح لأحد من أين تعلم هذه الأمور كلها.

أما "عبدالحميد أفندي"ن فكان مختلفاً عن جميع هؤلاء. كان ســياســياً، ولا يتناقش مع أي كان. كما إنه كان يكره التحدث والتكلم باللغة التركية.

كان "سليمان" قد أنهى خدمته العسكرية منذ زمن. فقد أنقذه عمله كسائس خيول قائد اللواء من الضرب والشتيمة في القطعة العسكرية. حتى أن قائده وزوجته كانوا يحبونه كثيراً. في فترة السنتين التي قضاها في العسكرية، كان قد زار عائلته أربعة مرات فقط في إجازة. بعد أن أنهى العسكرية، كان قد أتاه ولد طفل من زوجته.

لأن إبنه الأول "طاهر" قد توفي بعد مولده بسنتين، لذلك أسمى المولود الجديد على إسمه، وأضاف إسم "محمد" عليه. بذلك أصبح إسم المولود "محمد سليم. أما "حليمة" كعادتها حين كانت زوجة لـــــ"الملا مصطفى" فقد ثقبت أذن مولودها الجديد ولم تقص شعره، وألبسته فستاناً وربته كما تربي إبنة لا إبناً.

حين أصبح عمر "سليم" خمسة سنوات، أتاه أخ آخر وأسموه باسم "نجم الدين".

كان "سليم" سيذهب إلى المدرسة في سنة 1960. في ذلك العام، كان عمه "كلش" قد حل ضيفاً عليهم في القرية، واشترى له بنطالاً وجاكيتاً وحذاءً جلدياً، إضافة إلى صدرية بيضاء وأقلام ودفاتر وحقيبة مدرسية ومستلزمات المدرسة الأخرى.

كان عمه "كلش" رجلاً طويل القادمة وثاقب البصيرة. استقبلوه بحرارة أمام باب المنزل. قبلت النسوة كتفه. أما "سليمان" فقد حضنه طويلاً، فهو لم يره منذ ان توفيت اختهم "بيريفان" وهي في عمر الحادية والعشرين.

حين أجلس أخاه في غرفة الضيوف، قدم القرويون أيضاً للترحيب بالضيف. قام "سليمان" وتوجه إلى الاسطبل ومسك بأسمن ديك فيه وقال لابنه "سليم": "إذهب وقل لأمك كي تعطيك سكيناً واجلبه إلي." بعد برهة، عاد سليم وناوله السكين. فوضع "سليمان" الديك على الأرض، ووضع رجله على جناحيه بعد أن ضمهما، ووضع رجله الأخرى على قدمي الديك، ثم وجه رأسه صوب جهة القبلة، وقال :"بسم الله"، وذبحه.

وضعت والدة سليم الديك في طنجرة كبيرة وبدأت تغلي لحمه وتقليه. فاحت رائحة اللحم في البيت وخارجه. كانت العادة في القرية، إنهم لا يذبحون الديوك إلا للضيوف العزيزين. كان الضيف يتناول ذلك اللحم، وما تبقى منه، للأطفال والنساء. لذلك، كان الأطفال يحبون قدوم الضيوف إلى بيوتهم.

لم يكن "سليم" قد لبس حذاءه الجلدي الذي جلبه له عمه "كلش" من ميناء "جيهان". وحين فتحت المدرسة أبوابها، قاموا بحلاقة شعره، ونزعوا عنه الفستان، وألبسوه البنطال والقميص، ثم الصدرية والسيدارة البيضاء، وكي لا يضيع ممحاته الكبيرة، كانوا قد ثقبوها ووضعوها بواسطة خيط في رقبته. ثم وضعوا حقيبته في يده وأرسلوه إلى المدرسة.

كان الطريق بين بيتهم والمدرسة طويل جداً. حين كان يسير، رأى الغبار على حذاءه الأسود، فاخرج محرمته من جيبه وبدأ بتنظيفه. نظف حذاءه عدة مرات حتى لحظة وصوله إلى مدرسة.

كان أطفال القرية، بناتاً وصبياناً قد أتوا إلى المدرسة في ذلك اليوم. اجتمع حوالي ثلاثين طفل في باحة المدرسة. الأطفال الذاهبون إلى الصف الخامس كانوا أكبر سناً من البقية. أما أستاذ المدرسة، فكان قد أتى من مدينة بعيدة إسمها "كايساري". كان الطالب الذي أصبح عريفاً للصف، قد جهز صفّ الطلاب كالجنود. حدق الطلا (الطلاب) جميعهم في الأستاذ حين رأوه قادماً من زاوية المدرسة.

كان العريف واقفاً باستعداد عند عامود العلم ويمسك بيده خيط العلم. نظر إلى الطلاب الواقفين في صف واحد خلفه وقال: "استرح" ثم "استعد" ثم بدأ بتلاوة نشيد الاستقلال التركي ورفع العلم بالخيط إلى الأعلى.

عدا طلاب الصــفوف الأعلى، لم يكن الطلاب الجدد في المدرســة يجيدون حرفاً في اللغة التركية، لذلك لم يكونوا يعرفوا قراءة النشيد.

كانت المدرسة مكونة من غرقة (غرفة) صف واحدة، لذلك كان طلاب الصف الأول والصف الخامس يأخذون دروسهم في نفس الصف. كان كل ثلاثة تلاميذ يجلسون على مقعد واحد وأمام كل مقعد طاولة. في منتصف الغرفة على الجدار، كان لوح أسود يكتبون عليه بالطباشير، وبجانب اللوح، كانت صورة رجل ما معلقة.

ثلاثة عشر تلميذاً بدأوا بالدراسة في الصف الأول. لم يكن أي منهم يجيد اللغة التركية. لكن الاستاذ كان تركياً وبدوره لا يجيد حرفاً واحداً من اللغة الكردية- الزازاكية. حين يدخل الأسـتاذ إلى الصـف، كان على جميع التلاميذ الوقوف. كان الاستاذ يقول لهم: "گونايدن- اي صباح الخير" وثم يجلس خلف طاولته. بعدها يبدأ الطلاب بالنشــيد "أنا تركي، أنا ذكي" بصــوت عال. ثم يأمرهم بالجلوس، وفور جلوســهم يبدأون بالحديث بين بعضهم.

قال "عزيز كايا" التلميذ الذي يجلس بجانب "سليم" هامساً في أذنه: "لماذا لا يتحدث بلغتنا يا سليم. نحن لا نفهم شيئاً منه." رد عليه "سليم": "هو لا يعرف الزازاكية." فقال "سعيد": وكيف أصبح استاذاً إن كان لا يعرف الزازاكية؟".. كان الأستاذ مستمراً في إعطاء درسه باللغة التركية التي لا يفهمها الطلاب.

في فترة الظهيرة، كان التلاميذ يتركون حقائبهم في المدرســة ويذهبون إلى بيوتهم لتناول طعام الغداء، أما التلاميذ القادمين من الأماكن البعيدة، فكانوا يحلبون (يجلبون) اكلهم معهم. بدون أن يتعلم تلاميذ الصف الأول شيئاً، عادوا إلى بيوتهم في ذلك اليوم. قالت والدن (والدة) "سليم" له حين عاد: "ماذا تعلمت اليوم يا بُني؟"

رد عليها "ســليم" جواباً مروعاً قائلاًلها: "ماذا تعلمت من قراءة القرآن وأنت الآن في عمر الرابعة عشرة؟"

نام "سليم" مبكراً في ذلك اليوم، ورأى حلماً في منامه. كان ينزل من فوق هضبة لابساً حذاءه الأسود. كان يتعثّر بصــخرة في طريقه ويقع أرضــاً ويدمي ركبته. كان في حلمه يبكي، لا على ألم ركبته، بل على حذاءه الذي تمزق إثر ســقوطه. فاق من نومه وكان ما زال يبكي. قالت له والدته: "ما بك يا بُني، لماذا تبكي؟"

قال لوالدته: "لقد تمزق حذائي". قالت له والدته: "نم يا بُني، لقد رأيت حلماً. لكن ســليم لم يصــدق حتى قامت والدته وأرته حذاءه على ضوء المصباح. حينها صدف عينيه ونام مرة أخرى.

في إحدى المرات، كان جالســاً مع أصــدقاءه في غرفة الصــف، يتحدثون مع بعضــهم بالزازاكية. دخل الاستاذ إلى الصف غاضباً، ثم تلا أسماء خمسة تلاميذ، وكان اسم "سليم: بينهم. طلب منهم بلغة الاشارة المثول أمام اللوح. كان يحمل عصا في يده وتقدم من سليم قائلاً له: "افتح يديك". لم يفهم "سليم" ماذا يريد! كاد يبكي. مدّ الاستاذ يده وقال له" إفعل ذلك". مدّ "سليم" يديه الصغيرتين المرتجفتين أمامه. رفع الاستاذ العصا وضربها بكل قوة على يديه. صرخ صراخاتً قوياً من الألم ووضع يديه تحت إبطيه متلفتاً حوله، وجهه محمرّ ومصفرّ من هول الصدمة.

ضــرب الصــغار الأربعة البقية على نفس المنوال. كان الخمســة يبكون ولا يفهمون ســبب ذلك الضــرب المبرح. لم يكتفي الاستاذ بذلك، بل ضربهم بالكفوف وركلهم، ثم فتح باب السرداب وأدخلهم فيه.

كان تحت غرفة الصــــف عبارة عن ســـرداب يضــعون فيه الحطب. كان مظلماً جداً، وكانت الفئران تركض فيه هنا وهناك. كان التلاميذ الأربعة ملتمين على بعضهم خوفاً وألماً هناك.

أبقاهم ساعة في ذلك السرداب، ثم جلبهم مرة أخرى إلى أمام اللوح وقال الأستاذ "علي ڤورال" لهم: "إذا رأيت أحداً منكم يتحدث بالزازاكية سأقتله. عليكم أن تتحدثوا بين بعضكم وفي بيوتكم مع آباءكم وأمهاتكم باللغة التركية. هل فهمتم؟" من فهم عليه أجابوه بـ"نعم". أما الذين لم يفهموا، بقوا صامتين.

حين عاد "سليم" بيديه المتورمتين إلى البيت. مدّ يديه إلى والدته كي ترى ماذا فعل بهم الاستاذ. حين رأت والدته "طيبة" ما فعله الاستاذ بيدي ابنها، بدأت تدعي عليه وقالت: "ماذا يريد منكم هذا الكلب الصغير؟" بعد تلك الحادثة، بقي "سليم" لفترة طويلة لا يتحدث مع أحد من أقرانه، فهو لا يعرف التركية، كما أن الزازكية ممنوعة عليه. كان يحمل حقيبته ويذهب إلى المدرسة، وكان يعود كذلك بدون أن يفهم شيئاً من دروسه.

كانت "طيبة" تعلم صغر القرية على قراءة القرآن في بيتها. كان حوالي خمسة عشر طفلاً وطفلة يأتون إلى بيتها، ثم طلبت من "سليم" الانضمام إلى هؤلاء الأطفال. كانت تقول: "لقد أصبح في عمر السابعة ويستطيع أن يتعلم." تعلّم "سليم" من والدته الابجدية العربية. حين أنهى الالفباء، بدأ يقرأ سورة الفاتحة مقطعاً مقطعاً، لكن لغة الآية كانت غريبة عليه، لم يكن يفهم منها شيئاً. الفرق بين دروس والدته ودروس المدرسة، أن دروس والدته كانت بالزازاكية، وان لم يفهم شيئاً يستطيع أن يسأل والدته عليه، أما في المدرسة، فكانت بالتركية، ولا يستطيع السؤال لإنه لا يعرف التركية.

كان أسلوب "طيبة" في تعليم الصغار، نفس الأسلوب الذي كان يتبعه "ملا مصطفى" في قرية "سفران". كانت "طيبة" تجلس على كرسيها أمام الصغار وتستمع إليهم. تصحح لهم إن أخطأوا. كذلك كانت تجلب البيض حين تشرح لهم سورة "الهاكم التكاثر". وتجلب العصيدة حين تصل إلى سورة "والعصر".

بقي "سليم" لمدة طويلة ينتقل بين هاتين اللغتين الغريبتين عليه. لكنه في فترة زمنية قصيرة تقدم على أقرانه في دروس القرآن. كان يحل تمارين الرياضيات للصف الخامس وهو ما يزال في الصف الثاني. في إحدى المرات، لم يستطع التلميذ في الصف الخامس "طالب بولوت" أن يحل تمريناً في الرياضيات، حينذاك، طلب الأستاذ من "سليم" كي يخرج أمام اللوح وأعطاه الطبشورة وطلب منه أن يحلها.

مسك "سليم" بقلم الطباشير وحل التمرين في دقيقتين. ووضع الطبشورة في يد "طالب" الذي عاد إلى مكانه. لكن الاستاذ أوقفه في مكانه وقال له: "توقف، لا تذهب! إضربه كفاً قوياً على وجهه!". لم يقبل "سليم" تلك العقوبة على صديقه. ثم كيف سيضرب صديقه؟ تحت ضغط الاستاذ عليه ضرب ضربة خفيفة على خد صديقه. حينذاك ضرب الأستاذ ضربة قوية على خد "سليم"، وقال له:"أضربه هكذا." فقد عينا "سليم" شرراً، ثم ضرب "طالب" أيضاً مفاً (كفاً) قوياً وذهب وجلس خلف طاولته، أما الصغيرين، فقد ظلا يبكيان في مكانهما. كان "سليم" يقول في نفسه: "في مكان كالجحيم هذا، أن كنت تعرف الرياضيات تُضرب، وإن كنت لا تعرف أيضاً، تُضرب."

وزارة التربية القومية في الدولة كانت قد أرسلت أكياساً من الحليب البودرة إلى المدارس. كانوا يقولون أن أمريكا هي التي أرسلت ذلك الحليب إلى تركيا كي يوزعوها على المدارس. كانوا قد أجبروا الطلاب على شرب كوب من الحليب قبل دخولهم الصف.

حين رأى الأستاذ في ذلك اليوم أن التلاميذ قد دلقوا الحليب على الأرض، قام بمعاقبة حوالي خمسة عشر طالباً، مددهم على الأرض على بطونهم وحمل عصاه وبدأ يضربهم ضرباً مبرحاً ويقول لهم: "عليكم أن تلحسوا ذلك الحليب المكبوب على الأرض." بدأ بعض التلاميذ بلحس ذلك الحليب بلسانهم على الأرض، لكن "عزيز كايا" و"سليم" أبوا أن يقوموا بذلك، فعاقبهم الاستاذ بأن وضعهم في السرداب.

كان "ســليم" الذي لا يجد وقتاً للفراغ، فتارة دروس المدرســة وتارة دروس القرآن، وكل ما تســنح له الفرصة، يذهب إلى البحيرة الصغيرة بين أرضهم، تلك البحيرة التي كان يجلس بجانبها والده ولم يبح بحبه لوالدته.

كان أطفال القرية في فصل الصيف يأتون على حافة تلك البحيرة، يتعرون من ثيابهم ويبدأون بالسباحة فيها. كان "سليم" يود أن يسبح مثلهم، لكنه لا يعرف السباحة، حتى إن حاول ذلك، كان أهله يمنعونه.

كانت البحيرة دائرية ومساحتها حوالي سبعة أمتار وعميقة بحدود ثلاثة أمتار. كان على الطرف السفلي من البحيرة مســتنقع أكبر من البحيرة، وكانت الكثير من الحيوانات المائية تعيش فيها. أفاعي، ضــفادع، سلاحف. إضافة إلى بعض الأنواع من الحشرات، كالجراد، الصراصير، وغيرها. أما في أعلى البحيرة، فكان يقع النبع، حيث كانت مياه البحيرة تتجمع منها.

كان "سليم" عنيداً في ذلك ويود أن يتعلم السباحة كيفما كان. قال له صديق من أصدقاءه: "لا يوجد شيء يتعلم الإنسان عن طريقه السباحة. إن لم تخف من الماء لن يصيبك شيء، أما إن خفت، فإنك ستغرق لا محالة."

في ظهيرة إحدى الأيام، كان "سليم" جالساً لوحده على حافة البحيرة. نزع ملابسه وبدون أن يفكر كثيراً في الأمر قفز في ماء البحيرة العميق. بدأ يضرب يديه يميناً وشمالاً، ويحرك رجليه. نعم، لم يغرق. فرح بالأمر وبدأ يضرب يديه بقوة حتى وصل إلى الحافة الأخرى منها. إذاً، هذه هي السباحة!؟ أصبح الآن يُجيد السباحة. عاد مرة أخرى إلى الحافة التي انطلق منها ونجح في ذلك. كرر ذلك لأكثر من عشرين مرة قبل أن يأتي أصدقاءه والأطفال الأكبر منه سناً.

كان الجو في فصل الصيف ممتعاً ليلاً. كان "سليم" ينسل من فراشه خفية ويتوجه إلى حافة البحيرة. يجلس على صخرة هناك. كانت السماء صافية، وقرص القمر يشع على النجوم التي وكأنها ترقص فرحاً في السماء. كان "سليم" يحب صوت خرير الماء، وأصوات الحيوانات في المستنقع ذاك. حمل حجراً ورماه في المستنقع، حينها انقطع الصوت من المستنقعن ويسود الصمت الأرجاء.

كان القمر المنعكس على صفحة الماء يبدو بشوشاً. كان صوت الضفادع يغلب على صوت بقية الحيوانات، وكإنهم في أوركسترا موسيقية. كان كل صنف من الحيوانات يشارك بطريقة ما يشارك في تلك الأوركسترا. كان يفرح "سليم" بذلك كثيراً وينظر بشغف إلى البحيرة ويستمتع بتلك الموسيقا.

كانت أيام الصيف تمر بفرح وسعادة على القرويين، لكن الشتاء كان صعباً عليهم. مرّ عليهم شتاء قارس في تلك السنة. هطل الثلج لأيام متواصلة حتى وصل ارتفاع الثلج على الأرض إلى متر. بعد تلك الأيام المثقلة بالثلج، هطل مطر مدرار وجعل من ذلك الثلج قاسياً. وكأن رجال القرية كانوا بانتظار يومٍ كهذا. ساقوا قطعانهم نحو الغابة الكبيرة.

كان "محمود قلاجي" و "رضا علي عيسى" و "فهمي الآغا" ثلاثة أصدقاء. كان "محمود" هو إبن "نيازي قلاجي". كان "نيازي" هذا قد قدم من "پالو" إلى قرية "تونست". وكان يجيد اللغة التركية ويقوم بأعمال البناء في القرية. كان بيتهم مجاوراً لبيت "سليمان" حيث كان البيت الأخير في القرية هو بيت "سليمان" والبيت الذي يليه كان بيت "حسى حمو"، والبيت الثالث هو بيت "نيازي". كانت البيوت الثلاثة مجاورة لبعضها البعض.

"فهمي الآغا" هو ابن "أمينة" و "حسى آغا". كانوا قد هاجروا إلى "بنخَت" لفترة وعادوا. كان "فهمي" هذا شاباً فارع الطول وذكياً.

أما "رضا علي عيسى، فكان إبن "پاپێ" و "علي عيسى". كذلك كان شاباً ذكياً.

في الصباح الباكر، ساق الشبان الثلاثة قطعان ماعزهم إلى الغابة، ويحملون بنادقهم معهم ايضاً. كانت تلك البنادق لها سبطانات طويلة لها أخمص حشبي (خشبي) يتدلى منه مكان الزناد. كان يمتد الأخمص الخشبي إلى ما تحت ماسورتها ويغطيها بالكامل تقريباً، إلى أن يصل إلى حربة تحت السبطانة. كان على المرء أن يضع الطلقة فيها، ثم يلقمها، بعدها يبدأ بالإطلاق. كانوا يقولون لهذه البندقية "البندقية المليئة"، لأنهم أحياناً ما كانوا يضعون البارود فيها قماشة ملفوفة ويضغطون عليها بسيخ حديدي، بقوة عدة مرات.

كانت بندقية "محمود" مليئة في ذلك اليوم، وقد وضع على كتفه ويمشي خلف القطيع الذي كان يركض صوب الساقية، أما الشبان الثلاثة فكانوا يتحدثون بين بعضهم.

كانت سيقان البلوط عالية حوالي المترين، وجذوعها سميكة بحجم قبضة اليد، كانت الماعز تأكلها بنهم، ولأنها طويلة، كان على المرء أن يميل لها تلك السيقان كي تستطيع الماعز أكلها.

علّق محمود بندقيته بإحدى السيقان وبدأ وهو وأصدقاءه بإمالة تلك الجذوع للماعز. كانت الماعز فرحة لذلك، بدأت ترفع قوائمها الأمامية وتضعها على الجذع وتأكل منها بنهم. حين انتهوا من مهمتهم هذه، رأى محمود آثار مرور أرنب من هناك، فصاح على أصدقاءه: "تعالوا لنلحق آثار هذا الأرنب" لحقه "رضا" و "فهمي" حتى أضناهم التعب، فعادوا إلى القطيع. قال لهم "محمود": "تعالوا لنلعب لعبة الصياد والأرنب."

اتفقوا على أن يصبح "رضا" الأرنب، و"فهمي" و"محمود" الصيادين. هرب الأرنب ولحقه هؤلاء. ركضوا كثيراً، فانطلقت الرصاصة من البندقية التي كانت في يد "فهمي". احس "رضا" أن بطنه ورأسه وجسده كله يحترق. وضع أرضاً هناك ووضع يده على بطنه التي كانت تنزف دماً. حين ركض صديقاه إليه، كان يتمرغ في دمه، فبكوا عليه وبدأوا يحضنونه وحاولوا أن يرفعوه عن الأرض، لكن "رضا" لم يستطع الوقوف. كان الدم ينزف من كل جسده. حمله "محمود" على ظهره، وساعده "فهمي" في رفع رجليه، ساروا وتركوا آثار الدم القانئ على الثلج الأبيض.

قبل أن يصلوا إلى النهر، كان خبر جرح "رضا" قد انتشر في القرية. كان الرجال والنساء والأطفال يتوجهون فوق ذلك الصقيع صوبهم. حين وصل "سليم" إلى إبن إبن خالته "رضا" كان هذا قد أسلم الروح. كانت والدته وخالته جالستان بقربه وتبكيان. كل نساء القرية كن على تلك الحالة، أما الرجال، فكانوا يحاولون أن يصنعوا شيئاً من جذوع الأشجار كي يحملوا عليها جثته.

اقتفى "سليم" مع بعض الأطفال الآخرين آثار الدماء على الثلج، فإن أمطرت السماء لما كانوا يستطيعون رؤية آثار الدماء. بقيت تلك الآثار في مخيلة "سليم" إلى الأبد.

حين رأى كل من "فهمي" و"محمود" ان القرويين يتجهون صوبهم. تركوا الجثة ولا أحد يعلم أين اختفوا.

جلبوا الجنازة إلى القرية، فغسلوا الجثة وكفنوها وصلوا عليها، وأخذوه الجنازة إلى المقبرة ودفنوه بالقرب من قبر جده"عيسى".

أثرت هذه الحادثة على قرية "تونست" كثيراً. اختفى "فهمي" ولم يعد يراه أحد. قام كل من "حسي حمو" و"نيازي قلاجي" بالهجرة من القرية وتوجهوا إلى منطقة "جيهان" في مدينة "أضنة". كان الضحية "رضا" هو إبن خالة "سليم". وكان "فهمي" الذي انطلقت الرصاصة من يده، من أقربائهم.

كان "عبدالرحمن" و"لميا" و "روشتي" هم إخوة وأخوات "محمود" الأكبر منه، أما أختاه "پاكيزه" و "نذيرة" هم أصغر منه.

في سنة 1960، كانت قرية "تونست" ما تزال منقطعة عن العالم الخارجي، لم يكن هناك شيء يربط هذه القرية وبيوتها بالمدنية والمدن سوى شخص واحد وهو العطار "حوسى" كان يجلب البضائع من

المدينة على ظهر حماره في صندوق خشبي. كان كصندوق العجائب، يفرغ محتوى صندوقه الخشبي تحت ظل شجرة التوت الكبيرة ويبدأ بالصياح على أهالي القرية:" يا عائشة، يا فاتى، لقد أتى حوسى إلى القرية، تعالوا، لقد جلبت لكم كل ما تريدون. يا اهلي القرية، تعالوا." كانت بضاعته تحتوي على كل اللوازم التي يحتاجها القرويون، من أمشاك، مقصات، بناطيل، إبر، خيوط... إلخ. لم يكن يبيع بضاعته بالنقود، بل يبدلها بالسمنة والقمح والعدس والزبيب وهذه الأشياء. كان أطفال القرية يركضون بدورهم إليه ويحسون بسعادة فائقة حين رؤيتهم له ولحماره قادماً من بعيد.

في خريف سنة 1965، كان "سليم" وأصدقاءه سيتخرجون من المدرسة. كان الأستاذ قد طلب خمسة طلاب كي يقفوا أمام اللوح وقال لهم: "عليكم أن تذهبوا غداً إلى (داراهێنى) وأود أن يجلب كل واحد منكم أربعة صور شخصية لكم كي أمنحكم شهادة الدبلوم." عاد التلاميذ فرحين إلى بيوتهم وأخبروا أمهاتهم وآبائهم بذلك. كانوا خمسة سيتوجهون إلى "داراهێنێ" ثلاثة تلاميذ وتلميذتين. كان "سليم جوروككايا" أولهم، ثم "لطفى گول" وبعده "عزيز كايا". أما البنات، فكن "كيبارة" إبنة "ملا القرية "الملا صديق"، والأخرى كانت "بيريفان" إبنة "ككێ".

لم يذق أي منهم طعم النوم في تلك الليلة. فهم لم يزوروا المدينة منذ ان ولدوا وإلى ان وصلوا إلى سن الثانية عشرة. في الصباح الباكر اجتمعوا في بيت "الملا صديق" الذي كان سيذهب معهم، وكانوا سيقضون ليلتهم في بيت صديق له واسمه "حاجي كيفي"، الذي كتن له دكان في تلك المدينة.

توجهوا في ظهيرة ذلك اليوم صوب محطة "سوڤرن". ساروا مشياً حتى وصلوا إلى ذلك الزورق القريب من منزل "عبدالحميد أفندي". كان عليهم أن يعبروا نهر "مرادێ" بالزورق إلى الضفة الأخرى. كان الشخص الذي يجذف الزورق هو خال "لطفي گول" وعم "عزيز كايا"، لذلك لم يقبل أن يأخذ منهم النقود. مازحهم حين عبر بهم، واوصلهم بدوره حتى المحطة، واشترى لهم بعض البسكويت من الدكان هناك.

بقوا في المحطة حتى المسار. كانت هناك أربعة سكك للقطار في تلك المحطة. كانت بعض القطارات تتوقف فيها لنقل البضائع، كما كانت هناك أكوام من جذوع الأشجار التي يقطعونها من غابات جبل "شارك" كي يحملونها في تلك القطارات. لم يكن في المحطة سوى دكان واحد ودكان آخر وهو دكان الحداد "محى گورێ". كان "محى" هذا إبن "إيبى محو" وكان في نفس الوقت والد "م. صديق كارا أرسلان" صديقهم في المدرسة.

كان الـ"ملا صديق" و"كيبارة" و"بيريفان" جالسين أمام الدكان. أما الفتية، فقد توجهوا إلى دكان الحداد الذي ما أن رآهم حتى رحب بهم بفرح وكان منهمكاً في الطرق على رأس مدبب لإزميل، يتصبب عرقاً وهو يطرق بقوة بمطرقته على تلك القطعة التي يضعها في بيت النار حتى تحمر، ثم يعاود الطرق عليها حتى تأخذ شكلها المطلوب ومن ثم يضعها في الماء، فينبعث الكثير من الدخان من سطل الماء. كان شخصاً مرحاً، تعرف على كل ضيوفه الصغار القادمين إليه وقال لهم: "أهلا ومرحباً بكم أيها الصغار، هذا هو دكاني، لو لم أكن موجوداً لما كان آباؤكم يستطيعون الحراثة. أنا من أصنع لهم المحارث، فقد كان يحرثون أراضيهم بمحارص خشبية، أما أنا فأصنعها لهم من الحديد. أصنع لهم كل مستلزماتهم من مفارش ومعاول ومطارق. هل تسير الحياة في القرية بدون هذه الآلات يا صغاري؟ إن آباؤكم لم يعرفوا قيمتي، عليكم أنتم أن تقدروا قيمتي هذه يا صغاري.؟

جلس "سعيد عارف" عند "محي" وسرد له قصة "درويش" وزوجته "دَردكێ": "كما تعلم أن بيتنا مجاور لبيت (درويش). كان الجو منعشاً ودافئاً في تلك الأيام وقد فرشت فراشي على سطح بيتي، كي أنام

تحت النجوم.
حين حلّ الظلام، كان "درويش" و"دَردكیٚ" أيضـاً قد فرشـوا فراشـهم على السـطح. كنت قد وضـعت رأسـي تحت اللحاف وأتلصـص عليهم. في منتصـف الليل، لاحظت أن لحافهم ارتفع وبدءا يتحركان في فراشهم. تصنعت السعال بصوت مسموع، فتوقفا عن الحركة. بعد لحظة، بدأ لحافهم يرتفع وينخفض مرة أخرى. سـعلت مرة أخرى. وهكذا مرة أخرى. في المرة الأخيرة، قام "درويش" وحمل الفرش واللحف وزوجته ورماهم في الحوش ونزل هو على السلم.
قهقه "محى" وقال: "البارحة أتاني شـخص غبي إلى الدكان، وبدون أن يسـلم عليّ قال لي: لماذا أطفال عائلتكم كلهم طويلو القامة وسـمينين. فقلت له: حين نقوم بذلك الفعل، نقوم به باتقان، لذلك أولادنا هكذا. ليس مثل والدك الذي ينتهي بحركتين. فصمت الرجل وخرج."
استلموا بطاقات السفربالقطار وكان الستة ينتظرون قدومه. رأوا القطار قادماً من نفق "هوسل". كان لونه أسود قاتم، كان يشبه أفعى سوداء تزحف على الأرض. كان دخان أبيض يرتفع فوقها وبدأ يجهز نفسه للوقوف. حين وصـل إلى المحطة، بات الجميع ينظرون إلى مقدمتهن كان صـغيراً من بعيد، أما الآن فهو ضخم للغاية، أضخم من التنانين التي كانوا يتحدثون عنها في الأساطير.
ركبوا القطار. وضعهم الـ"ملا صديق" في عربة فارغة. كان الفتية لا يودون الجلوس على المقاعد، بل ينظرون حولهم ويخرجون رؤوسـهم من النوافذ، وحين بدأ القطار بالحركة، ذهبوا إلى الممر ولم ينتبهوا لنصـائح الملا. ينزلون النوافذ ويتفرجون على الطريق. كانت نسـمات الهواء المنعشـة تضـرب وجوههم الفتية وتسرح شعرهم.
دخل القطار في نفق مظلم. وانبعث الدخان إلى داخل العربات، فبدأوا يسعلون. أغلقوا النوافذ. بعد برهة، انتهى القطار من النفق، وأسرعوا مرة أخرى راكضين إلى الممر.
كان الظلام قد حل حين وصـلوا إلى محطة "داراهێنێ". ما لفت انتباههم أكثر من كل شـي ء، كانت عواميد الكهرباء، مضاءة وموضوعة على صف واحد ومتناسق. كانوا مندهشين من ذلك المنظر. قال لهم "عزيز": إن رجال المدينة رجال أذكياء بالفعل. أنظروا كيف أنزلوا النجوم من السـماء وعلقوها على هذه العواميد."
أصابتهم الدهشة حين وصلوا إلى السوق وشاهدوا المحلات والفواكه مصفوفة أمامها، البرتقال، البطيخ، التفاح، والكرز... موضوعة باتقان أمام المحلات. ظنوا لبرهة أن تلك المحلات هي كبساتين القرية، لكنهم أدركوا بعدها أن الكَرمْ باقٍ في القرى فقط، لأن هؤلاء لا يعطون شيئاً لأحد بدون مقابل.
ما أثار استغرابهم أكثر كانت السيارات. كانت تمر مسرعة بقربهم. تسير على أربعة دواليب، ولديها عيون، إن رأت أحداً أمامها تبدأ بالزعيق فيهم.
في اليوم التالي، بدأوا يدورون في شـوارع المدينة حتى المسـاء. دخلوا بين زحمة السـوق وبدأوا يتصفحون الوجوه. دخلوا إلى المقاهي والمطاعم والأحياء. رأوا أطفالاً في أعمارهم جالسون يلمعون أحذية الرجال. أخرجوا صـندوق البويا العائد لبيت "حاجي كيفي" خفية وبدأوا يلمعون أحذيتهم باللونين الأسـود والأحمر، وحين رآهم صاحب البيت، بدأ يعاتبهم وأخذ الصندوق من بين أيديهم.
في اليوم التالي، نزلوا إلى السوق مرة أخرى، ورأوا جمعاً من الرجال والفتية مجتمعين في مكان ما في صـف واحد، كل منهم ينتظر دوره أمام نافذة، فيخرجون النقود ويسـتلمون بطاقة، ثم يدخلون إلى غرفة مظلمة. أرادوا الدخول بدورهم، فدخلوا إلى الصف إلى ان حان دورهم، كان "سليم" أولهم. أخرج النقود من جيبه وناولها للرجل الذي سـلّمه بطاقة. دخل إلى الغرفة المظلمة يتفحص كل شـيء من حوله وينتظر

صديقيه "لطفي" و"عزيز".

دخلوا إلى صـــالة، كانت مقاعدها الحمراء مصــــفوفة وينبعث صــــوت أغنية تركية للفنان "نوري سسيگوزل" في الصالة. كانت الأغنية تقول (آمان، ذلك اليتيم أيضاً يقول أن البلابل لا تغرد) كان "لطفي" يسـتمع إلى الأغنية والبقية كل جالس في مكانه. قال لهم "عزيز": هل دفعنا كل تلك النقود كي نسـتمع إلى هذه الأغنية؟". جاوبه لطفي قائلاً: " كانت هذه الأغنية موجودة على شـــريط كاســـيت لدى اســـتاذنا في المدرسة. كنا نستمع إليها كل يوم تقريباً."

دخل رجل ذو شوارب كثة إلى الصالة ويحمل في يده صندوقاً من الكوكاكولا، وبدأ يصيح: "كوكاكولا، كوكاكولا". بدأ الثلاثة يتحدثون بين بعضـهم :"ماهي هذه الكوكاكولا؟" بدأ بعض الجالسـين بشـرائها. كان البائع يفتح تلك القناني بشـــيء ما في يده وحين يفتحها ينبعث منها دخان وصـــوت غريب. كان الفتية يتناقشـون عن هذا المشـروب الغريب. قال "عزيز": "لقد جلبوا دبس التوت من القرى ووضـعوها في هذه القناني وأسموها كوكاكولا ويبيعونها للناس."

تساءل "سليم" عن ذلك الدخان المنبعث من القناني بعد فتحها. قاموا من أماكنهم وتوجهوا صـوب البائع وطلب منه "سـليم ثلاثة قناني. بدأ الرجل بفتح القناني لهم وسـلمها لهم. حين ارتشـف "سـليم" رشـفة من قنينته، أحس بحرقة شـــديدة في بلعومه، ثم في معدته. كاد يتقيأ هناك. احمرّت عيناه، وســـرعان ما ناول الرجل القنينة وقال له: "خذ هذه القنينة واعطني نقودي."

كان صـديقيه مثله أيضـاً وأرادوا بدورهم اسـترجاع نقودهم. استلم الرجل القناني منهم، لكنه لم يعيد لهم نقودهم وقال: "هيا انقلعوا من هنا." جلســوا في أماكنهم خائبين، وباع الرجل تلك القناني الثلاثة لآخرين هناك. كانوا يتناقشــون بين بعضــهم في ما يفعلوه ببائع الكوكاكولا. كانوا في غمرة نقاشــهم حين انطفأت الأنوار في الصـــالة وانقطع الصــوت من الجميع، حتى الأغنية تم إيقافها، ثم ظهر في الجدار المقابل لهم عدة رجال. أخرج أحد الرجال مسدسه وبدأ يصوبه على رجل آخر أمامه وبدأ يطلق النار. انبطح "سليم" على الأرض حين ســمع دوي الطلقة، ورأى صـــديقيه أيضـــاً منبطحين بجانبه. التفتوا حولهم ورأوا إنهم لوحدهم فقط على الأرض. رفعوا رؤوسهم وجلسوا مجدداً على كراسيهم. كان الرجال على الجدار المقابل يقتلون بعضهم أمام مرأى الجالسين في الصالة الذين لا يأبهون لذلك القتل أمامهم.

بدأوا يستفسرون من بعضهم عن السر في ذلك، ينظرون حولهم مندهشين فاغري الأفواه، وتبين لهم أن إضارة (إضاءة) تنبعث من الجدار المقابل ويتم اسقاطها على الجدار أمامهم.

حين خرجوا من الصالة، كانوا يتحدثون فيما بينهم عن الموضوع الذي شاهدوه. كانوا يسيرون صوب منزل "حاجي كيفي" حين مر بقربهم عربة حنتور. لأول مرة يرون حصاناً يسحب شيئاً شبيهاً بغرفة وفيها كراسي للجلوس، فركضوا خلف تلك العربة لعدة أمتار.

في اليوم التالي، كانوا قد جهزوا صـــورهم وتوجهوا إلى محطة "داراهێنێ". حين وصـــلوا إلى القرية، بدأوا يسردون لأهاليهم وأصدقائهم لأيام متتالية ما شاهدوه في المدينة. حين وزع عليهم الأستاذ الشهادات، كانت علامات "سليم" في كل المواد بدرجة جيد جداً، عدا مادتين فقط.

كانت هناك مشـــكلة في قرية "تونســـت" وهي أن الأرض من تحتهم كانت كل فترة وأخرى تنزلق وتنجرف التربة، وخاصـة بعد سقوط الامطار. كانت بيوت القرية مبنية بالقرب من هضـبة عالية، وكانوا يقولون أن أرضـية ذلك المكان وتحت عمق عشـرين متراً هو تراب أحمر، وحين تهطل الأمطار، تصـل المياه إلى تلك التربة الحمراء التي تنزلق بدورها، فتؤدي إلى انزلاق البيوت والأشـــجار من مكانها. حتى إنك كنت ترى أحياناً أن الأشجار الضخمة قد تحركت من مكانها.

كان قد تم انتخاب "محمد بلگن" عن حزب السلامة، وأصبح في مجلس الشعب بأنقرة. توجه القرويون إليهم وقدموا إليه شـكواهم كي يجدوا حلاً لهم لمســألة انزلاق التربة في القرية، ووعدهم هذا بدوره أن يوصل شكواهم إلة المجلس، فقد كان يعرف بأوضاع المنطقة كلها مسبقاً.

كانت مختارية القرية قد سـحبت من "علي مهاجر" واسـتلم بعده "عارف"، ثم اسـتلمها "نيازي امينة". حين قدوم الجندرمة إلى القرية كانوا يتوجهون إلى منزله. كان قد اســتلهم فكرة بناء مرحاض من منزل "محمد زكي أفندي" ومن مراحيض المدرســـة، لذلك، قام بدوره ببناء تواليت قرب منزله، كان هذا المرحاض مخصــصـــاً لعناصــر الجندرمة فقط. كانت أخت "نيازي" متزوجة من "محمد زكي أفندي"، وسمعوا هناك لأول مرة بمشروب واسمه الشاي. فلم يكن هناك من وجود للشاي إلا في منزل "محمد زكي أفندي"، ولم يعلم أحد غيره ما هو هذا المشروب الذي يسمونه بالشاي. كان "نيازي" قد جلب كمية صغيرة منه من منزل أخته وقدم للجندرمة الشاي. يحضر الشاي فقط عند قدومهم ولا يحضره لأحد غيرهم.

في سنة 1965 جلب موظفو الدولة لوحاً كبيراً وكتبوا عليه "إيكيزگول"، وهو إسم القرية الجديد. لم يكن يفهم القرويون ما هو مكتوب ولا معنى الإسم عليها.

كان منزل "حسة إيبي" خلف ذلك اللوح. كان هذا الشخص حاذقاً ومرحاً ويقول رأيه في كل شيء بدون خوف.

كانت قرية "ميآلان" تبعد عن قرية "تونست" مسافة مسير ساعتين فقط. كانت "لميا" ابنة "محمد زكي أفندي" متزوجة في تلك القرية من أحد الشـيوخ الميآلانيين واسـمه "نظام الدين". في فصـل الشـتاء، حين هطل الثلج، وبعدها هطلت الأمطار، تجمد الثلج على الأرض وبدأ الصـــقيع والبرد القارس. خرج الشـــيخ "نظام الدين" صـباحاً من منزله وطلب منهم أن يجهزوا زحافته كي يتوجه إلى قرية "تونسـت" وقال لهم: "أود الذهاب إلى بيت حســـى إيبي، أريده أم يمزح ويســـرد لنا بعض فكاهاته." أخرجوا الزحافة من الاسطبل، ووضعوا عليه فراشاً من صوف الغنم، إضافة إلى مخدتين، جلس الشيخ في مكانه وهو يلبس الجوارب المصنوعة من الصوف، ثم دثروه بلحاف سميك أيضاً.

مسك شخصان بزحافته وإثنان آخران يدفشانها من الخلف. بعد ساعتين وصلوا إلى قرية "تونست". قال الشيخ لأحد أعوانه: "إذهب واخبر حسى إيبى أن الشيخ يطلبك." فهرع الرجل مسرعاً يلبي طلبه.

كان "حســى إيبى" حاملاً إبريقه كي يتوضـأ. حين لمح ذلك القروي من قرية "ميآلان" راكضــاً نحوه، توقف في مكانه. قال له الرجل: "أسرع يا حسين، الشيخ يطلبك." ابتسم "حسى" للرجل وكإنه يتمسخر عليه وقال: "إذهب وأنا سـألحقك فيما بعد." ذهب للوضـوء وهو يحمل إبريقه النحاسي. عاد إلى البيت وبدأ يصلي، وأخرج مسبحته من جيبه وبدأ بالأدعية والصلوات. ثم قاملبس ثيابه وخرج من البيت.

كان الشـــيخ في منزل "نيازي أمينة". حين مرّ من أمام باب "حاجي ككێ" لمح أربعة رجال من قرية "ميآلان" أمام بيت "نيازي أمينة" يرتجفون من البرد. صرخ فيه أحد الواقفين هناك: "اسرع يا حسين، أين

كنت؟ منذ ساعة والشيخ ينتظرك." ابتسم له "حسى" قائلاً: "الشيخ دائماً يطلبني. سأنفجر إن نفذت كل طلباته. ما بالكم ترتجفون هكذا من البرد. لقد ركب على ظهوركم من هناك إلى هنا، وترككم ترتجفون هكذا من البرد. هيا أدخلوا إلى البيت!"

حين سمعوا كلامه هذا، قالوا له: أخفض صوتك يا حسين كي لا يسمعك الشيخ."

دخل "حسى" إلى بيت "نيازي"، وفور دخوله، رأى الشيخ جالساً عند الموقد وقد احمرّت وجنتاه من الحر. وقبل أن يرحب بقدومه قال له: " يا شيخ، يا شيخ، لقد ركبت على ظهور هؤلاء الحمير من هناك وأتيت بهم إلى هنا، لِمَ لا تناديهم كي يأتوا ويتدفأوا في الداخل؟"

رد عليه الشيخ: "أصمت يا حسين. وهل الحمير خلقت كي نركبها؟"

كان منزل "الملا درباس" إبن "أمىّ" أخت "عيسى" قريباً على بيت أخيه "حسى" وكان هذا الرجل متعلماً ويجيد القراءة والكتابة.

كان أخاه "حسى إيبى" أحياناً كثيرة ما يمازحهم. في إحدى الأيام كان "الملا درباس" يتحدث عن الدين وأخاه "حسى" واقف بعيداً عنه. كان كإنه لم يهتم بحديث أخيه، لكنه كان يستمع بدقة إلى ما يقوله. في تلك اللحظة، سمع صوت تحليق طائرة فوقهم. رفع "الملا درباس" سبابته صوب الطائرة وقال لهم: "لقد استفاد الكفار من القرآن في صنعهم لهذه الطائرة." لم يكن أخاه "حسى" يقتنع بهذه الأمور، فقال له ضاحكاً: " إذا كان الكفار قد قرأوا القرآن وصنعوا هذه الطائرة منه فلم يقرأ أحد مثلك القرآن. لِمَ لم تصنع أنت طائرة؟" قهقه جميع الحاضرين هناك.

كان عازف الناي الأشهر في القرية هو "درويش" واسم زوجته "دَردىّ". كان فقيراً معدماً، بالكاد يدبر قوت يومه. كانت إبنته "گورجى" تعمل في منزل "محمد زكي أفندي" بقوت يومها فقط. أما أبناءه الآخرين، فكانوا كا (ما) زالوا صغاراً. لم يكن "درويش" يعرف لغة غير الكردية الزازاكية، ولا يجيد القراءة والكتابة. كان والداه قد توفيا منذ زمن بعيد. كان له أخ واحد فقط، وهو أيضاً فقد حياته نتيجة مرض ألم به. عدا ذلك، لم يكن له أحد. كان من النوع الكتوم الصامت، لا يتكلم كثيراً ولا يضحك أيضاً، قد تكون لديه هموم كثيرة ولا يود أن يبوح بها لأحد. كانت علاقاته جيدة مع الجميع، لا يؤذي أحداً، لا يحب الثرثرة والتخريب ويساعد كل من يطلبه للمساعدة.

الفرق الوحيد بينه وبين الآخرين، إنه كان عازفاً ماهراً على الناي. الحقيقة، إنه لم يكن يعزف فقط، بل كان ينفخ الاهات والهموم، كانت الناي وكأنها تبكي بين يديه. كان الجميع ينصتون إليه عزفه ويذرفون الدموع. لم يكن أحد يعلم من أين تعلم هذا العزف الشجي في هذه الجبال النائية. وبدوره، لم يكن يتحدث مع أحد في هذا الأمر. كان نايه هو لسان حاله، لسان حال المهمومين والميؤوسين. كان نايه كل ماضيه وحاضره ومستقبله أيضاً.

كان يحب نايه أكثر من كل شيء في حياته. صنعها من شجر التوت، وصنع له من القماش خرجاً يضعها فيه، وأينما ذهب يأخذها معه. كانت كظله لا تفارقه أبداً، وكلما يحس بضيق، يخرجها ويبدأ بالعزف.

كان بيته مكوناً من غرفة صغيرة واحدة، ينام فيها هو وأبناءه في تلك الغرفة في الشتاءات، وفي الصيف، كان أولاده ينامون في الغرفة، أما هو وزوجته، فكانوا ينامون فوق سطح الغرفة تحت النجوم.

كان الجميع يعلمون أن "درويش" يحب زوجته "دَردىّ" حباً جماً.

كان "درويش" و"دَردىّ" والناي كجسد واحد. كان هناك تناغم بين الثلاثة. لم يكن "درويش" يطيق الحياة بدونهم ولا هم يستطيعون العيش بدونه. يُقال، أن "درويش" كان جالساً عند الموقد في إحدى أيام

www.arsivakurdi.org

الشتاء، أتاه خبرٌ من قرية "سرين" التابعة لمدينة "چوليگ" أن هناك حفلة ستقام في تلك القرية، ويطلبونه كي يعزف على الناي فيها.

فكر في الأمر كثيراً، ثم استأذن من "دَردێ" وحمل نايه وانطلق إلى الك القرية.

كما يسرد في القصص، ذهب بعيداً، قطع أنهار وجبال حتى وصل إلى قرية "سرين". كانوا في انتظاره هناك. حين دخل إلى إحدى المنازل من أصـــحاب العرس، جلبوا له العصـــير، فارتشـــفه وحددوا مكاناً لجلوس. أخرج الناي من الخرج، وبدأ ينفخ فيه. كانوا يستمعون إليه بصمت، ينظرون إلى أصابعه الساحرة وهي تتحرك بخفة على ثقوب الناي. عزف جميع الأغاني الزازاكية التي كان يعرفها على الناي. اندهش الحضور من شخص صامت وفقير كهذا ويستطيع أن يسحر كل من حوله بعزفه الشجي.

بعد ان انتهت الحفلة، ذهب كل شـــخص إلى بيته، لكن الجميع دعوه إلى بيوتهم، لكنه لم يقبل. وبعد ان تفرق الناس من حولهم. بقي هو وصاحب البيت لوحدهم، فقال له "درويش": "إسمح لي، سوف أعود إلى قريتي.". اعترض صاحب البيت ولم يقبل بطلبه وقال له: "كيف سأتركك تذهب في هذا البرد القارس وفي هذا الوقت المتأخر من الليل؟ لن أدعك تذهب". لكن "درويش" أصـر على العودة، فهو لا يسـتطيع أن ينام بدون زوجته "دَردێ".

حين رأى صـــاحب البيت إصـــرار "درويش". وضـــع يده في جيبه. قام "درويش" وودعه وخرج من القرية.

حمل نايه وتوجه إلى "دَردێ" يسـتعجل في المسـير. كان الثلج ينهمر والجو بارد وطريقه طويلة. كان سـيجتاز الجبال، حيث الذئاب الجائعة والثعالب والضـباع، الأنهار قد توقفت عن الجريان من الصـقيع، لا صوت للطيور يُسمع، لكنه أصرّ على العودة.

اشـتدت الظلمة، هطل المطر، ثم الثلج، وبدأت الرياح تعصـف. تاه الطريق، لا يدري أية طريق يسـلك. أراد تكملة المسـير لكنه لم يعد قادراً عليه. جلس في مكانه، لكنه لم يسـتطع الجلوس أيضـاً. قام من مكانه، ووقع أرضـــاً، وقام مجدداً. كل ما حوله أبيض وبارد، لكن ذلك البياض تحول إلى ســـواد.. ظلام، ظلام دامس...

أصبح الثلج فراشاً لـ"درويش" ونام عليه نومه الأبدي.

مرت أيام، لكن "درويش" لم يعد. أوصلت زوجته "دَردێ" خبراً إلى قرية "سيرن" (سرين يان سيرن) لكن لم تتلقى جواباً عنه من أحد. حل الربيع وبدأ الثلج يذوب وأصـــبحت مياهه دموعاً. رأى أحد الرعيان الذي كان يرعى قطيعه هناك شـيئاً ما بين الثلج. توجه إلى هناك، ورأى "درويش" يحمل نايه في حضـنه ونائم. ذاع خبر موته في كل القرى هناك.

حمل محبيه جنازته إلى القرية. كانت "دَردێ" تذرف الدموع على زوجها ونايه، باتت لوحدها هي وصغارها إذاً.

سمى أهل المنطقة اسم ذلك الجبل الذي مات عليه باسم جبل "درويش" تقديراً له. سلموا نايه لـ"سليمان" صديقه الصدوق الذي تعلم منه العزف على الناي.

كانت "كوبك" معروفة في القرية بنكاتها ومزحاتها، وبيتها كان قريباً على بيت "حوسـى گونجێ" الذي كان يملك حماراً طاعناً في السـن، مشـقوق الأذن، تسـاقط الوبر من على رأسـه، وظهره مليء بالدمامل والبثور، وبعين واحدة.

أما "كوبك" فكان لديها أتان. كان حمار "حوســـى گونجێ" يحوم حول بيت "كوبك" لأجل أتانها. كانت "كوبك" تجلس في باحة منزلها وتدخن سيجارتها وتنظر بطرف عينها إلى حمار وتقول:

"أنظروا إليه وإلى حاله.. كم اتمنى لو كنت حماراً نظيفاً كي تضاجعني أولاً!"

www.arsivakurdi.org

في صـــيف ســـنة 1966، كـان "عبدالرحمن" إبن "نيازي قلاجي" قد عـاد من "جيهان" إلى قرية "تونست"، لابساً طقماً واسعاً عليه وممشط الشعر وينتعل حذاءً أسودراً (أسودا) براقاً.

قبل أن يهاجروا إلى هناك، كان بيتهم مجاوراً لبيت "سليمان. لذلك، عقد "سليم" معه الصداقة بسرعة، لأن إثنين من أعمامه أيضاً هناك في "جيهان"، فسأله عن أعمامه. جاوبه "عبدالرحمن" بإسهاب قائلاً له: "أتيت إلى القرية كي أشـتري الغنم. أنا و(أحمد ككێ) شـركاء في ذلك. إن حصـلت على كمية كافية من الأغنام سـأعود مجدداً إلى جيهان." قال له "سـليم": "أود أن آت معكم." سـأله "عبدالرحمن": "لماذا تود المجيء؟" جاوبه "سليم": "لأجل الدراسة."

إلى أن اشـتروا أغنامهم، كان "سـليم" قد أقنع والديه بالسفر. لم ينم تلك الليلة، وقبل أن ينطلق في رحلته كانت والدته قد جهزت له بعض الأغرض في سلة. كانت السلة تحتوي على بعض السمنة والجبن لأعمامه "كلش" و "رمضـان"، كما وضـعت له الطعام كي يتناوله في الطريق. حمل والده عنه تلك السـلة إلى حين وصـــولهم إلى محطة "ســوڤرن" وبدوره كان يســير مع "أحمد" و"عبدالرحمن" وأغنامهم على الطريق الحجري. كاد يبكي لإنه سـيحن لوالديه وقريته. توقف فوق هضـــبة وألقى النظرة الأخيرة على القرية، ثم توجه صوب نهر "مرادێ".

وصلوا إلى النهر بعد ساعة من المسير، وكان عليهم ركوب الزورق للوصول إلى الضفة الأخرى منه. كان كل من "سـعيد عارف" و"مستى أفندي" الذين يعملان في خدمة منزل "عبدالحميد أفندي" يعملان في نفس الوقت على ذلك الزورق. في ذلك اليوم، نقلوا كل تلك الأغنام بالزورق إلى الضفة الأخرى من النهر، بعدها وصلوا إلى المحطة.

انتظروا القطـار كثيراً. ثم ظهر لهم من بعيد وبدأوا يجهزون أنفســـهم، أركبوا الأغنـام في العربـات بصعوبة بالغة، كانت الأغنام تأبى ركوب القطار، وكإنها تعرف إنه سيأخذها إلى حتفها.

ودعهم "أحمد" هناك، أما "سـليم" و"عبدالرحمن" فقد ركبوا القطار. لكن هذه المرة كانت الأغنام رفيق دربه، أغلقوا الأبواب على عربة الأغنام بإحكام، وبدورهم كانوا ســيجلســـون في نفس العربة بينها. قبّل "ســليم" يد والده وذهب كي ليجلس في زاوية من العربة. جلس "عبدالرحمن" بقربه وقال له: "هناك عمل لـــ(أحمد) سيقضيه ومن ثم سيأتي بقطار آخر." لم يهتم "سليم" بكلامه هذا، بل كان جل تفكيره في ذهابه إلى "جيهان".

بعد أن نزل والده من القطار، بدأت الرحلة. كان "ســـليم" يبكي فرحاً وحزناً في آن واحد. كانت الأغنام تقترب منـه، لكنـه يبعدها بيده. حين يمر القطـار بـالأنفاق المظلمـة، كـان "عبدالرحمن" يقول لـه: "هل تخاف؟" فكان "سليم" يرد عليه "ولِمَ الخوف؟" لم يكن يخاف، فهو سيصبح بعد عدة أشهر في سن الرابعة عشرة، أي سيصبح رجلاً بالغاً.

لم يكن يدري بخطة "عبدالرحمن" الذي كان يخطط أن يتركه لوحده في العربة، لذلك كان يســـأله تلك الأسئلة.

بعد وقوف القطار في عدة محطات، نزل"عبدالرحمن" من العربة بحجة إنه سيشرب الماء، لكنه لم يعد بعدها.

كان "سليم" يرفع رأسه من العربة التي كان سقفها مفتوحاً يستطلع عودة "عبدالرحمن". لكن ما هي إلا لحظات حتى أطلق القطار صافرته وبدأ يسير. عاد "سليم" إلى مكانه وبدأ يبكي.

www.arsivakurd.org

إذاً، تركه "عبدالرحمن" لوحده مع الأغنام. يتصاعد الدخان من حوله حين يمر القطار بالأنفاق، ويسعل بقوة من تأثيرذلك الدخان. لم يكن يحمل معه مرآة، لكنه كان يحس أن وجهه مليء بالغبار والدموع.

بعد عدة محطات أخرى، نزل من القطار وبدأ يصيح باسم "عبدالرحمن" لكنه لم يجده. غسل وجهه في نبعة قريبة على تلك المحطة. عاد إلى القطار، لكنه لم يركب عربة الأغنام هذه المرة، بل راى عربة مغلقة ودخل فيها. أغلق الباب على نفسه فيها، وبذلك أنقذ نفسه من رائحة الروث.

حل الليل، والقطار ما زال يسير بتثاقل، يقف مطولاً في إحدى المحطات وللحظات قصيرة في محطات أخرى. أحس بجوع شديد، لكنه حزنه كان أشد من إحساسه بالجوع، لذلك لم يرغب في تناول أي شيء.

حل الفجر، وتوقف القطار في محطة لا يعرفها، كأن الجو أصبح بارداً قليلاً في الخارج. قال بينه وبين نفسه: "لأذهب إلى عربة الأغنام وأتدفأ بينها." حين توجه إلى هناك أصابه الذعر. كان باب العربة قد وقع أرضاً وسلته وبعض أغراض "عبدالرحمن" وأربعة أغنام كانوا عالقين تحت الباب، وبعض الأغنام كانت فوق الباب.

حين سار القطار، استطاع أن يبعد الأغنام من فوق الباب، أما التي وقع الباب عليها، فكان إثنان منها قد فقدا الروح، وإثنان أخرى على وشك الموت. حاول كثيراً إنقاذها، يمسك بأذنها كي يسحبها إلى داخل العربة، لكنه لم يقوى على حمل الباب. كان يبكي وينظر إلى السماء ويدعو الله في قلبه كي ينقذه. كانت الأغنام المفتوحة العينين تحت ذلك الباب الحديدي تنظر إليه وكإنها تناجيه كي يخلصها من ذلك العذاب. لكنه كلما يحاول إنقاذها، كانت أغنام أخرى تحاول القفز من فوق الباب.

كان يترك الأغنام المعلقة تحت الباب ويبدأ بصد الأغنام الأخرى ويبعدها عن الباب. أخيراً، حين أدرك إنه لا يستطيع فعل شيء آخر، جلس في مكانه وبدأ بالبكاء.

كان القطار يسير، والأغنام الجريحة تلفظ أنفاسها الأخيرة. لأول مرة في حياته يرى الموت عن قرب، ولأول مرة في حياته يدرك قلة حيلته. كان ذلك الباب يقتل الأغنام أمام عينيه، وما من أحد يساعده في محنته هذه. حتى الله الذي كان يؤمن به "سليم" كثيراً، غاب كما غاب "عبدالرحمن" عنه.

بكى بحرقة، إلى أن غط في نوم عميق بجانب الأغنام تلك تحت الباب. حين فاق من نومه، رأى الأغنام التي كانت تناجيه قد ماتت وأسلمت الروح، مغلقة العينين.

أشرقت الشمس، وبدأ يحس ببعض الدفء، فتح عينيه على رائحة روث الأغنام الشديدة. لم يفكر أن يرفع رأسه ويطلب النجدة أو يصرخ كي يأتيه منقذ ما. كان ممدداً عند الباب كي يبعد الأغنام التي تقترب من هناك.

نسي الجوع، وجف حلقه من العطش. كان يخجل من النزول من العربة، لأن وجهه مغبر ويداه ورجليه كانتا متسختين الروث.

في ساعة متأخرة من الليل، فاق على صوت "عبدالرحمن". نظر حوله، كانت الأغنام ممددة في مكانها. بدأ بالبكاء بصوت مسموع حين رأى "عبدالرحمن أمامه. قال له "عبدالرحمن":" لا تخف، أنا قادم." لكن "سليم" يبكي ويصيح: "لقد ماتت الأغنام." حملا سوية الباب عن تلك الأغنام. كانت سلة "سليم" مليئة بالروث. أخرج "عبدالرحمن" سكينه وبدأ يذبح الأغنام الميتة بسرعة، يمسك بأرجلها ويعلق أجسادها بالعربة. أراد أن يتحدث مع "سليم" لكن "سليم" لم يعره بالاً وجلس في زاوية يبكي.

خفت سرعة القطار، اقترب "عبدالرحمن" منه وقال له: "قُم، لقد وصلنا إلى جيهان." حين قال له ذلك، قفز من مكانه إلى باب العربة. نزلوا منها، كان روث الأغنام عالقاً به حتى أذنه.

أتى "أحمد" أيضاً، ومن ثم عمه "كلش" كان سيأتي. حين سرد لهم "سليم" ما جرى معه، بدأوا

يضحكون عليه.

كان يلزمهم الكثير من الوقت كي يُنزلوا الأغنام من العربة. بعدها، أركبوا تلك الأغنام بشـــيء عجيب يراه "سليم" لأول مرة، كانت دواليبها الأمامية صغيرة والخلفية كبيرة ويقولون لها التركتور. كان عمه هو من يسوق التركتور هذا. وضعوا عدداً كبيراً من الأغنام في عربتها، وبقي "أحمد" مع البقية في العربة.

جلس "سليم" و"عبدالرحمن" في زاوية من عربة التراكتور، مرّوا من طريق مشجر حتى وصلوا إلى حي "الحرية".

كانت هذه المدينة لا تشـــبه القرية في شـــيء. لا يوجد فيها جن، ولا ملائكة، ولا كوابيس حتى. لم يكن يتحدث أي منهم عن هذه الأشياء. كان كل شـيء مختلفاً عنده، وكإنه اجتاز عصـر إلى عصـر آخر. حتى الملاعق هنا لم تكن خشـــبية، ولا توجد طناجر رخامية، حتى أن الناس هنا لم يكونوا يهتمون ببعض. كان المال هو المقياس فقط. تلك النقود الورقية هي التي تحدد قوة واحترام الانســـان هنا. الجميع يتكلمون اللغة التركية، والزازا يخجلون من التحدث بلغتهم.

كان "سليم" قد قدم إلى المدينة لأجل الدراسة، لكن المحيط من حوله لم يكن مناسباً. كان كل شيء غريباً عليه، حتى عمه وزوجة عمه. لم يكن أحد يستسيغ التحدث معه بلغته، ومن يتحدث بها يستخفون به.

بعد أيام من قدومه إلى بيت عمه، خرج كي يبحث عن عمل له، ودبر عملاً في صـــالة للبلياردو. بدأ "سليم" حياته الجديدة التي سيتعلم فيها الكثير.

www.arsivakurdi.org

www.arsivakurdi.org

-14-

في صيف سنة 1969، وصله خبر من والده إنهم سينقلون بيتهم من القرية، وكان عليه العودة. بعد ثلاثة سنوات من بقاءه في "جيهان" هيأ نفسه للعودة إلى مسقط رأسه. اشترى للعائلة بعض الأغراض، كما اشترى لنفسه ثياباً جديدة. حين عاد إلى القرية، رأى الكثير من التغييرات فيها أيضاً. انزلقت التربة فيها حتى وصلت إلى حد لا تصلح للسكن فيها. المكان المشجر الذي كان يأوي إليه كان قد تغير. باحة دارهم كانت قد انزلقت أيضاً وباتت على طرف من البيت.

في تلك السنوات، كان قد ازداد عدد أفراد أسرتهم وأصبح له أخاً آخر باسم "سعيد" الذي لم يتجاوز السنة من عمره. كان طفلاً أشقر البشرة وبشوشاً، يضحك دائماً. حضنه "سليم" وبدأ يلاعبه، كما رأى أخاه "عمر" لاول مرة، فحضنه أيضاً وقبّله. أما "حسن" فكان قد أصبح في عمر الدراسة وبدأوا يجهزونه للذهاب إلى المدرسة. أما "محمود" و"نجم الدين" فقد كانوا يداومون فيها. في الليلة الأولى، سرد لوالديه الأسباب التي منعته من الدراسة في "جيهان".

كان مشتاقاً لكل مرابع طفولته، لذلك خرج في اليوم التالي من البيت يود أن يذهب إلى البحيرة، تسلق الهضبة ونظر إلى البحيرة، لكنها لم تكن في مكانها. ركض إلى مكانها الاول، لكن الإنزلاقات التي حصلت في القرية جعلت حتى البحيرة تنزاح من مكانها. لمتكتف الانزلاقات بهذا فقط، بل أودت بنبع القرية أيضاً. ذكرياته كلها تحركت من مكانها.

تذكر حين كان الوقت شتاءً. كان البياض يكتسح كل مكان، إلا حول البحيرة، كانت هناك بقع من الأرض ذاب الثلج عليها.

صنع "سليم" مصيدة كما تلك التي كان يصنعها جده "عيسى" ووضعها على تلك الأرض ثم عاد إلى البيت. بعد ساعات عاد إلى مصيدته ورأى طائراً كبيراً يرتفع وينخفض هناك. ركض صوبه ورأى البط ذو الرأس الأخضر قد وقع في مصيدته. كان الفخ قد التف على رجلها فقط، وتحاول أن تطير بالمصيدة معها. سحب "سليم" الخيط السميك كي يسحب البط مع المصيدة، لكن البط كان أقوى ولم يستطع أن يُمسك بها. بدأ معركة طويلة مع ذلك الطائر حتى مسك به أخيراً.

لم يبق شيء في القرية على حاله. حتى جوقة الحيوانات في البحيرة أوقفت أوركستراها. الأفاعي والسلاحف اختفت. حتى الحشرات والصراصير هاجرت من ذلك المكان.

لا القمر ينعكس على البحيرة ولا النجوم تتراقص فوقها. كانت أطلال بحيرة فقط هناك. جلس في مكانه وبدأ ينظر إلى مكان البحيرة الضائعة ويبكي ذكرياته التي ضاعت معها.

زار أصدقاءه وسرد لهم كل ما رآه في "جيهان"، تحدث لهم عن الأفلام التي رآها في دور السينما، وشوارع البلدة وناسها. بجسب ما قال له والده أن الدولة قد استقطعت لأهالي القرية قطعة أرض في قرية"چلكانيێ" كي يبنوا عليها القرية الجديدة، وكانت قد بدأت بتعمير بعض البيوت السكنية هناك، كان كل بيت له حصة هناك، لذلك قال له كي يذهب هو وجدته "حليمة" أمامهم إلى قرية "چلكانيێ"، وبدورهم سيلحقونهم بعد أيام.

كانت قرية "چلكانيێ" بعيدة جداً عن قرية "تونست"، وكان على القرويين الذهاب إليها بالقطار أو بالسيارات. كان عليهم أن يذهبوا إلى "دارا هێنێ" من محطة "سوڤرن"، ومن هناك إلى مدينة "چوليگ" حيث يبقى أمامهم مسير سبعة عشر كيلومتراً، ومن هناك، كان الطريق المعبد إلى منطقة "موش".

سيضطر المرء إلى أن يعبر الجسر على نهر "گوينوك" الواقع على ذلك الطريق، ويصل من هناك إلى هضبة عالية، بعد تلك الهضبة سيصل إلى مفرق في نهاية ذلك الطريق المعبد.

حين يسير المرء من ذلك الطريق، سيصل إلى قرية "حاجي چايرێ". في نهاية القرية، يجد المرء قبر الشيخ "مصطفى" على تلة هناك. كان ذلك الشيخ قد زار "بنخَت" أيضاً ،وبعد عودته توفي هناك.

من هناك كان عليهم اجتياز عدة قرى أخرى حتى يصلوا إلى القرية المأمولة التي سيسكن فيها عائلة "سليم".

قطع "سليم" وجدته ذلك الطريق، يحملون معهم أغراض البيت وبعض الأغراض الأخرى التي كان عليهم أن يشترونها من "چۆليگ".

"چلكانى" التي تعني بالكردية الكرمانجية "أربعين نبع" لم يكن يوجد فيها نبع واحد حتى. وزارة الإعمار والإسكان كانت قد استولت على البيوت والأراضي التي ردمت بسبب الانزلاقات في قرية "تونست"، ثم بَنَت لأهالي قرى "تونست" و"دوآلى" و"پولێ" في هذا المكان مائة وعشرين وحدة سكنية وأسموها إسماً جديداً وهو "ينيكوي".

كانت تلك الوحدات السكنية ستُبنى في خمسة صفوف. في كل صف عشرين بيت، ومساحة كل بيت ستمائة متر، في الطرف العلوي كانوا سيبنون ثمانية بيوت يفصل عن كل واحد منها مسافة عشرة أمتار، بعد تلك البيوت كانوا سيحفرون الآبار لتمديد المياه، وبعد البئر مساحة فارغة سيجعلونها كساحة هناك، وبهذا الشكل بالنسبة للبيوت الأخرى.

بين الصف الأول من البيوت والصف الثاني مسافة ستين متراً وسيجعلون منها حدائق للبيوت. كان الطريق العام سيمر من وسط القرية حتى يصل إلى قرية "ديكى" الواقع على حافة نهر "مرادێ".

كان قد خصصوا لكل بيت مساحة خمسة أمتار لحديقة المنزل، وحديقة خلفية بمساحة ثلاثين متر. وكل بيت من تلك البيوت كان يتألف من طابق واحد وعبارة صالة وحمامات وثلاثة غرف نوم. كما كان سيبنون نقطة طبية فيها تكون قريبة على نهر "نازك" وفي نهاية القرية جامع ومدرسة ابتدائية.

بعد أن أنهوا بناء البيوت، ذهب "سليم" وجدته واستلموا المنزل رقم (17) في أسفل القرية. كان عليهم أن يشتروا أدوات البيت، فهم لم يجلبوا معهم سوى الفرش فقط. حين بدأت "حليمة" بتنظيف البيت، ذهب "سليم إلى مدينة "چوليگ" واشترى مدفأة مي يخبزوا عليها الخبز، كما اشترى بعض الصحون الطناجر والملاعق وغيرها، كما اشترى بعض الطحين والبرغل والرز، واستأجر سيارة عائداً إلى قريته الجديدة.

قبل قدوم "سليم" وجدته، كان هناك أناس من القرى الثلاثة الأخرى قد قدموا واستلموا بيوتهم هناك. كان "حافظ" زوج أخت "حميد اللاز" يقوم بنقل القرويون كل يوم بسيارتهم. وفي المساء يجتمع الفتية في مقهى. كان القادمون من القرى الثلاث يعرفون بعضهم جيداً كما وأن البعض منهم تربطهم صلات قرابة بعضهم ببعض.

كانت الأرض التي تم بناء القرية عليها سهلية، وفي طرفها هضبة استقطعوه لكل بيت عشرة دونمات كي يزرعوا الكروم وغيرها عليه. بدأ "سليم" بدوره بزراعة الكروم وكان سعيداً بعمله من الصباح الباكر إلى المساء بزراعتها.

كانت الحياة مختلفة عنها هنا عن قرية "تونست". بقي الجن، والشياطين، وبقيت الملائكة والكوابيس في قريتهم القديمة. بعد سنة من إقامته هناك، توجه "سليم" إلى قريته "تونست" حيث كان أخاه "نجم الدين" في الصف الرابع، و أخاه "محمود" في الصف الثاني. أما أخوته البقية" حسين وعمر وسعيد" كانوا ما يزالون صغاراً. كان البقية أيضاً عليهم الانتقال إلى القرية الجديدة. قال له والده "سليمان":

"سنأخذ الدواب مشياً، لكننا لم لن نستطيع أن ننقلها كلها في يوم واحد، لذلك، علينا أن نقضي ليلة في بيت كريفنا (علي كارو)." حين ذكر والده أمامه هذا الإسم، تذكر اليوم الذي ختنوه فيه.

كان "علي كارو" من قرية "كِرّان" وصديق والده أيام العسكرية. كما أن "نظام الدين" صديق والده في العسكرية كان قد أصبح كريفاً لأخيه "محمود"، و"أحمد إبن ككىّ" أصبح كريفاً لأخيه "نجم الدين". كان ذلك اليوم يوماً مميزاً، أتى فيه أخصائي الختان إلى القرية. أما الأطفال الذين كانوا سيختنهونهم مصابين الذعر والخوف.

بعد أن جهزوا كل شيء، ألبسوا "سليم" دشداشة مخططة، ونزعوا عنه بيجامته، ثم دخل "علي كارو" الذي كان يعاني من حوَل في إحدى عينيه، مسك بذراعي "سليم" وبدأ يلعب بشعره، ثم أخذوه إلى غرفة الختان. كان الرجل واقف هناك، وقد وضع عدته كلها أمامه. لاحظ "علي" خوف "سليم"، مسح شعره مرة أخرى وقال له:

"لا تخف، سترى إن الأمر بسيط جداً. ستصبح رجلاً بعدها وأجلب لك الهدايا."

مد يده من فوق ذراعي "سليم" ومسد برجليه بقوة، لاحظ "سليم" إنه لم يعد قادراً على الحركة. ثم جلبوا طشت الماء وحمل "سليم" إلى فوق ذلك الطشت. أغلق عينيه خجلاً، ثم سمع أخصائي الختان يقول "بسم الله". انبعث من "سليم" صراخ حاد. حاول أن ينقذ نفسه من ذلك الألم، لكن "علي" كان ممسكاً به بقوة. لم يكونوا يستعملون المخدر لأجل ذلك، بل بعض الأساليب البدائية لوقف النزيف فقط. حمله "علي" إلى الغرفة الأخرى. بعدها جاء الدور على أخوته الآخرين الذين جلبوهم إلى غرفته واحداً واحداً بعد الانتهاء منهم.

بعد ذلك اليوم، ذبحوا ثلاثة رؤوس من الماعز ودعوا رجال ونساء وأطفال القرية إلى تلك العزيمة. كما ان "علي كارو" بعدها بأيام قدم إلى القرية مرة أخرى وجلب بدلة وحذاء جديداً له كهدية.

إذاً، سيبدأ "سليمان" بنقل دوابه إلى "چلكانى". جهزوا كل شيء للإنطلاق. ما سيأخذونه وما سيتركونه. كانت لدى "طيبة" عادة وهي إنها كانت تحتفظ بكل شيء في منزلها ولا ترمي شيئاً. كانت لها ذكريات مع كل قطعة في منزلها، لذلك كانت تحتفظ بها ولا ترميها، أما الآن، فعليها أن تترك الكثير من تلك الأشياء القديمة خلفها. حتى أن "سليم" حين عاد من "جيهان" بدأ ينهرها ويقول لها "إرمي هذه الأشياء القديمة والتي لم تعد تصلح لشيء. لقد اخترع الانسان أدوات أجمل وأفضل من هذه." أما هي، فكانت تتمنى أن تأخذ معها كل شيء.

حين قاموا بوضع الأغراض الضرورية لهم على طرف، كانت "طيبة" تقول لهم: "وأين سأضع القمح هناك. وفي أية سلة سأضع البيض." حين سمع "سليم والدته تقول ذلك، حمل مقبض المعول وبدأ يضرب تلك الأشياء بعصبية، وكإنه بذلك يريد أن ينتقم من فقرهم السابق.

لكن "طيبة" كانت مختلفة عن ابنها، كانت تتمسك بماضيها وتحيا به. تتذكر كل قطعة من ذلك البيت، من أين أتت بها؟ وكيف كانت تخزن المؤونة وطعام ابناءها بها. كل قطعة تخبئ في طياتها ذكرى. الآن، حين ترى إبنها يكسر تلك الأشياء، فهو يكسر ماضيها وذاكرتها، لذلك جلست في مكانها وبدأت تبكي.

تركوا بيتهم القديم، ومخزنهم المليء بالسلال والأكياس القديمة وبعض الأغراض الأخرى. أغلقوا الباب، وحملوا كل أشيائهم على البغال والأحصنة والحمير. اقتاد "سليمان" وابنيه الكبيرين الدواب، أما "طيبة" والبقية الصغار كانوا سيسافرون بالقطار. كان هناك بعض القرويين الآخرين سيهاجرون، لذلك سلمتهم "طيبة" اولادها.

صادفوا في طريقهم "حسين محمد" وابنيه "واحد الدين وعبدالله" وساروا سوية. كان فصل الربيع على

وشـــك الحلول، وما زالت الثلوج على قمم الجبال العالية. كانت الخراف والجداء الصـــغيرة مع قطعانهم، تقفز هنا وهناك بحيوية، وكإنها تعبر عن سعادتها بقدوم الربيع.

توجه "ســـليمان" بعائلته إلى المجهول. لا يعلم ما ســـيحل بهم وماذا تخبئ لهم الأيام. ســـمع بعض المعلومات عن القرية الجديدة من البعض. لكن، هل سيستطيع تربية الدواب هناك؟ هل هناك مراع في تلك المنطقة؟ هل هناك أراضـــي للزراعة؟ لم يكن يملك معلومات دقيقة عن كل ذلك. كان هجره لتراب الآباء والأجداد صعباً عليه. لكنه الآن يترك كل شيئ خلفه، ويتوجه إلى مكان جديد وحياة جديدة.

وصـــل بقطيعه إلى نهر "مرادێ"، ولأن الفصـــل ربيع، والثلوج تذوب على القمم، فقد كان عبور النهر أصعب منه في الاوقات الأخرى، فقد تفجرت الينابيع وتشكلت السواقي من مياه الثلوج.

حين وصـــلوا إلى حافة النهر. أوقفوا القطيع، وبدأوا أولاً بعبور الدواب والبغال، ومن ثم القطيع. كان "سليم" يحمل خروفه يحبه كثيراً وكان قد أسماه "گوزل". حين أراد أن يعبر به النهر، انزلقت قدمه وسقط في الماء، وبصعوبة بالغة استطاع أن يحافظ على توازنه وينقذ خروفه من السقوط أيضاً.

حين رأى البقيى ما حل بـــــ"سـليم" أدركوا حينها أن عليهم أن يحملوا الخراف والجداء في أحضـــانهم ويعبروا بها النهر. أكملوا مسيرهم بعد ان انتهوا من عبور النهر، ووصلوا مساءً إلى قرية "كِرّان" ومنزل "علي كارو". أمضوا ليلتهم هناك، وفور حلول الفجر، تناولوا فطورهم وبدأوا بالمسير مرة أخرى. عبروا قرية "موسيان" ووصلوا إلى نهر "چوليگ". لاقوا صعوبة بالغة في عبور ذلك النهر ووصلوا إلى سهل "كادمادراگێ"، وقبل حلول الليل وصلوا إلى قرية "چلكانيێ".

حين وصل "حوسى محمد" وابنه "واحد الدين" إلى بيتهم الجديد، أوقفوا قطيعهم عند الباب. قاموا بحمل الأغراض من على ظهور الدواب وقال لإبنه: "اعتني بالقطيع يا واحد الدين." وقال لزوجته وبناته: "وأنتم احملوا هذه الأغراض إلى الداخل، ســأذهب وأتصــفح قريتنا الجديدة هذه." ذهب وبدأ يسـير في شـوارع القرية. ينظر إلى البيوت وصنابير الماء، وصل إلى تخوم قرية "ديكى" وقفل راجعاً.

كان أحد القرويين من قرية "ديكى" قد أضـــاع عنزته، لقاها في القرية الجديدة "ينيكوي". مســـكها من رأسها وبدأ يسحبها، لكن العنزة كانت تعانده ولا تسير معه. كان الرجل يتصبب العرق من من وجهه تعباً، ويمسك رأس العنزة بقوة ويجرها خلفه. رآه "حوسى محمد" على تلك الحالة، فقال له: "السلام عليكم. من أين أنت؟" فرج عليه الرجل غاضـــباً: "أنا من مؤخرة الحمار!" ابتســم له "حوســـى" وقال له: "على حد علمي، أن من يكونون من مؤخرة الحمير هم أناس جيدين. أما أنت، لماذا أنت سيء لهذه الدرجة؟"

لم يجاوبه الرجل، وبعد برهة ضـــحك وقال له: "يا خال، قل لي بحق الســماء من أنت؟ كيف أســعفتك بديهتك لتقول لي هذا؟" لكن "حوسى" تركه وعاد إلى بيته.

بعد ان استقرت عائلة "سليم" في قريتهم الجديدة، عاد بدوره مرة أخرى إلى "جيهان" وبدأ عمله مرة أخرى في صالة البليياردو تلك.

كان غالبية الذين يؤمون إلى تلك الصالة هم طلاب الجامعة وأولاد الأغنياء، وكان بينهم من كانت ميولهم يسارية. كانوا يتناقشون في بعض الأمور الغريبة والتي نثير (تثير) انتباه "سليم". في إحدى الأيام، حين عاد "سليم" إلى الصالة، سمع أحد الفتية يكفر بالله. بسماعه ذلك، أحس بانقباض في صدره، ونظر إلى السماء وكإنه ينتظر هطول الحجارة من السماء كما قالت له والدته أن من يكفر ستهطل عليه الحجارة. بقي لبرهة ينظر إلى السماء، لكن لم يحدث شي. كان أن يقع أرضاً من خوفه وأسرع إلى داخل الصالة. أصابه الشك من كلام والدته. خاف أكثر من ذلك الشك في داخله، فهو لن يفقد إيمانه بمجرد ذلك الشك.

في يوم آخر، كان يستمع إلى الراديو في الصالة. لفت انتباهه خبر أذاعوه، وهو، إن الحكومة تبحث عن "دنيز گزميش Denîz Gezmîş" ورفاقه، ومن يدل الحكومة على مكانهم، سوف تكافئه الحكومة. لم يكن يُدرك "سليم" أن "دنيز" هو إسم، وان"گزميش" هو لقب. كان يتصور إنه شخص رحالة في البحر. حيث أن إسم "دنيز" في اللغة التركية يعني "بحر" و"گزميش" يعني الرحالة. لكنه بعد ان فهم إن هذا الشخص مهم وإنهم يبحثون عنه، قارنه ما كانت تقوله له أمه عن حضرة النبي "محمد".

حين أدرك النبي أن أعيان مكة يريدون قتله، فر هو وصديقه أبو بكر من مكة وتوجه إلى غار حراء. حين بحثوا عنه المشركين في مكة، لم يجدوه، بل وجدوا علي بن أبي طالب في فراشه، حينها فهموا أن النبي قد ترك المدينة، وبدورهم حددوا مكافأة لمن يخبرهم عن مكانه.

ادرك "سليم" غاية النبي من ذلك، لكنه لم يفهم غاية هذا الرجل الرحالة في البحر! تُرى لماذا فرّ هذا الرجل من الحكومة وهو مطلوب من قبلهم؟ في صباح اليوم التالي، سأل أول طالب دخل الصالة عن هذا الرجل والمكافأة للذي يخبر عن مكانه. قهقه الطالب من سؤاله وقال له: "إن ذلك الرجل لا علاقة له بالرحلات ولا بالبحر. إسمه دنيز ولقبه گزميش فقط." لم يكد "سليم" يسأله سؤالاً آخر حتى قال له الطالب: "إقرأ الجرائد هنا وستتعرف من خلالها على الكثير من الأشياء." ذهب "سليم" إلى الطاولة التي كانت كومة الجرائد فوقها وحمل إحداها، كان إسم الجريدة "جمهورييت" مكتوباً بأحرف كبيرة. جلس وبدأ يقرأها. استقى منها بعض المعلومة الاولية عن ذلك الشخص، وهي أن "گزميش" هذا هو شخص معارض للحكومة ويطالب بالاشتراكية في البلد، ولم يكن "سليم" يعلم ما هي الاشتراكية!؟

كانت الجرائد تأتي كل صباح إلى الصالة. لم يكن يُدرك لماذا لم يكن يقرأها وشكر ذلك الطالب على تلك النصيحة التي أسداها له بقراءتها. كانت المعرفة مُرّة، كإنه انتقل إلى عالم آخر حين يقرأها، لذلك، كان يقرأ بنهم كي يتعرف على أشياء جديدة في العالم ويقرأ أهم الأخبار العالمية.

أحس بشغف إلى معرفة الاشتراكية. كانت هناك بعض الكتب التعليمية. توجه إلى أحد باعة الكتب وقال له: "هل تستطيع أن تدبر لي كتاباً عن الاشتراكية؟" نظر بائع الكتب إلى الرف ومد يده إلى كتاب صغير وناوله إياه. كان كتاباً بغلاف أحمر اللون ومكتوب عليه "ليو هوبرمان (ألفباء الاشتراكية)" اشترى ذلك الكتاب وتوجه إلى عمله. بدأ يقرأ فيه إلى وقت متأخر من الليل. كانت هناك الكثير من المفردات الغريبة عليه في الكتاب. مفردات لم يكن يعرف معناها. بدأ بكتابة تلك المفردات في دفتر، ثم انهى الكتاب بعد ساعات من قراءته. كان يقول: "هناك الكثير من الأشياء في عالمنا هذا وأنا لا أدري بها" ذهب إلى فراشه كي ينام، اختلط عليه عالمه. والدته، استاذه، جدته والملا صديق، ألم يقولوا له الحقيقة؟ قال ذلك وردد:

"التوبة، التوبة" ثم نام.

في اليوم التالي، أعاد قراءة ذلك الكتب (الكتاب)، وما لفت انتباهه هذه المرة كانت كلمة "الفلسفة" كانت هذه الكلمة أهم كلمة في هذا الكتاب. كان عليه أن يفهم معنى هذه الكلمة. ذهب إلى بائع الكتب السابق واشترى هذه المرة كتاب "جورج بوليتزر" وعنوانه "أسس ومناهج الفلسفة" وعاد بالكتاب إلى مكان عمله. قرأ جرائد ذلك اليوم، ودون المفردات الغريبة عليه في دفتره. طلب أجوبة بعض الأسئلة من الطلبة الذين يأتون إلى الصالة. بعد أن أنهى ذلك الكتاب، فهم أن ما تقوله الأديان وما تفسره الفلسفة بعيدان كل البعد عن بعضهما.

بدأ بقراءة ومعرفة الفلاسفة، سقراط، أفلاطون، أرسطو و ديويجين. كلما يقرأ عن أحدهم، يزداد شغفه بقراءة المزيد. كسر القالب الذي وضع في نفسه فيه في القرية وخرج منطلقاً نحو أفق جديدة. لكن، كانت هناك الكثير من الأسئلة لديه بحاجة إلى أجوبة. كان تأثير القرية بادياً عليه حين كان يتناقش مع الطلبة ذوي الميول اليسارية في الصالة، يحس بميوله اليسارية حين يتناقش مع المتدينين. كان في معركة، يتعارك فيها الفلسفة مع الدين.

سمع في إحدى الأيام أن الكاتب "عبدالله مينيي" سيعقد ندوة في "جيهان" فهرع مسرعاً إلى هناك وبدأ يصغي بدقة إلى كل ما يقوله الرجل. خرج من هناك بعد أن عزز في عقله توجهه الديني.

في يوم 16 آذار سنة 1971، سمع من الراديو إنهم ألقوا القبض على "دنيزگزميش" في منطقة "سيواس. في اليوم التالي قرأ الجرائد بنهم. أدرك أن هناك حرب طبقية في تركيا، لكنه لم يكن يعلم بعد في أية جبهة من تلك الحرب هو.

حين تناقش مع أحد الطلبة اليساريين، جلب له هذا كتاب "فلسفة النبي محمد" للكاتب "جميل سنا". هذا الكتاب غير نظرته إلى الدين. ذلك القدر الذي كانت والدته تحدثه عنه، لم يعد قدره.

بحثه في الفلسفة جعله يهتم بالتاريخ أيضاً. لأنه بدون قراءة التاريخ لن يفهم الفلسفة أيضاً. بدأ يقرأ الكتب عن الإغريقيين (الأغريق)، عن ميزوبوتاميا، مصر والهندوس. قرأ الألياذة والأوديسة، وهيوردوت. كان هناك فراق كبير بين ما تقوله له والدته وما كتبه "حكيم أوغلو اسماعيل"، لذلك دبر نسخة من القرآن مترجمة للتركية. قرأه بتمعن. ما لم يفهمه بالعربية، فهمه باللغى (اللغة)التركية. فهم أشياء كثيرة منه، ما جعله يتخلى عن إيمانه.

طرأت تغييرات كثيرة في تلك السنة على توجهات "سليم". سمع أخباراً من القرية إنهم سيفتتحون مدرسة إعدادية في القرية. إن أراد تكملة الدراسة فيها، كان عليه أن يسافر إلى القرية ويسجل إسمه فيها، حيث بعد ثلاثة سنوات سيصبح في سن يسوقونه فيه إلى العسكرية، لذلك عاد على الفور إلى القرية وسجل إسمه. كان بناء المدرسة جاهزاً وكله بفضل المختار "نيازي كايا" الذي حاول جاهداً لافتتاح هذه المدرسة لأبناء القرية.

لم يمض وقت طويل على "سليم" ليبني صداقات في المدرسة، حيث تعرف على "مهدي" أبن "محمد زكي أفندي" الذي طرد من جامعة "اتاتورك" في أرضروم بسبب أفكاره وتوجهاته. كان أخاه "سعيد أوزسوي" طالباً في "ألأزيز". كذلك كان إبن قريته "أحمد قاسم أوغلو" طالباً جامعياً. في نقاشاته مع "مهدي" لفت انتباهه في شيء وهو القضية الكردية. كان "مهدي" يقول له:

- هل تتذكر يا سليم شجرة التوت في القرية، كانوا قد علقوا عليها لوحة حمراء ومكتوب عليها باللون الأبيض "إيكيزگول كويو İkizgöl Köyü"؟

- نعم، أتذكر.

www.arsivakurd.org

- هل تعلم لِمَ غيّروا إسم قريتنا؟
- كلا.
- لم يغيّروا إسم قريتنا فقط، بل غيّروا أسماء كل قرى الزازا والكُرمانج. لم يكتفوا بهذا فقط، بل بدلوا اسماء الجبال والوديان والسهول والمدن والبلدان بأسماء تركية.
- لماذا يفعلون ذلك.
- لانهم يودون طمس هويتنا الكردية.

بعد هذا النقاش بينهم، ذهب "سليم" إلى البيت. تذكر كل ما كانت تقوله له جدته "حليمة" عن إعدام الشيخ سعيد ورفاقه في ساحة "درچيێ"، قتالم "يادو" وزوجته "تيليێ" مع الجنود الأتراك، معركة "أحمد كوَسي" في منطقة "سيوان" ضد الأتراك وبطولاته، ثم كيف قطعوا رؤوسهم ورموها في باحة مخفر "لجێ". مرّت هذه الأحداث كلها كشريط سينمائي في ذاكرة "سليم".

أراد أن يتعمق في أسباب هذه الأحداث.

الكتاب الأول الذي جلبه وبشكل سري كان كتاب "ديرسم في تاريخ كردستان" للكاتب "بيتار نوري ديرسمي". أنهى قراءة الكتاب بعد يومين. بعد الانتهاء منه، أدرك "سليم" أن مناطق "چميشگزک، خوزات، پێرتگ، چارسانجاخ، أواجخ، كزلكليس ومازگيرت" هي كلها "ديرسم". الديرسميون هم من الطائفة العلوية. لأول مرة يسمع "سليم" باسم هذه الطائفة من خلال هذا الكتاب. كان هذا الإسم يُفهم منه بلغة أمه إنهم آكلي لحوم البشر، ومعناه الأخر كان "قزلباش". كانت والدته تنهره على هذه التسمية ولا تستسيغ هذه التسمية. بعدها أدرك أن "العلوية" و"القزلباش" هي عقيدة لها اتباعها في كردستان.

ورد في كتاب "بيتار ديرسمي" إن الدولة التركية حاربت الكُرد في ديرسم بتاريخ 1937 و 1938 وقامت بنهب وتدمير المنطقة.قتلت من قتلت، ونفت البعض الآخر، ومن تم أسرهم في تلك الحرب، قاموا بإعدامهم في وادي "كالان" وإعدام قادتهم في "ألأزيز".

قبل انتفاضة "ديرسم" كانت قد قامت انتفاضة كردية في "كوچگرى" وتم قمعها بوحشية من قبل الأتراك. بعد انتفاضة "ديرسم" قامت انتفاضة في "آگرى". بعد قراءته لهذه المعلومات، توقف "سليم" أكثر على انتفاضة الشيخ سعيد. لأن هذه الانتفاضة حدثت بالقرب منه، أقرباءه، شيوخ قراهم، قريوا (قرويوا) قريته، كلهم كانوا مشاركين في هذه الانتفاضة، كما كان يعرف المنطقة التي حدثت فيها كما يعرف كف يده. بدأ يُدرك صمت هذه الجبال التي قامت فيها الانتفاضة، والسهول لِمَ هي مذعورة هكذا، والوديان لم هي خائنة.

كان "عبدالحميد أفندي" مازال على قيد الحياة، أما "ككێ" فقد ذهب إلى الحج وأضاف لقب الحاج على إسمه، و"محمود كوَسي" كان في قرية "چلكانيێ" حيث الثلاثة يقيمون هناك. هؤلاء الثلاثة هم شهور صامتون على تلك الأحداث.

لِمَ هم صامتين الآن؟ ولِمَ لم يخطر ببال أحد أن يسألهم عنها؟ كان هناك حلقة غامضة في الموضوع. بعد مرور أربعين عاماً على الانتفاضة، لكن مع ذلك نرى الناس يخافون الحديث عنها.

كان "سليم" قد التقى بـ"عبدالحميد أفندي" عدة مرات. كان شخصاً فارع الطويل ونحيل الجسد، مازال على قوته رغم إنه تجاوز السبعين من عمره. عيناه غائرتان بأنف أفطس وشوارب خفيفة. تذكر "سليم" كلماته حين ذهب إلى محطة "سوڤرن" من أجل حفلة زفاف أخيه "نجم الدين". كان "عبدالحميد أفندي" جالساً في دكان "آغا" وبدأ القرويون يسألونه عن أموره. كان "بحري چلكانى" من الحزب العنصري الذي يقوده "توركيش" وأبدى استياءه من توجهات الشباب أمام "عبدالحميد أفندي" وقال له:

- ما رأيك بتوجهات الشباب في چلكانيێ يا عبدالحميد أفندي؟
- لا تقتربوا من الشباب يا بحري، فهم سيفتحون الطريق الصحيحة.
قال له "بحري" ذو الشعر الأشعث:
- سأسرد لك قصتنا يا عبدالحميد أفندي. في إحدى الأيام، يقوم أحد عناصر بيشمركة "الملا مصطفى" من ذوي الرتب العالية بذنب كبير، ثم يلقون القبض عليه ويحاكمونه، وتحكم عليه المحكمة بالإعدام. في تلك الليلة يقوم ذلك البيشمرگه ويحمل قماشة في يده ويقول لمن حوله "قوموا كي نرقص" ويكون هو أول شخص في رأس حلقة الرقص. اقترب منه أحدهم وقال له: "غداً سوف يعدمونك. بدلاً من أن تكون حزيناً، تقوم وترقص!؟" يرد عليه هذا ويقول: "لماذا كنا نحارب؟ ألم نكن نحارب كي تصبح لدينا دولة ومحاكم؟ الآن لدينا محكمة وأصدرت حكمها، لذلك أنا سعيد." شبابنا هنا في هذه القرية يتصرفون نفس تصرف ذلك البيشمرگه الآن.
انزعج "عبدالحميد أفندي" من كلامه هذا وقال له:
- أيها الكلب القذر. عوضاً أن تصبح قائداً مثل ذلك البيشمرگه، أصبحتَ خراء لـ"توركيش".
أدرك "سليم" أن هناك شرارة في قلب "عبدالحميد أفندي" لم تنطفئ بعد.
تم طرد إبنه "محمد سراج بيلگين" الذي كان يدرس الطب في الكلية العسكرية بسبب توجهاته الفكرية. كانوا يقولون بإنهم كانوا يعاقبونه أشد العقاب بسبب ذلك. قد يكون "محمد سراج" قد تأثر بأفكار والده وتعلم منه الكثير من الأشياء. كان مجرد الحديث عن بعض الأمور هي جريمة كبرى في هنا.
حين بدأ الطلاب بالدوام في المدرسة، كانوا قد افتتحوا مكتبة أيضاً فيها. كان فيها الكثير من الكتب، بدأ "سليم" بقراءة الأدب الكلاسيكي العالمي. تولستوي، فيكتور هيجو، ويليام شكسبير، ميخائيل شولوخوف وغيرهم. انفتحت لديه آفاق جديدة بعد قراءة كل تلك الكتب. كانت قد تأسست جمعية يسارية في مدينة "چوليگ" تحت إسم "توب در Töb-Der"، بدأ "سليم" بالتواصل مع أعضاء تلك الجمعية واستفاد من مكتبتهم.
كان يشاركهم في النقاشات، وفي ظرف سنة، قرأ "سليم" كل الكتب الموجودة في مكتبة المدرسة، وبدأ يدخل في النقاشات مع أساتذته.
وصل خبرهم لأهل القرية من أنقرة أن الحكومة تزمع بناء سد لري الأراضي في القرية، سيقوم هذا السد بري الأراضي الزراعية من قريتهم وحتى سهل "كادمرداغ". كان خبراً جيداً فرح الأهالي به. كان مئات العمال سيعملون في بناء ذلك السد، ولم يمض الكثير من الوقت حتى قجم المهندسون وبدأوا يقيسون الأراضي ويبنون مبنى للشركة هناك، وجبلوا كل آلياتهم لأجل ذلك.
كان "اوزدمير سوتونچ Özdemir Sutun" هو صاحب تلك الشركة. كان طاعناً في السن، أصلع الرأس، وبضع نظارة سميكة على عينيه. كان يتجول في القرى ويكتب أسماء العمال الذين ينوون العمل معه في بناء السد.
حين أدرك "سليم" إنهم ينوون تشغيل العمال بأجر زهيد، تواصل مع نقابة"Bay-Sen" للعمال في "چوليگ" وتعرف على رئيس النقابة "زكي آدسز". كي يقوم "سليم" بتسجيل اسم العمال في النقابة كان عليه أن يبدأ العمل أيضاً في شركة بناء السد. حين علم صاحب الشركة بذلك، قال لرؤساء العمال: "اعطوه راتبه كاملاً، لكن بشرط ألا يقترب من العمال." رد عليه أحدهم: "وكيف نمنحه راتبه وهو لا يعمل؟" أدركوا في الشركة ما قام به "سليم" في النقابة، فما كان منهم إلا أن قالوا للعمال: "إن من ينضم إلى النقابة سوف يتم فصله من العمل."

تردد العمال في الانضمام إلى النقابة، لكن أجرهم اليومي زهيد جداً، لا أمان ولا ضمان في ذلك العمل. كان "سـليم" يود بذلك أن يزيد من أجرهم اليومي، ويحاول جاهداً إقناعهم، لكن جرت حادثة بين العمال غيرت الكثير من المفاهيم لديه، حيث لقي "واحد الدين" الذي كان يكن له الكثير من الحب مصـرعه في تلك الحادثة.

كانت الحادثة على الشـكل التالي: كانوا قد علقوا حديدة مدورة كبيرة خلف جرار زراعي كي يقوموا بتسـوية الأرض بها، وكان "واحد الدين" يعمل هناك بين الجرار وتلك الحديدة، ونتيجة لتحرك الجرار من مكانه، وقع أرضاً وأصبح تحت تلك الحديدة، وفقد حياته على الفور تحتها.

خيّم الحزن على كل القرية، وأصابهم اليأس من العمل. حين انتهت مراسيم تشييع صديقه، كتب "سليم" بيانه الأول من أجل العمال وضمان حياتهم وأمنهم في الشركة، وكان "واحد الدين" مثالاً على كل ما ينوي كتابته من أجلهم. كان قد كتب في البيان: " كان ما زال في التاسـعة عشـرة من عمره، وقد رحل عنا. ماذا سـيفعل والده حوسـى محمد الآن؟ ممن سـيطلب حقه ودم إبنه؟ لا أحد! لإنهم سـاقوا إبنه إلى العمل بطريقة غير قانونية. لا ضـمان على حياته ولا هو منضـم إلى نقابة العمال. ثقوا تماماً لو أن غنمة من غنمات "حوسـى محمد" قد ماتت في تلك الحادثة، لكان سـيطلب حقها من أوزدمير مدير الشـركة، لكنه الآن لا يسـتطيع أن يطالب بدم إبنه، لأن إبنه كان يعمل بطريقة غير قانونية. كما ترون بأعينكم الآن، فإن أرباب العمل لا يتعاملون معنا تعامل الدواب حتى."

بعد الانتهاء من كتابة هذا البيان، تم توزيعه في "چوليگ" على كل من يعمل في الشـركة، وبعد مدة قصيرة، قام هو ورفاقه باعتصام. كان من المقرر أن يتوقفوا عن العمل ولن يسمحوا لأحد بالعمل، حتى إن تطلبت الشدة في ذلك. كانوا يطالبون بمضاعفة أجر العمال، ولا يجوز تشغيلهم لعمال من خارج المنطقة. في اليوم التالي، وافق مدير الشـركة "أوزدمير" على كل مطاليبهم وبدأ منذ اليوم التالي بنقل العمال إلى مكان العمل بالحافلات.

استقر أهالي القرى الثلاث في قريتهم الجديدة، ولم يبق في القرية سوى عدة عائلات، منهم عائلة "حاجي ككێ"، وعائلة "زينى" أخت "طيبة". بعد ان هاجر الكثير من أهالي "تونست" قريتهم، لم يبقى فيها إلا هؤلاء، حتى أغلق مسجد القرية أيضاً لأن الملا هاجر منها. تحولت القرية إلى أطلال قرية.

هاجرت بعض العائلات من قرية "خيلان" وقرية "زوقر" إلى قرية "تونست" وبذلك ازداد عدد العائلات مرة أخرى فيها. قرروا فتح المسجد مرة أخرى، ومن أجل ذلك، أرسلوا في طلب "أشرف" النجار من قرية "پاكونيێ"، وحل ضيفاً على منزل "علي كوبى".

كان "أشرف" مثل الكثيرين من أهالي "تونست" شخصاً مرحاً يحب المزح. بدأ هذا بترميم نوافذ وأبواب ومنبر المسجد، وأصبح عمله على وشك الانتهاء. زارته "زينى" زوجة "علي" في المسجد وطلبت منه أن يصنع لها أربعة كراسي وصندوق خشبي على أن تعطيه أجره مقابل ذلك. وافق "أشرف" على ذلك، وذهب إلى بيتها وصنع لها أربعة كراسي خشبية وصندوق في مدة قصيرة.

بعد أن أنهى عمله، كانت "زينى" معه في الغرفة التي يعمل فيها، أما زوجها، فكان في الخارج يقوم ببعض الأعمال بمنجله. قال "أشرف" لها: "لقد أنهيت عملي وأريد أجري الآن.

قالت له "زينى": أي أجر. سأعطيك قضيب علي. إن أردته خذه واذهب!"

اشتكى "أشرف" وقال لزوجها ما تقوله زوجته. كان "علي" من النوع الصمت ولا يتكلم كثيراً. رفع هذا رأسه وقال لـ"أشرف": "حسناً، إسألها، إن كان لا يلزمها سأمنحك إيها!"

حين سمع النجار جواب زوجها، لم ينطق بكلمة، ضحك وقفل راجعاً إلى قريته.

كان غالبية أهالي "تونست" مرحين، يحبون المزاح، ولا أحد يعلم من أين استقوا طبعهم هذا.

كان شباب القرية يكتبون الشعارات على جدران القرية، وحين يستيقظ أهالي القرية في الصباح، يجدون تلك الشعارات مكتوبة على جدرانهم. لم يكونوا يفهمون معاني تلك الشعارات، ومنهم من كان يفهمها، لكنه لا يتجرأ على الحديث عنها، كشعار "الموت للفاشية" الذي لم يكونوا يفهمون القصد منه. كانوا في اليوم التالي يمسحون تلك الشعارات من على جدرانهم، منهم خوفاً ومنهم من لم يكن يفهم معانيها. لم يمسحوا سوى شعارين فقط كانا مكتوبين على جدار بيت الآنسة التركية "نازلي" وجدار بيت "حليمة" وهما "العمل للعمال والأرض للفلاحين" والشعار الآخر كان "عاشت الأخوة الكردية التركية". لم يكن أحد يعلم بمن يكتب هذه الشعارات على جدرانهم، لكن الجميع كان يشكون بطلاب المدرسة الاعدادية. سأل أحد الطلاب "الحاج خليل حسى" يوماً:

- يا حاجي، الكل مسحوا الشعارات من على جدرانهم، لِمَ لم تمسح أنت أيضاً الشعار على جدارك؟

- لأنه يعبر عني.

- كيف يعبر عنك؟

- لاحظ ما هو مكتوب "العمل للعمال والأرض للفلاحين" حين يمنحوا العمل للعمال، حينها سيعملون ويصبحون أغنياء، وحين يصبحوا أغنياء، سيشترون القمح ويجلبونه لي كي أطحنه لهم، وحينها سأستفيد أكثر، وحين يمنحوا الأرض للقرويين، سيحرثونه ويزرعونه أكثر، وسيجلبون محصولهم لي كي أطحنه لهم أيضاً. لذلك، لن أمسح هذا الشعار؟

قهقه الطالب من كلامه وقال له:

- حسناً، وماذا كتبنا على جدار بيت الملا درباس حتى تمسحوه؟

- كان مكتوباً عليه الموت للمستغلين. لا أدري ماذا تريدون من المستغلين، ولم أفهم معناها.
- وأي شعار آخر لم تفهم معناه؟
- كان هناك شعار آخر مكتوب على جدار بيت عيسى مستو. لم أعد أتذكر، نعم، كان مكتوباً "الموت للفاشية". لا أدري ما هي علاقة عيسى مستو بالفاشية!" هناك شعار آخر مكتوب على منزل يعيش فيه امرأة تركية وأخرى كردية، ويودون بذلك أن يسود الوئام بين المرأتين، لذلك مكتوب على جدراهم "عاشت الأخوة الكردية التركية".

سأل "الحاج خليل" ذلك الشاب بعد أن أمنه:

- ماذا تريدون بذلك؟ لماذا لا تريدون أن يهنأ هذا الشعب بالراحة. لن تستطيعوا القيام بشيء لم يستطع الشيخ سعيد فعله بنفسه.

قال له الشاب:

- نحن سننتصر.

احتدم النقاش بينه وبين الشاب. كل ما يسأل الحاج سؤالاً، يجيبه الشاب فوراً. صفن الحاج قليلاً وقال للشاب:

- لنفترض إنك أسست جيشاً قوياً ووقفت أمام هذا الجيش، كيف ستقول لهم "استرح" بالكرمانجية أو بالزازاكية؟

لم يفكر الشاب في سؤال كهذا، لذلك قال:

- لقد جاوبتك على كل أسئلتك، هل كلمة "استرح" هي من ستبني لنا دولة كردية؟

قال له الحاج:

- لقد أديت الخدمة في العسكرية، لا يتأسس الجيش إلا بكلمة "استرح" ولا تتأسس كردستان إلا بوجود الجيش.

بعبارته تلك، أنهى النقاش مع الشاب وذهب في طريقه.

بات النقاش عن "كردستان حرة" يتداول بين القرويين أيضاً. توضحت الكثير من الأمور في ذهن "سليم" الذي قرأ الكثير من الكتب عن المقاومة الوطنية. وطنه كردستان يرزح تحت نير الاستعمار في تركيا والعراق وسوريا وايران. السبب في لجوئهم للجبال، السبب في عدم وجود مراحيض في قراهم، السبب في عدم وجود مصابيح الكاز في قراهم حتى سنة 1950، السبب في تلقيهم دروسهم بالتركية والعربية، السبب في ضرب الاستاذ له لأنه تحدث بالكردية في الصف، السبب في معاقبته وزجه في السرداب. كل هذه الأسباب بسبب عدم وجود دولة لهم. لكن بحسب والديه، فإن تلك الأمور سببها القدر.. قدر من الله.

كان الدين الإسلامي قد استولى على عقول القرويين بحجة كلمة القدر تلك. لأن شباب القرية بدأوا بقيادة المعركة ضد ذلك القدر، بدأ إمام المسجد يدافع عن ذلك القدر ويقول في خطبته لذوي الطلبة في المسجد:

- منذ آلاف السنين ونحن نصوم ونصلي كي نضمن حياتنا في الآخرة. والآن نسمع أن أولادكم يقولون أن لا وجود للجنة والجهنم. هم يتبعون لينين، ولا يتبعون دين نبينا محمد."

كانوا يلقنون مواعظهم هذه للكبار، كي يقفوا أمام توجهات الشباب. الإمام لم يكن من أتباع الدولة بشكل مباشر، لكنه كان يناصر أعداء الكرد بطريقة غير مباشرة. لا يريدون للشعب أن يستيقظ من سباته وينفذون بذلك مطالب الدولة. لذلك أصبح الكثير من الشباب ينصبون للملالي العداء.

استمر هذا الصراع بينهم. في إحدى الأيام قام أحد الملالي بخطأ كبير. لم يكن "سليم" يومها ذاهباً إلى

المسجد، وبعد صلاة الجمعة، سمع القريون أصوات إطلاق الرصاص. خرج "سليم" من البيت يريد أن يعرف لماذا يطلقون النار. رأى والده قادماً إلى البيت. سأل والده: "ماذا حصل؟ ما هذه الأصوات؟" قال له والده: "لقد أصدر الملا اليوم فتوى رائعة، والقرويون من فرحتهم بدأوا يقتلون الكلاب!؟

- ماذا قال الملا؟
- تعال إلى الداخل وسأخبرك بما قال.

كإنه يخبئ سراً مهماً، دخل إلى البيت وجلس على الكرسي وقال لابنه:

- لقد ألقى الملا اليوم موعظة غريبة.
- هل كانت خطبته ضدنا مرة أخرى؟
- كلا، كانت ضد الكلاب.
- كيف ضد الكلاب؟
- قال الملا، أن الله قد أمر الملائكة كي يبعثوا الانســـان من الطين، ونفذت الملائكة أمر الله. ثم أمر الله الشيطان وحينها لم يكن الشيطان على ما كان عليه الآن، بل كان كبير الملائكة جميعهم. أمره الله كي يسجد لذلك الانسان، لكن الشيطان ذهب وبصق على ذلك الطين. غضب منه الله وألبسه طوق اللعنة في رقبته، ثم أمر الله الملائكة الآخرين كي يذهبوا ويزيحوا بصـــاق الشــيطان عن الطين. ذهبت الملائكة وألقت بذلك البصــاق على الأرض، فلاحظوا أن هناك بعض البصــاق ما زال عالقاً بسيدنا آدم، فرموه أيضــاً في نفس المكان. تكونت الكلاب من تلك الكومة الأولى من ذلك البصـــاق، والكومة الأخرى كانت كلاب الصـــيد. ولإنهم قد جمعوا ذلك البصاق من فوق الإنسان، لذلك نرى حفرة في سرّته. لذلك، نرى أن الكلاب هي أول من تهاجم الإنســان، لإنه ولد من بصــاق الشيطان. إن مرّ الكلب أمام أي بيت وبدأ بالعواء، فإن أهالي ذلك البيت يعتبرون من جنود الشيطان."
- أبتي، هذا كله كذب ونفاق. ألا يشفق على هذه الحيوانات البريئة؟ ماذا يود الملا بخطبته وفتواه هذه؟
- هل جننت يا ولدي؟ كل ما قاله الملا مكتوب في القرآن.
- إنه يكذب يا أبتي. أنا قرأت القرآن ولا توجد فيه قصـــة كهذه. لقد لفق الملا هذه القصـــة لســبب واحد وهو، إن هناك كلب شرس عائد لـــ"محى إينجىٰ" وبيته مقابل لبيت حماه للملا. حين زار الملا بيت حميه هجم عليه ذلك الكلب وهرب الملا منه. لذلك لفق هذه القصة وأصدر فتواه بحق هذه الحيوانات البريئة.

ترك "سليم" نقاشه مع والده، وتوجه مسرعاً إلى بيت صديقه "مهدي" وسرد له ما حصل في المسجد وفتوى الملا بحق الكلاب. قام "مهدي" على الفور وحمل تفســير القرآن باللغة التركية وبدأ يقرأ ســورة الكهف التي ورد فيها الكلب، والتي ورد فيها كان الكلب من أصحاب الكهف" وبجسب الآية تلك، فإن كل من كان في الكهف إضافة إلى الكلب سيكون مكانهم الجنة. بعد ان تحدثوا مطولاً في الموضوع، كتبوا بياناً ووضعوا سورة الكهف في مقدمته، وبينوا في بيانهم أن الملا يستغل الدين لمصلحته، وهو يقوم بذنب كبير حين يفتي بقتل الكلاب. قاموا بتوزيع بيانهم على كل أهالي القرية.

رويداً رويداً بدأ القرويون يخلعون أن أنفسهم تلك القوالب. بدأ الشبان المتعلمين بدور مهم في توعيتهم. قَلّ من كانوا يقولون إنهم يرون الجن في المنطقة الفلانية. عاد "فهمي" الذي أطلق البندقية بالخطأ على "رضا" وأرداه قتيلاً. كان فهمي يعمل في مدينة أضنة وعاد إلى "چلكانيٰ" وقد تحول إلى متعهد ثري.

كان "فهمي" شـــاباً ذكياً ويحب كرديته وقوميته، وســرعان ما انضـــم إلى شــباب القرية في توجهاتهم وأفكارهم.

مع أن أهالي ثلاثة قرى اجتمعوا في قرية واحدة، إلا إنهم كان متفاهمين ولا منغصات تظهر في حياتهم.

www.arsivakurdi.org

لا يخلو الأمر من بعض المشاكل الطفيفة، لكنهم كانوا يتجاوزونها بوعي وحنكة الشباب.

كان العمل في بناء السد مستمراً في القرية، وكان "سليم" وأخوته "نجم الدين" و"محمود" يعملون هناك. أما أخوته "حسن وعمر وسعيد" فكانوا تلاميذاً يداومون في المدرسة.

قدّم "سليم" الامتحانات وتم تسجيل اسمه في مدرسة "ديرسم". كان اختياره لتلك المدرسة مدروساً. لأنه إسم "ديرسم" كان عالقاً في مخيلته منذ ان قرأ كتاب "بيتار نوري". كان يحلم أن يرى وادي "كالان" الذي ذبحوا فيه الكُرد.

قبل أن يتوجه إلى هناك، كان قد تناقش في مبنى "Töb-Der" بـــ"چوليگ" مع بعض الأساتذة عن الكُرد. كان شاب ضعيف البنية يؤيد كل ما يقوله "سليم". بعد ذلك، أراد أن يتعرف على ذلك الشاب الذ كان إسمه "علي" ومن أهالي "ديرسم" وطالباً في جامعة أنقرة. في حديثه معه، قال له "سليم" إنه تم تسجيل اسمه في الدوام الليلي في مدرسة "ديرسم" وسيكون هناك قريباً. قال له عليه إنهم قد أسسوا مجموعة صغيرة في جامعة أنقرة، وتوجههم جميعهم كردستاني. ويرون أن من الضروري أن يؤسسوا تنظيماً لأجل ذلك. ودعوا بعضهم البعض وتواعدوا على اللقاء في "ديرسم".

نزل "سليم" مع مجموعة من طلبة "چوليگ" من الباص في "ديرسم". كانت المدينة تقع بين الجبال، فيها سوق واحد. كانت الجبال في طرف وواد في طرف المدينة الآخر. من ذلك الوادي، كان يمر نهر "منزور".

كانوا يسيرون في المدينة وحقائبهم في أيديهم. سألوا شخصاً عابراً عن مكان المدرسة الأساتذة، ثم توجهوا إلى المكان الذي أشار عليه ذلك الشخص.

سلكوا طريقاً مرتفعاً، ورأوا في طريقهم مقهى هناك، جلسوا فيه وشربوا الشاي، ثم سلكوا الطريق المنحدر صوب نهر "منزور". اجتازوا جسراً خشبياً، وسلكوا مفرقاً بعده حتى وصلوا إلى سكة القطار.

كانت مدرسة الأساتذة تقع على أرض منبسطة فوق هضبة هناك. كانت المدرسة عبارة عن خمسة أبنية، إحداها كان داخلي لنوم الطلبة. وطابقه السفلي كان مطعماً، والطوابق الأخرى كانت لغرف النوم. كان ينام في كل مهجع من تلك المهاجع تسعة عشرة طالباً. في كل طابق دورة مياه واحدة وحمام واحد. المبنى الآخر كان مطلاً على نهر "منزور" كان مخصصاً لتعليم الطلبة ودروسهم. الطابق السفلي فيه كان عبارة عن قاعة للرياضة، وبين وبين المبنى الأول حوالي مائتي متر، وكانت هناك هضبة عالية بالقرب من هذه المباني. كانوا قد حفروا على رأس تلك الهضبة بئر ماء وحوض، وحول ذلك الحوض وضعوا كراسي وطاولات للجلوس، زارعين حولها أشجار جميلة،حيث شكلت حديقة جميلة حول ذلك الحوض. على يمين الهضبة، كانت هناك ثلاث مباني بأربع طوابق للأساتذة.

توجه الطلبة بواسطة أحد الطلبة القدماء إلى إدارة المدرسة هناك وسلموا أوراقهم هناك، وبعد ان استلموا موافقاتهم، أرسلوهم إلى مخزن المدرسة وسلموا لكل واحد منهم بطانيات وشراشف، ثم سجلوا أسمائهم في المهجع رقم (19) كي يناموا هناك.

كان غالبية الطلبة في هذه المدرسة من الكُرد، وقلة قليلة من الأتراك. كان جميع الطلبة منتمين إلى تنظيمات يسارية ويمينية. اليمينيون منهم، كان من حركة القوميين العنصريين الاتراك. واليساريين كانوا منتمين إلى أحزاب مختلفة. بالنسبة لليمينيين منهم، كانوا يرون أن كل من يعيش في تركيا يجب أن يرى نفسياً تركياً. أما عند اليساريين، فكان والوضع مختلفاً نوعاً ما. وكان هناك اتجاه يميني عنصري أيضاً بين ذلك اليسار، وكانت تلك المجموعة هي مجموعة الكماليين. كانت الكمالية قد استقت أفكارها من الجونترك وبحسب ايديولوجيتهم التي يعتمدون فيها على الميثاق المللي التركي والقاضية بأن كل من يعيش على في

حدود الميثاق المللي التركي عليه أن يصبح تركياً ويعتنق الايديولوجية التركية.

كان غالبية اليساريين متشربين من هذه الأيديولوجية. أثناء الضربة العسكرية في 12 آذار سنة 1971، كان هناك ثلاثة قادة مهمين لهذا اليسار، وكان أحدهم "دنيز گزميش" الذي ألقوا القبض عليه وحكموا عليه مع إثنين آخرين من رفاقه في الشهر السادس سنة 1972 بالإعدام. كان "دنيز گزميش" يقبل بالوجود الكردي، لكن الكماليين كانوا يرونه شخص تقدمي وضد الامبريالية.

كان "ماهر چايان" قد بدأ بالتحركات بين الجيش التركي، وكان يرى أن الثورة الوطنية الديمقراطية التي سيقوم بها هي امتداد للكمالية. أما "ابراهيم كايباك كايا" فقد تم القبض عليه وزجوا به في سجن "آمد" ومن ثم قتلوه. كان هذا ينتقد الكمالية، وكان يؤمن بحقوق الطبقة العاملة في تركيا، وكان بنظره أن مشاكل تركيا سوف تحل عبر ثورة عمالية.

كان طلبة مدرسة "ديرسم" موزعين بين هذه التوجهات الثلاثة. بعض تلك المجموعات كانت ترى أن الاتحاد السوفييتي هي دولة امبريالية وبعضها الآخر يرى أن جمهورية الصين الشعبية هي دولة اشتراكية.

لم يكن تتناول أية جماعة منهم القضية الكردية. كان البعض منهم يرى أن هناك قضية كردية في تركيا، لكن حين قيام الثورة الشاملة سوف تحل تلك القضية أيضاً.

في تلك الأجواء، بدأ "سليم" بالدراسة. في اليوم الأول، دخل في نقاش مع مجموعة من اليساريين الترك. قال له الشاب الذي عرف نفسه بأنه من جماعة "خلاص الشعب":

- يا رفيق، هناك طبقة عمالية تبدأ بالظهور في تركيا. كما تعلم أن هناك عمال في العمال، هؤلاء العمال يعلمون مقابل أجر، لكن لا أحد منهم يستلم أتعابه وكي تفهم ذلك، علي أن أشرح لك ذلك شرحاً مستفيضاً.

- لا داع لتشرح لي ذلك. إن كنت لم تفهم من دروس المدرسة، إذهب واقرأ من جديد. هذا يومي الأول في هذه المدرسة، وأنا رأيت صورة "مصطفى كمال" على صدريات الكثيرين من الطلبة هنا. لكن هذه المنطقة هي ديرسم. هل تعلم ما معنى هذا؟

- وما الغريب في الأمر؟ إنه أمر عادي.

- هل تعلم بماذا جرى في هذه المنطقة قبل ستة وثلاثين عاماً؟ هل تعلم أن قتلوا أهالي ديرسم في مذبحة جماعية، قتلوا سبعين ألف شخص في يوم واحد. ومن نفذ من تلك المجزرة تم نفيه. لقد فتحوا هذه المدارس ليقوموا بتتريكنا. كل هذه المذابح جرت بأوامر من مصطفى كمال. هل تعلم بكل ذلك؟

- نحن نعلم بذلك. لكن الحل هو قيام ثورة العمال في تركيا، ولا داع لأن تطلق هذه الألفاظ العنصرية.

- أية ألفاظ عنصرية؟

- أنتم تستهدفون الطبقة العاملة في تركيا، ولا تنظرون إلى الجانب الايجابي في الكمالية.

- من قام بتلك المذابح، ربى أبناءه على تلك العقلية أيضاً. إنه قدر الخاسرين. الضحية دائماً ما تشبه نفسها بجلادها. أنت سليل تراجيديا كهذه. بدل أن تقرأ كل أعمال "ماو تسي تونغ" إذهب واسأل آباءك وأجدادك عن الحقيقة. من ينتهج العنصرية يتهمون أمثالك بها كي تكون خادماً لهم. نحن لم نحتل أراضي الغير بالقوة، لم نقتل أحداً، لم نمنع لغة أحد، لم ننفي أحد من بلده، ولم نفرض أنفسنا ولا لغتنا بالقوة على أحد. نحن كنا موجودون حين قدموا هم إلى هذه البلاد. من يقوم بهذه الأفعال هم العنصريون وليس نحن.

- الظاهر إنك تدافع عن الكُرد يا رفيق. أنا معارض، ولا فرق لدي بين الكُرد والترك. ماذا يقول كارل ماركس؟ "يا عمال العالم اتحدوا".

- حتى لو لم تكن شيئاً، فأنت ولدت على أرض كردستان. وطنك محتل، والدك أسير، والدتك جائعة ولا تستطيع أن تتكلم بلغتها. ما زالت الجندرمة تستولي على كل مفاصل قريتك بقوة البندقية. يستولونعلى كل

ثرواتك الباطنية وغيرها ويأخذونها إلى مدنهم. أنت لا ترى كل هذا، أو تتعامى عنها. مع ذلك تقول إنني معارض وبدون خجل. هناك الكثيرون لا يرون في أي مستنقع هم، ومع ذلك يحلمون أنهم قد وصلوا إلى النجوم، وأنت واحد منهم.

انتهى النقاش بينهم وذهب كل واحد منهم إلى مهجعه. سمع "سليم" أن الطلبة في جماعة "خلاص الشعب" ينشرون كلاماً عنهم ويقولون "إن القادمين الجدد هم جماعة مثقفة وهم بارزانيون".

كان الـ"ملا مصطفى بارزاني" ورفاقه قد أسسوا الحزب الديمقراطي الكردستاني في جنوب كردستان، وكان يقود كفاحاً مسلحاً ضد حكومة البعث في العراق من أجل تحقيق الحكم الذاتي في جنوب كردستان.

بحسب اليساريين الترك، أن الحزب الديمقراطي الكردستاني لا يقود العمال، إذاً فهو حزب رجعي، وبحسب منطقهم هذا، فإن "سليم" ورفاقه كانوا "بارزانيون".

أثلج اتهامهم هذا قلب "سيف الدين زوغورلو Seyfettin Zoğurlu". كان هذا شباباً متوسط القامة، عريض المنكبين، جميل المحيا. حضن "سليم" بحرارة حين رآه في مطعم المدرسة، وأبدى إعجابه به.

بعد الانتهاء من تناول الطعام، خرجا سوية يتمشيان في باحة المكان. ذكر له "سيف الدين" نقاشه مع جماعة "خلاص الشعب"، فذكر له بدوره ما دار بينهم من نقاش. عبر "سيف الدين" مرة أخرى عن إعجابه به وقال له:

- عليك أن تكون حذراً. أنا أتيت في السنة الماضية إلى هذه المدرسة. عرفت نفسي عليهم وقلت لهم أن والدي من الحزب الديمقراطي الكردستاني وهو بارزاني التوجه. أخذني حينها الاستاذ "موسى دڤگنجى" إلى إدارة المدرسة وبدأ يصفعني.

قال له "سليم":

- هذا يعني أن "موسى" هو ممثل للجندرمة هنا.

- لدينا رفاق أُخر هنا. سوف تتعرف عليهم لاحقاً.

بعدها، توجه كل واحد منهم إلى مهجعه.

كان عدد الطلاب في المدرسة حوالي (700) طالباً. وأغلبهم من طلاب الداخلي، ينامون فيم مهاجعها، أما الطلبة من "ديرسم" فكانوا يأتون في النهار ويعودون إلى بيوتهم بعد انتهاء الدوام. كان (24) طالباً فيصف "سليم" بينهم أربعة طالبات.

كان "سيف الدين" قد أخبر رفاقه بنقاش "سليم" مع تلك الجماعة. في إحدى المساءات وبعد تناولهم طعام العشاء، دعا الرفاق "سليم" إلى مهجعهم. ذهب بدوره مع بعض أصدقاءه المقربين إليهم وتعرف عليهم واحداً واحداً.كان بينهم شاب طويل القامة، نحيف البنية، من مدينة "سويرك" وإسمه "جمعة تاك". كان "جمعة" في سنته الثانية. أما "محمد سڤگات Mehmet Sevgat"، فقد كان متوسط القامة بشوش الوجه، كان من قرية تقع بين "حلوان" و "سويرك". كان بينهم شاب آخر واسمه "أحمد توبال Ahmet Topdal" وهو شاب فارع الطول.

بدأ "سليم" بدوره بتعريف أصدقاءه بهم وقال: "هذا أكرم، وهذا صلاح الدين، وهذا فرحان، وواحد الدين كتاي.". بدا حديثهم ودياً وكانوا توجههم واحداً بشأن القضية الكردية. قرروا في لقاءهم ذاك أن يبدأوا بالقيام بالندوات الفكرية بين بعضهم. بعد ذلك القرار، انتهى اللقاء وعاد "سليم" ورفاقه على مكانهم.

كان عددهم واحداً وعشرون طالباً حين اجتمعوا في المرة التالية. اختاروا موضوعاً في الأجناس الأساسية في الفلسفة، وهو "المسألة القومية". كان سيقرأ أحدهم ذلك القسم، والبقية سيستمعون إليه ويكتبون ملاحظاتهم عليها، وبعد الانتهاء من قراءة الموضوع، سيبدأ النقاش بينهم. كان غرضهم من هذا

www.arsivakurdi.org

هو أن يتعرف الجميع على كيفية كفاح الشعوب من أجل حقوقها القومية. كيف واجهوا المستبدين وحققوا أهدافهم؟ كيف كانوا يقومون بنضالهم؟ كيف يستطيع المرء أن يطبق تجربتهم في كردستان أو يستفيد من تلك التجربة.

كان النقاش محتدماً بينهم. كان "سيف الدين" يقول: "إن اليساريين الأتراك لا يقبلون أن كردستان مستعمرة. يقولون لا يوجد بحر بين تركيا وكردستان." ثم أردف مازحاً: "لو كان بيننا وبينهم بحر، لكنا سنكون مستعمرة حينذاك."

كانت مستعمرات الانكليز والفرنسيين والهولنديين تقع خلف البحار. كانت هذه الدول تذهب بجيوشها إلى مستعمراتها في أفريقيا وآسيا بالسفن، ويقومون باحتلال الاوطان البعيدة. بدأوا بالاستيلاء على ثرواتهم. لكن شعوب تلك الأوطان كانوا يدركون غاية المحتلين وبدأوا بمقاومتهم حتى أخرجوهم من ديارهم.

لكن الوضع كان أسوأ في تلك المستعمرات التي لم تكن تفصلها البحار عن محتليها، حيث المحتلين قريبين عليهم، يعتنقون ديانة واحدة، وما كان يزيد الطين بلة أن المحتلين كانوا يقولون لهم: "نحن أبناء قومية واحدة" لكنهم كانوا يمنعون لغتهم، ويجبرونهم على الدراسة بلغة المحتل. يقومون بالتغيير عن طرق فرض الأمحاء على هويتهم.

كان عدد الطلاب المنضمين إلى النقاشات في المدرسة يزداد يوماً بعد يوم. حين أحست إدارة المدرسة بذلك، قاموا بدورهم بندوات إجبارية للطلبة ومنعوا الاجتماعات والندوات في المهاجع. كان الطلبة سيقومون بدراسة مناهجهم من المساء وحتى الساعة العاشرة ليلاً وتحت إشراف أحد الأساتذة.

أدرك الطلبة الكردستانيين أن تلك الخطوة من قبل المدرسة جاءت بالضد من نشاطاتهم وندواتهم. لذلك، التقى كل من "سليم" و"جمعة تاك" و"سيف الدين" ليلاً وعلى الأقدام وقرروا مايلي:

"لن نشاركهم في نشاطاتهم، وسنعمل على ألا ينضم أحداً إليهم". لمدة يومين بدأوا يعملون من أجل قرارهم ذاك. بقي الطلبة في مهاجعهم ليلاً ولم يخرجوا منها، وحين رأت إدارة المدرسة ذلك، تراجعت عن برامجها.

كان يوم عطلة. توجه "سليم" إلى سوق المدينة وعاد مساءً إلى المدرسة. كانت هناك كافيتريا قبل المدرسة بمسافة مائتي متر، كان يديرها "دروسون" وهو شخص ديرسمي طاعن في السن. أراد "سليم" الذهاب إلى الكافيتريا كي يرى أصدقاءه هناك، وفور دخوله، رأى "نسيم الملازگري" الذي كان يشاركهم في نشاطاتهم. رآه غاضباً وعينه وتحت عينه اليسرى متورم، فقال له "سليم":

- ماذا حصل؟ لماذا عينك متورمة هكذا؟

قال له "نسيم":

- لماذا قمت بذلك العمل الدنيء معي؟

- لم أفهم ما تقول يا رجل، ماذا تقصد؟

- لماذا تسببت في ضربي؟

- ولماذا أتسبب ضربك؟ هل جننت يا نسيم؟ أنت رفيقنا ومن جماعتنا، وأنت إبن عائلة وطنية معروفة. قُل لي، من ضربك؟ كيف كانت سحناتهم؟

كانت السنة الاولى لــ"نسيم" في المدرسة، ولم يكن على علم بموضوع اليساريين الأتراك. كان يظن أن "سليم" هو مسؤول عن كل شيء، لكنه حين فهم أن لا علاقة لـــ"سليم" بموضوع ضربه، لذلك شرح لـــ"سليم" كيفية ضربه ومواصفات الشبان الثلاثة الذين اعتدوا عليه. تعرّف "سليم" على الشبان الثلاثة،

كانوا من أعضاء جماعة "خلاص الشعب". أخذ "نسيم" معه وتوجهوا إلى المهاجع على الفور.

لقد كان "سيف الدين" و "جمعة" و"محمد سڤگات" و"دزا محمد" و"أحمد توبدال" و"ويسي بادم" و"سليم" قد أصبحوا قادة للجماعة بشكل ذاتي. كانت هناك مهاجع فارغة يتركونها لقدوم طلاب جدد، وكان هؤلاء الطلاب قد خصصوا تلك المهاجع الفارغة مكاناً لاجتماعاتهم.

حين توجه "سليم" مع "نسيم" إلى المهجع، نادى على رفاقه البقية وقال:

- قُل لهم يا نسيم ما قلته لي.

- عدت ظهراً من السوق يا رفاق، حين قطعت الجسر، لاحظت ثلاثة شبان يتبعونني. صراحة، لم تكون وجوههم غريبة علي، لكنني لم أكن أعرفهم. كان أحدهم أشقراً وطويل القامة، شعره أشعث. الثاني كان أصلعاً نوعاً ما، أما الثالث، فقد كان أسمر البشرة وطويل القامة ويلبس قميصاً أسوداً. قطعوا عليّ الطريق أمام غرف الأساتذة. لم أكد أقول لهم ماذا تريدون مني، حتى بدأوا يضربونني ويقولون لي أيها الفاشي. مع إنني قلت لهم إنني كردي ووالدي بارزاني، لكنهم بدأوا بشتم الكُرد والبارزاني واستمروا في ضربهم وركلهم لي. وقعت أرضاً من تأثير ضربهم على رأسي. حين رأوني على الأرض، فروا هاربين إلى السوق.

تحدث "سيف الدين" أولاً وقال إن هذا الموضوع مدروس من قبلهم. هؤلاء يخافون من النشاطات التي نقوم بها، وقاموا بذلك عن قصد كي يخيفوننا.

ثم قال "جمعة" إن لم نرد لهم ذلك فسيتمادون أكثر. ثم قال "محمد سڤگات" ضاحكاً: "علينا أن نضربهم في عيونهم كما فعلوا مع نسيم. علينا أن نعثر عليهم ونضربهم في نفس المكان." وافقه الجميع على رأيه، وقرروا القيام بالانتقام من زميلهم. وخططوا على أن يذهب كل من "جمعة تاك" و "دزا محمد" و"ويسي بادم" إلى السوق. وهناك كان عليهم أن يعثروا على الشبان المعتدين بواسطة "نسيم" الذي سيكون برفقتهم. أما "سيف الدين" و"سليم" و"أحمد توبدال" و"محمد سڤگات" كانوا سيجلسون خلف غرف الأساتذة مكان ما ضُرب فيه "نسيم" كي يضربونهم هناك.

بدأوا بتنفيذ خطتهم. ذهب "جمعة" ورفاقه إلى السوق، وفي المقهى رأوا الشاب الأسمر الطويل" وكان إسمه "هاكي الأرضرومي". حياه "جمعة" بشكل اعتيادي وكإنه لا يعلم بشيء، ثم حين حان موعد تناول الطعام، قام الجميع من المقهى متوجهين إلى المدرسة، ومن بينهم الأرضرومي. وفور وصوله إلى المبنى خلف غرف الأساتذة حتى تلقفه الشبان هناك، ووجه إليه "سيف الدين" لكمة قوية على وجهه أردته أرضاً على الفور. ثم تناوب عليه البقية يركلونه ويضربونه. بعدها حملوه وأخذوه إلى مهجعه.

كان ما يزال الأرضرومي يقول عن "نسيم" إنه فاشي. لكن حين يسألونه: "طالما هناك الكثير من الفاشيين، لماذا لا تلاحقونهم؟" . لم يكن يجاوب على ذلك.

حين وصلوا إلى المهجع، قال لهم الأرضرومي: "وجهي كله دم، سأغسله ثم آت." مسكه "سيف الدين وقال له: "إذاً، لنذهب سوية." ما كاد الرفاق يدخلون إلى صفوفهم، حتى سمعوا صراخاً: "لقد هاجموا سيف الدين!"

ركض "سليم" صوب نافذة المهجع، ورأى حوالي عشرة شبان ملتمين على "سيف الدين" الذي كان يلقيهم واحداً واحداً على الأرض. كانت أسياخ حديدية في باحة المدرسة، فحمل كل واحد منهم سيخاً وركض إلى هناك، كما إن على الجوار كان هناك مخزن للحطب، وحملوا قطع الحطب والأخشاب وركضوا في الممرات ويصيحون "لقد هجموا على سيف الدين يا رفاق". خرج الجميع متوجهين إلى ساحة المعركة.

ألقوا الكثيرين منهم أرضـاً، ومنهم من فر صـوب الهضـبة، حتى جماعة "موسـى دقگنجي" الذين أتوا بتفريقهم، نالوا نصيبهم من الضرب المبرح.

أراد "سليم" ورفاقه أن يوقفوا رفاقهم ويهدأوا الوضع، لكن لم ينتبه أحد إليهم، وبدأوا يمسكون بكل شاب يساري تركي ويضربونه.

كان عدد رفاقهم الذين يحضرون النشاطات حوالي خمسة وعشرين طالباً، لكن عدد المشاركين في تلك المعركة كان أكثر بكثير. من أين قدموا كل هؤلاء يا تُرى؟ لماذا لم ينتبه أحد إلى هذا؟ إنها كانت كانتفاضة، انتفاضة حقيقية. كان على المرء أن يقف عليها ويفسرها.

حين توقف جميع المنتفضين، ووضعوا الأسياخ والعصي أرضاً، قرروا عقد اجتماع عام. لكن لأن عدد المشـاركين كان كبيراً، لم يحتويهم مهجع واحد، لذلك قسـموهم إلى مجموعتين، كان "سـيف الدين" يقود اجتماعاً و"سـليم" اجتماعاً في مهجع آخر. خاطبوا الجميع قائلين: "يا رفاق، كفى.. علينا أن نصـرح أمام الملأ وبكل وضــوح إننا كُرد ووطننا كردســتان. علينا أن نعلن ذلك بصــراحة ولا تخجل من أحد.. لأننا أصحاب حق".

حين انتهى الاجتماع، احصــوا عدد المجتمعين، وكان العدد يقارب الأربعمائة شـــاب. كان عليهم أني يكثفوا من نشـــاطاتهم ويزيدوا عدد الحلقات أمام هذا العدد الهائل. كانت الدولة التركية لا تعترف بوجود الكُرد أصلاً ولا حتى اليسار التركي يعترف بذلك تحت ذريعة البروليتاريا والطبقة العاملة، وكان ينظرون إلى الكُرد نظرة دونية. كانت هذه الانتفاضـة ضـد سياسـة الإنكار. في حصيلة تلك المعركة، كان قد جرح ثمانية عشرة شاباً من جماعة "خلاص الشعب" وكان عليهم أن يطردوا جماعة الحزب العنصري التركي من المدرسة.

بعد خمسة عشرة يوم من الحادثة، قدمت لجنة من جماعة "خلاص الشعب" إلى مهاجعهم وأرادوا اللقاء مع "سـليم" و"سـيف الدين" و"جمعة. اجتمعوا في إحدى القاعات، وقال الناطق باسـمهم: "كما تعلمون يا رفاق بما حدث بين الثوار قبل أيام، حتى الجرائد التركية تحدثت عن المشاجرة بينهم. نحن نستطيع أن نحل الصراع بيننا، لكن بدون شجار، بل بالنقاش. ولأجل حلهذا الموضـوع، ندعوكم إلى مقر (توب-در Töb-Der)[7] في سوق المدينة. تعالوا إلى هناك لنتناقش ونحل هذه الإشكالات."

قال له "سيف الدين": "ونحن لسنا دعاة حرب. رفيقكم هو من بادر بالهجوم، وقام رفاقنا بالثأر له، حتى خرجت الأمور من تحت سيطرتنا ايضاً. سنأتي إلى أي مكان تريدونه وسنتناقش هناك." بذلك انتهى اللقاء بينهم.

كانت هذه الجماعة من بين الجماعات اليسـارية في كردسـتان وتركيا، وقد تم تأسيسـها بشـكل عشـوائي. كانت لهم اتصالات فقط مع جماعة تم تأسيسها مجدداً في أنقرة، وكانت هذه الجماعة قد تحدثت في نقاشاتها عن كردستان. بعد ذلك النقاش بينه، أدركوا إن أفكارهم متطابقة مع أفكار هاتين الجماعتين.

قرروا الاجتماع في يوم السبت لأنه يوم عطلة في المدرسـة. كان عددهم كبيراً ولم تتسع صـالة الجمعية "Töb-Der " لذلك العدد لذلك كان أغلب الطلبة في الشـارع. حين بدأوا بالنقاش، تطرق ممثل "خلاص الشعب" إلى المشـاجرة التي حصـلت، وعوضـاً أن يخفف من التوتر الحاصـل، كان يقوم بالدعاية لرويتهم

---

[7] Töb-Der : جمعية المدرسين والمعلمين للدعم والمساندة. تأسست هذه الجمعية بعد الضربة العسكرية في 12 آذار سنة 1971 في تركيا. كان عدد أعضـاءها يناهز مائتي ألف عضـو، وكانت أكبر جمعية منظمة في تركيا. أسـسـها المدرسـين والأسـاتذة المتخرجين الجدد من المعاهد والكليات. أغلقت هذه الجمعية بحسـب المواد 141 و 142 سـنة 1981. عدا إغلاق فروع هذه الجمعية، فقد تم نفي وتصفية الكثيرين من أعضاءها.

وتوجههم السياسي. كان بنظره أن أولئك الشباب الذين قاموا بالمشاجرة هم طلاب غشيمون وقد أخطأوا في ذلك، لا يعلمون ما هي الثورية. كان عليهم أن يستقطبوا بعضهم بالدعاية السياسية لأفكارهم. كان هذا الرجل يستمر في حديثه وكإنه يقدم نصائحه للحضور.

بعده، استلم شاب آخر الحديث، وكان من معارف "جمعة". أنتقد جماعة "خلاص الشعب". بعدها انسحب كل طلبة مدرسة "ديرسم" من الجمعية. قدم هذا الشخص معهم إلى المهجع. كان إسمه "شاهين دونمز" من أهالي "ديرسم"، وكان طالباً في كلية العلوم الاجتماعية في أنقرة. قال لهم "شاهين": لقد سمعت بالمشاجرة من الجرائد في أنقرة، وقد قدمت إلى هنا لمعرفة التفاصيل." ثم تحدث إليهم بشكل مطول عن الأستعمار، وبعد إنهاءه لحديثه، قال لهم: "عليكم أن تتواصلوا مع الرفاق في أنقرة. سوف نقوم بالتنسيق من أجل ذلك."

عين "سـليم" صـديقه في المدرسـة "أكرم" كمحاسـب في شـركة التي يديرها "أوزدمير سـوتوچ Özdemir Sutun" وقال له: "يا أكرم، إن أتى مبلغ كبير إلى الشـركة أعلمني بذلك." فقال له "أكرم" في ذلك اليوم: "لقد أرسلوا مبلغ أربعمائة ألف ليرة كرواتب للموظفين". قام "سليم" بإيصال هذه المعلومة إلى ثوار كردسـتان، وهم "محمد قروسـونغر Mehmet Karasûngûr" و" رسـول آلتيناك Resûl Altinok". فطلبوا من الأزيز فريقاً وبعض المسدسات للقيام بعملة السطو على الشركة. بحلول المساء، أتى خمسـة أشـخـاص بسـيـارة حمراء وكـانوا كلاً من "دليل دوغـان Delîl Doğan"، "چتين گونگورÇetin Güngör"، شـادى اوغلو باتماز Şadioğlu Batmaz " و"رزا انارشيست Riza Anarşîst" وكانت السيارة مسجلة باسم "رسول آلتينوك".

تناقشـت لجنة ثوار كردسـتان عن عملية السـطو، وعارض "آلتينوك" القيام بالعملية بالسيارة الحمراء، فهي تلفت الانتباه، ولم تكن توجد سـيارة حمراء في كامل المدينة عدا سـيارته، لذلك سـينكشـف أمرهم بسهولة. لذلك قرر "سليم" ان يقوموا بالعملية بدون تلك السيارة في اليوم التالي.

في اليوم التالي، نفذوا عملة السـطو بدون أية مشـاكل، لكن لسـوء حظهم إنهم قاموا بالسـطو بعد ان تم توزيع رواتب الموظفين، لذلك، لم يكن المبلغ كاملاً. في اليوم التالي كان الجندرمة قد اعتقلوا "أكرم" مع أربعة أشخاص آخرين.

كان "سـليم" قد خطط مع "محمد قرسـونغر" على أن يدبر له هذا عن طريق قريب له يعمل في شـركة للنقليات، بطاقات للسـفر إلى أضـنة، ويكون تاريخ السـفر قبل يومين من الآن، وقد أعلم بيت عمه في "جيهان" بذلك وخطط لذلك جيداً حين يتم اعتقاله واستجوابه. سمع إنهم يبحثون عنه في كل مكان، فما كان منه إلا أن توجه إلى المخفر وسلم نفسه.

أخذوا "سليم" إلى غرفة رئيس المخفر الذي حدق فيه ملياً ثم سأله عن إسمه:

- هل أنت سليم جوروككايا؟

- نعم، أنا هو.

- كنا نبحث عنك، أنت متهم بالسطو. لماذا أتيت إلي؟

- لقد أتيت الآن من كراج الباصـات. أنا قادم من أضـنة، ورأيت بعض أقربائي في الطريق، فقالوا لي إنهم يبحثون عنك بتهمة السرقة. خجلت كثيراً من هذه التهمة وأتيت على الفور إلى هنا.

- هذا يعني إنك ليس لديك علم بتلك العملية.

- كلا يا سيدي.

وضع تذاكر حجزه للحافلات وسفره قبل يومين على الطاولة.

- هذه تذاكر الحافلات التي سـافرت وعدت بها من أضـنة. ذهبت لأجل عمل خاص إلى بيت عمي في منطقة "جيهان".

نظر رئيس المخفر إلى التذاكر، ثم أشار بيده إلى خارطة خلفه:

- أترى هذه المصيبة؟ لأول مرة تحدث حادثة سرقة سياسية كهذه في "چوليگ". قُل لي إن كنت على علم بها وأعدك بإنني سأطلق سراحك.

قال له "سليم" :

- ليس لدي أي علم بعمل كهذا.

www.arsivakurdi.org

أمر رئيس المخفر أن يضعوه في السجن. حين دخل إلى السجن، رأى "أكرم" و"فوزي" أبن قريته، إضافة إلى ثلاثة أشخاص آخرين كان يعرفهم أيضاً. كانوا قد عذبوهم كثيراً. لم يكن "أكرم قد اعترف بشيء، وقاوم التعذيب. قالوا أن الجاويش وأربعة عناصر آخرين أخذوهم إلى ليلاً إلى الغابة وضربوهم بالعصي ضرباً مبرحاً، ومنذ يومين وهم لم يتذوقوا الأكل. قال لهم "سليم" بإنه سيطلب لهم الأكل، لكنهم رفضوا. لكن "سليم" طرق على نافذة السجن الحديدية، وقال للدركي هناك: نحن جوعانين ونريد الأكل. فقال له الحرس: "أكتبوا ما تريدون على ورقة وسأجلب لكم ما تريدون." كتب سليم أسماء الأطعمة التي يريدها على ورقة وناوله إياها. بعد لحظات فُتح باب حجرتهم وناوله الحارس الطعام، فتناولوا الأكل الذي كان مؤلفاً من اللحم المشوي بكل سرور.

أراد رئيس المخفر أن يقوموا بتمثيل العملية مع جميع المتهمين، علّ يتعرف "أوزدمير سوتونچ Özdemir Sutunç" على أحد من الموقوفين. وبعد عدة محاولات كثيرة والتي باءت كلها بالفشل، لم يتم التعرف من قبله على أي منهم. توقف عند صوت "سليم" وقال بإنه يعرف هذا الصوت. وحين انتبه رئيس المخفر إلى ذلك، قال له "سليم": "نعم، فهو يعرفني مسبقاً ولا داع لكي يسمع صوتي أصلاً." فاقتنع رئيس المخفر بحجته هذه. ثم أراد أن ينظر إليهم صاحب الشركة واحداً واحداً، لكنه لم يتعرف على أي منهم. لكنه قال: "أخذوا النقود، وكل شيء في خزانتي، وضعوها في سيارة، وأقتادوني أنا والحارس إلى الطريق العام بين موش وچوليگ ورمونا هناك واختفوا بدورهم."

في اليوم التالي الساعة التاسعة صباحاً اقتادوا المتهمين الخمسة إلى المحكمة، وبعدها وضعوهم في سجن "چوليگ". كان الفصل صيفاً والحرارة شديدة. كانت المرة الأولى التي يسجن فيها "سليم". جلس على سريره وحيداً في زنزانة. تذكر حبيبته، وأراد كتابة رسالة لها. دبر ورقة وقلم وبدأ يكتب:

"حبيبتي، أكتب لك هذه الرسالة من خلف القضبان الحديدية" كانت حبيبته "آيسل" زميلته في صف معهد المعلمين في "ديرسم". أحبها من النظرة الأولى حين رآها أول يوم في المدرسة. لكن، لكن "آيسل" كانت من جماعة "خلاص الشعب" وتعمل معهم، لذلك كان يقف بعيداً عنها دائماً.

لكن بعد حادثة جرت، تغيرت الأمور بينهم. كان "سليم" جالساً على كرسي على الهضبة عند بئر الماء. أتت إليه زميلته في الصف "بيرجان" منهوكة من التعب وقالت له:

- إذهب من هنا يا أخي، سوف يقتلونك.

- من سيقتلني؟

- جماعة "خلاص الشعب". أرسلوني إلى المدينة كي أجلب لهم مسدساً، فذهبت وأتيت بالمسدس. لكن حين علمت أن إنهم سيقتلونك به، قلت لـ"آيسل" و "مرال" و"كيبار" و "سعادت"، وبدورهم أرسلوني كي أخبرك. لذلك، غادر هذا المكان بسرعة.

كانت "بيرجان" تدرس معه في نفس الصف، وكان والدها مدرساً. كانت تقيم مع "آيسل" في نفس المبنى. كانت هذه الفتاة إلى تلك اللحظة من جماعة "خلاص الشعب". سألها "سليم": "من قرر قتلي؟ ومن كان سيطلق النار علي؟" جاوبه على أسئلته تلك. كان أستاذه ومساعد مفتش المدرسة "حسن آيهان" من بين الذين قرروا قتله. لكن "بيرجان" أنقذت حياته في اللحظة المناسبة.

لقم "سليم" مسدسه وقام من مكانه. نظر حوله بحذر، وتوجه إلى مهجعه. قرر أن يقتل كل من يراه من تلك الجماعة، لكنه لم يرى أياً منهم. طلب رفاقه للاجتماع بهم، وأخبرهم بكل ما قالته له "بيرجان"، وفور إنهاءه لكلامه، علق "سيف الدين وقال للمجتمعين:

- علينا أن نبدأ بشكل سريع بعملية تمشيط يا رفاق. علينا أن نُعد مائة رفيق ونجلب العصي لهم، ونسلح

عشرة منهم بالمسدسات يقفون في المكان الذي نحدده لهم، ثم نبدأ بالتمشيط وتفتيش الجميع هنا، من يرفض أن نفتشه علينا أن نضربه ونجبره على تفتيشه حتى لو كان من المدرسين. الرفاق العشرة المسلحين حين يجدون أحداً يمتشق سلاحه وينوي الإطلاق علينا، حينها عليهم أن يبادروا بإطلاق النار عليهم ويقتلونهم.

لم يتناقشوا في الأمر كثيراً ووافق الجميع على مقترح "سيف الدين". كان كل من "جمعة" و"ويسي بادم" و"محمد سڤگات" سيقودون العملية. جهزوا أسلحتهم واكثر من مائة رفيق بالعصي، ثم أعطاهم "سليم" التعليمات وقال:

- أضربوا كل من يمنعكم من التفتيش، أما مساعد المفتش "حسن آيهان" والآنسة "نيلگون" و"هوليا" فاضربوهم على أية حال، إن وافقوا او لم يوافقوا على التفتيش.

بدأت عملية التمشيط فوراً، من رفض التفتيش أبرحوه ضرباً. أراد المفتش أن يوقف التفتيش، لكن "جمعة" هاجمه وضربه رأسه على وجهه وأوقعه أرضاً.

مع كل ذلك التفتيش، لكنهم لم يعثروا على من كان يود إطلاق النار على سليم. كان كل جماعة "خلاص الشعب" في الممرات، يفتشونهم ويضربونهم. كانت كل من "بيرجان" وآيسل" و"مرال" و"كيبار" و"سعادت" تحاولن الفرار من المدرسة، لكن الرفاق قطعوا عليهن الطريق. لكن "سيف الدين" ركض صوبهم وفتح لهم الطريق وقال: "لا تقربوا عليهن." ثم اقترب من "آيسل" وقال لها بصوت خافت: "تفضلي يا زوجة أخي، تستطيعين المرور." وسار معهن حتى أخرجهن من المدرسة.

بعد تلك الحادثة، تركت "آيسل" جماعة "خلاص الشعب" وباتت تتقرب من "ثوار كردستان". توطدت علاقتها مع "سليم" الذي كان يود أن يتزوجها. كان يود بذلك أن يزيح ذلك الاختلاف الذي وضعه العثمانيون والأتراك بين أبناء الشعب الواحد، فهي علوية وهو سني، ويريد أن يكسر تلك القيود بزواجه منها. حين قامت ثورة الشيخ سعيد، لم يشارك فيها الديرسميون، لأن الدولة كانت قامت بدعاية ملفقة ومعادية للثورة وبينهم ويقولون لهم: "الشيخ سعيد هو سني، يود أن يؤسس دولة إسلامية سنية. حين يصل لهدفه هذا فإنه سيفتي بقتل العلويين جميعهم" كانوا ينبشون في كل الأحداث التاريخية التي حدثت بين السنة والعلويين منذ عهد السلطان العثماني سليم وحتى يومنا هذا كي يوظفونها في سياساتهم بالقيام بالتفرقة بين أبناء الشعب الواحد.

منذ سنة 640 ميلادية وحتى الآن، أصبح قسم كبير من الشعب الكردي في شمالي كردستان من المسلمين السنّة. لكن القسم الآخر واجه الاسلام السني وقاومه، لذلك بات هذا القسم مؤيداً للشيعة وللفرس الذين يقودون هذا المذهب. أصبح هذا الوضع سبباً في تقسيم المجتمع الكردي لمدة طويلة.

حكمت الدولة العثمانية في القسم ذو الأغلبية السنية، والفرس في القسم ذو الأغلبية العلوية. كان الطرفان يؤلبان القسمين الكرديين على بعضهما وألفوا آلاف القصص والأساطير عن ذلك. حتى وصلت الأمور إلى ألا يأكل السني من لحم نعجة ذبحها العلوي، ولا يشرب العلوي من كأس الماء الذي شرب منه السني.

كان الكُرد العلوين يعتقدون أن كل الكُرد السنيين هم إيزديون وهم من قام بذبح الحسين بن علي في كربلاء. لم يكن يوافقون على زواج بناتهم وأبنائهم من الكُرد السنة. الثياب التي تغسلها امرأة علوية، لا يجوز ان تلبسها امرأة سنية أو تصلي بها. كي يقضي "سليم" على هذا التخلف الغبي، أراد أن يصبح نموذجاً لإنهاء ذلك الصراع وذلك بزواجه من "آيسل".

بعد كتابته لتلك الرسالة لـــ"آيسل". قالت له إدارة السجن كي يحضر نفسه للمحاكمة. كان قد سمع أن "رفعت" الذي كان يعمل في الشركة قد احترق جراء انفجار برميل البنزين به، وقد سيطر العمال على الحريق بإلقاء التراب بالرفوش عليه. بعدها بدأ العمال بطلب التأمين من الشركة للعمل فيها وإلا فإنهم

سيرفعون دعوى على "اوزدمير" وشركته أو إنه سيتنازل عن الدعوى التي رفعها على السائقين الثلاثة و"أكرم" و"سليم" واتهامهم زوراً بسرقة النقود.

اقتادوهم إلى المحكمة في يوم الاثنين الساعة التاسعة صباحاً. كان القاضي ومعاونته فقط في قاعة المحكمة. إضافة إلى المتهمين الخمسة والمحامي. توجه القاضي إلى "أوزدمير" بعد أن فحص ثبوتياته، ثم وسأله"

"أوزدمير بك، لقد قدمت دعوى ضد هؤلاء المتهمين بإنهم قاموا بالسطو على شركتك. هل هناك دليل لديك تقدمه لنا؟"

توقف "أوزدمير" قليلاً وأشار بيده إلى السائقين الثلاثة : "لقد كان هناك بين المجموعة سائقين، وهؤلاء يعملون كسائقين في شركتي، لذلك شككت فيهم" ثم أشار بيده إلى "أكرم" و"سليم" وقال: "كان المهاجمين على شركتي يتكلمون بلغة تركية مكسرة، وكانت هيأتهم تدل على إنهم شيوعيين. ولأن هؤلاء يتكلمون كالشيوعيين ولغتهم التركية مكسرة، لذلك شككت في أمرهم."

أراد القاضي أن يسمع السائقين أولاً، لكنهم قالوا إنهم لا علاقة لهم بعملية السطو. وقال "أكرم" في إفادته إنه كان في بيته الذي يبعد عن الشركة حوالي الكيلومتر أثناء السطو، وأن لديه شهود على إنه كان في البيت وقتذاك.

حان دور "سليم" كي يقدم إفادته، وسأله القاضي: "هل لديك ما تقوله عن ما يدعيه أوزدمير بحقك؟"

قام "سليم" من مكانه وقال:

"نعم يا سيادة القاضي، ما يقوله أوزدمير بك أن المهاجمين كانوا يتكلمون بلغة تركية مكسرة، هذا يعني أن كل من يتكلم بلغة تركية مكسرة هو متهم."

هزّ القاضي رأسه وقال لـ"أوزدمير":

"هل تود أن تقول شيئاً يا أوزدمير بك؟"

- كلا.

أمر القاضي معاونته وقال لمعاونته: "أكتبي يا بنتي، إن الدعوى التي رفعها أوزدمير سوتونج قد تم إغلاقها، لأن المدعي قد تنازل عن الدعوى ولعدم وجود دليل يثبت تورطهم في عملية السطو التي حصلت في شركته. لذلك، قررت المحكمة إطلاق سراح المتهمين الخمسة." رُفعت الجلسة.

www.arsivakurdi.org

-18-

في سنة 1978، كان لـــ"سليمان" و"طيبة" سبعة أبناء. إبنهم الأخير "صادق" ولد في قرية "چلكانيێ" وابنة أخرى، لكنها توفيت في مهد. كانت نســاء القرية تقول: "لأن طيبة لم تهتم بمصــير أبنة زاهدة، لذلك عاقبها الله بأن سلبها ابنتها."

أما "حليمة"، فقد أصبحت طاعنة في السن وبدأ المرض يسري في جسدها. كانت تقول: "لم أستفد من الأطباء وأدويتهم أبداً. آخر طلب لي منك يا سليم هو أن تأخذني إلى قبر الشيخ مصطفى." لم يكن "سليم" يؤمن بالمزارات والقبور، وكان يقول لها: "لن تستفيدي شيئاً من الشيخ يا جدتي، لو كانت لديه معجزات وكرامات لما مات هو بنفسه من تأثير المرض." لكن جدته لم تقتنع بكلامه، وما كان من "ســليم" إلا أن يأخذها مجبراً إلى مزار الشيخ.

تعلم "سليم" من جدته أمور كثيرة. سردت له كل الأحداث التي جرت أثناء انتفاضة الشيخ سعيد. وقبل الحديث عن الانتفاضة، سردت له قصص إبادة الأرمن. كانت تقول له:

"حين كان يحل الربيع، كان نهر مرادێ يطفو. كان الرجال يرمون بحبالهم المعقوفة كي يسحبوا الحطب الذي من ماء النهر. لكن أثناء إبادة الأرمن، كانوا بحبالهم المعقوفة تلك يســحبون جثث الأرمن بدلاً من الحطب." لم يكن ينسى "سليم" كلام جدته هذا طوال حياته.

طلب ســيارة القرية وأركب جدته فيها وأخذها إلى مقربة من المزار، لأن الســيارة لم تكن تســتطيع الوصول إلى هناك، فقد كان مكان المزار على تلة مرتفعة، لذلك حملها "سليم" على ظهره حتى أوصلها إلى هناك. حين كان "سليم" يحملها، كانت تقول له: "حين أعدموا الشيخ سعيد، لجأ الشيخ مصطفى إلى بنخت، وحين عودته أصيب بمرض ومات هنا، ثم دفنوه على هذه التلة."

فتح "سليم" باب المزار ووضع جدته في مكان قريب من القبر. بدأت "حليمة"بالأدعية، ترفع يديها، ثم توقفت لبرهة، وطلبت منه أن يعود بها إلى القرية.

جلست في الكرسي الخلفي في السيارة وبدا عليها السرور والراحة. كان تقاطيع وجهها تخبئ الكثير من المآســي، تلك التقاطيع على جبينها ووجهها كانت تخفي الكثير من القصــص التاريخية في ثناياها، وكأن ستار من الضباب يمر أمام عينيها. كان وجهها كالقمر حين تحجبه سحابة عابرة. سحب بيضاء تمر على وجهها. تمر تلك الســحب وتتحول إلى عصــافير بيضــاء. كان روحها يتهيأ لمكان بعيد، بعيد خلف تلك العصافير التي تمر بها.

ودعت "حليمة" العالم بعد عودتها من المزار، كان روحها يغادر على أجنحة طيور بيضــاء إلى سـماء أخرى. بدأت النسوة بغسل جسدها الجميل، والملالي قرأوا عليها سورة ياسين، ثم دفنوها في مقبرة "دَرێ زيارتێ".

بقي "سـليم" في القرية لمدة أسبوع بعد ان تزوج من "آيســل". بعدها هاجر إلى "چوليگ". حين كان البوليس يبحثون عنه وعن "آيسل" استطاعوا الاختفاء عن الأعين. كان أخاه "نجم الدين" يعمل في كعامل في شركة للإنشاءات، وتزوج وأصبح له إبناً أسماه "فرمان" تيمناً بالفرمان الصادر بحق أخيه "سليم" وزوجته. أما أخاه "محمود"، فكان قد أنهى المعهد التربوي، وتم تعيينه كمدرس في إحدى القرى في منطقة أرضروم. أما "حسن"، فكان قد أنهى الثانوية. و"عمر" كان ما زال طالباً. أما أخاه "سـعيد" فقد كان في الصف الثالث الابتدائي، ويذهب إلى الجامع أيضاً لتلقي علوم القرآن.

في شـهر تشـرين الثاني سـنة 1979، تقدم منه عسكري كان من معارفه وسلمه ورقة في باحة الجامع

الكبير في مدينة دياربكر، سلمه الورقة وانسحب مسرعاً من هناك. ذهب "سليم" إلى زاوية من الجامع وفتح تلك الورقة يقرأها، كان مكتوباً عليها التالي: "مرحباً، أنا في بيت بيطار القرية، هل تستطيع أن تأتي مسرعاً إلى هناك؟" كان مكتوباً تحت الورقة إسم "خيري دورموش".

قبل سنة، في منزل "سيف الدين" كانوا قد عقدوا اجتماعاً وتم تغيير اسم "ثوار كردستان" فيه. حيث أصبح إسم تنظيمهم من جماعة إلى حزب وأسموه "PKK" (حزب العمال الكردستاني). كان "سليم" و"خيري دوروموش) يقودونه بشكل سري، ولأن الإثنان كانا مطلوبان من قبل البوليس، لذلك كانوا يلتقون ببعضهم خفية. كان ذلك الرجل الذي من قريتهم يعمل بيطاراً قبل أن يخدم في العسكرية. كان يخدم في الجيش كجندي مركز عسكري في مدينة "آمد"، لذلك كان بيته مناسباً ليلتقوا فيه. حضنا بعضهما بحرارة حين التقيا.

كان "خيري" من إحدى قرية "قومك" التابعة لناحية "چوليگ"، حين أنهى تعليمه الثانوي فيها، توجه إلى أنقرة وعمل في كلية الطب في "حاجتبه". وهناك، انضم إلى ثوار كردستان، وترك الدراسة في السنة الثالثة من الجامعة ومن ثم عاد إلى كردستان وانخرط في صفوف الحركة المحظورة.

كان "خيري" شاباً خلوقاً ونحيف البنية. لا يتكلم كثيراً ويؤاثر الصمت دائماً. رآه "سليم" في ذلك اليوم حزيناً، عيناه غائرتين. سأله "سليم" قبل أن يجلس: "ما بك يا خيري؟". رد عليه: " لقد تم إلقاء القبض على "آيسل" و"مظلوم دوغان" و"يلدرم مركيت" حين كانوا يتوجهون من مدينة "رها" إلى مدينة "ماردين". معهم هويات مزورة، لكن لم يكشفوا حتى الآن عن هوياتهم الحقيقية، وكانت في سيارتهم وثائق مهمة. كانوا قد عقدوا اجتماعاً في مدينة "رها" وقرروا فيه البدء بالكفاح المسلح، والوثائق في السيارة هي مقررات ذلك الاجتماع. علينا أن نفعل شيئاً لأجلهم قبل أن يكشفوا هوياتهم الحقيقية وقبل أن يعثروا على تلك الوثائق في السيارة. أنت تعرف "مهدي زانا" رئيس بلدية "آمد" ولديك علاقات جيدة معه. إذهب إليه وأخبره بذلك. إن كان بدفع رشوة أو أي طريقة أخرى علينا أن نطلق سراحهم."

كانت قد تمت إعلان الأحكام العرفية في المنطقة، في مناطق "سويرك" و"حلوان" و"رها" كانت قد حصلت اشتباكات مسلحة بين عشيرة "بوجاغ" و البوليس والجندرمة وحزب العمال الكردستاني. وفي مدينة "آمد" لم يكن أحد يؤمن على حياته. كان الجميع يسيرون بخوف في الشوارع. كان "سليم" أيضاً يحس بالخطر، حتى إنه قبل سنة من الآن، تم نشر إسمه في الصحف التركية.

كان يسير بحذر في شوارع "آمد"، حتى وصل إلى مبنى البلدية. أخبر "مهدي زانا" بالموضوع، لكنه حاول كثيراً بواسطة عدة معارف من قبله، إلا إنه لم يستطع إخلاء سبيلهم.

سمع "سليم" إن "آيسل" لم تعد قادرة على الوقوف على قدميها جرّاء التعذيب الشديد الذي تعرضت له. لذلك ونتيجة لذلك التعذيب، لم تعترف بأي شيء لهم في إفادتها. بعد مدة، سمع خبر اعتقال صديقه "خيري دوروموش" في مدينة "قوسَر" التابعة لمدينة ماردين. لذلك، كان عليه أن يتحرك أكثر.

بدأت المواجهات بين البوليس والتنظيم في مدينة "آمد". أغلق أهالي المدينة محلاتهم احتجاجاً على القمع الممارس من قبل البوليس. كان سليم قد توجه مع "محمد چاڤاش" الذي كان ماهراً في الكتابة على آلة "الدكتيلو" إلى قمم جبال "قرجداغ" وبدأ يحضر بيان الأول من أيار.

أنهى كتابة البيان وتنضيده. كان "محمد چاڤاش" قد تزوج حديثاً ويود العودة إلى قريته ورؤية زوجته، كما قرر "سليم" العودة إلى "آمد" متخفياً. توجه إلى بيت صديقه "رفعت" في المدينة وقال له: " دبر لي شالاً سويركياً وجاكيت وحذاء أمدي." أمّن له "رفعت" هذه الملابس، وفي المساء توجه إلى منزل "محمد چاڤاش". في المساء، حاصر البوليس المنزل الذي التجأ إليه. كانت معه هوية مزورة باسم "جمعة

كورت"، لكن البوليس شكوا في أمر هويته.

كان السـكرتير السـابق في مدينة "آمد" قد اعترف بكل شـيء للبوليس، وأكد لهم هوية "سـليم". لذلك، سـاقوه إلى السـجن تحت الضـرب المبرح بأخمص البنادق والركلات والشـتائم. كاد يغمى عليه من كثرة الضرب. كان يقول: "لقد أتتني الطعنة من الخلف."

www.arsivakurdi.org

في سنة 1988، كان سعيد يدرس كلية الطب في أضنة. أما أخاه "حسن" فكان يدرس في أكاديمية العلوم الاجتماعية، وكان مع "مسـعود" حفيد أخت "عيســى خيرو" يقومون بإدارة "PKK" في "أضــنة". حين ينهي "حســن" دراســته في الأكاديمية، يســوقونه إلى التجنيد الاجباري كجندي لأربعة أشــهر. يلاحظ أن العيون كلها عليه في العسـكرية وذلك بسـبب نشـاط أعضــاء عائلته، باتوا يراقبون كل تصـرفاته بطريقة مدروسـة. كانوا قد وضـعوا جندياً لمراقبته ومراقبة حتى ملامح وجهه حين تبث الأخبار الاشــتباكات بين الجندرمة والحزب، وكان على هذا الجندي أن يكتب التقارير اليومية عنه.

تعلم "حسـن" أشـياء كثيرة في الجيش. كان هناك عداء كبير بين الجيش التركي والشـعب الكردي، كانوا يحاولون أن يصبغوا ذلك العداء بصبغة الإرهاب، لكن ذلك العداء كان واضحاً إنه ضد شعب بأكمله. كان المرء يرى ذلك حقيقة ماثلة للعيان. أما "حماة القرى" الذين كانوا يعاونون الدولة في عملياتهم، فقد كانوا خائنين في نظرهم. كان تأسيس "حمة القرى" من قبلهم هي سـياسـة "قتل الكلب بالكلب". أدرك "حسـن" وهو يخدم في الجيش خدمة إجبارية مدى أحقاق حقوق الشعب الكردي وعدالة القضية الكردية.

عاد إلى قريته في إجازة، وكان يحمل في حقيبته الثياب العسكرية، طلبت منه والدته أن يلبس تلك الثياب ويخرج إلى القرية، فهي تود أن تتباهى بابنها بين القرويين. لكن "حســـن" لم يســتســيغ تلك الفكرة وقال لوالدته: "لا أسـتطيع لبس هذه الثياب بين أبناء شـعبي. لأن هذا الجيش ينظر بعداء إلينا، ويظلم أبناء شـعبنا ويقتلهم. كيف سـألبس ثيابهم وأخرج إلى القرية بها؟". إلى تلك اللحظة، لم تكن لـــــ"حسـن" أية علاقة مع حزب العمال الكردسـتاني، لكنه كان يسـمع قصـص أخيه وزوجة أخيه في سـجن "آمد". كان يزور بيت خالته "گوليزار" إبنة "حليمة" حين كان يدرس في ثانوية "زيا گوكلاپ". كان يزور بيت زوجة أخيه "آيسل" ويسمع منهم ما يتعرضون له من تعذيب في السجن.

كان "حسـن" شـاب طويل القامة ومتناسـق الجسـم. يقرأ الكتب بنهم. لا يتكلم إلا حين الحاجة، ولا يتذمر من أحد ولا يتذمر منه أحد أيضـاً. كان متواضـعاً لا يحب المتكبرين. حين أنهى التجنيد الإجباري، عاد إلى القرية، وبدأ بمطالعة الكتب بكثرة، وكان يهتم بتعلم اللغة الانكليزية. أحياناً ما كان يكتب رســائل إلى أخيه المسجون ويكتب فيها الأحداث والمستجدات في القرية.

كان "خالد بياز" صـديق أخيه قد توفي في تلك الأيام. كان "خالد" هذا مدخناً شـرهاً. حين أخذوا جنازته إلى المقبرة، ودفنوه في قبر مقابل الطريق. كانت العادة دارجة في القرية، إنهم حين يضـعـون الميت في قبره، يضـعون صـخور فوق التابوت" ويرمون التراب عليه، ثم يقولون لنذهب. باعتقادهم حينها إن الميت لا يعرف إنه هو المتوفي، وحين يسـمع القرويون يقولون لبعضــهم "النذهب" يقوم بدوره كي يتبعهم، لكن رأسـه يضـرب بتلك الصـخور فوقه، حينها يعلم إنه هو المتوفي. قاموا بنفس الشـيء أثناء دفنهم لـــــ"خالد" أيضـاً. وحين عادوا من المقبرة، قال "حسـن دمر" المعروف بسـخريته ومزحه لهم: "لقد نسـينا شـيئاً. كان علينا أن نفتح نافذة في قبر خالد، عساه يطلب من عابري السبيل بعض السجائر كي يدخنها."

كتب "حسـن" لأخيه هذه الطرفة أيضــاً. لكن في تلك اللحظة كان بيتهم محاصـراً من قبل الجند. لقد كان هو ووالدته فقط في البيت. كانت الرسـالة التي كتبها ما زالت على الطاولة. قرأ أحد الضـباط تلك الرسـالة. توجه الضــابط إلى "حســن" وضــربه كفاً بكل ما أوتي من قوة. مزق رسـالته ورماها أرضــاً وخرج من الغرفة.

حين تلقى "حسن" تلك الصفعة، احمرّ وجهه وشد قبضة يده من الغيظ والحنق. لكنه لم يستطع أن يفعل

www.arsivakurdi.org

شيئاً. بعدها قالت والدته: "يومذاك، قرر إبني حسن الذهاب إلى الجبال."

حين أفرج عن زوجة أخيه من السجن وعادت إلى بيتهم. علم منها حسن أشياء لم يكن يتصورها.

بعد انقلاب 12 ايلول سنة 1980، كان سجن مدينة "آمد" قد تحول إلى صندوق مغلق، لا أحد يعلم ما يجري فيه. لكن أحياناً كانت تتسرب منه بعض القصص والأساطير. كان "حسن" وأخاه يقضون الليالي للاستماع إلى "آيسل" وهي تسرد لهم ما لا قوه من ويلات في ذلك السجن. حين غادرت "آيسل" البيت، اختصرت كل ما رأته في السجن بالكلمات التالية:

" في سنة 1978، كنا قد أستأجرنا بيتاً في حي (آفتَلَر) بمدينة (چوليگ)، لأنهم كانوا يبحثون عنا، كنا نمضي حياتنا متخفيين عن الأنظار، ولم نكن نستقبل إلا من نثق بهم. لم يطل بنا الأمر هكذا. ارسل التنظيم "سليم" إلى مدينة "آمد"، وبقي بيتنا فارغاً، ثم أتى "محمود" ونقل أغراض بيتنا إلى القرية. بقيت بدوري في (چوليگ) و (گمگم) وبعدها ذهبت إلى "رها". غادر كل من (مظلوم دوغان و يلدرم مركيت و حاجي سروجي) إلى ماردين، حينها اعتقلونا. عذبونا تعذيباً شديداً في مركز التحقيق في مدينة (آمد). بقيت قرابة ستة أشهر في الفراش نتيجة ذلك التعذيب. كنت في سجن (آمد) حين حدث الانقلاب العسكري في أيلول سنة 1980، كان السجن يدار من قبل الكوماندور التركي. ثم حولوه إلى مركز لتعذيب السجناء. كان على جميع النسوة إن يستيقظن في الصباح الباكر ويقن باستعداد، وكان عليهن أن يقمن بتلاوة النشيد القومي التركي إلى أن يحل وقت الفطور. كنا نتلقى الضرب بالعصي. بعد تناولنا لطعام الفطور الذي لا يُشبع أحد، يأخذوننا إلى باحة السجن. كانوا يصفوننا في صفين كالعساكر، ثم يجعلوننا المشي العسكري. كان علينا أن نغني النشيد التركي، وبعدها يقولون لنا "تمددوا على الأرض وقوموا" وهكذا لساعات، ننبطح أرضاً ونقوم. حين ينتهي ذلك، يدخلوننا إلى الزنزانات. كان علينا أن نبقى واقفات على أرجلنا، ثم يضعون كتاباً في يد إحدى النسوة كي تقرأه ونحن بدورنا نردد وراءها ما تقرأه. كان يرسلون لنا ملعقة من طعام العشاء. بعد أن ننظف أفواهنا من الدماء، نتناول تلك الملعقة. بعدها يأتي دور التفقد. يدخل الحراس إلى الزنزانة ويضربون عشوائياً كل السجينات. كان الليل كالجحيم هناك. صرخات المعذبات كانت تشق عنان السماء، يكبلون أيادي السجينات ويبدأون بضربهن بالعصي. كنا وكإننا في كمين حديدي. كان نهارنا وليلنا كله تعذيب. لا أحد يستطيع مساعدتنا ولا أن يتفوه بكلمة حتى.

أمضينا ثلاثة سنوات على تلك الحالة. قُتل الكثيرون، كما شل وجن الكثيرون. حتى إن أعداد الذين فقدوا حياتهم بمرض السل لا يحصى، والبعض الآخر مات مضرباً عن الطعام. بعض السجناء أحرقوا أنفسهم. وصل الأمر إلى حد لا يطاق، ولم يستطع أحد تحمل تلك المعاناة الطويلة الأمد.

في اليوم الخامس من أيلول سنة 1983، كان الوقت ظهراً حسب ما أتذكر. كنا جالسات في زنزانتنا، كان الحراس قد ذهبوا ليتناولوا الطعام. سمعنا صخباً، ثم ازدادت الأصوات المنبعثة من السجناء. كانت الأصوات تعلو أكثر فأكثر، حتى بتنا نفهم ما يقال. هرعنا إلى النوافذ، كان الصوت يعلو ويقول "الموت للاستعمار". كان هذا الشعار يمتد من زنزانة إلى أخرى، وبتنا نحن بدورنا نصرخ ونادي نفس الشعار.

كان عددنا يناهز الخمسين سجينة. أصبحت الزنزانة كساحة للتظاهر. حملنا الصحون والطناجر وبدأنا نضربها بالشبابيك والأبواب الحديدية. سمعنا أصوات تردد النشيد القومي الكردي، بعض السجناء يلقون القصائد من داخل الزنازين بصوت عال. ثم ألقوا الخطب وبدأوا يدبكون داخل زنازينهم. فاق ذلك المارد ذو الثلاثة آلاف رأس، وستة آلاف رجل وستة آلاف عين. فاق من غيبوبته وبدأ يصرخ. اهتزت أركان جيش الظلم وهرب. باتت كل الزنانين تحت سيطرتنا، لكن الأبواب الحديدية كانت مغلقة علينا. كنا نعلم أن معذبينا سيعودون، لكننا كنا نعلم جيداً إننا لن نطأطئ رؤوسنا من الآن فصاعداً. قررنا الاضراب عن

الطعام، كان عددنا أربعة نســوة، وأخبرنا زنازين الرجال المجاورة لنا بذلك. بعدها بيوم، ســمعنا أن عدد المضربين عن الطعام قد وصل إلى (640) مضرباً.
بقينا (27) يوماً لا نتذوق شيئاً غير الماء. كنا قد وضعنا شروطاً لفك الإضراب، ووافق المحتلين على شروطنا تلك. حين عدنا من المستشفى إلى السجن، كان السجن قد تحول إلى مكان آخر. أي إن المرء كان يستطيع أن يتحمل البقاء فيه."
أثر كلام "آيسل" في شقيق زوجها "حسن" كثيراً، حتى إنه قال لها في إحدى الأيام:
" لقد قررت الالتحاق بالگريلا والذهاب إلى الجبل، لكن ما يمنعني هو إنني خائف أن يعتقلوك مرة أخرى."
بعد التحاق "آيسل" بالگريلا في الجبال، سافر "حسن" بدوره إلى مدينة أضنة.
كان "سليم" ورفاقه قد حفروا نفقاً في سجن "رها" للهروب من السجن، لكنهم أحسوا بهم، لذلك نفوه إلى "جيهان". حين تواصل مع أخيه الذي زاره في السجن، استطاع من خلاله التواصل مع الرفاق في التنظيم أيضاً، وفي إحدى زيارات أخيه له، سلمه كتاباً قد كتبه وقال له:" إقرأ هذا الكتاب ثم أرسله إلى ألمانيا كي يطبعوه."
أستطاع "حسن" إيصال الكتاب إلى ألمانيا وتمت طباعته هناك.
كان "سليم" و"مصطفى قره سو" يودون بقاء "حسن" في المدينة. لم يكونوا يودون من كل من يتواصل معه التنظيم أن ينضم إلى الگريلا. كانوا يجدون أن الأهم هو تنظيم التظاهرات في المدن وحشد الملايين من المؤيدين في صفوفهم. لكن التنظيم الذي كان مقره في دمشق لا يحبذ ذلك، بل يقوم بتشكيل اللجان في المدن. تكون تلك اللجان أشبه بالشعبة العسكرية. كلما ينضم شاب إليهم، يرسلونه إلى الجبل فوراً. بذلك كانت المدن تفتقر إلى التنظيم. كانوا يشكلون اللجان العسكرية بدل اللجان المنظمة العسكرية، كما إنهم كانوا بذلك لقمة سائغة للبوليس الذين كانوا يعتقلونهم بسهولة.
مئات الآلاف من الكُرد الساكنين في "چوكوروڤا" و"ميرسين" و"أضنة" و "جيهان" و "تارسوس"، يصل عددهم للملايين. كانت لجنة "چوكوروڤا" كان يقودها "حسن" و"مسعود" و"غوربتللى أرسوز" الذي كان أكاديمياً في جامعة "چوكوروڤا" لجنة لا غبار عليها وتؤدي مهامها بشكل جيد. لكن حدث خطأ في بيت "أورهان نازى" بسبب حادثة جرت مع أحدهم.
حين عاد أحد الميليشيا من اضنة، كان قد وقع في قبضة البوليس وفي جعبته ورقة، واعترف للبوليس تحت التعذيب بمكان سكن "حسن" و"غوربتللي". انتظر البوليس حتى حلول الليل وداهمت منزل "أورهان نازى" في الساعات الأولى من الفجر. كانت زوجة "أورهان" وابنه الصغير في المنزل، أما الغرفة التي كان ينام فيها "حسن" فقد كانت مغلقة. حاولت قوات البوليس تكسير الباب، ثم أطلقوا النار على قفل الباب وفتحوه.
كانت الغرفة فارغة، حيث لم يعد "حسن" في تلك الليلة إلى البيت. أخذوا أغراضه وكتبه وجهاز الراديو من غرفته. حين سمع كل من "حسن" و"غوربتللي" بالأمر، هربا إلى "أثينا".
كان لدى "سعيد" رئيساً لفريق كرة القدم في الجامعة. كان الطلبة الفاشيين يحاولون بشتى السبل إفشال فريقه. سرد أحد أصدقاء "سعيد" حادثة جرت معه في نادي "چوكوروڤا"، وكانت على الشكل التالي:
"كان الجو صيفاً وحار جداً. كان الطلبة في الكافيتريا يتفرجون على التلفزيون. جرى بين اليمنيين واليساريين نقاش حاد وكادوا أن يتعاركوا. لكن دخل أحد أساتذة الجامعة وهدأ الوضع. أراد "سعيد" أن يرطب الجو هناك وقال لأحد اليمينيين: ما رأيك لو نتسابق أنا وأنت على أكل البطيخ.

وافق الشـــاب على كلامه وســـرعان ما توجها إلى محل قريب عليهم كان يبيع البطيخ هناك. بدأ الطلبة بتجهيز البطيخ أمامهم وأثناء البدء، بدءا بالأكل، لم يكد يصـــل الشـــاب إلى البطيخة الرابعة حتى توقف وخسر بذلك الرهان. لكن "سعيد لم يتوقف عند ذلك، وقال للرجل: تعال نتسابق ركضاً إلى تلك التلة. وافق الشـــاب على ذلك أيضـــاً فهو يريد أن يعوض خســـارته في البطيخ. كانت التلة تبعد عنهم مســـافة ثلاثة كيلومترات تقريباً. حين دقت الصـــافرة، ركضـــا صـــوب التلة والشـــبان الآخرون يلحقونهم. لم يصـــدقوا أن يفوز "سعيد" على ذلك الشاب الطويل الساقين. لكن الشاب وقبل أن يصل إلى التلة وقع أرضاً وبدأ يتقيأ، أم "سعيد" فقد تجاوزه ووصل إلى التلة بسرعة البرق.

بعد شـــهر، بدأ شـــبان قرية "چلكانيێ" مرة أخرى بكتابة الشـــعارات على الجدران وانزال العلم التركي. بدأ البوليس بعدها بالقاء القبض على "سعيد" واتهموه بأنه هو من حرض شباب القرية على ذلك.

وضـــعوه في غرفة التعذيب مع شـــبان القرية الآخرين. أغلقوا عينيه وقيدوا يديه خلف ظهره. كانوا يعذبونه ليلاً نهاراً، وأحياناً ما كانوا يعرونه من ثيابه ويرشـــون عليه الماء البارد. كانوا يقولون له تحت التعذيب:

" من كتب تلك الشعارات؟ ومن أحرق العلم؟" لكنه لم يكن ينطق بشيء. ذلك الظلم الذي كانوا يتحدثون عنه كل تلك السنين، الآن يراه بأم عينيه. حين أطلقوا سراحه، حلف وأقسم على ألا يقع في قبضـتهم مرة أخرى.

حين خرج من ســـجن "چوليگ"، توجه إلى بيت أخيه "عمر" الذي كان يدرس الهندســـة في جامعة "فرات" في منطقة "ألأزيز". سرد لأخيه كلما جرى معه والتعذيب الذي ناله.

حين عاد إلى الدراســـة في الجامعة، بدأ يكتب عن روايات أخيه والتعذيب الذي لاقوه في ســـجن "آمد" وكل ما سردته له زوجة أخيه "آيسل".

كانت "آيســـل" قد تركت الدراســـة في جامعة "آمد" وتوجهت في ســـنة 1986 إلى الجبال. تأثر كثيراً بذهابها وعاد إلى الجامعة واهتم بالعمل التنظيمي أكثر وبدأ يتناقش مع الأســـاتذة والطلبة عن الثورة الكردية.

كان أستاذه "عدنان يوسل" شـخصـاً جريئاً، وأسـتاذاً في لمادة الأدب في الجامعة. تأثر "سـعيد بقصـيدته "حتى تصبح وجه الأرض وجهاً للحب" كثيراً. كان يردد مقاطع من تلك القصيدة في كثير من المرات:

"كان الحياة مجزّأة بدون حب
رأيتك في قلب عقيدة
أحببتك في جمال حربٍ ما
وما زالت تلك الحرب مستعرة
وستستمر
حتى تصبح وجه الأرض
وجهاً للحب."[8]

كان "ســـعيد" متأثراً جداً بقصـــائده لأنها كانت تتناول المقاومة في الســـجون، ولإنه كان يتصـــور أخاه "سليم" وزوجته في قلب تلك المقاومة. لذلك كان يحب قصائده ويحب شخصه أيضاً، وكان يودد أن يلتقي به خارج الجامعة.

---

[8] . حتى تصبح وجه الأرض وجهاً للحب، عدنان يوسل، منشورات (يورتYûrt)

ذهب إلى بيت الاستاذ وحل عليه ضيفاً، وقال له:

- أنت تكتب بطريقة جميلة جداً يا أستاذ، لكن هناك حقيقة لم تدركها بعد.

- ما هي تلك الحقيقة؟

- لا تعلم شيئاً عن الشعب الكردي ومقاومة أبناء هذا الشعب. أنتم لا تعلمون شيئاً عنهم.

أحس "سعيد" براحة حين أفضى لأستاذه بهذه الحقيقة.

بقي الأستاذ "عدنان" صامتاً أمام هذا الطالب الجميل أمامه، ثم حدق فيه، رآه شاباً هادئاً وواثقاً من نفسه. الظاهر أن هناك أشياء يعلمها هذا الطالب، أما هو فلا يعلمها. ثم كسر ذلك الصمت وقال له:

- هات وقُل لي ما تعرفه كي أعرفه بدوري. ألأنني أستاذك عليّ أن أكون عالماً بكل شيء؟

سرد له "سعيد" ما جرى ويجري لأخيه وزوجته في السجون وقال له: "منذ سنة 1980 وهم في سجن آمد. يا أستاذ، ما أعلمه لا يُقال. أخي الآن معتقل في سجن جيهان، ألّف كتابين عن مقاومة الشعب الكردي ضد الظلم. عناوين كتبه هي (فجر آمد في حلكة ظلام 12 أيلول) والآخر (ملحمة كاوا الحداد وكاوا المعاصر). إضافة إلى ذلك الكتابين، فقد ألف أصدقاءه (محمد تانبوكا و فوزي يكتين و محمد شوكرو گولميش) كتاباً بعنوان (الليلة الرابعة). تغيرت حياتي كلها حين قرأت هذه الكتب. كل ما تعرفونه وتلقنوننا إياه في المدرسة نعرفه مسبقاً، لكن حدث الكثير من التشويه والزيف وقاموا بقلب الحقائق حسب هواهم. لقد قرأت تلك الكتب وخرجت بهذه الأمور منها. إن أردت أستطيع أن أجلب لك تلك الكتب كي تقرأها. إن التنظيمات اليسارية تخفي الحقائق، وقد تجاوزت أدمغتهم العصر الكمالي."

اتفق الأستاذ وطالبه على أن يجلب له الكتب الثلاثة كي يقرأها. لم يكن "سعيد" يهدأ، يريد أن يجر الأستاذ إلى عالمه. بعد ثلاثة أيام، جلب له الكتب. لم يعلق بشيء، سلمه الكتب الثلاثة وخرج. بعد مرور أسبوعين ألتقيا ببعضهما في ممر الجامعة. كان "سعيد" ينظر إليه بشغف، وأردك أستاذه سر ذلك الشغف في عيني طالبه، لكنهما لم تحدثا وسار كل منهم في طريقه. حين عاد الاستاذ إلى منزله، دون الملحمة التي كتبها على ورقة أخرى ووضعها في جيبه وفي اليوم التالي وضعها في جيب "سعيد". هرع "سعيد" مسرعاً إلى ركن في وأخرج الورقة من جيبه. كانت القصيدة التالية مكتوبة على الورقة:

"قد يكون وادي زيلان إفعواناً في جبل آغري

قصيدة مدماة هي حافات "لاچ" في ديرسم

لكن، الملحمة كانت في قلعة آمد

وفي سجن آمد

الراقصون مع النار

في الليلة الرابعة..

ما هو السجن؟ ما هو الأسر؟

ما هي الحرب؟ وما هو عشق الجبال؟

ما بها أن يقتاد المرء إلى حبل المشنقة وهو على كرسيه

هل رأيت؟ قد يعيش المرء خجلاً في الخيانة

وقد يُحرق المرء في مستنقع الخراء

قد يقف المرء أمام ضحاكٍ ما

ويتقيأ ما في دماغه

بعدها يصبح المرء جسداً وحيداً

هكذا كانت الحياة في سجن آمد."[9]

نعم، وأخيراً وضع أستاذه يديه على الجرح، وبدد الظلام، وأوضح كل ما كان مبهماً. حين سيصبح قائداً للكريلا في الجبال، كان كتاب أستاذه هذا سيصله، وعنوانه سيكون "أبناء الشمس والنار". كانت قصيدة أستاذه هذا ستصبح الملحمة الكردية المعاصرة.

لأنه أصبح سبباً في كتابة هذه القصيدة، كان سيلقيها بصوت عال على قمة جبل "شارك":

"الملاحم هي التي تحيا
لكنها لا تُقال
لا بالكلمات ولا بالطمبور
العصي والسلاسل والسياط تدك بعضها ببعض
والموتى يسيرون على أقدامهم ليلاً
يلفونهم بشراشف مدماة
في كل مقاومة يحملون توابيتهم
تختلط الدموع مع أصوات الأفاعي
أيادي الصبايا فارغة دائماً
عيون الأمهات على هذه الأشواك
صمت حزين يلف القلوب
ومياه دجلة تجري بصمت
العقبان على أبراج القلاع
والضحّاكين بزيّهم الموحد
لا نستطيع رؤيتهم إلا في الثغور."

[9] . أبناء النار والشمس، عدنان يوسل، منشورات (يورت Yûrt)

غادر "حسـن" و"غوربتللي" مدينة أثينا وبجوازات مزورة دخلوا دمشـق. كان هناك معسـكر لحزب العمال الكردستاني في "وادي البقاع" اللبناني الذي كان تحت سيطرة الحكومة السورية. المتدربون هناك على السـلاح والقتال كانوا يذهبون إلى جنوب كردسـتان في المناطق الجبلية البعيدة عن السـيطرة، ومن هناك كانوا يتوزعون في الجبال في شمالي كردستان ويقومون بالكفاح المسلح منها. أنهى كل من "حسن" و"غوربتللي" ثلاثة أشـهر من التدريب في وادي البقاع، بعدها دخلوا إلى جنوبي كردسـتان. كان "حسـن" يود الذهاب إلى منطقة جده "عيسـى خيرو". أعد وحدته المكونة من ثلاثة وعشـرين عنصـراً، وبواسـطة أدلاء من بينهم ومن الأهالي العارفين بالطريق، أرادوا الذهاب إلى منطقة "سـيوان" بين مدينة "آمد" ومنطقة "داراهێنێ". كانت الحكومة التركية قد قطعت كل تلك الطرق ووضعوا الكمائن في كل مكان. كان "حماة القرى" ككلاب الصـيد يتشـممون الأخبار، وكان على "حسـن" ان يتحرك بحذر ويقظة. حين يحل الصـباح، يختبئ مع مفرزته في مكان بعيد عن الأنظار، وحين يحل الليل يبدأون بالمسـير. لم يكن يدري كيف يقطع مسافة أربعمائة متر وكم يوم يلزمه للمسير. لذلك، كان يتوقع حدوث أي طارئ في ذلك الطريق الذي يعتبر منطقة عسكرية.

في عام 1925 وأثناء انتفاضـة الشـيخ سـعيد، كانت تلك المناطق قد انتفضـت أيضـاً، وتم تحرير بعض المدن فيها. لكن حين هاجمت الدولة التركية بأسـلحتها التي لا تقارن مع أسـلحة الكُرد، ألقت القبض على قادة الانتفاضة وأعدمتهم، وبذلك قضت الدولة على الانتفاضة الكردية.

هذه الانتفاضـة الأخيرة حدثت سـنة 1978، لم تكن انتفاضـة شـاملة، لكنها بدأت بتنظيم صـغير، بعدها أرادت تصفية مسؤولي الدولة وعملاءها بالسلاح. بعدها قامت بالدعاية للكفاح المسلح، ثم تحرير المدن، وتأسيس جيش من الگريللا. لم يحدث أي تغيير أو خلل في برنامج التنظيم حتى سنة 1990. حاولت الدولة التركية كل ما باستطاعتها لقمع هذه الحركة وبث الرعب بين صفوف الشعب، لكن المقاومة في السجون دكّت أركان امبراطورية الخوف. وكلما زادت الدولة التركية من قمعها للشـعب، كلما قام الشـعب منتفضـاً ضدها مكسراً بذلك حاجز الخوف ذاك.

كان أمام "حسن" ووحدته خمسة وعشرين يوماً من المسير. كان هناك وحدات من الگريللا مسبقاً في تلك المنطقة التي سيذهبون إليها. كان قائد الوحدة إسمه "خبات" وقائد الوحدة الأخرى إسمه "چكو". كان خبات من مواليد قرية "كلاخسـێ"، وأصـبح له خمسـة وعشـرون عاماً بين قوات الگريللا. أما "چكو"، فكان من قرى مدينة "پالو" وكان صديقاً لــ"سعيد"، وبدوره كان قد ترك الدراسة في الجامعة وانضم إلى حرب الگريللا.

تواصل القادة الثلاثة عن طريق المليشيا المدنيين هناك، وقرروا عقد اجتماعهم الأول في جبل "شارك". في صـيف سـنة 1917 كان "عيسـى خيرو" قد فقد أربعة أخوة هناك، وتوجه مجبراً إلى قرية "تونسـت". في سـنة 1991، أي بعد (74) عاماً، توجه حفيده "حسـن" إلى جبل "شـارك" واسـتقر مع وحدته في ذلك الجبل.

كانت قرية "دوأشـێ" ما تزال موجودة هناك، كان كل من "أحمد" و"محمد" و"محمود" ثلاثة أخوة يعيشون في تلك القرية. كان "حسن" يعتبر أهالي تلك القرية من أقرباءه، وذلك لأن والدته حلت كعروسـة في زمن إلى على هذه القرية.

أتى ذلك اليوم الذي توجه فيه "حسـن" مع أربعة من مقاتليه إلى الغابة في جبل "شـارك" وقدم القادة

الآخرون مع مقاتليهم أيضـــاً. كان "خبات" يعرف كل تلك المناطق وخبيراً بالأوضـــاع فيها، لذلك قال لـ"حسن":

"أبق أنت في منطقة (گازێ، سـيربێ، قشـى، پينيێ، حاجيان)، ومن هناك وحتى (دارا هێنێ) سـتكون المنطقة تحت إمرتك. يوجد في هذه القرية (القوروجيين- حماة القرى) و غالبيتهم من الوطنيين. مع إنهم يحملون سلاح الدولة، إلا أن هناك أناس وطنيون بينهم، أي إنهم ليسوا أعداء لنا. حملوا سلاح الدولة خوفاً من الضرب والاعتقال، لكن لديهم تواصل معنا. هناك واحد فقط من بينهم وهو يشكل خطراً علينا واسمه (فَقو). علينا أن نعاقبه كي يصبح درساً للآخرين ويتخلوا عن رفع سلاح الدولة ضدنا.

قال "چكو":

- كما تعلمون أن المنطقة كلها جبلية، إن سلكنا سلسلة الجبال هذه، نستطيع المسير من "هێنه" إلى "داراهێنێ"، كما يستطيع المرء المسير من جبل "شـارك" إلى "پالو" أيضـاً. توجد في المنطقة مخافر عسكرية، وكي ندمر هذه المخافر، علينا أن نضع خطة مشتركة بيننا. أنت منذ الآن حاول أن تُقنع القرويين كي يضعوا أسلحة الدولة من أيديهم."

سرد لهم "حسن" عن رحلته الطويلة من وادي البقاع حتى جبل "شارك". بعدها انفصل عنهم "خبات" مع مفرزته.

أدمج كل من "حسن" و"چكو" مفرزتيهما واستقروا في جبل "شارك" الذي يعد موقعاً استراتيجياً وآمناً في نفس الوقت وهو مكان عصـي على الجيش التركي للقيام بالعمليات العسكرية فيه، وحتى إن حاول كان سينهزم. كان الجبل يشرف على منطقة واسعة، فيها مياه وغابات، ويرتبط بسلسلة جبال أخرى فيها الكثير من القرى.

بعد ان استقروا هناك، حاول "حسن" الالتقاء بالقرويين واحداً واحداً كي يقنعهم، فهو لجأ إلى هذه الجبال لأجلهم، من أجل قضيتهم، من أجل الفقراء والمظلومين. لذلك كان يود أن يقنعهم للمشاركة في المقاومة.

واجه "حسن" ومفرزته حادثة غريبة جرت معهم في إحدى القرى، وهي، إنهم حين أنهوا اجتماعهم في القرية، أتت إحدى النسوة واسمها "سنم" والتي فقدت في السابق زوجها وابنين آخرين في حرب الگريللا مع الجيش التركي. كان تمسك هذه المرأة بيد ابنها الصغير والذي لا يتجاوز عمره الثانية عشرة، وجلبته معه إلى مكان الاجتماع وتود أن ينضم طفلها أيضـاً إلى الگريللا. أوقفها أحد العناصر من المفرزة وقال لها:

- إنه ما زال طفلاً، لا يسـتطيع حمل البندقية بعد. نحن لا نقبل بالأطفال بيننا، وقائدنا (حسـن- واسـمه الحركي كان مونزور-) لا يقبل بذلك.

- ومن هو (مونزور) هذا، وهل هذا الحزب ملك لأبيه؟

حين سـمع "حســن" صـوت المرأة في الخارج، طلب أن تدخل إلى الغرفة، وحين دخلت، جرى بينه وبينها نقاش مطول. قالت له المرأة:

- دع إبني (عگيد) ينضم إليكم. أعلم إنه صغير ولا يستطيع حمل البندقية، لكن الكفاح لا يتطلب البندقية فقط. علموه ولقنوه الدروس كي يتعلم المقاومة منذ صغره. إنه أنهى المدرسة الابتدائية ولا توجد مدرسة اعدادية في هذه المنطقة كي أرسله إليها، ولا أود أن أرسله إلى مدارس بعيدة خوفاً عليه من الغربة، وقد يضيع هناك. أنا أعلم إنكم ستدربونه وتعلمونه جيداً وسيكبر بسرعة بينكم.

قال لها "حسن":

- أُماه، حياتنا صـعبة، والخطر محدق فينا، ولا نسـتطيع أن نضـع طفلاً في وضـع كهذا ونعتني به.

www.arsivakurdi.org

سيصبح عالة علينا.

مع ذلك لم تقتنع المرأة بكلامه، كان الطفل "عگيد" ينظر نظرات رجاء إلى "حسن". كان شاباً جميلاً، ضعيف البنية أشقر البشرة وبشوش الوجه. مسد "حسن" شعره وقال له:

- هل تود المجيء معنا؟

هزّ الطفل رأسه موافقاً. بعدها، ودعوا القرويين وخرجوا من القرية.

بعد أسبوع، كانوا سيتوجهون إلى قرية أخرى. كانت تلك القرية نصفها من "حماة القرى" والنصف الآخر من الوطنيين، لكن رئيس "فّقو" رئيس "حماة القرى" كان خائناً. قبل التوجه إلى القرية، كانوا قد أعلموا القرويين بإنهم سيأتون خفية وعلى "حماة القرى" ألا يحسوا بمجيئهم إليها. كانوا قد حددوا منزل أحد الميليشيا (ميليس- مؤيد للتنظيم) ليعقدوا اجتماعهم فيه. وصلوا إلى القرية في الساعة الحادية عشرة ليلاً. كان الجو صافياً. احتاطوا جيداً بأن قام بتمشيط ما حول القرية، ووضعوا الحرس على التلال المجاورة للقرية. كان البيت المزمع عقد الاجتماع فيه مكتظاً بالقرويين، رجال، نساء وأطفال. استقبلوا عناصر الگريلا بكل حفاوة. قبل أن يجلبوا الشاي، بدأوا بالحديث. كان القرويون يتذمرون من "فقو" رئيس "حماة القرى". قال أحد الرجال المسنين:

- إن فقوا ينهب كل شيء، يشتمنا، ويظلم كل من لا يتعاون مع الدولة، ويرى نفسه وكإنه مالك لهذه الجبال. لماذا لا تعاقبونه؟

كان "حسن" يصغي إليه بانتباه. ثم بدأ يجاوبه عن الهدف من لجوئهم إلى الجبال قائلاً:

- نحن نعاني وسنعاني كثيراً من أجل الوصول إلى أهدافنا في الاستقلال والحرية. الأمور ليست سهلة، وستلجأ الدولة إلى القمع المتزايد، وستجند الكثيرين مثل "فقو" هذا. علينا أن نواجه ذلك بيد واحدة، بصبر وتأني وبدون خوف.

جلبوا الشاي والطعام. لم ينتهوا من طعامهم بعد حتى دخلت امرأة وقالت:

- أسمع صوت وقع أقدام على سقف البيت يا رفاق.

حملوا بنادقهم، وقال "حسن" لـ"عگيد": "أبق هنا، سوف نعود كي نأخذك."

أراد صاحب البيت أن يخرجهم من مكان ما. كان الجميع بانتظار أمر من "حسن". حين سمعوا أصوات مقع الاقدام فوقهم، فتح الگريلا "سفقان" النافذة ورمى بنفسه إلى الخارج. تبعه الگريلا "ديار" أيضاً. أما البقية فقد كانوا مهيأين للاشتباك. بعد برهة عاد العنصرين ومعهم "جمعة" الذي كان يحرس المكان. الذي كان نائماً واعتراه الخجل من ذلك. كانت القوات الحكومية و"حماة القرى" قد حاصروا موقعهم. قال لهم "حسن":

- الوقت ليس من صالحنا يا رفاق، علينا أن نخرج بسرعة.

خرج الجميع من النافذة تلك يركضون إلى الغابة المجاورة. أراد "عگيد" الالتحاق بهم، ورمى بنفسه أيضاً من النافذة وركض يلحق بالرفاق. لم يكد أن يختبئ خلف الصخور في الغابة، حتى بدأت أصوات الانفجارات والقنابل والبنادق الرشاشة يعم المكان.

اختبأو خلف ذلك الساتر الصخري. قال لهم "حسن": كم هو عددنا؟

قال له أحدهم: نحن أربعة.

لم يكن حسن يعلم أن توجه السبعة الآخرين. كانت القذائف تتجه صوبهم وتضرب تلك الصخور وتفتتها من حولهم.

كانوا يردون على مكان إطلاق القذائف. تحول ذلك المكان إلى ساحة معركة شرسة. بعد برهو، سمعوا

إطلاق للنيران من بين أشـجار التوت على الطرف الآخر، فأدركوا إن رفاقهم السـبعة هناك يردون على النيران. قال "حسن" لرفاقه:

- نحن في أمان هنا. إن حاولنا فتح ثغرة في صفوفهم، حينها سننجو من كمينهم. علينا أن نصل إلى خلف القرية. احموا ظهري وسأذهب أنا لأجل ذلك.

أنهى كلامه وانطلق راكضاً صوب أشجار التوت. بدأ الرفاق يساندون قائدهم بإطلاق النيران من ثلاثة جهات. لكن، كلما يمر الوقت كانت ذخيرتهم تقل.

بعد برهة، بدأ هجوم قوي من جهة أشـجار التوت. كان صـوت عناصـر "حماة القرى" يعلو، يتأوهون وقد أصيبوا بالطلقات. سرعان ما عاد "حسن" وقال لهم:

- لقد فتحت خطاً للنجاة. هيا لننطلق.

كان أضـواء القرية مطفأة، والقمر وكإنه اختبأ حخلف الغيوم خوفاً. كانت أصـوات الطلقات ما زالت تسمع من جهة أشجار التوت.

كان الگريللا "دوران" ما يزال مختبئاً خلف حائط في زاوية من زوايا منزل في طرف القرية. كانت أمامه مسافة قصيرة كي يصل إلى رفاقه. كان أحد عناصر الجيش التركي أيضاً مختبئاً خلف الأشجار هناك، وحين انقطع صوت الرصاص، قام الاثنان من مكانهما، وتوجها إلى بعضهما بدون أن يرى أحدهما الآخر، وسرعان ما تخبطا ببعضهم وسقطت بنادقهم من أيديهم على الأرض. كان الجندي التركي يظن أن هذا الشـخص هو صـديق له، لكن حين لمحه إنه من الگريللا، حاول حمل بندقيته، لكن "دوران" بادر بلكمه، بدأ الإثنان يتعاركان بالأيدي. أدرك الجندي أنه لا يقوى على خصمه، فصرخ يستنجد برفاقه وقائده:

- يا قائدي.. النجدة.. إنه سيقتلني.

كان "حسن" والآخرين ينظرون إليهم ويرونهم. حمل "دوران" بندقيته، لكن الجندي حين رأى أن نهايته اقتربت، قام من مكانه مسرعاً يود الفرار. بدأ الگريللا بإطلاق النار عليه وأردوه قتيلاً في أرضه.

أراد "دوران" أن يوصـل نفسـه إلى رفاقه زحفاً. لكن قذيفة مدفعية كانت أسـرع منه ووقعت بين الأشجارهناك. جرح "جمعة" في كتفه. لكنه لم يبالي بجرحه، بل وضع بندقيته جانباً وركض صوب رفيقه "دوران" وحمله مع بندقيته وعاد مسـرعاً إلى الرفاق. كان "دوران" أيضـاً قد أصـيب بشـظية في كتفه، وكان جرحه طفيفاً. سـمعوا صـوتاً من الوادي المحاذي لهم "الشـهداء لا يموتون". أدركوا أن رفيق لهم قد استشهد.

قرر "حسـن" الانسـحاب. وأطلق ثلاثة طلقات في السـماء كي يعلم رفاقه بذلك. ابتعدوا عن الموقع ووصلوا إلى المكان المقرر للانسحاب. نظر "حسن" إلى "سفقان" المضرج بدماءه، كان مطأطئ الرأس وكأن الدماء نفذت من جسـده. كان أمامه جثة أحد الرفاق وينظر إليه. صـرخ "حسـن" حين تعرف على الجثة: "لقد تركته في البيت وخرجت" وبدأ يبكي عليه بحرقة. كان الطلقات قد أصـابت رأس وصـدر "عگيد" الصـغير. ابتعد "حسـن" عن جثته وهو يمسـح دموعه. ثم توجهت "رنگين" الفتاة الگريللا إلى الجثة وبدأت تبكي: "لا يجوز أن تموت يا عگيد. الموت لا يليق بك. أقسـم لك يا صـديقي الصـغير إنك ستظل خالداً إلى الأبد في ذاكرتي."

لم يكن هناك ما يقولونه لبعضهم. حملوا جثة "عگيد" وابتعدوا عن ذلك المكان.

في اليوم التالي، سـمعوا ان "فقو" رئيس حماة القرى قد قتل. أثلج هذا الخبر صـدور القرويين، بعضـهم من قال "لقد نـال جزاءه" وآخرين قـالوا" إن الظلم لا يدوم". والبعض الآخر بدأ بذبح القرابين وتوزيع لحمها على القرويين خفية. لكن تحول فرحهم إلى مأتم حين اخذوا جثة "عگيد" إلى القرية. التفحت النسوة

بالسواد، وكان بكاء "سنم" والدة "عگيد" يشق عنان السماء.
كان فصل الخريف على الأبواب والأمطار تهطل. كانت وحدة "حسن" تعود من القرى بعد كل اجتماع إلى مقرهم في جبل "شارك". كانت الطرقات موحلة وبالكاد يستطيعون رفع أرجلهم عن الأرض. يسيرون بتثاقل، يفصل عن كل واحد منهم ثلاثة أمتار. يسيرون بانتظام وروية وكإنهم يحملون الزجاج فوق اكتافهم.
كانوا يقطعون مسير ثلاثة ساعات في ستة ساعات من كثرة الوحل والطين. وضعوا الحراس على التلال وارتاحوا لمدة ثلاثة أيام بسبب تساقط الأمطار. في اليوم الرابع، كان عليهم التوجه إلى الاجتماع. كان "حسن" منذ ذلك اليوم حزيناً كثيراً على "عگيد". حين بدأ الاجتماع، قال لهم "حسن":
- لقد ارتحنا ثلاثة أيام يا رفاق، لكنني لم أجد للنوم ملاذاً خلال هذه الأيام. ضميري يؤنبني، وفكرت في الأمر كثيراً وتأكدت أن من وضعنا في الكمين ذلك اليوم هم من مخفر (يونيك). علينا أن ننتقم للدم "عگيد" لا بقتل حماة القرى، بل بالانتقام من الجنود في المخفر. حماة القرى هم ككلاب الصيد، علينا أن نقتنص أصحابهم لا كلابهم. سنرسل إثنان من الرفاق لاستطلاع المخفر كي يزودوننا بالمعلومات عن الحراس وعدد السيارات وأسلحتهم وأي الجبال والتلال والأنهار قريبة من الموقع. ثم نضع مخططاً لجغرافية المكان ونضع خطة للهجوم عليه.
أدلى الرفاق الآخرون بآرائهم حول ذلك، وحددوا إثنين للقيام بعملية الاستكشاف والاستطلاع.
ذهب العنصرين من الگريلا إلى ذلك الموقع واختبأوا في الغابة المحيطة بها خلف الأشجار. كانت حوامتين عسكريتين تحوم فوقهم. لم يكن يفهموا لماذا تحلق تلك الحوامتين في سماء المنطقة ولساعات متواصلة. في اليوم التالي، اقتربوا أكثر وكتبوا كل المعلومات التي يرونها والتحركات في المخفر. ثم راقبوا المخفر ليلاً أيضاً، وعادوا بعد يومين إلى موقعهم في الجبل.
حين عادوا، تناولوا لحم الماعز الذي كان رفاقهم يشوونه على النار. بعدها، سلموا كل ما كتبوه عن الموقع لقائدهم. كتب "حسن" كل تلك المعلومات على ورقة كبيرة، وخطط الموقع. ثم نادى على رفاقه للاجتماع. وضع الورقة في المنتثف والتم الرفاق عليها، كانوا أحد عشراً فرداً بينهم ثلاثة مقاتلات. حمل "حسن" حجرة ووضعها على مكان وقال لهم: "هذا هو مكان الموقع فوق هذه التلة." ثم حمل حجراً آخر ووضعه على مبعدة من الحجر الآخر وقال: "وهذه تلك أخرى للمخفر. بين التلتين مسافة مائة متر." كل ساعتين يغيرون نوبات الحرس عليهما، والحراس هناك يحملون بنادق من نوع "G-3" ومناظير." حمل حجر آخر ووضعه بعيداً عن المخفر وقال: "فوق هذا التل توجد دريئة وفيها سلاح من نوع دوشكا. وتبعد عن المخفر مسافة ثلاثمائة متر." أشار للرفاق الطرقات المؤدية إلى المخفر والوديان والأنهار. تناقشوا كثيراً عن كيفية تنفيذ العملية، ثم قرروا القيام بها.
لم يكن غرضهم من العملية هو الاستيلاء على المخفر وقتل كل من فيه، فعددهم وذخيرتهم لا تكفي للقيام بذلك، لكنهم كانوا يودون بذلك بث الرعب في نفوسهم وإلحاق الخسائر الممكنة بهم.
كان التكتيك الذي وضعوه هو أن يقوم الرفيق الذي يحمل القاذف بمحاولة قتل الجندي في ردية الدوشكا. والهدف الآخر كان الردية الأخرى القريبة من المخفر. لم يكن معهم سوى بندقية واحدة من نوع "بي كي سي" وقاذف "آر بي جي". كان حامل الـ"بي كي سي" عليه الاختباء بين الاشجار والرمي على الرديئة القريبة من المخفر وقتل الحرس هناك. بعد تدمير تلك الرديئتين، كانوا سيطلقون القذائف والبنادق صوب المخفر. وحددوا طريقة الانسحاب ومكان الاجتماع بعده. كما حددوا أماكن أخرى للانسحاب حين حدوث أي طارئ. حملوا ذخائر تكفيهم للعملية وانطلقوا صوب المخفر.
كان المهطر يهطل ورياح خفيفة تهب في الأرجاء. ساروا لساعات متواصلة حتى وصلوا في وقت

متأخر من الليل إلى التلة التي كانت أضواء البلجكتورات تنبعث منها. جلسوا فوق التلة ينظرون حولهم. كان الصمت مطبقاً، كان صوت صافرة يطلقها الحرس خوفاً يشق ذلك الصمت أحياناً. جمع "حسن" رفاقه مرة أخرى وبدأ يلقنهم الخطة مرة أخرى. كان يتكلم بصوت مرتجف ومبحوح كما كل عملية يقوم بها، كانت عيناه تلمعان ببريق حاد في ذلك الليل. نظر إلى رفاقه وقال لهم:

- لا تنسوا إن التقصير مكلف علينا. نفذوا ما اتفقنا عليه بحذافيره فقط. أنا سأطلق القاذف وحدد مقاتل ومقاتلة كي يكونوا معه. وأشار إلى التلة التي سيكون فيها رامي الـ(بي كي سي) وعلى ثلاثة رفاق أن يكونوا معه."

بقي خمسة مقاتلين، فتوجه إليهم قائلاً:

- حاولوا قد الإمكان الاقتراب من المخفر. تحصنوا في أماكن آمنة وحددوا بدقة طريق انسحابكم.

كان "حسن" بالنسبة إليهم مصدر أمان. فقد ترعرع محباً للحرية. كان قد تدرب جيداً على حرب العصابات "الگريللا" نظرياً وعملياً، وقد وهب نفسه لخلاص شعبه. حتى إنه كان في نظر عائلته مصدراً للقوة والبأس والنزاهة والأخلاق. كان الانضباط العسكري عنده أهم من كل شيء، يعرف كيف ومتى يتحرك. يحترم الكبير والصغير ويصغي السمع إليهم.

نزلوا من التلة بيقظة وحذر. وصلوا إلى النهر المحاذي للمخفر. توجهت كل مجموعة إلى أماكنها المخصصة لها. كان الصمت يلف المكان، وشق صوت القاذف الذي أطلقه "حسن" ذلك الصمت. ثم بدأ صوت الـ"بي كي سي" يلعلع وبقوة، يرمي على التلة الأخرى. حين لاحظوا أن الردئة التي فيها سلاح الدوشكا صامتة، والأخرى أيضاً كذلك. ادركوا إنهم أصابوا أهدافهم بدقة. حينها هاجموا على المخفر. حمل "حسن" قاذف الـ"آر بي جي" على كتفه وقال: "هذه المرة من أجل عگيد الصغير." ورمى قذيفة على نافذة المخفر.

حققت العملية أهدافها. قال "حسن" لمرافقيه "أطلقوا رصاصاتكم بتحفظ." ثم بدأوا بالانسحاب. نفذت كل مجموعة مهمتها على أكمل وجه وعادوا إلى موقعهم. حضنوا بعضهم البعض، فرحين بالانتصار الساحق الذي حققوه.

كانت إحدى المقاتلات تقرأ قصيدة "الانتقام" من كتاب "بيتار نوري ديرسمي" عن مجزرة ديرسم بصوت عال.

كان جل اهتمام "حسن" هو نزع السلاح من أيدي "حماة القرى" الذين كانوا من الكُرد الزازا والكُرمانج، بعضهم انضم إلى "حماة القرى" طمعاً في الراتب، والبعض خوفاً من الدولة، والبعض الآخر كان أمياً لا يُدرك سبب حمله للسلاح. وقلة قليلة منهم كانوا أعوان للدولة.

كانت سياسة متبعة من الدولة، وهي أن تجعل الكُرد يواجهوا المقاتلين الكُرد، خاصة ان المناطق الكردية مثل (بوتان، جولميرگ، وماردين) كانت النزعة العشائرية فيها قوية. كان "حسن" يدرك هذا الفخ الذي تود الدولة أن تنصبه أمام المقاتلين، فكلما يتم قتل أحد من "حماة القرى" في تلك المناطق، يتحول الأمر إلى مسألة ثأرات كعادة دارجة.

كان "حسن" كثيراً ما يشرح لرفاقه عن تلك العقلية السائدة، وكيف أن القروي الضعيف يستطيع بكل سهولة أن يقاتل قروياً ضعيفاً مثله، لكنه يطأطئ رأسه أمام ظالميه بكل سهولة ويسرد لرفاقه حادثة جرت معه:

- حين كنت طالباً، توجهت بالقطار مع صديق لي من (داراهێنێ) إلى (ألأزيز)، كانت العربة التي دخلنا إليها فارغة، تمددت على كرسي وصديقي على كرسي آخر، حيث كل كرسي مخصص لأربعة ركاب. كنا

www.arsivakurdi.org

نتحدث مع بعضنا باللغة التركية. توقف القطار في محطة ما ودخل ركاب آخرون إلى عربتنا. أتى رجل في متوسط العمر ووقف أمام مكاننا صامتاً. أما نحن، فقد أكملنا حديثنا باللغة التركية. اجتاز القطار عدة محطات أخرى وما زال ذلك الرجل واقفاً أمامنا. بعد مدة، غيرنا مجرى الحديث وأصبحنا نتكلم بالكردية الزازاكية بين بعضنا، فلم أرى الرجل إلا قد اقترب منها وقال لنا بالزازكية: "ألا تخجلون من أنفسكم، تتمددون في مكان يسع ثمانية أشخاص وأنا منذ ساعات واقف أمامكم لا أستطيع الجلوس." قلت له: "يا خال، حين كنا نتكلم بالتركية لم تتفوه بكلمة، لكن حين تحدثنا بالزازاكية أصبحت ديكاً على رأسنا." فرد عليّ قائلاً: "خفت أن تكونوا من رجالات الدولة، ولم أكن أعرف إنكم منا". لبرهة فكرت في كلامه، ثم قلت له: "حين تحدثت بلغة الأفندي، توقعت أن أكون أفندياً، لذلك خفت وبقيت واقفاً أمام الباب، ولم تتجرأ أن تقول لنا افسحوا لي مكاناً للجلوس، لكن حين تحدثنا بالزازاكية، حينها فهمت إننا عبيد مثلك وبدأت تصرخ في وجوهنا." رد علي الرجل" أقسم أنك تقول الحقيقة." ثم بقي واقفاً حتى افسحنا له مكاناً للجلوس.

عقلية القرويين كانت نفس تلك العقلية. كان "حسن" يتوقع إنهم إن بثوا الوعي والأمان فيهم، سيستطيعون أن يغيروهم.

كان رئيس "حماة القرى" المسمى "فقو" قد قتل. أرسلوا مقاتلين من الگريلا إلى القرية كي يحثوا القرويين على وضع السلاح، وعن طريق قروي من القرية كان قد أسمى نفسه باسم مستعار وهو "ولاتباريز- الوطني" أرسلوا الخبر إلى "حماة القرى". كانوا قد قالوا لهم: "إن وضعتم أسلحتكم فإننا لن نقترب منكم، لكن إن لم تضعوا الأسلحة من أيديكم، فإننا لن ندعكم تعيشون بأمان هنا."

عاد المقاتلين بعد يومين. وبعدها، قدم الوطني على حصانه إليهم، كانت علامات الفرح والسرور بادية عليه، وفور نزوله من على حصانه، بدأ يلف لفافة تبغ. قال له "حسن":

"علامات السرور بادية عليك، لا بد وإنك تحمل خبراً مفرحاً."

أشعل "الوطني" لفافته وقال له: "كل حماة القرى قرروا وضع السلاح وتسليمه لكم. خاصة أن رئيسهم قال أن عليكم أن تأتوا الليلة إلى القرية، فقد غصنا في الخيانة حتى أعناقنا."

أحس "حسن" من كلامه بحيلة ما. تحدث معه مطولاً، ثم عاد الرجل إلى القرية. قال "حسن" لرفاقه: "قد يكون كميناً منهم. إن هذا الرجل يشبه الثعالب، ولم أصدق كلامه، وعلينا ألا نثق بحماة القرى." لذلك قرر ألا يذهبوا إلى القرية في تلك الليلة، بل هم يحددون توقيت الذهاب.

بعدها بيومين، أرسلوا مقاتلين إثنين مرة أخرى إلى القرية، وبعد يومين عادا وقالا إنهما لم يلاحظا شيئاً غير مألوفاً في القرية.

وضع "حسن" ورفاقه خطة للذهاب إلى القرية وطريقة استلامهم الأسلحة منهم. في تلك الليلة، وضعوا خمسة مقاتلين مدججين بالأسلحة الثقيلة حول القرية، كما وزعوا أربعة مقاتلين آخرين داخل القرية، ثم قرروا أن يتوجه كل "حسن" و"محمد" أولاً إلى القرية. حاول المقاتلين جاهداً كي لا يذهب قائدهم أولاً، لكنهم لم يستطيعوا لإقناعه بالعدول عن قراره. كان مخططهم أن يذهبوا أولاً إلى بيت رئيسهم.

حين دخل "حسن" و"محمد" إلى القرية، كان الجميع متأهبين وأياديهم على الزناد. مرت دقائق والصمت يلف القرية، وفجأت بدأ إطلاق الرصاص والقنابل المضيئة فوقهم. وبدأت القذائف تطلق بقوة. بعد دقائق، توقف إطلاق الرصاص وساد الهدوء. لم يكن يعلم أحد منهم بما جرى في القرية، بل كانوا ينتظرون إشارة من رفاقهم.

سمعوا صوت غبغبة حجل خلفهم. كانت تلك الغبغبة هي إشارة على الانسحاب. فقاموا من أماكنهم وانسحبوا بحذر.

www.arsivakurdi.org

www.arsivakurdi.org

كان يحدقون بغيظ وغضب إلى القرية التي كانت مليئة بالجند.

كانوا قد أطلقوا الرصاص على "حسن" فور اقترابه من بيت رئيس "حماة القرى". أما "محمد" فكان قد ارتمى على الأرض وبذلك انقذ نفسه.

عادت وحدة المقاتلين إلى التل بدون "حسن" و"محمد". تناقشوا عن كيفية إنقاذ قائدهم ورفيقهم، لكن عدد الجنود في القرية كان كبيراً ولا يستطيعون الاشتباك معهم بعددهم القليل. كان يحسون بالخجل لأنهم تركوا قائدهم هناك وهم عادوا، كما أدركوا أن ذلك القروي "الوطني" هو خائن وهو من دبر تلك المكيدة لهم.

كان قائدهم قد فقد حياته، أما "محمد" فقد أنقذ نفسه في جنح الظلام. ما تبقى من قصة "حسن" كانت قد وردت في الوثائق الرسمية للدولة التركية على الشكل التالي:

إضبارة توثيق:

في يوم 7 تشرين الثاني سنة 1991، ونتيجة لعملية قام بها الإرهابيين على مخفر "گوزرتپه GÖZERTEPE" العائدة لقيادة الجندرمة في "داراهێنێ"، جرح أحد الجنود بجروح بليغة. بعد العملية، تم الإعداد لكمين لأعضاء "PKK" في قرية "سرڤیSERVİ" التابعة لقرية "ینیچڤر YENİÇEVRE"، وجرى اشتباك معهم في تلك القرية. بعد تلك العملية، تم العثور على جثة أحد أعضاء "PKK" مقتولاً. المقتول مجهول الهوية، عمره في حدود 25-30 سنة، وزنه 65 كيلوغرام، طوله 170 سانتيمتر، عيونه بنية اللون، شعره أسود، يلبس شروالاً للبيشمركة، وفوقه قميص غامق اللون. معه بندقية كلاشينكوف ومخزنين للذخيرة، سبطانة البندقية وأخمصها مثقوبان من تأير الرصاص، يحمل معه محفظة وثلاثة جعب للذخيرة.

لم تعثر فرقنا على أية إشارات أخرى، وقد اقتفت وحداتنا آثار الآخرين ووضعوا كمائن، إلا إنهم لم يعثروا على شيء.

نفذت فرقة الجندرمة بالذخائر التالية: 345 رصاصة من نوع (7.62 MM. G-3P) و(250) رصاصة خطاطة من نوع(7.62 4.1) وثلاثة قذائف من نوع (3M-22) وأربعة قنابل مضيئة من نوع (15) ألف شمعة. بعدها البحث، لم تعثر وحدتنا على (302) فوارغ الرصاصات من نوع(7.62) و(G-3).

تم توقيع هذه الإضبارة من قبل قيادة الجندرمة في "داراهێنێ" بتاريخ 10 تشرين الثاني سنة 1991.

عادل

قائد الجندرمة في المنطقة

حيدر كوركچى	ضابط
هاكان دنچ	ضابط
سلجوق كلچ	ضابط وقائد الوحدة
أرسَل دمِر	ضابط الكوماندوس

أخرجوا جثة "حسن" من مقبرة المجهولين في منطقة "كوپار" العائدة لـــ"داراهێنێ".[10] وضعوها في

10 . إضبارة تشخيص وتسليم جثة:
بتاريخ 1991/11/9 جرى اشتباك بين قوات الأمن والإرهابيين في قرية تابعة لـــ" داراهێنێ"، وقتل أحد الإرهابيين في تلك العملية. قدم والد المقتول ""سليم چوروككايا" إلى النيابة وقال إنه يعرف المقتول. من أجل تشخيص وتسليم الجثة له،

تابوت، ثم نقلوها إلى قريته.

توجهت مئات السـيارات من "چوليگ" و"ألأزيز" و"داكو" إلى قرية "چلكانيێ". للمرة الأولى دمروا جدار الخوف، حيث امتلأت شـوارع القرية بالناس. حين أنزلوا التابوت من السـيارة، بدأ والدته "طيبة" تصرخ وتنادي: "مرحى بك في بيتك يا بُني." ووالده متكئ على التابوت ويقول باكياً:

"كانت حليمة تقول أن الله وهبك سبعة أبناء، وهذه علامة للشر."

نواح النسوة يرتفع في المكان ويرثين بلهجتهن الزازكية:

" من أحرق كبدي، ليحرق الله بيته

لوري لوري[11]

حرمت من نوم الليالي

لوري لوري

أقول، قد يكون أولادي عطشى

لوري لوري

أقول، قد يكون أولادي جوعى

لوري لوري

أقول، قد يكون إبني جريحاً

لوري لوري

أقول، قد يرتجفون أولادي من البرد

لا يفارقني ذكراهم

لم أنم ولا ليلة

أصبحت كبومة هائمة على وجهي في الجبال.

كان صوت البكاء يعلو على كل شيء، والآلاف خلف الجنازة. كانت امرأة من القرية واسمها "حسنة" تصـرخ بصـوت عال: "لا تبكوا، لا تبكوا، اليوم هو عرس حسـن." وكانت تزغرد بقوة وتبكي في نفس

توجه القضـاة "أرسـان يلماز"، "كاتيب بحري دمر" والعامل "أحمد انجبوي" إلى مقبرة بلدية "كوپارێ" بسـيارة الأمن. بوجود الشاهد "حيدر كوركچى" الضابط في الجندرمةبتلك المنطقة، أقسم على أقواله وسألناه الأسئلة التالية:

في ليلة 1991/11/9 السـاعة الحادية عشـرة والنصـف قتل هذا الارهابي في معركة قمنا بها ضـد الارهابيين، وقد تم دفنه بأمر مني. ثم دلنا على مكان القبر.

الشـاهد الذي تعرف على الجثة: سـليم چوروككايا، إبن شـريف، اسـم والدته زينب. مواليد پالو 1930، يسـكن في قرية چلكانيێ التابعة لمنطقة چۆليگ. أقسـم بدوره على أقواله وأجاب على أسـئلتنا: الصـور التي رأيتها من قبلكم هي لإبني "حسن چوروككايا". إسم والده سليم. إسم والدته "طيبة" من مواليد قرية "چلكانيێ" سنة 1964. كان قج توجه إبني قبل سنة إلى مدينة أضنة للعمل هناك، ومنذ ذلك الوقت لم نسمع عنه أي خبر. وقد رأيت صورته وتعرفت عليه.

تم إخراج الجثة من القبر حسـب الأصـول، وتمديدها في مكان حتى يراه والده، وقد وقع بدوره على كل أقواله وقال بإن الجثة هي لإبنه. قمنا بتسليمه الجثة ووقع على هذه الإضبارة.

1991/11/15

القاضي 28233

مستلم الجثة: سليم چوروككايا

الموظف: احمد انجبوي

الشاهد: حيدر كوركچى

11 . لوري: كلمة تطلقها الأم حين تهدهد رضيعها.. (المترجم)

www.arsivakurdi.org

الوقت. كان مئات الجنود متوجهين ببنادقهم صـوب المشـيعين. حين وضـعوا التابوت في القبر، قام طبيب شاب من القرية ورفع يده اليسرى صارخاً:

" من مات

مات وهو يحارب

منحناهم للشمس

لا وقت لدينا لنحزن عليهم

إنه هجوم

هجوم

هجوم على الشمس

سوف نضع الشمس في قبضاتنا

وقد اقترب ذلك اليوم!

www.arsivakurdi.org

www.arsivakurdi.org

-21-

بعد ان خرج "حســن" من "چوكورڤا"، ترك أخاه "ســعيد" الدراســة في الجامعة. لم يتأقلم مع المدينة. لذلك، توجه إلى "وادي البقاع" وتلقى التدريب العسكري على القنابل والبنادق بمختلف أنواعها. ثم عاد إلى أضنة.

كان "سعيد" قد تغير كثيراً، كان يتحرك هنا وهناك بنشاط، وكإنه يحارب الوقت. يتوجه إلى كل الندوات والمناقشـات التي تحدث في الجامعة. يشـارك في النشـاطات التي يقوم لها اللاجئين الكُرد في "تارسـوس". حين يتم القاء بالمعتقلين السياسيين، كان "سعيد" يكون في المقدمة.

كانت مدينة "أضــنـة" تضـيق عليه ولم يعد يطيق المكوث فيها. كان يســافر إلى "ميرســين، جيهان، اسكندرونة". حين يذهب إلى كل مكان من هذه الأماكن، يؤسس شبكة كشبكة العنكبوت في هذه المناطق.

كانوا قد ألقوا القبض على ابن خالته "اورهان نازى" وتم تعذيبه لأســابيع في قسـم الشـرطة في مدينة أضنة.

كان "أورهان" أمياً، ولا يفهم من السياسـة شـيء. لذلك لم يكن يجاوب على الأسئلة أثناء التحقيق معه، لكنهم كانوا يظنون إنه يخفي المعلومات عنهم. بعد اسـبوع سـاءت حالته وكان يتقيأ دماً. بعد أسـبوعين، أطلقوا سراحه، بعد ان تحول إلى كتلة من العظام والجلد فقط. سرد لـــ"سعيد" كل ما جرى له في السجن. بعد برهة من التفكير، قال له "سعيد": "هل تعرف الأشخاص الذين عذبوك؟" قال له "أورهان" إنه يعرف رئيس طاقم التعذيب.

مسـك "سـعيد" بتلابيب "أورهان" وقال له: "هيا لنذهب إلى قسـم البوليس كي تريني ذلك الرجل. لا تخف، لن أقوم بأي تصرف خاطئ. إن سألك لماذا أنت هنا، قُل له إنني أتيت كي أجدد أوراق الإقامة."

توجهوا صـوب قسـم البوليس. كان المكان مكتظاً بالمراجعين. جلسـوا في القاعة بجانب بعضـهما. بعد برهة، وضع يده على كتف "سعيد" وأشار إلى عنصر طويل القامة وسمين: "إنه هو."

قام "ســعيد" من مكانه وجلس قبالة ذلك الرجل كي يحفظ ملامحه جيداً، كان ســميناً، وعمره يناهز الأربعين، شعره أشيب وشواربه كثة. حفظ ملامحه جيداً، ثم قام من مكانه وخرجا من القسم. وضع خطة في مخيلته، لكنه لم يبح بها لـ"أورهان".

كان "سـعيد" يقود التنظيم في "چوكوروڤا". طلب من رفاقه في تلك الليلة مسدسـاً كاتماً للصـوت. ولبى الرفاق طلبه هذا وأتوا له بها، لكن كاتم المسـدس لم يكن يعمل جيداً. ثم وضـــع خطة لاغتيال ذلك الرجل الذي عذب ابن خالته. لبس بدلة، وغير قصة شعره، وقطع علاقته في تلك الأيام مع كل الرفاق والمعارف. بدأ يراقب الرجل، وحين تبعه، عرف عنوانه في المدينة. كان "سعيد" يعرف ذلك الحي مسبقاً ويعرف كل مداخله ومخارجه. وضـع مسدسـه تحت إبطه وخرج من البيت. كان الرجل يعود في وقت متأخر إلى بيته. كان الوقت صيفاً، والجو حاراً، لذلك كانت الناس في الشوارع، وباعة الفواكه ينادون، والأطفال الصـغار يملأون الشوارع، ويلعبون فيها.

كان "سعيد" يسير بين ذلك الضجيج، وظهر أمامه سكير. وقف ذلك السكير أمامه وقال له:

- ماذا تفعل هنا، هل أتيت كي تتلصص على فتيات الحارة؟

لم يعره "سعيد" بالاً وأراد أم يكمل طريقه، لكن الرجل أوقفه مرة أخرى ومسكه من كتفه قائلاً:

- إن شرف هذه الحي هو شرفي.

أصبح هذا السكير بلاءً على سعيد. حاول سعيد جاهداً النجاة منه وبدأ يقول له بإنه عابر سبيل ولا علاقة

له بفتيات الحي، لكن السكير ضربه ضربة قوية برأسه على جبينه. داخ "سعيد" من وراء ضربته القوية تلك. مرة أخرى حاول النجاة منه، لكن السـكير هذه المرة أخرج سـكيناً من تحت نطاقه وبدأ يوجهها إلى بطنه. كان سعيد متدرباً بشكل جيد على العراك الفردي وكان يستطيع أن يلقيه أرضاً بكل سهولة، لكنه بدا مشوشاً من تأثير الضربة القوية على جبينه. حين رأى السكين في يد الرجل السكير وإنه عازم على ضربه بها، ما كان منه إلا أن أخرج مسدسه وأطلق على السكير النار وأرداه على الأرض. وخبأ المسدس بين ثيابه وخرج من ذلك الحي من شارع جانبي ضيق. بعد ان خرج من الحي، بدأ يتمتم: "اللعنة عليك."

وصل إلى البيت، وغير ثيابه وخبأ مسدسه، ثم غيّر تسريحة شعره وأعادها كالأول، ثم استقل سيارة أجرة وذهب إلى ذلك الحي.

كانوا السـكير قد فارق الحياة، وبعض الرجال متكومين حوله. ذهب إلى ذلك المكان الذي تعارك معه الرجل، فلم يجد أحداً هناك. إذاً، لم ينل من ذلك الرجل، وقتل سكيراً بدون ذنب عوضاً عنه.

بعد تلط الحادثة بأيام، قدم أحد الميليشيا المؤيدين وسلمه ورقة. شعر بسعادة حين قرأ تلك الرسالة، حيث طلبه قائد من الگريلا كان يعرفه جيداً. اسـتقل الباص وتوجه إلى مدينة "آمد". غيّر ملابسـه في إحدى البيوت، ولبس بدلة بيضـاء اللون ووضـع نظارات سـوداء على عينيه، وذهب إلى إحدى المقاهي وطلب الشـاي. رأى فتاة جميلة في مقتبل العمر تسـير نحوه. قام من مكانه مرحباً بها. قالت له الفتاة: حمدلله على سلامتك يا رفيق." طلب لها كأساً من الشاي، ثم قاما وتوجها إلى إحدى البيوت وتناولوا الطعام هناك. حين حل المسـاء، خرجا برفقة إثنين من الميليشيا المؤيدين وتوجهوا صـوب "لجێ". سـاروا لسـاعات ووصـلوا في السـاعات الأولى من الفجر إلى غابة فيها وحدة من المقاتلين الگريلا. اسـتقبلهم أحد الحراس وقال لهم: "ابتعوني." نزلوا في واد عميق، حتى وصـلوا إلى منطقة صـخرية ورأى "شـمدين سـاكك" أمام مجموعة من المقاتلين الگريلا يضـحك ويسـير صـوبه. كان أول لقاء له مع "شـمدين" الذي سـمع عنه الكثير من الأخبار التي كانت تذيعها قنوات التلفزة العائدة للدولة.

كان "شـمدين" يعرف زوجة أخيه التي انضـمت إلى الگريلا، كما إنه كان يعرف "حسـن" جيداً، وقرأ الكتاب الذي ألّفه أخاه في السجن، لذلك كان سعيداً برؤيته واستقباله لـــ"سعيد". حضـنا وقبّلا بعضـهما، وتوجها إلى إحدى الكهوف لتناول طعام الإفطار.

بدءا بنقاش حام بين بعضـهما عن أسلوب عمل الگريلا والتنظيمات في المدن. أدرط "شمدين" إنه أمام شاب ذكي، وأعجب بآراءه، لذلك قال له: "نحن بحاجة إلى شخص مثلك بيننا. أترك المدن وتعال إلى هنا." ضحك "سعيد" من اقتراحه هذا، ولفت انتباهه أحد المقاتلين وهو يحمل قاذف "آر بي جي"، فقام من مكانه وتوجه صوب المقاتل طالباً منه رؤية القاذف. حمله بين يديه وقال لـ"شمدين":

- كم قاذفاً لديكم هنا؟

قام "شمدين" من مكانه وقال له:

- أترك القاذف الآن وتعال، لدينا الكثير منها.

بقي يومان في مناطق "لجێ" وقبل عودته طلب من "شمدين" قاذفاً. قال له "شمدين":

- ماذا ستفعل بهذا القاذف في المدينة؟

- إعطني إياه وأنا أعلم ماذا سأفعل به.

أعطاه "شمدين" قاذفاً جديداً لم يُستعمل بعد.

حين حلّ الليل، وضـع سـعيد طلقة القاذف في كيس ولف القاذف ببعض الخرق وودع "شـمدين". سـار مع الأدلاء ونام ليلة في قرية من القرى هناك، وفي اليوم التالي ذهبوا إلى بيت بعض الشـباب العزابين في

حي "باغلر". تعرف على شاب هناك وبدءا يتناقشان مطولاً، ثم طلب من ذلك الشاب المتر، لكن الشاب جلب له مسطرة هندسية.

قاس طول وعرض الطلقة وبدأ يكتب بعض الملاحظات على ورقة أمامه، ثم وضع الطلقة تحت فراشه ونام. في اليوم التالي ذهب برفقة ذلك الشاب إلى مصلح مدافئ، اشترى بواري للمدافئ بعد ان تأكد إنه يستطيع أن يُخبأ القاذف مع الطلقة فيها.

عاد إلى البيت وهو يحمل أربعة بواري للمدافئ ووضع القاذف والطلقة فيها وكان بحاجة إلى شيء آخر يثبت به الطلقة داخل البواري، فعاد مرة أخرى لقياس الفروق وذهب إلى باعة النحاس وأخذ ما يلزمه لأجل ذلك. من هناك توجها إلى حي "مێرگ أحمدێ" واشتريا بعض القطائف والجبن وأكلوها هناك، ثم ذهبا إلى جامعة دجلة حيث التقى ببعض رفاقه الطلبة هناك.

عادا إلى البيت ووضع القاذف في إحدى البواري ولف عليها البواري الثلاثة الأخرى وبطهم بإحكام. كان يحتاج إلى علبة كارتونية كي يضع فيها البواري وبذلك ينتهي من عمله.

كان الشاب صاحب البيت من مدينة "سويرك" ويدرس في كلية الميكانيك. في اليوم التالي، حمل البواري في علبة الكارتون التي دبرها أيضاً وتوجه إلى كراج الحافلات وحجز له الشاب مكاناً باسم مستعار في حافلة متوجهة إلى أضنة.

بقي قسم الشرطة ذاك الذي عذبوا فيه إبن خالته كغضة لديه، لذلك جلب هذا القاذف وخطط لكل ذلك من أجل تدمير ذلك القسم. كان بحاجة إلى دراجة نارية وسائق معه لتنفيذ العملية، وسرعان ما دبر له رفاقه ذلك. تحدث مطولاً مع سائق الدراجة وكيفية تنفيذ العملية حتى تخمرت الفكرة جيداً في مخيلته.

وضع البواري على طرفي الدراجة وتوجها صوب قسم البوليس ليلاً. كانت الأضواء مشتعلة فيه والحركة كانت تدب فيه. كان يعلم عن طريق ابن خالته أن الموقوفين وغرف التعذيب هي في قبو القسم، لذلك كان مطمئناً من السجناء البريئين وانهم لن يصابوا بأي مكروه من جراء الانفجار الذي سيحدثه القاذف في القسم.

نظرا حولهما أمام الطريق المؤدي إلى القسم. وبعد ان تأكد من خلو الشارع من المارة، حمل القاذف ووضعه على كتف السائق وأطلق القذيفة. حدث انفجار كبير في القسم وانطفأت الأضواء فيه. لكن الحكومة لم تصرح بالخسائر التي أصابت القسم.

بعد تلك العملية، ترك "سعيد" تلك المدينة.

www.arsivakurd.org

-23-

حين فقد القائد "حسـن" حياته. بدأ "سـعيد" بتشـكيل وحدته من المقاتلين في جبال "الجىّ". كان على كل مقاتل أن يطلق على نفسه إسماً مستعاراً. أما سعيد فقد اختار لقب "الدكتور سليمان" الذي كان سيتردد على اسـمه على الشـفاه كثيراً في الجبال. حين كان "سـعيد" طالباً جامعياً كانوا رفاقه ينادونه بالدكتور، واسـم والده "سليم". ولأن هذا الإسم مشترك بين شخصين في العائلة، كان أفراد العائلة ينادونه بـ"سليمان". لذلك اختار "سعيد" إسم "الدكتور سليمان" كإسم مستعار.

كان "شمدين ساكاك" قائداً لإيالة "آمد" التي تضم مركزالمدينة إضافة إلى ثلاثة عشرة مدينة تابعين لها. كان هناك قائدين آخرين لتلك الإيالة وهما "عرفان پروانه" و"سـاري ابراهيم"، وحين انضـم "الدكتور سليمان" إليهم، أصبحوا أربعة قادة في قيادة تلك الإيالة.

كان "شـمدين" يثق في "الدكتور سـليمان" كثيراً، لذلك جعله يختار أعضـاء وحدته بنفسـه، وبدوره بدأ يلتقي بهم واحداً واحداً ويسـألهم عن حياتهم وسـبب انضـمامهم للمقاتلين، وفي المحصـلة، اختار من بينهم إحدى عشرة مقاتلة وتسعة وخمسون مقاتلاً ليقودهم في وحدته.

كـان "روژهـات" من بين المقـاتلين الگريلا، وهو حفيد "فاطمـة" زوجـة "ككىّ" الـذين هـاجروا إلى "بنخت- سـوريا" سـنة 1927 إبان انتفاضـة الشيخ سـعيد. انضـم "روژهات" سـنة 1991 إلى صـفوف الگريلا، وكان منذ مدة طويلة في شوق للقاء "الدكتور سليمان".

شكّل "الدكتور سليمان" سليمان وحدته وبدأ بتدريبهم. قال له "شمدين" حينها:

ـ لقد أخذت أمهر المقاتلين إلى وحدتك يا دكتور. ماذا سأفعل الآن؟

ـ امهلني شهراً واحداً وسترى كم مقاتلاً سأجلبهم لك.

طلب الأسـلحة من "شـمدين" وذكّره بكلامه حين قال له عن القواذف" لدينا الكثير منها" فقال له "شمدين":

ـ لم أنسى ذلك، لكن قاذف واحد يكفي لكل مجموعو مكونة من إحدى عشرة مقاتل.

إضافة إلى قاذفين، استلم بندقيتين "بي كي سي" والكثير من قنابل "TNT"، وبعدها بدأ بالتدريب.

كانت الخطوة الأولى لديه هي التعرف على المقاتلين، كان عليه أن يعرفهم واحداً واحداً. لذلك طلبهم فرداً فرداً وبدأ يسـألهم عن ميولهم، علاقاتهم، عائلاتهم، مسـتواهم الفكري، هواياتهم...إلخ، وكتب كل ذلك في دفتر ملاحظاته.

كتب في دفتره ملاحظة رئيسية وهي: "في البداية عليك أن تعرف نفسك وتعرف رفاقك الذين سيقاتلون معك".

بعد الانتهاء من تلك المرحلة، تبدأ المرحلة الثانية، وهي أن يتعرف المقاتلين بعضـهم على بعض وكان يقول: "إن لم تعرفوا بعضـكم البعض جيداً، سـتكونو كالغرباء بين بعضـكم. إن لم تتعرفوا على بعضـكم البعض جيداً لن تستطيعوا القتال جيداً مع بعضكم".

بعد تلك المرحلة، بدأ بمرحلة التعريف بالسـلاح. مع ان "شـمدين" قد قال له أن لا داع لذلك، إلا أنه قال له بأنه يريد أن يكون كل عمله متقناً. ثم كان درسـه الرابع عن القنابل والألغام. كان يرى أن كل المقاتلين عليهم أن يحضـروا ذلك الدرس، لكن ليس كل مقاتل يسـتطيع اسـتعمال هذا السـلاح. لأن القنابل أسـلحة خطرة وتتطلب يقظة وحذر شديدين. علمهم بشكل نظري على كيفية التعامل مع هذه الأسلحة، ثم اختار من بين المجموعة خمسة مقاتلين لتسليحهم بالقنابل وطريقة استعمالها. بعدها، بدأ دورة تدريبية مكثفة للمقاتلين

الخمسة.

دربهم على كيفية استعمال قنابل الـــ "TNT" وتفجيرها عن بعد، طريقة عمل الصواعق والكبسولات، وكيفية تحديد وقت الانفجار أثناء عبور السـيارات عليها. كان لديه كتاب عن هذا الموضـوع واسـمه "سابوتاج".

حين تأكد أن المقاتلين الخمسة قد تدربوا جيداً على الألغام والقنابل، قال كلمته الأخيرة لهم:

- لا تنسوا أن خطأكم الأول سيكون خطأكم الأخير أيضاً في حياتكم.

في إحدى المرات حين كان يعطيهم الدروس عن القنابل، حدثت معهم حادثة عجيبة. كان المقاتل المتدري يحمل في يده رمانة يدوية ويريد باليد الأخرى سحب الصاعق منها، لكن لأن مكان الصاعق كان صدءاً لم يتم سحب الصاعق جيداً. ارتبك المقاتل ولم يعد يعلم ما سيفعل. قال له "الدكتور سليمان": "لا ترمي القنبلة من يدك وابق في مكانك." وقام مكانه وجلب سلكاً وأدخل السلك في مكان الصاعق، ثم عقفه بسكين إلى الأسفل، وقال للمقاتل: في مثل هذه الحالات عليك ألا ترتبك، لأن الارتباك سيجعلك تخطئ وسيقتلك."

ثم بدأ بتدريب ستة مقاتلين على سلاح الـ"بي كي سي"ن فكه وتركيبه، كيفية وضع الطلقات في الشريط، صيانة السلاح...إلخ.

انتهى عمله بذلك، بعد سبعة وستين سنة من قيام انتفاضة الشيخ سعيد في تلك المنطقة، كان مستعداً الآن لأن يكون "سعيد" الثاني. كما أن جدته "حليمة" رأت أن إسم "سعيد" ماسب له وهو ما زال في عمر اليومين.

قبل أن يفترق عن الرفاق البقية، بقي لساعات يصغي السمع للقائد الأقدم للمنطقة "شمدين ساكك" واستلم منه المعلومات اللازمة. بعدها، قسم وحدته إلى مجموعات، كل مجموعة مؤلفة من أحد عشر مقاتل وعين على كل مجموعة قائداً. كان ربيع سنة 1992 في بداياته. بدأت الخضرة تكتسي الأشجار. توجهوا بواسطة الأدلاء في ذلك الربيع إلى جبل "شارك".

كعادتهم، كانوا ينامون في النهار ويسيرون في الليل. في غضون ثلاثة أيام وصلوا إلة جبل "شارك". كانت الميليشا الشعبية بقيادة "چكو" قد اتخذت أماكنها هناك أيضاً. فور وصولهم إلى الغابة، قام "الدكتور سليمان" و"چكو" باحتضان بعضهما، فهما صديقان قديمان، من قريتين مجاورتين، لكن عائلتيهما هاجرتا إلى قرية "چلكانيێ". درسا الثانوية مع بعضهما، والجامعة سوية. لكن بعد الجامعة افترقا.

كان "چكو" كوالده، طويل القامة، نحيف البنية، وبشوش الوجه. ثيابه نظيفة وجديدة دائماً ويمشط شعره الطويل. كان يحب "الدكتور سليمان" منذ أن كانوا فتياناً يافعين في القرية. كانت وحدته تتكون من واحد وعشرين عنصراً، وبعد أن أتت وحدة "الدكتور سليمان" اصبح عددهم يناهز التسعين مقاتلاً.

بعد يومين من وصولهم، طلب "الدكتور سليمان" عقد اجتماع بين جميع المقاتلين، وقال لهم: "أشكر جميع الرفاق الذين ساعدونا كي نصل بأمن وسلامة إلى مكاننا. الآن، الربيع قد حل، والحياة في الجبال أسهل الآن. قبل مجيئنا إلى هنا، تعرفنا على بعضنا البعض في الدورة التدريبية، وتعرفنا على أسلحتنا أيضاً وتعلمنا كيف نستعملها، لكننا لا نستطيع أن نحارب بهذه الأسلحة، حتى لو اشتبكنا بها، فإننا سنخسرها. لذلك، قبل أن نبدأ بالعمليات والحروب مع العدو، علينا أن نعرف عدونا بشكل جيد. من هو عدونا؟ لماذا سنقاتله؟ كيف هي جاهزية قواتنا؟ كم هي عدد المقار العسكرية والمخافر في المنطقة؟ كيف يتعاملون مع الأهالي؟ في أية منطقة يتواجد "حماة القرى"؟. علينا أن نعرف كل هذه الأمور. إن استطعنا أن نعلم بكل هذه الأمور، فهل سنستطيع القتال حينها؟ بدوري أقول كلا.

كانت هذه النقطة الأولى، أما الثانية، علينا أن نتعرف جيداً على المناطق التي تحت سـيطرتنا. في أية ساحة سوف نقاتل؟ أنهارها، وديانها، جبالها، سلاسلها الجبلية، غاباتها وكهفها وطرقها. علينا أن نتعرف على كل هذه الأشياء. كم هي الطرق المعبدة؟ والطرق البرية الأخرى؟ هل هناك سكة حديد أم لا؟ علينا أن نعلم أن قوات الگريلا أين وفي أي مكان تستطيع القتال. إن تعرّفنا على كل ما قلت، هل سنستطيع حينها القتال؟ مرة أخرى أقول كلا. الآن سوف أحدثكم عن أهم نقطة في الموضوع، وهي، علينا أن نتعرف على سكان المنطقة بشكل جيد. كم هي عدد القرى هنا؟ كم بلدة؟ وكم مجمع سكني؟ الأوضاع في كل قرية؟ هل هم مؤيدون للدولة أم لا؟ محايدون أم وطنيون؟ في أية قرية هناك عملاء للدولة؟ كا هي علاقاتنا مع القرى؟ علينا أن نجد الأجوبة لكل هذه الأسـئلة. عدا ذلك، علينا أن نؤمن مكان إقامتنا وطعامنا. علينا أن نحدد كل هذه الأمور.

حين نعلم بكل هذه الأمور، ونتدرب جيداً على القتال، ونقوم بتكتيكات تخدم اسـتراتجيتنا، حينها لن ننهزم. لكن إن أهملنا هذه الأمور، حينها قد ننتصـر في عدد من المعارك، لكننا سـننهزم في النهاية. لذلك على كل واحد منكم ألا يفكر بالعمليات العسكرية الآن. علينا أم نفهم درسنا أولاً، والأمتحان بعد الدرس. أن نعرف عدونا، ونتعرف على جغرافية المنطقة وطرقها. أن نصـبح أصـدقاءً لهذا الجبال، ونعرف ليلها من نهارها.

تعلمون أن معرفة العدو يشـمل الكثير من المجالات. معرفة تاريخه، ووعيه وأفعاله في بلادنا. بأي أسلوب يتعامل مع شعبنا اليوم. معرفة عدد قواته في منطقتنا، علاقاته مع الأهالي. كل هذه الأمور مرتبطة بعضها ببعض."

بعد ان أنهى "الدكتور سليمان" كلمته. بدأ "چكو" بالحديث، وأدلى بالمعلومات التي يعرفها عن المنطقة وقال: "من دارهێنێ وحتى محطة القطار، في تلك السلسلة الجبلية، هناك عشيرة الـ"زكتى" وغالبيتهم من حماة القرى. لذلك من الصـعب علينا الاسـتقرار هناك. لذلك علينا أن نجد حلاً لذلك. من نهر مرادێ وحتى قرية أردورك وموسيان، وكل القرى من حولها، غالبيتهم أناس وطنيين وعلاقاتنا معهم جيدة. لكن، بسبب عدم وجود غابات كثيفة هناك، لا نستطيع أن نستقر هناك، والاستقرار هناك غير مناسب.

بعد الاجتماع، قام "الدكتور سـليمان" وچكو"بتشـكيل إدارة من خمسـة مقاتلين، وكان "روجهات" من ضمنهم. قسموا الوحدة المؤلفة من تسعين مقاتلاً إلى ثلاثة وحدات. كل وحدة منها كانت ستتكون من ثلاثين مقاتل، وكل وحدة سـتكون في مكان منفصـل عن الأخرى، لكن سـيكون بينهم تواصـل دائم. كان "الدكتور سـليمان" هو القائد العام، و"چكو" و"روجهات" معاونين له. تم تعيين ثلاثة مدراء لكل وحدة من تلك الوحدات، على أن تشارك النساء في إدارة كل وحدة من تلك الوحدات.

كان دأب "الدكتور سـليمان" هو إيجاد مكان آمن ليقيموا فيه ومن أجل ذلك، عقد اجتماع مع المقاتلين القدماء ذوو التجربة. اسـتمع إليهم وكتب ملاحظاتهم. كان يلزمهم الكثير من المعاول والرفوش والمناجل. كانت علاقات "چكو" جيدة مع القرويين. لإنهم كان سـيسـتقرون في جبل "شـارك" كان عليهم أن يؤمنوا مكاناً للشتاء ويكون قريباً من إحدى الأنهار، وذلك تحسباً للانسحاب كي لا يكتشف العدو آثار أقدامهم.

كانت هناك الكثير من الأنهار والينابيع في جبل "شـارك" وعينت وحدات الاسـتطلاع، ثلاثة مواقع للإقامة فيها، وتلك الأماكن كانت قريبة من الينابيع، وبين كل وحدة وأخرى حددوا مسـافة سـتمائة متر. أما لجنة الإدارة فكانت سـيكون مقرها في منتصـف هذه الوحدات. كل غرفة كان سـتبعد عن الأخرة مسـافة ثلاثين متر ومساحة كل غرفة ثلاثة أمتار طولاً وأربعة امتار عرضـاً. كانت هذه الغرف سيتم انشاء ممر مغلق بينها. مقر كل وحدة كان سيكون بمساحة مائة وثمانين متراً. كما أن المطبخ والصرف الصحي كان

سيقع خلف تلك الغرف.

انتهوا من كتابة تخطيط مشـروعهم، وبدأت كل وحدة بالقيام بعمل موكل لها. بعضــها تذهب إلى الغابة كي تقطع الأشجار وتشكل منها عواميد للأسف، وأخرى تحفر الأرض بحسب المقاييس المحددة، وآخرون يجلبون الحصر ولوازم المطبخ والمدافئ وأكياس النايلون من المدينة كي يضعوها على الأبواب.

كان المقاتلين يثقون بـ"الدكتور سليمان" ثقة عالية، فقد كان ذكياً لأبعد الحدود ويقوم بالعمل معهم، يحفر الأرض، يُقطع الأشجار ويجر خلفه أغصانها.

أنهوا كل استعدادتهم في غضـون شـهر. الممرات والغرف. كما أسـسـوا مخزن مؤونة لطعامهم خلف الإدارة، وغرفة للتدريب. انتهوا من خطوتهم الأولى بذلك، وكان عليهم الإعداد للخطوة التالية، لذلك عقد "الدكتور سـليمان: إجتماعاً معهم وقال فيه: " علينا أن نسـتفيد من عامل الوقت يا رفاق، ونبدأ باسـتطلاع وكشف المنطقة، ومن أجل ذلك، لا داع لذهابنا جميعنا، بل علينا أن نبقي بعض قواتنا هنا. سنحدد عشرين مقاتلاً من أجل الاسـتطلاع في كامل المنطقة. نكتب ملاحظاتنا عن كل منطقة على حدة، وسـوف نضـع مخططاتنا بعد عودتنا."

اختاروا عشرين مقاتلاً، وخرجوا لاستطلاع المنطقة، محطات القطار، الأنهر، السلاسل الجبلية، الطرق المؤدية إلى المدن والفرعية المؤدية إلى القرى. نظر "الدكتور سـليمان" من خلف محطة "سـوڤرن" إلى مخفر للجندرمة هناك، وكتب ذلك في دفتره. كما كتب مواقع القرى الصغيرة بالقلم الأحمر. قبل أن يصلوا منطقة "داراهێنى" وعلى الطريق المؤدي إلى مدينة "آمد" توقف "الدكتور سـليمان" في واد هناك وقال لـــ"چكو": "لاحظ هذا الوادي جيداً، إن جندرمة سوف تهاجمنا سالكة طريق هذا الوادي، وكأن الله خلق هذا الوادي من أجل قيامنا بالعمليات العسـكرية فيه. أنظر إليه جيداً. إن أردت، سـنبقى هذه الليلة هنا، كي نتعرف على ما حوله جيداً، فهو مكان آمن."

قضوا ليلتهم في ذلك الوادي، واستطلعوا المكان جيداً. قبل حلول الفجر، اجتازوا سلسلة جبلية ووصلوا إلى منطقة "زكتى"، وحين أشرقت الشمس. دخلوا في أعماق غابة هناك وناموا فيها.

كانت تلك المنطقة تطل على قرية "چكانيێ". كان "الدكتور سـليمان" يتنهد ويتأفف وهو ينظر بمنظاره إلى قريته.

حين حل المسـاء. سـاروا مسـافة أخرى، كانت قرية "ڤاليرێ" تقع في منتصـف المسـافة هناك. أثناء انتفاضة الشيخ سعيد سنة 1925، اجتمع الشيخ مع كبار عشيرة "زكتى" وهم : حاجي صديق ڤاليرى، فقي حسـن موداني، سـليم آغا گرنوس، عمرآغا ڤازننى لقيادة الانتفاضـــة، وبعض أن ألقي القبض عليهم، تم إعدامهم جميعهم.

بعد الانتفاضـة، بدأت الدولة بحياكة الأحابيل حول هذه العشيرة، وقامت بإسكان مؤيديها بينهم، وجعلوا العشـيرة عشـاً لحزبهم العنصـري التركي. وحين بدأت حركة الگريللا، كانت هذه القرية تعد مرتعاً لحماة القرى.

كان التقدم هناك خطراً، لذلك ارتأوا الاسـتراحة في إحدى الغابات ومن ثم العودة. حددوا ثلاثة حراس، والبقية غطوا في نوم عميق من كثرة مسيرهم الشاق بين تلك الجبال.

شـاهد أحد الحراس قطيعاً يقترب من ذلك المكان، فهب يوقظ "الدكتور سـليمان" من النوم. قام مسـرعاً وحمل منظاره ونظر إلى القطيع، كـان قطيعاً كبيراً من الأغنام والمـاعز، يقوده راعيين، أحدهم يحمل عكازاً والآخر بندقية على كتفه. تذكر صـديقه القصـاب الذي كان يزوره من حين لآخر، وتذكر نقاشـه مع والده حين كان يقول والده للقصـاب: "كلما احتفظ باللحم اكثر تحت الأرض لمسـافة أعمق، كلما كان لحمه

أطيب." بذلك واردته فكرة لتخزين مؤونتهم في المقر. قال لمرافقه:" أيقظ چكو من النوم. بعد برهة اتى "چكو" وقال:

- ما الأمر يا دكتور؟
- هل هذا القطيع لحماة القرى؟
- كل سكان هذه المنطقة من حماة القرى. إن لم يكونوا كذلك فهم فاشست.
- حسناً، لقد قمت بحل المعضلة. لا تنسى هذه المنطقة. وأنا سأكتب ملاحظاتي، وسأقول لك حينما يحين وقتها.

بعد ها قرروا العودة، لكن من طريق مختلف هذه المرة. ارتاحوا في منطقة بين "هێنه" و"پاسور" وقضوا نهارهم هناك. كان "الدكتور سليمان" يستكشف المنطقة كلها بمنظاره ويكتب ملاحظاته، بعضها بالقلم الأحمر وأخرى بالأزرق.

بعد أن قضوا نهارهم نياماً هناك، قاموا عند المغيب وساروا حتى وصلوا إلى محطة "سوڤرن". قال لهم "روجهات": "تعالوا كي نزور قريتنا أيضاً." رد عليه الدكتور: "سيحين لنا وقت لذلك أيضاً. علينا أن نعود إلى مقرنا." ثم أكملوا مسيرهم.

طالت رحلتهم الاستكشافية اسبوعين، وعادوا بنتيجة مرضية. لم يبقى أمامهم شيئاً آخر يقومون به. كان الجميع يتوقع أن يقوم "الدكتور سليمان" بالخطوة التالية، فقد ملوا من المكوث في المقر. استشف قائدهم هذا الأمر وطلبهم للاجتماع. قسم قوات الگريلا إلى ثلاثة أقسام وأرسل كل قسم منهم إلى جهة، كي يذهبوا إلى القرى الآمنة ويلتقوا بالقرويين والاستماع إليهم، ويكسبوا المزيد من المؤيدين إلى صفوفهم. كانت المجموعة الأولى ستتوجه إلى نهر "مرادێ" من قرية "زڤرێ" وحتى قرية "ميآلون"، والمجموعة الأخرى ستتجه إلى منطقة "زكتى"، أما الأخرى فكانت ستذهب إلى المنطقة المقابلة لتلك المنطقة. كان عليهم الدخول إلى القرى بحذر وحيطة، وعلى كل وحدة من الوحدات الثلاث أن تكتب تقريراً عن الوضع في المناطق التي ذهبوا إليها.

حددوا توقيتاً لرحلتهم تلك، وهو عشرين يوماً. حمل كل فرد منهم سلاحه. كان سيضعون سلاح الـ"بي كي سي" على طرفي النهر، كما وزعوا القواذف على كل وحدة بحسب العدد. كان "الدكتور سليمان" و"چكو" و"روجهات" سيقودون المجموعة التي ستذهب إلى الطرف الآخر من النهر. خرجت الوحدات الثلاث في جنح الليل من المقر متوجهة إلى المناطق المحددة لها. كانت وحدة "الدكتور سليمان" مكونة من ثلاثة مقاتلات وسبعة وعشرين مقاتلاً.

اجتازوا النهر. كان ذلك النهر شاهداً على مرور جدته "فاطمة" قبل خمسة وستين سنة من الآن، حين اجتازت النهر ولجأت إلى "بنخت" والآن حفيدها بدوره يجتاو نفس ذلك الممر على النهر. كما كان لـ"الدكتور سليمان" ذكريات عند هذا النهر. كان جده "عيسى خيرو" قد خرج من قريته "حجيان" سنة 1917 مع أخته قد اجتازوا هذا النهر هرباً من ظلم العثمانيين. اجتازوا النهر مع حيواناتهم واستقروا في قرية "تونست".

حين تزوج والده وهو في عمر السادسة عشرة من أمه، اجتاز بها هذا النهر وهي على الحصان. أما خاله "أمين" فقد غرق في هذا النهر حين كان ينقل العواميد الخشبية من فوق النهر.

كما يقول أحد الفلاسفة أن المرء لا يستطيع الاغتسال في نفس النهر مرتين. كذلك الذاكرة هي كالماء. إن لم تدون تلك الذكريات فإنها ستمحى وتضيه. حين وصلت الوحدة إلى حافة النهر. أخرج أحد المقاتلين حبلاً عريضاً وطويلاً، ووضع حذاءه في كيس بلاستيكي، ثم عقد الحبل على جذع شجرة، وخاض في

www.arsivakurdi.org

www.arsyakurdi.org

النهر، حتى وصل إلى العمق، وصل الماء إلى قمة رأسه، فبدأ بالسباحة قليلاً وسرعان ما قام على رجليه مرة أخرى، حتى وصل إلى الحافة الأخرى. عقد الحبل بجذع شجرة ضخمة في الضفة الثانية كي يجتاز المقاتلين الآخرين النهر. بذلك، بدأوا باجتياز النهر عن طريق الإمساك بذلك الحبل حتى وصل الجميع إلى الضفة الأخرى.

جرى كل شيء بسلاسة وسهولة. بدأ المقاتلين بتنشيف أنفسهم من الماء تحت الأشجار وارتدوا أحذيتهم. ثم ساروا صوب قرية "زڤرێ". حين ساروا عدة أمتار، رأوا رجلاً جالساً تحت إحدى الأشجار بالقرب من بيت "عبدالحميد أفندي" ويدخن لفافة تبغ. لأنهم لم يعرفوا إن كان صديقاً أم عدواً، لذلك قرروا إرسال ثلاثة مقاتلين وجلبه إليهم. توجه المقاتلين الثلاثة صوبه، لكن الرجل حين رآهم، هب فزعاً من مكانه وقال:

- لم أفعل أي شيء ولا علاقة لي بأي شيء. كنت جالساً هنا كي أدخن سيجارتي فقط.

حين سأله "روجهات" من أين أنت؟ قال الرجل: "أنا من قرية پولێ وأسكن في قرية چلكانيێ، وأنا ضيف اليوم على هذه القرية." ضحك "روجهات وهمس للمقاتل الذي بقربه: "إنه من قرية الدكتور." أخذوا الرجل إلى الدكتور، وفور رؤيته له، تعرف عليه الدكتور وحضنه، ثم الرجل للدكتور:

- قسماً بالله يا دكتور، كدت أموت فزعاً.

حين قال ذلك، ضحك الجميع. ثم جلس الجميع وبدأوا يشعلون سجائرهم. قال "الدكتور سليمان":

- ماذا تفعل في هذه الظلمة تحت هذه الشجرة؟

- أتيت بعمل إلى هنا وقد أنهيته. سمعت أن القطار سيغادر غداً الساعة الثامنة صباحاً إلى داراهێنى. لذلك بقيت الليلة في منزل علي صبري آغا. لم أستطع النوم، لذلك قمت من فراشي وأتيت قرب النهر كي أدخن سيجارة هنا وأستمتع بخرير النهر. قبل أن استمتع بتدخيني لسيجارتي، لم أرى إلا ثلاثة مقاتلين مدججين بالأسلحة وفوهات بنادقهم متجهة صوبي. قلت لنفسي، حلت نهايتك يا رجل. لا ترى إنني الآن أتحدث معك، لكن لساني أصابه الشلل من الخوف. قمت بملايين الأدعية في قلبي حتى وصلت إليك.

- كيف هي الأوضاع في چلكانيێ؟ هل هناك أي تغيير في القرية؟

- البعض منهم كالبغال. عيسى مستو لا يتغير أبداً.

ضحك الدكتور ورفاقه حين ذكر إسم عيسى مستو أمامهم.

قال القروي له:

- هل تعرف "زكي داغ" يا دكتور. كانت من قرية "پولێ". هو أول شخص انضم لحركة الگريللا.في ذلك الوقت لم يكن هناك حركة الگريللا بعد. حين حدثت الضربة العسكرية في 12 أيلول سنة 1980، هرب عدد من الأشخاص من تنظيم PKK إلى سوريا، وكان زكي داغ واحداً منهم. يسرد زكي ذلك بطريقة مضحكة.

- ماذا كان يقول؟ هات واسرد لنا.

- كان زكي يقول: " كان عيسى مستو من أفقر أهالي القرية. بدورنا أردنا أن نخوض نضالاً سياسياً بين الشعب كي ننشر الوعي بين صفوفه كي يقوموا بدورهم في نضالنا ضد الدولة، ثم نقيم نظاماً اشتراكياً يتساوى فيه الغني والفقير ونخلص عيسى مستو من الفقر الذي هو فيه. لأجل ذلك تركت بيتي. توجهت سيراً على الأقدام مع مجموعة من الرفاق من چوليگ حتى آمد. هناك، انضم إلينا آخرون وتوجهنا صوب الحدود السورية. اجتزنا الحدود المزروعة بالألغام ودخلنا الأراضي السورية. ومن هناك دخلنا الأراضي اللبنانية التي لم أسمع بها في حياتي. هناك، تعلمت الفنون العسكرية بواسطة المقاتلين الفلسطينيين. بعدها بأربعة أشهر، توجهت إلى جنوب كردستان، وبعد عدة أشهر، وصلت إلى الجبال. لأنني كنت معلماً في

البناء، قمت ببناء أماكن ســكن الرفاق. بقيت في الكهوف والمخابئ. تحملت الجوع كثيراً. كنت آكل البلوط في فصل الشتاء كي أبقى حياً. عدت إلى الوطن كي أخلص "عيسى مستو" من فقره، لكن الحظ لم يحالفني، فقد ألقي القبض علي وتحملت عذاباً لا يطاق. رأيت إنهم سيبترون رجلي من كثرة الفلقات التي يضربونني. لم أقاوم ذلك العذاب وقلت لهم لا تضربونني، سوف أعترف لكم بمكان مخابئ الأسلحة. خدعتهم وأخذتهم إلى جبل عال، انتهزت الفرصـــة ورميت حالي في واد عميق. حاولت القيام بعدها، لكنني لم أســـتطع وأدركت إن قدمي قد أصــابها الكســر في الركبة. زحفت على بطني حتى وصــلت إلى إحدى القرى. لكن لسـوء حظي، أهالي تلك القرية سـلموني لنفس الجهة التي هربت منهم. عذبوني مرة أخرى، وخلعوا عني ملابسي وبدأوا يعذبونني بالصواعق الكهربائية ويضعونها على رجلي المكسورة. أرسلوني إلى المشفى وأنا نصف ميت ونصف حي. قضيت سبعة سنين على تلك الحالة في السجن. عدت إلى چلكانيێ وبقيت طريح الفراش لعدة أيام، ثم خرجت كي أتجول في القرية. رأيت عيسى مستو حاملاً رفشه قادماً من بعيد. كنت أقول في نفسي أن عيسى حين يراني سيرمي رفشه ويركض ليعانقنين وسيسأل عن أحوالي ويقول لي إنك ناضــلت كثيراً من أجلي، أصــبت بالجروح وتحملت التعذيب وكل ذلك من أجلي. لكن حين اقترب مني، نظر إليّ بطرف عينه وقال " زكو، هل عقلت الآن أم لا؟" حينها أظلمت الدنيا أمام عيني. احترت بماذا أجاوبه. حملت نفسي وذهبت ورميت بنفسي في جورة الماء."

ضحكوا جميعهم من قصة ذلك القروي. ثم ودعوه ووصلوا ليلاً إلى قرية "زوڤرێ".

كانت القرية مكونة من مائتين وخمســين بيتاً، يحيط بها أشــجار الســنديان والتوت والرمان والمشــمش وغيرها، والكروم تغطي مسـاحات شـاسـعة حول القرية. وضـعوا مقاتلين للحراسـة تحت أشجار التوت، وأرسلوا آخرين إلى القرية. حين عودتهم، قالوا لهم أن القرية آمنة. لذلك حددوا المنزل الذي سيقضون فيه ليلتهم.

في المنزل الذي ذهب إليه "الدكتور ســليمان" كان هناك رجل طاعن في الســن. حين رآى دخول ثلاثة مقاتلين مدججين بالأسلحة إلى بيتهم. قام من مكانه واستقبلهم بحفاوة. حاول الدكتور تقبيل يده، لكن العجوز لم يدعه. نظر إلى الدكتور وقال له:

- من أين أنت؟

قال له الدكتور إسم قريته واسم والده. فقال العجوز:

- نعم، أعرف والدك.

لم يكن العجوز يجيد اللغة التركية، بل كان يتحدث باللغة الكردية الزازاكية. وكان ســمعه ثقيلاً. حين جلبوا الشاي، بدا حديثهم أكثر حرارة. وقف أمام المقاتلين الثلاثة وقال لهم:

- هل سمعتم باسم "عيسى إيبى"؟

لم يعلق أحد منهم على سؤاله.

- والد محێ وخدێ گورێ.

هز الدكتور رأسه وقال له:

- كان له إبن إسمه توفيق.

ابتسم العجوز لأن الدكتور عرفهم، ثم أكمل حديثه:

- أود أن أحدثكم عن إبنه. كان إبنه هذا من مقاتلي الشــيخ ســعيد أفندي ســنة 1925. كان جنود الدولة والعصـابات المؤيدة لها يختبئون في الجحور حين يسمعون باسمه. بعد ان اعدموا الشيخ سـعيد في مدينة آمد، توجه بدوره إلى "بنخت- سـوريا" وبعد سـنوات، عاد بموجب عفو صــادر حينها. لكن الدولة لم تفي

بوعدها وعفوها معه وأرادت القبض عليه. بدوره فرّ منهم والتجأ إلى الجبال. أرسلت الدولة عصاباتها لملاحقته، وهو دافع عن نفسه وقتل الكثير من تلك العصابات، وهكذا، بقي لسنوات في تلك الجبال. لكن للأسف، في سنة 1932 حين يحل ضيفاً على كريفه في قرية (خوئێدان) يتم إخبار الجندرمة بمكانه، فيطوقون البيت. لا يستسلم "إيبى محو" بل يقاوم ويشتبك معهم. يقتل من يقتل منهم ويجرح من يجرح منهم، لكنه يصاب بطلقتين أيضاً. مع ذلك يستطيع النجاة بنفسه ويخرج من القرية ويربط جرحه كي لا ينزف كثيراً. يجتاز نهر مرادێ ويحاول الوصول إلى قرية (مرّه). يقصد زرعاً لشخص يدعى (گتحێ). حين يصل إلى هناك، يصيح فيه وينادي" گتحێ."حين يخرج هذا ويراه مضمخاً في جراحه، يحمله ويذهب به إلى البيت، ويرسل في طلب أخته "زينى" التي تعرف شيئاً عن التداوي، تقوم بتضميد جراحه، لكنها لا تستطيع السيطرة على الجرح. بعدها ترسل في طلب المساعدة من آخرين، مما يجعل المتعاونين مع الدولة على علم بذلك، فيخبرون الدولة مرة أخرى بمكانه ويطوقون البيت. يهابون اقتحام المنزل حين يسمعون أن (محى) مسلح في الداخل. لذلك يبدأون بتهديد القرويين، ويلقون القبض على "محمد" إبن صاحب البيت ويضربونه بالفلقة. تقول (گورێ) زوجة (محى) لهم ما يحدث في الخارج. يسمع "إيبى" ما تقوله المرأة لزوجها، فيحمل بندقيته ويسلمها للزوجة ويقول لها "أطلقي علي النار" لكنها تحمل البندقية وتخرج. بعدها يقتحم الجنود البيت ويحملون (محى) ويضعونه على ظهر بغل يودون إن يأخذونه إلى (پالو). هل رأيتم ذلك المزار أمام القرية حين أتيتم؟ عند ذلك المزار، أسلم (محى) الروح وهو على ظهر البغل. يوقف الضابط الجند في مكانهم، ويسمع القرويين كلهم بموت (محى). يركض الأطفال والنساء والرجال إلى ذلك المكان. لكن الضابط التركي يأمر بقطع رأسه وأخذ رأسه إلى المركز. حين يسمع كبار رجال القرية بذلك، يبعثون "الملا سافى" إليه ويقوم هذا بجلب الآيات القرآنية ويشرحها للضابط الذي لا يفهم اللغة العربية عن منع القرآن لنحر وتمثيل بجثة الميت. لكن الضابط لا يقتنع بذلك. حينها تقوم القرويات بنزع خواتمهم وأساورهم الذهبية كلها ويقدمونها للضابط. حينها يتخلى عن الجثة لهم. يقوم القرويون بغسل الجثة ودفنها بحسب الشرع المتبع ودفنوه هناك أمام القرية. لقد مررتم بجانب قبره حين أتيتم إلى هنا وأنتم لا تعرفونه ولا تعرفون هذه القصة. سردت لكم هذه القصة كي تكونوا يقظين وحذرين في تعاملكم مع من حولكم. هناك الكثير من الذئاب والثعالب وأبناء آوى في جلد الآدميين هنا. يقدمون أنفسهم على انهم أصدقاء، لكنهم أعداء. وجوههم بيضاء لكن قلوبهم سوداء."

كان "الدكتور سليمان" يصغي إليه بدقة. استلهم الكثير من العبر من تلك القصة. أدرك أن كل تلك القصص هي كنجوم في سماءه. إن لم يفهم تلك القصص جيداً لن يفهم الإنسان ولم يكن يستطيع القيام بالمهام الكبيرة بالإنسان مع الإنسان أيضاً. سأل العجوز قائلاً:

- هل كان يسند ظهره إلى مكان آمن؟"

هكذا رد على العجوز وأردف: "نحن نسند ظهرنا بشعبنا."

لم يعقب الرجل على جوابه، لأنه لم يستشف الأجابة الكافية منها.

بقوا ليلة أخرى في تلك القرية، ثم توجهوا إلى قرية "خيلانا" التي كانت قرية رفيقهم "چكو". وكانت قرية "روجهات" أيضاً على ذلك الخط، وقرية الدكتور أيضاً. لذلك استقبلهم القرويون في تلك القرى بحفاوة، وانضم عدد من شبانهم إلى الگريللا. كانت هذه القرى في السابق قرى كبيرة، لكن أغلب سكانها هاجروا إلى الدول المدن الكبرى والدول الأوربية كباريس ولندن وألمانيا.

حين همّوا بالدخول إلى أحد البيوت، استقبلهم صاحب البيت وقال لهم أن هناك عرس في القرية الليلة. فذهبوا إلى مكان العرس ورأوا شباب ورجال القرية في حلقة الرقص، والنساء والفتيات حولهم. ذهب

الدكتور مع إثنين من مرافقيه يتفرجون على ذلك العرس. حين رأى عازفي الطبل والزرنا الگريلا حاضـرين هناك، اقتربوا منهم وبدأ عازف الطبل يدق على الطبل بقوة احتفاءً بقدومهم. بعد برهة أرادوا القيام من أمام العرس، لكن صـاحب البيت اقترب منه وهمس في أذنه: "أتى الحاج صـديق من چوليگ ويود اللقاء بك." فتوجه إليه الدكتور مع مرافقيه.

وقفوا أمام بيت مكون من طابقين. فتحت امرأة لهم الباب، ثم استقبلهم رجل في العقد السادس من العمر بحفاوة بالغة وكان يردد بين الحين والآخر: "نحمدالله إننا عشنا ورأينا هذا اليوم."

حين جلسوا، قال الـ"حاجي صديق":

- منذ سنوات عديدة وأنا أسكن في چوليگ. أقوم بالتجارة هناك والحمدلله وضعي المادي جيد جداً. أنا أعرف عائلتك كلها ووالدك عن قرب. قد تكون أنت لم تسمع باسمي، لكنني رأيتك مرة حين كنت تدرس الثانوية في چوليگ، وسمعت انك من أشطر الطلاب في المدرسة. كما إنني قرأت كتاباً لأخيك سليم. لم أعد أتذكر إسم الكتاب. نعم، تذكرت، كان اسمه "فجر آمد في ظلمات 12 أيلول". إنه كتاب عجيب. أساساً، كنت أود رؤية أخيك سليم وأقول لك معاناتي وهمومي.

- ما هي همومك؟

- إنها كثيرة يا دكتور. ما لا تعرفونه، نعرفه نحن. هناك أمور لم تُقال بعد!

- إن كان هناك أية مشاكل تستطيعون أن تخبروننا بذلك، وإن استطعنا سنكون سعداء كي نحلها لك.

- تلك الهموم ليست همومي الشخصية يا دكتور. إنها همومنا كلنا. لكن، كم كنت أتمنى أن يكون أخاك هنا ويستمع إلي كي يكتب كل ما أقوله. إنه هم تاريخي يا دكتور. لم أبح لأحد بعد وأبقيته في ثنايا قلبي.

- جعلتني متشوقاً لذلك. البارحة مساءً سرد لي رجل عجوز قصة مؤثرة جداً. علينا نحن الشباب الذين نحارب في سبيل حقوق هذا الشعب، أن نستمع إلى مثل هذه القصص.

- لقد اكتشفت الكتابة على هذه الجغرافية يا دكتور، لكن على هذه الأرض لم يكتب أحد شيئاً عن همومنا. كل تلك القصص مرويات سمعناها عن شفوياً فقط، وما لقنونا إياه فيه الكثير من الكذب. كل جيل عاش حقبته ولا يعلمون بما جرى للجيل الذي سبقهم. تمّ اقتطاع التاريخ هنا يا دكتور. لقد تعرفنا على روسيا من خلال لينين، وعلى الصين من خلال ماو تسي تونغ، لكننا لم نعرف ماذا جرى على هذه الأرض لأسلافنا. المشكلة هنا. أنت رجل متعلم يا دكتور وتفهم ما أقوله لك.

- صحيح، لقد زوروا تاريخنا.

- هذا البيت الذي نجلس فيه الآن، كان بيت جدي. هل تعلم ماذا حدث في هذا البيت؟ قبل سبعة وستين سنة من الآن، قام الشيخ شريف قائد جبهة ألآزيز وپالو في انتفاضة الشيخ سعيد باجتماع مهم في هذا البيت. كان كل من :غيدممي، خيلاني، زوڤرى، آكراگى، تونستي، زوخپايى، ميآلوني، مرّيي، وقرروا في الاجتماع الهجوم على مدينة پالو.

- أي إننا الآن في مكان تاريخي مهم.

- هل تعلم ماذا حدث بعد قرارهم هذا؟ سقطت ألآزيز من يدهم، وپالو أيضاً، وبعد مدة ألقوا القبض على قادة الانتفاضة. أعدموا بعضهم في ألآزيز والبعض الآخر في آمد. بقي جدي في الجبال ولم يستسلم. وصل الخبر إلى الحكومة في ذلك الوقت أن الاجتماع حصل في هذا البيت. وبدأوا يبحثون عن جدي. بقي البعض في الجبال واستمروا في المقاومة، والبعض الآخر هاجر. كان جدي من بين الذين لجأوا إلى الجبال.

- ماذا جرى له بعد ذلك؟

- أصبر وسأكمل لك. يقولون أن عصمت إينونو رئيس الوزراء وقتذاك قد جاء إلى ألآزيز، وعقد

اجتماعاً فيها. كان الحاضرين في الاجتماع هم مسؤولي مدن پالو، چاپخورێ، خارپێت، وداراهێنێ الذين يعرفون التكلم باللغة التركية. سألهم عصمت إينونو: إنكم أذكى الرجال في هذه المنطقة، وتعرفون منطقتكم جيداً، وتعرفون أن المشاركين في تلك الانتفاضة هم ما زالوا في الجبال. ماذا سنفعل من أجل إنزالهم من الجبال؟ أود أن أعرف آراءكم أيضاً. ردوا عليه قائلين: "شعبنا في هذه المنطقة متعلق كثيراً بمسائل الشرف، لذلك، إن قبضتم على نساءهم وتأخذونهم إلى المخفر، وتقولون لهم أن لم تسلموا أنفسكم لن نطلق سراح نساءكم، حينها سيأتون ويسلمون أنفسهم." بعد ذلك الاجتماع، أرسلوا مفرزة من الجند إلى أمام هذا البيت. كان معهم شخص مدني، يدعى "جمال فارس". سمعت لاحقاً أن هذا الشخص من مواليد سنة 1898، أي كان عمره سبعة وعشرين عاماً حينذاكن ودرس في مدرسة بدليس. وكان يجيد اللغة العثمانية. كان مترجماً وكاتباً في المحكمة. كان شخصاً طويل القامة، ضعيف البنية، وحواجبه كثة وطويلة. حين أتوا إلى أمام البيت، يسأل "جمال" هذا جدتي عن والدتي، ويقول لها إنها مطلوبة في المخفر. إسم جدتي هو "سارا". حين تنادي على أمي وتقول لها ذلك، تتوقع بدورها أن مكروه ما قد أصاب زوجها. فتجهز نفسها وتقول لـ"جمال": ماذا تريدون مني؟ فيرد عليهاك إنه قرار من الدولة، إن سلم زوجك نفسه، حينها سيطلقون سراحك.ساقوهم إلى المخفر في قرية "زوڤرێ". هناك مطحنة قبل تلك الوصول إلى تلك القرية، ويوجد مزار أمام تلك المطحنة. حين تجتازون أشجار السنديان هناك، سترون نهر مرادێ امامكم، حيث النهر مجراه قوي هناك. حين يصلون إلى تلك المنطقة، تهرب جدتي من الجنود وترمي بنفسها في النهر. مدّ الجنود الذين لحقوا بها أيديهم كي ينقذونها من الغرق، لكن الماء جرف جدتي واختفت عن أنظارهم. ركض "جمال" والجنود مع حافة النهر، لكنهم لم يجدوا لها أثراً، وبعد خمسة عشرة يوماً رأوا جثة جدتي تحت جسر گولشكرێ. حين سمع القرويون بذلك، ذهبوا مسرعين إلى هناك ودفنوها في نفس المكان. إن كان هناك متسع من الوقت كنا سنذهب إلى هناك ونقرأ الفاتحة على قبرها.

تأثر "الدكتور سليمان" كثيراً وأشعل سيجارة وسحب نفساً عميقاً منها. أردف "حاجي صديق" وقال:

- الغريب في الأمر، أن قصة جدتي اعتراها النسيان في مدة قصيرة. في هذه البقعة الجغرافية لا يتذكرون أفعال الإنسان، بل يتذكرون أولادهم. لم يبق لنا غير تلك القصص الحزينة. سأترك الآن قصة جدتي وأسرد لكم قصة "جمال فارس"، لأن قصته حزينة أكثر من قصة جدتي. كما تعلم أن مدينة "چوليگ" كانت في سنة 1936 قرية صغيرة، وكان اسمها "چاپخورێ"، وجعلوها مدينة في نفس تلك السنة. وعينوا "جمال فارس" هذا أول رئيس بلدية فيها. بعد ان قاموا بتغيير الألقاب، أضافوا على اسمه لقب "ألچي"، وطبعاً هذا اللقب له معناه. لمدة أربعة سنوات أصبح رئيساً للبلدية، وأصبح غنياً ومن أعيان المنطقة، وكان الجميع يحسبونه شخصاً خيّراً وعارفاً، ولم يكن يعلم أحد إنه هو الذي تسبب في ما جرى لجدتي إلا القليلين. الكثيرون نسيوا جدتي وما حلّ بها، إلا أن "جمال" لم ينسى، وكأن روح جدتي كانت كلعنة تلاحقه في كل وقت. التاريخ لا ينسى، وضمير الإنسان لا يبقى صامتاً إلى الأبد. تمر السنوات، ويكبر أولاد "جمال". يبدأ "شاكر" إبنه الكبير بالدراسة في كلية الحقوق في جامعة أنقرة، وأصبح يسارياً يحمل أفكار حزب العمال التركي. ثم يؤسس جمعية "DDKO" في عام 1969. كان هؤلاء الشباب الذين يناضلون في صفوف هذه الجمعية يقولون بان تلك المناطق التي يطلقون عليها شرق الأناضول وجنوب شرق الأناضول هي كردستان. ويقولون بأن الشعب الذي يعيش على هذه الأرض هو الشعب الكردي، وقد تم منع لغتهم وعلى سياسة الأمحاء والألغاء أن تتوقف. كانوا يقولون أن سياسة الدولة هي السبب في تأخر كردستان وأن الدولة التركية قامت بمجزرة بحق الكرد إبان انتفاضة الشيخ سعيد.

توجه "جمال" إلى الحج وأصبح اسمه "حاجي جمال". كان قد سمع بأخبار إبنه، لكنه لم يكن يبوح لأحد

بما يفعل إبنه في أنقرة. كان يرى أن إبنه سيكون مصيره مصير جدتي التي ساقوها إلى المخفر. كان يقول في نفسه: "يا ربي، ما هذا الذي حلّ بي."

في عام 1976 اندهش حين سمع أن إبنه "نجاة" وابنه "قاسم" لهما اتصالات مع "PKK"، وكان إبنه الأصغر "أحمد" قد انخرط في حزب "رزگاري"، وابن أخيه "جهاد" قد اصبح رئيساً للحزب الديمقراطي "KÛK"، و"زوزان" إبنة أخيه قد حملت راية النسوة اللاتي غرقن في الأنهار. بذلك أصبح كل أقرباءه ينادون بالقضية الكردية، وبذلك تم إحياء كل الذين استشهدوا وفقدوا حياتهم في سبيل كردستان وقضيتها. أصبح كل إبن من أبناءه كصفعة يتلقاها. لقد قامت جدتي "سارا" من قبرها وباتت تأتيه في أحلامه.

أتت أيام وسمع أن إبن أخيه "جهاد ألچي" قد قتل في سوق مدينة "چوليگ" على يد العنصرين الترك. نظر إلى يديه، رأى دم إبن أخيه على يديه. فهم أن يديه مضمخمة بتلك الدماء ولا تستطيع كل مياه الأنهار أن تطهر تلك اليد. عصابات الدولة هي التي قتلت إبن أخيه، وهو أيضاً واحد من تلك العصابة. بعد فترة، تقتل نفس تلك العصابات إبنه المحامي، ثم يعتقل إبنه الأصغر "أحمد" ويزج به في جحيم سجن آمد. أما إبنة أخيه "زوزان" فقد فرّت من البلادن وابنه "نجاد" كان مختفياً عن الأنظار. لجأ إلى الحج والأولياء والمزارات، بدأ يساعد الفقراء، لكن جدتي "سارا" كانت تقترب منه أكثر فأكثر.

لم يتحمل كل تلك الكوابيس، لم يتحمل وزر تسعة وخمسين سنة، وقال بصوت لم يسمعه أحد: "أطلب العفو منك يا سارا، لقد أضعت الكثير. لقد ربحت وأنا خسرت. خسرت أبنائي وبناتي وأقربائي. لذلك، أنا قادم إليك.. سامحيني.

في يوم 7 تشرين الأول سنة 1983، يقطع تذكرة السفر من كراج چوليگ، ويغادر صوب جسر گولشكرێ، ينزل من الباص هناك ويذهب إلى النهر كي يتوضأ، ثم يصلي. هناك، في ذلك المكان الذي رمت فيه جدتي نفسها في النهر، لقوا جثته هناك.

كنت أود أن أسرد هذه القصة لأخيك. سأكون لك من الشاكرين إن استطعت إيصالها له، وإن لم تستطع، سأبحث عن طرق أخرى لإيصاله إياها.

سمع "الدكتور سليمان" خبراً أن القطار سوف يتوقف عن الحركة لمدة يومين في المنطقة. كان هذا الخبر مهماً جداً بالنسبة له، فقد كان يفكر منذ زمن أن يقطع سكة الحديد ويوقف مجيء القطار إلى تلك المنطقة، وذلك لأن أرزاق الجنود وذخائرهم كان يأتي عن طريقه إلى المنطقة. قام الدكتور بعقد اجتماع طارئ مع رفاقه وقال لهم:

- "نحن في بداية استطلاعنا للمنطقة يا رفاق. في الحقيقة، بتنا نعلم جيداً بهذه المنطقة، لكن علينا أن نفهم أوضاع القرويين بشكل أكثر. أقترح أن نقطع خط سكة الحديد حالياً، وسأخبر باقي الرفاق عن طريق اللاسلكي بذلك. ما هو رأيكم؟"

لم يبدي أي من الرفاق اعتراضه على مقترحه. جلبوا عدتهم من معاول وغيرها من قرية "خيلان" وساروا حتى وصلوا إلى حافة نهر مرادێ. توقف في مكانه حين وصلوا إلى المكان الذي تم دفن "سارا" فيه، وكإنه يبحث عنها هناك. استغرب رفاقه سبب وقوفه المفاجئ ذلك. قام أحد معاونه بوضع يده على كتفه يحثه على إكمال المسير، لكنه قال:

- "سوف نقطع سكة الحديد أكراماً لذكرى إيبى محو وسارا.

ثم سرد للرفاق بشكل مختصر قصتهما. تأثرت إحدى المقاتلات كثيراً بتلك القصة وقالت له:

- سوف أغير إسمي المستعار من الآن إلى سارا يا دكتور، وأود أن نهاجم على القطار بالقواذف.

قبل الدكتور مقترحها وقال لها:

- قصدك أن نحيي سارا القروية ونضع القاذف في يدها ونجعلها تحارب الذين كانوا سبباً في غرقها.

تحدثوا وتناقشوا في هذا المقترح أيضاً، ثم أرسلوا مقاتلين للقيام باستطلاع الطريق. بعدها ساروا حتى وصلوا إلى محطة "سوڤرن". حين رأى الدكتور نفق "حوسل" أمامهن قال لرفاقه:

- " عمل والدي كعبد في تأسيس سكة القطار هذه. كانت الدولة تحاول انهاء مد السكة للقضاء على انتفاضة الشيخ سعيد، لذلك أجبرت القرويين على العمل فيها. لكن، تعالوا وانظروا إلى الصدفة الجميلة هنا. السكة التي مدّها والدي، أدمرها أنا، ولن أدع القطار يمر من هنا طوال بقائي في هذه الجبال."

كان نفق "حوسل" كشاهد على التاريخ هناك. باحجاره وطوله وكإنه قطار واقف منذ أمد طويل. اجتازوا النفق إلى الطرف الآخر منه، حتى وصلوا إلى سكة القطار التي تمر من فوق النهر. كان يود أن يفككوا القطع الحديدية الكبيرة التي تربط السكة بعضها ببعض، لأجل ذلك كان يلزمهم مفاتيح خاصة بذلك، لكن أحد الرفاق فطن إلى الأمر وقال لهم بإنها موجود لدى عمال السكة، وسيجلبونها. حفروا خمسة خنادق حول ذلك المكان كمواقع للمقاتلين. أما موقع الدكتور ورفاقه، فكان قريباً من تلك الخنادق بسمافة خمسين متراً بين أشجار البلوط.

في الصباح الباكر، أرسل المقاتلين لمراقبة سكة الحديد، وقال لرفاقه: "يا أيها المراقبون، إذهبوا إلى مهمتكم." ضحك المقاتل "چكدار"، سأله أحدهم عن سبب ضحكه، فقال: "ضحكت من كلمة مراقب." فسألوه عن السبب. جاوبهم قائلاً:

- كان لدينا شخص بإسم حسن گوزفروش أي حسن بائع الجوز، كان يشتري الجوز من القرويين ويبيعها في المدن. كان هذا الرجل لا يجيد اللغة التركية ويخاف من الجنود كثيراً.في إحدى المرات، حين يسير في الطريق من قرية إلى أخرى، يرى أن مفرزة من الجند تسير في نفس الطريق، فيتسلق على شجرة من الأشجار خوفاً، لكنه أحد الجند يلمحه ويقبضون عليه، ثم يسألونه عن سبب اختباءه فوق الشجرة

وعن عمله، فيقول لهم بأنه "گۆزچی" أي بائع الجوز، لكن تلك الكلمة بالتركية تعني "مراقب" فكلمة "گوز" باللغة التركية تعني "العين". يضـربونه ضـرباً مبرحاً ويسـألوه منذ متى وأنت تعمل مراقباً، منذ سنة؟ يجيبهم بنعم. منذ خمسة سنوات؟ يجيبهم بنعم. وذلك لأنه لا يجيد التركية. يأخذونه إلى المحكمة وبعد ان يفهموا قصتهن إلا إنهم مع ذلك يحكمون عليه بستة اشهر سجن.

بعد الظهر، عاد إثنان من الگريلا وقالوا له أن عمال السكة يعملون بين النفقين بسيارة غريبة وعجيبة. فهم الدكتور الأمر وقال لهم:

- تلك السيارة معدة لذلك العمل، واسمها "درزين"، إذاً سنحصل منهم على أدوات فك حديد السكة.

كانت هذه المعلومة مهمة لهم مهمة جداً. لذلك عقدوا اجتماعاً وقرروا فيه إلقاء القبض على العمال وكان عليهم أولاً معرفة توقيت قدوم القطار. هاجموا في تلك الليلة على معسـكر العمال واخذوا منهم المعدات المطلوبة لهم لاتمام عملهم وكانوا سيطلقون سراحهم فور انتهاء مهمتهم وعلموا منهم أن القطار سيأتي في الساعة الحادية عشرة ليلاً. سرعان ما تحرك المقاتلين المحددين بفك سكة الحديد وتغيير طريقها.

من أجل فك سكة الحديد، أمروا العمال كي يساعدوهم في فك السكة. استمرت عملية الفك ربعة ساعات حتى الساعات الأولى من انبلاج الفجر. وكي يؤمنوا ما قاموا به، كان عليهم وضع الحراس بين النفقين كي لا يلاحظ أحد ما قاموا له. في السـاعة العاشـرة، أتوا الحراس وقالوا للدكتور أن قطيع من الأغنام وراعيين يتجهون صوب السكة المفكوكة. قال لهم الدكتور: "اقبضوا على الراعيين قبل أن يصلوا إلى النفق وسوقوا القطيع إلى الوادي."

حين رأى الرعيان المقاتلين المسـلحين، نفذوا أوامر المقاتلين كي يغيروا طريقهم ولا يتجهوا إلى ذلك المكان.

أمر الدكتور رامي القاذف: "لا ترمي طلقاً بشـكل عشـوائي، حين يقع القطار في الوادي ورأيت الجنود يخرجون منه هاربين، حينها إرمي عليهم." لم تمض برهة حتى وسـمعوا صـوت صـافرة القطار، وبعدها بلحظات سـمعوا صـوتاً قوياً. صـوت ارتطام العربات ببعضـها. وقعت خمسـة عربات في الوادي، والبقية كلها مرتطمة ببعضـها البعض. لم يحسـبوا حسـاباً لطول القطار وعدد العربات فيه. لكنهم أحسـوا أن في العربات الخلفية هناك حركة بين بعض الجند. وضع المقاتل القاذف على كتفه وقال: "هذه من أجل سارا." كما حمل الدكتور "سـليمان" القاذف الآخر وقال: "وهذه من أجل محى إيبى." وأصـابوا تلك العربات التي بدأت شظايا النار تتطاير منها.

أمر الدكتور المقاتلين بالانسـحاب على الفور. ترك كل المقاتلين مواقعهم وتركوا العمال في أماكنهم متوجهين صـوب جبل "شـارك". عقدوا اجتماعاً قصـيراً بالقرب من قرية "كلاخسـى" وكان رأي غالبية المقاتلين هو الانسحاب الفوري من المكان، لأن الدولة ستقوم بعملية تمشيط واسعة في تلك المنطقة. لكن الدكتور كان يفكر عكس ذلك، وقال لهم: " سـتأتي القوات من داراهێنی وچوليگ بدون شـك. وهم أيضـاً يتوقعون إننا سـنكون منسـحبين من مكان العملية، ولا يتوقعون أن نكون محتاطين في مكان العملية. لذلك علينا أن نتوجه إلى داراهێنی ونتهيأ للإنقضاض عليهم هناك."

اقنع رفاقه بذلك، واتصـل باللاسـلكي مع الوحدات الأخرى، وأخبرهم بتحركهم بحسـب الشـيفرة الموضـوعة بينهم مسبقاً، ثم سـاروا مسـرعين صـوب داراهێنی. كانت قج مضـت سـاعتين على العملية، وسـمعوا أصـوات الحوامات تحلق في السـماء. بقي أمامهم ثلاثة سـاعات خطرة، فقد بقيت ثلاثة سـاعات لحلول الليل. كانت الغابة ستفتح لهم أحضانها، والجبال ستعانقهم وتفتح لهم أبوابها كأم رؤوم.

وصـلوا في وقت متأخر من الليل إلى الطريق المؤدي إلى مدينة "آمد". والتقت الوحدات كلها في واد

قريب من مدينة "داراهێنى". كانوا يستمعون إلى "الدكتور سليمان" وهو يتناقش معهم في الخطوة التالية. ورأوا أن يتفرقوا هناك، فوجود قوة من تسعين مقاتل في مكان واحد لا يجوز. لذلك قسموا أنفسهم إلى مجموعتين. كانت الوحدة المؤلفة من ثلاثين مقاتلاً ستختبئ في الوادي الواقع خلف مدينة "داراهێنى"، أما المجموعة المؤلفة من ستين مقاتل، كانت ستنسحب إلى جبل "زكتى" وهناك كانت ستؤمن مكان انسحاب الوحدة الأخرى.

لم يكن الوقت في صالحهم، حيث خطأ صغير سيكون مكلفاً. بقي الدكتور مع وحدته في "داراهێنى" وقسم مجموعته المؤلفة من ثلاثين مقاتلاً إلى مجموعات صغيرة، كل مجموعة تتألف من سبعة مقاتلين. ثم أرسل بعض المقاتلين لاستطلاع المكان، وحدد مواقع المقاتلين خلف فوق الأشجار وخلف الصخور، وطلب منهم الاستراحة والسكون في أماكنهم.

كان كل شيء ساكناً من حولهم، لا أصوات السيارت، ولا الطيور، ولا الحشرات، كل شيء ساكن من حولهم. كانت أضواء مدينة "داراهێنى" تلمع من بعيد وكإنها نجوم في كبد السماء الصافية، حتى نهر مرادىَ لم يكن يسمع خريره، وكأن كل شيء من حولهم ينتظر قدوم النهار على عجل.

فتحوا أعينهم على أصوات زقزقة العصافير. قام المقاتلون من أماكنهم يجهزون أنفسهم. كانت أصوات الحوامات العسكرية تسمع في السماء. حمل الدكتور منظاره وبدأ يراقب الطريق، رأى السيارات العسكرية تعبر الطريق، وبدأ يخطط في مخيلته لعملية مزمعة يود القيام بها.

كان قد سمع الكثير عن الكمائن التي يضعها الرفاق على الطرق، حيث ينقضون على السيارات العسكرية في عملية خاطفة وسرعان ما ينسحبون من مكان الكمين. إلا أن "الدكتور سليمان" لم يكن يحب القوالب الجاهزة في العمليات العسكرية، بل كان يود أن يكسر تلك القوالب، ولا يود أن يكرر ما فعله الغير في هذا المجال، بل يحاول أن يضع طرقاً جديدة لوضع الكمائن على الطرقات. نادى على "چكو" و"روجهات" وبدأ يتناقش معهم في ذلك. قال له"چكو":

- هذا الموقع مناسب من أجل وضع الكمين. لكن السيارات العسكرية لا تعبر هذه الطريق ليلاً، وفي النهار لا نستطيع أن نهيأ أنفسنا للكمين.

- سنحتاط للكمين في وقت لا توقعونه، وفي مكان لا يتوقعونه أيضاً. إن السيارات العسكرية سوف تقطع الطريق على السيارات المدنية وتمنع عنها المرور في هذه الطريق. العربات العسكرية فقط هي التي ستجتاز طرق هذه المنطقة، وكما قلتم، فإنها لا تعبر ليلاً، لذلك علينا أن نبدأ بحفر الخنادق في المكان المحدد فور حلول الليل، وفي الصباح الباكر، وفور عبور العربات العسكرية سنقوم بتدميرها.

- قصدك إننا علينا حفر الخنادق ليلاً؟

- نعم، وعليها ألا تبعد عن الطريق مسافة عشرين متراً.

اعترض رفيقيه على قراره في البداية، فهم خاضوا الكثير من العمليات من هذا النوع، لكنهم وافقوه حين شرح لهم العملية بشكل جيد قائلاً:

- إن حفرنا خنادقنا بالقرب من الطريق، فإن الجنود سيتلبكون ولن يتوقعوا أن نكون قريبين منهم. وإن أطلقوا النيران، فإنهم سيطلقونها إلى أماكن بعيدة. ولن نخرج من خنادقنا حتى يطلقوا الكثير من الطلقات. لكننا حين نخرج لهم بشكل مفاجئ أمامهم، سيحاولون إنقاذ انفسهم، الخارجين من العربات سيكونون أهدافاً سهلة لنا، وإن بقوا في عرباتهم، فإن قنابلنا ستفجرهم. غرضنا من ذلك أن نجعلهم بلا حيلة وندمرهم بالكامل.

تناقش القادة الثلاثة مطولاً، ثم وضعوا خطتهم. حين حل الليل، ساروا صوب الطريق، كان عليهم حفر

عشرة خنادق بالقرب من الطريق، وثلاثة أخرى خلفهم كي يقوموا بإسناد الستة في المقدمة، وحددوا مواقع المقاتلين الآخرين والقناصين حولهم، كما حددوا موقع الانسحاب والقوات التي ستساند القوات المقاتلة، كما إنهم جهزوا القاذف كي يرمي على أول عربة عسكرية والتيت حمل على متنها سلاحاً رشاشاً. كان عليهم حفر ستة عشر خندقاً على طول الطريق المحدد بثلاثين متراً، وهو مكان الكمين.

لم يكن "الدكتور سليمان" بذلك القائد الذي يدير العمليات من بعيد، بل حدد موقعه خندق وسط تلك الخنادق، وذلك لكي يدير العملية جيداً ويحتاط لكل طارئ يظهر أمام مقاتليه.

في الصباح الباكر، سمع الدكتور صوت رفاقه في "داراهێنێ" يعلمونه أن قافلة عسكرية مكونة من عربة مدرعة وستة عربات محملة بالجند تتجه نحوهم. صفّر الدكتور لرفاقه كي يحتاطوا في أماكنهم. بعد دقائق ظهرت القافلة العسكرية أمامهم. كانت المدرعة تسير في المقدمة وجندي فوقها يده على الرشاش. وصلت المدرعة إلى الوادي، ووصلت قرب الخنادق. رمى المقاتل القاذف على المدرعة وأصابها، وسرعان من أخرج البقية أسلحتهم ورؤوسهم من الخنادق وبرأوا يرمون طلقاتهم على القافلة. أصيب الجنود بالرعب من هذا الهجوم المفاجئ ولم يكونوا يستطيعون الدفاع. حين حاول بعض الجند الخروج من العربات، كانت طلقات المقاتلين لهم بالمرصاد، وقتلوا كل من حاول النزول.

حين أدرك الدكتور أن كل شي على ما يرام، وإنهم دمروا القافلة بالكامل، طلب من المقاتلين الانسحاب. كلما يخرج مقاتل منهم من خندقه، يقوم الآخر في الخندق المجاور بحمايته، وهكذا حتى خرج الجميع سالمين من خنادقهم، واتجهوا جميعهم صوب الطرق المؤدي إلى مدينة "آمد".

خرجوا من الوادي مسرعين، والتقت الوحدات جميعها على جبل "زكتى" حيث كانت المجموعة المؤلفة من ستين مقاتلاً هناك بانتظارهم.

أسسوا ثلاثة معسكرات على عجل. نظر الدكتور حوله وسألهم عن مكان الماء، فقالوا له أن هناك نبع قريب من المعسكر. أمر أن يجلبوا طعاماً يكفيهم لعشرة أيام أخرى، فقد قاموا بعمليتين كبيرتين في فترتين قصيرتين، وعليهم الأختفاء عن الأنظار لمدة لا تقل عن عشرة أيام، لأن الحوامات لن تتوقف عن التحليق في سماء المنطقة، وسيبدأ الجيش بعملية تمشيط واسعة هناك.

-25-

تم إخلاء سبيل "سليم" من سجن "بارتن" في شهر نيسان سنة 1991. بعد ثلاثة عشرة عاماً عاد إلى قريته "چلكانيێ" ولم يجد في البيت سوى أخاه "صادق". كان أخوه "محمود" يقوم بمهنة التدريس في مدينة أضنة، أما أخاه "نجم الدين" فقد هاجر إلى ألمانيا بسبب ظروفه المادية الصعبة، أما "عمر" فقد ترك سنته الثالثة من دراسة الهندسة في جامعة الفرات والتجأ إلى جبال منطقة "ديرسم". كان كل من في القرية يعلمون أن "حسن" و"سعيد" في الجبال. أما "آيسل" مع إنها مريضة، إلا إنها التحقت بصفوف الگريللا منذ عام 1986، وبقيت في فترة في "چوليگ" ثم إلى "ديرسم".

حين كانت في إيالة "ديرسم"، سمعت أن "عمر" قد انضم إلى الگريللا في "ألأزيز" وفرحت أيما فرح حينن التقت به قي منطقة "اوڤجاغێ". تذكرت طفولته هو و"سعيد" حين ذهبت إلى بيتهم كعروسة سنة 1978، وقالت لرفاقها:

- هؤلاء الصبيين لفتوا انتباهي كثيراً، كان سعيد أقصر من عمر، يلبس بنطالاً أبيضاً وقميصاً ممزقاً، لكن لا أتذكر لبس سعيد، لكن كانت ثيابه أيضاً مهترئة. كانوا يقضون وقتهم سوية مع بعضهم. كان سعيد دائم الضحك. دائم الحركة، ولم يكن يسكن في مكان. كانوا يتعقبونني حين كنت أذهب إلى غرفتي، وحين أطلب منهم الدخول، يخجلون. كانت سبابة عمر في فمه دائماً. أما سعيد، فكان يحرك عينيه يميناً وشمالاً ويختبأ خلف عمر. حينها أدركت أن هذا الطفل مختلف. كان يتناول طعامه بسرعة، ويخرج فوراً. أحياناً كثيرة ما كان يخرج ليلاً إلى الكروم، وحين يعود في وقت متأخر، نسأله عن سبب تأخيره، لكنه لم يكن يجاوب ولم يكن يعترف إلى أين ذهب."

كان انخراط "عمر" و"آيسل" في النضال على جبال ديرسم خطوة مهمة جداً، حيث كان ذلك صعباً على كردي سني وآخر علوي الانخراط في ذلك النضال أيام انتفاضة الشيخ سعيد أو إبان انتفاضة ديرسم. لم يكن هناك مشاركة الطائفتين في الانتفاضات يحدث وقتذاك. ولم تكن هناك ثقة بين الكرد السنّة ولا بالكُرد الزازاكيين السنة أيضاً.

يعود ذلك إلى سبب تاريخي، حين غزت الجيوش الإسلامية مدينة "آمد" واحتلوها سنة 639، وفرضوا الدين الإسلامي السني عنوة على أهاليها، ومن بقي منهم قاوموا تلك الجيوش. كان قد اغتيال خليفة المسلمين "علي بن أبي طالب" في إحدىالجوامع. أما ايران التي لم تكن تقبل الهيمنة العربية الإسلامية، وقاموا بتبني المذهب الشيعي في الدين الاسلامي. كان الشيعة يرون أن الخلافة يجب أن تذهب إلى "علي" وأبناءه بعد وفاة الرسول، ومن اقتنع بذلك أطلق عليهم لقب الشيعة.

وصلت الأفكار الشيعية إلى كردستان وانتشرت بين الرافضين للدين الاسلامي السني. رأى الكُرد الزرادشتيون والمانيون أن الشيعية أقرب إلى توجهاتهم. لكنهم لم يكونوا يقبلونها كما هي. كانوا يتناقشون فيما بينهم، وخرجوا بمسمى آخر ألا وهو "العلوية". كان هؤلاء كما الشيعة، ينظرون إلى "علي" على إنه المخلص. لكن طقوسهم كانت تختلف، فلم يكونوا يصلون مثلهم ولا يأمون الحج، بل كانوا يقدسون النار والجبال والشمس.

لا يعود الخلاف بين الكُرد السنة والشيعة إلى ذلك التاريخ فقط، بل يعود إلى زمن انقسام كردستان بين الامبراطوريتين العثمانية والصفوية، حيث أصبح جزء كبير من كردستان في حدود ايران الشيعية والقسم الآخر في حدود الدولة العثمانية السنية، وقامت هاتين الامبراطوريتين ولمدة طويلة باللعب على الوتر الطائفي بين الشقين وزرع العداوة والفتنة بينهم، وأصبح الطرفين الكرديين جنوداً لدى محتليهم الذين

www.arsivakurdi.org

استغلوهم باسم هاتين الطائفتين.

لذلك، كان يعد انخراط "عمر" السني، و"آيسل" الشيعية في صفوف الگريلا كسابقة لا مثيل لها في التاريخ الكردي. لكن الدولة بدأت بخلق الفتن بين صفوف "PKK" ولم يعجبها هذا الوضع الجديد.

في سنة 1979، بدأ الكفاح المسلح في كل من "باطمان" و"رها" و"ماردين". عبدالله أوجلان الذين جعل كل مقدرات الحزب في يده، كان قد غادر إلى سوريا ووضع نفسه تحت تصرف النظام الدكتاتوري في سوريا. بعد ان لجأ إلى سوريا، بدأ بالحيل والفتنة من هناك، وبدأ بتصفية قادة الحزب، وكأن هناك اتفاق على ذلك، حيث اتهم القادة في الداخل بالعمالة كي يقوم بتصفيتهم[12]. كان يشرح ذلك بقوله "لقد تأكدت أن هناك عملاء بيننا وقمت بمعاقبتهم" وبمرور الزمن، ترك معه مجموعة من المتنفذين والتابعين ووضع التنظيم بشكل كلي تحت نير النظام السوري.

في مؤتمر الحزب الذي تم انعقاده سنة 1986، عين عبدالله اوجلان نفسه رئيساً للحزب، لا بل كرئيس قومي للكرد جميعاً. بذلك أصبح القرار بيده هو فقط، وقام بتغيير برنامج الحزب كلياً.

بحسب النظام الداخلي للحزب، كانت "كردستان طريق الثورة" والتي تم اعتماده في سنة 1978 في قرية "فيس" وورد في النظام الداخلي للحزب حينذاك الآتي :"أن كردستان مستعمرة ومحتلة من قبل ايران، العراق، سوريا، وتركيا، وعلى الكُرد في هذه الدول الأربعة القيام بالثورة، وهذه الأنظمة الأربعة هي الأعداء الاستراتيجيين للكرد." لكن أوجلان بعد المؤتمر السالف الذكر وبعد ان وضع مقدرات الحزب في يده، أعلن أن العراق وسوريا وايران هم المتعاونين الاستراتيجيين مع الثورة الكردية. احس قادة التنظيم بذلك الفرق في الأهداف والتوجهات، لكن من يعارضه يكون مصيره القتل. وبدأت الفتن تظهر هنا وهناك. تم تسميم علاقات الصداقة والأحاسيس الرفاقية. بدأت عمليات التصفية والقتل هنا وهناك، واختلطت الحقيقة بالكذب. أما "آيسل" و"عمر" و"سعيد" فقد كانوا منهمكون في القتال فقط.

بعد خمسة أيام من بقاءه في القرية، توجه "سليم" إلى اسطنبول، ومن هناك توجه إلى اليونان، ومن ثم إلى دمشق. تعرف على الكثير من قادة الحزب في رحلته تلك، رأى أن الكثيرين منهم قد تحولوا إلى مريدين لأوجلان فقط.

في الثمانية الأشهر التي قضاها في معسكر الحزب في وادي البقاع، لاحظ التغيير الكبير بين ما كان عليه الحزب حين ألقي بهم في السجون التركية وبما هو عليه الحزب الآن. رأى الخيانة، والأخطاء الكثيرة بأم عينيه. لاحظ عبدالله أوجلان فيه ذلك، وكي يجعله يرضخ أو يبقى صامتاً، بدأ به أيضاً وفي مدة قصيرة وصل لمأربه.

أما المقاتلين في الجبهات، فكان همهم الشاغل هو القيام بالعمليات، عمليات الكر والفر، والاختباء، وتأمين الطعام والمأوى للمقاتلين، ولا يهمهم شيء آخر عدا ذلك. كان الكثيرون منهم يتم إبعادهم من القيادة

[12] . بعض قادة الحزب تم تصفيتهم سياسياً قبل سنة 1986، ومنهم: 1. رسول آلتينوك (تم اغتياله في جنوبي كردستان. 2. چتين گونگور (قتل في استوكهولم) 3. عبدالله أكنجي (تم إعدامه في وادي البقاع اللبناني) 4. صائمة آشكين (تم قتلها تحت التعذيب في جنوبي كردستان) 5. صبحي كاراكوش (قتل تحت التعذيب في جنوب كردستان) 6. أنور آتا (قتل في أوبسالا) 7. ذوالفقار گوک (قتل في ألمانيا) 8. باقي كارر (تم القبض عليه بأمر من أوجلان، لكنه استطاع الفرار مع حارس السجن) 9. حيدر گوزلو (قتل) 10. دلاور يلدرم (جعلوه ينتحر في وادي البقاع) 11. محمد قرسونگر (موته مشكوك فيه) 12. معصوم قورفماز (بحسب ما يدعي أوجلان إنه قتل في مؤامرة) 13. صلاح الدين چليك (وسموه بالخيانة) 14. آيتن يلدرم (قتل بأمر من أوجلان) 15. جميلة مركيت (سميت بالخيانة) 16. ابراهيم آيدين (وسموه بالخيانة) 17. متين گرگوزه (وسموه بالخيانة) 18. جلال آيدين (قتل في منطقة دپێ) 19. المحامي محمود بلگلی (قتل في هولندا، قطعوا جثته ورموها في مجاري المياه.

www.arsivakurdi.org

ومن المهمات الحساسة. كان الذين جعلوا من أنفسهم كآلهة يصدرون القرارات الاستراتيجية. كانت الدولة التركية تقوم بعمليات تمشيط واسعة، والگريلا تحارب بكل بسالة وتصد هجمات الدولة. لذلك، حازت الگريلا على الثقة الكاملة من الشعب، أما الگريلا فكانوا قد وضعوا ثقتهم التامة بأوجلان الذي لم يكن يهمه لا الشعب ولا الگريلا.

كان "الدكتور سليمان" يود إزالة كل المخافر والمعسكرات العائدة للدولة التركية في منطقته، وبعد ان دمر سكة الحديد وقام بالعديد من العمليات الناجحة، أصبب عدد قواته يناهز المائتين وعشرين مقاتلاً. لم يكن يُشارك كل المقاتلين في المعارك، بل جعل قمساً منهم يقوم بتأمين أماكن الإقامة وأرزاق المقاتلين. بات ذلك شغله الشاغل، حيث كان تأمين ذلك في الكثير من المناطق صعباً لا بل مستحيلاً، لذلك غيّر استراتيجيته، وعوضاً عن القيام بعمليات خاطفة والانسحاب، بدأ يخطط للقيام بعمليات تدمير شاملة للمخافر والمراكز العشكرية التابعة للدولة، وكان منذ زمن يخطط لتدمير مخفر "آكراگىّ". كان هذا المخفر يقع بالقرب من قرية "أردورك". بدأ بالقيام بعمليات استطلاعية مع رفاقه لمجة ثلاثة أيام حول تلك المنطقة. كان هذا المخفر يقع على أرض منبسطة وبجانبه تلة عليها محرس في رشاش ثقيل. كان الدكتور يود تدمير المخفر للاستيلاء على الذخائر والأسلحة الموجودة فيه، فقد كان مقاتلوه الجدد لا يملكون أسلحة معهم.

بعد الاجتماع بين القيادات، قرروا مشاركة مائة وخمسين مقاتلاً في العملية. وقاموا بالتخطيط المحكم ودراسة الطرق المؤدية إلى المخفر والمواقع المطلة عليه. قال لهم الدكتور:

- "غرضنا الأساسي من هذه العملية يا رفاق هو الاستيلاء على الاسلحة الاوتوماتيكية الموجود فيه. علينا أولاً أن نستولي على ذلك التل الذي يتحصن فيه أربعة جنود من أسلحتهم. إن استطعنا الاستيلاء على التل، لن يستطيع البقية في المخفر سوى الدفاع عن أنفسهم. ليست لدينا معلومات كافية ووافية عن المخفر، هل توجد في أنفاق أم لا؟ لكن إن وجدت، فإننا سنقوم بالعملية وننسحب. ما نعلمه أن مكان نوم الجنود يقع خلف المخفر، أي صوب جبل شارك. وعدد الجند حوالي المائة جندي. أما الضباط، فلا ينامون في ذلك المكان، بل في مكان آخر قريب عليهم، وهناك أسلاك شائكة تحيط بالمخفر من كل مكان. علينا أن نهاجم عليهم في الساعة الواحدة ليلاً، بحيث يكون الجميع نائمون في تلك الساعة. علينا أن نهاجمهم بطريقة لا يستطيعون فيها حتى الدفاع عن أنفسهم أو الهرب عبر النفق إن وجد."

حين أنهى الدكتور كلامه، رفع "سردار" الذي كان قد انضم إلى الگريلا حديثاً يده وقال:

- "تلزمنا بعض الأدوات لقطع الأسلاك الشائكة يا دكتور. على بعض الرفاق أن يكونوا قريبين من المخفر ويتزامن قطعهم للأسلاك مع بدأ العملية في تدمير تلك الدريئة على التلة، وذلك لكي يكونوا قريبين ويستطيعوا رمي القنابل إلى نوافذ المخفر."

طال نقاشهم لأكثر من ساعة، ثم بدأوا بتوزيع المهمات وتحديد مهام كل وحدة. سار مائة وخمسين مقاتلاً تحت جنح الليل صوب جبل شارك، واختبأوا في غابة كثيفة من شجر البلوط، وبدأوا يرصدون المخفر بمناظيرهم. اقترب المقاتلون من اماكنهم المحددة وتقدم الذين يحملون أدوات قطع الأسلاك الشائكة، وحاملي القنابل اليدوية، وتم وضع القناصين ورماة القواذف في أماكنهم.

في البداية أطلقوا قذائف "آر بي جي" على الدريئة، ثم بدأوا بإطلاق النار بالقواذف وأسلحة البي كي سي على المخفر. وبدأ القناصين بقنص الجنود على التلة. أما الذين قطعوا الأسلاك الشائكة، فقد قاموا من أماكنهم وبدأوا برمي القنابل على ثمانية نوافذ في المخفر في وقت واحد.

تم تنفيذ العملية بحسب ما كان مخططاً لها. لم يبد أي من الجند أية مقاومة ولم يسمع لهم صوت حتى،

وفجأة رأوا الأبواب تفتح والجنود يهربون من الأبواب بثيابهم الداخلية يركضـــون صـــوب الجبل. دخل المقاتلين إلى المخفر، كان كل شـــيء مدمراً في الداخل، جثث القتلى والجرحى مرمية على الأرض. استعانوا بالمصابيخ اليدوية وبدأوا يفحصون محتويات المخفر، وقاموا على الفور، بملأ الأكياس بالذخيرة والقنابل والمعلبات وألبسة الكوماندوس وأحذيتهم.

طلب منهم الدكتور جلب السلاح الرشـاش من الدريئة على التل، وكي يبدأوا بالانسـحاب، أطلقوا قنبلة مضـيئة. في تلك الأثناء، سمعوا صوت أطلاق للمدافع من مكان بعيد، كان الجيش يرمي بالمدفعية البعيدة المدة على الموقع. سمع أحدهم صرخة من "سردار" فوضع كل ما يحمله وهب إليه، كان قد أصيب بشظية مدفعية، فحملوه ووضـعوه على بغل كان معهم، وانسحبوا مسرعين من ذلك المكان. كان "سـردار" قد فقد حياته من كثرة النزف في جرحه. لذلك، سـاد الحزن في صـفوفوهم، قاموا بمراسـيم لائقة به ودفنوه على قمة جبل شارك.

حل الخريف، والأوراق التي كان المقاتلين يتختبأون تحتها قد تسـاقطت، وبدأت الغابات تلبس الأصـفر. تغيرت الطبيعة من حولهم، حتى الليل والنهار. كان الليل في الربيع والصيف اشد حلكة. لكن ليالي الخريف أقل حلكة والاصـــفرار يســـود كل مكان. قام المقاتلون بتغيير ألوان ثيابهم بحيث تنســـجم مع هذه الطبيعة الجديدة.

كانت الطيور تهاجر، والأنهار تجري بسلاسة وكسل، كرجل طاعن في السن يحث الخطا صوب عهد مكان آخر. السـناجب تبدأ مسرعة في العثور على أوكار كي تقضـي فيها سباتها، وأسراب الكراكي تحلق في السماء تهاجر إلى ربيع آخر. كانت كل الخلائق تقوم بتحضيراتها كي تستقبل الفصل الجديد.

كان قوات الگريللا مع هذه الخلائق، تقوم بالتحضـير للمأوى والأرزاق. لم يكن "الدكتور سـليمان" قد نســي قطيع الأغنام في قرية "زكتى"، عليه أن يؤمن طعام الشــتاء لمقاتليه. كانوا قد وضـــعوا الطحين، البرغل، الحمض، العســل والدبس وبعض المواد الأخرى في المخازن. وكانوا قد حفروا مخازن أخرى وفي أماكن متفرقة في المنطقة. كانت الدببة أحياناً كثيراً ما تعبث بتلك المخازن وتأكل منها.

في إحدى المرات لم يغطوا مؤونتهم، حيث دخل أحد الدببة إلى المخزن، وكان قد حمل كيس الجوز إلى منتصف المخزن وحمل حجرة وكسّر بها الجوز لنفسه وأكل منه الكثير. لم يكتفي بالجوز، بل أكل العسل من التنكة، وحمل الجرار أيضـاً ووضـعها في منتصـف المخزن وفتحها وأكل الحلاوة الموجودة فيها، ثم أفرغ ما في أحشاءه في جرة من تلك الجرار وأغلق فمها مجدداً وخرج، وكإنه بذلك تمسخر على المقاتلين. حين أعلموا الدكتور بذلك، قهقه ضاحكاً وقال:

- إنه دب من منطقتنا، وقد تعلم منا السخرية.

ســـمع الدكتور أن مجموعات الگريللا في الإيالات الأخرى يذهبون إلى القرى كي يجلبوا لأنفســـهم الطعام، ويترك آثاراً خلفهم، مما يجعلهم يدخلون في كمائن للدولة ويقتلون في تلك الكمائن. لكن الدكتور أراد أن يحل هذه المعضـــلة في وحدته، لذلك جهّز وحدة من ســـتين مقاتلاً وبعض البغال وتوجه بهم إلى جبال "زكتىَ".

بعد يومين من بقائهم هناك، كان الدكتور يحمل منظاره دائماً ويستطلع تلك الأرجاء، إلى إن رأى قطيعاً كبيراً من الأغنام والماعز على الجبال القريبة من قريته "چلكانيىَ". كان ثلاثة رعيان يقودون ذلك القطيع. أمر الدكتور بالقبض على الرعيان الثلاثة وربطهم بالأشجار هناك. ساقوا حوالي مائتين وخمسين رأساً من الغنم والماعز وقرابة مائة ثور وبقرة. كان المقاتلين على طرفي القطيع يسوقونه كي يصلوا به إلى مقرهم في الجبل. لكن قريباً من محطة "سـوڤرنىَ" ظهرت حوامة في السـماء وكإنها رأتهم، فبدأت تطلق قذائفها

صـوبهم، ثم أتت حوامة أخرى، وبدأتا بقصـف القطيع، فما كان من المقاتليى إلا الإختباء تحت الصـخور وفي الكهوف هناك حتى يحل الليل. مرّت سـاعات وهم على تلك الحالة حتى حل الليل واختفت الحوامات من السماء، فخرجوا من مخابئهم ورأوا أن القصف قد أدى إلى قتل عشرين رأساً من الغنم والماعز وثلاثة ثيران، أما بقية القطيع فقد فرّ ذعراً من أصوات القصف وتشتت في تلك الأرجاء. ساروا تحت جنح الظلام وساقوا ما تبقى من القطيع أمامهم حتى وصلوا إلى مقرهم في جبل "شارك".

فرح المقاتلون في المقر برؤية ذلك القطيع، وشـحذوا سـكاكينهم وسـواطيرهم وبدأوا بذبح الأغنام والماعز. بدات مجموعة بتقطيع اللحم، وأخرى بتكسير العظام، وأخرى برش الملح على اللحم ثو وضعها في جلود وربطها بإحكام.

كان على القليل من المقاتلين أن يعلموا بمكان إخفاء اللحم. حيث هي من مهمة وحدة خاصـة بذلك. تقوم هذه الوحدة بحفر الأرض بعمق متر أو متر ونصـف، ثم تضـع ذلك اللحم المحفوظ في الجلود في تلك الحفر، وترمي التراب عليها وتخفيها جيداً، ثم تضع إشارات ونقاط علّام عليها كي تعرف مكانها، كما إنهم كانوا يرسمون الموقع على دفاترهم كي يعثروا عليه بسهولة إذا لزم.

قاموا بذبح نصـف القطيع. لكن حين عاد المقاتلين الذين ربطوا الرعيان بالأشـجار، أخبروهم أن ذلك القطيع لم يكن لحماة القرى، بل كانت ملكاً للقرويين. قهقه الدكتور مرة أخرى وقال لهم: "هذا ما سيحصل حين ترى قطيعاً في الربيع وتسـرقه في الخريف." ثم فكّر في الأمر ملياً وقال لرفاقه: "قوموا بذبح بقية القطيع، ثم علينا أن نشكل لجنة لذلك ونرسلهم إلى القرية ويعرفوا من أصحاب القطيع ما خسروه جراء ذلك، بعدها يجلبوا لنا قائمة بالخسـائر التي تعرضـوا لها، وما علينا إلا أن ندفع لهم ثمن القطيع بدون نقصان."

في تلك المنطقة التي كان يقودها "الدكتور سليمان" لم يتعرض الگريلا لأية ضائقة مالية. كان المقاتلون يقولون أن الدكتور قد أسس بنوك زجاجية. كان القرويون والمؤيدون للحزب يرسلون المساعدات المادية للحزب بكثرة، وكان الدكتور يضع تلك الأموال في علب زجاجية متوسطة الحجم ويخبئها تحت الأرض، ثم يضع نقاط علام عليها ويرسم موقعها على دفتره.

بحسـب ما كان يقول "چكو" إنهم في إحدى المرات خبأوا مبلغ ثلاثمائة ألف مارك في قناني زجاجية ووضعوها تحت الأرض في منطقة واقعة بين "لجێ" و"داراهێنێ"، لكن بسبب عملية عسكرية هناك، لم يستطيعوا اخراج تلك العلبة. بعد يومين من العملية العسكرية، يذهب ذلك الشخصين الذين خبأوا العلبة إلى ذلك المكان، لكنهم لم يعثروا عليها. ولأن الدولة التركية سـمعت عن طريق اللاسلكي بهذا الموضـوع، فقامت بجلب الحفارات، وحفرت بشكل عشوائي بعض الجبال والتلال في تلم المنطقة، لكنها لم تعثر على شـيء أيضـاً، لذلك وضـعت الكمائن هناك. بعد مرور أيام على ذلك، يقوم أحد الذين خبأوا العلبة هناك ويذهب إلى الدكتور ويقول له: "لقد تذكرت أين خبأت تلك العلبة الزجاجية." يقوم الدكتور بإرسـال نفس ذلك الشخصين إلى هناك ويطلب منهم العثور عليها وجلبها، وبعد يوم عادا ومعهما المبلغ.

في اليوم التالي، اتصل قائد إيالة أخرى بالدكتور يسأله عن ذلك المبلغ، يجاوبه الدكتور قائلاً:

- لقد عثرنا على ذلك المبلغ. البارحة جلبوا المبلغ في العلبة.
- ألم تضع الدولة كمائن هناك؟
- نعم، هناك كمائن، لكن الشخصين الذين أرسلتهم هم من اللصوص المشهورين في آمد!
- هل سلمت المبلغ للصوص يا دكتور؟
- نعم.

- لم أفهم منك شيئاً يا دكتور!
- أفضل طريق لحفظ المبلغ هو أن نسلمه للصوص. لا يوجد لص يسرق نقوده.
كان الشتاء على وشك القدوم، وبدت الأشجار عارية، والجبال والوديان تكتسي بالبياض. كان الشتاء كموت يخفي في داخله ربيع قادم. الأشجار، الأنهار تتجمد من الصقيع، والرياح الجافة تهب من كل الجهات. كان الشتاء صعباً على الگريلا وخطراً أيضاً، كان يشبه الموت إلى حد ما.
كانت الأشجار التي تمنع رؤيتهم من قبل الحوامات قد باتت عارية من أوراقها، كما إن آثار أقدامهم كانت ستقود عدوهم إليهم. لذلك، لم يكن أمامهم حل سوى اللجوء إلى مقرهم ومخابئهم تحت الأرض. كان عليهم المسير في السواقي والأنهار كي لا يتركوا آثاراً وراءهم. كان عليهم العيش بتلك الطريقة إلى حلول فصل الربيع. كان "الدكتور سليمان" يعتبر فصل الشتاء هو الاستعداد للربيع. لم يكن ينقصهم شيء. حين بدأ الثلج بالهطول، مكثوا في مخابئهم وبدأوا بالدروس والتدريب النظري، يقرأون الكتب ويتناقشون عليها. في الصباح الباكر من يود أن يذهب إلى الرياضة الصباحية كان عليه أن يلبس جزمات بلاستيكية وينهي رياضته عند حافة النهر، وبعد الظهر، فترة استراحة يقرأ فيها البعض الكتب والبعض الآخر يتناقش مع رفاقه في بعض الأمور بينهم.
كانت الحياة تحت الأرض صعبة للغاية، لكن هؤلاء الشباب قد وضعوا أمام أعينهم الكثير ليقوموا به، فبلادهم محتلة، ولغتهم ممنوعة، وثقافتهم في خطر. الآلاف في السجون يقاومون الظلم، الملايين من أبناء شعبهم يسلكون طرق الهجرة. أما جيش الاحتلال، فكان يقصف بشكل يومي الزرع والحجر والشجر، يحرقون حتى الحشرات ويبثون الرعب في كل مكان، يزرعون عملائهم في كل مكان، يسمون بذلك الحياة والوحدة الاجتماعية في وطنهم.
كان البعض يقولون أن السبب في كل ما يجري هم الشباب الذين يحاربون في الجبال، لكن كانت هي الكذبة الكبرى لهم. في أعوام 1940 وحتى 1970، لم تكن هناك أية مقاومة في الجبال. لكن مع ذلك، لم يتوقف ظلم واضطهاد الدولة على الشعب الكردي. كان الغناء وحتى الصفير بالكردية ممنوعاً. كان الثقافة الكردية ممنوعة حينذاك أيضاً، ولم تكن تتوقف عن حملات الاعتقالات وتخويف وترهيب الشعب. كانت كردستان بالفعل أخطر من مستعمرة حتى. ذلك الظلم والاضطهاد على مدى عقود طويلة، جعل الشعب ينتفض ولا يقبل بالاستمرار في ذلك الوضع.

www.arsivakurdi.org

-27-

كان "أنور أفندي" قد استقر في قرية "ڤيندرێ" بعد عودته من "بنخَتێ". كانت طلقة بندقية الماوزر ما زالت معه، محتفظاً بها في خرقة من الحرير وملفوفة بعناية ويعلقها برقبته في أحيان كثيرة. كانت الذكرى الوحيدة التي بقيت معه منذ سنة 1925. كان يقول يسرد لأبناءه دائماً قصة تلك الطلقة التي يحملها معه منذ عقود.

في سنة 1993، حل "الدكتور سليمان" ومجموعة من الگريللا عليه ضيوفاً في قرية "ڤيندرێ". حين رأى "أنور أفندي" عشرة شبان مسلحين قادمين إلى بيته، أصابه الحماس وتذكر شبابه. قبل ستين سنة من الآن كان يمتشق بندقيته ويتسلق الجبال، مشاركاً في الانتفاضة. أما الآن، فهو عجوز، بلحية كثّة بيضاء، لا يقوى على الوقوف على قدميه. ظهره منحنية وعيونه غائرة. لكنه لم يفقد الأمل البتة. هذه الليلة ومنظر هؤلاء الشباب المسلحين أعاده إلى أيام يفاعته وعنفوان شبابه.

كان ضيوفه يشبهون رفاقه سنة 1925. نسي ألم ركبتيه وانحناء ظهره، وبدأ يصافحهم واحداً واحداً، وينظر إلى الأسلحة في أيديهم. كان ت بندقية الماوزر في زمانه أفضل سلاح، لكنه لم يرى أي أثر لتلك البندقية مع هؤلاء الشباب. كانت أسلحة هؤلاء الشباب غريبة عليه. كان يملك معلومات كافية عن الگريللا ويتابع أخبارهم بدقة. حين بدأ يتحدث معهم، رأى إن أفكارهم أيضاً حديثة وغريبة مثل أسلحتهم. كان الدكتور و"چكو" يريدون أن يسرد لهم شيئاً من مآثره في الماضي، أما هو، فكان يود أن يتحدث له أولئك الشباب عن المستقبل.

توزع المقاتلون على بيوت القرية، أما الدكتور و"چكو" فقد بقيا في منزل "أنور أفندي". كان إبنه "هادي" وابنته "زلێ" أيضاً في البيت. تأثر "أنور أفندي" بنقاش الدكتور معه وبدأ يذرف الدموع، ثم صاح على ابنته وطلب منها أن تأتي له بتلك الطلقة. ذهبت ابنته وعادت وهي تحمل خرقة وسلمتها لوالدها. بدأ ينظر إلى تلك الخرقة لدقائق، ثم أخرج الطلقة الصفراء منها وقال لهم:

-" هل ترون هذه الطلقة؟ أحتفظ بها منذ عام 1925. كانت هذه الطلقة هي عقدتي المستقبلية. أراد الكثيرون أخذها مني. كنت أرى إنني إذا تخليت عنها سأتخلى عن كل ماضيي. الآن استمعت إليكم وبت أثق فيكم. كنت أقول لنفسي إننا انهزمنا، لكنني بعد ان رأيتكم، أيقنت إننا لم نهزم بعد. كنت مخطئاً في ذلك، واقتنعت أن المقاومة مستمرة. الآن سأسلمكم أكثر شيئين لهما قيمة عندي. إحداها إبني هادي والأخرى هذه الطلقة. إبني هو مستقبلي، وهذه الطلقة هي ماضيّ."

ساد السكون الغرفة بعد كلماته هذه واتجه كل واحد منهم إلى فراشه، وفي اليوم التالي خرجت المجموعة من القرية ليلاً. حين عادوا إلى مقرهم، أتاهم خبر أن "مسعود" سوف يأتي إلى منطقتهم. فرح الدكتور بهذا الخبر، لأنه كان يعرف "مسعود" جيداً، وكان هذا حفيداً لـ"أمێ" أخت "عيسى خيرو". كان "مسعود" رجلاً ذكياً وخفيف الدم. كان منذ سنوات يناضل في صفوف التنظيم في أوربا. لذلك، قام الدكتور بالتحضير لمجيئه، وأرسل في طلب "الخال أحمد" المسؤول عن البغال والتبغ بشأن ذلك.

قصة "الخال أحمد" قصة غريبة وعجيبة. كان رجلاً سميناً وفي الخامسة والخمسين من عمره. كان من أهالي منطقة "داراهێنێ". حين بدأ الجنود الأتراك بقطع الأشجار خلف محطة "سوڤرنێ" وضعوا في يده معولاً كي يقوم بقطع الأشجار هناك. لكن تم إلقاء القبض عليه من قبل الگريللا. وثقوا يديه خلف ظهره وجلبوه إلى "الدكتور سليمان" الذي سأله:

- ألا تعلم إننا قد منعنا قطع الأشجار هنا؟
- كلا والله العظيم لم أسمع بذلك.

- عدم علمك بذلك لا يعفيك من العقوبة، لقد قطعت ثمانية أشجار حتى الآن، وقطع كل شجرة بإنسان. يعني إنك قتلت ثمانية آدميين. عقوبتك كبيرة وعلينا إعدامك رمياً بالرصاص، لكن لأنك أب لأطفال صغار، سأخفف عقوبتك إلى عقوبة مالية. عليك أن تدفع المال بدل قطع الأشجار تلك.
- أنا لا أملك أية نقود، لذلك ذهبت إلى قطع الأشجار.
- حسناً، كم إبن لديك؟
- خمسة، أربعة صبيان وبنت.
- كم يبلغ عمر أصغرهم؟
- عشرين سنة؟
- حسناً، سأطلق سراحك الآن وسأمهلك خمسة أيام، ستذهب إلى البيت وستأتي بإبنك الصغير لنا عوضاً عن الأشجار التي قطعتها.

لم يعترض "الخال أحمد" على كلام الدكتور. فكوا وثاقه وأخذه إثنان من المقاتلين إلى الغابة القريبة من المحطة. حين ذهب إلى البيت، تناقش مع أفراد أسرته في ذلك، وفي اليوم الخامس عاد إلى جبل "شارك". سأله الدكتور:
- لماذا لم تأت بإبنك معك؟
- إمنحني الفرصة كي أدافع عن نفسي يا دكتور. لا تقرر بدون أن تسمع كلامي. لقد اجتمعت مع زوجتي وأولادي وقلت لهم أن عقوبتي هي أن أمنح إبن لي لهم. لم يتفوهوا بكلمة، كررت عليهم كلامي، لكنهم لم يجاوبونني. قلت لهم ساعدونني في حل لذلك، لكنهم بقوا صامتين. قلت لهم أنا رجل ديمقراطي، سنكتب أسماء أربعتكم على ورقة ونسحب القرعة، على من وقعت القرعة سيأتي معي إلى الجبل، لكن وقعت القرعة عليّ أنا.

قهقه الدكتور ونظر إلى وضعه وكرشه الذي يمشي تحته ببطء، ثم قال له:
- ماذا تستطيع أن تفعل لنا؟
- أستطيع أن أقوم لكم بالعلاقات مع الشعب.

ضحك الدكتور مرة أخرى وقال: "مسؤول علاقات الشعب." ثم قال له: "حسناً، ستبقى. لكن عليك أن تكون صادقاً معنا. وستنفذ كل ما نطلبه منك. منذ الآن أنت مسؤول عن البغال والتبغ عندنا!

حين حل الليل، أرسل "الخال أحمد" مع الوفد الذي سيستقبل "مسعود". أرسله الدكتور معهم لأنه يعلم أن الإثنين قضيا وقتاً طويلاً من عمرهم في أضنة، وأراد يفاجئ "مسعود" بذلك. حين أتى "مسعود" إلى جبل "شارك"، سأله الدكتور:
- هل قرأت كتاب سليم أم لا؟
- نعم، قرأته. كل ما كتبه في ذلك الكتاب صحيح، لكن زمننا هذا ليس زمن قول الحقائق. الحقائق التي يتحدث عنها سليم تستطيع أن تدمر التنظيم حتى، لأن التنظيم خلق وضعاً إن غاص الإنسان فيه بعمق سيكتشف أمور كثيرة.

لأن ذلك الموضوع كان حساساً، لم يتوقفوا عليه كثيراً. سأل "مسعود" عن القرية التي فقد "حسن" فيها حياته، وسأل عن حماة القرى قائلاً:
- أما زال هناك حماة للقرى؟ كم هو عددهم؟
- في السابق كان عددهم خمسة عشر، أما الآن فعددهم وصل إلى خمسة وعشرين. لقد خططنا من أجل الانتقام، فأنت تعلم أن حسن قتل غدراً، وسنريهم الآن كيف يتم القتل غدراً.

بعد أسبوع من ذلك الحديث بينهم، عقد الدكتور اجتماعاً مع رفاقه، فهو منذ زمن يفكر بعملية ضد حماة

القرى. حين رأى استعداد رفاقه جميعهم للعملية. علق معاونه "جوتيار" على العملية قائلاً:
- لدي اقتراح. كما تعلمون أن هذه العملية هي ضد حماة القرى وضد قوات الدولة في نفس الوقت. لذلك، لا أرى مناسباً أن يشارك الدكتور ومسعود في هذه العملية. لأن الإثنان هم من أقرباء حسن، وقد يستشهدون في هذه العملية، حينها سيكون وقع ذلك قاسياً علينا.

حين وافق الجميع على هذا المقترح، ما كان من الدكتور ومسعود سوى الصمت، ثم تركا مكان الاجتماع وتوجها مع حراسهم إلى كهف آمن. بقي "جوتيار" في الاجتماع وأكمل حديثه للمقاتلين:
- " كما تعلمون يا رفاق أن أعداد حماة القرى كثير في منطقتنا. ومع إننا أرسلنا لهم كي يلقوا بأسلحتهم، لكنهم لم ينفذوا قرارنا. وقد حان الوقت كي نقوم بالتحرك ضدهم. الآن، اود أن أدخل لكم في تفاصيل الخطة التي وضعناها لأجل ذلك. لدينا علاقات في تلك القرية مع البعض هناك. حين استشهاد رفيقنا (حسن) كان هناك شخص لقبه (ولاتپارێز) هذا الشخص كان سبباً في فقدان رفيقنا (حسن) لحياته، حيث كان يتعامل معنا ومع الدولة في نفس الوقت، ويعتبر خائناً بالنسبة لنا. لكننا لم نقطع علاقتنا به لأجل هذا اليوم. سوف نقوم بتفخيخ كامل طريق القرية بالألغام كي نبيد كل قوات الدولة القادمة إلى القرية. حين ننتهي من ذلك، سوف نرسل في طلب ذلك الخائن ونقول له أن مجموعة من المقاتلين سوف يأتون إلى القرية ليلاً وعليك أن تؤمن لهم حاجتهم من مأكل ومشرب. وسنقول له أن رفاقنا يودون أن يجتمعوا مع القرويين. حين عودته إلى القرية، سوف نقوم بالبدء بالعملية. لأنه سوف يرسل المعلومة إلى المخفر، لكنهم حين يصلوا إلى طريق القرية، سيكونون قد وقعوا في كمين الألغام الذي وضعناه.

هذا هو القسم الأول من خطتنا. القسم الثاني، سننفذه ضد حماة القرى، سوف نلبس رفاقنا أزياء الكوماندوس التي اغتنمناها من مخفر (آكراگێ) ونضع عليها الرتب العسكرية، ونزودهم بنفس أسلحة الجند التي لدينا. سيلبس خمسة وعشرين رفيقاً هذه الثياب وسوف يختبئون خلف القرية، حين وقوع الجنود القادمين إلى القرية في الكمين وتبدأ الألغام بالانفجار، حينها ستدخل هذه المجموعة المختفية بزي الجنود إلى القرية ويجمعون حماة القرى، سيقومون بتنفيذ كل ما يطلبونهم منهم، لإنهم سيتصورون إنهم جنود للدولة. حينها سيطلب منهم الرفاق الخروج إلى خارج القرية، ثم يقتلون الخونة منهم."

قاطعه "روجهات" قائلاً:
- فهمنا كل شيء حتى هذه اللحظة يا رفيق جوتيار، لكن هناك نقص في العملية، وهو (ولاتپارێز) هذا، كيف سنراه ونتعرف عليه؟
- لا تهتم، سوف أقوم بوضع خطة لأجله لا يفكر فيها الشيطان بنفسه. سأقولها لكم فيما بعد.

تناقشوا مطولاً عن العملية، وعن عدد المقاتلين المشاركين. بعد ذلك، حددوا عشرة مقاتلين للقيام باستطلاع القرية، وتحديد مكان زرع الألغام على الطريق. وأجلوا اجتماعهم الموسع بعد عودة وحدة الاستطلاع.

في الليلة التالية، رافق "جوتيار" وحدة الاستطلاع تلك، وبدأ معهم باستكشاف الطرق والمواقع. لحسن حظهم لم يكن الطريق معبداً وهذا ما سيسهل عليهم مسألة زرع الألغام، كما وجدوا غابة قريبة من القرية، وحدد "جوتيار" مكان القناصين ومواقع المقاتلين على طرفي الطريق وفي الغابة ودوّن كل ملاحظاته على دفتره، ثم عادوا إلى مقرهم في الجبل.

عقدوا اجتماعاً مع أكثر من مائة وخمسين مقاتلاً من الگريلا، وحددوا المهام فيه. كان القائد "مروان" سيتولى مهمة الضابط الأكبر المتخفي في زي الكوماندوس. وانهوا اجتماعهم بعد اجتماع طال لساعات.

حددوا مجموعتين لزرع الألغام على الطريق، مجموعة تزرع الألغام والأخرى تقوم بحمايتهم، ثم يتبادلون الأدوار فيما بينهم. كان "جوتيار" سيكون بين الوحدة التي ستدخل القرية، أما "روجهات" ولأنه

خبير بالألغام، فكان سيقود الوحدات التي ستزرع الألغام ويشرف على تلك العملية.

قاموا بوضع الألغام تحت جنح الظلام، حفروا أماكن الألغام ووضعوا الديناميت في الحفر التي حفروها، وأعادوا الطريق كما كان. بقي الأمر أن يقوموا باستدعاء (ولاتپارێز). كان هناك حقل يبعد عن القرية مسافة كيلومتر واحد، وكانت هناك شجرة توت. في جذع الشجرة هناك ثقب واسع، كان يضعون الرسائل لـ(ولاتپارێز) في هذا الثقب، وهو بدوره يذهب يومياً ليرى أن كان هناك بريد في ذلك الصندوق أم لا، وفي هذه المرة، حمل رسالتهم وركب على حصانه الأبيض وتوجه إليهم في الجبل. كان (ولاتپارێز) هذا بعدة أوجه، لا بل بخمسين وجه. هو وطني معهم، وعميل وخائن للدولة. كان يقسم ويحلف إنه سينفذ كل ما يطلبونه منه. لكن الگريلا كانوا يعرفونه تمام المعرفة. سأله "جوتيار" حين رآه:

- ها قد أتيت يا (ولاتپارێز).

- الدكتور، أين هو الدكتور؟ كيف يطلبني الدكتور ولا آتِ. فور رؤيتي للرسالة في جذع الشجرة ركبت حصاني وأتيت بحجة أن لدي عمل في إحدى القرى.

اقترب منه "جوتيار" وقال له:

- حمداً لله على سلامتك. كيف هي الأوضاع في القرية؟ ألم تُقنع القوروجيين- حماة القرى، بعد؟

- قولوا للدكتور كي يمنحني المزيد من الوقت. لقد أقنعت نصفهم وأكثر حتى. أما البقية، فسأقنعهم أيضاً، لكن البعض منهم يخافون من الدولة، وحين أجد حلاً لخوفهم هذا، سأقنعهم هم أيضاً.

- حسناً، استمر في عملك كي لا يقفوا عائقاً في طريقنا. هل تعلم لماذا أرسلنا في طلبك؟ لقد نفذ التبغ لدينا. هل تستطيع أن تؤمن لنا كمية منه؟

- وهل طلبت مني شيئاً ولم ألبيه؟ لدي أربعة كيلوات في البيت، سأجلبها لكم.

- قل للوطنيين في القرية إن عدداً من الرفاق سيأتون غداً ليلاً إلى القرية ليعقدوا اجتماعاً معهم. على هذا الأمر أن يكون سراً ولا يعلم به القوروجيين (حماة القرى) بذلك. سوف تجتمعون في إحدى البيوت، هناك بعض الأمور سننقلها لكم في ذلك الاجتماع وعليكم أن تنفذوا كل ما يطلبه منكم الرفاق.

- سيكون من الأفضل أن يكون الدكتور معكم أيضاً. كل الوطنيين في القرية يودون رؤيته. نريده أن يأتي كي نرى قائدنا. نتحدث معه ونقدم له شكاوينا، وليكن مطمئناً، فلن يسمع أحد بهذا الاجتماع.

- سوف نطرح ذلك عليه. هو غير موجود الآن هنا، وحين عودته سأخبره كي يأتي معنا.

عاد (ولاتپارێز) إلى القرية، وبعد أن ربط حصانه، خرج مسرعاً من بيته متوجهاً إلى بيت رئيس حماة القرى وأعلمه بكل تفاصيل مجيء المقاتلين إلى القرية:

- ستأتي وحدة إلى القرية هذه الليلة، وهناك احتمال كبير أن يكون قائدهم الدكتور معهم. عليّ أن آخذ لهم التبغ. أخبروا المخفر ألا يأتي نهاراً، بل عليهم أن يأتوا ليلاً وعليّ أن اكون على علم بمجيئهم. سوف أتأكد من هؤلاء الخونة أولاً بموعد مجيئهم، ومن ثم تعلمون المخفر بتوقيت قدومهم.

- حسناً، سننتظر عودتك. عُد بسرعة، وسنعلمك بالأمر فور عدوتك. إذهب الآن وخذ التبغ إليهم الآن كي يثقوا بك.

- الحجل بات في المصيدة، أنت أخبر الآخرين بذلك كي يكونوا مستعدين.

حين أنهى من إخبار رئيس حماة القرى، غادر مسرعاً إلى البيت وحمل التبغ وركب حصانه. بعد ساعة من المسير، تم إيقافه من قبل وحدة من الگريلا التي لم تكن تعرف شيئاً عن الأمر، فاتصلوا عن طريق اللاسلكي مع "جوتيار" الذي قال لهم: "حسناً، اقبضوا عليه واربطوه جيداً وخذوه إلى الكهف وضعوا حارسين هناك. لا تضربوه، سنى لاحقاً ما سنفعل به." أخذوه سيراً على الأقدام إلى كهف يبعد عن هناك مسافة مسير ساعتين، وأخذوا حصانه إلى مكان آخر.

توقع "جوتيار" أن حماة القرى سيرسلون الخبر إلى الجنود في المخفر، لذلك أمر القادة بالتحرك السريع والاستعداد في مواقعهم المحددة.

سـار القائد "مروان" المختفي بزي الكوماندوس وخلفه وحدته المكونة من أربعة وعشـرين مقاتلاً مع سلاح رشاشاً وكانوا سيدخلون القرية.

أخبر حماة القرى المخفر بذلك، وقدموا بثلاثة عربات عسـكرية وتتقدمهم مدرعة إلى القرية، وظهرت أضواء عرباتهم في الساعة العاشرة. كان المقاتلين الذي زرعوا الألغام على أهبة الاستعداد، حين مرت العربة الأولى من الوادي، ضـغط المقاتل على جهاز التفجير، فارتفعت العربة عن الأرض ووقعت على طرف الطريق، أما العربات الأخرى، حين رأت تدمير المدرعة أمامهم، همت بالفرار من مكان التفجير.

انبطح رجال حماة القرى على الأرض حين سـمعوا صـوت التفجير القوي على الطريق بقرب القرية. كانوا ينتظرون قدوم الجنود إلى القرية. وسـرعان ما دخل القائد "مروان" بزيه العسـكرية مع وحدته إلى القرية. حين أوهم تقدموا منهم. قال لهم القائد "مروان" بغضب وبلغة تركية رصينة:

- التفتوا إلى اليسار وتوجهوا إلى التلة في صف واحد.

صفهم في صف نظامي خلف التلة، وطلب منهم الوقوف في أماكنهم، ثم قال لهم:

- هناك خائن بينكم، هو الذي وضع جنودنا في هذا الكمين. من هو هذا الخائن بينكم؟

قالوا بصوت واحد:

- لا يوجد خونة بيننا.

عرف أحد الرجال مقاتلاً من الگريلا وحمل بندقيته وأطلق عليه الرصـاص وأراده على الأرض جريحاً. لم يفهم حماة القرى بعد ما الذي يحدث، لكنهم بدأوا بالفرار. الذين لاذوا بالقرار إلى الغابة قد نجوا، أما البقية فقد قتلوا جميعاً.

أنهوا مهمتهم وحملوا المقاتل الجريح على ظهورهم حتى أوصـلوه إلى غابة بعيدة من هناك. ذهب أحد قادة الگريلا إلى ذلك الكهف الذي تم في سجن (ولاتپاريز) وقال للحراس:

- فكوا وثاقه واجلبوه إلى هنا.

بعد برهة جلبوه، كان مذعوراً وخائفاً. قال لهم متصنعاً ابتسامة زائفة:

- ما هذا؟ هل هناك خطأ ما؟

- كلا، لا يوجد أي شـيء. كان هناك احتمال أن نقوم بعملية كبيرة، ومن أجل حمايتك جلبناك إلى هنا. سنطلق سراحك بعد قليل. لقد جهّز الرفاق حقيبة في كتب وأشياء مهمة جداً. الحقيبة مغلقة وإياك أن تحاول فتحها. حين طلبناها منك عليك أن تعيدها لنا كما هي.

- حسـناً، أين هو الدكتور؟ أود رؤيته. سـآخذ الحقيبة، لكنني خفت أن يكون هناك خلل في الأمر لذلك قبض الرفاق علي.

- لا داع للخوف. نحن نعرفك جيداً. أما الدكتور، فقد غادر إلى منطقة أخرى.

- أين هو حصاني؟ طيف سأذهب بدونه. أريد حصاني.

- حصـانك غير موجود هنا الآن. من أجل العملية تلك وخوفاً عليه أخذناه إلى منطقة أخرى. أنت إذهب الآن وسنعيده إليك لاحقاً.

جاء مقاتل بحقيبة سـوداء ووضـعها على ظهر (ولاتپاريز) الذي مسـك بيد المقاتل وبدءا بالنزول من الجبل. كان سعيداً لأنه أطلق سراحه. كان يقول في نفسه: "لقد نجوت بنفسي هذه المرة أيضاً وضحكت على هؤلاء الحمقى." تركه المقاتل عائداً، أما هو، فركض مسرعاً.

ضغط المقاتل على الصاعق وانفجرت الحقيبة على ظهر (ولاتپاريز)، طار رأسه إلى مكان وجسده إلى

www.arsivakurdi.org

مكان آخر وتوزعت أطرافه في الغابة.

تم تقييم العملية لمدة ثلاثة أيام. كانوا منتصرين وخرجوا من العملية بأقل الخسائر. لم يكن أحد يعلم إلى متى ستدوم هذه الحرب الدموية.

أثناء انتفاضة الشيخ سعيد، قامت هذه المنطقة عن بكرة أبيها مع الانتفاضة. كانت مناطق "چوتلا، جبال شمى، كالبادين، مير اسماعيل، ليس، كارات، كوز، كلا سيا، گازا كوچ: كلها تحت رئاسة رئيس العشيرة "عمر فارو" ولم تكن تنسى هذه المناطق بطولاته. أصبحت هذه الجبال والوديان مرتعاً له، في كل كهف وعلى قمة كل جبل من تلك الجبال هناك قصص عن هذا البطل الشهم.

كان هناك شاب واسمه "لاژوان آمدي" ومنضماً إلى الگريلا في وحدة "الدكتور سليمان". يتحدث هذا الشاب عن تلك الأيام الشتائية القارسة والمصاعب التي لاقوها هناك:

" كانت هناك قرية باسم (هركين) تابعة لمنطقة (لجى) في آمد. كان نهر "هسارى" يمر من تلك المنطقة الجبلية. قررنا أن نؤسس مركزاً لنا هناك من أجل الشتاء. كان على الحبل قلعة واسمها قلعة "دز" وتحت القلعة بحيرة واسمها "چالا توپو"تأخرنا في نصب ذلك المركز بسبب عمليات التمشيط التي كانت تقوم بها الدولة. لكننا كنا ننتظر هطول الثلج كي يخفي آثار تحركاتنا هناك. كانت وحدتنا مكونة من تسعين مقاتلاً وثلاثين مقاتلة. كنا نود أن نؤسس تلك المراكز على حافتي نهر "هسارى" ونحفر ممرات تصل غرف المقر بعضها ببعض. حفرنا بعض الحفر وغطيناها. كان الثلج يهطل بغزارة. في فترة المغيب، ظهرت حوامات عسكرية في السماء وكنا مكشوفين لها. بدأت الحوامات بالقصف. أصابت القذيفة الأولى غرفة القيادة التي لم ننتهي منها بعد. ركض جميع الرفاق يودون الاختباء من القصف. كنت من حارسا الدكتور سليمان الذي كان جالساً في حفرة وينظر إلى الحوامة في السماء وسلاحه في يده. حين ابتعدت الحوامة، وضع يده اليسرى على أسفل ظهره من جهة اليسار، يود بذلك أن يخفف من ألم كليته. حين دارت الحوامة دورة أخرى، رميت بنفسي في الحفرة وقلت للدكتور كي يختبئ بدوره، لكنه نظر إلي وقال ضاحكاً: "لنرى، فقد تقع قذيفة بالقرب مني وتفتتني وتخلصني من هذه الحجارة في كليتي." كان هناك حارس آخر له واسمه (جمعة) كان هذا شخصاً ضخم الجسد، رمى بنفسه على الدكتور وسقط الاثنان في الحفرة. سحبنا أن و(جمعة) الدكتور إلى الممر. كان ما يزال يضحك، وقال لحارسه جمعة: " لقد عجنت كل جسمي تحتك يا رجل، قسماً بالله ان قذيفة الحوامة أهون لدي من ضخامتك هذه فوقي." ضحكنا جميعنا من كلامه.

قد يكون لحسن حظنا أن الجو قد تغير، وبدأ الثلج يهطل بغزارة مما جعل الحوامات تترك المنطقة، لأنها لا تستطيع التحليق في هكذا جو.

بعد ذلك، عقدنا اجتماعاً، وأتذكر كل من في الاجتماع حينذاك: الدكتور سليمان، چكو، گولان، ناصر، هارون شمزيني، أشرف معروف، ميديا وسيبان. قررنا في الاجتماع عبور نهر "هسارى" والتوجه إلى قرية "ريزێ" كان الجو بارداً جداً وهبت عاصفة ثلجية علينا. حملنا ما نستطيع حمله من طعام، وحملنا أسلحتنا وبدأنا بعبور النهر. مائة وعشرين مقاتلاً سرنا خلف بعضنا البعض. أحياناً كنت أنظر خلفي، فلا أرى نهاية قافلتنا. عبرنا النهر بأحذيتنا، حتى أن الماء أحياناً كان يصل إلى مستوى صدورنا. لم يكن أحد يعلم ماذا جرى في هذه الأصقاع في الماضي. كانت هذه الجبال والوديان كمقرات لقادة انتفاضة الشيخ سعيد. وكان خلف هذه الجبال (حفرة موسى).

كان (موسى) هذا بعض هزيمة الانتفاضة قد قضى سبعة سنين في تلك الحفرة. أصدرت الدولة بعد الانتفاضة خمسة اعفاءات عن المشاركين في الانتفاضة، لكن (موسى) لأنه لم يكن يثق فيهم، لم يسلم نفسه لهم. كان لديه مجموعة من الأصدقاء، وكان "عبدالرحمن بني" من أعز أصدقاءه. حارب الجنود في هذه الجبال، وكلما تحس الدولة بلجوءه إلى إحدى القرى، تقوم بتدمير تلك القرية وإحراقها، لذلك، كان عليه

اللجوء إلى تلك الحفرة كي لا يتأذى القرويين من ذهابه إليهم.
بدأت الدولة بزرع الفتن كي تتخلص منه، لذلك بدأت بالقبض على القرويين وتعذيبهم، وتحثهم على إعلام الدولة عن مكان موســى أو قتله، لكنها لم تفلح في خطتها هذه، لأن القرويون لم يتعاونوا معهم. بعد ذلك أرادت أن تضـرب المنتفضـين بعضـهم ببعض، وأرسـلت خبراً إلى "عبدالرحمن بني" بإنه إن قتل "موســى" فإنهم سـيعفون عنه وعن أخيه. فما كان من هذا إلا وتربص بصـديقه عند نبعة الماء وأراده مع أخيه "محو" قتيلاً."
كانت حياة الگريللا في الجبال بتلك الصعوبة، صعوبة لا توصف ولا تفي الكلمات حقها. أما في المدن، فقد تغيرت الحياة هناك أيضـاً، فكلما تزداد عمليات وانتصـارات الگريللا، كلما يلتف الشـعب حولهم، وتبدأ الدولة بسـياسـتها القمعية ضـد الشـعب. بدأت تقتل الناس جهاراً تحت مسـمى "فاعل مجهول" وجعلت من المدن التي تهاب الدخول إليها مناطق ممنوعة. كانت القرى تفرغ من ســاكنيها، وتحرق الغابات كي لا تستطيع قوات الگريللا الاستفادة من جغرافية المنطقة. بدأت سلسلة الهجرات بسبب سياسات الدولة هذه، حيث بدأت الهجرة إلى المدن الكبرى وأطرافها، كما توجه الآلاف إلى الدول الأوربية، لكنهم لم ينســوا محنة شـــعبهم، وهناك من أوربا بدأوا بالقيام بالمظاهرات أمام المقرات والتنظيمات الدولية دعماً لمقاومة الگريللا. بدأ المهاجرون إلى أوربا بالعمل والدراســة هنا، وبدأوا يرســلون المســاعدات المادية إلى قيادة الحزب. هذه المســاعدات أصــبحت كنقمة بدل أن تكون نعمة. حيث تسـلط رجل مشـكوك في أمره يدعى "عبدالله أوجلان" على كل مفاصـل الحزب وبنى لنفسـه سـلطنة تحت ظل النظام السـوري. كما هناك مجموعة مرتبطة به في اقليم جنوب كردســتان تعمل تحت أوامر ايران. هذه المجموعة بنت له ســلطنة خاصــة بها هنا بعد ان شــرعنت خيانة أوجلان. هؤلاء، مع أوجلان، كانوا بعيدون عن معاناة الشــعب والگريللا. كانوا قد وضـعوا كل المسـاعدات المادية وكل القيادة تحت سـلطتهم، وبدأوا رويداً رويداً بتغيير استراتيجية وأهداف وأصدقاء وأعداء "PKK".
لم تكن قوات الگريللا التي كانت تحارب العدو في الجبهات، على علم بما يجري في القيادة، ومن كان يعلم، كان مجبرٌ على الاستمرار ويغمض عينيه عن الحقائق.
كان "عبدالله أوجلان" متضايقاً من كتاب "آيات آپو" الذي كتبه "سليم" وبدأ يشك في "الدكتور سليمان" أيضــاً. اتصــل عبدالله أوجلان باللاســلكي مع جميل بايك في قنديل وقال له: "أخبروا الدكتور ســليمان كي يكتب شيئاً عن سليم بحسب منهاج الحزب، سوف ننشر كتابته تلك في منشورات الحزب." كتب كل من "الدكتور سليمان" و"مسعود" مقالة يقللون فيها من حجم "سليم". ونشرت تلك المقالات بعد مدة في جريدة تصدر في أوربا وكان أسمها "برخُدان- المقاومة". مع ذلك، لم يثق أوجلان بـــ"الدكتور سليمان" وكان قد قال: "قام سليم بمحاصـرتنا سياسياً والدكتور سليمان يحاصـرنا عسكرياً". ثم قرر أخيراً مثول "الدكتور سليمان" إليه في دمشق.
مع حلول فصــل الربيع، كان عليه أن يترك وحدته ويتوجه إلى دمشـــق. لكن الجو كان ما زال بارداً والشــتاء لم ينتهي بعد، وكانت الوحدة قد بنت مقراتها بالقرب من "هێنی" و"گازتپه". كانوا يقضــون الليل في القرى، لكن كان هناك عملاء للدولة في كل قرية يأوون إليها، والظاهر أن بعض العملاء قد أخبر الدولة بمكانه في تلك القرية.
حين يصل الخبر إلى الدولة أن قوات الگريللا في إحدى القرى، كانت تخمن أيضاً أن مخابئهم قريبة من هناك، وعلى ذلك الأســاس كانت تعد لعمليات التمشــيط. كانت قوات الگريللا بدورها يصــلها الخبر، فقد كانت استخباراتها بين الناس أكثر نشاطاً من استخبارات الدولة.
جين ســمع "الدكتور ســليمان" أن الجنود يتمركزون في المخافر القريبة، دعا الوحدات إلى اجتماع

عاجل، وقرروا وضع الكمائن أمامهم وترك المخابئ والانتشار على وحدات صغيرة.

كان تعداد الگريللا مائة وخمسـون مقاتلاً، توزع الجميع على وحدات صـغيرة وفي كل وحدة جهاز لاسـلكي، كان الدكتور يتصـل بهم جميعهم ويأمرهم بالتحرك إلى النقاط المتفق عليها ويفهم منهم تحركات العدو. بعد برهة ظهرت قافلتين من العربات والجند. امر الدكتور بإطلاق القذائف على العربات العسكرية، وسرعان ما أصبحت المنطقة ساحة حرب شرسة. كان الجنود مع حماة القرى في الكمين وبالكاد يدافعون عن أنفسـهم. فجأة سمع الدكتور أصوات الحوامات في السماء. كانت حوامة تحلق على مسافة منخفضة وترمي بقذائفها على الجبل. أمر الدكتور كل الوحدات قائلاً: "حين معاودة الحوامة للقصـف وعودتها إلى منطقة الاشـتباك، على جميع الوحدات توجيه بنادقهم صـوبها والرمي عليها." وكان كذلك، أصـبحت كل الطلقات والقذائف ترمى صوب الحوامة التي سرعان ما شب فيها حريق وسقطت في منطقة جبلية قريبة عليهم. بدأ "روجهات" من فرحه بالرقص، أما المقاتلات فبدأن الزغاريد فرحاً. انسحبت الحوامة الأخرى ولم تعد تسمع أصوات الطلقات وكأن أمراً عسكرياً قد جاء إلى جميع قطعاتهم بالانسحاب. قتل الكثير من الجند في ذلك الكمين، كما أن قائدهم كان قتل في الحوامة التي سقطت. سمع الدكتور أن ثلاثة مقاتلين فقدوا حياتهم في تلك العملية، وحين رأى إنهم لا يسـتطيعون أخذ جثثهم، أمر البقية بالانسـحاب الفوري من ذلك المكان.

كان الدكتور و"روجهات" يسيران سوية. قال له الدكتور:

- هل تعلم ماذا تذكرت حيت رأيت الحوامة ذاهبة؟

- ماذا؟

- أنت تدري أن جدتك فاطمة نزحت مع مجموعة أخرى إلى "بنخَتىَ" سـنة 1927، كان يختبئون في "قرجداغ" خلف الصـخور. تحلق فوقهم حوامة وتريد ان تقصـفهم، لكن المنتفضـين يسـقطونها ببندقية الماوزر. بعد سبعين سنة من تلك الحادثة، ها أنت أيضاً مع رفاقك تسقطون طائرة مرة أخرى.

- بالفعل إنها صـدفى عجيبة. تغيرت الأسـلحة التي في أيدينا فقط، وهم غيّروا حواماتهم. عدا ذلك لم يتغير شيء. أعتقد ان روح جدتي أيضاً فرحت لسقوط تلك الطائرة.

عاد القوات إلى مقرها. بعدها بيوم سـمعوا الأخبار من الراديو تقول: "في 12 كانون الثاني في منطقة گازتيه العائدة لمدينة آمد سقطت طائرة هليكوبتر من نوع سكورسكي بسبب عطل فني فيها، وعلى إثرها فقد الجنرال قائد القوى الجوية في آمد (آلباي أكيجي) وستة جنود آخرين حياتهم."

أما والي منطقة الطوارئ "أونال أركان" فقد صـرح بالتالي: "احترقت الطائرة حين سـقوطها، وفور سـماعنا للخبر أرسلنا الجنرال (حسـن كونداكجي) والوحدات الرديفة إلى المنطقة. لم يتم سـقوط الحوامة بالقذائف، بل سقطت بسبب عطل فيها، وقد سقطت الحوامة خارج منطقة الاشتباكات. إن تم سقوطها في الاشتباك كنا سنعلن ذلك."

www.arsivakurdi.org

هل تظنون أن الجبال تبكي أيضاً؟ الجبال تبكي حين تتألم! إن سمعتم قصصها، ستجلسون في اماكنكم وتبدأون بالنواح. لا أعلم أن كنتم قد سمعتم بجبال "منگنێ"؟ هل قرأت الشاعر الكردستاني "أحمد عارف" يقول في قصيدة له:

" هذه الجبال، جبال منگنێ
حين ينبثق الفجر عليها من (وان)
هذه الجبال، هي صغار (نمرود)
حين ينبثق الفجر عليها مقابل جبال (نمرود)
تكتسي بالثلوج من جهة، جهة أفق القفقاس
والجهة الأخرى سجود، ملك للعجم
على القمم، يتدلى الصقيع
والقُبّرات الهلعة على الأنهر والسواقي
وقطعان الأيل
وأسراب الحجل"

تقول الكتب التاريخية أن "الپارت" كانوا أول قوم سكنوا هذه الجبال. بعدهم، جاء الساسانيون. يتحاربون هم والبيزنطيين على هذه الجبال. في سنة 645 ميلادية، تبدأ سيوف العرب المسلمين تصطك في هذه الجبال. تسيل أنهار من الدماء، ويقبل شعب المنطقة بالإسلام كي يحمي نفسه من الفناء. بعدها، جاء المغول، ويهرب المظلومين إلى هذه الجبال ويختبئون فيها. بعدهم، تعبر فيلة "تيمورلنك" هذه الجبال. بعدهم، يأتي أجداد الترك، ويتحاربون مع الصفويين. هذه الجبال لم تهدأ، لكن لا ينتصر أحد من القادمين إلى هذه الجبال ولا المغادرين، ويبقى شعب هذه المنطقة لا يستطيع أي منهم اقتلاعه من جذوره. المستعمرين والغزاة كالفصول، يغادرون ويأتون، لكن من يبقى، هم شعب المنطقة، الشعب الكردي. هذه الجبال التي لم تنكس قممها أمام السلطان سليمان القانوني. سميت هذا الجبل على إسم امراة وكان اسمها "هاراڤيل". يبلغ علو جبل "منگنێ" 3.412 متراً، أما جبل "هاراڤيل" فيبلغ ارتفاعه 3.468. الفارق بين ارتفاع الجبلين هو خمسين متر فقط. هذين الجبلين يقعان في منطقة "شاخ" وكإنهم يبكيان منذ فجر التاريخ من الظلم الذي لاقوه، وتشكل من دموعهم نهر "زێ".

كأن نهر "زێ" هي إبنة ذلك الجبلين. يقول الجغرافيون أن طول نهر "الزاب" يبلغ 310 كيلومتراً، يمر من مناطق ووديان "جولميرگ" و"چلێ" بدون توقف.

تعرّف هذا النهر على الكثير من الحضارات وأصبح إسمه يرد في القصص والأخبار. يُقال أن صيادٌ للأيائل حين يتسلق جبل "جيلو" باحثاً عن صيده، يقع من على سفح الجبل. بعد مدة يجدونه على حافة هذا النهر غائباً عن الوعي. يأخذونه من هناك إلى إحدى المصايف. ضمّدوا جراحه، وحين يفتح عينيه، يجد أمامه إحدى جميلات المصايف، ويعشقها من أول نظرة حتى يصبح أبكماً لا يقوى على التحدث. لا ينسى هذه الجميلة ولا يفارقه محياها. يُقرر أخيراً أن يذهب ليطلب يدها من والدها. يطلب منه والد الفتاة أن يبني جسراً على نهر "زێ" مهراً لابنته. يقبل الصياد مكرهاً بطلب والدة الفتاة، ويبدأ ببناء الجسر، حتى ينتهي منه بعد أشهر. يرسل في طلب والد كي يأتي ويرى الجسر، إن أعجبه، فإنه سيأخذ عشيقته حينذاك. حين يصل خبر بناء الجسر إلى المصايف، يأتي جمعت كبير من الناس وينظرون إلى الجسر، فيرون جسراً

حجرياً يصل حافتي النهر ببعضهما، فاستغربوا من الأمر وقالوا بين بعضهم أن هذا من عمل الشياطين. لذلك يهابون المرور من فوق الجسر. حين ترى جميلة المصايف أن الناس تهاب المرور من فوق الجسر، تقول له: " سآتي معك، لأنهم يرونك شيطاناً. تعال وخذني"، فعبرت من فوق الجسر ومسكت يده واختفيا عن الأنظار. منذ ذلك اليوم أسموا ذلك الجسر بـ"پرا شيتان" أي "جسر الشيطان".

قامت أقوام مختلفة بتسميات عديدة على هذا النهر. العرب أسموه بــــ"زاب الخابور"، والترك أسموه بـ"الزاپ"، والسريانيين اسموه "زوڤو ألويو، زاڤا ألايا".

انشطر هذا النهر كما كردستان إلى أجزاء. القسم العلوي منه لم يتحرر بعد من الأسر. أما حين ينتهي عند جسر "بلبل" فإنه يجري بعنفوان ويكسر قيوده وأغلاله. يُغير النهر لونه في جريانه، في السهول يكون لون ماءه أبيضاً، وفي الأماكن المنبسطة يصبح لونه أزرقاً وأخضراً ساكناً، وفي الربيع يتحول لونه إلى البُنّي.

كان جبل "رش" الجبل الأسود قد تحرر، لا سلطة لصدام ولا للحكومة التركية عليه. كان ذلك الجبل تحت سلطة قوات پيشمرگه "ملا مصطفى بارزاني" وقد أنشأوا مقراتهم على طرفي النهر. كانت الجبال تحد النهر من الطرفين. من اليمين جبل "رش" الذي كان اسمه القديم جبل "پركالا"، وكهف "بريندار" و "كورێ ژهرو"، ومن اليسار يحده "كاني ماسي" و"متينا" وجبل "گارێ". كانت هناك سهول ووديان أيضاً بين هذه الجبال. كانت الثلوج الذائبة تزود النهر بالماء ما يزيد عنفوانه وخريره. كان أنواع وأنواع من الورود والأشجار تنبت في تلك المنطقة التي يمدها النهر بنسغ الحياة. كانت الأشجار والورود تغطي كل تلك المساحات، بحيث أصبحت مرتعاً لعشق أبدي بين البلابل والورود.

من مدينة "دهوك" في جنوبي كردستان، يسافر المرء بالحافلة إلى مدينة "أميدية" المعربة إلى العمادية. وكلما تسير الحافلة، يجد المرء قمم الجبال الواحدة تلو الأخرى أمامه. في البداية تظهر المدينة على قمة الجبل، بجدرانها الأثرية القديمة وشوارعها وساحاتها التي تُسرد فيها قصص نوح وآشو بانيبال وقصص القائد الميدي "مد كيا" وقصص صلاح الدين الأيوبي. يختلط في هذه المدينة العصر القديم والحديث بين بعضهما، كما يجد المرء الكنائس والجوامع قريبة من بعضها. إن دخلتم المدينة من الجهة العلوية، ستؤدي الطريق بكم إلى ناحية "ديرلوك". جغرافية تلك المنطقة لا يوصف جمالها. وسترون جبل "كورێ ژارو" أمامكم وكإنه ينظر إليكم. إن أكملتم المسير، سوف تصلون إلى "شيلادزى". يوجد في جبال "جوليمرگ" تسعة وخمسون نهراً وساقية وينبوعاً. هذه الأنهار والينابيع تصب في الأنهار الكبيرة، وتشبه أعصاب الجسد. حين خروجكم من "شيلادزى" سوف تلتقون بنهر "آڤاشين". في كردستان المحررة، ترى أن نهر "باسان" ونهر "آڤاشين" كأخين توأمين، مع أن ينبعون من منطقة مختلفة، إلا إنهم يتقابلان في أغلب المناطقن وحين يتقابلان، يكون لون أحدهم أزرقاً والآخر أخضراً.

تبدأ قصتنا في هذه المنطقة. تقول كتب التاريخ أن "الشيخ عبدالسلام بارزاني" قد قام بانتفاضة ضد الامبراطورية العثمانية في هذه المنطقة. وتقوم جنود الامبراطورية بالقبض عليه بواسطة أحد العملاء الكُرد. يأخذونه إلى مدينة الموصل، وفي سنة 1914 يتم محاكمته من قبل والي الموصل "نازيف سليمان" الكردي الأصل بمحاكمة غير عادلة، ومن ثم يعدمونه شنقاً هناك.

بعد موت "الشيخ عبدالسلام بارزاني، يترأس شقيقه "الشيخ أحمد بارزاني" المقاومة ضد العثمانيين، ويساند "الشيخ محمود البرزنجي" الذي قام بانتفاضة ضد الانكليز سنة 1919، وتصبح كردستان المحتلة من قبل الانكليز ساحة للانتفاضات. الانكليز الذين كانوا يحتلون العراق وقتذاك، لم ينتصروا في احتلال كردستان. يقوم "الشيخ أحمد بارزاني" بضم تلك المناطق الخاضعة تحت حمايته. ثم يبرز نجم أخيه "ملا

مصطفى بارزاني" الذي يقود الثورة ضد النظام في العراق، وأحياناً ما كان يلجأ إلى كردستان الجزء الملحق بايران.

في تلك المنطقة بايران، كان الحزب الديمقراطي الكردستاني- ايران، يقوم بمحاربة الايرانيين. جمع "ملا مصطفى" لجنة الحرية هناك وقيّموا الوضع هناك وبدأوا بتأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني، واستفادوا من الظروف التي خلقتها الحرب العالمية الثانية، وتوحدوا مع الكُرد في ايران، وفي سنة 1946 أعلنوا الجمهورية التي كانت عاصمتها مدينة "مهاباد".

لم تدم تلك الجمهورية الوليدة كثيراً حين وقف الاتحاد السوفييتي الدعم عنها. توجه "ملا مصطفى بارزاني" مع قواته من البيشمرگه إلى روسيا السوفيتية بعد مسير شاق وطويل. تلك القوات لم تقطع الأمل بالرغم من المصاعب والويلات التي لاقوها تحت حكم ستالين هناك. في سنة 1958، وبزوال الحكم الملكي في العراق، قرر الحكم الجديد الاعتراف بالكُرد، لذلك عاد "ملا مصطفى" والبيشمرگه إلى الوطن.
يعيش قرابة أربعة ملايين كردي في جنوب كردستان. وككل الثورات، أطلقت الثورة العراقية شعارات الأخوة والمساواة والحرية والتقدم، وعلى أساس إنها ستمنح الحكم الذاتي للكُرد. لكنهم لم يفوا بوعودهم. بعد ان استلم صدام حسين الحكم في العراق، أصبح الوضع من سيء إلى أسوأ، وبدأ البيشمرگه بالقتال والتوجه إلى الجبال مرة أخرى.

في عام 1982، كانت قوات الگريلا التي تتلقى التدريبات العسكرية في وادي البقاع تدخل إلى مدينة القامشلي في الأراضي الخاضعة للاحتلال السوري، ومن هناك يجتازون نهر دجلة بالزوارق ويصلون إلى جبال كردستام. كانت هذه الجبال كلها تحت سيطرة الحزب الديمقراطي الكردستاني وكان سكرتير هذا الحزب هو "مسعود بارزاني". وكي يستقروا هناك، عقدوا لقاءات مع الحزب الديمقراطي الكردستاني، ثم وقعوا إلى اتفاق، بموجبه أنشأت بعض المعسكرات لعناصر حزب العمال الكردستاني (PKK).

كان غرض "PKK " هو البقاء هناك بشكل مؤقت، حيث من هناك كانت ستقوم بالعمليات ضد الدولة التركية، وقامت بذلك بالفعل بتاريخ 15 آب 1984 وهاجموا من هناك مخافر ""دهێ" و"شمزينان" وبذلك أعلنت الكفاح المسلح. بعد مدة من ذلك، قام النظام السوري والايراني بوضع قيادة "PKK " تحت سلطتهما وكي تضرب المنظمات الكردية بعضها ببعض، وضعوا الخطط كي تجعل من جنوبي كردستان ساحة للمعارك. في أعوام 1994 و 1995، بعد أن مني "PKK " بخسائر فادحة في عمليتي "مراد" وچليک" مع الدولة التركية، وانسحبت بذلك من مواقعها، وخاصة قوات الگريلا في إيالتي "بوطان" و"خرزان" التي لجأت إلى جنوبي كردستان.

كانت قيادة "PKK " لا تجيد ولا تفهم في إدارة الحروب، وكانت تدير الحرب من بعيد في جنوبي كردستان. كان هؤلاء تحت أمرة أوجلان المقيم في دمشق ولا يقترب من مناطق الحروب البتة. قيم مركز قيادة "PKK " الخسائر التي مني بها الحزب في عمليتي "مراد" و"جليک" على إنها "عدم فهم لاستراتيجية الحزب" لذلك أرسلت المقاتلين في المراكز العليا والوسطى إلى وادي "زێ" لتلقي التدريبات. كان "دوران كالكان" الذين لا يفقه شيئاً من المعارك وإدارتها يقوم بتدريسهم وتدريبهم، وبحسب ما قيل، تمت تأنيب اربعمائة شخص وطلبوا منهم النقد الذاتي وأن يتلقوا التدريبات. عدا ذلك، كان هناك المئات من قوات الگريلا في جبال جنوب كردستان. كان هناك طابورين للگريلا في جبال "زاغروس"، وطابورين في "متينا" و "حفتانين". كذلك كان هناك الكثير من المقاتلين القادمين من شمالي كردستان لتلقي التدريبات، كذلك القادمين من دمشق والعائدون إليها يلتقون هناك.

انعقد المؤتمرالخامس لـــــ"PKK " سنة 1994 في هذه الجبال. ومن مقررات المؤتمر كان ألا يتم

الاشـــتباك بين التنظيمات الكردية. لم تمض مدة من ذلك القرار حتى وصـــل قرار إلى قيادات "PKK " موقع من قبل "جميل بايك" يقول فيه:"عليكم أن تســتعدوا للحرب مع الحزب الديمقراطي الكردســتاني." وعلى أساس تلك الرسالة قرروا تنفيذ هجمات على مخافر الحزب الديمقراطي في "حفتانين، سنخَت، زێ، مزوريان، شرڤان، گارێ، كاتو، چيايێ سپی، متينا، زين، گوڤندێ و خاكوركێ."

بحســب "عبدالخالق بايیری" القيادي في الحزب الديمقراطي الكردســتاني، فإن أجهزوة المخابرات السورية والايرانية قد عقدت لقاء مع عبدالله أوجلان في دمشق. كانت المخابرات الايرانية تود أن تؤسس ممراً بعمق ثلاثين كيلومتراً يمتد من الحدود الايرانية وحتى الحدود الســورية عبر الحدود التركية وعلى "PKK" ان يقوم بـإنشـــاء هذا الممر. من أجل ذلك أرادوا أن يقوم الحزب بداية بـالحرب مع الحزب الديمقراطي الكردستاني في تلك المنطقة الجبلية. وضع القيادي في الحزب "علي حيد قايتان" بوضع خطة تلك الحرب، ودعا القيادات المهمة في الحزب ومن بينهم "شـمدين سـاكك" و"الدكتور سـليمان" إلى تلك المنطقة. أما الشـباب القادمين من سـوريا، فقد شـكلوا وحدة بإسـم "طوابير باهوز" وكانت تحت قيادة "حاميلي يلدرم" الذي كان قد خرج من السجن حديثاً، وبدورهم توجهوا إلى جنوب كردستان.

حزب العمال الكردســتاني الذي تلقى الهزائم مع الدولة التركية، بات يوجه بنادقه صـوب الكُرد الفارين من قمع صــدام حســين إلى الجبال وبدأت حرب البقاء والفناء في تلك الجبال، ســتبدأ حرباً مع كُرد لا يطأطأون رؤوسهم للطغيان. ستبدأ باحتلال تلك القرى والجبال وتبني هناك "جمهورية زێ".

اســتطاع الحزب إقناع مؤيديه على تلك الحرب اســتناداً على ثلاثة نقاط وهي: أولاً، قامت بالدعاية أن الحزب الديمقراطي الكردســتاني له علاقات مع الدولة التركية. ثانياً، الحزب الديمقراطي الكردســتاني هو حزب عشـائري واقطاعي. ثالثاً، كان "PKK" يرى نفســه ممثلاً لأجزاء كردســتان الأربعة. الشـباب القادمون من شمالي كردستان كانوا متسلحين بالفكر الشيوعي، ومتأثرين بالفكر الستاليني في توجهاتهم.

كان العمال الذين يقيمون في الدول الرأســمالية، يهتمون بالنقابات، لكنهم النزعة العشــائرية للقرويين القاطنين في الجبال لم تكن مهمة لهم. كانوا يقفون ضد علاقات الحزب الديمقراطي الكردستاني مع تركيا، لكنهم يرون في علاقات حزبهم مع العراق، ســوريا، وتركيا على إنه إتفاق ثوري. كانوا ينفذون أوامر وتعليمات هذه الدول الثلاثة، لكن في مناطق الحزب الديمقراطي، لم يكونوا بحاجة غلى تعليمات، لا بل كانوا يودون أن يبنوا سلطتهم في تلك المناطق.

هذه النزعة، قامت بالهجوم على الحزب الديمقراطي الكردســتاني، وأسـمت عملياتها هذه بعمليات "15 آب الثانية"[13]. قبل ذلك الهجوم، كانت علاقات الحزبين يشــوبها بعض التوترات، لكنهم كانوا يودون أن يحلو تلك التوترات بطرق ســلمية. كانت اللجان تنعقد من الطرفين من أجل إيجاد الحلول. كانت الحزب الديمقراطي الكردستاني لا يقبل بالعمليات المنطلقة من أراضـيها، أما "PKK " فكان يود أن يسـتغل تلك المنطقة في حربه. أتت الأوامر من أوجلان المقيم في دمشـق "أهجموا على قوات الپيشـمرگه ونظفوا تلك المنطقة منهم وأسسوا اماكنكم هناك"، ولأنهم كانوا قد أعدوا نفسهم مسبقاً لذلك الهجوم، لذلك غافلوا قوات الحزب الـديمقراطي، قـاموا بـالهجوم على ثلاثين مخفراً للحزب في ليلـة واحـدة. كـانـت قوات الحزب الديمقراطي لم تكن تعلم بالهجوم عليهم، لذلك فر البعض منهم وانقذوا أنفســهم، والبعض الآخر فقد حياته في القتال.

---

13 . قامت "PKK " بالهجوم على منطقتي "شمزينان" و"دهێ". وأعلنت بذلك للرأي العام العالمي بداية الكفاح المسلح ضد الدولة التركية.

كان مركز الهجوم في وادي الزاب، وفي أعالي "ديرلوك" ومنطقة جبل "سپى" في منطقة جبال "متينا" و "كورێ ژهرو"، وكان المسؤول المباشر عن تلك المنطقة هو "علي حيدر قايتان".

بعد ذلك الهجوم، استطاع "PKK " ان يبسط سيطرته على تلك المناطق، أما قوات الحزب الديمقراطي الكردستاني التي لم تكن تتوقع مثل ذلك الهجوم، فقد انسحبت من تلك المناطق. لكن ذلك الوضع لم يدم طويلاً، حيث قيم الحزب الديمقراطي الوضع وبدأ بالهجوم على تلك المناطق. بدأت "حرب الأخوة" في الوديان العصية على الأعداء.

بعد بدأ حرب الأخوة بشهرين، وصل "الدكتور سليمان" إلى منطقة "الزاب" وراى نفسه في خضم الحرب فور وصوله. كانت قوات الحزب الديمقراطي الكردستاني قد أعادت سيطرتها على تلك المناطق التي خسرتها في ذلك الهجوم الأول. كان "دوران كالكان" قد ترك مهامه في تدريب القوات وابتعد عن تلك المنطقة. أما "علي حيدر قايتان" الذي لم يكن يفهم شيئاً من تكتيكات الحروب، فكان وكإنه ينتظر قدوم "الدكتور سليمان" وسرعان ما وضع القيادة في يد الدكتور.

كان "الدكتور سليمان" يعرف تلك المنطقة جيداً ولم يكن يحبذ تلك الحرب وكان صعباً عليه المشاركة فيها. خرج مع مجموعة من الرفاق للتعرف على تلك المنطقة. حين وصل إلى هضبة هناك، كان ينظر من بعيد إلى مدينة "آميدية" وقالوا له أن الفنان الكردي "تحسين طه" من مواليد هذه المدينة. وحين توفي في 28 نيسان سنة 1995 في هولندا، وري الثرى في مدينته هذه.

كان "تحسين طه" بالنسبة للدكتور، رمزاً ضد حرب الأخوة. والآن يرى نفسه مشاركاً في هذه الحرب. كان قد قرر الذهاب إلى قبره، لكن لم يبح بذلك لمن حوله. سار في تلك السلسلة الجبلية المحيطة بالمدينة، ثم قال لأفراد حمايته هناك: "إبقوا في أماكنكم، سأذهب بدون سلاح إلى الأسفل وسأعود لاحقاً."

كان الوقت ظهراً حين دخل إلى مقبرة المدينة. كان يبحث بين القبور، فقد كانت الكتابات على شواهد القبور كلها بالأخرف العربية. وكي يعثر على القبر بسرعة، توجه إلى إمرأة كانت تبكي عند إحدى القبور وقال لها: "هل تعلمين أين هو قبر تحسين طه؟" مسحت المرأة دموعها وأشرت بيدها إلى إحدى القبور وقالت :"هذا هو قبره." سار "الدكتور سليمان" بخطوات مثقلة إلى القبر. وبدون أن ينطق بكلمة عاد إلى الجبل. في الطريق فتح جهاز التسجيل الذي في جيبه ووضعه على أغاني "تحسين طه" المفضلة لديه.

أخرج خارطة منطقة "آميدية، ديرلوك وشيلازي" في جولته تلك، كانت عربات وحدات الپيشمرگه تسير في تلك الطريق. كان يستطيع أن يضع الكمائن في طريقهم ويكبدهم الخسائر فيها. عقد اجتماع مع رفاقه وبموجبه، وزع الوحدات على تلك المناطق وأسند لكل وحدة مهامها.

كان الجميع في خنادقهم متهيأين للقتال وينتظرون عربات الپيشمرگه كي تمر من تلك الطريق. كان "دريژ" لا يحب القتال ضد الپيشمرگه منذ البداية، لذلك كان يقول في نفسه: "ماذا سأفعل إن ظهرت عربات الپيشمرگه؟" كان في غمرة تفكيره حين ظهرت دورية للبيشمركة من بعيد، فما كان منه إلا أن أطلق رصاصة من بندقيته. حين سمعت قوات الپيشمرگه صوت إطلاق ناري، بدأت بالنزول من العربات وتسلقوا الجبال، فقد أدركوا أن هناك كميناً أمامهم. حينها أخبرت الوحدات "الدكتور سليمان" بأن طلقة من بندقية "دريژ" قد سببت في عدم تنفيذ الكمين، فقال لهم: "أرسلوه إلى مركز القيادة، وأنتم احموا انفسكم وانسحبوا من أماكنكم."

بعدها، بدأت المعركة، كانت قوات الپيشمرگه قد تحصنت في التلال الاستراتيجية، وتحاول محاصرة الگريلا. كان "الدكتور سليمان" يقود العملية من تلة بعدية عالية ويتحدث باللاسلكي مع "گابار" المسؤول عن الهجوم وقال له: "خذوا سلاح البي كي سي إلى تلك التلة العالية." أمر "گابار" المقاتلة التي كانت

تستعمل ذلك الرشاش لتنفيذ ذلك الأمر. فجأة، وقع "گابار" أرضاً وأغمي عليه. أدرك رفاقه إن طلقة قد أصابته وكانت الطلقة في رأسه، وقد سقط اللاسلكي من يده على الأرض، فحمل أحد العناصر اللاسلكي وسمع صوت الدكتور وهو ينادي على "گابار"، فقالوا له أنه مصاب بطلقة في رأسه لكنه ما زال يتنفس. فأمرهم أن يجلبوه إلى المقر حياً أو ميتاً.

كانت صداقته مع "گابار" تمتد إلى أيام الدراسة في "چوليگ" و"كاني رش". إنضما إلى "PKK" أثناء دراستهم في الجامعة، والتقيا للمرة الثانية في مدينة "آمد".

كان "سليم" قد كتب رسالة من ستين صفحة عن زوجته التي في الجبل وقد قيل إنها فقدت حياتها، كانت هذه الرسالة قد تم نشرها من قبل طلبة الجامعة، وحينذاك، أعطى "الدكتور سليمان" نسخة من تلك الرسالة إلى صديقه "گابار".

لقاؤهم الرابع كان في شتاء سنة 1992 في منطقة "پاسورێ"، وكان الإثنان في صفوف الگريللا، لكن كان الدكتور قائده في تلك المنطقة. أما لقاؤهم الخامس فكان في وادي "الزاب" وهنا، أصيب "گابار" بطلقة في رأسه.

أمر الدكتور القوات بالانسحاب، وحين وصلوا إلى المقر، لاحظوا أن أحد العناصر غير موجود، وحين تأكدوا من الأمر، علموا أن أحد الگريللا وكان اسمه "هبون" غير موجود بين الرفاق.

كان "دريژ" الذي أطلق تلك الرصاصة، قد ألقي القبض عليه وقد صدر بحقه حكم الإعدام من قبل "علي حيدر قايتان" بعد المحاكمة، كانوا قد ربطوه يديه خلف ظهره ووضعوه بين صخرتين ووضعوا المقاتلة "مايا" كحارسة عليه. حين أتى الخبر أن "هبون" في حصار لقوات البيشمرگه في منطقة "كابار". حينذاك كانوا يتهيأون لإعدام "دريژ". لكن "علي حيدر قايتان" ناداه وقال له:

- سأعفو عنك بشرط واحد. الرفيق هبون في حصار بمنطقة البيشمرگه، عليك أن تذهب وتأتي به سالماً.

فرح "دريژ" بطلبه وقبله. كان يعرف "هبون" عن قرب ويحبه حباً جماً. فكوا وثاقه هناك وسلموه بندقيته. أراد أن يذهب، لكن "علي حيدر" سحب "مايا" على طرف وقال لها:

- استعدي انتي أيضاً، سوف تذهبين معه وتبقين كحارسة عليه. إن حاول الفرار أطلقي عليه النار فوراً.

قبيل الغروب، سار "دريژ" صوب وجهته و"مايا" خلفه بعدة خطوات. حل الليل حين وصولهم إلى جبل "كابار". كانت "مايا" مقاتلة ملتزمة، وقد أسند لها الحزب هذه المهمة المقدسة وعليها أن تؤديها على أكمل وجه. لذلك، كان عليها أن تراقبه فقط، ولا تتحدث معه. كان "دريژ" يدرك إنه لا يستطيع الوصول إلى "هبون" في حلكة الليل هذه، لذلك، ما ان رأى ساتراً حتى توقف عنده وأراد أن يقضب ليلته خلف ذلك الساتر، لذلك أسند بندقيته على صخرة قريبة منه وخلع قفطانه الملون ووضعه على الأرض وجلس عليه. أما "مايا" حين رأته يقوم بذلك، علمت إنه لن يكمل المسير ولا يستطيع التحرك ليلاً، لذلك جلست هي أيضاً في مكان يكون "دريژ" تحت مراقبتها فيه. حضنت بندقيتها وجلست في مكانها. كان الجو دافئاً والهدوء والصمت يسود ذلك المكان.

كانت "مايا" فتاة قروية، بالكاد أنهت دراستها الابتدائية. لمتكن تفهم بالأفكار والايديولوجيات، فكل ما يطلبه منها الحزب عليها أن تنفذه. وما عليها إلا مراقبة "دريژ" وإن حاول الفرار، فإنها ستطلق عليه النار مطبقة التعليمات بحذافيرها. كان "دريژ" يعلم إنها لن تنام، لذلك أغلق عينيه وغط في نوم عميق.

في منتصف الليل، فاق على صوت "مايا"، لم يصدق عينيه، كان "هبون" واقفاً معها، فقد كان مختبئاً في الغابة ويسير ليلاً كي يصل إلى المقر، لكنه رأى "مايا" ولجأ إليها. قام "دريژ" ولبس قفطانه وحضن رفيقه فرحاً برؤيته سالماً وفرحاً بنجاته من حكم الإعدام الصادر بحقه. بعد برهة من سؤالهم على أحوال

بعض، ساروا باتجاه العودة إلى المقر.

كان هناك مقاتل من كُرد روجافا "كردستان سوريا" قد ترك كلية الطب في دمشق والتحق بصفوف الحزب يشرف على جرح "گابار" الذي أصيب بطلقة في رأسه. بعد معاينته، لاحظ الطبيب أن الطلقة قد أتلفت أعصاب الدماغ وأثرت على جمجمته. لم يكن يستطيع أن يفعل له شيئاً سوى إنه وضعه في خيمة خاصة ووضع إبر السيروم في يده ولف رأسه بشاش الجروح. بعد اسبوعين، حين فتح عينيه، أحس بألم فظيع في رأسه، وضع يده على رأسه، فأحس برأسه متورماً. حين أخبروا الدكتور سليمان أن "گابار" قد فتح عينيه، ركض مسرعاً إلى خيمته. كان الأطباء قد قالوا له: "حتى لو فتح عينيه، إلا أنه سيفقد ذاكرته." لذلك، قال له الدكتور: "گابار، هل تتذكر فتاة من چوليگ كان اسمها خديجة. كنت تحبها. هل تتذكرها؟"

- نعم أتذكرها يا دكتور.

فرح الدكتور بجوابه وقال له:

- إذاً أنت بخير.

www.arsivakurdi.org

هناك جبل بين جنوب كردستان والحدود الايرانية، إسمه جبل "قنديل"، منذ سنة 2000 يعد هذا الجبل معقلاً كبيراً لحزب العمال الكردستاني. يوجد في هذا الجبل معسكرات للحزب، وكل الشباب القادمين من أجزاء كردستان الأربعة ومن أوربا، يأتون إلى هذه المعسكرات لتلقي التدريبات العسكرية فيه.

كان "ژيان" الذييتلقى تدريبه في مدرسة الضباط يسرد قصته التراجيدية التي لن ينساها أبداً، كان يسردها والدموع تذرف من عينيه قائلاً: "في ذلك اليوم، بعد الرياضة الصباحية. اجتمعنا في ذلك المكان الذي يقولون له مدرسة الضباط. كان (عباس) عضو المجلس الرئاسي سيعطينا الدروس. كما كل مرة، يبدأ درسه بنبذة مختصرة عن آخر الأخبار، وحسب قول (عباس) أن الليلة الفائتة كان هناك عرس قد أقيم في إحدى القرى في منطقة (گڤر)، وبعد انتهاء حفلة العرس، حاولت وحدة من الگريلا الذهاب إلى نفس القرية، لكنهم وقعوا في كمين للعدو. وبدأ يشرح عن هذه الواقعة بقوله: (نحن نعلم جيداً ان العريس هو من أخبر قوات الدولة عن ذهاب رفاقنا إلى القرية. سوف ننتقم وبقوة منه. اليوم سوق تذهب وحدة من الگريلا، وسيأتون بالعريس ووالديه والعروسة إلى هنا)".

بعد أسبوعن جلبوا العريس ووالديه والعروس إلى جبل قنديل. اجتمعنا جميعنا هناك. وبحسب ما قالوا إن العريس قد اعترف بإنه هو من أخبر الدولة بقدوم الگريلا إلى القرية. بدأت المحكمة في الساعة التاسعة. كان "عباس" هو القاضي، والمحكمة كانت تدار من قبله. كان والدي العريس بين أربعمائة عنصر من الگريلا يتابعون مجريات محاكمة إبنهم، وبعد قراءة الإدعاء بأن العريس تسبب في مقتل أربعة مقاتلين من الكريلا، لذلك حكمت عليه المحكمة بالإعدام رمياً بالرصاص. قال العريس هلعاً: "أنا مرتبط بالحزب وبالقائد. اطلب المغفرة منكم."

كان الظاهر أن الذين حققوا معه قد ضغطوا عليه كثيراً، وطلبوا منه أن يدافع عن نفسه ويطلب الصفح بهذه الطريقة. لكنهم قالوا أن قرار الإعدام سوف ينفذ بحق العريس.

كنا نحن الطلبة جالسين في صف واحد في الساحة. ربطوا يدا العريس خلف ظهره وربطوا عينيه بقطعة قماش، ثم اقتادوه إلى صخرة تبعد مسافة أمتار عن الساحة. جاء خمسة وعشرين مقاتلاً في زي موحد يحملون بنادقهم. أمرهم قائدهم كي يهيئوا أنفسهم للرمي، وما هي لحظات إلا وأمر بإطلاق النار. خمسة وعشرين طلقة دفعة واحدة أصابت العريس ووقع من فوق الصخرة جثة هامدة.

رفعت والدته يديها إلى السماء، والعبرات تملأ مقلتيها. أما والده، فكانت شفتاه ترتجفان، يدعو الله ونبيه.

قمنا من أماكننا، وأخذوا والدي العريس من هناك، ثم حفروا حفرة هناك وجروا جثة العريس من رجليه ورموها في تلك الحفرة، ثم ألقوا التراب عليها.

بعد أسبوع، عينوا العروسة كمقاتلة بين الگريلا بشكل إجباري. وأرسلوا والدي العريس إلى قريتهما.

بعد مدة قصيرة من تلك الحادثة، كنا نستمع إلى الدرس في مدرسة الضباط. دخل عضو المدلس الرئاسي جميل بايك إلى الغرفة. قمنا جميعنا من أماكننا. فأشر بيده إلينا كي نجلس. تحدث لنا عن حادثة ذلك العريس الذي أعدم وقال: "أود أن أخبركم بقصة ذلك العريس الذي نفذنا بحقه حكم الإعدام. لقد أخطأنا بحقه. وتأكدنا إنه لم يخبر عن رفاقنا. بل أن فتاة من نفس القرية كانت على علاقة مع قائد وحدتنا تلك، وكانت تتصل به هاتفياً، وكانت أجهزة العدو تراقب المكالمات وعن طريقها، عرفوا بلحظة قدوم رفاقنا إلى القرية ووضعوهم في الكمين. هل تعلمون كيف عرفنا هذا الأمر؟ تلك الفتاة اعترفت بعد التحقيق بكل ذلك وشرحت كل شيء بكل وضوح."

كان "الدكتور سليمان" ذاهباً إلى دمشق للقاء قائد الحزب الذي لديه كلمة الفصل في كل شيء. في إحدى الحارات المحيطة بدمشق واسمها "الغوطة" التي يسكن فيها أغنياء المدينة. في فسحة واسعة هناك كانت "مدرسة معصوم قورقماز المركزية للحزب". كانت القطعات العسكرية للجيش السوري تحيط بتلك المدرسة. كان باب المدرسة واسعاً، ويؤدي إلى حديقة المدرسة. بعد الباب الرئيسي كان هناك مبنى مكون كابقين، يحرسه مسلحين. وعلى اليسار منه، كان هناك باب حديدي يؤدي إلى مبنى آخر، وكان ذلك المكان هو السجن.

كانت أشجار المشمش تغطي حديقة المعسكر. ويتوسطها فيلا مصبوغة باللون السماوي يتوسط حديقتها مسبح، وقد عمروا جداراً حول ذلك المسبح والفيلا.

كان عبدالله أوجلان يقيم في تلك الفيلا حين يأتي إلى تلك المدرسة، حيث يسبح هو وضيوفه في ذلك المسبح. وما عداه، لم يكن مسموحاً لأحد الدخول إليها، إلا الحراس والنسوة اللاتي تعلمن في مطبخها.

الضيوف القادمون الجدد والكوادر المنضمين حديثاً إلى المدرسة، كان عبدالله أوجلان يدعوهم إلى وليمة في هذه الفيلا.

كان الباب الخارجي للفيلا يؤدي إلى ساحة واسعة تعد مكاناً للتدريب، ويتسع لأربعمائة شخص. ومقابل تلك الساحة كانت الحمامات ودور المياه. ومن تلك الساحة، يؤدي ممر هناك إلى مكان نوم الكوادر، وخلفها مطبخ كبير فيه كراسي خشبية طويلة كان الكوادر يتناولون فيه طعامهم.

على الجانب الآخر من المطبخ، كان هناك بهو بين أشجار المشمش، ومصفوف حوله كراس بلاستيكية، كان الگريلا يجلسون عليها ويستمعون إلى أوجلان الذي يضع يديه خلف ظهره ويتحدث لهم لساعات وساعات.

كانت هناك قاعة للرياضة بالقرب من الفيلا، مزودة بأماكن جلوس المشجعين أيضاً. كان عبدالله أوجلان حين يأتي إلى هناك يلعب مع الكوادر لعبة كرة القدم. لم يكن يحق لأحد الكلام بصوت عال إلا هو، وحين يحقق أوجلان هدفاً، كان أعضاء الفريقين والجمهور يصفقون له.

في سنة 1996، اتجه "الدكتور سليمان" و"هيام" من جنوبي كردستان إلى تلك المدرسة. كان "شمدين ساكك" محل اهتمام عبدالله أوجلان. ذلك القائد- شمدين- كان قد أصبح كأسطورة في الجبال، وذاع إسمه في الأصقاع، وأصبح هدفاً لسهام وقلم البروفيسور "يالچين كوچوك[14]". بحسب عبدالله أوجلان، فقد توقف القتال ومسؤول ذلك الوقف هو "شمدين ساكك" ولإقناعه بذلك، كان على أوجلان اللقاء بمساعديه وهما "الدكتور سليمان" و"هايام". بعدها كان سيقوم بتصفية "شمدين"، وبجسب أوجلان فإنه قد انتهى من حادثة "سليم" منذ مدة.

قبل توجه "الدكتور سليمان" إلى دمشق، كان قد انتقد مجبراً كتاب "آيات آپو" التي كتبها أخاه "سليم" بشكل كتابي. وقد أجبروا كل أعضاء الحزب ومؤيديه على قراءة ذلك الانتقاد.

" كنت انظر بطرف عيني إلى المشاكل، كلمات أصبحت مفردات كـ:النية الصادقة، والحقيقة والصميمية كمقياس لي. لم أنظر إلى المشاكل من وجهة نظر طبقية. لم أقبل الخيانة والخداع. لم أكن أنني متأثر بموجة

14 . يالچين كوچوك هو بروفيسور تركي، كان يُعرف بأنه يساري مثقف. في سنة 1990 كان ينشر مقالاته في الدوريات التي يصدرها "PKK". بعدها ذهب إلى دمشق وقابل عبدالله أوجلان. بقي مدة طويلة في دمشق. ثم في شهر تشرين الأول سنة 1998 عاد إلى تركيا، وبعده بسنة عاد عبدالله أوجلان أيضاً. أشيع عن يالچين كوچوك إنه عضو في تنظيم "أرغنكون" الذي تأسس من قبل الجيش التركي وقد ثبتت تلك الإدعاءات في محاكمته، وحكم عليه بالسجن عشرين عاماً. بعد المصالحة بين رجب طيب أردوغان وتنظيم أرغنكون، أفرج عنه من السجن.

www.arsivakurd.org

التحريض، فذلك التأثير له تبعاته على كل مفاصــل حياتنا. منذ خروجي من الســجن وحتى أمد قريب، لم أكن أقتنع إنها ستؤثر علي بذلك الشكل وتجعلني ألا أقف بوجهها بتلك القوة اللازمة."[15]

الموقف البطولي لـــــ"سـليم" الذي كتب كتاب "آيات آپو"، ذلك الموقف في سـجن "آمد" وأمام معذبيه ومحاكماتهم، دفاعه عن كردستان وحقها في الاستقلال، كل ذلك كان مثار ضيق عبدالله أوجلان منه، وكي يقوموا بتقزيم مواقفه البطولية تلك، أجبروا أخاه الدكتور سليمان على كتابة مثل تلك المقالات التافهة.

يعتبر عبدالله أوجلان أن كتابة "سـليم" لكتاب "آيات آپو" هو نوع من التحريض. حين قرأ أوجلان هذا الكتاب، ارتجف وأصيب بالهلع. وكان أمر قتل الكاتب والناشر قد صدر. طلب كل من "علي حيدر قايتان" و"عباس" إلى دمشـــق وعقدوا اجتماعاً. لأيام كانوا يتناقشـــون حول هذا الكتاب. وقد تم نشـــر لقاءاتهم واجتماعاتهم في كتيب تحت عنوان "من الانتفاضـــة الاولى إلى حرب الشـــعب، فك عقدة الكُرد، تقييمات شهر تشرين الأول" بين أعضاء التنظيم.

لم يتحلوا بأية قيم نقدية تجاه ذلك الكتاب. في تلك السـاحة، في مدرسـة الحزب بدمشـق، وبحضـور كبار قادة الحزب، قال لهم أوجلان: "من منكم قرأ كتاب آيات آپو؟ يقول كاتب الكتاب إنني قمت بالكوارث بحق المجتمع الكردي. يتحدث عن مواضيع المرأة باستفاضة. لا أعلم"

يرد عليه "علي حيدر قايتان": لقد وضـــع زوجته (ميديا) كمثال على ذلك، عليه أن يعيدها من (ميديا) إلى (آيسل)- كان اسم زوجة سليم هو آيسل لكن اسمها المستعار بين الگريلا كان ميديا-. يقول (سليم) في كتابه، إن إسـمها لم يتغير عن عبث. حين تحولت (آيسـل) إلى (ميديا) تغيرت شـخصـيتها. هكذا غسـلوا أدمغتهم."

كان "علي حيدر" يقول: "آيسل هو اسم مؤنث تركي، إنه ينتقدنا لأننا غيرنا إسمها إلى إسم كردي. بذلك الشكل يفسر ذلك التغيير".

بعدها يتكلم أوجلان ويقول:

"عبدالله أوجلان يبحث عن آيسل القديمة. آيسل التركية أصبحت ميديا (بحسب قناعاته أن آيسل كانت تركية قبل أن تتعرف عليه، لكنه أعادها إلى أصلها الكردي) وكيف أصبحت حين تحولت إلى كردستانية. كان آيسـل سـليلة الكمالية. وكانت سـتتحول إلى حلقة في مسـلسـل الخيانة، وكانت تخون تاريخها. جعلناه تخوض المقاومة. لكنه يقول لنا إننا دنسـنا آيسـل. ليت كان لدينا متسـع من الوقت ونكتب روايات عن هذا الموضوع، ونحدد إنكار الأصول في مدارسهم، ونحدد كيف كانوا يبعدونهم عن انسانيتهم"[16]

يستمر في حديثه لهم ويقول: "أصبح ناطقاً باسم النظام. حين كنت اتحدث عن الخلاص القومي وإحياء القومية، انقلبت أمورهم رأســاً على عقب، وهو يعلم بذلك. له علاقات جيدة مع آيســل. كان يقول أحد الخارجين من السجن أن سليم من أجل لقاء واحد بآيسل يستطيع أن يغير جلده أربعين مرة. من يغير آراءه أربعين مرة من أجل لقاء، من أجل كأس من الشـاي، من أجل لفافة تبغ، لم يقبل بأشـخاص مثلي أصـبحوا أبطالاً لشعوبهم،وسيصبح حجر عثرة أمام علاقاتنا. لأنه شخص أناني وأسير عواطفه الأنانية. لقد انكشف أمره في الســجن أيضــاً. مع من كان يتناقش ويتحدث. هناك الكثير من أمثال هؤلاء في التاريخ. عملاء، وحقودين، يقفون أمام حركتنا ويدنسون آبار زمزم. ويتوقع إن مثّل هذا الجانب فسيصبح مشهوراً وسيخلد

15 . وثائق المؤتمر الخامس، التقارير النقدية للمؤتمر. الدكتور سليمان، 14.11.1994، ص 292-293

16 . من الانتفاضـة الاولى إلى حرب الشـعب، فك عقدة الكُرد، تقييمات شـهر تشـرين الأول. منشـورات أكاديمية معصـوم قورقماز، ص332-333

اسمه. لا أود أن أشرح لكم من هو سلمان رشدي. هذا الرجل يرى نفسه وكإنه سلمان رشدي. ومقولته (آيات) أتت من هناك. (آيات شيطانية) (آيات آپو) (آيات لا أعرف من ومن..."[17]

كان "الدكتور سليمان" يعرف كل هذه المعلومات، وسيتم استدعاءه إلى دمشق، ثم سيضعونه تحت المراقبة فيها. في يوم وصوله إلى تلك المدرسة، تمت دعوته هو و"هايام". جلسوا على مائدة الطعام. كان أوجلان يضع اللحم بيديه في صحونهم، ويقول لهم: "كلوا، كلوا واعرفوا قيمة ما تأكلونه." بتلك الطريقة كان يحتقرهم.

بعد خمسة أيام من مكوثهم في المدرسة، عقدوا اجتماعاً في قيادة المدرسة. كان كل شيء يسير بشكل طبيعي. في الهزيع الأخير من الليل، لجأ الدكتور إلى فراشه، فقد أضناه التعب. تمدد على فراشه الذي كان مفروشاً على الأرض ووضع رأسه على المخدة. أحس بنتوء في أرضية الفرشة تلك، كان منزعجاً من وجودها. مدّ يده كي يعرف ما هو هذا النتوء، كان كتاباً تحت فراشه. نظر إليه، كان عنوان الكتاب "الميثولوجيا اليونانية" لكنه حين تصفح الصفحة الأولى، كان مكتوباً عليه "آيات آپو". سمع الكثير عن هذا الكتاب منذ سنوات عديدة، لكنه لم يكن قد قرأه بعد. أدرك إنهم تقصدوا في وضع هذا الكتاب تحت فراشه. لكنه لم يفهم لماذا وضعوه ضمن غلاف كتاب "الميثولوجيا اليونانية". قلب صفحاته، وكان مكتوباً على الصفحة الثانية باسم "إتحاف ÎTHAF" العبارة التالية: "أهدي هذا الكتاب لهؤلاء الأشخاص: إلى مظلوم دوغان، الذي علمني أن أنتفض في وجه الطغمة الفاشية في سجن آمد، عبدالكريم أمنجي وديلاور يلدرم، الذين أقرّا ديكتاتورية أوجلان الحقيقية في وادي البقاع، وأطلقوا الرصاص على رؤوسهم وجعلوني أدرك دكتاتوريته تلك. إلى العالم القدير أسماعيل بيشكچي الذي أقدر آراءه عالياً في مجال تحليله للايديولوجية." لم يقلب الصفحة حتى أنهى قراءة هذا الإهداء.

حين حلّ الفجر وأشرقت الشمس، أراد وضع الكتاب في مكانه الأول، وفي الليلة التالية قرأ الصفحات الأخيرة من الكتاب ووضعه في مكانه الأول، وكان يراقب ذلك المكان دائماً. كان في يومه الثاني عشر في المدرسة.

في ذلك اليوم الذي دعاهم أوجلان إلى وليمة الطعام لديه، دخلت فتاة جميلة إلى الفيللا، حملت الكتاب المعنون "الميثولوجيا اليونانية" وخرجت. نظرت حولها يميناً ويساراً، وسارت صوت غرف الفيللا مسرعة. في الأيام الأولى لقدومه، كانت تحاول االتقرب من "الدكتور سليمان" وتتودد إليه. قد يكون ذلك التودد أيضاً بأمر من أوجلان.

في النهاية، أدرك "الدكتور سليمان" أن تلك الفتاة كانت مدفوعة من قبل أوجلان للقيام بتلك المهمة، لكنه لم يلاحظ أية نية سيئة من طرفها، بل كانت منزعجة من أوجلان، كما إنها لم تحصل على أية معلومات لا من الدكتور ولا من "هايام" لكن، حين أعجب الدكتور بتلك الفتاة، وقعت في شباكه فوراً.

كان عبدالله أوجلان قد لغى المرأة من حياة كل الرجال من حوله، وكان يقول أن المرأة هي سبب كل هزائم الرجال، وأقنع الكثيرين من حوله بهذه الكذبة، والآن، لكي ينتقم من الدكتور سليمان شقيق "سليم" وكل الگريلا الذين من حولهم، وضع في طريقه فتاة إسمها "پاندورا". لم يعمل الدكتور بنصيحة أخيه في كتاب "آيات آپو" وأصبح عاشقاً لـ"پاندورا".

لم تناقش "الدكتور سليمان" مع أحد عن كتاب "آيات آپو". لكن بعد ان ترك الحزب سنة 2000، كتب

---

17 . من الانتفاضة الاولى إلى حرب الشعب، فك عقدة الكُرد، تقييمات شهر تشرين الأول. منشورات أكاديمية معصوم قورقماز، ص358

في الطبعة الثالثة منه ما يلي:
" كنت بين صفوف الگريلا في منطقة چوليگ حين فرّ سليم من سجن (بار الياس) سنة 1993 ولجأ إلى بيروت، حينذاك كنا نتصل عن طريق اللاسلكي مع قيادة التنظيم. إتصل بي جميل بايك في إحدى الأيام وقال لي أن سليم قد فرّ من صفوف التنظيم وقد يؤثر على أهالي چوليگ من أوريا. قال لي أن القائد يود منك أن تكتب مقالة عنه في أسرع وقت وترسلها إلينا، وقال أيضاً، من المفضل أن يشاركك مسعود أيضاً في كتابة المقالة."[18]

كان عبدالله أوجلان تحت مظلة سوريا وإيران وتركيا، وضع كل مقدرات الحزب وأمواله تحت تصرفه. أراد بمقالة "الدكتور سليمان" عن ذلك الكتاب أن يقول: "أنظروا، ها هو أخاه لا يثق به. إن كان كلامه صحيحاً لكان أخاه أول من صدقه. وبهذه المقال يكشف زيف وكذب أخيه." أراد أن يخدع قيادييه ومن حوله بذلك. لكن الحقيقة أن "الدكتورسليمان" لم يكن قد قرأ الكتاب، ولم يكن يعلم شيئاً عن مضمونه حتى ولا يعلم أية خيانة كشفها أخاه من خلال ذلك الكتاب. كان الدكتور في غمرة المعارك في جبال "چوليگ"، ولم يكن يسمع صوى أصوات طلقات البنادق والقذائف.

"كنا نحن الگريلا في ذلك الوقت في معمعة العمليات العسكرية، لم يكن لدينا الوقت لأي شيء آخر. بعد اسبوع آخر، اتصل جميل بايك بي مرة أخرى وأراد أن نرسل له المقالة. كتبنا أن ومسعود مقالة بأسلوب حزبي ضد سليم وأرسلناها إليه. كنت في تلك الأثناء قد وصلت إلى الجبل حديثاًً وكنت في معمعة الثورة، لا أبالي بشي سوى المقاومة. كنت أنا ورفاقي الگريلا لا نثق بشيء سوى الكفاح المسلح وكنا نرى أمام أعيننا التخبط في صفوف الجيش التركي. لكن الحزب، لم يقم معنا الخطوات المرجوة، لا بل أراد أن يضع الگريلا سلاحه. حين كنا ندقق في خسائرنا في الحرب، تلك الخسائر التي لما كنا منينا بها لو إننا قرأنا كتاب سليم."[19]

بقي "الدكتور سليمان" ستة أشهر يحارب في الجبال، قام هو ورفاقه بواجباتهم بدون تقصير. لم يكونوا يعلمون أن قوات الگريلا قد باتت سلاحاً في يد الأعداء عن طريق قيادة الحزب. كان المقاتلين يرون أن سبب خسائرهم في المعارك يعود إلى إنهم لا ينفذون أوامر عبدالله أوجلان من دمشق بحذافيرها، وقد دفعتهم قلة حيلتهم إلى التفكير بهذا المنحى. لكن "الدكتور سليمان" عين عاد إلى دمشق، سيتحدث عن مسيرة خمسة سنين بهذه الحقائق التي رآها:

" في عام 1996، عدت إلى سوريا. حين قرأت كتاب آيات آپو في ذلك المكان، مرّت الأحداث أمام عيني كشريط فلم سينمائي. رأيت في الكتاب ما لم أستطع تفسيره حين كنت في الجبل. أدركت في ذلك اليوم أن كل ما قالوه عن سليم كان محض أكاذيب، ولأنه كشف تلك الحقائق، لفقوا هذه الأكاذيب ضده."[20]

حين تطغى الاكاذيب في حياتنا، لا يستطيع أي كان أن يكشف الحقائق. كان "سليم" سجيناً حتى عام 1991، ولم يرى الأكاذيب وصدقها بدوره، لكنه تعثر بجدار الكذب حين خرج من السجن وغادر إلى دمشق. الملايين الذي كانوا يخرجون في التظاهرات والفعاليات، صدقوا تلك الأكاذيب، وكذّبوا كل الحقائق بدون دراية. بعد أن قرأ "الدكتور سليمان" كتاب أخيه، بدأ حينها بوضع يده على الحقائق التي كان شاهداً عليها. يقول "الدكتور سليمان":

---

18 . آيات آپو، منشورات دوز، استانبول، الطبعة3، ص388

19 . آيات آپو، منشورات دوز، استانبول، الطبعة3، ص388

20 . المصدر السابق، ص388

www.arsiyakurdi.org

"تمعنت في الأمر كثيراً وأدركت أن سليم قد كشف القليل من المستور في ذلك الجبل الجليدي، حيث التصفيات التي قام بها عبدالله أوجلان أكبر وأكثر مما ذكره. كنت أعلم بآلاف الحقائق التي لا يعلم عنها سليم شيئاً. ما كتبه سليم، لم تكن سوى مشاهداته في فترة قصيرة، والتي كشفها بدون أن ينسحب من الحزب."

بعد أن قرأ "الدكتور سليمان" الكتاب، بات في أزمة وأصابه نوع من الخوف. بعدها قرر ما يلي:

"كان من الصعب جداً معرفة ما تخطط له دولة الاحتلال. كان يجرحون الكثيرين تحت مسمى النقد والنقد الذاتي. كنت أرى أمام عيني شيئاً كحكم العائلة. كانوا يصنعون العملاء تحت مسمى النقد. في جو ووسط كهذا، لا يتركون أمام الإنسان سوى الموت. رأيت التصفيات التي تحدث أمام عيني، لكنني أردت أن أخلق تنظيماً آخر في داخل التنظيم كي أضع حداً للهزائم والخسائر. حتى وإن كان إنقسام الحزب ضعف، لكن بعد عودة أوجلان إلى تركيا، استطعت أنا ومجموعة صغيرة من رفاقي الانشقاق عن ذلك الحزب الذي بات يعمل وبكل وضوح مع قادة الجيش التركي."[21]

رأى "الدكتور سليمان" بعد قراءته للكتاب إنه لا يستطيع الوقوف في وجه أوجلان. توجه إلى الجبال لخوض المعارك مرة أخرى. تصرف وكإنه ضد كتابات أخيه. قد يقول البعض، لماذا لجأ إلى الجبال مرة أخرى؟ يوضح الدكتور خطوته هذه ويقول:

" لم تكن تستطيع البقاء على قيد الحياة إلا بأن تكون بالضد من أخيك أو زوجتك أو قريبك الذي انشق عن التنظيم. وأنا بدروي قمت بذلك. صدقت كلام الحزب منذ عام 1993 وحتى 1996، لكنني بعد ان رأيت أن سليم على حق في كل ما كتبه، وقفت بالضد منه."[22]

فتح ذلك الكتاب عينا "الدكتور سليمان" على الحقائق. نظر حوله ورأى تلك الحقائق ماثلة أمامه. يتحدث الدكتور عن أهمية الكتاب قائلاً:

"أعتقد أن كتاب آيات آپو هو أهم وثيقة، ولن تفقد هذه الوثيقة قيمتها أبداً. سوف يتم دراستها وفهمها من قبل الذين عايشوا ذلك الوضع. لقد قرأته، وعشت في أدق تفاصيله، وفهمت منه الكثير."[23]

حين تأكد أوجلان أن "الدكتور سليمان" قد قرأ الكتاب. قال له في إحدى المرات التي كانا يتمشيان سوية: "أظن انك قرأت الكتاب، كان رجلاً ذكياً. كان من الأشخاص الذين فهموني جيداً. ليته لم يذهب. ليته لم يذهب ويتناقش معنا في المواضيع التي كتبها في كتابه. كان ذلك سيكون أفضل. لكننا لم نعجبه وذهب. الأمبريالية في ألمانيا آوته وتعتني به. نحن بدورنا لن نتدخل في أموره. أنت تعلم بمدى قوتنا، إن أردنا ان نقوم بشيء ضده لكنا قمنا به. لكننا لسنا بذلك السوء في موضوع المرأة الذي طرحه. لقد طرحت مواضيع شائكة، لكننا جماعتنا متخلفين لا يعرفون الأصول. ستذهبون إلى الجبال، وهناك تستطيعون أن تطوروا العلاقات الاجتماعية. بدل أن يذهب الرجال والنسوة إلى أحضان العدو، ليأتوا إلينا، ليصبحوا رفاقاً لنا، لكن بدون أن يجعلوا من هذا الموضوع سلاحاً ضدنا."

حين كان "الدكتور سليمان" يستعد للذهاب إلى جبال كردستان. سمع خبر فقدان أخيه "عمر چوروككايا" لحياته إثر معركة في في جبال "ديرسم". حين كان يستعد للانتقام من قتلة أخيه "حسن"، أصدر أخاه "سليم" كتاب "آيات آپو"، وبعد أن قرأ الكتاب، سمع بمقتل أخيه "عمر" على يد الدولة

---

21 . المصدر السابق، ص391

22 . المصدر السابق

23 . المصدر السابق، ص388-389-391

التركية.

بمنظور عبدالله أوجلان كان موضـوع كتاب "سـليم" قد تم إغلاقه. ومعروف أن الكُرد لا يقرأون الكتب بكثرة، وإن قرأوا، فإنك لن تكون على حق في كتاباتك إن لم تكن لديك القوة الكافية. حين قرر إزاحة "شمدين ساكك"، قرر أن ينوب "الدكتور سليمان" عنه في مكانه، فقد كان "شمدين" يعد بمثابة القائد العام للكريلا، فهو كان يقود إيالة "آمد" التي تعد أهم إيالة في شـمالي كردسـتان، وتمتد من مركز المدينة وحتى مدينة "موش"، ومن منطقة "خرزان" وحتى "خنوس أرضـــروم". لكن كان أمام "الدكتور ســـليمان" معضلة، وهي "پاندورا"، التي كان لجامها بيد عبدالله أوجلان.

www.arsivakurd.org

كان "سليم" وزوجته "آيسل" يقطنان في مدينة "ديسبوغ Duisbug" الألمانية. يقضون حياتهم وكإنهم في السجن، لأن نشر وكتابة كتاب يعد احتكاكاً مع الموت حسب قوانين الشرق. مريدوا عبدالله أوجلان لم يكن يقرأون الكتاب، كانوا يتحركون حسب الدعاية المغرضة لـ"PKK" والدولة التركية، لا بل أصبح كل واحد منهم كآلة للموت تسير في الشوارع.

في يوم 14 نيسان سنة 1996، فاق "سليم" مبكراً من نومه وجلس في صالة بيته يتفرج على الأخبار في التلفزيون. سمع في الأخبار الصباحية الخبر التالي "حدث اشتباك بين قوات الحكومة والإرهابيين في منطقة "آكتاش" التابعة لديرسم، وعلى إثرها تم تحييد الكثير من الإرهابيين، ومن بينهم قائد إسمه ديار." كان "سليم" يعلم أن "ديار" هو الإسم الحركي لأخيه "عمر". أخاه الذي ترك دراسة الهندسة في جامعة "فرات" والتحق بالمقاتلين في الجبال.

ماذا يستطيع "سليم" أن يفعله لأجل أخيه؟ قام وبدأ يذرع الصالة ذهاباً وإياباً، فهو لم يرى أخاه حين كان توجه إلى دمشق ولم يصدف ان يتحدث معه. حتى وإن تحدث معه، فقد كان "عمر" في غمرة المعارك. كان "عمر" يرى أن الدولة التركية تحارب الكُرد، ولا يوجد أمامه حل سوى القتال، عدا ذلك، أي كلام آخر لا يفيد.

كل ما يفكر بهذه الطريقة عليه القتال، ومن لم يفكر بهذه الطريقة كان مصيره الموت المحتم. المنطق الذي يرى الموت انتصار، كان نتيجته الفشل الحتمي أيضاً. كانت اللعبة هكذا. كان "سليم" يدرك أن كل من يحارب في الجبال حسب شعارات "PKK" هو خاسر لا محالة، لكن لم يكن أحد يقبل بذلك.

حين أشرقت الشمس، حمل هاتفه واتصل بـــ"آكين بيردال Akin Birdal" الذي كان رئيس جمعية حقوق الإنسان، فقد كان يعرفه جيداً. أخبره عن المعركة التي حصلت في "ديرسم" وأن أخاه "عمر" فقد حياته في تلك المعركة، تحدث معه من أجل جثة أخيه ودفنها. واستقى منه المعلومات حول ذلك، ثم شكره وأغلق الهاتف.

أراد "سليم" الاتصال بوالده. ترى كيف سيكون وقع سماع خبر مقتل الإبن على الوالد، لكنه مجبرٌ على إخباره. دق على رقم والده وسمع صوته من الطرف الآخر، بعد السؤال عن أحواله، أخبره عن المعركة التي حصلت في ديرسم وقد ورد إسم أخيه عمر بين الضحايا. توقف والده عن الكلام، وبقي "سليم" صامتاً لا يدري ما يزيد. فقال له: "سأرسل لك هاتف رئيس جمعية حقوق الانسان. خُذ معك مختار القرية (حسان دمر) إلى ديرسم كي تستلموا الجنازة. اتصلوا بـ(آكين بيردال) إن صادفتم أية مشكلة."

أغلق والده الهاتف، وكتم عبراته. نظر حوله، لم يجد أحداً حوله. لقد اختفى أولاده كلهم من حوله وتوجهوا إلى الجبال. كي لا يذهب إبنه الأصغر "صادق" ايضاً، أخرجه من المدرسة ولم يدعه يكمل تعليمه، فهو يعتقد أن كل من يتوجه إلى المدرسة يتعلم أشياء كثيرة ومن ثم يتوجهون إلى الجبال ويقاتلون ضد الدولة التركية. حتى إنه بنفسه تعرض للاعتقال حين نقل الأحذية إلى إبنه "الدكتور سليمان" ورفاقه في الجبل. اما إبنه "محمود" الذي لم يقترب من السياسة في حياته، فقد دفع ضريبة لقبهم وكنيته، وباتوا ينفونه من منطقة إلى أخرى.

كان يعد الجنازات بشفاه مرتجفة. لم يبق شباب في قرية "چلكانيێ" الكبيرة. لجأوا جميعهم إلى الجبال، والبعض الآخر هاجر إلى أوربا. بعد أن أفرج عن "أورهان" إبن "نازى"، عاد إلى بيته وبقي لأسبوعين في الفراش، كان يتبول دماً جرّاء التعذيب الشديد، لكنه بعد ان شفي، ترك زوجته وابنته والتحق بالجبال،

www.arsivakurdi.org

وقد فقد حياته إثر عملية واسعة قام بها الجيش التركي في جنوبي كردستان سنة 1992، لكنهم لم يعثروا هلى جثته. إبنها الآخر "علي" ترك عمله في ألمانيا وعاد والتحق بالجبال، وقد فقد حياته أيضاً إثر معركة في مدينة "چوليگ"، وقد شارك في مراسيم تشييع جنازته التي دفنوها في قرية "سوڤرێ".

أما "آيدن" حفيد "حاجي" الذي لجأ بعد انتفاضة الشيخ سعيد إلى سوريا، فقد كان يعمل "آيدن" في السعودية، لكنه عاد والتحق بالجبال، وفقد حياته في يوم شتوي في منطقة "أرضروم" وجلبوا جنازته إلى القرية ودفنوه فيها. كما قدم ابن "حاجي ابراهيم" من مدينة "هامبورغ" الألمانية والتحق بالجبال، وفقد حياته نتيجة قصف للطائرات في منطقة "آمد"، ولأن جثته كان متقطعة، لم يتعرفوا عليها ولم يسمحوا لهم بدفنه في القرية.

كذلك لم يعثروا على جنازة "شير هات" أبن "الشيخ مهدي". كما كانت جثة "فوزي" إبن "الملا مصطفى" متقطعة أيضاً، ولم يتعرفوا عليها نتيجة التعذيب الشديد، وعوضاً عنه، دفنوا جثة شاب من "سولاخان" في القرية.

"سليمان" الذي رأى كل هذه المآسين لبس ثيابه على وجه السرعة. سار في شوارع القرية وكان يتجنب رؤية القرويين. حين وصل إلى مقربة من منزل المختار، قال لنفسه: "ما هذا الزمن، زمنٌ لا يستطيع الأب دفن جثة إبنه!". رأى المختار جالساً في مضافته لوحده، فقل له: "قُم يا حسن، فقد أتتني أخبارٌ سيئة عن إبني عمر في ديرسم." حين قال ذلك، اتكأ بظهره على جدار الغرفة كي لا يقع.

كان يتكأ على عكازته في المسير، وخاصة على قدمه اليمنى التي كسرت حين ضربته سيارة من الخلف وهو متوجه إلى مدينة "آمد" لزيارة إبنه "سليم" وزوجته في السجن. لم يشفى من ذلك الكسر رغم إجراء عدة عمليات جراحية لساقه.

أجروا له العملية الأخيرة في كلية الطب بمدينة "چوكورۆڤا". كانت زوجته "طيبة" تعتني به. طلب منها شفرات حلاقة كي يحلق ذقنه وهو ممدد على السرير في المشفى. خرجت "طيبة" من المشفى واشترت له شفرات الحلاقة، لكنها حين عودتها، لم تعثر على غرفة زوجها، فقد كانت كل الأبواب بيضاء وشبيهة ببعضها، ولم تكن تجيد اللغة التركية كي تقرأ الأرقام والأسماء على الأبواب. بقيت هكذا، تسير في ممر المشفى بدون أن تعثر على الغرفة. بقيت على تلك الحالة حتى صادفها شخص من موظفي المشفى كانت قد تعرفت عليه هناك، فقال لها:

- إلى أين ستذهبين يا خالتي؟

- لقد اشتريت شفرات حلاقة لوالد سليم. لكنني لا أتذكر من أية غرفة خرجت. وأنا لا أجيد القراءة والكتابة باللغة التركية. كل الأبواب بيضاء تشبه بعضها.

- حسناً يا خالتي، تعالي معي وسأدلك على غرفته.

- لم يدعني سليم أن أتعلم اللغة التركية. حاولت معه كثيراً، لكنه كان يقول إننا سنبني كردستان، ولا حاجة لنا لمعرفة لغتهم.

قهقه الرجل ضاحكاً. قالت له "طيبة":

- حاولت معه كثيراً، لكنه كان يقول بإنهم سيقومون بثورة كما فعل لينين. هل رأيت ماذا فعلت الثورة، ها قد بقيت في الخارج لا أستطيع العثور على غرفة زوجي.

ابتسم الرجل وقال لها:

- هل تعرفين من هو لينين يا خالتي؟

- نعم، أعرفه. أليس هو ذلك الخنزير الروسي؟

قهقه الرجل مرة أخرى، ثم أخذها إلى غرفة زوجها.

كان "سـليمان" يفتخر بأبناءه دائماً، والكل في القرية كانوا يعلمون بذلك. قبل سـنة، أتت مفرزة يقودها ضـابط برتبة نقيب إلى القرية وتوقفوا أمام بيته ونادوا عليه كي يخرج. فور خروج "سـليمان" إليهم، بدأت الكاميرات تسـلط عدسـاته عليه. قال له النقيب: "سـننشـر لقاء معك على التلفزيون، قُم بدعوة أبناءك كي ينزلوا من الجبل ويلجأوا إلى حضن الدولة الحنون.". حين أدرك "سليمان" نية الضابط السيئة تجاهه، قال له: "أيها الضابط، أرسلت أبنائي إلى مدارسكم، فأرسلتموهم إلى الجبال. لن أدعوهم إلى النزول من الجبل، قُم أنت بذلك."

قبل خروجهم من بيت المختار، كان المختار قد اتصـل هاتفياً بـــ"آكين بيردال" وأخذ منه عنواناً كي يذهبون إليه. بعدها خرجوا من البيت ووقفوا عند جدار المدرسـة الاعدادية ينتظرون سـيارة القرية التي ستقلهم إلى المدينة.

لم يكن يبقى في تلك القرية الكبيرة سـوى العجائز، لأن الشـباب تركوها. بقيت الفتيات في بيوت ذويهن بدون زواج. بعض الرجال تركوا زوجاتهم وأصبحن أرامل. وكأن قدر الرجال المسنين في هذه القرية هو دفن جثث الشـباب القادمة من الجبال المحيطة بهم. تنهد المختار وقال: "كل ما قريتنا هو عكس القرى الآخرى. في القرى المجاورة يقوم الشـباب بدفن المسـنين، أما في قريتنا، على العكس، العجائز هم من يدفنون الشباب."

أتت سـيارة القرية، كان ثلاثة ركاب آخرين فيها عدا السـائق، ثم جلسـا على مقعديهما. فهم الجميع أن هناك شيئاً ما من وراء سفر "سليمان" مع المختار، لكن كتم الجميع توقعاتهم، ولم يتفوهوا بشيء.

قطعوا التذاكر من موقف "چوليگ" للسفر إلى "ماجران" حين ركب "سـليمان" الحافلة، تذكر إنه سنة 1978، استقل حافلة وسافر إلى ديرسم لخطوبة فتاة لابنه "سليم". لم يكن يعلم إنه سيسير في هذه الطريق بعد ثمانية عشر عام، لكنه في هذه المرة سيجلب جثة إبنه معه.

كان ينظر من نافذة الحافلة إلى الخارج. حين ترك ابنه "عمر" الدراسـة في كلية الهندسـة وتوجه إلى الجبال، كانت والدته تقول: "إبني عمر ضـعيف البنية ونحيف. جلد وعظم فقط، إن ضُـرب بحجرة صـغيرة سيموت. كيف سيحارب هذا الشاب الضعيف؟"

لم تصلهم أية أخبار من "عمر" حين التحق بالجبال. سمعوا قصة جرت معاه في الجبل من أحد أصدقاءه الذي سردها لهم على الشكل التالي:" كان عمر مع وحدته في منطقة (اوڤجاغێ) وحين حلول فص الشتاء وهطول الثلوج في المنطقة، اشـتروا مدفأة من المدينة وأرادوا أخذها إلى المهف الذي يقيم فيه الرفاق على رأس الجبل. كانت تلك المدفأة ثقيلة جداً، وضـعوها على ظهر إحدى البغال وسـاروا صـعوداً إلى الجبل، لكن بسـبب كثرى الثلوج، لم يسـتطع البغل إكمال الطريق وتوقف في منتصـفه. لذلك، كان عليهم حمل المدفأة على ظهورهم. كان هناك شاب من (روجاڤا) في وحدة عمر واسمه (پاله)، كان ضخم البدن. وضع عمرالمدفأة على ظهره وأكملا المسـير. لكن (پاله) أنهكه المسـير بين الثلوج، فوضـع المدفأة على الأرض وقال لهم بأنه تعب كثيراً ولا يقوى مجدداً على حمل المدفأة. نهره عمر وصرخ فيه كي يقوم ويحملها، لكنه حدق في عمر غاضـباً وسحب القنبلة من خاصـرته وقال: "سـأقتل نفسـي!" حين رأى عمر أن (پاله) جدي في كلامه، قال له: " ماذا تفعل يا پاله؟ إن لم نوصـل المدفأة إلى الكهف سيموت كل رفاقنا من البرد. تذكر "برفين" التي سـتسـألك بعينيها المجمدتين عن المدفأة. فكر في "شـرفان" الصـغير، كيف سـينادي عليك ويقول لك أنقذني يا پاله. فكر في هؤلاء قبل أن تقدم على ذلك. إن متنا من البرد كيف سـنخلص وطننا كردسـتان من الظلم والاحتلال. أنا أعلم أن ضـميرك يؤنبك. ضـع تلك القنبلة من يدك. أنت قوة وحدتنا.

بدونك سوف نواجه الكثير من المتاعب عدا الصقيع والبرد"

وأخيراً اقتنع "پاله" بكلامه وقال له: "وأخيراً عرفت قيمتي" فوضع القنبلة في جيبه، ووضع المدفأة مرة أخرى على ظهره وصعد بها إلى الجبل.

كان "عمر" في سنة 1995، قائد وحدة "چيا" في منطقة "دَرَكو" التابعة لـ"ديرسم". آنذاك، فرضت الدولة التركية الحصار على القرى، وغرضها من ذلك تجويع وحدات الگريللا، حيث كانت الدولة توزع على القرى الأرزاق بحسب أفراد كل أسرة في القرى ويتم ذلك تحت إشارف الجند. في نفس تلك السنة، نزلت وحدة من الگريللا من الجبال بغرض تأمين الطعام من بعض القرى، ونتيجة لذلك اشتبكوا مع الجنود وفقد العديد منهم حياتهم نتيجة لذلك.

حين سمع عبدالله اوجلان بذلك. اتصل باللاسلكي من الفيللا في دمشق بقادة الوحدات وقال لهم: "لا تذهبوا إلى القرى كي تقتلوا من أجل الخبز. شبّعوا أنفسكم بالأعشاب. هناك في جبال كردستان أنواع عديدة من الأعشاب الصالحة للأكل. النزول إلى القرى من الآن فصاعداً يعتبر ذنب. كلوا الأعشاب!"

كانت مؤونة وحدة "عمر" قد نفذت. تركوا القتال والمعارك وبدأوا يبحثون عن شيء يأكلونه. كانوا يأكلون الأعشاب التي يعرفونها أنها صالحة للأكل. في إحدى المرات، رأى "عمر" عشبة تشبه الخس، فتناولها هو بعض رفاقه الآخرين. كان طعمها لا بأس به. لكن بعد ساعة من تناولها، بدأ ألم الرأس والدوار والغثيان ينتابهم، كما ظهرت عليهم علامات الهلوسة، حتى أن أحدهم قال مهلوساً: "جهزوا الأحصنة والسيوف والأقواس، سوف نغير اليوم على مخافر (جرمسور)." بعد ساعات، عادوا إلى ةعيهم وبدأوا يضحكون من الحالة التي سببها لهم تلك العشبة.

كان "سليمان" ينظر من نافذة الحافلة إلى الجبال، ويتذكر آخر حدث سمعه عن ابنه. عدا ذلك، لم يسمع عنه أية أخبار. كان بضعة أشخاص من جمعية حقوق الانسان ينتظرونهم حين وصلوا إلى "ديرسم". قال لهم هؤلاء أن الجثة في "اوڤجاغىٚ".

تناولوا طعامهم في إحدى المطاعم. لكن لا "سليمان" ولا المختار لم يتذوقاه. بعد ذلك استقلوا سيارة متوجهين إلى مخفر "اوڤجاغىٚ". قال أحد أعضاء جمعية حقوق الانسان لـ"سليمان": العمر الباقي لكم ياعم. عليك أن تفتخر لأنك والد قائد فذ كـ(عمر)." لم يجاوبه "سليمان" لأنه لم يكن يعرفه مسبقاً. في الطريق سرد أحدهم مجريات العملية التي فقد فيها حوالي الخمسين عنصراً من الگريللا حياتهم قائلاً: "يقولون أن وحدة (عمر) قد اشتبكت في المنطقة مع الجند، وقد فارق اثنان من وحدته حياتهم نتيجة ذلك الاشتباك، كما أن مقاتل ومقاتلة سلما أنفسهما للجيش التركي. بعد الانسحاب من مكان العملية، كان على عمر أن يغير مكان تواجد الوحدة. لكنه لم يفعل، ونتيجة لذلك، قامت حوامات الكوبرا فوق مقرهم وبدأت تقصف تلك المنطقة بغزارة. كان المقر محصناً تحت الأرض، وأمر (عمر) رفاقه بألا يردوا على القصف كي لا ينكشف مكانهم، بل بقوا في مخابئهم حتى حل الليل. حينذاك، أراوا الخروج وإخلاء المقر، فقد انكشف للجيش، لذلك اختاروا الطرق والممرات التي هطل فيها الكثير من الثلج. ساروا بين الثلوج ليلاً. كان ثلوج كثيفة، قد غطت الأرض على ارتفاع مترين وأكثر، مما جعلهم يقطعون مسافة قصيرة. وجدوا أنفسهم في غابة، لكن لسوء حظهم كانت أوراق الأشجار متساقطة، وظهروا كأهجاف سهلة لحوامات الكوبرا التي فور رؤيتها لهم بدأت تصقفهم بالصواريخ. اشتبكوا مع الطائرات، لكنهم أغلبهم فقد حياته. وبعد انتهاء العملية، كانت جثث خمسين مقاتلاً بين الثلج هناك، وسمعنا أن جثة (عمر) بينهم أيضاً."

كل كلمة من ذلك الرجل كانت تُقطع أوصال "سليمان". بقي صامتاً لا يعلق بكلمة. وصلوا إلة أمام باب المخفر، وبعد أن أخذوا هوياتهم، طلبوا سليمان للتعرف على الجثة. دخل سليمان إلى براد الجثث، رأى

ستة عشرة جثة هناك، وفور رؤيته لجثة ابنه،عرفها، كانت لحيته طويلة وكامل جسده مضمخ بالدماء. حاول إخفاء نحيبه وقال لهم: "هذا هو." ثم خرج وقال للمختار والشخصين الآخرين: "لقد رأيت عمر." ذهب الشخصان وأمنوا سيارة، ثم لفوا الجثة ببطانية ووضعوها في السيارة.

حين سمعت "نازى" خالة "عمر" بالخبر، قامت هي وزوجها على الفور بالتوجه من "ألأزيز" إلى "ديرسم". وحين نزلوا هناك، سألوا عن منزل والدة "آيسل" زوجة "سليم" وسرعان ما لاقوه. حين وصلوا إلى هناك، كان البيت وكإنه بيت للأحزان فقط. كانت والدة "آيسل" تبكي وتسرد لهم قصة ابنتها التي حين خرجت من السجن، ونتيجة للتهديدات التي كانت تطالها التحقت بالجبال. لذلك، قامت الدولة التركية بالضغط على عائلتها كي تسلم نفسها، وفي 28 تموز من سنة 1992، خطفوا أختها "آيتن"، وبعد أحد عشرة يوماً من خطفها، لاقوا جثتها مرمية بالقرب من مقبرة "ألأزيز" فلم يكن منهم إلا جلب جثتها ودفنها.

كانت "نازى" تستمع إليها وهي تذرف الدموع. فبدأت تسرد لها بدورها قصة فقدان ابنها "أورهان" لحياته في معركة مع الجيش التركي، وقالت لها إنهم لم يعثروا على جثته حتى. ثم تحدثت عن ابنها "علي" الذي أرسلوه إلى المانيا، لكنه عاد والتحق بوحدة "الدكتور سليمان" ويفقد حياته أيضاً إثر عملية عسكرية.

حين سمعت والدة "آيسل" قصتها، هانت عليها مصيبتها كما يقال. أرادت منهم البقاء كضيوف عندهم، لكن "نازى" وزوجها خرجا واستقلوا الحافلة المتوجهة إلى قرية "چلكانيێ"حين وصلوا إلى مقربة ممن القرية، كانت مفرزة كبيرة من الجند قد حاصرت القرية ولم يسمحوا لأحد بالدخول إلى القرية. كانت هناك الكثير من السيارات واقفة على الطريق. كانوا قد أخذوا الجثة إلى القرية وغسلوها في المسجد، وذلك تحت اشراف الجند. ولم يدعوا أحداً يسير مع الجنازة سوى عدد قليل جداً من أهالي القرية. جلست "نازى" في فسحة بالقرب من الحافلة وبدأت تبكي بحرقة على "طيبة" التي فقدت ابنين لها.

بعد ستة أشهر، كانوا سيستقبلون جنازة "مسعود" إبن عمة "طيبة" و"نازى" أيضاً. كان هناك غموض في فقدانه لحياته، فقد عثروا على جثته في منطقة "همامان" التابعة لـــ"چوليگ". ذلك الشخص الذي عثر على جثته اتصل بالمختار "حسن دمر". فذهب بدوره مع بعض أقرباءه لجلب جثته. حين رأى الضابط في الجيش التركي الجثة، قال لهم: "هذا الشخص لم يقتل نتيجة اشتباك لا معنا ولا مع حماة القرى."

كانت جثة "مسعود" ملقاة هناك وهو أعزل من السلاح. لم ينكشف شيء عن سبب فقدانه لحياته. لكن بمرور الزمن ظهرت بعض الأقاويل التي تقول أن "مسعود" انضم إلى صفوف الحزب في أوربا، وكان قد عرف وفهم بعض الأمور، لذلك قاموا بتصفيته لأنه كان على علم ببعض الأسرار. كان "مسعود" مسؤولاً لبعض الإيالات مع "الدكتور سليمان".

كانوا قد دعوا "مسعود" إلى المقر الرئيسي في جنوبي كردستان. بعد التحقيق معه، عزلوه من كل رتبه وصلاحياته وضعوه كمدني في خدمة المقر. لشهور متوالية كان يحمل الأرزاق ومستلزمات المقر على ظهره. قبل أن يرسلوه إلى الجبال في شمالي كردستان، عقدوا اجتماعاً أخيراً، وقال "عباس" أحد مسؤولي التنظيم في ذلك الاجتماع: "مسعود شخص طويل اللسان ومخادع. يستطيع أن يؤثر على مجريات الحرب بين الرفاق. إنه برجوازي صغير، وهو أخطر من العملاء المكشوفين." حينها، رد عليه "مسعود" قائلاً: "أوافق الرفيق عباس على كل ما قاله عني. لكنني حين كنت في دمشق، قال لي قائدنا إن هناك الكثير من الميزات المشتركة بينك وبين عباس." حين قوله لذلك، قهقه كل من كان حاضراً في الاجتماع، أما "عباس" بقي صامتاً ولم يعلق بكلمة.

حين فقد أخاها حياته في عملية ضد الجيش التركي، ذهبت "نازێ" أيضاً إلى وادي البقاع للالتحاق بالمقاومة. لم تكن تعرف شيئاً عن حياة الگريلا سوى ما كانت تقوم به من دعاية لهم في الجامعة. تأثرت بحياة "تشي غيفارا" وأفكاره، وقرأت الكتب عن الكفاح المسلح في الجبال. كان شيئاً رومانسياً بالنسبة لها.

كانت سعيدة جداً لأنها أخذت معها الشاب الذي كانت تحبه معها إلى وادي البقاع. لكن لم تدم تلك السعادة، حين رأت ما لم تكن تتوقعه في صخور وادي البقاع. اكتشفت في فترة قصيرة هناك أن لا التفكير، بل السعال أيضاً ممنوع هناك. حين سمعوا أنها تحب شخصاً ما، بدأوا يضحكون من حبها هذا ووصفوها بالبرجوازية الصغيرة، حتى أصابها الإحباط من كل تعليقاتهم بحقها.

كان عبدالله أوجلان يسير في قاعة أكاديمية "معصوم قورقماز" ويغمض عينيه ويتحدث إليهم قائلاً: "غيّروا أنفسكم حال قدومكم إلى هنا. ضعوا كل تخلفكم وقوالبكم وأخلاقكم التي استقيتموها في محيطكم عند الباب حين مجيئكم. اغسلوا نفوسكم من كل شيء، بعدها واجهوني." كان يصرخ فيهم ويقول: "أفكاركم بالية، وتخلفكم نابع من مجتمع متخلف. قواكم مزورة، ولا يعجبني أي شيء فيكم."

كانت "نازێ" فتاة ذكية. في فترة قصيرة أدرك ما يريده منهم أوجلان. قالت في نفسها: "هو بحاجة إلى أناس مغسولي الدماغ." بدأت تحلق بخيالها، لكن أجنحة خيالاتها تكسرت. لن تستطع التحليق كثيراً حتى سقطت على صخرة الحقيقة. لم تستطع أن تجد منفذاً لتلك الدوامة التي أتت إليها برجليها، وقد تخرج منها وهي في تابوت.

كانت تقول لنفسها: "إن غسلت نفسي من كل شيء، لن أعود كما أنا. أنا أعيش بكل ماضي، بعائلتي، إخوتي وأخواتي، وأبي وأمي، وأحبائي ومدينتي. لكنني أرى أن لا قيمة لكل تلك الأشياء هنا. تتعرض للانتقاد والهجوم من المشاركين في الدروس. كل ما ذكرته من عائلة ومكان يعتبر من الذنوب هنا. حتى إنهم يقولون أن العائلة هي مؤسسة للعمالة. ينظرون إلى علاقات الصداقة هنا على إنها علاقات حمقاء، وينظرون إلى الإنسان العاشق نظرة عداء. يقولون عليكم ألا تقولوا لأمهاتكم (يا أُماه) من الآن فصاعداً، وعليكم أن تقولوا لوالدكم (يا رفيق)."

يريدون أن يقطعوا علاقاتهم مع المجتمع، ويمحوا كل القيم الكردية، ومن يقف عائقاً أمام هذه الأفكار يسجنونه، بحيث يتحول أصدقاءه إلى سجانيه، يتهمونه بإنه يدوس على خط الحزب. لم تكن تعلم قط ما هو خط الحزب. لم تكن تعلم كم بقيت في الزنزانة. فهي أتت وهي حرة، ووقعت في الأسر بقدميها. أصبحت تصادق الجدران، تصرخ، لكن لا أحد يسمع صراخها. حتى أصبحت ساكنة وصماء كالجدران من حولها. لم يعد للزمن قيمة لديها، حيث يمر الزمن عندها بحلول الليل والنهار فقط.

بعدها، وبشكل مفاجئ يطلقون سراحها. ذلك الشاب الذي كان حبيبها يصبح عدوها ويرسلونه إلى الجبال بين صفوف الگريلا. أما هي، فيرسلونها إلى التدريب. يمنعون عنها الكلام ويقولون لها: "لم تأتي إلى هنا كي تتكلمي، بل لكي تنصتي وتفهمي." ولأنها لا تطيعهم، يلقون القبض عليها مرة أخرى. في هذه المرة يضربونها ويسحلونها من شعرها، يقطعون دفتر أشعارها الذي يعتبر كمستمسك لجرم قامت به. لكن "نازێ" لا تأبه لكلامهم. يرسلونها إلى الجبال بإسم حركي وهو "أونسورا" وهناك يضعونها تحت المراقبة، يلفقون عليها تهمة إنها "ضد الكفاح المسلح" ويعيدونها إلى دمشق مرة أخرى.

بعد أن ضاق بها الذرع، استسلمت لهم. أصبحت "نازێ" التي كانت ضد "الكفاح المسلح" قائدة بكل معنى الكلمة، يرسلونها مع وحدتها التي تقودها بنفسها إلى مناطق "لجێ، پاسورێ، و داراهێنێ". في شتاء

سنة 1986، لاقت الكثير من المصاعب، مصاعب لا يتصورها العقل البشري، لكنها تقاوم تلك المصاعب بشراسة. حين يهطل الثلج بغزارة، ويتم محاصرتهم من قبل آلاف الجنود الاتراك، تترك "نازىٓ" ورفاقها مخابئهم تحت الأرض ويغادرون تلك المنطقة. في تلك السنة، ينضم إليهم مجموعة من الشباب الذين كانوا ما زالوا في المرحلة الاعدادية من دراستهم. لم تكن أعمارهم تتراوح السادسة عشرة. لم يكونوا يتحملون البرد، وكان يتجمدون تحت الثلج. يسرد "شيخموس" الصغير ما جرى معهم في تلك الأثناء: " كان الجو شديد البرودة. كان الجيش التركي قد سيطر على كل المواقع والتلال الاستراتيجية من حولنا، أما نحن، فلم يكن أمامنا إلا الاختباء في الوديان وعبور الأنهار المجمدة من الصـــقيع. ليومين كاملين لم يذق أحدٌ منا طعماً للنوم، وقد هدنا التعب. رفاقنا الذين لم يعودوا يقوون على المشـي كانوا يقعون في أماكنهم، ومن يود أن ينام لدقائق، كان يغمض عينيه وينام نومة أبدية، حيث يتجمد ويموت في مكانه. رأيت رفيق لنا كان ممدداً ورافعاً بده طالباً للنجدة، فبقيت يده أيضـــاً مجمدة وهو ميت في تلك الوضـــعية. كنا ســـبعة مقاتلين، خمســـة منا صــغار في العمر والاثنين بالباقيين كانوا شــباباً ناضــجين. لم يعد يقوى أي منهم على المســير سواي. كنا سنعبر وادياً حتى نصل إلى نبع ماء هناك. استطعنا سحل من وقع على الأرض وأوصلناهم إلى ساتر بالقرب من صخرة كبيرة، لكننا لم نستطع البقاء عندهم، لأن بقاءنا يعني موتنا نحن أيضاً. قال قائدنا للذين لم يعودوا قادرين على المشي: إبقوا هنا، سوف نذهب إلى الوادي ونأتي بالطعام لكم. تركناهم هناك. لكننا كنا ندرك إنهم سوف يموتون بعد دقائق فور مغادرتنا لهم."

في جحيم كهذا، فقدت "نازىٓ" المئات من رفاقها، وبقيت هي على قيد الحياة. أصبحت قائدة لوحدة مؤلفة من أربعين مقاتل، وذهبت إلى "الدكتور سليمان" في منطقة "ساسون".

كان جبل "مَرَتو" شـــامخاً في تلط المنطقة، ويعد أعلى قمة جبلية. منذ فجر التاريخ، كان إســم تلك المنطقة "نايري". بعدها قدم الحوريون وسكنوا في تلك الأرجاء. السومريون أطلقوا عليها إسم "سوبر". أما البابليون والآشوريون، فقد اطلقوا إسم "سوبارتو" على تلك المنطقة، ثم اتى بعدهم الميديون، وبعدهم أصبحت للأورارتيين.

كان الأرمن هم من وضـعوا بصـمتهم الاسياسـة في تلك المنطقة. كان إسـم ملحمتهم الميثولوجية الكبرى "سانسوت و تاڤيت" أي "سانسوت الساسوني" التي باتت معروفة في كل مكان فيا لعالم، حتى اعترفت لها منظمة اليونسـكو وترجمتها إلى لغات عدة. ألف الكثيرون عليها رقصـات الباليه والأوبرا. ما زال الأرمن يسردون هذه الملحمة لأطفالهم في ليالي الشتاء الطويلة:

"يرســل ملك بغداد محصــل الضــرائب إلى ملك الأرمن "گاگيک" طالباً منه الخراج الســنوي. يعود محصل الضرائب ويتحدث عن جمال إبنة ملك الأرمن لملكه. يرسل ملك بغداد بعض أعوانه لطلب يد إبنة ملك الأرمن، لكنه يرفض تزويجها له، فيجهز ملك بغداد جيشاً ويهاجم على مملكة الملك الأرمني. يقول له وزراءه: عوضـــاً عن أن نُقتل جميعنا، زوج إبنتك له أفضــل لنا جميعنا. كان إســم الفتاة "دزوڤينار" التي وافقت مرغمة على الزواج.

قبل ذلك الطلب، حين كانت "دزوڤينار" تتجول مع صـــديقاتها في المصـــايف المحيطة بمملكة والدها، أحسـت بعطش شـديد، تبحث عن ماء تروي به عطشـها، فتذهب إلة أطراف بحيرة "وان" وتجد هناك نبع ماء فيه ماء حلوة المذاق. تشـرب منه وتروي عشـطها منه. لكنه تكتشـف إنها أصـبحت حاملة بعد شـربها لذلك الماء. كي تتزوج من ملك بغداد، تضـع أمامه شـرطين وتقول له: (عليك أن تبني لي قصـراً خاصـاً وعليك ألا تقترب مني إلا بعد سـنة من مكوثي في ذلك القصـر) يقبل ملك بغداد بشـرطيها. بعد سـنة، تلد "دزوڤينار" توأمين، تسمي أحدهم "سانسار" والآخر "باغدانسار". يكبر طفليها بسرعة، ولأن الطفلين لم

يكونا من صلب الملك، أراد قتلهما، لكن الطفلان هربا إلى بلاد الأرمن. لجأوا إلى ثغور جبال "ساسون" وحفروا كهفاً في الجبل، وعمروا لأنفسهم بيتاً في الوادي أسفل الجبل. ينبع نهر "ساسون" من تلك ذلك الكهف. أصبح المكان الذي بنوا فيه بيتهم مدينة يأوي إليها الفقراء. حفروا في صخور وبنوا مدينة تحت الأرض وحفروا أدراجاً كي يتسلقوا بها. قاموا بأعمال الزراعة هناك وأمضوا حياتهم فيها. في إحدى الأيام، حين كان "سانسار" وأخاه يتجولان على أطراف بحيرة "وان" أراد "سانسار" السباحة في البحيرة. حين غاص في عمق البحيرة، رأى ديراً هناك، وهناك منحته الأم "مريم" سلاحاً وحصاناً أسطورياً، وكان إسم حصانه "كورگيگ جلالي"، بذلك أصبح "سانسار" بطلاً أسطورياً ويذيع صيته وصيت أخاه في كل العالم. يقومون بالهجوم على ملك بغداد ويهزمون حيشه شر هزيمة ويعودون بوالدتهم إلى بلادها."

تعد هذه البقعة الجغرافية مهداً للبشرية. هناك قصص وأساطير عن كل جبل فيهان وعن كل واد. الورود التي تنبت هنا لا تشبه الورود في أية بقعة جغرافية أخرى، شقائق النعمان حين تفتح براعمها لا تنفتح وهي متوجهة إلى السماء، بل تنظر إلى الأرض التي نبتت منها.

كان "الدكتور سليمان" قد سمع قصة هذه الورود من أحد الرعيان هناك: "كان هناك شاب مسلم اسمه "ابراهيم" يعيش في قرية "كلهزنان".ساق قطيعه إلى جبل "مرتو" و "هلكيس". حين قدوم فصل الربيع ساق قطيعه إلى قرية من قرى الأرمن واسمها "ڤارتانوزێ". أحب فتاة واسمها "بسنا" إبنة "آدران آغا" في تلك القرية. حين تقبل به "بسنا"، يلتقون خفية تحت الأشجار وخلف الصخور هناك. حين يفترقا، تسلمه "بسنا" بذرة وردة شقائق النعمان، وكي لا يراها أحد من قريته، يقوم "ابراهيم" بزراعتها خلف مرتفعات القرية. أصبحت تلك الرقعة كحديقة واسعو لشقائق النعمان. في إحدى الأيام، يقول "ابراهيم" قصته مع عشيقته ويطلب منهم أن يخطبوها له، لكنهم يقولون له: "إن أصبحت مسلمة، فسنذهب لخطبتها لك." تقبل الفتاة بشرط العائلة، وذهبت عائلته لخطبتها، لكن والد الفتاة لا يقبل بتزويجها، فما كان من "ابراهيم" إلا خطف الفتاة. حين سمع تاجر الأرمن بهذا الموضوع. سلح رجالخ وأرسلهم إلى قرية "ابراهيم" وبعد الكثير من المناقشات، يطالب هذا بالفتاة وإلا سيقتلهم جميعاً. حين يرى "ابرهيم" و"بسنا" رضوخ أهل القرية للتاجر، يمسكون بأيدي بعضهم البعض ويذهبون إلى أعلى قمة في الجبل ويرمون بأنفسهم من هناك. تتقطع أوصالهم وبقيت آثار دمائهم على ورود شقائق النعمان تلك، فاخلتطت دمائهم الحمراء مع تلك الورود. بعد مدة قصيرة، حدث شيء غريب في تلك البقعة، باتت تلك جذوع تلك البراعم منحنية صوب دماء العاشقين. وهكذا، في كل سنة مع حلول الربيع كانت تنبعث رائحة كريهم من حديقة الورود تلك، وكإن تلك الرائحة تريد أن تذكر البشر دائماً بقصة العاشقين تلك."

كان "الدكتور سليمان" الذي يتجول بين تلك الجبال وأساطيرها يقول للمقاتلين: "عليكم أن تعرفوا تاريخ هذه البقعة التي تقاتلون عليها." لذلك كان قد درس وبحث سابقاً عن تاريخ هذه المنطقة.

بحسب ما توصل إليه، كانت "ساسون" حتى سنة 1900 مركزاً للأرمن. كانت هذه المنطقة الجبلية، مكانهم التاريخي. حين تطور الفكر القومي لدى الأرمن، قام السلطان العثماني بمهاجمتهم في منطقة "تادراگ" وقتلوا الناس بسيوفهم. بدأ الأرمن بتنظيم أنفسهم أمام هذا الغزو العثماني على شعبهم.

الرئيس الأول لمنظمة "طاشناق" كان اسمه "كاراكين" وقتله العثمانيون في قرية "سروتلو" على تخوب مدينة "موش"، وحل مكانه "سيروپ آخپور" الذي من موالدي قرية "سوهرات خلات". قتل هذا الشاب ضابطاً رفيعاً في الجيش العثماني مان يقمع الناس في مدينة "بدليس". لذلك كان الكُرد والأرمن يلقبونه بلقب "الباشا". أسس مفرزة مقاتلة في جبال "ساسون" وأصبح يحارب العثمانيين وعصابات الكُرد والعرب بضراوة، وكان الأهالي يحتمون به وتحت راية حزبه "الطاشناق".

استخدم العثمانيون بعض العشائر الكردية والعربية وبعض اللاجئين القفقاسيين لمحاربة الأرمن. لم يقبل الأرمن الذين التجأوا إلى الجبال دفع الخراج للسلطان. حين رأت الدولة العثمانية إنها لن تنتصر بهذه الطريقة عليهم، أعدت جيشاً قوامه أربعين ألف مقاتل وقامت بمحاصرة مدينة "ساسون" بذلك الجيش. انسحب الأرمن إلى الجبال، وقيّمت الدولة العثمانية تلك الأحداث على إنها كانت الانتفاضة الأولى لمنطقة "ساسون".

هكذا يُرسم قد هذه البلاد: يقمعون ويظلمون الناس، لكن حين يقاوم الشعب، يقولون إنه انتفض ويبدأون بقمع قوى الانتفاضة بالقوة، ويرسلون القوات العسكرية الحديثة إليها.

يذهب والي "بدليس" إلى منطقة "ساسون" ويضم رئيس عصابة من كُرد منطقة "خرزان" واسمه "خليل بشار" وعصابته التي تُسمى "هايارسلو، سبوخان وسكان" إلى جيشه. يهاجم قرى الأرمن بهذا الجيش. حين يرى العثمانيون إن النصر لم يحالفهم على "سيروپ" بذلك الجيش، يبدأون بالخدعة. يُقال أن "سيروپ" يحل في إحدى الأيام ضيفاً على شخص أرمن اسمه "آڤو" في قرية "گخاشنێ". الذي يعد من رجال "خليل بشار. يقوم "آڤو" بتسميم "سيروپ" ثم يرسل الخبر إلى "خليل بشار. فيقوم هذا مع عصابة من عشيرة "خرزان" بالهجوم على تلك القرية، فيحاصرون "سيروپ" في قرية "گلگوزانێ"، ثم يعتقلون القائد المسموم الذي لا يقوى.

حين يجلبون "سيروپ" أسيراً إلى "خليل بشار" يقوم هذا بقتله. ويرسلون رأسه إلى مركز مدينة "موش"، ثم إلى "بدليس" يعرضون رأسه في مراسيم استعراضية وغرضهم من ذلك تخويف وترويع الشعب. ثم يقوم أحد القساوسة بدفن رأسه في حديقة إحدى الأديرة في المدينة. بعد مرور سنوات على تلك الحادثة، يسرد هذا القس تلك الحادثة على الشكل التالي: "كانت السماء صافية والجو هادئ، كانت النجوم تشهد من السماء على مراسين تلك الجنازة التراجيدية والوحشية."[24]

أهدى السلطان العثماني ميدالية وخنجراً لـ"خليل بشار" جزاء قطعه لرأس "سيروپ".

يعين الأرمن شاباً باسم "آنترانيك" كرئيساً لتنظيم "طاشناق". هذا الشاب يقتل أحد الأتراك الذين اعتدوا على والده في سنة 1900، ثم يقتل شرطياً في مدينة استانبول، ويهرب من هناك ويلجأ إلى منطقة "باتوم" ومن هناك إلى "ساسون". كان أول عمل يقوم به هو قتل "آڤو" الذي قام بتسميم رئيسهم. يقوم بتلك العملية وبذلك يدب الذعر بين صفوف الأرمن الموالين للعثمانيين. كانت عمليته الثانية هي ذبح "خليل بشار" انتقاماً لدم "سيروپ".

كان هناك صراع بين قبيلتي "خرزان" وعشيرة "شگويان". يستغل "آنترانيك" ذلك الصراع ويبدأ بالتواصل مع رئيس عشيرة "شگويان" كي يحاربوا عشيرة "خليل بشار" سوية.

يحصل "آنترانيك" على معلومة من كردي من عشيرة "شگويان" يُخبره أن "خليل بشار" قد ذهب إلى مدينة "موش"، فيضع له هذا كميناً محكماً على الطريق ويلقي القبض عليه وهو جريح، ويقتل حراسه. قبل أن يقطع رأسه، يسأله:

- أنت خليل بشار؟

- نعم.

- أنت من قتلت سبعة وعشرين شخصاً من النساء والأطفال والقس "دير بيدروس" في قرية "سكڤانێ" بدعم من السلطان العثماني؟

24 . آنترانيك باشا، منشورات پري، استانبول، الطبعة الأولى، ص78

-.....

- قطعت رأس "سيروپ پاشا" بعد قتله؟

-....

- قمت بقطع رأس قائدنا وهو مقتول، أما أنا فسأقطع رأسك وأنت حي.

يقوم بذبحه كما تذبح الحيوانات، ويأخذ الميدالية والخنجر الذي أهداه السلطان العثماني له، ويقوم بعرضها على الملأ. قام الشعب الأرمني بتأليف الأناشيد عن هذه الحادثة، وتقول إحدى الأناشيد:

"لقد زمجر القائد

خاف السلطان

بدأت ويلهلم يذرف الدموع

كان سيفك يلمع في صدر العدو

نحن ممتنون لك

يا آنترانيك رئيس الأرمن

لقد انتقمت لنا من العدو عديم الرحمة..."

أصبح "آنترانيك" كأسطورة بعد حمايته لأحد الأديرة، ولأنه فك الحصار بدون أن يجرح حتى مقاتل من مقاتليه، وأصبحوا يلقبونه بـ"الباشا" أيضاً. ثم بدأ يتعاون مع الروس في مناطق "وان" و"موش" و"أرضروم" وحارب العثمانيين مع الروس. بعد ثورة أكتوبر، انهزم الأرمن، قتل الكثيرون منهم، والبعض تم نفيهم، والقلة القليلة منهم بقوا في مناطقهم بعد ان قبلوا بتغيير دينهم إلى الاسلام. بعد الحرب العالمية الأولى، بدأ العثمانيين بالقيام بالمجازر بحق الأرمن، وأنهت القضية الأرمنية في بلادها.

جاء الدور على الكُرد. لأن الامبراطورية العثمانية قد خسرت الكثير من أراضيها، كانوا يودون تأسيس جمهورية تركية، وأرادت أن تؤسس دولتها تلك من القوميات الموجودة. بعد تأسيسهم للجمهورية، كان غرض الجيش التركي إخضاع الكرد لسلطتها وتتريكهم.

كانت علاقات "علي يونس" جيدة مع العشائر العربية في "خرزان" ويصله خبر كي يذهب إلى هناك ويجتمع بهم. يبحثون في ذلك الاجتماع طرق طرق مساندة الثورة أو عدم مساندتها، فلا يصلون إلى قرار بشأن ذلك ويؤجلون اجتماعهم إلى وقت آخر.

في تلك الأثناء، يقوم الجيش التركي بمهاجمة بيت "علي يونس" وتقبض على ولده. يقوم "علي يونس" بقتل ضابط تركي وينقذ ابنه الجريح من براثنهم ويلجأ إلى العشائر العربية. حين تأوي هذه العشائر المطلوبين من الجيش التركي، يزداد الاحتجاج وتبدأ الانتفاضة. بعدها بسنوات، يصدر عفو عام. لكنهم يقومون بقتل "علي يونس" وينصلون ابنه "عبدالرحمن" مكانه.

حسب ما يقال المسنين أن الانتفاضة الثانية بدأت على الشكل التالي: "تنصب الدولة شخصاً كنائباً للقائمقام في مدينة ساسون واسمه كمال. يقوم هذا الشخص بجولة بين القرى ومعه مفرزة عسكرية، ويود بذلك أن يأخذ الخراج والضرائب من القرويين. في البداية، يتوجه إلى قرى جبال (مرتو) حيث يجمع الرجال في ساحة هناك. يتمسخر على طريقة لبسهم ويضرب البعض منهم لأنهم لا يجيدون التدث باللغة التركية، لكن لا أحد يسلمهم الخراج.

في اليوم التالي، توجهوا إلى قرية (خرباگێ) حيث يحلون في منزل كبير القرية (تتربادك)، يقوم هذا بتقديم لبن الماعز لهم، ثم يطلبون منه الخراج، لكن هذا يرد عليه ويقول: "يا قائمقام أفندي، نحن بالكاد نمضي أيامنا بصعوبة بالغة في هذه الجبال، ولا يوجد لدينا دواب كافية ولا أي شيء آخر نقدمه لكم، لكن

طالما قد حللتم ضيوفاً علي فإني سأمنحكم رأسين من الماعز." حين يستمر النقاش بينه وبين القائمقام، يقوم الضابط الذي ينظر إلى القرويين وكإنهم عبيد له بالتجول في المنزل، فيرى في الغرفة المجاورة كنة الرجل وهي تخبز الخبز، فيمسك يدها يحاول تقبيلها، لكنها تصرخ فيه. حين يرى (تتر بادك) ذلك، يهرع إلى بندقيته، أما الضابط، فيهرب ويطلق الرصاص العشوائي. يبدأ (تتر) هو والقرويين بإطلاق النيران عليهم، فيقتلون نائب القائمقام وعدداً من الجند، اما البقية فد قرّوا بجلدهم من هناك.

حين ساند "عبدالرحمن علي يونس" القرويين، اتسعت رقعن الانتفاضة وأصبحت "ساسون" مرتعاً للمنتفضين. كان القرويون يدافعون عن أنفسهم جين يتعرضون للهجوم، لذلك التجأوا إلى الجبال والوديان، وبهذا الشكل، طالت الانتفاضة لسنين. بعدها تلجأ الدولة إلى سياسة الحصار الشديد على المنطقة. يجمع قائد الانتفاضة "عبدالرحمن علي يونس" رفاقه ويقول لهم: " أمامنا ثلاثة حلول، علينا أن نختار منها واحداً. الأول، هو أن نسلم أسلحتنا وأنفسنا للدولة، والحل الثاني، أن نقاوم حتى نقتل جميعنا. والثالث، علينا أن نوصل أنفسنا إلى الحدود السورية التي تحتلها فرنسا ونهاجر إليها. لا أود أن اتحدث عن الاستسلام، وعليكم الاختيار بين الحلين الثاني والثالث."

يختار الأغلبية الحل الثالث، ويهاجرون إلى سوريا. حين تسمع الدولة أن القوات الكردية قد غادرت أراضيها، تبدأ بحملة اعتقالات وقمع واسعة في تلك المنطقة، من يسلم نفسه ينفونه إلى أناتوليا وغيرها، ومن يأبى الاستسلام يقتلونه. بذلك أصبحت منطقة "ساسون" منطقة نائية لا يسكن فيها البشر، امتد هذا الوضع حتى سنة 1953، حتى أصبحت كمنطقة عسكرية ممنوع الدخول إليها.

بعد مرور سنوات طويلة، تبين لنا الوثائق الصادرة حينها- ولو بشكل قليل- المعلومات والاحصائيات عن تلك الانتفاضة، حيث تبين وثيقة صادرة بتاريخ 27 أيلول سنة 1938مرسلة من من وزير الداخلية (شوكرو كايا) إلى القيادة العامة للجندرمة يقول فيها: " من عارض الأنظمة والقوانين، لم يسجلوا اسمائهم في إحصاء 1934، وقع نائب القائمقام "كمال"شهيداً، وجرج المفتي. غالبية المنتفضين من أهالي "ساسون" تم القبض عليهم ونفيهم إلى المدن الغربية. منذ عام 1935، قتل (834) شخصاً، وأسر (592) شخص. ونفي (3577) شخصاً لأنهم قدموا المساعدة للمنتفضين. عدا ذلك، استشهد (80) جندي وجرح (106) آخرون."

انطلقت هذه الوحشية في التعامل منذ سنة 1894 وحتى 1953، أي حوالي خمسين عاماً من القمع والتنكيل، حيث في تلك الفترة نفذت المجازر بحق الأرمن، وأطلقوا على حملتهم هذه "حملة التمشيط" مستعينين باللاجئين القفقاس والعصابات العربية، وذلك كي تمشط الكُرد من أراضيهم وقراهم.

في سنة 1953، فكوا الحصار عن تلك المنطقة، وبدأت بتغيير أسماء القرى والجبال والسهول والأنهار إلى التركية، وبحسب الدولة التركية، فقد تحولت "ساسون" إلى مدينة تركية. وبحسب الكُرد هي مدينة كردية وأرض كردستانية، وبحسب الأرمن، هي مدينة أرمنية. في تلك المنطقة، تجد ثلاثة أسماء للجبال والأنهار والقرى. إسم أرمني، واسم كردي وآخر تركي. الأسماء التركية كانت على الورق فقط، ولم يكن أبناء المنطقة يتدوالونها.

بحلول سنة 1996، ازداد عدد الكُرد في "ساسون" مرة أخرى، حيث أصبح عدد سكان المدينة حوالي (28) الف نسمة، وعدد سكان القرى المحيطة حوالي (18) ألف نسمة. كان يقكن فيها أيضاً الآراميين والكلدانيين والآشوريين، لكنهم كان يعدون انفسهم عرباً. كانت الوظائف الحكومة للترك، ولم يكن فيها أرمني واحد، حيث تم تهجيرهم وقتلهم، لكن قصصهم وأشاطيرهم والأسماء التي كانوا يطلقونها على الجبال والأنهار والقرى بقيت. كانت أطلال الأديرة القديمة العهد باقية هناك. تلك الجبال مهمة جداً للأرمن

والمسيحيين وللكرد المسلمين، فقط المحتلين هم من لا يقدرون عظمة تلك الجبال.

كان "الدكتور سليمان" قد استقر في تلك الجبال. وصله خبر قدوم مجموعة "نازێ"، فأرسل إثنين من المقاتلين لملاقاتهم، وكان أحد المقاتلين هو عشيق "نازێ". فقد كان الدكتور مطلعاً على وضعها وعلى أقوال أوجلان عنها، لذلك أراد أن يجعل من ارسال عشيقها إليها كمفاجأة سارة لها.

بحلول الليل وصلت المجموعة، استقبلها "الدكتور سليمان" وربت على كتفها قائلاً لها: "هل رأيت من أرسلت لاستقبالك؟" لكنها لانها لم تتعرف على عشيقها في تلك الطلمة الحالكة، قالت له: "من تقصد؟" فقال لها إسمه. حينها أدركت "نازێ" أن "الدكتور سليمان" شخص مختلف عن الجميع، فقد كان واقفاً معها، ويتنصت إلى جهاز اللاسلكي في يده، ويقطع قليلاً من الخبز من يد أحد المقاتلين الذي كان يحمل في يده عدة أرغفة.

أصبح عدد المقاتلين يناهز المائة وخمسين مقاتلاً، وقد عقدوا اجتماعاً وقرروا فيه المغادرة إلى جبل "زوڤسرێ" الذي يبعد عنهم قرابة مسير أرعين دقيقة. كانت الحوامات تحلق في الجو، ويرونها من بعيد. كان القادة يشرحون لبعضهم كيفية مسيرهم وتوزيعهم على وحدات صغيرة حتى وصولهم إلى الجبل، وطال نقاشهم لأكثر من ساعة. لم يشارك الدكتور في النقاش بل ظل مستمعاً إليهم، إلى أن توقف الجميع وبدأوا ينظرون إليه، فقال لهم: "الجيش أيضاً يخمن مثلكم إنكم ستلجأون إلى ذلك الجبل، ونحن سنسير إلى هناك، أما هم، فلديهم العربات والسيارت، وإلى لحظة وصولنا سيكونو قد أعدوا الكمين المحكم لنا وستقع الطامة حينها." فسأله أحدهم: "وما هو الحل برأيك؟". نظر سليمان إلى التلة بجانبهم وقال لهم: "الجيش يخمن إننا سنغادر إلى هناك، لكننا لن نفعل، ما علينا إلا أن نختبئ في هذ االجبل القريب علينا ولا نتحرك من أمكاننا، فهم لا يتوقعون منا البقاء. لكننا سنبقى هنا. قولوا للمقاتلين أن يموهوا أنفسهم ويختبئوا تحت الصخور لمدة يومين، وبعد مرور يومين سيذهبون في طريقهم ويفكوا الكمين."

قال أحدهم: "لكن يا دكتور، لاتوجد مياه هنا على هذا الجبل". رد عليه الدكتور: "ان تبقى عطشاً ليومين أفضل من أن تموت."

قامت كل المجموعة بتنفيذ ما قاله الدكتور وبقي كل ذلك العدد لمدة يومين كاملين مختبئين حلف الصخور. بعد مرور يومين من تحليق الحوامات، لم يعد يسمع لها صوت في الأرجاء. بذلك، أنقذ الدكتور بحنكته كامل المجموعة من الكمين.

أشرقت أشعة الشمس الأولى على غابات جبل "زوڤسرێ". فاق الجميع من نومهم وبدأوا يحضرون طعام الإفطار. ارتاحوا في تلك الطبيعة الساحرة.

عاد بعض أهالي "ساسون" كم المنافي ومن سوريا، وتعلموا هناك اللغات الأخرى. لم يكن يعلم الجيل الجديد بما حل بآبائهم وأجدادهم على هذه الأرض، أما المسنون، فكانوا لا يتحدثون كثيراً عن تلك الانتفاضة، أحياناً ما كانوا يرددون في مواويلهم المقاطع التالية:

"عائلة علي يونس عائلة جبلية
أقسموا بالإله

إنهم لم يضعوا الشفقات[25] على رؤوسهم
ولن يضعوا الأكبال في أيديهم
ولن يسلموا شرفهم لأبناء العاهرة الأتراك."

[25]. الشفقة: عبارة قبعة كانت الدولة العثمانية تفرض على الجميع ارتدائها. (المترجم)

بعد الفطور، قسموا المجموعة الكبيرة إلى وحدات مؤلفة من خمسين مقاتلاً، وعين الدكتور على مجموعة قائداً، أما هو، فقد كان القائد العام على كل وحدات بدليس، سيرت، آمد، موش، وجوليك، وكان سيبقى في منطقة "ساسون". كان يرسل الوحدات إلى القرى، لتأمين الطعام ومستلزمات الوحدة. حين عادت وحدة القائد "موسى" إلى المقر، قال للدكتور:" أود الحديث في موضوع مهم معك على انفراد."

أمر الدكتور المقاتلين من حوله كي يتركونهم لوحدهم وقال له: "قل ما لديك.؟" قال له "موسى": حين عودتنا، كنا نسير متفرقين . اجتزنا مفرقاً على الطريق وهناك رأيت زلال و دليل يقبلان بعضهما، وقد رآهم غيري من المقاتلين أيضاً."

كان الدكتور يعرف كل من "زلال" و"دليل" جيداً، حيث تركا نفس الكلية مع بعض والتحقا بالگريللا. كان يشك في أن بينهما علاقة حب، لكنه لم يتوقع أن يمارسا هذا الحب في المكان الممنوع فيه الحب. رد على "موسى" مبتسماً وقال: " قلت لي إنهم كانوا يقبلون بعضهم على جرف هناك، والتقبيل خطر هناك، اليس كذلك؟" وقهقه ضاحكاً.

أرسل "موسى" إلى وحدته واجتمع مع "نازێ" والقائد "مروان" وقرروا أن يجموا كل الوحدة للبت في هذا الموضوع.

حين رأى كل من "دليل" و"زلال" أن الجميع حسوا بهم، أدركوا إنهم قد داسوا بأقدامهم على التابو المحرم. لم يستطيعا النوم في تلك الليلة، وكانوا يدركون إنهم قد أذنبوا.

بعد الاجتماع الصباحي، طلبهم "الدكتور سليمان" وقال لهم: "هناك شكوى ضدكم، سنقوم باجتماع هنا، اجلسوا هنا بالقرب من بعضكم البعض، حيث سنعقد الاجتماع هنا.

جلس كل أعضاء الوحدة في ذلك المهف الواسع، وكان الدكتور و"نازێ" يترأسون الاجتماع. بداية، تحدث "موسى" عن أخلاق الحزب بشكل مطول، واتهمهم بأنهم دنسوا بفعلتهم هذا خط الحزب والقائد. اندهش المقاتلين الآخرين الذين سمعوا ذلك، وبدأ كل منهم يصدر الحكم، منهم م أصدر حكم الاعدام، ومنهم من طلب سجنهم، والبعض طلب جردهم من أسلحتهم وتشغيلهم في حمل الحمولة.

بعد نقاش مطول، اتجهت الانظار إلى الدكتور وحكمه على الموضوع. قام الدكتور من مكانه واتجه إلى المكان الذي يجلس في كل من "زلال" و"دليل"، نظر إليهم مبتسماً وقال: "إن كنتم ستقبلون بعضكم هكذا على جرف وبكل وضوح، بالتأكيد سيرونكم هؤلاء. ماذا سأفعل؟ لقد أغلق الملف وانتهى الاجتماع."

لم ينطق أي من الموجودين بكلمة، وخرجوا من الكهف. شعر الدكتور بسعادة لأنه أنهى تلك المعضلة بتلك الطريقة.

www.arsivakurdi.org

يُطلب"شمدين ساكك" القائد المعروف في "" إلى التحقيق من قبل عبدالله أوجلان في سنة 1996، ويُعد هذا القائد الصندوق الأسود للحزب على مدار ثمانية عشرة عاماً. كان تحت مسمى النقد الذاتي يحاكمون أنفسهم بأنفسهم. قائد لم يستطع الجيش التركي هزيمته، الآن يقول له: "أنت لا شيء". صوروا كلماته التي ينتقد فيها نفسه عن طريق كاميرات الفيديو وأرسلوها إلى الصحف التركية. ثم يصورون لقاء معه على فضائية "MED TV" بقرار من عبدالله أوجلان. في ذلك اللقاء يجعلونه يقول الكلام التالي: "سنبدأ بالكفاح المساح من جبال آمانوي ومنها سنتوجه إلى أنقرة."

بعد أن يرسلوه إلى الموت مع مجموعة صغيرة إلى جبال أمامنوس، يُدرك "شمدين" إنه قد وقع في كمين، ويفقد نصف أعضاء مجموعته حياتهم فيه. يشتبك مع الجيش التركي في بعض المناطق، ثم ينسحب إلى سوريا. يجعل أوجلان من انسحابه هذا مثلبة ضده، وكي يعاقبه، يرسله إلى مقر الحزب في جنوب كردستان.

حين يحاول "شمدين" الهرب، يجد نفسه بين أحضان الكوماندوس التركي، وذلك لتأخره في إدراك الخيانة التي كانت تحاك ضده.

قبل أن يطلبوه إلى دمشق، كانوا قد عقدوا الكوانفرانس الرابع للحزب في 1996/1/15، وقرروا فيه أن يشكلوا مجموعات فدائية لتقوم بالعمليات الانتحارية في كل الإيالات. كان عبدالله أوجلان هو من اقترح هذا الامر.

كانت قد تشكلت الحكومة التركية الجديدة بتاريخ 1996/6/28 برئاسة "نجم الدين أربكان"، الذي كان الجيش التركي والدولة العميقة "أرغنكون" يعارضونه. كان ممثلي الدولة التركية هم من يديرون الجيش التركي وتنظيم "أرغنكون" وعبدالله أوجلان في دمشق. كان هؤلاء يودون زرع القلاقل في البلاد، وقد تكون العمليات الفدائية المزمعة باقتراح من هؤلاء أنفسهم.

كانت حجة أوجلان في تنفيذ الهجمات الانتحارية هي، أن حرب العصابات لم تعد تجدي نفعاً، حيث أن الجولة التركية تستخدم تكتيكات وتكنيك متقدمة وضخمة، وقد استولى على الكثير من المناطق وأمن كل مقاره العسكرية. إذاً، لم تعد لعمليات الكر والفر التي تقوم بها الگريلا ذو فائدة، ولأجل تغيير الوضع على الأرض عليهم أن يقوموا بالعمليات الانتحارية.

قبل أن يتخذ هذا القرار، كان كل من (الدكتور سليمان، شمدين، دزا، چكو، هايام وناصر) قد عقدوا كونفرانساً سنة 1993 في مدينة "آمد" وقرروا فيه القيام بانتفاضة شاملة. كانوا تناقشوا فيما بينهم أن حرب العصابات قد بدأت بالدعاية المسلحة لها، وبدأت بعمليات الكر والفر. بعد هذهالمرحلة، كان على الشعب أن يقوم بانتفاضة في المدن. كان قادة الگريلا قد أثبتوا أعداد المدنيين المسلحين بينهم بأربعين ألفاً، وكان هؤلاء سيجعلون الناس ينزلون إلى الشوارع، لكن بعد هجوم واسع تقوم به الدولة، كانوا سيوجهون الملايين للفرار إلى جنوب كردستان، وبعدها يحاولون كسب دعم أممي من الأمم المتحدة كي تكون المنطقة تحت غطاء أممي. بعد انتهاءهم من النقاش، اتصل "شمدين" عن طريق اللاسلكي مع عبدالله أوجلان الذي كان قابعاً في قصره في دمشق، فرد عليه أوجلان: "أين أنتم من الانتفاضة؟ إلى الآن لم تنتصروا كي تكون حزباً" ولم يقبل بقرارهم هذا. شك كل من "الدكتور سليمان" و"شمدين" مو موقف أوجلان، لكنهم، لم يصحوا إلا بعد سنين من غفوتهم.

كان من المقرر أن يتم تشكيل المجلس القومي الكردستاني سنة 1993، لتمثيل الكُرد في المحافل

السياسية، لكن هذا المجلس لم ير النور بقرار شخصي من عبدالله أوجلان، وعارضه الرئيس السوري حافظ الأسد ورئيس الوزراء التركي تورغوت أوزال والقائد الكردي جلال طالباني.
امتعضت كل من تركيا وسوريا حين رأوا أن المجلس القومي الكردستان قد بدأ يطرق الأبواب الدبلوماسية في أوربا، ولم يكتفوا بإفشال المجلس، بل جعلوا من الساحة الأوربية كساحة حرب، وبقرار من أوجلان نفسه، وانتصروا بذلك في جعل "PKK" ضمن قائمة المنظمات الارهابية في أوربا.
كان تكتيك القيام انتفاضة شاملة قراراً مشروعاً وكانت ستعتبر انتفاضة شعبية وتدخل التاريخ من أوسع أبوابه. أما تكتيك العمليات الانتحارية التي أرادها اوجلان كانت من الأساليب التي تتبعها المنظمات الارهابية، وبعيدة كل البعد عن القيم الانسانية أيضاً، ولا تعترف به إلا الدكتاتوريات والمنظمات المتعطشة للدماء. عدا عن أن هذه العمليات ستضر بسمعة القضية الكردية العادلة وستؤدي إلى نتائج وخيمة. من وضع تلك الاستراتيجية، كان يود بتلك النشاطات الخاطئة جعل "PKK" حزباً إرهابياً في أوربا.
تمت أولى العمليات الانتحارية في سجن "آمد"، حيث كانت الدولة التركية تقوم بعمليا تعذيب ممنهج ضد السجناء في عام 1980. طال ذلك التعذيب الوحشي سنة بكاملها بحيث لم يعد يتحمله ولا يتصوره العقل البشري. حتى وصل الأمر بالسجناء لأن يقولوا "توقف"، وقام"مظلوم دوغان" الذي كان عضواً في "PKK" بشنق نفسه في زنزانته في يوم 21 آذار سنة 1982. مع ذلك لم يتوقف التعذيب. ثم أضرم كل من (أشرف آنيك، فرهاد كورتاي، نجمي عمر، ومحمود زنگين) النار بأجسادهم في يوم 18 نيسان سنة 1982.
هاتين الحادثتين، قام بها السجناء وهم مجبرين على القيام بها، فهم لم يتحملوا كل صنوف التعذيب تلك بحقهم، ومن جهة أخرى، كانوا يودون إيصال رسالة إلى خارج السجن، مفادها أن السجناء يحرقون أنفسهم ويفضلون النار على البقاء تحت ذلك التعذيب. أصبح السجناء بعدها ينظرون إلى هؤلاء الخمسة الذين أحرقوا وشنقوا أنفسهم على إنهم قادة لهم ورفعوا أسمائهم عالياً، حيث زرعوا فيهم أيضاً روح المقاومة داخل السجون. بعد تلك الحادثتين في السجن قامت "زكية آلكان" الطالبة في كلية الطب في ليلة عيد النوروز في سنة 1990 بإحراق نفسها أمام كل أهالي مدينة "آمد"، حيث تحول جسدها إلى كتلة من نار، وذلك احتجاجاً على القمع المبطق على الشعب الكردي.
بعدها بسنة، كانت "رهشان دميرل" بإضرام النار في جسدها عشية يوم عيد النوروز في مدينة إزمير، وفقدت حياتها جرّاء ذلك. هاتين الفتاتين لم تكونا داخل السجون، بل كانتا طليقتان. كان هناك العديد من الطرق للنضال عدا إضرام النيران في جسديهما. إنه لخطأ جسيم أن يحرق الإنسان نفسه، في يحن هناك العديد من الطرق الأخرى للنضال والمقاومة، وكان من الواجب إيقاف مثل هذه النشاط بين صفوف الطلبة والشباب.
لكن الحزب لم يقف في وجه هذه العمليات، بل أظهر من يحرقون أنفسهم على إنهم أبطال. كان أوجلان يقيّم ذلك الوضع بقوله: "لقد قاموا بأحراق أنفسهما لأجلي" وشرعن انتحارهم بتلك الطريقة. بعدها قال: "أنا أدعم ثقافة الفداء هذه" وفتح الطريق أمام هذه العمليات.
بعد المؤتمر الخامس لـــــ"PKK" والذي قرروا فيه القيام بالعمليات الانتحارية، قام قائد منطقة "آمد" بالاستعدادات لتلك العمليات. حين هموا للقيام بتلك العمليات، كُتبت قصة العم "كامل" وابنته "روجين" التي تسلب الألباب.
كانت "روجين" ذات الستة عشر ربيعاً، فارعة الطول، شعرها أشقر وعيناها عسليتان. كانت هادئة

بطبعها وتشبه الغزلان. كانت مع والدها العم "كامل" بين صفوف الگريلا.

لم يكن أحد يعلم، هل التحقت "روجين" بوالدها في الجبال، أم لحق بها والدها، لكن الجميع كان يعلمون إنهما يحبان بعضـهما حباً جماً. لكن لم يكن أحد يعلم بقصـتهم، ففي هذا النوع من الأحزاب، لا يهتم أحد بقصـص غيره الشـخصـية. كانا من منطقة "چيرموگ"، وكان "كامل" هو الإسـم الحقيقي للوالد. أما "روجين" فكانوا ينداونها بـ"سورێ" أي الشقراء.

كان عمر "كامل" بحدود الخمسة وخمسين سنة، لكنته التركية آمدية، وشاربه كثٌّ ومصفر من دخان السـجائر، لا يترك بندقيته الكلاشـينكوف من يده، وكان يحب كل المقاتلات كبناته. حين يجلس، يهم بتجهيز لفافة تبغه والابتسامة لا تفارق محياه، كما إن حديثه كان مشوقاً ويؤثر على كل من حوله.

في تاريخ 6 نيسـان سنة 1996، قام الجيش التركي بالتحضير لعملية واسعة زج فيها عشرات الجند حول منطقى "آمد" ويقال أم ثمانية وعشرين جنرالاً قد خططوا لها، وأعدوا كافة صنوف الأسلحة من دبابات وحوامات كوبرا ومدافع لهذه العملية، وقد تمركزوا في التلال الاسـتراتجية حول المنطقة. أما قوات الگريلا، ولان الوقت كان في مقتبل الربيع، فلم يكونوا يتوقعون أن يقوم الجيش بالعمليات في مثل هذه الأوقات من السنة. كان المقاتلين يخرجون رويداً رويداً من مخابئهم تحت الأرض، ينتظرون الربيع، الذي بدأت بشائره من حولهم.

كانت وحدة من الگريلا مؤلفة من ستين مقاتلاً يختبئون تحت الأشجار، وسرعان ما انكشف أمرهم من قبل الجيش وبدأوا بالقصف براً وجواً عليهم، حتى أن غالبية عناصر المجموعة فقدوا حياتهم.

كانت هناك مقاتلة بين تلك المجموعة واسـمها أيضـاً "روجين ماردين" قد نفذت من الموت، وبعد ذلك القصف، بيوم توجهت إلى أماكن رفاقها، وشاهدت بأم عينيها المأساة. كانت جثث رفاقها ممزقة من تأثير القصف. أصبحت تبحث بين الجثث عن "روجين الشقراء" ورأت جثتها وهي عارية هناك، كانت جثتها بالقرب من جثة مقاتلة أخرى، كانوا قد عروهن من ثيابهن واغتصبوهن، ثم مثلوا ببجثثهن أبشع تمثيل. لم تتحمل هذه ما حل برفاقها وسرعان ما قامت هي ورفاقها المقاتلين بحفر الأرض ودفن الجثث هناك.

بعد أيام من تلك الحادثة، سـمع العم "كامل" عن طريق القائد "ناصـر" فقدان ابنته لحياتها في تلك العملية. بدأ يبكي كالأطفال عليها، وقال لهم: "أين هي جثتها؟ أين دفنتموها؟" فقالت له "روجين مادرين" إنهم دفنوها في ذلك المكان، لكنها لم تسـرد له ما فعل الجيش بجثثهم والتمثيل الوحشـي بجثثهم. لم تعد للحياة معنى لديه بعد فقدانه لابنته وفي نفس ذلك اليوم سجل اسمه في مجموعة الانتحاريين.

طلب من القائد "ناصـر" والقائد "آمد" أن ينفذ عملية انتحارية، لكنهما لم يجاوباه. لذلك، غضـب العم "كامل" من تباطؤهم بالرد وأصبح منطوياً كل تلك الفترة على نفسه.

بعد عدة أيام، وبعد نقاش بين القائدين، قررا أن يسـندوا له القيام بعملية انتحار في ملعب المدينة، حيث حددوا يوم المباراة، وكانوا يعلمون أن كبار الشخصيات العسكرية والسياسية سوف تحضر تلك المباراة، بعدها طلبه القائد "آمد" وقال له:

- هل تعرف العرقسوس يا عم كامل.

- وكيف لا أعرفه، اليس ذلك المشـروب البارد الذي يبيع الباعة الجوالون في الصـيف. كانوا يلبسـون زياً خاصاً وشواربهم مفتولة، ويضربون الأقداح النحاسية ببعضها ويصدرون منها إيقاعاً رتيباً.

- لقد قلّ عدد باعة العرقسوس. هل انتبهت إلى زيهم جيداً.

- نعم، كانت أزيائهم جميلة جداً ويحملون برميل العرقسوس على ظهورهم.

- ياعم كامل، أنت أيضاً تلزمك نفس تلك الثياب، مع برميل وأقداح وسطل.

www.arsivakurdi.org

- وماذا سأفعل بهم؟ هل ستجعلني بائعاً للعرقسوس؟
- هل ذهبت سابقاً لمشاهدة مباراة في ملعب المدينة يا عم؟
- أنت تتحدث معي بطريقة غريبة وعجيبة اليوم. ماذا تقصد من وراء هذا الكلام؟
سرد له القائد "آمد" عن مجريات المباراة، وأن المسؤولين الكبار سوف يحضرون المباراة وسيجلسون على منصة الشرف هناك.
- ولماذا يجلس هؤلاء عديمي الشرف على منصة الشرف؟
- سوف تلبس ثياب بائع العرقسوس، وسوف نضع كمية كبيرة من متفجرات "TNT" في البرميل، ما عليك إلا أن تصل إلى منصة الشرف حتى تضغط على الزر فقط.
- يعجبني كلامك الآن. إنها خطة جهنمية، لكن عليكم أن تؤمنوا لي الثياب والبرميل والسطل و هذه الأمور.
بعد أيام معدودات، جهزوا له كل المطلوب للعملية، وقطع العم "كامل" تذكرة الدخول ودخل إلى الملعب. بدأ يبيع بضعة أقداح من العرق سوس، ورويداً رويداً أوصل نفسه إلى منصة الشرف. فور وصوله إلى هناك، بدأ بالضغط على الزر، لكن البرميل لم ينفجر. حاول مرتين وثلاث، لكن أبى البرميل أن ينفجر. أصبح وجهه مصفراً ومحمراً من الخجل وبدأ يلعن ذلك الشخص الذي أعد له البرميل، ثم أسرع بالخروج من الملعب. ذهب إلى كراج الحافلات وتوجه إلى "لجىّ". سار والبرميل على ظهره بين الجبال، لساعات معدودات سار حتى وصل إلى القرب من مقر رفاقه. رآه البعض منهم واتجهوا صوبه واندهشوا لرؤيته بتلك الحلة. حين رأهم العم "كامل" بدأ يضغط باستمرار على الزر ويقول بصوت مسموع: "لاتنفجر.. لا تنفجر". هرب الجميع من حوله وهو لا يتحرك ويردد: "لا تنفجر... لا تنفجر" حتى أتى إليه القائد "آمد" ورآه قادماً ببرميله وسطله من "آمد" وحتى المقر وهو منكس الرأس ويردد مثل المجانين "لا تنفجر... لاتنفجر". بعد بفترة قصيرة، سمع القائد "آمد" أن العم "كامل" فقد حياته في معركة بالقرب من مدينة "فارقين".
أول عملية انتحارية قامت بها زينب كيناجي (زيلان) وهي في عمر الرابعة والعشرين وكانت أنهت دراستها في قسم الاستشارية النفسية، وقبلت أن تتحول إلى قنبلة حية، واستعدت لذلك في مدينة "ديرسم".
بدون شك، إن الإنسان الذي يقرر أن يحول البشر إلى قنابل حية، هو شخص ذو أحاسيس عجيبة. حين يقبل تنظيمك أن تتحول إلى انتحاري، حينها ينتابك شعور غريب. تحسون الموت يقترب منكم، وتتغير الحياة من حولك، ولا يعود للحياة معنى لك. ماضيك يتحول كشريط فيلم سينمائي أمام أعينك. ولحظة الإنفجار، تكون نهايتك. وسيتفتت جسدكم. تصبح حياتك بين يديك بواسطة زر فقط. لن تحس بالانفجار، سيطير رأسك إلى مكان وأطرافك إلى مكان آخر. أحياناً ما تدرك الحياة بمفهوم خاطئ وأعمى، تفكر في العملية التي ستقوم بها، ستصور نفسك بطلاً تاريخياً لشعبك، وسيعلق هذا الشعب صورك على الجدران. تهرب من الحياة وتحب الموت. تقتنع أن الحياة التي تعيشها صعبة، لكن الموت سهل، حتى إنك تقول أن الحياة الحقيقية هي الموت.
أحياناً من يقوم بالعملية الانتحارية يفكر بهذه الطريقة أيضاً، "لقد قررت أن أصبح قنبلة حية، وقد قلت ذلك لرفاقي وحزبي، وقلت كلماتي الأخيرة أمام الكاميرات. إن لم أفجر نفسي، حينها سأكون جباناً. لكنني أعلم أن البطولة هي في مكان آخر. أريد أن أصبح إنساناً في حياة لها معنى وأنفذ العمليات الكبيرة"
وأحياناً ما يظنون أن حزبهم يراهم وكإنهم لا شيء. كما يقول "موراثان مونگان":
"أنا كلغة لا يتحدث بها

أنا كمجنون لا يثق به أحد
ككتاب لا يقرؤه حتى كاتبه
كأغنية لا تُغنى
كسؤال لا يُسأل
أنا في داخل الضجيج
لكن، كأنني لست موجوداً"[26]

قبل أن تنفذ "زيلان" عمليتها الانتحارية، قد تكون قد فكرت في هذه الأمور. في يوم 26 تموز سـنة 1996، وفي بيتها في مدينة "ديرسم" لفّت على جسدها قوالب المتفجرات، كما حملت القنابل اليدوية ايضاً. مع أن الجو كان حاراً، إلا أنها لبسـت معطفاً، وباتت وكإنها امرأة حامل. غادرت إلى بيت قريبة لها وهي على تلك الحالة، وقالت لها إنها حامل، لذلك نزلت من الجبال. بقيت ثلاثة أيام هناك، لم تبدل ثيابها ولم تتحمم أيضاً. كانت تنام بذلك الحزام الناسف.

أحسـت قريبتها بالشفقة عليها، وأدركت أن نفسيتها ليست على مايرام. خرجت من البيت حين اقتربت ساعة العملية. سارت ببطء صوب ساحة الجمهورية التي كانت ستقام فيها مراسيم تحية العلم. كانت الساعة السابعة والنصف من يوم الأحد، وكان حرس الشرف المؤلف من ستين جندياً واقفين على في صف واحد هناك.

كانوا سـيعزفون نشيد الاستقلال التركي، والاشخاص الذي لا يودون تلاوة النشيد ابتعدوا عن صف الحرس هناك. اقتربت "زيلان" من فرقة حرس الشـرف وركضـت حتى أقرب مسـافة إليهم، ثم حدث الانفجار.

تطايرت أشـلاء جسـدها في الهواء، وانكسـر زجاج المباني المجاورة. قتل في التفجير أربعة ضـباط وخمسة جنود، وجرح تسعة وعشرين آخرين. تحولت الساحة إلى بركة دماء لا يسمع فيها سوى آهات الجرحى. بعد التفجير بيوم، أدلى عبدالله أوجلان بتصـريح للقسـم التركي في إذاعة "بي بي سـي" مخاطباً فيه رئيس الوزراء التركي "نجم الدين آرباكان" قال فيه: "سـوف أرسـل رسـالة بطريقة مباشـرة أو غير مباشرة. سوف ننتظر برامج الحكومة. إن لم يكون جوابهم إيجابياً، حينها سوف نزيل الحواجز أمام الشعب الكردي ونزيد من العمليات االانتحارية"

ثم لقن أتبـاعـه ومريديـه المواعظ وقـال لهم أن "زيلان" هي ثـاني آلهـة بعـد الآلهـة عشـتـار في "ميزوبوتاميا". كان مريدوه يتحدثون عن "زيلان" على الشـكل التالي: "أن طريق زيلان في الحياة هو طريق الحب، هو طريق التأله، طريق الصراع والحرب على التخلف. زيلان ستصبح ملحمة.. قصة إحياء المرأة منذ عشـتار وحتى وقتنا الحالي. إن الرسـائل التي تركتها خلفها تعتبر وصـايا لنا، بفكرها، وذكاءها، وأيديولوجيتها، إنها فكر وطريق للحل أمامنا. ما زال هناك الكثير لنقوله عن زيلان، لكن القائد يختصر كل ذلك الكلام بجملة واحدة وهي (زيلان قائدة ونحن طوع أمرها)"

بعد أن نفذت امرأتان أخريتان تفجيرات في "مرسـين" و"ماردين" وتكبد المدنيين خسـائر فيها. أراد أن "الدكتور سليمان" أن ينفذ خطته حيال ذلك. كان يود أن تُنفذ الأعمال الانتجارية ضد الجنود وضد رؤوس الظلم فقط، ولا تكون قريبة من المدنيين. سأل في وحدته عن المتطوعين الذي سجلوا أسمائهم كانتحاريين، وكان عدا "عبدالرحمن مارانگوز" الكثيرون ممن سجلوا أسمائهم.

[26] .https://tr.pinterest.com/pin/517421444669195188/

حدد الدكتور عمليته ضد قائد الجيش السابع "ياشار بويوكانت" الذي كان سيحضر في عيد الجمهورية في 29 تشـــرين الألول. حين تحدث مع "عبدالرحمن" في ذلك، واقتنع "عبدالرحمن" بالعملية وأبدى استعداد التام لها، قال له عن موعد الاحتفال بعيد تأسيس الجمهورية التي يقام سنوياً في نفس التاريخ في مدينة "آمد"، وقال له: "عليك أن تقترب منه كثيراً وتفجر نفسك."

قاموا بإعداد "عبدالرحمن" للعملية، حتى بقي أسـبوع لحلول ذلك اليوم. جهّزوا المواد المتفجرة ووضعوها في برميل بلاستيكي بين الجبنة، ومن هناك جلبوها إلى المدينة.

هناك نوعين من القصص التي تناولت هذه العملية، الأولى وحسب الصحف التركية أن "عبدالرحمن، يأتي في يوم الجمعة إلى مدينة آمد ويتم القبض عليه في تمام الساعة السابعة في محطة المدينة، ويعترف "عبدالرحمن" تحت التحقيق بالتالي: "كنت سـأنفذ عملية انتحارية واستهدف فيها ياشـار بويوكانت، وقد أمرني الدكتور سليمان كي أنفذها، لكنني لم أنجح في العملية، لذلك أنا نادم على فعلتي." وبحسب الصحف التركية، فإن "عبدالرحمن" كان يحمل معه حزاماً ناسفاً، وقذيفة هاون، وستة قنابل يدوية.

بحسـب أخصـائيي المتفجرات، فإن تلك المواج كانت كافية لتدمر مسـافة مائة متر من حولها، وكانت ستقتل من ستين إلى سبعين شخصاً على أقل تقدير.

أما القصـة الأخرى، ويسـردها البعض من أعضـاء "PKK"، ويقولون فيها، أن "عبدالرحمن" ذهب ليودع زوجته، وقال لها إنه ذاهب لتنفيذ عملية انتحارية، ولأن زوجته لم تكن تريده أن يقوم بها، لذلك ذهبت وأبلغت عليه.

يضـيف هؤلاء: أن "عبدالرحمن" قد وصـل إلى مكان المراسـيم، وقد ضـغط مرات كثيرة على زر التفجير، لكن المتفجرات لم تنفجر. حينها، ارتجفت يداه وتلبك، حتى شك فيه عناصر البوليس واقتادوه إلى القسـم، وبعد التفتيش بين ثيابه وجدوا التفجيرات معه. يبرر أصـحاب هذه القصـة بأن المتفجرات لأنها وضعت في برميل الجبنة أصابها الرطوبة، لذلك لم تنفجر.

كل القنابل الحية التي تم إعدادها في مدينة "آمد" كانت بدون نتائج، إلا واحدة، وهي لم تكن من صـلب عمليات القنابل الحية، لكن تم تسميتها من قبل "PKK" بأكبر عملية انتحارية.

كان عمر "آدم"، يناهز الأربعين، ويعمل في معهد الماكينات والكيماويات في "كريلك كلا"، كان هذا المعمل يصـنع الأسـلحة للجيش التركي. منذ سـنة 1935 وبدون توقف، كان هذا المعمل يصـنع البنادق والمسدسات الأوتوماتيكية ومختلف أنواع الذخائر للأسلحة.

كان هذا المعمل على أرض منبسـطة ومسـاحته يقارب الأربعة كيلومترات طولاً وعرضـاً. كانت كل الأسلحة التي يقاتلون بها الكُرد يتم تصنيعها في هذا المعمل. كان "آدم" في وضع نفسي مزر جراء عمله هذا، فهو يقبض راتب شـهري ويأتي لينام في بيته بين أطفاله، بينما الأسـلحة والذخائر التي يصـنعها يُقتل بها أبناء شـعبه، حتى أن بعض أقرباءه كانوا بين صـفوف الگريللا. كلما يعود إلى البيت ويشـاهد نشـرة الاخبار ويتابع أخبار القصـف على أبناء جلدته، كان يتنحى جانبه وتنتابه نوبة بكاء وتأنيب ضـمير على عمله هناك. فكر كثيراً في مخيلته أن يضـع حداً لهذا المعمل ولعمله هناك. تصـور أن يقوم بتفجير المعمل بكل ما فيه وكل أقسامه. لذلك أراد أن يلتقي بالقادة في الجبال كي يخبرهم بذلك ويطلب منهم المساعدة في عمليته هذه. طلب إجازوة من عمله وتوجه إلى مدينة "آمد"، وتواصـل مع أقرباءه الذين لهم علاقات مع "PKK" وطلب منهم أن يلتقي بالقادة الكبار في التنظيم، لكنه لم يخبرهم عن سـبب لقاءه بهم، بل كان يقول: "أود رؤيتهم لأمر مهم."

أخذوه إلى "لجىّ"، ثم بسيارة إلى خارج المدينة، حتى وصلوا إلى المكان المقرر، حتى وصلوا به إلى

المنطقة الآمنة. كان "الدكتور سـليمان" مع بعض رفاقه جالسـين في الكهف، فقاموا لاسـتقباله، وبعد احتساءهم الشاي، طلب "آدم" أن يتدث مع الدكتور على انفراد، وكان له ذلك. تحدث للدكتور عن عمله في معمل الأسلحة وعن طبيعة عمله هناك. أثار ذلك انتباه الدكتور وبات يصغي إليه بحرارة. قال له "آدم" إنه ينوي القيام بعملية تفجير في المعمل، وقد أتى إليهم لأجل هذا الشيء. سأله الدكتور:

- حسناً، وما هو المطلوب منا؟

- أود منكم أمرين، الأول أن توافقوا أن أقوم بذلك. وثانياًن أطلب منكم قنبلة يدوية.

احتار الدكتور في أمره وقال له:

- أنت تعمل في معمل القنابل وتطلب منا أن نمنحك قنبلة واحدة.

- أنا لا أعمل في قسم القنابل، بل في قسم الذخائر.

- ألا تستطيع أن تذهب إلى قسم القنابل وتجلب قنبلة من هناك؟

- صراحة لم أفكر في ذلك. لكنني سأقوم بذلك.

احتار الدكتور في أمر هذا الرجل وشك فيه، فقد قطع مئات الكيلومترات كي يطلب منه رمانة يدوية! قال له الدكتور:

- حسناًن، لتكن هذا العملية سرية بيني وبينك فقط.

بعد ثلاثة أيام من ذهابه وفي صبيحة يوم الثالث من تموز الساعة الثامنة والنصف صباحاً سمع دوي انفجار هز كل بيوت المدينة. كانت قطع الحديد تتناثر في السماء، ثم تتالت التفجيرات الواحدة تلو الأخرى. انكسـرت نوافذ البيوت من تأثير قوة التفجيرات، وخرج أهالي تلك المدينة فزعين من بيوتهم يهربون إلى الطريق المؤدي إلى مدينة "سامسـون". تحولت المدينة إلى كتلة من نار. ولم يصـدر أي تصـريح لا من الدولة ولا من الجيش عن هذا التفجير. فقط الصحف كانت تنشر أخبار التفجير بدون ذكر الأسباب. حدثت بعدها ثلاثة عشـر تفجير آخر في نفس المعمل. مما أدى إلى خروج كل أهالي المدينة والتي يبلغ عدد سكانها مائتين وسبعين ألف نسمة. خرجوا إلى الطرق خارج البلدة والجبال وحقول القمح والشعير. كان الناس يتناقلون الأقاويل، منهم من يقول أن مخزن الذخائر انفجر، ومنهم من يقول أن مخزن الصـواريخ قد انفجر... وهكذا. كل يتوقع أن يكون التفجير في مكان ما من المعمل. بقيت النار مشـتعلة في المعمل وما حولها حتى صبيحة اليوم التالي. بدأت طائرات إطفاء الحرائق بإلقاء الماء والبودرة من السماء على النار، لكنها لم تنطفئ، بل بين كل فينة وأخرى يُسـمع صـوت تفجير آخر أقوى من الأول. طلبت الحكومة المساعدة من ألمانيا واسـرائيل لإخماد الحريق، وبعد وصـول النجدة من الدولتين وعلى مدى ثلاثة أيام متواصلة، استطاعوا إخماد ذلك الحريق الهائل.

ساد الصمت في المدينة، وأذاعت النشرات التركية أن شخصاً واحداً فقط قد فقد حياته في التفجير. مع العلم إنهم أخلوا المستشفيات في المدن المجاورة وكانت سيارات الاسعاف تنقل المصابين إليها.

حين سـمع "الدكتور سـليمان" بخبر التفجيرن قال لرفاقه: "كانت عملية ناجحة وكان لنا اليد فيها." لكن "PKK" لم يتبنى العملية، وحين سـمع أوجلان بها، لم يعلق عليها. فقد يكون التفجير يسـبب له مأزقاً مع مسؤوليه في دمشق. وقد يكون ذلك التفجير سبباً في لجم "الدكتور سليمان" أيضاً، ولم يكن يود أن يعلق أحد من الحزب على تلك العملية.

لم يكن الدكتور ورفاقه حينذاك يدركون الوجه الحقيقي لأوجلان، وكان الظاهر أن أوجلان هو ضـد عمليات كبيرة تستهدف عمق الدولة كهذه، وحين قدم اعترفاته في "إيمرالي"، ذكر إسم "الدكتور سليمان وقال فيها: " قام بوضع خطة يستهدف فيها ياشار بويوكانت بدون علمنا."

حين راجع "الدكتور سليمان" التقارير المرسلة إلى منطقة "آمد" لفتت انتباهه رسالة مرسلة من فتاة اسمها "زيڤا"، هذه الفتاة تركت دراستها الجامعية والتحقت بالگريلا، وقد سجلت إسمها في لائحة الأسماء المسجلة في العمليات الانتحارية وكان قد تمت الموافقة على طلبها من قبل أوجلان المقيم في دمشق. كانوا قد كتبوا ملاحظة صغيرة تحت طلبها وهي: "هذه الرفيقة مستعدة للتطوع في العمليات الانتحارية. لكن علينا أن نقوم بتهيأتها وتدريبها من الناحية النفسية والتكنيكية، لذلك نطلب منكم أن ترسلوا هذه الرفيقة إلى المقر الكبير."

بعد أيام، وصلت "زيڤا" إلى مقر الدكتور الذي طلب رؤيتها، وسرعان ما أتت وصافحته بديها. كانت "زيڤا" فتاة ناعمة وجميلة جداً، شعرها قصير وخدودها حمر. لكن نظراتها كانت عميقة. كان التعب والإرهاق بادياً عليها، وذلك لأنها بقيت بضعة أيام بين الگريلا. كانت لابسة ثياب المقاتلين وتحمل بندقية الكلاشينكوف في يدها، وتضع العمامة الكردية على رقبتها.

حين مدت يدها إلى الدكتور لمصافحته، لم يترك الدكتور يدها لبرهة ونظر في عينيها قائلاً لها:

- هل تودين الموت؟

- نعم.

- الموت سهل، أما الحياة هي الصعبة. أنتي تختارين الأسهل. هل تعلم لماذا يرغب الإنسان في الموت؟ هناك بعض البشر كسالى، لا يودون القيام بشيء، ولا معنى للحياة لديهم، لذلك يرغبون في الموت. كما ان بعض البشر يفقدون الثقة، لذلك يرغبون في الموت. وهناك بعض البشر ليس بمقدروهم إيصال حياتهم إلى تلك السوية التي يريدونها، لذلك يبحثون عن الموت. وهناك بعض البشر لأنهم يؤمنون بالقضية التي يناضلون من أجلها، يقتلون أنفسم من أجلها. وأنت، لماذا تودين أن تنتحري؟

- طبعاً، من أجل آخر سبب ذكرته سأقتل نفسي.

ترك الدكتور يدها بعد أن أجابته.

كانت "زيڤا" واقفة باستعداد، والدكتور يسير جيئة وذهاباً داخل الكهف يتحدث لها عن الحياة والموت بشكل مطول. استغربت "زيڤا" من حديثه ولم تتمالك نفسها وقالت له:

- لقد أرسلوني إليك كي أستعد للموت، لكنك تحاول أن تبعدني عنه.

- نعم، مهمتي هي ألا أرسل البشر للموت، بالعكس، عليّ أن أهيء البشر للحياة. أود أن أجعل الإنسان يتأقلم للعيش في هذه الجبال. كيف يستطيع أن يقاوم وأقوم بتعليمه وتدريسه على هذه المقاومة. ذلك الحزب الذي يهيء البشر للموت فقط هو ليس حزبي .

جاوبها بهذه الجملة وبقي صامتاً.

كانت "زيڤا" ما تزال واقفة أمامه بفخر، فهي ترى أن الإنسان الفخور عليه أن يكون مستعداً للموت. كان أوجلان يقول لأعوانه "موتوا!" أما "الدكتور سليمان" يقول عكس ذلك.

احتارت في أمرها. اقترب الدكتور منها ومسك خديها وقبّلها من جبينها وقال لها:

- حسناً، ستعيشين وتبقين هنا في هذا المقر.

ثم خرجا من الكهف. كأن حمل ثقيل قد انزاح عن كاهل "زيڤا"، وأزالت إسمها من قائمة الانتحاريين.

كان "الدكتور سليمان" قد أدرك أمور كثيرة بعد قراءته لكتاب "آيات آپو"، وأدرك السبب الرئيسي في وقوع كل تلك الضحايا. لم يكن يفعل ذلك من أجل نفسه، بل من أجل أنا يحيا كل الذين لجأوا إلى الجبال

ولا يموتوا، وكان يكافح بكل ما أوتي من قوة لأجل قناعاته هذه.

توجه الدكتور مع "زيڤا" صـوب المكان الذين سـينعقد فيه الاجتماع. كان الدكتور يعلم مسـبقاً أن هناك محاكمة ستنعقد بحق شاب وفتاة من الگريلا، والتهمة إنهم يحبون بعضهم البعض. لم يكن الدكتور يود أن تجرى هذه المحاكمات، وكان يود أن يتخلى الگريلا عن مثل هذه المحاكمات الشكلية التي لا سند قانوني لها، حيث أن القضاة هم من عناصر الگريلا أنفسهم ولا يمكلك هؤلاء أية معلومات قانونية بشأن المحاكم. لكن كلمة الفصل والأخيرة كانت له.

حين جلس الجميع في السـاحة، جلس القضـاة في أماكنهم في المقدمة والمدعين عليهم على طرف. قرأ أحدهم الإدعاء قائلاً: "هؤلاء مذنبون، لأنهم يتلاعبون بقيم الحزب والقائد ويقيمون علاقات بعيدة كل البعد عن قيم الحزب."

بعد أن أنهت لجنة القضـاة إدعائهم، بات كل فرد من الموجودين يدلو بدلوه في الموضـوع، وطبعاً كان الجميع قاسيين وشديدين في حكمهم. لسنوات عديدة تم قتل العشاق في هذه الجبال، وكانوا ينعتونهم بعديمي الشرف والناموس، وكان الحزب يحث أعضاءه على عدم الرحمة مع هؤلاء. هذا هو كان خط الحزب.

رأى الدكتور أن المحاكمة ستطول كثيراً وقد تسوء أكثر، فاستلم زمام الكلام وقال: "يا رفاق، لا تتناقشوا هكذا بدون سبب. لا نستطيع أن نضع عوائق أمام حب الناس لبعضهم، لكننا لا نمنحهم الفرصة أن يشكل حبهم لبعضـهم البعض خطراً علينا. سـننهي المحاكمة هنا، وسـنحاول أن نهيء هؤلاء المتهمين ونمنحهم الفرصـة كي يعودوا مرة أخرى إلى صـفوف الحزب. كما أطلب منكم ألا تصـبح هذه المواضـيع شـغلنا الشاغل مرة أخرى."آ

كذلك، جرى ما جرى مع "شمدين ساكك" الذي كان بحاجة إلى "الدكتور سليمان" في محنته والاتهامات التي لفقوها ضده. لكن الدكتور لم يستطع أن يفعل لأجله شيئاً، كما لم يستطع أم يفعل لأخيه "سليم" شيئاً أيضـاً. كانت هناك حرب ضد الدولة التركية، وكان الجميع مقتنع أن أوجلان هو من يقود هذه الحرب، في حين إنه لم يقترب من الجبهات في حياته. الآن، هؤلاء يرون أن "شـمدين سـاكك" الذي حارب في الجبال قرابة ثمانية عشرة عاماً، و"سليم" الذي لاقى شتى صنوف التعذيب لمدة إحدى عشرة عاماً، هما انهزاميين وجبناء.

كان قادة الگريلا يقولون بأنهم في حالة حرب، ولا علاقة لهم بالمشاكل الشخصية. كان عبدالله أوجلان قد سـيطر على هؤلاء ويرسـل لكل واحد منهم "پاندورا"ه. لسـنوات كانت العلاقة بين الذكور والإناث ممنوعة وكل من يخالف ذلك القانون يقومون بمعاقبته. كان انكشـفت أسـراره، جعل من مركز القيادة شركاء له في ذلك. إتصل بنفسه مع القادة الكبار في الإيالات وقال لهم: "نحن لسنا أصحاب ذهنية مغلقة، أردنا أن نضع بعض القواعد، ونضع خطأً كي نكسب الرفاق". بهذا الشكل وضع القادة في كمائنه.

لكن في الأساس، لم يكن هناك فرصـة للحب والعشق في الطريقة والنهج الذي وضـعه هو بنفسـه. كان الحب بين شـخصـين جريمة يعاقب عليها مرتكبوها. وكان كل من يتلقون التدريب يرون أن تلك العلاقات هي نوع من العمالة والخيانة. هكذا تم تلقينهم، وهم بدورهم اقتنعوا بذلك التلقين.

كان عبدالله أوجلان يدرك ذلك جيداً، ويقول لقادته كي يدبروا لأنفسهم الرفيقات، وبذلك كان يضعهم في الكمين. بعض القادة لم يقعوا في ذلك الفخ، وقاوموا كالرهبان والقسـاوسـة، والبعض كان يتصـرفون مثل قائدهم، وانتهزوا الفرصـة التي اتيحت لهم من قبل قائدهم وبدأوا بعلاقات سرية مع رفيقاتهم. لم يكن المرء يستطيع أن يسمي تلك العلاقات بعلاقات حب أو عشق. لذلك لم يكن أي منهم يعترف بتلك العلاقة. لم يكن أي منهم يستطيع أن يقول "أنا أحب فلان أو فلانة". لأن البوح بها سيؤدي إلى الموت.

كان "الدكتور سليمان" قد استسلم أمام "پاندورا" في دمشق. وكان سيقع في نفس المطب مع "زيڤا"، حيث أحس بشيء غير طبيعي تجاهها في مدة قصيرة. كان عليه أن يسيطر على نفسه، فهو قائد كل تلك الجبال. لأنه لو تصرف تجاهها بأي شكل من الأشكال، لكانوا سيلصقون به تهمة الخيانة. أما "زيڤا"، فقد كانت تحبه بصدق، وهي أيضاً مثله لم تكن تستطع البوح بحبها. حين عاد الدكتور من دمشق، لم يهتم بالممنوعات التي وضعها أوجلان، ولم يكن يهتم كثيراً بالعلاقات بين المقاتلات، لكنه كان يُدرك أنه سيدفع ضريبة ذلك يوماً.

استمر في علاقته مع "زيڤا"، لكن "ميرا" التي كانت قائدة مجموعة النساء هي أيضاً سلبت لبه، حين أتت في إحدى المرات إلى المقر والتقت نظراتهم ببعض وتحدثوا مع بعض. كان شعورهم متبادلاً، واستغلوا فرصة كي يتحدقوا بين بعضهم على انفراد.

في وقت متأخر من الليل، أدرك "الدكتور سليمان" أن "ميرا" في نوبة الحراسة. ترك الحراس من حوله وخرج من المقر، وأسرع الخطى صوب الغابة. ذهب لملاقاة "ميرا" التي كانت نوبة حراستها في أسفل الوادي.

بعد دقائق، أحس حراس الدكتور إنه غير موجود في الكهف، فخرجوا يبحثون عنه. ذهب أحد الحراس إلى الغابة، سمع صوتاً غريباً من مكان ما فيها، كان صوت امرأة تأن وتتأوه من اللذة. اقترب أكثر ورأى الدكتور و"ميرا" يفترقان عن بعضهما في ذلك المكان. سمع البقية ما حدث بين الدكتور و"ميرا" لكن لم يتجرأ أحد على البوح بها بشكل علني، لان الدكتور قال لهم بألا يفتحوا هذه المواضيع مرة أخرى.

كان هناك مقاتل في وحدة الدكتور إسمه "بوزان"، لم يكن يطيق هذا الشاب أطفال مدينة "آمد"، وكان أحد هؤلاء الأطفال واسمه "شيخموس" حارساً للدكتور. في إحدى الأيام حين التقى كل من "بوزان" و"شيخموس" ببعضهما. قال له "بوزان": لقد ضاجع الدكتور ميرا (أكل من قشطتها)." حين سمع "شيخموس" بذلك، ركض إلى الدكتور. حين رأه الدكتور "شيخموس" قادماً إليه وهو يضحك، سأله:

- ما بك يا شيخموس، لماذا تضحك؟
- ما هي القشطة يا دكتور؟
- هي الطبقة التي تتشكل فوق اللبن.
- وهل لها معان أخرى؟
- لا معنى آخر لها.
- لقد قال بوزان شيئاً آخر.
- ماذا قال؟
- قال إن الدكتور ضاجع ميرا.

قهقه الدكتور ضاحكاً حين قال له "شيخموس" ذلك، وضربه كفاً خفيفاً على رقبته قائلاً له: "إذهب وناد لي بوزان."

حين أتى "بوزان" قال له الدكتور: "أنت تتحدث مع الأطفال بكلام غير لائق وتخلق لنا المشاكل. سوف أنهي مهامك كقائد لوحدتك." كان سبب هذه العقوبة هي "قوموا بتمتين العلاقات الاجتماعية بين بعضكم." إن كان ما جرى قبل تلك الجملة، لكانت كالكارثة على رأس كل من "بوزان" و"شيخموس".

حين طلبوا "شمدين ساكك" إلى دمشق ليقدم لهم نقده الذاتي، قاموا بانتقاد التصرفات التي تجري في إيالة "آمد" أيضاً. بحسب عبدالله أوجلان، كان "شمدين" مذنباً وهو عضو في عصابة مؤلفة من أربعة أشخاص والأربعة هم أعضاء في التنظيم. وقد قتلوا ثلاثة منهم. بحسب أوجلانن أن تلك العصابة لها علاقة

مع قاتل إسـمه "يشـيل" الذي له علاقات مع "جيتم Jîtem"[27] التنظيم السـري للدولة التركية، كذلك له علاقات مع القوى الخارجية، وهناك بعض أعضـاء قادة الحزب كانوا واقعين تحت تأثر هذا الشـخص، والدكتور سـليمان هو أحد هؤلاء القادة. تلك الأقوال التي كانوا يرددونها مثل "إنهم يخربون الحزب، ويودون أن يخربوا خط القائد" تلفت انتباه الدكتور، وبدأت رويداً رويداً تتشكل معارضة ضد القائد.

منذ مدة طويلة كانوا يقومون بهذه الكمائن ضد معارضيهم، وأحياناً ما كان يحدث العكس، حيث يسلطون رجلاً على إحدى النسـاء، ومن يقع في الكمين، سـتكون عاقبته أو عاقبتها وخيمة. كان رفاق الدكتور يدركون ذلك، وينصحون بعضـهم البعض كي لا يقعوا في مثل تلك المطبات. أما الدكتور، فكان يضحك على نصـائحهم ومقولاتهم تلك، وكي لا يتأثر بتلك المواضـيع، كان يفكر أن يقوم بعمليات كبيرة في المنطقة.

كان يوم الثامن والعشرين من حزيران قد اقترب، هذا اليوم هو يوم تاريخي بالنسبة له، حيث تم في هذا اليوم إعدام الشيخ سعيد وسبعة وأربعين من رفاقه في هذا اليوم من عام 1925 من قبل الدولة التركية في مدينة "آمد". ومن أجل ذكراهم، كان يود إيصال رسالة إلى الدولة التركية.

أراد أن يقول للدولة التركية: " أنتم تسوقون قادة شعب بشكل دموي إلى حبل المشـنقة، لكن مع مرور سـنوات كثيرة على فعلتكم هذه فإن هذا الشـعب سـيقوم مرة أخرى في وجهكم." كانت هذه هي رسـالته، ولأجل ذلك، طلب رفاقه إلى اجتماع. كانوا خمسـة، جلسـوا تحت شـجرة بطم قرب إحدى الانهار. قال لهم الدكتور: " لقد طلبتكم من أجل القيام بعملية جديدة. لقد بقي خمسة وعشرين يوماً على ذكرى إعدام الشيخ سعيد ورفاقه. أرى أن تقوم وحداتنا كلها بالعمليات في ذلك اليوم وفي كل المناطق. ما رأيكم؟ لقد فكرت في الأمر كثيراً، وأرى أن نقوم بعملية نوعيةز لدينا وحدات في الكثير من مناطق إيالة "آمد" وعلينا إعلام إيالة أرضروم وچوليگ كي يستعدوا هم أيضاً، ويضعوا المفخخات على طريق دوريات الجيش. علينا أن ننتقم من ونقتل منهم سبعة واربعين جندياً على أقل تقدير."

أعجب رفاقه بفكرته هذه، وتناقشـوا فيما بينهم، ثم قرروا أن تكون هذه العمليات سـرية للغاية وألا يتم الحديث عنها حتى على أجهزة اللاسـلكي، وعليها أن تكون سـرية بحيث تكون بين القادة فقط ولا يعلم بها المقاتلين حتى يوم تنفيذها.

وصـلت رسـائل الدكتور يدوياً إلى الإيالات والوحدات، وبات الجميع يهيؤن أنفسـهم اسـتعداداً للعمليات. في يوم السابع والعشرين من حزيران قاموا بوضع الألغام على الطرقات، واحتاطوا لمقاومة الحوامات من الجو، وكل وحدة أمنت طرق الهجوم والانسحاب وبدأت تنتظر إشارة البدء.

في صـبيحة اليوم التالي، بدأت العمليات في كل المناطق. كانت بعض الوحدات تتعمد إرسـال مقاتلين أوثلاثة إلى إحدى القرى التي فيها حماة القرى، وكانوا يعلمون بأنهم سيتصلون مع الجيش كي تهاجم على تلك القرية، لكن أولئك المقاتلين كانوا ينسـحبون فوراً من هناك، بحيث تكون الوحدة خلفهم تجهز الكمين للجنود القادمين، وبذلك تنقض عليهم.

انسحبت قوات الگريلا إلى مواقعها ليلاً. فقد ثلاثة منهم حياتهم في تلك العمليات، وخسائر العدو بحسب المعلومات التي استقاها بواسطة جهاز اللاسلكي، تعدت ثمانية وسبعين قتيلاً. حين كان أوجلان يستمع إلى

---

27 . استخبارات الجندرمة ومكافحة الإرهاب. بحسب وكالة الأناضول، فإن هذا التنظيم قد تأسس بدون علن وزارة الداخلية وقيادة الجيش التركي. قيادة الجندرمة هي التي بادرت بتأسـيس هذا التنظيم. مع أن الدولة التي لم تعترف رسـمياً بهذ التنظيم، إلا أنه انكشـفت علاقتهم بهذا التنظيم أثناء المحاكم الجمهورية، ويُقال أن هذا التنظيم هو من قام بأغلب حالات القتل التي اندرجت تحت إسم فاعل مجهول. (ويكيبيديا)

إذاعة "بي بي سـي"، أدرك أن هناك حركة غير طبيعية في المنطقة. أمر أن يجهزوا له اللاسلكي في منطقة "برالياس" حيث كان يتصل بقادته من تلك البلدة. كانت هذه البلدة اللبنانية تحت الاحتلال السوري، ويعد مكاناً سرياً لعمليات النظام السوري، الذي يخطط لعملياته منها.

في اليوم التالي، وصل أوجلان إلى البلدة، وكان رفاقه قد حجزوا له غرفة في فندق هناك. اتصل بجهاز لاسلكي كبير بالقادة. سلّم عليهم وسألهم عن آخر التطورات، ثم سألهم عن اليوم الفائت. جاوبه "الدكتور سليمان" قائلاً: "قمنا بهذه العملية في يوم إعدام الشيخ سعيد ورفاقه. ثلاثة من رفاقنا فقط فقدوا حياتهم، لكننا لقننا العدو درساً قاسياً. لقد قمنا بهذه العملية من أجل ذكرى الشيخ سعيد ورفاقه. إن قمنا بالدعاية في الإعلام لهذه العملية، فإن هذا من شأنه أن يرفع معنويات الشعب كثيراً."

في البداية، كان أوجلان يهمهم، ثم بدأ بالحديث وقال: "إن هذا يعد انتقاماً، عليكم أن تتبنوا هذه العملية بدون ذكر الأسباب التي آدت إليها. عليكم ألا تقوموا بعمليات كهذه، لأن العدو سيهاجمكم أكثر. عليكم أن تكونوا دقيقين في تقييماتكم عن عصابة الأربعة أشخاص تلك. شكلوا لجان. ألقوا القبض على أولئك المتأثرين بتلك العصابة وحاكموهم." تحدث ساعة كاملة عن هذه الأمور، وبعد أن تحدث قادة الإيالات الأخرى، اغلق الخط وانتهى الاجتماع.

بمرور الوقت، أحس "الدكتور سليمان" بأمور أخرى. فهم من كتب أوجلان التي كانت تأتي إليهم إنه قد أعلن أن "شمدين ساكك" هو شيطان، لكن بدون ذكر إسمه. لمح إليه وإلى بعض قادة وحداته. كما سمع الدكتور من بعض القادة إنهم ينوون إرساله إلى المقر الكبير في جنوبي كردستان.

لم يكن يستطيع أخذ "زيڤا" معه، كتب رسالة قصيرة إلى قائد إيالة "أرضروم" وطلب "زيڤا" و "روجين ماردين" إلى المقر وقال لهم، سأرسلكم مع مجموعة من الرفاق إلى جبل "شارك" وسلموا هذه الرسالة إلى قائد تلك المنطقة."

استلمت "زيڤا" الرسالة منه وغادرت مع رفيقتها متوجهة إلى المكان المطلوب.

سارت لأيام حتى وصلت إلى جبل "شارك". أثناء مسيرهم إلى هناك، قالت "زيڤا" إنها تود أن تقرأ تلك الرسالة التي أرسلها الدكتور معهم، ووافقتها رفيقتها على ذلك. فتحوا الرسالة وكان مكتوباً فيها "هؤلاء الرفاق هم في معضلة هنا. ليجربوا أنفسهم في ساحة أخرى. إنهم لا يصلحون للقيام بمهام الگريللا، عليهم أن يعملوا في أماكن مدنية". حين قرأوا ما هو مكتوب، أجهشت "زيڤا" بالبكاء من قهرها وغضبها. كما أن رفيقتها كانت مثلها متأثرة بالرسالة. قالت "زيڤا": "سأعود إلى المقر. لا أدري لماذا يفكر الدكتور بهذه الطريقة بشأننا؟" أرادت رفيقتها ثنيها عن العودة، لكنها كانت مصرة وما هي إلا أيام إلا وعادت مع مجموعتها إلى مقر الدكتور.

كان الدكتور قد ترك المنطقة أثناء عودتها، والقيادة الجديدة أدانت "زيڤا" على عودتها وعدم تنفيذ أوامر القادة، لذلك تعرضت لتحقيق قاس واتهمت بـ"قامت بإقامة علاقات مشبوهة بين الرفاق، وانحرفت عن خط القائد والحزب" وقد تقتل بسبب هذه الاتهامات ضدها. كان الذين يحققون معها يضغطون عليها في الاتهامات يوماً بعد يوم.

لم تأبه "زيڤا" لتلك الاتهامات وقالت لهم: "أنتم تحققون معي بدون سبب" في اليوم الثالث، بدأوا بسجنها، في البداية ضربها الشخص الذي كان يحقق معها، بعدها حمل عصا غليظة وبدأ يضربها في كل أنحاء جسدها. حين ضربها بالعصا على ركبتها، صرخت من الألم ووقعت على الأرض. بدأ يركلها وهي ممددة على الأرض ويقول لها: "اعترفي، مع من أقمت علاقات دنيئة." لكنها لم تكن تنطق بأية كلمة، ما يجعل ذلك الشخص يضربها أكثر. كانت صرخاتها تشق جدار ذلك الكهف.

www.arsivakurd.org

رمى جلادها عصاه وخرج من الكهف. أما "زيڤا" فكانت تتأوه من تأثير ذلك التعذيب المبرح. كانت بين الحياة والموت، لا تستطيع التفكير. كانت تقول بينها وبين نفسها: "إنهم يودون أن أعترف لهم بعلاقتي مع الدكتور، كي يجعلوا من هذه العلاقة ورقة ضده ومن ثم يتخلصون مني ويقتلونني." ثم غابت عن وعيها من كثرة الألم.

فاقت من غيبوبتها بعد منتصف الليل. أحست أن كل جسدها مكسر. كل مكان في جسدها كان يتألم. استطاعت أن تجر نفسها إلى زاوية في الكهف، ثم مسحت بيدها بقعة الأرض أمامها، لأنها كانت تود أن تتمدد على التراب. كانت وحيدة هناك، لا أحد يعينها على ما أصابها، ولا تستطيع الاستنجاد بأحد أيضاً. كان ذلك المكان بالنسبة لها هو الجحيم الآخر.

تُرى، ما هي الضريبة التي دفعتها؟ حين كانت تدرس في الجامعة، رأت أن بلادها محتلة، وشعبها يرزح تحت وطأة الظلم والطغيان. كانت ترى في أولئك الذي لجأوا إلى الجبال لمحاربة دولة الظلم هم أناس شجعان، لذلك لجأت هي بدورها أيضاً إلى الجبال وتحملت الكثير من المصاعب طوال تلك السنين. تحملت البرد القارس وحمل أسلحة تفوق وزنها على ظهرها والمسير لمئات الكيلومترات. أرادت أن تجعل من نفسها قنبلة وتفجر نفسها في وجه الظلم. لكنها الآن...! ماذا ستفعل؟ لم تجد الإجابة على سؤالها هذا وغابت عن الوعي مرة أخرى.

حين عادت إلى وعيها صباحاً، تكورت على نفسها واضعة رجليها بين يديها. كان تتذكر الأسئلة التي تنهمر عليها "من أرسلك إلى الجبل هنا؟ ما هو غرضك من المجيء إلى هنا؟ كيف أصبحت إنسانة سيئة؟ لماذا أزلت إسمك من قائمة المتطوعين الانتحاريين؟ كم علاقة أقمت وكم هو عدد الأشخاص الذين أقمت علاقات معهم؟" كانت علم جيداً إنها تعذبت كثيراً بسبب هذا السؤال الأخير.

لم يأت إليها أحد في ذلك اليوم، حتى لم يجلب لها أحد الطعام والماء. كانت كقطة في متكورة في زاوية الكهف. قضت حاجتها وكالقطط ألقت التراب عليها.

أتى إليها شخصان ليلاً وهددوها بالإعدام رمياً بالرصاص. ثم بدأوا يعنفونها وبدأوا يسألونها مرة أخرى عن علاقاتها وقالوا لها: "كم شخصاً ضاجعك؟" ردت عليهم على الفور: "وما علاقتكم بذلك؟" جن جنونهم ودأوا يضربونها.

حين رأت إنها لا تتحمل كل ذلك التعذيب، قالت لهم: "توقفوا" وقالت لهم أسماء ثمانية أشخاص على أنها كانت على علاقة معهم، لكنها لم تذكر إسم "الدكتور سليمان" وبالفعل، كانت علاقتها مع الدكتور هي علاقة حب من بعيد فقط. كي لا تعترف باسم، اعترفت بثمانية أسماء. لم يصدقها جلاديها، لكنهم احتاروا في أمرها، لذلك توقفوا عن تعذيبها. في اليوم التالي، قبضوا على بعض الأشخاص الذين ذكرت لهم أسمائهم. لكنهم لم يعترفوا بذلك. بعد أن أدركوا أن "زيڤا" لن تعترف بشيء. حاكموها وقرروا إعدامها.

بعد ذلك القرار، أخرجوها من الكهف، وقاموا بإسناد مهام حمل مستلزمات المقر على ظهرها، كانوا يتعاملون معها وكأنها عبدة لهم، حتى يأتي القرار الأخير من أوجلان في دمشق. قالت لها صديقتها التي كانت مسؤولة عن مجموعة النساء: " بقيت أنت فقط من بين الخونة، ذهب كل رفاقك. سيتطهر هذا المكان منك بعد موتك."

لم تكن تأبه لكلامها، فقد آثرت الصمت، لكنها حين تبقى لوحدها تبكي بمرارة، تبكي على حالها، تبكي من التعب وقلة النوم وتصرفاتهم معها.

كان حذاؤها مهترئاً إلى الحد الذي لو كانت حافية لكان أفضل، فقد كان مقطعاً وباتت أصابع قدميها مزرقة ومحمرة، من شدة الألم لم تكن تحس بهم.

لم يعد عقلها يتحمل كل ذلك الظلم. إنهارت نفسيتها، وباتت تتفوه بكلمات ما كانت تقولها لأحد: "الخيانة هي أسوأ الأحاسيس. لقد خانوني. أتيت إلى هذه الجبال لإنني أحببت "PKK"، هناك دعاء يرددونه (لترى الظلم ممكن أحببت) وها أنا أراه ممكن أحببت. من الصعب أن يخون المحب محبوبه. وضعي أشبه بالخنجر الغادر في ظهر (سيزار)، أشبه بـ(كليوباترا) الذي نسيت مرارة سم الأفعى. الإنسان يحترق في كل لحظة حين يأتيه الظلم ممكن أحب. لقد تركت الحياة وأصبحت أسيرة لعشق. سرت خلف قلبي وأحاسيس صوب ذلك الصوت المقدس. أصبحت عاشقة لعشق لا حدود له، حتى قامت قيامتي، حيث الكثير اغتصبوا معبدي وبدأت ألسنتهم تلوك عن عشقي. قلت أن التعذيب هو عهر البشرية. لقد قاومت بفخر ولم أخف، قاومت العطش والجوع. لقد أحببت لمرة واحدة في حياتي، ولأجل هذا الحب، بدأوا يشتمونني، ويضربونني، دنسوا بأياديهم القذرة كل مقدساتي. إنه ألم لا يطاق، حين يبصق أحدهم في وجهك، حين يُطفئ أحدهم سيجارته في جسدك، حين تحمل أحمالاً تعجز جبال زاغروس عن حملها. أحياناً أشم رائحة تجعلني أكره كل حياتي. أحياناً أصاب باليأس من رؤية أحد الأشخاص، حينها يصبح حملي أثقل. أحياناً تصدر صرخة من أعماقي، تصل صرختي تلك إلى عرش السماء، لكن لا يسمعها رفيقي الذي بجانبي. لذلك أقول لكم، ليس هناك إحساس أسوأ من الإحساس بالخيانة. أصبحت من الآن فصاعداً لا أستمع إلى أي صوت سوى الصوت المنبعث من أعماقي. ذلك الصوت هو أنا، الصوت البعيد عن المفاهيم، وسأكون مطيعة لهذا الصوت ما حييت."

حالف الحظ "زيڤا" ونجت من ذلك الجحيم حين أتى "الدكتور سليمان" في عملية تغيير المناطق. سردت له كل ما جرى معها في عدة جمل فقط. كان الدكتور عملياً جداً في حلوله، وطلب على الفور ذلك الشخصين الذي أقدما على تعذيبها وقال لهم: "ما هذا؟ لماذا سجنتموها، ما هي قرارات الإعدام والمحاكمات هذه؟" جاوبه أحدهم مبتسماً: "هي التي اعترفت إنها أقامت علاقات مع ثمانية أشخاص." أخرج الدكتور مسدسه وقال لهم: "أنتم تكذبون. أكشفوا عن علاقة واحدة لها وسأطلق الرصاص الآن على رأسي." حين رأيا أن الدكتور جدي في كلامه، تركوا اتهامهم ذاك وتركوا "زيڤا" في حالها.

ملف "زيڤا" تم إغلاقه، لكن "ميرا" كانت حامل. كانت تتوقع أن دورتها الشهرية قد انقطعت ، ثم بدأت تتقيأ وتحس بالتعب والإنهاك، وفقدت الشهية وتشققت شفاهها. كانت تخاف كثيراً، ولم تكن تستطيع أن تتحدث مع أحد في ما يجري معها. كانت تقول لنفسها: "ما حصل قد حصل في تلك الليلة. ماذا سيحل بي ان علموا بإني حامل؟ ماذا سيحصل لو سمعت عائلتي بذلك؟ كيف سأنظر في وجوه رفاقي؟ كيف سأخفي هذا العار؟ بماذا سأجاوبهم إن سألوني من هو والد الجنين؟"

في شتاء سنة 1997، انسحب "الدكتور سليمان" من منطقة المواجهات إلى منطقة "زێ" في جنوبي كردستان. بحسب الأخبار والأقاويل التي كانت تصدر حينها من الحزبيين، فإن هذه المجموعة هي تمثل العصابات، وإنهم انزاحوا عن خط الحزب والقائد، لكن مع ذلك، قدموا إلى منطقة المجلس الرئاسي في جبال قنديل، هذا المجلس الذي لم يشارك أي من أعضاءه في المعارك، وأصبحوا طوع أوامر أوجلان والنظامين السوري والايراني.

حين وصلت مجموعة "الدكتور سليمان" إلى تلك المنطقة، أصبحت تحت سيطرة المجلس الرئاسي بقيادة "عباس". استقرت مجموعتهم في منطقة بين جبال "متينا" و"آڤا زێ". قسم "عباس" المجموعة إلى قسمين، وأرسل قسم- كانت ميرا بينهم- إلى المقر الكبير. كان المقر الكبير عبارة عن معقلين للكريللا، تقيم النساء في واحد والرجال في الآخر، حتى أن بعض القادة في الحزب كانوا يقولون أن النساء قد شكلوا حزباً جديداً واسمه "حزب المرأة الحرة الكردستاني" كان حزباً للنساء والرجال على حد سواء، وكان تحت قيادة مباشرة من عبدالله أوجلان في دمشق. كان أوجلان يسلط النساء على الرجال حين يود الإيقاع بهم، وبالعكس، وقد أسس هذا الحزب لهذا الغرض.

كانت نسوة أوجلان اللاتي تخرجن من "بيوت التدقيق" تستطعن بكل سهولة أن تقدن الرجال إلى الموت. ذهبت "ميرا" بدورها إلى المقر. من أجل إجهاض حملها حاولت الكثير، فقد باتت في شهرها الرابع. كانت تحمل أكياس الطحين الطويلة، ترمي بنفسها من الأماكن المرتفعة، لكن بدون جدوى. كانت تضع نطاق الگريللا الطويل على خصرها وتشده على بطنها كي لا يظهر كبر بطنها، ولا تفكه إلا أثناء النوم تحت بطانيتها.

في إحدى المرات حين كانت تتحمم قرب النهر، لاحظت إحدى المقاتلات كبر بطنها وأخبرت قيادة المقر بذلك فوراً. أدلت "ميرا" بإفادتها لهم وقالت لهم أن الدكتور سليمان هو والد الجنين. كانت الدكتورة "جيانا" التي كتبت إفادتها قد شرحت وضعها لقيادة المقر.

كانت "ميرا" تتوقع في أية لحظة قدوم رفاقها وأخذها إلى المحاكمة، فقد سمعت سابقاً بماذا حل بالنسوة اللاتي حدث معهن ماحدث معها. كانت تقول لنفسها: "من يستطيع الوقوف في وجههم إذا قدموا وأخذوني. لن أستطيع أن أفعل شيئاً؟"

ازداد هلعها أكثر فأكثر، تكورت على نفسها في حلكة الظلمة تلك. كان جسدها يرتجف مع أن الفصل صيف. كان يتهيأ لها أنها تسمع صوت أقدام يأتون صوبها. جلست على ركبتيها وقالت لنفسها: "ترى، أي جلاد سيأتي ويخنقني هنا؟ أم في أي واد سيطلقون النار علي؟"

سحبت نفساً عميقاً حين أدركت أن كل ذلك كان مجرد تهيؤات.مدّت رجليها. قالت مرة أخرى: "هناك الكثير من القبور في هذه الوديان، إنها ليست قبور، بل مستنقعات، يرمون جثث الگريللا المجهولين فيها."

تدثرت ببطانيتها وباتت تفكر: "لا يستطيعون قتلي. الدكتور سليمان سيدبر لي حلاً ويخلصني. لكن، لماذا اعترفت أن والد الجنين هو الدكتور سليمان، كان عليّ ألا أذكر إسمه، فقد جعلته في مصيبة هو الآخر. ليتني لم أعترف بذلك، وأقاوم حتى يقتلونني. كنت سأدون ملحمتي على هذه الجبال. لكن هذا النوع من الملاحم هنا لا تُكتب ولا تُسرد أيضاً، فقد ضاع الكثيرون هنا بدون أن يتركوا أثراً خلفهم." تذكرت الدكتور، حين لقنهم الدرس الأول وقال: "لا توجهوا بنادقكم صوب رفاقكم حتى لو كانت فارغة من الرصاص." الآن هي حامل، ولا تدري مَن من رفاقها سيصوب بندقيته صوبها.

جافاها النوم بالرغم من كل محاولاتها. باتت تعلق أمانيها على القادة النســوة هناك، فهناك "نازێ" والدكتورة "جيانا" و"پاندورا". كانت تعرفهن جميعهن. هل تثق فيهن؟ هل ســيحافظون عليها وعلى رضيعها؟ أساساً من المحال الثقة بأي كان في هذه البقعة الجغراقية. أحياناً ما تخجل الجبال من نفسها هنا، أحياناً ما كانت الأنهار تنهمر صوب الأعالي تبحث عن النجوم في السماء. أصبحت الظلمة كستار سميك أمام عينيها. تكورت على نفسها ووضعت يديها على بطنها محاولة النوم.

حين كانت "ميرا" في خيالاتها تلك، كان الرجال في المقر يتناقشــون عن وضــعها. أدلى "دليل" قبل الجميع برأيه، وهو التخلص من الأم والجنين، ولأجل ذلك عليهم أن يقنعوا "الدكتور ســليمان" وأوكلوا مهمة إقناعه إلى "عباس". إن وافق الدكتور على التخلص من الأم والجنين، فإنه سـيثبت الذنب على نفســه ولن يستطيع الخروج من طوعهم أبداً، بل سيطأطئ رأسه لكل أوامرهم.

ذهب "عباس" بمخططه الخطير هذا إلى الدكتور، وقال له:

- أظنك سمعت يا دكتور أن ميرا حامل وقد اعترفت أنك والد الجنين. لقد قيمنا الوضع بين بعضنا، وكما تعلم أن لحزبنا موقف أخلاقي تجاه هذه الأمور، ويعتبر ما قمتم به هو تجاوزاً للخطوط الحمر التي وضعها الحزب، لذلك علينا أن نتخلص من الأم وجنينها.

- صحيح. أنا هو والد الطفل، لكنني لا أود أن تُقتل الأم.

خرج "عباس" من عنده حين أكد الدكتور على عدم موافقته للتخلص من الأم وجنينها. بعدها أرادوا تسليم ملف "ميرا" إلى القيادة النسوية التي قالت إنهم سوف يقومون بالمحاكمة بحسب نسبة الأصوات. ثم طالبن بمحاكمة "الدكتور سليمان" بنفس الطريقة أيضاً.

حدث تصادم بين القيادتين في هذا الأمر، فالرجال ولأن الجاني هو الدكتور سليمان، كانوا يرون أن ذلك سيؤثر على مسيرتهم. لذلك، كانت النسوة هم رأس الحربة في تلك القرارات، وحيث كل اللوم يكون على المرأة التي برأيهم هي من تغوي الرجال على القيام بذلك الفعل وهي المتهمة الأولى والأخيرة، لذلك كان الحكم يطبق على المرأة، كما تفعل منظمة طالبان، حيث حتى لو تم اغتصاب المرأة فإنها هي المتهمة. كان الإعدام كسيف "ديموكليس" مسلط على رقبة المرأة دائماً.

في إحدى الليالي، زار الدكتور وحدة من الگريلا كانت قريبة منه. أراد أن يســتشــف رأيهم في الموضــوع. كانوا قد ذبحوا خروفاً له. بعد برهة من النقاش، سـأل الدكتور مقاتلاً كبيراً في العمر، وهو من الأوائل الذين انضـموا للحزب. فرد عليه هذا: "لقد ضـعف بدنك يا دكتور، سـنطعمك أكلاً دسـماً تسـمن ويلتف الحبل جيداً على عنقك" قهقه كل من فهموا قصده ضاحكين على كلامه.

كان الوقت نهايات شـهر نيسـان. وصـلهم خبر أن الدولة التركية سـوف تقوم بعملية واسـعة في جنوبي كردســتان، لذلك، اجتمع "عباس" مع قوات الگريلا في منطقة "بهدينان" واتفق معهم أن القوات القادمة من دمشق سوف يرسلونهم إلى المجن في تلك المنطقة، وكان سيسلم قيادة منطقة "بهدينان" إلى "الدكتور سليمان" حيث سيكون أول من يشتبك مع الجيش التركي، أما "عباس" فكان سيتوجه بوحدته صوب جبال زاغروس.

كان الدكتور سيقود تلك الجبهة، إضـافة إلى إنه كان سيقود المقر أيضـاً. كان غالبية الگريلا في وحدته ممن لم يعد يثقون بالكفاح المســلح، والكثير منهم كان قد تم ســجنهم من قبل "عباس" وكان الحزب يطلق على هؤلاء صفة "المعقدين". كان الدكتور سيحارب بهؤلاء، وكانت امرأة باسم "فاطمة آدر" ستعاونه في ذلك.

بدأ الجيش التركي بعمليته من منطقة "بارزان" من جهة، ومن جبال "متينا" من جهة أخرى. كانت

الحوامات والطائرات الحربية والمدرعات وآلاف الجند مشاركين في تلك العملية. كانوا يتقدمون في تلك المناطق ويتمركزون في الأماكن الاستراتيجية. كان عدد الگريلا مع الدكتور مائة وعشرين عنصراًمقسمين إلى وحدتين. بدأ الدكتور بتوزيعهم على مجموعات أصغر وتحدث لهم عن التكتيك الذي سيتبعونه في معاركهم قائلاً: "سوف تموهون أنفسكم جيداً في النهار كي تعرفوا أماكنهم بدقة، وفي الليل تهاجمونهم وتنسحبون إلى مواقعكم."

لم يكن الدكتور قائداً كلاسيكياً، ولم يكن يصدر الأوامر بنفسه فقط، بل كان يجتمع مع رفاقه ويضع الخطط معهم، ويضع كل الاحتمالات أمامهم. كان يشاركهم في العمليات ولم يكن يبقى في مكان محدد، كان في المقدمة أحياناً ويحارب معهم، واحياناً ما كان في المؤخرة يؤمن لهم طرق الانسحاب.

في اليوم الخامس عشر من العملية، كان وحدة القائد "توركمن" قد وقعت في حصار للجيش التركي. حين رأى الدكتور ذلك، توجه بوحدته فوراً إلى هناك وقال لـ"توركمن": لا تشتبكوا معهم، إبقوا في أماكنكم وموهوا أنفسكم بأغصان الأشجار، فهم لا يعلمون إننا قادمون إليكم." بعدها عقد اجتماعاً مع رفاه وقال لهم: "قد ينكشف أمر الرفاق هناك. علينا أن نحميهم ونساعدهم على الانسحاب." ووضع خطة محكمة لذلك.

استلم عناصر الگريلا في وحدة "توركمن" التعليمات، وبدأوا يموهون أنفسهم بأغصان الاشجار جيداً، حتى إن عناصر من الجيش التركي مروا بالقرب منهم ولم يكتشفوا أمرهم. بقي الجميع على تلك الحالة، حتى حل الليل، حيث الملاذ الآمن لهم للانسحاب. بدأت الوحدة تنسحب من ذلك المكان، والتقوا بالدكتور سليمان. كان عليهم التوجه إلى جبل "متينا"، لذلك بدأوا المسير لساعات. حذرين في مسيرهم ويستكشفون كل الطرق والوديان التي يمرون بها.

مع الساعات الأولى من الفجر، أرسل الدكتور مقاتلاً واسمه "لزكين شرناخ" وآخراً لاستطلاع المكان. بعد مرور وقت طويل، لم يعد هؤلاء، لذلك أرسل الدكتور وحدة لتقصي الأمر، وبعد دقائق عادوا وقالوا له أن المقاتلين قد فقدوا حياتهم وقد مثلت بجثثهم هناك. أدركوا أن عناصر الجيش التركي قريبون منهم، لذلك احتاطوا للأمر. قال الدكتور لرفاقه: "استعدوا للمواجهة يا رفاق." تمركزت القوات في أماكنها، وحدد الدكتور القوات المهاجمة والمدافعة، وما هي إلا لحظات حتى ظهر الجنود الأتراك وأصبحوا في مدى رؤيتهم، حمل الدكتور ومعاونته "فاطمة" بنادقهم وبدأوا بالهجوم. حين رأى المقاتلين الآخرين جسارة الدكتور ومعاونته، هبوا هم أيضاً بالهجوم. كان الدكتور على مسافة قريبة جداً من الجنود، كان يطلق النيران ويمزح في نفس الوقت مع فاطمة ويقول لها:

- هل رأيت يا فاطمة لون عيني ذلك الجندي أمامنا؟ إنها خضراء.
- سأراه الآن.

سدد الدكتور بندقيته على ذلك الجندي وأطرحه أرضاً. ثم رأى الدكتور مجموعة من الجند متمركزين في مكان قريب منه، فحمل قنبلة يدوية ورماها عليهم، وبعد انفجارها، خرج الدكتور من مخبئه راكضاً صوب مكان الانفجار كي يتمركز فيه. بذلك فكوا احصار واستطاعوا الانسجاب. كانت "فاطمة" قد جرحت في كتفها، إضافة إلى اثنين من المقاتلين فقدا حياتهما.

مُني الجيش التركي بالكثير من الخسائر في الأرواح، وفي اليوم العشرين من بدء العملية، انسحبوا تحت وطأة الضربات التي تلقوها. فرح رفاقه بهذا النصر الذي حققوه، وكانوا سعيدين بالدكتور وأسلوبه في الحياة وتواضعه وروحه المرحة معهم. جعل من تلك القوة "المعقدة" وعديمة النفع بحسب القيادة، إلى قوة منتصرة. احتار الذين كانوا يودون محاكمته، كان الجميع في المقر الكبير متشوقون لملاقاته، عدا بعض

الخونة الكيديين الذي كانوا يكنون له الحقد.

وصل الدكتور إلى المقر في نهايات شهر آب، وقبل أن يزف لهم خبر انتصارهم، سمع خبراً أن "ميرا" قد وضعت مولودها وهو والد المولود. كانوا يتقصدون في إيصال الخبر للجميع، ويريدون أن يقولوا أن أفعاله هي أفعال "عصابات آمد". في الأساس كانت عصابة أوجلان قد وضعت كل مفاصل الحزب في يدها، وكان الدكتور يدرك هذا جيداً، لكنه كان ينتظر إلى أن يحل ذلك اليوم الذي سينكشف فيه كل شيء.

كان لا ينكر كل من يسأله عن الطفل. أما أعضاء المجلس الرئاسي الذيم تم خصيهم من قبل أوجلان، فقد كانوا يقوموا بالدعاية ضده ويودون أن يقدم نقده الذاتي لهم ويقول لهم: "لقد أوقعتني هذه المرأة في الكمين، إنها عميلة، وقد أرسلتها الدولة خصيصاً لأجل ذلك" وكانوا بذلك سوف يخلصون من الأم ومولودها. كانت هذه طريقتهم في الحزب للتعامل مع مثل هذه الأمور. أرادوا أن يقوموا بذلك، لكنهم لم يصلوا إلى مسعاهم. كانوا يواجهون قائداً تاريخياً، حقق الكثير من الانتصارات في معاركه مع الجيش التركي، وأوجد له مكانة في قلوب كل الگريلا.

حين سمع أخاه "سليم" في ألمانيا بذلك، نشر بياناً للرأي العام وقال فيه أن حياة الدكتور سليمان في خطر، ونشرت الكثير من الصحف التركية ذلك البيان. أدرك عبدالله أوجلان الذي يتابع الأمور من دمشق أن "الدكتور سليمان" ليس بلقمة سائغة، لذلك قرر أن يتناقش مع المجلس العسكري في هذا الموضوع.

أعدّوا له جهاز اللاسلكي في "برالياس". وكان أعضاء المجلس الرئاسي في جنوب كردستان مستعدين أمام الاسلكي ينتظرون اتصاله، وحين اتصل، ذكروا له أسماء الموجودين في الاجتماع. قال لهم أوجلان:

- ماذا يا عباس، بم تفكر بخصوص عصابات آمد؟ هل قمتم بحل الموضوع أم لا؟ هل رأيتم كيف أثروا على خط الحزب؟

- نعم يا قائدي، يودون أن يخربوا الحركة، وحتى الآن لم يزيحوا الغشاوة أمام أعينهم. يريدون أن يدمروا خط الحزب والقائد.

- طالما هناك ثيران مثلكم، فإنهم بكل تأكيد سيصلون إلى مآربهم. هل هناك أحد يريد الحديث بينكم؟

تحدثت امرأتين ومن ثم عنصرين من الگريلا وكرروا له ما قاله "عباس" له. كان "جلال شرنخي" أحد عناصر المجلس العسكري القدماء. فقد انضم إلى الگريلا منذ ان كان طفلاً، وتعلم اللغة التركية في الجبال. كان مقاتلاً جيداً، ولا يفهم شيئاً في نظرية الحزب وهذه الأمور، بل كان همه الجانب العملي. أراد أوجلان رأيه في الموضوع، وقال له:

- كيف ترى موضوع الدكتور سليمان يا رفيق جلال؟

- والله ياقائدي، رأيه هو إما أن يكون هذا الشيء مباحاً للجميع، أو يتم منعه على الجميع. لا يجوز ذلك.

أدرك أوجلان أن "جلال" يود إيصال رسالة له، فقال له غاضباً:

- ماذا تريدون أن تقول يا ابن العاهرة؟

أدرك نفسيات كل الحاضرين في الاجتماع وقال لهم:

- كلكم أولاد عاهرات. أوخ أوخ، من دواعي السرور قدوم هذا المولود. لا تقتربوا منه! ليكن هذا الطفل إبناً للثورة!

ثم أغلق الخط بعد ان قال كلامه هذا.

www.arsivakurdi.org

صــرح "آتيلا آتش" قائد القوات البرية التركية في يوم 16 أيلول ســنة 1998 في مدينة "هاتاي" : "لقد نفذ صــبرنا تجاه ســوريا. إن لم تجاوبنا بشــكل إيجابي، حينها ســتقوم الدولة التركية بكل تدابيرها." بهذا الشكل هدد سوريا وكان يود أن يخرج عبدالله أوجلان من سوريا.

الظاهر ان اســتعدادتهم منذ عام 1996 قد بدأت ووصــلوا من خلالها إلى نتيجة. أوجلان ســيغير مكان إقامته. بعد أن نفذ "يالجين كوجوك Yalçın Küçük" مخططه وعاد إلى تركيا، في يوم 29 تشـــرين الأول سنة 1997، هذا اليوم الذي يصادف يوم تأسيس الدولة التركية. أي بعد سنة من ذلك التاريخ في 9 تشرين الأول سنة 1998 كان أوجلان سيغادر سوريا ويلحق به.

في عام 1996تم عرض مقترح من قبل المحامي "سـليم اوكجوغلو Selîm Okçuoğlu[28]" و "إلهام إشــك İlhami Işık" إلى القيادة العامة للجيش التركي كي يعود عبدالله أوجلان إلى تركيا، وقد تم قبول ذلك المقترح. في شـــهر أيلول ســـنة 1998 كانت الاتصـــالات بين المحامي"سـليم اوكجوغلو Selîm Okçuoğlu" قد تم تسجيلها بشكل رسمي. "يلدراى اوغور Yıldıray Uğur" الذي يمتلك المعلومات والوثائق في هذا المجال، كان قد كتب الجملة التالية: "بدأ كل شيء بين عبد الله أوجلان و سليم أوكجوغلو بواســطة الإتصــال الهاتفي. في الكلمة التي ألقاها عبدالله أوجلان قبل الإعلان عن وقف إطلاق النار في الأول من أيلول، وهناك وثائق تؤكد كلامه هذا، قال أن من أجل حل القضــية الكردية وإنهاء الصــراعات في الشـرق الأوسـط ومن يريد خروج "PKK" من المنطقة، كان عبدالله أوجلان يقصـد بذلك أن تمارس الدولة التركية دبلوماسية عسكرية مع نظام حافظ الأسد.

أوجلان الذي كان يود تصـفية الــــ "PKK" كان يقول منذ مدة طويلة "إن نهاية المقاومة المسـلحة قد حلت" وكان يقصد بذلك أن يحيد "PKK" أولاً إلى خارج الحدود ويغير إسم التنظيم الذي كان صيته سيئاً في تركيا. (هاتين الخطوتين اللتين تم عرضـــهما في إعلان وقف النار ســـنة 1998 تم العمل بهما فيما بعد).

فكرته هذه –الشــرق الأوســط ومســألة خلاص الكرد- كانت تلاقي القبول من الدولة التركية. كانت الدولة تود أن تمدّن "PKK" وتجرها إلى الساحة السياسية. كانت أنقرة تعلم أنه طالما عبدالله أوجلان في سوريا، فإنها لا تستطيع محاصرته. إن خرج أوجلان من سوريا وتوجه إلى أوربا، حينها لا يستطيع أن يأمر بالهجوم والحرب، ولن يكون بوسعه استعمال السلاح. فالقوانين الأوربية لا تسمح بذلك.[29]

حجر الأساس لفكرة العودة كان قد تم وضـعه في سنة 1993، ومنذ ذلك التاريخ كان قد تم هندسـة من في داخل وخارج "PKK" على ذلك الأساس. تنظيمات "PKK" في الخارج كانت قد صـنفت على لائحة الإرهاب، بواســطة العمليات واســعة للجيش التركي في جبال كردســتان وبالتصــفيات الداخلية كانوا قد أداروا الوضـع، كانوا قد شتتوا القوات الشـعبية العائدة لـــــ"PKK"، وتم استبعاد ملايين القرويين الكرد

---

[28] http://mehmetselimpolat.blogcu.com/abdullah-ocalan-ve-dogu-perincek-iliskisi-ve-gizli-dosyalar/772499

[29] http://www.haksozhaber.net/devletten-apoya-mektuplar-yazi-dizisi-17069h.htm

www.arsivakurdi.org

الوطنيين من أماكنهم.

في عام 1996 كان عبد الله أوجلان قد أرســـل خبراً إلى "آريا" ممثلته في أثينا. "آريا" هذه، هي من عائلة "أمينة" التي التجأت بعد ثورة الشـــيخ ســـعيد ســـنة 1927 إلى جنوب الخط[30]. وكانت بدورها قد شـــاركت في تلك الانتفاضـــة، ولأنها كانت مطلوبة من قبل الدولة، فاضـــطرت بدورها للجوء إلى جنوب الخط. بعدها لجأت إلى اليونان وأصـــبحت كممثلة لحزب العمال الكردســـتاني في أثين. كان أوجلان قد أخبرها بالتالي:"دبري لي مكاناً كي آت إلى هناك، لكن على هذا الأمر أن يبقى ســرياً ولا يعلم به أي أحد من التنظيم." كانت "آريا" قد أرسلت بعد السياسيين من أصـدقاء التنظيم، لكن محاولاتها في تدبير مكان لعبدالله أوجلان باءت بالفشل.

كانوا في الجبهة التركية قد وضـــعوا احتمالاً كبيراً لوقت وعودة أجلان. البروفســـور "يالجين كوجوك Yalçın Küçük"، "سبري جَنيك دواتبه Sabri Cenk Duatepe"، "آلباي حسن Albay Hasan "، "آتيلا أوغورAtilla Uğur"، المسـؤولين السـوريين، وكالة الاسـتخبارات الأمريكية، فريق نسـتطيع أن نسـميه بالدولة العميقة في اليونان، كانوا يضـعون احتمالاً كبيراً للطريق الذي يتبعه أوجلان ويعرفونه مسبقاً.

قبل أن يخرج عبدالله أوجلان من سوريا، قد كشف لرجاله الذين من حوله طريق رحلته. يوم 9 تشرين الأول كانت الاستعدادات لتركه سوريا قد أتمت. كانوا قد حجزوا تذاكر لأربعة أشخاص إلى "أثينا". قبل أن يخرج من البيت، كان قد قال لسائقيه "دَليل" و "ريدار" و لـــ"آريا" التي كانت سترافقه في رحلته إلى "أثينا" ولمجموعة من الفتيات في بيته: "لا يدعوننا. لقد وصـلنا إلى نهاية بقاءنا هنا. الظاهر أن ما قمنا به قد بدأ في أنقرة وسينتهي في أنقرة أيضـاً. مرة أخرى علينا تحمل المسؤولية." بعد كلمته هذه بدأت رحلة عبدالله أوجلان.

كانوا قد جهّزوا لأوجلان جواز سـفر مزور باسـم "عبدالله سـاريكورت[31] Abdullah Sarıkurt"، معه "آريا" التي كانت ستكون مرشدته في اليونان، ومن الاستخبارات السورية "مروان زركي" وشخص آخر عميل للمخابرات السورية واسمه "كود عمر". كان أوجلان خائفاً وقلقاً في نفس الوقت. كان قد لبس ثيابه وترك مبلغاً وقدره (2,200,000) دولارعند ســـائقه "دليل". وفي حقيبة اليد التي كان يحملها أوجلان مبلغ (50,000) دولار. كان ذلك المبلغ الذي بحوزته حينذاك. فور ركوبه الطائرة، بدأ يلقي خائفة حوله، وأحياناً ما يتكلم مع نفسه ويقول:" أساساً، هم قد وعدوني، لكنهم يستطيعون أن ينهوني في أية لحظة يريدون."

حين انطلقت الطائرة، لم كيكن يعلم أحد من قيادات "PKK" بذلك. قبل يومين من مغادرته، اتصـــل باللاسلكي مع مركز القرار الأعلى و قال لهم " من الآن فصاعداً لستم مركز القرار الرئيسي، القرارات الرئيســية ســأتخذها أنا". من اســتمع إليه حينذاك، لم يفهموا عليه ماذا يقصــد بذلك. كان أوجلان منذ عام 1993 لديه تواصـل مع المسـؤولين الأتراك والسـوريين ويتناقش معهم في مسـألة عودته إلى تركيا. لكن قيادة "PKK" لم تكن تعلم بذلك البتة. ومن يعلم منها شيئاً كان يبقى صامتاً ولا يبوح به.

كان في استقباله في مطار أثينا "سترافاراكاكيس Stavrakakîs" رئيس جهاز الاستخبارات اليوناني

---

30 . جنوب الخط: ويقصـد به الكاتب، جنوب خط سـكة الحديد، والذي يعتبر الحدود الفاصـلة بين سـوريا وتركيا. جنوب الخط، أي الجزء الكردي في سوريا.. المترجم.

31 . ساريكورت: باللغة التركية تعني (الذئب الأبيض)

ومعاونه "سافاس كاليديرس Savas Kalediris" و "بادوفاس Badouvas" التي دعت أوجلان إلى اليونان ولم تستطع الدخول إلى المطار أيضاً. حين قالت "آريا" لرئيس جهاز الاستخبارات اليوناني: "عليكم أن تقبلوا ضيافته لعدة أيام". يرد عليها بقوله "هذ ممكن". لكنهم لا يقبلون طلب أوجلان حين يقول "أود أن أقدم اللجوء هنا". يطلبون منهم أن يلتقوا بمؤيديهم هناك، لكنهم طلبهم هذا أيضاً يلاقي الرفض.

وكي يقطع رئيس جهاز الاستخبارات اليوناني معهم هذا النقاش، يريهم قرار الأنتربول بالقبض على أوجلان ويقول له: "البارحة صدر أمر بالقبض عليك من قبل الأنتربول، عليك أن تغادر اليونان بالسرعة القصوى".

في تلك اللحظة، يتدخل ثلاثة أشخاص. قدر عبدالله أوجلان يرسمه له هؤلاء الأشخاص الثلاثة. أحدهم إسمه "فاسيليس كامبورأوغلو Vasilis Kamburoğlu" وهو تاجر سلاح. ذُكر إسمه في رشاوي تلقاها في صفقة بيع أسلحة روسية "قاذفات TOR-1" لليونان ويُقال أن الرشوة تلك كانت حوالي خمسة مليون دولاروعن طريق وهو " آكيس چاكوبولس Akis Çoacopulos" وزير الدفاع اليوناني السابق، وكان من أصدقائه المقربين، وكانت صداقته مع أوجلان بحجة بيع الأسلحة والصواريخ لحزب العمال الكردستاني، حتى أن قيادة "PKK" كانت قد أرسلت مجموعة مؤلفة من سبعة أشخاص إلى "كوسوفو" للتدريب على تلك القاذفات، وكان سعر الواحدة منها (18) ألف دولار. أرسلوا عشرين قاذفاً من نوع "ستريلا" إلى معسكر "PKK" في جنوب كردستان. وعن تاجر السلاح ذاك، كانوا يقولون لأن والده لجأ إلى البحر الأسود، لذلك باتت كنيته "كامبورأوغلو". كان قد تزوج من امرأة انكليزية، وله منها إبنتان جميلتان. هذه كل المعلومات التي كانوا يعرفونها عنه. بحسب الصحف الصادرة بتاريخ 10 تشرين الأول سنة 2012، فإن "كامبورأوغلو" قد تم العثور على جثته ميتاً في أحدى فنادق مدينة "جاكرتا".

الشخص الثاني، وهو أحد أصحاب المعامل في قبرص واسمه "آريس آريستيدو Aris Aristidou "، حين أسست "PKK" فضائية "Med TV" بدأت علاقات هذا الرجل معهم. كل ما يُعرف عنه إنه متزوج من انكليزية، ولم تكن هناك أية معلومات أخرى متوفرة عنه.

الشخص الثالث كان صحفي قبرصي واسمه "لازاروس ماڤروس". حين توجه عبدالله أوجلان إلى كينيا، أصدر له هذا الصحفي جاوز السفر الأحمر بإسمه.

حين تدخل هؤلاء الثلاثة، عرضوا مغادرته إلى روسيا. كان "ماهر ولات"حينها مسؤول الـــ"PKK" في روسيا. فاتصلوا به. بدوره قام بدعوة بعض أعضاء البرلمان وسكرتارية بعض الأحزاب. جهزت الاستخبارات اليونانية طائرة أجرة خاصة لعبدالله أوجلان، وبعد ان استلموا التأشيرات الروسية، جهزوا أنفسهم للمغادرة. طلب أوجلان من رئيس جهاز الاستخبارات اليوناني: "اترك معي سافاس كليديريدس. من أجل سلامتي". رئيس الاستخبارات الذي كان يود مغادرة أوجلان بلاده على وجه السرعة وافق على طلبه هذا. كان على متن الطائرة المتوجهة إلى روسيا كل من :"عبدالله أوجلان، مروان زركي، عمر، سافاس كليديريدس، وآريا". كان في استقبالهم في مطار موسكو كل من ممثل "PKK" ماهر ولات ورئيس الحزب الليبرالي الروسي "فلاديمير جيرينوفسكي Vladimir Jirinovski " يحملون الورود بانتظاره. بعدها ركبوا السيارات وتوجهوا إلى منزل "جيرينوفسكي".

عاد العميل اليوناني على متن نفس تلك الطائرة إلى بلاده. أما "مروان زركي" و "عمر" الذين كانا من الاستخبارات السورية، فقد عادوا إلى سوريا بعد ثلاثة أيام وطبعاً بعد أن انهوا مهتمهم. أما صاحب المنزل "جيرينوفسكي" فقد تمت دعوته من قبل تركيا على وجه السرعة.

حين كان أوجلان متمدداً للاستراحة في موسكو، كان الدكتور سليمان في منطقة "خنير" الواقعة بين العراق وتركيا وايران، وقد توجه من هناك إلى مقر القيادة المركزية للحزب. كانوا قد جردوه من كل مسؤولياته. كان في مقر القيادة كل من أعضاء هيئة الرئاسة: عباس، عثمان أوجلان، خليل آتاج ومراد قريلان. كان الدكتور سليمان مستنداً بظهره إلى حائط المغارة ويستمع إلى أخبار إذاعة "BBC". حين علم بمغادرة عبدالله أوجلان سوريا إلى مكان غير معروفة وقد تكون اليونان، قام من مكانه وهرع مسرعاً وهو يحمل الراديو في ديه صوب المغارة التي فيها أعضاء اللجنة القيادية. حين وصل إلى المغارة، توقف الراديو الذي في يده عن البث.

نظر إلى الراديو في يده، ثم إلى الجالسين في المغارة. لم يكن يعرف ماذا يقول لهم. بعدها قال لهم: "لقد غادر القائد دمشق." لم يصدق أحداً منهم كلامه، حتى إنه ردد الجملة التي أذاعها راديو "PKK" على أسماعهم، وكمتهم سابق نظر إلى أعضاء اللجنة القيادية وإلى الراديو في يده وخرج. وضع جهاز الراديو في جيبه وجلس مرة أخرى عند حافة باب المغارة. بدأ خياله يحلق به إلى البعيد. ذلك الرجل المعروف بأنه قائد، قبل تسعة عشر عاماً من الآن دخل إلى سوريا بواسطة دليل وبدون أخذ المشورة من أحد، ومرة أخرى وبعد تسعة عشر عاماً وبواسطة دليل وبدون مشاورة أحد من رفاقه يخرج من سوريا.

بات الدكتور سليمان يُدرك أن ذلك ليس محص صدفة. ذلك التنظيم الذي كان يقوده هذا القائد، كان معروف عنه إنه تنظيم إرهابي من قبل الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية. أية دولة ستمنحه فرصة للبقاء فيها؟ يداه ملطخة بالدماء. ولا توجد أي حجة تنقذه من تلك التهم ضده، وأينما توجه، ستُغلق الأبواب في وجهه.

هل كانت روسيا تستطيع حمايته؟ صعب؟ فاق على وقع خطوات أقدام تتقدم صوبه. قال له حارس مركز القيادة العليا: "يا رفيق، لا تهتم بالأخبار." قام من مكانه وتوجه مسرعاً إلى الكهف الذي يوجد فيه تلفزيون. كان الجميع هناك. دوران كالكان، مراد قريلان، خليل آتاج و عثمان أوجلان الذين كانوا جالسين في المقدمة. جلس الدكتور سليمان في مكان ما في الصف الأخير. كانوا صامتين جميعهم، وكانت الدعايات على شاشة التلفزيون عن البيوت السكنية السياحية في منطقة "البودروم" التركية.

كانت الأعين على التلفاز فور بدء نشرة الأخبار اليومية، والخبر الأول كان عن عبدالله أوجلان. القيادة السورية أعلنت أنه غادر سوريا. "عصمت سزكين İsmet Sezgin" وزير الأمن القومي التركي أكد الخبر وقال إننا على علم أن أوجلان في روسيا.

بعد انتهاء نشرة الأخبار، لم يتفوه أي من الحضور بكلمة. كانت ملامح الجميع كالآلة الحاسبة. وكانوا مجبرين على إبداء ملامح حزينة على وجوهم. نظروا في وجوه بعض، كان يودون أن يستنبطوا تفكير بعضهم من خلال تقاسيم وجوههم. ولم يتفوه أي منهم بأية كلمة.

عند المساء، أرسلوا عدة أرقام عن طريق جهاز اللاسلكي إلى مقر القيادة العليا، وقالوا "القائد هنا. اتصلوا به." كان ظاهراً من النداء الآلي للرقم الذي أرسلوه أن القائد في روسيا. فاتصلوا بتلك الأرقام فوراً. كان جميع أعضاء القيادة على أهبة الاستعداد ويصيخون السمع إلى سماعة الهاتف. كانت رسالته الأولى هي "سنستمر في حرب العصابات "الكريلا". لأن خرب العصابات هو الأسلوب الأنجع والأهم في حروب القرن الواحد والعشرين." وأردف قائلاً: "هناك مؤامرة دولية على القيادة. والغرض من هذه المؤامرة هو شخصي أنا. على كل وحداتنا أن تناضل وتفشل هذه المؤامرة." ثم أغلق الهاتف.

كان أوجلان يعلم أن تلك الجملتين المقتضبتين تكفيان، وبقية الكلام سيكون على عاتق كل من "دوران كالكان" و"علي حيدر كايتان.

بعدها بيوم تم مناقشـة النظريات الخيالية الفانتازية، وبحسـب النظرية الأولى، فإن فلسـفة وقيادة عبدالله أوجلان قد زرعت الرعب عند الامبريالية العالمية، وعلى رأسها أمريكا، اوريا، اسرائيل وهب كل العالم وبات دأبهم هو إلقاء القبض عليه.

أما النظرية الثانية، فإنها تصـور أوجلان على أنه رسـولٌ للسـلام. فقد قام بخطوة تاريخية، وبدأ من روسيا وبعدها يحاول أن يقنع كل الدول الأوربية وينتصر في ذلك.

بحسـب النظرية الثالثة "حين خرج القائد من أنقرة، أصـبحنا حزباً، وحين خرج من الشـرق الأوسـط، أصبحنا جيشاً، وحين يذهب إلى أوربا سنصبح دولة".

بحسـب ما هو متداول بين حزب العمال الكردسـتاني، أن أوجلان تخلى عن دراسـته في كلية العلوم السياسـية في جامعة أنقرة سـنة 1978 وعاد إلى كردسـتان، وأسـس الحزب. في سـنة 1979 غادربرفقة المتعاطف معه "أدهم آكجان Ethem Akcan" إلى سوريا وجعل من "PKK" جيشاً. وخروج أوجلان من سوريا صوب روسيا كان سيجعل من الكُرد أصحاب دولة.

حين تمت مناقشـة هذه النظريات الخيالية في جبال قنديل، ووزعون نظرياتهم هذه على الكُرد في كل أنحاء العالم، كان "فلاديمير جيرينوفسـكي Vladimir Jirinovski" قد عاد من تركيا، وفور عودته كان قد طرد أوجلان من منزله.

كـان أوجلان لقلـة حيلتـه، عليـه المغـادرة إلى مكـان آخر. ذهـب واسـتقر في منزل رئيس جمعية الجيوسـياسـة في مجلس الدوما"آليكسـي ميتروفانوف Aleksej Mitrofanov"، كان منزله يبعد عن موسكو حوالي خمسة عشر كيلومتراً.

كان البعض ممكن يحاولون تدبير مكان له من أصدقاء الكرد في مستمرين في محاولاتهم. كانوا يودون أن يفتحوا له أبواباً بمبالغ "PKK" الموجودة، ونتيجة لنشـاط دؤوب، تم بتاريخ الرابع من نوفمبر سـنة 1998 عرض طلب "اللجوء السـياسـي لأوجلان" تحت قبة البرلمان الروسـي على مجلس الدوما، وكان على الطلب أن يحصل على موافقة (298) عضواً.

لكن الحكومة الروسـية واسـتخباراتها لم تكن تفكر كما يفكر أعضـاء الدوما، كانوا يودون منه مغادرة روسـيا. يلتقي صـاحب المنزل الذي لجأ إليه أوجلان "ميروفانوف" برئيس الوزراء "يفغيني بريماكوف" من أجل ذلك ويطلب منه إعادة النظر في قرار مغادرة أوجلان لروسـيا. يرد عليه "بريماكوف" بكل ثقة: "يستطيع أن يبقى في روسيا تسعة أيام كحد أقصى". الظاهر أن قرار مجلس الدوما ببقاء أوجلان كان قد أثار حفيظة الولايات المتحدة الأمريكية. المتحدث باسـم وزارة الخارجية الأمريكية "جيمس روبن" ينتقد أمام الكاميرات قرار مجلس الدوما. ووزيرة الخارجية الأمريكية "مادلين أولبرايت" تعلن: "أن حزب العمال الكردستاني منظمة إرهابية. طلبنا من الحكومة الروسية إما تسليمه أو طلب مغادرته من بلادهم. على أية دولة كانت ألا تمنح حق اللجوء لهذا (الإرهابي). أقولها مرة أخرى، على أية دولة كانت ألا تمنحه حق اللجوء!"[32]

ممثل "PKK" "كاني يلماز" و "فاسـيليس كامبورإوغلو Vasilis Kamburoğluyê" الذي كان قد عاد من أمريكا إلى اليونان، تواصـلوا مع بعض السـياسـيين الإيطاليين كي يؤمنوا مكاناً آخر لأوجلان خارج روسيا. كان أوجلان يقبل بكل مكان يقترحونه عليه، لأنه كان يعلم مسبقاً إلى أين سيأخذه دليله. لم يمض وقت طويل على ذلك، أراد "كاني يلماز" أن يُرسل العاملان في الحقل السياسي "عاكف حسن" و

[32] . https://anfturkce.net/kurdistan/Oecalan-in-moskova-da-33-guenue-103239

"أحمد يامان" إلى منزل رئيس الحزب الشيوعي.
بداية عقدوا لقاءً مع البرلمانيين عن الحزب الشيوعي "رامون مانتوافاني Ramon Mantovani" و "والتر دي كيساريس Walter De Cesaris" وأخبروهم أن وضع أوجلان في روسيا يشكل خطراً عليه.
البرلمانيين الذي كان يعرفون "PKK" جيداً قالوا لهم إنهم سيكونوا قادرين على عقد لقاء بينهم وبين رئيس الحزب الشيوعي. كان "عاكف حسن" قد قال: " سيكون ذلك جيداً". قام "مانتوفاني" بطل رقم هاتف وبدأ يتحدث عبره باللغة الإيطالية لعدة دقائق. حين أنهى المكالمة، قال لهم: "قوموا لنذهب، لقد قبل بذلك" بعد مسير طويل، وصلوا إلى منزل "فواستو بيرتينوتي Fausto Bertinottiyê " الذي كان رئيس الحزب الشيوعي المجدد.
استقبلهم صاحب المنزل بابتسامة ووجه بشوش وسلموا على بعض باللغة الانكليزية، ثم دعاهم إلى صالة واسعة. جلسوا حول طاولة طويلة فيها. عرّف "مانتوفاني" الضيوف به. قام "بيرتينوتي" من مكان وحمل بعض الكأسات من على الرف ووضعها على الطاولة وبدأ بصب الويسكي فيها. ارتشفوا رشفة من كأساتهم، بعدها بدأ "مانتوفاني" بالحديث وقال له أن عبدالله أوجلان قد غادر دمشق ولا يستطيع البقاء في روسيا. بعد برهة، رفع "بيرتينوتي" كأسه لـــ"عاكف حسن" وقال له: "ماذا أستطيع أن أفعل لأجلكم؟". وضع "عاكف حسن" كأسه على الطاولة ونظر بتمعن في وجه مضيفه قائلاً له: "قائدنا لا يستطيع البقاء أكثر في روسيا. الحكومة الروسية لا تقبل بوجوده. هو يريد المجيء إلى إيطاليا ويبدأ بالنضال الدبلوماسي من هنا. مكانه هناك غير آمن، وقد يلقون القبض عليه في أية لحظة ويأخذونه إلى مكان لا نعلمه. الحكومة التركية تتعقبه. هل تستطيعون أن تفعلوا شيئاً أجل مجيئه إلى هنا؟"
كان رئيس الحزب الشيوعي سينصت إليه باهتمام. بدأ يقهقه ضاحكاً ثم قال: "هل أتصل برئيس الوزراء (دآلما D'Alema) أم لا؟" رد عليه "عاكف حسن" الذي كان منتشياً من تأثير بضعة رشفات من الويسكي:" سيكون أمراً جيداً، فنحن نريد أن تقوم بذلك."
كانت كاسات الويسكي تفرغ وتُملأ من جديد. حمل رئيس الحزب الشيوعي سماعة الهاتف وبدأ يدق لرئيس الوزراء الإيطالي "ماسيمو دآلما Massimo D'Alema". كان الجميع ينظرون إلى رئيس الحزب الشيوعي. تكلم معه في الهاتف لمدة ربع ساعة. لم يكن "عامف حسن" يعرف الايطالية، أما "احمد يامان" فهم كل شيء من المكالمة. بدا سعيداً حين أنهى المكالمة. التفت إلى "احمد يامان" وأعاد عليه كل ما جرى بينه وبين رئيس الوزراء. قام "أحمد يامان" بترجمة كل تلك المعلومات لــــــ"عاكف حسن" قائلاً: "قال السيد بيرتينوني لرئيس الوزراء إنه محرج لأنه يتصل به في وقت متأخر من الليل وهو يعتذر لذلك. لكن هناك مشكلة". حين قال له رئيس الوزراء إنه في شوق لمعرفة ما هي المشكلة، فشرح له وضع عبدالله أوجلان باختصار. بدا رئيس الوزراء مهتماً بالأمر وقال لرئيس الحزب الشيوعي: "حسناً، سنساعده." ثم توقف قليلاً وقال: "ذلك الرجل الذي تتحدث عنه، ما هو اسمه الحقيقي؟" فلفظ رئيس الحزب الشيوعي الاسم مقطعاً مقطعاً، قائلاً: "عبدالله أوجلان، رئيس حزب العمال الكردستاني والكُرد."
لم يتمالك "عاكف حسن" نفسه وقال لـــ"أحمد يامان" باللغة التركية: " ألا يعرف هذا الدلاما قائدنا يا رجل؟". كان "أحمد يامان" يود ان يُكمل الترجمة، لكنه جاوبه: " ومن أين له معرفة به؟" ثم أكمل الترجمة: "قال رئيس الوزاراء، حسناً، هل لدى أوجلان جواز سفر أم لا؟" رد عليه رئيس الحزب الشيوعي: "لا يوجد لديه جوزا سفر شخصي له، لكن لديه أوراق توصله إلى هنا." بعدها توقف رئيس

وزراء وقال: "سيسبب ذلك لنا المشاكل. إن كان الأمر بهذا الشكل فقط فنساعده."

اعتذر رئيس الحزب الشيوعي من مقاطعته لـــ"احمد يامان" وقال لهم: "يقبل رئيس الوزراء بقدومه، لكنه وضع شرطين لذلك. أولا، يستطيع البقاء هنا لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر على الأكثر. ثانياً، عليه أن يأتي بشكل سري إلى هنا" قبل كل من "أحمد يامان" و "عاكف حسن" بتلك الشروط. كان "أحمد يامان" سعيداً جداً لقيامه بهذا العمل العظيم. ابتسم "عاكف حسن" وقال بلغة تركية لا يستطيع الايطاليين فهمها: "ليأتي القائد إلى ايطاليا، وسيرون ما هي السرية. سترى كيف أن كل العالم يعلمون بقدومه منذ اليوم الأول" ارتشف آخر رشفة متبقة من كأسه. في وقت متأخر من الليل، خرج الجميع من منزل رئيس الحزب الشيوعي.

بعد ذلك اللقاء، توجه "أحمد يامان" و"مانتوفاني" البرلماني عن الحزب الشيوعي إلى موسكو. كان هناك قرار من المحكمة الألمانية بالقبض على عبدالله أوجلان بتهمة القتل، وحين يتوجه إلى ايطاليا، كانوا سيضعونه تحت المراقبة وبعدها سيتوضح أمر المحكمة الألمانية. إن كان قضت المحكمة ببراءته، حينها ستكون مسألة لجوءه في ايطاليا سهلة.

قائد حزب العمال الكردستاني "PKK" كان لا يعرف ماذا سيحصل معه، لكنه وافق على كل ذلك، وإلا فإنه سيكون بذلك قد ضرب عرض الحائط بكل الكلام الذي جرى بين رئيس الوزراء ورئيس الحزب الشيوعي .

بعد ان تم الاتفاق على كل ذلك، باتوا بسرعة بعملية إصدار الفيزا له. قطع "ماهر ولات" أربعة تذاكر طيران من شركة "آيرفلوتAeroflot". بنفس جواز السفر الذي كان أصدروه له باسم "عبدالله ساريكوت Abdullah Sarıkurt" دخل إلى الأراضي الايطالية برفقة "آريا" و "احمد يامان" و"مانتوفاني". هبطت طائرة المسافرين الأربعة في الساعة العاشرة في مطار روما. كانوا قد ألقوا القبض على عبدالله أوجلان بتهمة دخوله البلاد بجواز سفر مزور، وأخذوه إلى المشفى العسكري في "سينيو Senyo". أما البقية، فقد خرجوا من المطار.

حين علمت الاذاعات التركية بذهاب أوجلان إلى روما، تركوا كل برامجهم اليومية وباتوا ينشرون كل أخبارهم عن أوجلان. أشعلوا الشارع التركي بالعنصريين وجعلوا الملايين تنزل إلى الشوارع، في مقابل ذلك، حشد "PKK" مئات الآلاف من الكُرد في شوارع روما.

كان الكُرد الذين ملأوا شوارع روما قد قدموا لدعم أوجلان وعدم تسليمه للحكومة التركية. حين رأت الحكومة الايطالية مئات الآلاف يتظاهرون لأجله، أخرجوه من المشفى ووضعوه تحت الإقامة الجبرية في البيت. حيث وضعوه في منزل في روما كان يقع في وادي جهنم "İnfernetto" في حي "male". قال عبدالله أوجلان للذين من حوله: "قولوا للناس أن يحرقوا أنفسهم! كلما أحرق الكثيرون أنفسهم، كلما ازدات وعلت قيمتي".

أرسلوا أمر القائد هذا بالسرعة القصوى إلى التنظيم. بعض الأشخاص أحرقوا أنفسهم في ساحات ايطاليا. في مناطق متفرقة من أوربا أشعلوا النيران في أجسادهم. بحسب الأخبار الواردة من السجون التركية، فإن البعض أضرموا النيران في أجسادهم. لم تكن بظهور هذا الغول بشكل مفاجئ لها، كان الغول قد استشاط غضباً وأينما يحل يحرق، لذلك خرقت ألمانيا قوانينها بنفسها ولم تعد تطالب من ايطاليا تسليمه. أصبحت روما في مدة زمنية قصيرة تحت الحصار الكردي والتركي. رئيس الوزراء "دلاما" الذي أراد أن يأتي أوجلان بشكل سري إلى بلاده ويقيم فيها، رأى أن بلاده أصبحت ساحة معركة بشكل مفاجئ وباتت حكومته في خطر.

www.arsivakurdi.org

كان الضيوف يحلون على أوجلان بكثرة. لجنة تخرج وأخرى تدخل. كانت تتم متابعة الضيوف من قبل القيمين على برنامجه اليومي. واضعوا خطة عودة أوجلان كانوا قد عثروا على الشخص المناسب الذي يستطيع لقاءه. كان ذلك الشخص معروفاً من قبل الكثيرين واسمه "تايفون تاليبئوغلو Tayfun Talipoğluyê" المعروف بميوله اليسارية والديمقراطية. كانوا سيوصلون المعلومات لأوجلان عن طريق هذا الشخص. بداية، خاف "تايفون تاليبئوغلو Tayfun Talipoğluyê" حين اقترب من منزل أوجلان، وذلك لأن رفاق الـــ"PKK" حين يقومون بالاعتصامات في شوارع روما كانوا لا يقبلون بالصحافيين الأتراك. لكنه كان يقول في نفسه: "لا أظنهم سيمنعونني، فهم يعرفون إنني شخص ديمقراطي." بتلك القناعة ذهب إلى أمام منزل أوجلان وقال للشاب الحارس أمام الباب: "أود رؤية أحد المسؤولين هنا."

ذهب ذلك الشاب إلى الغرفة المجاورة، وبعد لحظات عاد ومعه شخص متوسط القامة وعمره حوالي الأربعين عاماً. كان هذا الشخص هو "عاكف حسن" المسؤول الدبلوماسي لـــ "PKK" في أوربا. فور رؤيته لـــ" تاليبئوغلو Talipoğluyê" قال له:" تفضل، ماذا تريد؟" رد عليه: "أنا إسمي تايفون تاليبئوغلو Tayfun Talipoğluyê ، أتيت من تركيا وأود أن أعمل لقاءً مع السيد أوجلان. الظاهر أن "عاكف حسن" لم يكن يعرفه مسبقاً، فسأله: "من أي صحيفة أنت؟" رد عليه: "من صحيفة گونش Güneş". فقال له عاكف: "سأذهب لأسأله وأعود إليك." توجه إلى غرفة أوجلان، وعاد بعد برهة، كان أوجلان قد قال له إنه لا يود أن يعمل مع أية لقاءات مع الصحفيين. بعد لحظة من التفكير، قال "تاليبئوغلوTalipoğluyê" لـ"عاكف": "أرجو أن تخبر أوجلان إنني قادم من مكان مهم!"

رد عليه "عاكف حسن":

- من أين، من قبل الحكومة؟
- كلا، مكان أهم.
- من قبل رئيس الوزراء؟
- كلا، أهم.
- من قبل القيادة العامة للجيش؟
- من مكان أهم وأعلى، قولوا لأوجلان أن الصحفي قادم من مكان هو يعرفه.

هرع "عاكف حسن" مسرعاً إلى أوجلان وقال له: "يا قائدي، أن هذا الشخص يقول: أخبروه إنني قادم من المكان الذي يعرفه هو."

ابتسم أوجلان وقال: "إذاً، ليدخل".

بعد أن طلب أوجلان من جميع مرافقيه في الغرفة الخروج، بقي بمفرده مع تاليبئوغلو Talipoğluyê. لم يعرف أحد بما جرى في ذلك اللقاء الذي طال حوالي الساعتين بينهم.

بعد أن عودة "تاليبئوغلو Talipoğluyê" إلى تركيا، لم ينشر ذلك اللقاء أو يتحدث عنها في أية صحيفة أو قناة تلفزيونية. عاد أوجلان بعد سنوات إلى تركيا. بعدها، بدأ "تاليبئوغلو Talipoğluyê" يُدلي ببعض المعلومات عن لقاءه ذاك مع أوجلان وقال: "حين تحدثت مع أوجلان لأول مرة سنة 1999 في ايطاليا، قال لي: سترى إنني سأعود إلى تركيا وسأمارس السياسة في البرلمان. قلت له: أنت تقول إنني كنت في غرفة مغلقة على مدار خمسة عشر عاماً . كيف ستمارس السياسة؟ أنت تحلم. إن عائلات الشهداء سوف يرجمونني إن رأوني أتحدث معك. كرر عليّ قائلاً: سترى إنني سأعود إلى تركيا وأمارس السياسة.

www.arsivakurd.org

كنت أقول لنفسي: قد يكون عبدالله أوجلان شخصاً طموحاً وقارئاً للمستقبل، لكن الظاهر إنه قد استقى معلوماته من مكان خفي ونفذ ما قاله. لذلك لست محتاراً حين أرى الأحداث الأخيرة. أرى أن كل ما يحدث هو شيء طبيعي. أنا أول شخص في سنة 1999 تعلمت هذا الشيء."[33]

قال "تايفون تاليبئوغلو Tayfun Talipoğluyê" الذي رأى بعض الأقسام من الفيلم الوثائقي الذي أعده "محمد علي بيراند Mehmet Ali Birand" عن يوم 28 شباط:

" لم يكن مرتاحاً في المنزل. كان كل شيء من حوله مغلقاً. كان الطابق السفلي من ذلك المنزل عبارة عن صالون صغير ومطبخ، وكان البوليس الايطالي يحرسونه دائماً. يفتشون الداخل والخارج منه. كان في السجن، أو بمعنى آخر كان تحت المراقبة. حتى إنه قال في جزء من حديثه معي: (يا تايفون، لا أستطيع أن أقنع أحداً. لا أستطيع ايصال نفسي إلى أية دولة، حتى أمريكا لا أستطيع الذهاب إليها.) كان الظاهر أن هناك من تخلى عنه. النقطة الأخرى، حين كنت عنده، كان التلفزيون يبث خبر سقوط مروحية واستشهاد سبعة عشر جندياً على متنها. رأيت الدموع تذرف من عيني أوجلان. كنت حائراً، ما هذا؟ قال لي: (هؤلاء أيضاً أبناء أرضنا، إنهم أبناؤنا. أود أن يتوقف شلال الدم هذا.) كان جاداً في كلامه ودموعه، ولم يكن كل ذلك مصطنعاً."[34]

حين عاد أوجلان إلى تركيا، كان قد قال للمحقق "حسن آتيللا أوغور Hasan Atilla Uğur ": "قلت لـ (تايفون تاليبئوغلو Tayfun Talipoğluyê) في روما أن يخبر القيادة العامة كي لا يؤذونني كثيراً." وهنا يناقض كلامه عن الجهة التي أرسلت "تايفون تاليبئوغلو Tayfun Talipoğluyê" إليه حينذاك.

كان إسم أوجلان على جواز السفر منذ لحظة خروجه من دمشق وحتى وصوله إلى روما هو "عبدالله ساريكورت Abdullah Sarıkur". كان منزله في روما في "وادي جهنم". وكان إسم الشارع المقيم فيه هو "خرابي". ساريكورت كان لقب (مصطفى كمال). وادي جهنم، شارع خرابي، ولقب ساريكورت. حين يضع أحدٌ ما هذه الأسماء بجانب بعضها، سيجد إنها لو لم تكن من صنع رب السماوات والأرض، وإلا فهي محض صدفة فقط.

---

33. https://t24.com.tr/haber/tayfun-talipoglu-ocalan-politika-yapacagini-1996-yilinda-bana-soylemisti,228205

34. http://www.gazetevatan.com/-ocalan-roma-da-agladi--433385-gundem/.

www.arsivakurdi.org

-35-

على قمم جبال زاغروس، وفي منطقة "خنيرێ"، كان قد تم سجن "الدكتور سليمان" في منطقة محصنة هناك. كان القيادة العليا في "PKK" قد أصدرت قرارها بالقبض على "هايام" و"هايدار" أيضاً في كهف كبير بالقرب من تلك المنطقة. وضعوهم في سجون أخرى منفصلة، وكان السبب في سجنهم هو: أن "شمدين ساكك Şemdîn Sakik " القائد العام للكريلا، بعد ان قضى ثمانية عشر عاماً في الجبهات، كان قد بدأ بأعمال عصاباتية، وأساء لقيم الشعب والمقاومة والگريلا. تعامل بشكل سري مع العصابات العميقة في الدولة التركية. وبحسب رأي"PKK" فإن مخططاته باءت الفشل، لذلك سلم المذكور نفسه للدولة التركية.

أعضاء القيادة في "PKK" لم يقترب أياً منهم من جبهات المعارك أبداً. الآن نراهم يقيّمون الدكتور سليمان وهايدار وشمدين ساكك على إنهم أعضاء عصابة. كانت هناك طريقة يتبعها اوجلان وحزبه بحق بعض المناضلين، وكانت على الشكل التالي: قبل التوجه إلى المؤتمر، يختارون مقاتلاً بارزاً منفذاً لكل أوامر أوجلان، يعلنون أن هذا الشخص هو شيطان في الحزب. كل الملفات السرية، المذابح، الذنوب، يضعونها في رقبته. ذلك المقاتل الذي يختنق من تأثير هذه الاتهامات، أما أن يقتل نفسه، أو يهرب، أو يُقتل، أو يسلمونه للدولة التركية.

أي حل من تلك الحلول، كانت كفيلة بتصفية ذلك المقاتل وعدم بقاءه بين صفوف المريدين أو الكبار. بعدها، يبدأون بالمقاتلين الذين كانوا تحت أمرة ذلك القائد المذنب- حسب برأيهم-. إن كان قد قبل بالحكم عليه، حينها سيبقون في أماكنهم، والعكس، كانت العاقبة ستكون وخيمة عليهم. في هذه المرة، وفي المؤتمر السادس، كان الضحايا هم كل من الدكتور سليمان و هايام وهايدار. كانوا قد بدأوا بالدعاية المضادة في صفوف الگريلا ضد هؤلاء. كانوا يتناقشون ويتباحثون في الدروس الرسمية للحزب عن حياة وأعمال هؤلاء القادة الثلاثة. لكن أعضاء الگريلا كانوا يعرفون هؤلاء القادة جيداً وكيف كانوا في المعارك، فهم رأوا تفانيهم في الحروب بأم أعينهم.

عوضاً عن أن يتعرض للجالسين في "قنديل" للمساءلة من قبل الذي يقودون المعارك، أصبح العكس، الجالسون في "قنديل" هم يحاكمون قادة المعارك. كان من الصعب إقناع عناصر الكريلا في فترة زمنية قصيرة وبتلك السهولة. لذلك كانت اجتماعاتهم التربوية كلها عن هؤلاء المحكومين الثلاثة، يجمعون الأدلة ويجلبون الرفاق الذين شاركوا معهم في المعارك، وعن طريق ما يسمونه بالنقد يجمعون الإفادات حول هؤلاء القادة الثلاثة.

كان "الدكتور سليمان" في غرفة لا نوافذ فيها، مبنية من الحجر وسقفها من الطين. كان يفكر، عاقبة قائده "شمدين ساكك"، كتابات أخيه "سليم" له، الآن يحس بما حل به. قبل الوضع، لكنه تأخر. كان يقول أن عليّ أن أدبر طريقاً للخلاص. لكن، لا طريق أمامه الآن. كان قد دفنوه حياً، ومن حوله الحراس المسلحين. كان كقائد انهزم جيشه. أغفل عينيه عن أفعال القيادة لأن همه الوحيد كان مواجهة الدولة التركية. لمئات المرات كان قاب قوسين أو أدنى من الموت، كإنه قد تعاقد مع عزرائيل على ألا يقبض روحه إلا بعد أن يصل إلى هدفه. لأنه كان مؤمناً بأنه سينفذ في كل مرة، لذلك كان عزرائيل يخسر معه في تلك المعركة.

في إحدى الأيام، كان يسرح في خياله وأفكاره مرة أخرى. فتح باب سجنه ودل الحرس ذو القامة الطويلة وقال له بابتسامة: "دكتور، انت حر، لقد أصدر القائد تعليماته بذلك." قال في نفسه: "مرة أخرى

أنقذتني الملائكة." قام من مكانه وخرج من السجن. لم يكن يستطيع أن يفتح عينيه بشكل مريح، فقد مرت عليه فترة طويلة في عتمة السجن الخالي من النوافذ. نزل بتؤدة وتوجه صوب مجموعة من الكريلا كانوا يتحدثون فيما بينهم أمام إحدى مراكز التدريب. حين رأوه، قام البعض منهم من مكانه ورحبوا به. منذ أيام لم يكن قد سمع الأخبار والمستجدات، سأل صديق له كان يكن له الكثير من الحب: "خير؟ ماذا يحصل هنا؟" رد عليه صديقه: "لقد تغيرت أشياء كثيرة. البارحة اتصلت هيئة القيادة مع القائد عبر اللاسلكي وقالوا له أن ثلاثتكم عبارة عن عصابة لذلك تم زجكم في السجن. غضب القائد منهم وقال لهم (أنتم أيضاً عصابة. منذ الآن سأستقيل من PKK لأني كنت طوال عمري أحارب العصابات. أطلقوا سراحهم فوراً لأنكم مذنبون وأضع الذنب في أعناقكم جميعكم. سأفتح الطريق من الآن فصاعداً للشباب فقط." ثم أغلق الهاتف في وجههم.) لذلك أطلقوا سراحكم."

كان "الدكتور سليمان" يعرف نفسية أوجلان جيداً. كان قد أصبح ديمقراطياً مرة أخرى حين غادر إلى أوربا. كان يقول للايطاليين من حوله إنه ديمقراطي للغاية ويحب الورود والحشرات، ويغضب على رفاقه الذين يدوسون على العشب، يعاتب من يؤذي نملة أو حشرة. لم يكن يكتفي بذلك فقط، بل كان يدعو الكُرد المعارضين في أوربا كي يتصور معهم وتظهر صورهم على تلفزات "PKK". كل ما اقترفه من مآثم كان يضعها في رقبة القادة الذين تمت تصفيتهم بقرارات منه ويظهر نفسه بريئاً في النهاية. كان يعطي دروساً في الديمقراطية عن الدكتورة "لاميا باكسي" لأخيها "محمود باكسي". في عام 1987 كانت قد تمت تصفية الدكتورة "لاميا باكسي" في إحدى معسكرات الكريلا في جنوبي كردستان. كان أوجلان يقول لـــ"محمود باكسي": أختك لاميا قتلت بيد عصابة بيننا بدون علمي، وفور علمي بالموضوع، قمت بمعاقبتهم." كان قصده من العقوبة هو القتل. كان يود أن ينفذ بجلده من جناية حتى يضع نفسه في جناية أخرى.

بحسب البيانات الصادرة من روما، كانت كل برامج"PKK" قد تغيرت. كانوا الكفاح المسلح سينهي ويبدأون بمرحلة الكفاح السياسي. كان هناك تخبط في معسكرات الكريلا، لا أحد يعلم ماذا يحدث. تشكل فراغ نتيجة لجم الهيئة القيادية من قبل القائد. كان دأب كل واحد منهم اليومي هو انتظار مكالمة من روما، لأن كل شيء منذ البداية كان مرتبطاً بشخص أوجلانـــ فهو الحزب، وهو الجيش، ولأنه غير مكان إقامته، إذاً عليه أن يغير البرامج، وتتغير الوحدات العسكرية بحسب وضعه الجديد.

لم تستمر هذه الأزمة كثيراً. كانت الاخبار تذيع بأن أوجلان قد ترك روما. كل ما في الأمر أن زيارته كلاجئ فقط تم قبولها هناك. كان قد زاره ممثل الحكوة الايطالية في بيته وأخبره بالتالي: "السيد أوجلان، لقد تمت الموافقة على زيارتكم كلاجئ من قبل المحكمة في روما. لذلك، لا يستطيع أي كان إخراجك من هنا، حتى لو طلبت الحكومة بذلك. إيطاليا هي بلد الحقوق. لا أعلم تماماً، فقد تطول مدة المحكمة ستة أشهر أو سنة، لكنك تستطيع منذ الآن أن تشتري لك بيتاً كبيراً كي تقيم فيه. أما إن أردتم عدم البقاء في ايطاليا والمغادرة إلى مكان آخر، فإن حكومتنا مستعدة لتقديم المساعدة لكم."

كان "عاكف حسن" الذي يترجم كلام ممثل الحكومة الايطالية لأوجلان بانتظار كلمة شكر من قائده، لكنه قال لـــ"عاكف": "إسأله إلى أين يودون أن يرسلونني؟" كان "عاكف" مجبراً على ترجمة سؤاله هذا، فهو لا يستطيع أن يقول له: "يا قائدي، ها قد منحتك الحكومة الايطالية حق الإقامة، إذاً أقعد في مكانك وانتهى" لذلك قام بترجمة سؤال أوجلان لممثل الحكومة، ورد بدوره على السؤال قائلاً: "لا تستعجلوا، فكروا في الأمر براحة، ثم قرروا بعد ذلك." لكن أوجلان كان مصـرّاً على أن يعرف ذلك. حين سأل "عاكف حسن" ممثل الحكومة نفس السؤال، قال محرجاً: "جيبوتي. لنا علاقات جيدة مع الحكومة هناك

وسنقدم لكم كل أشكال المساعدة." حين سمع أوجلان ذلك، قال لـ"عاكف" مضطرباً:
- أين تقع جيبوتي هذه يا عاكف؟
- في أفريقيا يا قائدي. بين المحيط والقارة الهندية ، مقابل اليمن، وتقع خلفها أثيوبيا.
- حسناً، هل هناك بحر؟
- نعم هي على البحر يا قائدي.
- حسناً، إذاً لنذهب إلى هناك. إن جمعنا ثلاثين رجل وعشرين امرأة هناك، حينها سنبدأ من هناك نضالنا. يوجد بحر أيضاً، ماذا نود أفضل من ذلك؟ حسناً، إقبل بذلك.

ابتسم ممثل الحكومة حين ترجم مه "عاكف" كلام أوجلان، فقد كان عليهم ألا يستعجلوا في اتخاذ قراراهم، لذلك قال: "أنا ذاهب، وأنتم فكروا في الموضوع جيداً." ثم خرج وودعوه إلى الباب، قال أوجلان: "إذاً، لقد تغير القرار، سيرسلونني إلى جيبوتي وهناك سيلقون القبض علي." حين عاد "عاكف" إلى الغرفة، قال له أوجلان: "تعال يا عاكف وأخبرني بما تعرفه عن جيبوتي." قال له "عاكف": "لا يجوز الذهاب إلى هناك يا قائدي. العشائر هي التي تدير جيبوتي، وكل عدة أشهر تتعرض لضربات عشكرية. اليوم تحكم عشيرة ما هناك، وإلى وقت وصولكم إلى هناك، قد تكون هناك عشيرة أخرى استلمت الحكم. سيسلمونكم إلى تركيا على الفور كما فعل شمدين ساكك."

- أن كان كذلك فهي مؤامرة والايطاليين مشاركون فيها أيضاً. أطلب أحمد يامان على الفور واذهبوا انتم الاثنان وقولوا لهم إنني لا أود الذهاب إلى جيبوتي.

في اليوم التالي، أوصلوا الخبر إلى المسؤولين إلى الحكومة الايطالية أن أوجلان لا يود المغادرة إلى جيبوتي. لكن الذين كانوا يودون إخراج أوجلان من ايطاليا كانوا قد تحركوا مسبقاً. كان هناك احتمال كبير أن القبرصي "آريس آريستيو Aris Aristiou" والتاجر "فاسيليس كامبورأوغلو Vasilis Kamburoğlu" قد يقنعا أوجلان بالتوجه إلى روسيا مرة أخرى، وأصدروا لأوجلان جواز سفر باسم الصحافي الايطالي "لازاروس مافروس Lazaros Mavros". كانت بداية لعبة العودة إلى روسيا على الشكل التالي:

كان أوجلان الساكن في وادي "جهنم" حارة "خرابي" يتمشى في صالون بيته، ثم ينادي على "ماهر" الذي كان في الغرفة الأخرى ويقول له:

- إذهب يا ماهر وتحدث مع الروس، سأعود مرة أخرى إلى هناك. لقد عشت سنوات طويلة في الشرق الأوسط وتعلمت فيها أسلوب في الحياة. أسلوبي وطريقتي في الحياة لا ينسجمان مع الحياة الأوربية. أمنوا لنا بيتاً هناك، ليكن بين غابة، سنقوم بعملنا وتدريبنا من هناك.

أدرك "ماهر ولات" أن لا فائدة من معارضة قراره هذا، ولا حتى كلام أصدقاء الكُرد الذين قالو له "لا تغادر روما إلى مكان آخر. كان عليه أن يتحرك بحسب أوامر وإشارات قائده.

ذهب برفقة رفيقين آخرين للتحدث مع الاستخبارات الروسية بهذا الشأن. بحسب الأقاويل التي انتشرت إنهم دفعوا الكثير من الدولارات وأخذوا الموافقة. بعدها كتب أوجلان رسالة بخط يده للحكومة الايطالية كتب فيها: "الإنني لا أريد أن أخلق لكم المزيد من المتاعب، لذلك أود مغادرة بلادكم." في يوم 16 كانون الثاني سنة 1999 غادر روما إلى روسيا بطائرة أعدتها له الحكومة الايطالية.

هذه المرة، لم يأذنوا له بالنزول من الطائرة. كان الفصل شتاءً. الجو بارد والثلج في كل مكان. كان ينظر من نافذة الطائرة إلى الخارج. لا يوجد مكان يذهب إليه. كانت الدولة العميقة (أرغنكون) التركية قد أعدت نفسها جيداً. بداية أقنعت أوجلان بالعودة إلى تركيا، ثم تواصلت مع أمريكا كي تساعدهم في القاء القبض

عليه. وضعت الدول الأوربية "PKK" في قائمة الإرهاب وذلك بسبب النشاط المتطرفة التي قام بها التنظيم في أوربا بأوامر من أوجلان، واتهمته بقتل وتصفية المدنيين في تركيا وكردستان كي يكون هو لوحده متمسكاً بكل مفاصل الحزب. آلاف الجنايات التي لا يستطيع أي فرد تنفيذها لوحده، فعلها بدوره وبات مطلوباً لوحده بسبب كل تلك الجنايات التي يغفل مريدوه عن أغلبها.

بقي لساعات داخل الطائرة في روسيا، ثم استطاع الاتصال بـــ"آريا" في اليونان وشرح لها وضعه. ذهبت "آريا" إلى "كامبرأوغلو Kamburoğlu " وبعد إجراء عدة لقاءات، استقلوا طائرة خاصة بـ(32) ألف دولار وتوجهوا إلى لينينغراد. هناك، ألتقوا بأوجلان وماهر ولات والبرلماني الروسي "عزيز" في الطائرة. بعد ساعة، عادوا بطائرة خاصة إلى جزيرة "كورفو Korfu"، وقضوا ليلة هناك. كان "كالندريديس Kalenderidis" العضو في الاستخبارات اليونانية برفقة أوجلان مرة أخرى، وكان سيتحدث بعد أربعة سنين أمام المحكمة في أثينا عن كيفية بدء رحلة أوجلان إلى أفريقيا والتي قال فيها: "اتصل بي رجل الأعمال القبرصي (آريستديس آريستيدو Aristidis Aristidou" هاتفياً وطلب مني أن أخبر أوجلان كلمة كلمة التالي (ستذهب إلى بلد أفريقي، ولن يعلم أحد باسم هذا البلد سواك. ستقضي عدة أيام في منزل السفير اليوناني. بعدها سنأخذك إلى مزرعة كبيرة وآمنة. ستبقى لفترة هناك تحت حمايتنا. ستبقى الآن في مكانك إلى أن نحضر مغادرتك إلى جنوب أفريقيا)[35] حين يقول المخبر اليوناني لأوجلان ذلك، يقول له أوجلان: (حسناً، هيا لنذهب) وهكذا بدأت الرحلة إلى جنوب أفريقيا.

كان رجل الأعمال القبرصي قد اختار كينيا وجنوب أفريقيا و جزر "سَيشَل". كان أوجلان يحمل معه الكثير من النقود، وكان يمنح لهذا الشخص ما يطلبه من نقود. قال لأوجلان أسماء هذه الأماكن، لكن أوجلان لم يكن قد سمع بأسماء هذه الجزر. كان يعلم أن جزر"سَيشَل" تقع في المحيط الهندي.

كانوا سيشترون فيللا لأوجلان هناك، وبعد مدة كانت ستأتي طائرة تركية كي تأخذه. من أجل شراء تلك الفيللا، طلب "آريستيدو Aristidou" مبلغ مليون دولار من أوجلان. كانت "شمسه كيليچا" القادمة من بلجيكا إلى اليونان تحمل في حقيبتها مليون دولار. سلموا المبلغ لـ"آريستيدو Aristidou " الذي قال لهم بعد مدة أن المبلغ لا يكفي لذلك. ثم أرسلوا له مبلغ مائة ألف دولار عن طريق "عبدي شاهين" المسؤول في "PKK".

اختفى "آريستيدو Aristidou" مع المبلغ ولم يعلم أحد عنه شيئاً بعد ذلك، وبذلك انتهى النقاش عن الاقامة في جزر"سَيشَل"، ثم قرروا مرة أخرى المغادرة إلى كينيا.

كينيا هي دولة لا يوجد فيها أكراد، بل يتواجد فيها الدولة العميقة اليونانية ووكالة الاستخبارات الأمريكية والدولة العميقة في تركيا، وكانوا يتحركون بالتنسيق بين بعضهم البعض. هبطت طائرة خاصة قادمة من تركيا في مطار نيروبي، وبعد ساعات، في تاريخ 16 شباط سنة 1999 ركب أوجلان الطائرة الخاصة تلك وفي حقيبته مبلغ (35) ألف دولار.

كان "الدكتور سليمان" قد بقي مع مفرزة من الكريلا في "خنێرێ". بعد الرياضة الصباحية توجه هو ورفيقه المقرب "چكدار" للجلوس على صخرة ينتظرون نشرة الأخبار من إذاعة "بي بي سي". حان وقت النشرة وكان صوت الراديو مرتفعاً. كان الخبر الأول عن جلب أوجلان من كينيا إلى تركيا ويتعالى صوت "بولند أجاويد" من الإذاعة يقول: "منذ الساعة الثالثة من هذا الصباح، رئيس عصابة الإرهابيين

---

35 . المرافعة التي قدمها "كالندريس Kalenderis" أمام المحكمة اليونانية

لانفصاليين عبدالله أوجلان في تركيا". رفع "الدتور سليمان" جهاز الراديو وضربه أرضاً محطماً إياه إلى قطع. كان "چكدار" من غربي كردستان (قُتل من قبل PKK)، لا يعرف اللغة التركية ولم يفهم لماذا رمى "الدكتور سليمان" على الأرض، لذلك سأله: "ماذا حصل؟" أيقن "الدكتور سليمان" أن إطلاق كلمة القائد على أوجلان لم تعد لها معنى، لذلك جاوبه: "عاد أوجلان إلى تركيا، من المؤكد إنه سيعترف".

احتار "چكدار" ولم يعي ما قاله صديقه، لذلك سأله: "من أين تعلم بذلك؟" قال له "الدكتور سليمان" ما لم يقله لأحد من قبل: " في سنة 1996 كنت معه في دمشق. كنت أنا، وأوجلان، نظام الدين تاش، ورفيق آخر اسمه برخدان. كنت في السيارة نذهب إلى مكان ما، في الطريق تعطلت السيارة وانجبرنا أن نكمل طريقنا مشياً. كنا نمشي على يمين الطريق. نظرت إلى أوجلان، كان يرتجف. الخائف هكذا حين يسقط في يد الأعداء سيعترف".

بعد ساعات، توجه مع "چكدار" للاستماع إلى الأخبار من التلفزيون. كانت المغارة التي خصصوها للتعليم مليئة حتى بابها بالگريلا. كان الجميع قد سمعوا أن أوجلان قد عاد إلى تركيا. جلس الجميع في أماكنهم وساد الصمت حين حان موعد الأخبار، وكان الخبر الأول عن أوجلان. بعد بيان رئيس الوزراء "أجاويد" عرضوا داخل الطائرة التي تقل أوجلان، كان ممدداً على ظهره وعيناه مغلقتان وعناصر الجيس التركي من حوله يرفعون إشارة النصر بأياديهم. بعد أن رفعوا اللثام عن وجهه، حدثت هذه المحادثة بينه وبين عنصر من الجيش التركي:

- حمدلله على سلامتك إلى الوطن يا عبدالله أوجلان. هل أنت بخير؟
- (مضطرب وقلق) شكراً، لا بأس.
- هل تؤلمك معدتك؟
- لا بأس.
- يعني لا توجد لديك أية مشاكل صحية؟
- (يؤشر برأسه) كلا.
- ما الأمر، هل تعاني من حموضة أو حرقة في معدتك؟
- (يتململ في حركاته وكأن به مرض)
- حسناً، سوف نداويك. أود أن أسألك بضعة أسئلة.
- (يغمض أوجلان عينيه دائماً)
- لا داع أن تغلق عينيك. سنغسل وجهك إن أردت ذلك. إن كنت تتألم من تأثير اللثام على وجهك، سوف نزله بالماء.
- (يؤشر برأسه علامة على الرفض) كلا.
- أنت الآن ضيفنا. استرح، ولا تزعج نفسك. ان احتجت إلى شيئ أخبرني.
- أنا أحب وطني. والدتي تركية أيضاً.
- هل تستطيع أن تتحدث بصوت عال؟
- إن كان هناك مجال لخدمة وطني فسأقوم بذلك. عدا ذلك لا تطلبوا مني شيئاً آخر. أنا مستعد للخدمة إذا طُلب الأمر.
- الخدمة هي أن تجيب على الأسئلة. سوف نغسل وجهك إن لم يكن لديك مانع.
- سوف أخدم حين أعود إلى تركيا. إفسحوا لي المجال وسأخدم. أنا أقول ذلك بين الشعب، ولن أزيد أكثر من ذلك. أظن أن هناك مجال لذلك. قولوا لذوي الرتب العالية ذلك. سأكون سعيداً بذلك كي أخدم.

خدمة جليلة.

- أنظر، نحن نسجل أقوالك الآن.

- أنشروا أقوالي. أنتم لم تعذبونني وأنا أقولها بصدق، أنا أحب تركيا. أحب الشعب التركي. أعتقد إنني سأكون قادراً على خدمتهم. إن تفسحوا لي المجال سوف أقوم بذلك.

- سأفسح لك المجال الآن، لكن ماذا تريد؟

- لا تزعجوا أنفسكم هكذا.

- كلا، لكننا نفعل هذه الأمور لتدابير أمنية.

- أحب شيئاً ما. أن لفت انتباهكم ان هناك أمور كثيرة يستطيع المرء أن يتحدث عنها. لكن الأمور توضحت أمامي. سوف أقوم بخدمات جليلة."[36]

حين ترجم "الدكتور سليمان" كلامه هذا كلمة بكلمة لصديقه، أدرك حينها "چكدار" سوء الوضع. بدأ يهمس في أذن "الدكتور سليمان" قائلاً: "كيف عرفت إنه سيتنزل هكذا؟" رد عليه: "الدينا مثل في منطقة الزازا يقول أن الـ(وني[37] يعرف بطباع حماره)." صداقتهم التي امتدت طوال عمرهم بدأت من هناك.

حين وضعوا أوجلان في سجن "إيمرالي"، كان قد قال أن هذه المؤامرة ضدي لم تكن من قبل تركيا، بل هي مؤامرة دولية، وشبهها بصلب النبي عيسى وشرحها بالشكل التالي: "دقوا المسمار الأول، أحسست حينها ببرود الأفعى قبل أن ينقض على الفريسة. دقوا المسمار الآخر في روما، رأيت ألاعيب الرأسمالية. المسمار الثالث كان في أثينا، وخانوا الصداقة والمودة العالية بيننا، جعلوني كالأخرس أمام خيانتهم هذه. أصبت بالشلل منها. جراء هذه المؤامرة الرباعية وضعوني في سجن "گورا هادس" إيمرالي في بحر مرمرة وانتظروا موتي. لذلك، أنا لست أسيراً لدى تركيا، بل أنا أسير مؤامرة دولية."[38]

---

36 . http://www.haber7.com/guncel/haber/383697-aponun-ucaktaki-sorgusunda-ilk-sozleri

37 . ون: قرية في منطقة ديرسم معروفة بحميرها.

38 . https://anfturkce.com/guncel/Oecalan-in-dilinden-komplo-114367

www.arsyakurdi.org

-36-

كان "بوطان" عضـــو المجلس الرئاســـي في "PKK" بمنطقة "خنێرێ" في جنوب كردســـتان، يتهيأ للخروج من الكهف، حيث إنه قد استلم في اليوم الفائت رسالة جلبها له أحد الميليشيا، وكان قد وضعها في جيب قميصه. كان عليه أن يسير مسافة ساعة على الأقدام لحضور اجتماع المجلس الرئاسي في الحزب، وكان كبار القادة سيحضـرون ذلك الاجتماع. حين خرج من الكهف ونزل مسـافة خطوات، رأى "هايام" الذي كان ينتظره كي يلحق به. كان "بوطان" يحب "هايام" ويثق به.

بعد التحية والســؤال على أحوال بعضـــهم، أخرج "بوطان" تلك الرســالة من جيب قميصـــه وناولها لـــ"هايام". كانت الرسالة من صفحة واحدة ومُرسلة من عبدالله أوجلان من سجن "إيمرالي". كان الرسالة الموجهة إلى المجلس الرئاسي مكتوب فيها: "إن حرب العصـابات ضد الدولة التركية قد أنتهت، على كل القوات العسكرية أن تنسحب إلى خارج الحدود، وعلى الجميع أن ينفذوا هذا القرار."

قرأ "هايام" الرسالة وكإنه لم يصدق عينيه. نظر إلى "بوطان" بدون أم ينطق بكلمة. قال هل "بوطان":

- هل تتوقع أن تكون هذه الرسالة بالفعل من القائد؟
- هذا أسلوبه.

احتار الإثنان في الأمر. كان "هايام" منذ أيام يعيش في صـراع داخلي في منطقة نائية. كان قد اسـتشـف من أخبار الإذاعات بحق عودة أجلان إلى تركيا بعض الأشـياء، لكنه لم يتناقش مع أحد عنها. كان سـيقابل "الدكتور سليمان" في الاجتماع المزمع انعقاده. بعد مسير مسافة، رآه مع رفيقين آخرين. فرح "هايام" أيما فرح برؤيته وبدأ يحضـــنه. حين لاحظ أن "بوطان" منهمك بالحديث مع بعض الرفاق الآخرين وابتعد عنهم. حينها اقترب "هايام" من "الدكتور سليمان" وقال له:

- ماذا يجري يا دكتور؟ ماذا فهمت من القرار الأخير للقائد؟
- والله تنازل!
- بهذه السهولة؟

التفت "الدكتور سليمان" مائة وثمانون درجة حوله وقال له:

- هكذا إن تنازلت، ستصبح متنازلاً!
- حسناً، ماذا سنفعل؟
- سننفصل. سننتظر الرفاق في شمالي كردستان حتى يأتوا، وسنتحدث في الأمر.

قطعوا حديثهم حين اقترب منهم "بوطان" والرفاق الآخرين، وسار الجميع صـوب مكان الاجتماع. كان عبدالله أوجلان قد تنازل بكل وضـوح للدولة التركية، ويدافع عن سـياسـاتها. بحسـب التعليمات التي كان يرسـلها إلى الخارج عبر محامييه، وبحســب الإفادات التي كان يدلي بها في التحقيق، فإنه لا يجوز الاسـتمرار في سـياسـة "PKK" الحالية، ومن غير الممكن أن يفكر الكُرد بمعزل عن الترك، والشـعبين التركي والكردي هما كالظفر واللحم لا يمكن فصلهما عن بعض، وتركيا هي دولة للأكراد أيضاً.

في السـابق، وقع الشـيخ سـعيد والسـيد رضـا في شـراك وأحابيل الإنكليز زالفرنسـيين، لذلك أصـبحت الجمهورية تقمعهم. لا يلزم الاسـتقلال للكُرد. الحكم الذاتي والفيدرالية يفيان بالأمر. أن تتأسـس دولة تركية ديمقراطية عوضاً عن ذلك لهو أفضل من كل ما سبق.

بدون شـك، كان أوجلان يدافع عن الدولة التركية بوضـوح، لكنه يطلق تلك الحيل الصـغيرة يخدع الكُرد بها. ويتلاعب بالألفاظ، فعوضاً أن يقول الجمهورية التركية، كان يقول الجمهورية الديمقراطية.

في الاجتماع الموسع، كان الجميع متخبطين. لا أحد منهم يستطيع أن يفسر أو يساند كلام أوجلان الذي عاد إلى تركيا، ولا يستطيع أحدٌ منهم أن يقف بالضد منها أيضاً، ولإنهاء حالة التخبط تلك، بدأ عثمان أوجلان أخ عبدالله أوجلان باستلام زمام المبادرة في الحديث وقال: " يا رفاق، لقد أعطوه دواءً. هناك نوع من الأدوية المخدرة تجعل الانسان يتكلم ما يريده منه عدوه. نحن نعرف قائدنا ونعلم به جيداً. هو لا يتكلم هكذا. علينا أن نعلن للرأي العام ونقول لهم إنهم أجبروه على هذا الكلام بواسطة الأدوية."

مقترح عثمان أوجلان- الذين رأوه منطقياً، والذين لم يصدقوه حتى- لاقى القبول من قبل الجميع، لأن الجميع كانوا يخجلون من تصريحات أوجلان ويقولون لقد فضحنا. كل فرد من الگريلا كان يقول، كيف سأواجه شعبي. وكإن الشعب إذا صدق تلك الكذبة كان سيمحي تلك الفضيحة عنهم. حتى عثمان أوجلان لم يقتنع بكلامه هو بنفسه، لكنه كان يعلم أن عدداً كبيراً سوف يصدقون ذلك. في اليوم الثاني، بدأ خبر "إجبار أوجلان على ذلك الكلام عن طريق الدواء" بالانتشار في كل مكان. بعض الكتبة المتملقين الذين قرأوا هذا الخبر، بدأوا بحمل أقلامهم، وكتبوا حتى نوع ذلك الدواء الذي أعطوه لأوجلان.

صحيفة "أوزگور پوليتيكا" التي كانت لسان حال "PKK"، بدأت منذ اليوم الأول من سجن أوجلان بالكتابة عن التعذيب الذي يتعرض له أوجلان، لأيام متتالية كتبت مقالات في هذا الشأن، وبحسب تلك الكتابات، فإن أساليب التعذيب التي يتعرض لها أوجلان لم تجري مثلها في أي ومكان آخر، وقد جلبوا أدوات التعذيب تلك خصيصاً من أمريكا.

غالبية مؤدي "PKK" لم يكونوا مقتنعين لا بسمألة الدواء ولا بأساليب التعذيب تلك. حتى إن تلك القصة أصبحت مثار سخرية بين عناصر الگريلا. سأل أحد العناصر "الدكتور سليمان" بعد ان اختلى به:

- سأسألك سؤالاً يا دكتور، هل ستجاوني عليه بصراحة.
- وهل كذبت عليك قبل الآن؟
- هل صحيح أن هناك دواء مثل هذا؟ هل يوجد في أمريكا مثله؟
- أي دواء؟
- ذلك الذي إن تناوله الشخص يتكلم بما يريده خصمه.
- لقد تم تصنيع هذا الدواء في مختبرات عثمان أوجلان. من يصدق ذلك هم الحمقى والأغبياء حين يتناولون دواء عثمان أوجلان.
- لكن يا دكتور، كما أعلم أن من يكون تحت تأثير المخدر، يتحدث بالضد أكثر.

بحسب تعليمات أوجلان، كان على وحدات الگريلا الانسحاب من أماكنهم إلى جنوب كردستان. كانت الوحدات المنسحبة تقع في كمائن للجيش التركي. من يفر ويهرب ينجو بنفسه، ومن لم يستطع الفرار يُقتل بوحشية، ومن يرفض الإنسحاب، يتهم بالخيانة والعمالة من قبل أوجلان وقنديل، ويتركونه لمصيره وهو الموت المحتم.

حين بدأ الإنسحاب، بدأت محكمة أوجلان أيضاً في "إيمرالي". كانت قنوات التلفزة ستبث المحاكمة بشكل مباشر وحي. كان "الدكتور سليمان" و "رزا آلتون" عضو اللجنة المركزية والمسؤول السابق لـ"PKK" في أوربا جالسين بجانب بعضهما ينتظران نشرة أخبار الظهيرة. حين بدأت نشرة الأخبار، حدّق الإثنان في شاشة التلفزيون. نزل أوجلان من سيارة وأدخلوه إلى قاعة المحاكمة. وضعوه في قفص حديدي وزجاجي. كان القاعة تعج بالمئات وغالبيتهم من أسر الجنود الذين قتلوا في المعارك.

كان الصحفيون والمحامين أيضاً أماكنهم. حين منحوا أوجلان حق الحديث، كان كرجل آلي تم إعداده مسبقاً, أغمض عينيه وقال وكإنه يُكذّب مؤيديه: "منذ اليوم الأول من قدومي وحتى اليوم، لم أتعرض لأي

معاملة سيئة أو تعذيب."
كانت هذه جملته الأولى، والجملة الثانية كان يوضح وبصراحة كيف سيعمل مع الدولة: "في هذا المجال، وفي خط الجمهورية الديمقراطية، أستطيع أن أخدم الدولة في شأن السلام والأخوة وأنا قررت ذلك وأنا أدلي بقراري هذا بكل وضوح"
حين فتح عينيه، كان أمامه أسر الجنود القتلى في المعارك رافعين الأعلام التركية وينظرون إليه بحقد. أغمض عينيه مرة أخرى. حاول أن يفكر فيما يقوله. تذكر استجواب المحقق له: "أود أن أوضح باختصار لعوائل الشهداء المحترمين أيضاً، أنا أعيش نفس العذاب الذي لاقوه، وأطالب الاعتذار منهم لأنني كنت مسؤولاً عن ذلك."
لك يكمل أوجلان كلامه، حتى رفع "رزا آلتون" يديه وضربهما بركبته وقال: "هذا اعتراف وتنازل لا لبس فيه." كان "الدكتور سليمان" ينتظر من "رزا آلتون" موقفاً كهذا، لذلك قال له: "غداً في الاجتماع سنتحدث في هذا الموضوع." قبِل "رزا" بذلك. ولم يجدوا داع لإكمال مشاهدة التلفزيون.
في الاجتماع الذي عقد في اليوم التالي، كان عدد كبير من الگريلا حاضرين فيه. كان "رزا آلتون" جالساً بجانب "الدكتور سليمان" الذي قال لـ"رزا": "قم وقلُ ما قلته لي البارحة بأن أوجلان متنازل." نظر إليه "رزا" وقال مبتسماً: "قُم أنت وقُل ذلك!" لم يفي بوعده. حين جاء دور "الدكتور سليمان" في الكلام، وقال لكي يُفهم الحاضرين بأنه يعارض كلام أوجلان: "أنا لا أقبل من أي كردي أن يقول بأنه كانت هناك علاقات للشيخ سعيد والسيد رضا مع الإنكليز أو الفرنسيين. إن برنامج الجديد الذي أعدّ للحزب لا يختلف عن برنامج (TÜSİAD)، يطالبون بإلقاء السلاح ضد الدولة التركية، لكنهم يفرضون علينا القتال ضد جنوب كردستان. أنا لا أرى أي معنى لذلك. أنا لا أضحي بنفسي من أجل جمهورية ديمقراطية، بل من أجل كردستان ديمقراطية ومستقلة."
كان للإدلاء بالآراء في اجتماعات "PKK" في تلك الفترة أهمية كبيرة. أصبح "الدكتور سليمان" لسان حال العديد من الگريلا. كانت كل الأضواء مسلطة عليه حين انتهى الاجتماع، وغالبية القيادات التي تحارب في شمالي كردستان كانت تفكر مثله، لكن من كان في المجلس الرئاسي، كانوا محتارين وغاصين في الخيانة.
أصبح وضع أوجلان مثار نقاش حام. كان أمام "الدكتور سليمان" طريقين. إما أن يترك الحزب مع القادة الذين يوافقونه الرأي، أو إنه سيقوم بشق الحزب ويضع زمام الأمور في يده.
لأجل أن يقوم بالحل الثاني، كان عليه أن يقوم بإلقاء القبض على بعض القادة في الحزب والذين لم يقاتلوا في الجبهات أبداً، ويسكنون في جنوبي كردستان، فهؤلاء لديهم علاقات مع إيران وسوريا وصدام حسين، وحتى لديهم علاقات مع الاستخبارات التركية. هؤلاء الأشخاص هم كل من: جميل بايبك (جمعة)، دوران كالكان (عباس)، مراد قريلان (جمال)، عثمان أوجلان (فرهاد)، علي حيدر قيتان (فؤاد)، مصطفى قرسو (آقارش)، نظام الدين تاش (بوطان)، خليل آتاج (أبو بكر)، صبري أوك، ورزا آلتون.
كان كل القادة في شمالي كردستام جاهزون للانشقاق، وكان المهم لديه هو إقناع كل من ناصر (فاروق بوزكورت) والدكتور سامي. هؤلاء قادوا جبهات مختلفة وقادوا مناطق وإيالات كثيرة، وكانوا محل ثقة كبيرة لدى كل مقاتلي الگريلا. بداية التقى بـ"ناصر"، وكان يعلم بإنه معارض لسياسة أوجلان. حين التقيا في مكان لوحدهما، فتح معه "الدكتور سليمان" الموضوع مباشرة وقال:
- الأمر لا يحتاج إلى نقاش أن أوجلان بات يخدم الدولة التركية، واعترف بكل شيء كما رأينا وقرأنا. والدولة التركية ستستخدمه كي نتقاتل فيما بيننا، وسيقوم بتصفيتنا وقتلنا جميعاً بشكل من الأشكال. بيننا من

لا يهمهم ما يحدث، هؤلاء سـوف ينفذون كل ما يطلبه أوجلان منهم، وسـيضـعون الحزب تحت إمرتهم. وليس أمامنا سوى حلين لا ثالث لهما، إما أن نصمت أمام ذلك، أو نقوم بانشقاق ونخرج الحزب من تحت إمرة هؤلاء. علينا أن نقبض على من يوافق على كلام أوجلان في المجلس الرئاسـي، ونعقد المؤتمر رافضين فيه سياسة أوجلان.

- ستراق الكثير من الدماء.

- حسناً، إذاً علينا أن نخرج ونغادر.

- كلا، أنا لن آت. لن أترك الحزب في يد هؤلاء. أنتم أذهبوا، رافقتكم السلامة.

بعد ذلك اللقاء، أدرك "الدكتور سـليمان" أن ذهنية "PKK" لديه لن تتغير، لذلك لم يجد بداً من إطالة النقاش معه وخرج من عنده. غالبية القيادات القادمة من شمالي كردستان، كانوا يتناقشون في معسكرات الحزب، وحدث شـرخ فكري بين المجلس الرئاسـي ومركز قرارات المرأة. وكي يقوم المجلس بإضـعاف دورهم، قام بتقليص أعمالهم. فقامت النسـوة بالاعتراض الشـديد على ذلك، حتى أن البعض منهن قامت بقص شعورهن احتجاجاً على ذلك.

أحس "عثمان أوجلان" بكل ما يجول في خاطر "الدكتور سـليمان" وحاول جاهداً إجهاض تحركاته، لكنه فشل في مسعاه. كان قد قرأ التقارير القادمة من المقاتلين في الشمال. واستشاط غيظاً أكثر حين سمع بعلاقات الدكتور مع "زيڤا". كان لا يختلف عن أخيه عبدالله أوجلان في التآمر، وكان يود أن ينصـب للـ"دكتور سليمان" كميناً. الدكتور الذي نفذ من الكثير من الكمائن.

طلب من قادته أي يجلبوا "زيڤا" إليه على وجه السـرعة. كانت "زيڤا" في وضـع مزري حين أتوا وطلبوها إلى منطقة "عثمان أوجلان". استقبلها بتودد وأخذها إلى خيمته وقال لها بأنه يود أن يتحدث معها في موضـوع خاص. أخرج النسـوة اللاتي كن يعدن الطعام من الخيمة، وأجلس "زيڤا" على كرسـي بلاستيكي، وهو لم يجلس، بل قال لها وهو واقف أمامها: "أود أن تحدثينني عن المصاعب التي اعترضت طريقكم أثناء الانسحاب من الشـمال." نظرت "زيڤا" بعين الريبة والشـك حولها وحاولت أن تفهم منه ما يريد من سـؤاله هذا. لم تجاوبه بدقة، بل التفّت على الموضـوع وحاولت تغييره. انتهز "عثمان" فرصـة الحديث ودخل في الموضوع مباشرة معها قائلاً:

- إن الحزب لا يقبل بالظلم الذي تعرضتي له. أودعوك السجن بدون علمنا، وتصرفوا معك بشكل سيء وغير لائق. اكتبي كل ما جرى معك بالتفصيل في تقرير كامل. الدكتور سليمان استخدمك لمآربه.

- كلا، لم أتأثر بأي حد.

- كيف ذلك؟ ألم تكن لك علاقة به؟

- هذا شيء يخصني.

- لم أقصـد إنها علاقة حب. بل اسـتغلك. كان قد أقام علاقة مع امرأة أخرى غيرك، حتى إنها حملت وخلفت ولداً منه. ألم تسمعي بذلك؟

- سمعت بذلك، لكن هذا شيء يخصه.

- لقد فقدتي ثقتك بالحزب، لكن الحزب لم يفقد الثقة بك. لا تخافي! انتقمي منه. إن قمت بقتل الدكتور سليمان، فإن الحزب لن يحاسبكِ على ذلك.

- لا أود أن أقتل أحداً، اتركوني في حالي.

- حسناً، مع ذلك، أكتبي تقريراً مفصلاً عن وضعك.

- لا يوجد لدي ما أكتبه.

أدرك "عثمان" أن لا أحد يريد أن يستمع إليه، لذلك أعاد "زيڤا" إلى مكانها الأول.

كان "الدكتور سليمان" و"هيام" و"چكو" يعملون مع بعضهم كلجنة ثلاثية. كانوا النقاش بينهم مستمراً من أجل الانشقاق. لكن ما يصعب عليهم أن قوات الگريلا كانوا قد استقروا في معسكرات بعيدة عن بعضها، لذلك من الصعب إيصال المعلومة في أوانها. كان "الدكتور سامي" متردداً ولا يدلي بقراره النهائي، ويردد في كل مرة "إن أوجلان شخص عميق التفكير". أما "چكو"، فكان معارضاً للمجلس، لكنه كان يحمي أوجلان.

حين ترك "الدكتور سليمان" ورفاقه فكرة الانشقاق، قرروا العودة إلى شمالي كردستان. كانوا سيلتجأون إلى الجبال، فهم يعرفون جيداً طبيعة وجغرافية مناطقهم. وحين يقعون في كمين ، فإنهم سيقاومون ولن يهتموا لا بقرارات المجلس الرئاسي ولا بقرارات أوجلان. حين سمع أعضاء المجلس الرئاسي بذلك، وضعوا الكثير من وحدات الگريلا على الحدود كي يغلقوا عليهم طريق العودة.

كانت الخطوة الأولى لـــ"الدكتور سليمان" ورفاقه هي اللجوء إلى الجبال "من الجبال إلى الجبال". كان الجبل رمزاً للوقوف في وجه الطغيان لدى الكُرد منذ سالف الأزمان. يقول الكاتب "داداأوغلو" الذي عاش في القرن التاسع عشر" إن كان الأمر من السلطان، فإن الجبال هي لنا." لجأ "الدكتور سليمان" ورفاقه سابقاً إلى الجبال لمقارعة طغيان الدولة التركية، وسيلجأون إلى الجبال الآن أيضاً لأن قادة تنظيمهم باتوا يخدمون الدولة التركية سيلجأون.

حين خرج رفاق الدكتور لاستكشاف طريق عودتهم إلى الشمال، رأوا أن الطريق مغلق أمامهم. كان الجنود الترك في السابق يقطعون الطريق عليهم، والآن رفاقهم يقومون بنفس تلك السياسة القديمة التي كانت تتبعها الدولة بحقهم!

تناقشوا وتحدثوا عن لوضع الجديد مع كل مقاتلي للكريلا في المناطق التي استقروا فيها، وكلما ينتهزون الفرصة، يتواصلون مع رفاقهم في الوحدات الأخرى، وقطعوا علاقاتهم مع مركز القرار الكبير.

في البداية، بدأ "الدكتور سليمان، ثم "هايام" و"چكو" ثم طلب كل من "نعمان" و"درێژ".

تعرف الدكتور على "درێژ" في منطقة "آمد" ولديهم ذكريات كثيرة مع بعضهم البعض. كان قد صدر حكم الإعدام بحقه من قبل "علي حيدر قيتان" في منطقة وادي "زێ". ثم أرسلوه إلى جبل "گارێ" لرؤية المقاتل "هبون". بعدها بيوم، عاد هو و"هبون"، بذلك تم العفو عن وفرح جميع رفاقه بالعفو الصادر بحقه.

كان "نعمان" من مدينة "بسمل" وكان قد بقي لمدة طويلة مع "الدكتور سليمان" في إيالة "آمد". حين التقيا ثلاثتهم لوحدهم، قال لهم الدكتور:

- لا يمكن أن نقبل هذا الوضع يا رفاق. بقاؤنا هنا مع الذين يقبلون كل هذا سيكون سيئاً لنا، علينا أن نتحرك. لم تتوضح الأمور لدي في كيفية تحركنا. إذهبوا إلى الاتحاد الوطني الكردستاني وقولوا لـــــ"مام جلال" أن عبدالله أوجلان أصدر تعليماته لقيادة "PKK" من إيمرالي كي يخوضوا حرباً ضد الاتحاد الوطني الكردستاني. وقد عقدنا اجتماعاً من أجل ذلك، وكنا ضد هذا القرار، لكن الأغلبية كانوا منهم ووافقوا عليه. قد يهاجمون عليكم في أية لحظة. نحن لن نكون بين المهاجمين، وقد تسوء الأمور بيننا ونشتبك بين بعضنا. وقولوا لهم، هل ستساعدوننا إننا إن لجأنا إلى مناطقكم؟ إن قبلوا بذلك، عودوا فوراً إلى هنا.

قال "درێژ":

- لا ندري إلى أين سنذهب يا دكتور.

- حين تصلون إلى مناطق الاتحاد الوطني، قولوا لم ترونه في طريقكم إنكم تودون رؤية أحد المسؤولين.

بدوره سيأخذكم إلى المكان المطلوب.

بعد هذا الاجتماع القصير، خرج كل من "نعمان" و"درێژ" من المعسكر وساروا صوب السليمانية. كان الإثنان معزولين من السلاح. كانوا يسيرون مسرعين، لأنهم لم يكونوا يعرفون إلى أين سيتوجهون. بعد ساعتين من المسير، وصلوا إلى إحدى مقرات الإتحاد الوطني على إحدى التلال. استقبلهم قائد تلك المجموعة وقالوا له إنهم يودون رؤية مسؤول هذه المنطقة. قام قائد المجموعة تلك بالاتصال بجهاز اللاسلكي مع مقر آخر. مرت لحظات شربوا فيها الشاي، ثم أتت سيارة وأخذوهم إلى مقر آخر. أخذوهم إلى إحدى البيوت، حيث استقبلهم أحد المسؤولين هنا، وجلسوا في صالة كبيرة. ضيوفهم القهوة والماء. ثم بدأ "نعمان" بسرد كل ما قاله "الدكتور سليمان" لهم. قالوا بدورهم: إننا لا نتوقع هذا الهجوم من قبل "PKK" علينا. حتى إن علاقاتنا مع الرفيق "جمعة" جيدة جداً.

قام "درێژ" بشرح وضع أوجلان لهم وقال: "لقد تغير كل شيء، تحركت كل الأحجار من أماكنها. لقد فرض علينا أوجلان محاربة الكُرد. عليكم أن تصدوقننا حين نقول لكم ذلك، وإلا فقد تجدون أنفسكم في حرب مفاجئة. قوموا باحتياطاتكم من أجل ذلك. ولتعلموا، إن حدث ذلك الهجوم، فإننا بدورنا سنلجأ إلى مناطقكم."

احتارت قيادات الاتحاد الوطني من الأمر، وأوصلوا تلك المعلومة إلى القيادات الأخرى. بقيا يومين عندهم، ثم قالوا لهم: "حسناً، مكانكم بيننا وأهلا بكم متى ما أتيتم." أخذوهم بالسيارات إلى منطقة بعيدة عن المعسكر. كان قد أضناهم العطش. قال "نعمان": "يوجد نبع ماء قريب من هنا." ذهبوا باتجاه النبع. كان "درێژ" يسير في المقدمة مسرعاً، ونعمان خلفه بعدة أمتار، فقد أنهكه المسير والتعب نال منه. وصل "درێژ" إلى النبع، وحين أراد شرب الماء، رفع رأسه ورأى نفسه محاصراً من قبل مجموعة من المسلحين.

كان ذلك في اليوم الأول من تموز سنة 1999، من حاصروه كانوا من مفرزة رفيقه "علي كچى". لم يكن "درێژ" مسلحاً ولم يكن لديه فرصة للنجاة. حين رأى "نعمان" رفيقه محاصراً، تراجع في خطواته وركض، لكنهم لحقوا به وأمسكوا به. كان"علي كچى" و"درێژ" صديقين قديمين في السراء والضراء، حاربوا سوية في خندق واحد، لكن انتهت صداقتهم في هذا اللقاء الأخير بينهم.

"درێژ" مقاتل أسير من أجل الحرية، و"علي كچى" مثل روبوت موجه من بعيد من قبل المجلس الرئاسي. ألقوا "درێژ" أرضاً هناك ووقف "علي" فوقه قائلاً له بلكنة غريبة: "لا أود قتلك تحت التعذيب، أود أن تعترف، من أين أنتم قادمون ومجموعتكم في أية منطقة؟" رد عليه "درێژ" الممدد على الأرض: "حتى لو قتلتموني، فإنني لن أجاوب على اسئلتكم."

اتصل علي بجهاز اللاسلكي مع "عباس" عضو المجلس الرئاسي وقرّب الجهاز من اذن "درێژ" قائلاً: "إنه يرفض الاعتراف يا رفيق عباس" رد عليه "عباس": "أجعلوه ينطق بالطريقة التي ترونها مناسبة."

قفل جهاز اللاسلكي وقال لـــ"درێژ": "هل سمعت التعليمات؟ ماذا تقول الآن؟" رد عليه بصوت حازم: "أنا أعلم مسبقاً إنكم ستقتلونني، إفعلوا الآن ما يحلو لكم". قاموا بربط يديه وقدميه، كما وثقوا يدي وقدمي "نعمان" أيضاً.

بعد سنوات طويلة من وصوله إلى ألمانيا، قال "درێژ" في اللقاء الذي جرى معه: " جروني خلفهم وأخذوني إلى مكان مرتفع. فكوا وثاقي وجعلوني أقف على قدمي، ثم جرّوني خلفهم حتى أوصلوني إلى تحت شجرة بلوط. ربطوا يدي بحبل بجذع الشجرة. كان من سيقومون بتعذيبي يحومون حولي كالعقبان، ولم يكتفوا بربط يدي، بل وثقوا قدمي أيضاً. أصبحت كعيسى المصلوب، بتُّ أرأف بحالي وبحال جلادي

أيضاً."

قال له "علي": "لا أود رؤية تعذيبك" قال كلمته هذه وابتعد عن ذلك المكان. كان "درێژ" مصاباً بشظية في رجله سابقاً وجرحه لم يلتئم بعد. رفع أحدهم شرواله كي ينظر إلى جرحه، ثم ركل مكان الجرح، وبدأ يضربه على وجهه وأنفه وعينيه. أحس "درێژ" بدوار وبدأ يتقيأ، لكنه لم يخرج أية صرخة، وبدون أن ينطق بكلمة معهم. أراد أن يفهم، كيف أصبح رفاقه أعداء له في هذه المدة القصيرة. اسودت الدنيا أمام عينيه وأحس بالموت قريب منه. انقطعت أنفاسه ولم يعد يحس بأي ألم.

لم يكن يدرك كم ساعة بقي على تلك الحالة. حين فتح عينيه، رأى كل جسده مضرجاً بالدماء. تذكر حينها حادثة جرت له في السابق.

كان الفصل شتاءً والثلوج تهطل، كان يتوجه من "هێنێ" إلى مقر "الدكتور سليمان". فجأة رأة أمامه قطيع من الأغنام والماعز. حين رأى الرعيان، أدرك أن هذا القطيع عائد لحماة القرى (القوروجيين)، وقبل أن يقوموا بأية حركة، وجه "درێژ" فوهة بندقيته صوبهم، وسرعان ما سلموا أسلحتهم للكريلا. قال لهم "درێژ": سأطلق سراحكم، لكنني سآخذ القطيع منكم." وساق القطيع أمامه إلى المقر.

كان الجو بارداً جداً، ولم يبق الكثير لحلول الليل. كان يعلم أن الرعيان سيعلمون الجندرمة باستيلائهم على القطيع، لذلك كان يسرع في خطواته ويسوق القطيع أمامه. بقي على تلك الحالة حتى منتصف الليل، حتى أنهكهم التعب، ولم يعد لا هو لا رفاقه يقوون على المسير.

كان يعلم إنهم إن توقفوا عن المسير فإنهم سيموتون من البرد. رأى أحد رفاقه متجمداً كتمثال تحت شجرة هناك، فصاح على رفاقه: "ليذبح كل واحد منكم خروفاً أو ماعزاً، ثم انزعوا أحذيتكم وجواربكم، وضعوا أرجلكم في بطن الحيوان المذبوح كي تتدفأ أقدامكم." كانوا سبعة وأربعين مقاتلاً. ذبح كل واحد منهم خروفاً ونفذوا ما طلبه منهم. كانت يدا "درێژ" وقدماه وثيابه كلها مضرجة بالدماء.

تذكر الآن تلك الحادثة، عاد من تلك الليلة إلى هذه الليلة. مضرجاً بدماءه وكل جزء من جسده يؤلمه. كانوا يرشونه بالماء البارد على رأسه. نظر إلى السماء، كان الجو صافياً والنجوم تلمع في كبد السماء. ضربه أحدهم بقوة بأخمص بندقيته على وجهه. أحس بشيء حار في فمه، وحين حرك لسانه، أدرك إنه فقد أسنانه الأمامية. في الضربة الثانية التي تلقاها من نفس الشخص، غاب عن وعيه.

لم يكن هناك من معنى للزمن، ولا تعريف للألم. حين فتح عينيه هذه المرة، رأى نفسه ممدداً على ظهره على الأرض ويداه وقدماه فير مربوطتان. كان كل جسده مبتلاً بالماء والعرق والدماء. لم يكن يميز النجوم في السماء ولم يكن يسمع أي شيء من حوله. ترى هل هو في حلم أم؟ لم يكن يعلم كم مرّ من الوقت. كان الوقت نهاراً حين فتح عينيه، ويريد أن يفهم في مكان هو؟ كان يسمع هسيساً من حوله، وحين رفع رأسه، قال أحدهم: "لقد عاد إلى وعيه". أدرك حينها إنه غاب عن الوعي تحت التعذيب. أراد أن يتذكر كل ما جرى له. أحس أن هناك من يحمله من كتفيه، لكنه لا يقوى على الوقوف. سحبوه خلفهم وربطوا يديه ورجليه مرة أخرى حتى أوصلوه إلى حافة واد عميق. أدرك حينها أن كل شيء إنتهى بالنسبة له وإنه يواجه الموت الآن. سحب نفساً عميقاً وأصبح في كامل وعيه. ارتطم رأسه بصخرة في الوادي، وأحس بألم لا يطاق في يديه ورجليه. بقي معلقاً هكذا حتى مات.

حين عاد إلى وعيه مجدداً، رأى نفسه عراي الصدر وبين ساقية ماء. سحبوه مرة أخرى إلى حافة الوادي، ولأنه لم يكن يقوى على الوقوف، ربطوه بالحبال وجروه خلفهم. لم يكن يدرك الوقت، ولا يحس لا بالجوع ولا بالعطش، نصف ميت ونصف حي، نصف يقظ ونصف نائم. جرّوه بذلك الحبل حتى أوصلوه إلى المعسكر الذي يقوده "عثمان أوجلان".

www.arsivakurdi.org

سمع "الدكتور سليمان" ورفاقه بإلقائهم القبض على "دريژ" و "نعمان"، لكنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً لأجلهم. تعثر الذهاب إلى مدينة السليمانية أمامهم. كانوا قد رتبوا سابقاً لقاء مع "حسن كيستاني" القيادي في الاتحاد الوطني الكردستاني، ثم مع القيادي (آزاد جندياني) في نفس الحزب. شرح كل من "الدكتور سليمان" و"هايام" لهذين القياديين سبب انشقاقهم عن "PKK" بكل تفصيل ودقة، كما أعلموهم أن "PKK" بصدد القيام بحرب ضد الاتحاد الوطني الكردستاني. أرسل قادة الاتحاد الوطني "الدكتور سليمان" مع وحدته المؤلفة من ثلاثين مقاتلاً إلى قرية تقع تحت سيطرة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الكردستاني الذي يرأسه "حمه حاج محمود".

كانت تلك القرية نائية، لك يكن (لم يكن) يسكن فيها أحد. بعض بيوتها مهدمة، أما البيوت الباقية، فكان سقفها من الطين. كان في بعض البيوت بعض الأدوات المنزلية والبطانيات القديمة والتي تدل على أن هناك من كان يعيش فيها سابقاً. توزعت وحدة "الدكتور سليمان" مع أسلحتهم على تلك البيوت.

بعد مدة، اخذوهم إلى مدينة "رانيا" حيث مكانهم آمن هناك. لم يكن كل رفاق الوحدة يفكرون بنفس الطريقة. كان "الدكتور سليمان" و"هايام" و"معصوم" يعلمون أن سبب المشاكل في الحزب هو أوجلان وديكتاتوريته في الحزب، أما البقية فكانوا يضعون الذنب على المجلس الرئاسي، والذين يعرفون الحقيقة، كانوا يهابون البوح بها، حتى وصل الأمر بـ"هايام" لأن يقول للدكتور:

- هيا يا دكتور، اشرح الوضع لچكو.
- لقد أتيت به إلى هنا بالزور، الباقي تكفل به أنت.
- هو لا يسمع كلامي.

كانوا في غمرة نقاشهم هذا حين سمعوا صوت سيارة قادمة. حملوا أسلحتهم وخرجوا، كانت "خديجة ياشار" مع أفراد حمايتها قادمة إليهم في سيارة من نوع "لاندروفر".

"خديجة" هي من كُرد منطقة "هايمان". أنهت دراستها في معهد التربية في جامعة أنقرة قسم اللغة الفرنسية. كانت تعمل كمحررة في مجلة "رزگارى". قبل انقلاب 12 أيلول سنة 1980، خرجت مع مقاتليها البيشمرگه من حزب "آلا رزگارى" إلى جنوب وشرقي كردستان. كانت الأحزاب الكردية هناك تقاتل ضد النظام الايراني والعراقي. وكانت "خديجة" ومقاتليها تقاتل معهم أيضاً ضد النظامين.

كانت تقضي معظم إقامتها في أوربا، لكنها كانت تزور السليمانية دائماً، ولأنها كانت تعرف كُرد شمالي كردستان جيداً، أرسلها "مام جلال" سكرتير الاتحاد الوطني الكردستاني للقاء مجموعة "الدكتور سليمان". بحسب المعلومات التي سمعوها من "محمد مفيد" رئيس تنظيم "كاوا" أن "الدكتور سليمان" وتلك السيدتين اللتين برفقته كانوا يودون اللقاء بقادة الاتحاد الوطني الكردستاني، لذلك أتت "خديجة" إلى مدينة "رانيا". بعد ان نزلوا من سيارتهم، صافحوا بعضهم البعض ودخلوا إلى صالة في إحدى البيوت التي حددوها لأجل ذلك.

حين قالت "خديجة": "أريد التحدث مع الدكتور سليمان والسيدتين اللتين معه." ابتسم الدكتور وقال لها: "نحن هم." حينها بدأت تسألهم عن وضعهم وقالت لهم: "كلنا آذان صاغية، تفضلوا." بدأ "الدكتور سليمان" بالحديث وقال: "يود رفاقنا أن يتصلوا بأقربائهم كي يوضحوا لهم ما يجري معهم، فهناك الكثير من الرفاق في سجون التنظيم، لذلك نود أن نرسل رفيقاً من قبلنا إلى السليمانية كي يتصل بتلك العائلات عن طريق الهاتف." ثم تحدث معها "چكو" لعدة دقائق، وكان يكرر في حديثه معها كلمة "القيادة- القائد"

التي أثارت انتباه "خديجة".

كان كل من حولها فارين من تنظيم "PKK" ومهددين بالقتل من قبل التنظيم، لكنهم ما زالوا يقولون لأوجلان القائد! لم تهتم "خديجة" كثيراً بذلك وقالت لهم: "أنتم تعلمون يا رفاق إنني لا أحب أوجلان. أنتم الآن مهددون بالقتل ووضعكم خطر لأنكم تركتم صفوف التنظيم. لذلك، أود مساعدتكم." ساد الصمت في المكان بحديثها هذا.

في المساء، ذهب "چكو" مع "خديجة" إلى مدينة السليمانية، واتصل عن طريق الهاتف بأقرباءه ومعارفه في أوربت وشرح لهم أوضاع مجوعته والمسجونين لدى التنظيم. بقي يومين في السليمانية استطلع الأمور هناك جيداً، وأدرك أن لـ"خديجة" مكانة هناك. حين عاد إلى رفاقه، شرح لهم الوضع في السليمانية بالتفصيل، وحين بقي هو والدكتور و"هايام" لوحدهم، قال لهم: "أنا أيضاً ضد أوجلان، وهو السبب في كل شيء."

فرح الدكتور و"هايام" برأيه هذا. وحين خرج "چكو"، قال "هايام" للدكتور: "هل رأيت يا دكتور، كل هذه الأيام ولم نكن نستطع أقناعه، لكن خديجة أقنعته في يومين فقط." قهقه الإثنان، لكن "الدكتور سليمان" وضع يده على بطنه وانقلبت سحنته وقام واقفاً يسير هنا وهناك، حيث ألم الكلية كان يغزوه بين الفينة والأخرى. خرج "هايام" من الغرفة وقال للحارس أمام الباب، فاتصل بدوره بجهاز اللاسلكي مع شخص آخر وقال: "انتظروا، سيأتون بعد قليل.". بعد ساعة، أتت سيارة الإسعاف وكانت "خديجة" في السيارة أيضاً. أرادوا أخذ الدكتور إلى إحدى المشافي. حمل الدكتور مسدسه وخرج من الغرفة. انتهز الفرصة في الطريق وبدأ يتحدث مع "خديجة". لم تكن "خديجة" تعلم عنه شيئاً سوى تلك المعلومات التي حصلت عليها من "محمد مفيد". أما الدكتور، فكان قد سمع باسمها فقط. كان هو و"خديجة" من جيلين مختلفين. كل واحد منهم رئيس لجيله. تعرفوا قليلاً على بعضهم البعض في الطريق المشفى. كانت "خديجة" لأول مرة تلتقي مع أحد قادة الگريلا وتراه منفتحاً ولا مشاكل ولا عقد لديه، فهي تعرف قادة "PKK" وتعرف أفكارهم ومستوياتهم مسبقاً، إلا إنها رأت الدكتور مختلفاً تماماً عما كانت تتصوره.

استمر نقاشهم حتى وصلوا إلى غرفة المشفى. مدده الطبيب على سرير وضربه إبرة، ثم نام. وضعوا مسدسه في درج قريب منه وذهبوا. بعد ان فتح عينيه، سأل أول ما سأل عن مسدسه، ثم قال لهم: "أين هي خديجة؟"

حين قالوا لـ"خديجة" التي كانت جالسة في صالة المشفى، قالت لهم: "إذاً، سأل عن سلاحه أولاً، ومن ثم سأل عني." قامت وذهبت إليه. فرحت حين رأته لا يعاني من الألم، وبدأوا يتحدثون بين بعضهم بصميمية أكثر، حتى حازت على ثقة الدكتور المطلقة. طلب منها أن يتصل بأخيه في ألمانيا، فقالت له: "مع سليم؟" قال لها: "نعم."

مرت إحدى عشرة سنة على آخر لقاء بينه وبين أخيه، وكان ذلك اللقاء في سجن "جيهان". حين ضغط "الدكتور سليمان" على رقم هاتف أخيه، سمع صوته من الطرف الآخر، فشرح له وضعه ووضع رفاقه باختصار، ثم قال له: "إن وضعنا سيء للغاية. هناك حوالي أربعين رفيق لنا معتقلون في قنديل." أعطاه "سليم" رقم فامس وقال له: "أكتب لي أسماء رفاقك المسجونين وأرسل لي الأسماء بالفاكس على هذا الرقم." ثم أغلق الهاتف.

بعد ساعتين، وصل لـ"سليم" الفاكس وتوجه إلى مدينة بريمن الألمانية. هناك، حين كان جالساً مع أصدقاءه، حمل جريدة "سرخبون- الاستقلال" التي كانت تصدر من بين منشورات "PKK" وبدأ يقرأ مقالة فيها. كان الكثيرون في أوربا قد بدأوا بالنشاطات والتواقيع لإيقاف عقوبة الاعدام بحق عبدالله

أوجلان، لكن أوجلان كان قد أمر من حجرته في إيمرالي بقتل المنشقين عن التنظيم[39].

نادى "سليم" على ابن أخيه "فرمان" زقال له: "كيف سندبر جهاز كمبيوتر ويكون موصولاً بشبكة الانترنت؟"

قال له "فرمان": "في جامعة بريمن." توجها إلى هناك، وفور جلوسه خلف الكمبيوتر، بدأ "سليم" بكتابة رسالة إلى الحقوقيين والبرلمانيين الألمان الذي يعارضون إعدام أوجلان، وقال فيها: "كلنا نعمل من أجل إزالة حكم الإعدام بحق عبدالله أوجلان. لكن أوجلان بنفسه، يصدر من زنزانته قرار إعدام رفاقه القدماء الذين تركوا التنظيم، ويرسل قراراته هذه عن طريق محاميه في السجن إلى الخارج، وينشر هذه القرارات في الجرائد والقنوات التلفزيونية." ثم أرسل لهم أقوال أوجلان لمحاميه كمصدر لكلامه، كما أرسل قائمة بأسماء وألقاب عناصر الگريلا المعتقلين وأرسلها بالفاكس إلى الذين يقومون بحملة لوقف حكم الإعدام بأوجلان.

لم تمض مدة، حتى نشر بعض الحقوقيين والسياسيين الألمان رسالة مفتوحة للرأي العام وقد نشرت كبريات الصحف الألمانية رسالتهم تلك. وكان قد ورد فيها: "نحن نحاول كي لا يصدروا بحقه حكم الإعدام، لكنه، مع إنه معتقل، يصدر قراراً بإعدام رفاقه." وبدأت النقاشات في المنشورات الألمانية عن هذا الموضوع. قال المجلس الرئاسي للتنظيم: "ليس لدينا معتقلين، ومن يود أن يتأكد بنفسه، فليأتي إلى قنديل ويرى بنفسه." هكذا أنكروا اعتقالهم للرفاق. عن هذا الموضوع، ارادت "أولا ژيلپكى Ulla Jelpke" من الحزب الليساري الألماني إنها تود زيارة قنديل وترى بنفسها أوضاع المعتقلين هناك. اتصل "سليم" مع "الدكتور سليمان" وطلب منه معلومات عن المتعقلين. وبعد مدة قصيرة وصلته رسالة على فاكس "عرفان خوجة" الذين كان عنصراً من الگريلا لدى أخيه "الدكتور سعيد".[40]

---

39 . من ملاحظات محامي أوجلان في 14 حزيران

المحامي: تباحثنا معه حول مسألة الحزب الديمقراطي الكردستاني في الفترة الأخيرة؟

أوجلان: لا توجد قوة للحزب الديمقراطي الكردستاني. لا يستطيعون إنهائهم. قوتهم لا تكفي. وضع الرفاق أقوى وأفضل على كل الصعد. لا يتوجد قوى تضاهيهم. أصبحت قوتهم أكبر، أليس كذلك؟ باتوا متحكمين أكثر، أليس كذلك؟

المحامي: تناقشنا معه عن الفارين من صفوف التنظيم.

أوجلان: هذا شيء مدروس، هذه من أفعال الاتحاد الوطني السابقة. آلا رزگارى (ويقصد به الدكتور سليمان) شخص دنيء وسخيف وخطر. كان يسلح الفتيات بالقنابل ويرسلهم إلى هنا وهناك. هو من عائلة لديه أختين. عائلة "مارانگۆزان" في "أرغني" بآمد، وفي النهاية تم القاء القبض على شخص كبير في العمر وفي حوزته قنابل. سليمان هو من قام بذلك. شخص انزاح عن الطريق. لو تمت معاقبته قبل هروبه لكان أفضل. ويترك التنظيم أفضل أيضاً. إنه ميكروب. سيقوم "طالباني" باستخدامه كورقة ضد تركيا. والأوروبيين سيستخدمونهم كعملاء أيضاً.

المحامي: تحدثنا معه عن المعارضين الذين فرّوا، كذلك تباحثنا في بعض الأمور المتعلقة بالتاريخ والانتفاضات.

أجلان: نقطة الانتفاضة مهمة. على المرء أن ينظر إلى اسلوب انتفاضاتهم. في سنة 1919، كان مصطفى كمال سيمنح حرية واسعة للكُرد، وقال لهم: "لا تنخدعوا." لكن حين قاموا بالانتفاضة، ضعفت الجمهورية. "شمدين، سليم، زكي الصغير، سليمان" هؤلاء وضعوا مقدرات الحزب في أيديهم. كان أسلوبهم فوضوي ورجعي. هؤلاء عنيدون. هل تعلمون أن القاضي قال لي :"لماذ لم تضع لهؤلاء حداً في سنة 1993؟" فقلت له: "أنا أحارب هؤلاء، إذهبوا وابحثوا جيداً في هذا الموضوع..."

من ملاحظات 21 حزيران

"يستطيع جلال طالباني أن يستخدم هؤلاء. أين هم هؤلاء؟ هؤلاء عصابة. طبيعي جداً أن في ظروف الحرب، تتغير الأساليب أيضاً. لكن هؤلاء ذنبهم كبير، إنها خيانة. عليهم أن يسلطوا الضوء عليهم. الوقت وقت حرب، عليهم أن يعاقبوهم بأشد العقوبات."

40 . إلى الرفيق عرفان

لقد قرأت رسالتكم. إن دعوة "PKK" للحقوقيين لزيارة قنديل هي بادرة ايجابية، وتلبية "أولا ژيلپكى Ulla Jelpke" لطلبنا أيضاً بادرة جيدة بالنسبة لنا، وعلينا تشجيع الكثيرين للبت في هذا الموضوع، لذلك سنكتب لكم أسماء المعتقلين

عوضاً أن يلتقي عبدالله أوجلان أمام الكاميرات مع المحاميين حسب أصول السجناء، كان يرسل عن طريق قادة الجيش التركي أوامر الاعتقال بحق المنشقين عن حزبه إلى قنديل. كانوا قد حددوا مكفأة وقدرها مائة ألف دولار لمن يقتل كل من (الدكتور سليمان، هايام، چكو و هاتيجه) وقد أرسلوا القتلة إلى السليمانية، لكن لأن القتلة كانوا غشيمين، فقد تم اعتقالهم من قبل استخبارات الاتحاد الوطني الكردستاني و كان معهم صورة كل من (الدكتور سليمان و هايام وچكو) وتحت ضغط التحقيق اعترفوا أن "كاني يلماز" قد أرسلهم لهذا الغرض، وبسبب ذلك، هاجمت الگريلا مخافر الاتحاد الوطني وقتلوا الكثير من قوات البيشمرگه التابعة للاتحاد الوطني. بعد ذلك أدرك الاتحاد الوطني صواب كا قلناه لهم، حيث كانوا يردون علينا ويقولون أن علاقاتنا جيدة مع "PKK"، لكن بعد قتل ذلك العدد من البيشمرگه أدركوا في أي

وأسباب اعتقالهم، ونرجوا وبشكل خاص أن تسلموا هذه القائمة إلى لذين سيزورون قنديل، المعتلقين هم: 1. أدهم كارابولوت (نعمان) من مدينة "بسمل". رمزي باليجي (برخودان) من مدينة "هزرو". تركنا صفوف "PKK" مع هؤلاء، وبعد عبورهم إلى ايران من أجل عمل ما، تم اعتقالهم من قبل "PKK"، وهم في خطر.

2. نازمي آكتورك (دوران) من مدينة "بايزيد". دريا كول من مدينة "چوليگ". شيرين دالدومان (مديا) من مدينة "ماردين" هؤلاء الثلاثة يخرجون معنا في نفس الليلة، لكن ولأنهم كانوا في منطقة أخرى، لا يستطيعون إيصال أنفسهم إلينا ويتم اعتقالهم.

3. "شمدين" إبن أخ رئيس بلدية "گڤر" إبن "نوراي شن رحمان. گولر بكتاش (نوال). فتاة من مدينة "چلێ" واسمها "روج" تم القاء القبض عليها بتاريخ 10 أيار سنة 200 بتهمة الانشقاق عن الحزب.

4. فاروق بوزكورت (ناصر) كان يمثل مجموعة من المعارضين في المؤتمر، وبعد المؤتمر اعتكف عن المهمات الحزبية، وحين لم يقم بالمطلوب منه في احتفالات الأول من أيار، كتب مذكرة احتجاج عن عمل المجلس وأضرب عن الطعام. قالوا إنه أضرب عن الطعام حتى الموت، ومن ثم قالوا إنهم قد اطلقوا سراحه. لا معلومات لدينا عن وضعه.

5. ريحان يلدرم (هيلين) من مدينة "أصلاحية. شهناز آلتون (ساكينة باطمان). بيمان دڤرم من "ديرسم". شوكران دنيز من مدينة وان. بدرية تپه (فيروز) من مدينة "بدليس". لأن هؤلاء المقاتلات طلبن في المؤتمر السابع بفرع خاص للمرأة، ولم يوافق المجلس الرئاسي على طلبهم، لكنهن لم يقبلن هذا الرفض، وكان عددهن تسعة عشرة رفيقة. لذلك تم القاء القبض عليهن. بعد شهرين أطلقوا سراح ثمانية منهن، لكن إلى لحظة خروجنا كان البقية في المعتقل. كانت كل من "ريحان يلدرم" و "شهناز آلتون" معنا في المؤتمر السادس. حتى إنهم اتهمونا بالتعاون معهم وألقوا القبض علينا لفترة. كنا مع هاتين الرفيقتين في التنظيم وكنا متفقين معهن في الجانب الفكري، والخطر الأكبر الآن على هاتين الرفيقتين.

6. زبيدة أرسوز (دورشين) قص النسوة شعورهن في المؤتمر السابع، وقد ألقوا القبض عليها لأنها أخبرت قنديل بذلك عن طريق اللاسلكي. كانت تخاف دائماً لأنها قريبة منا، وكان تقول: "ستقومون بما لا نستطيع القيام به"

7. مسعود بولدن. محمود كاراباغ و كمال إبن رئيس بلدية "وان" كان سيأتي معنا. لكن حين خرجنا، كانا هم في معسكرات أخرى. ونتوقع أن يكون الحزب قد شك في علاقتهم معنا. بقي كل من "مسعود" و"محمود" لأمثر من ستة أشهر في معتقلات التنظيم. وكان "محمود" في هذا الشتاء معتقلاً.

8. خاتون توراهلي و باران بينغول كان رفيقين قريبين منا. تقول رفيقتنا "آرجين" التي التحقت بنا لاحقاً أن خاتون ألقي القبض عليها. كانت خاتون تعلم إننا سنخرج ونترك المعسكر، لكنها لم تكن قادرة على المجيء معنا لأنها لا تستطيع المسير ليلاً.

9. انگين كارا ارسلان (حيدر) ألقي القبض علينا سوية في المؤتمر السادس. كانوا يقولون عنه بأنه استاذ خط الخيانة. لم نره بعد ذلك ولم يشارك في المؤتمر السابع. بحسب ما سمعنا أن المجلس الرئاسي قد أرسل في طلبه، لكنها لم تعتقله.

10. جاسم ألما، كان صديقنا المقرب. ألقي القبض عليه لأنه تناقش مع عثمان أوجلان. لكن ذلك النقاش كان حجة لاعتقاله، بل السبب الرئيسي لاعتقاله كان لعلاقته معنا.

11. مراد توتال. محمود إڤران. يوسل زيدان وبرزان دُره. كان هؤلاء من رفاقنا المقربين. كانوا يسموننا بالخيانة والعمالة أحياناً كثيرة. كتبنا أسمائهم لأننا نعلم إنهم في دائرة الخطر.

12. أنور حسن (چكدارى باشوري) من كردستان سوريا. الآن هو لدى الاتحاد الوطني الكردستاني. لدينا علاقات معه. (لتبقى هذه العلاقة سرية بيننا وبينكم)

13. اللجنة التي ستأتي إلى الجبل، عليها أن تأتي عن طريق جنوبي كردستان، بالقرب من قرية "شينى"، وعلى هذه اللجنة أن ترى سجن الشهيد "هارون" هناك. يكبلون أيادي وأرجل المعتقلين بالسلاسل في الليل. وفي النهار يكبلون أيديهم بالأصفاد ويجعلونهم يعملون في السجن والمعسكر. على اللجنة أن تزور هذا السجن، عليهم أن يقولوا للتنظيم إننا نود رؤية سجن الشهيد هارون.

14. إن أرادت اللجنة اللقاء بنا. سجعلهم يلتقون مع فرقة القتل التي أرسلها "كاني يلماز" كي يقتلوننا.

www.arsivakurd.org

وضعهم هم.

في تلك المعمعة، أتى خبر مفرح للدكتور سليمان عن طريق شاب كردي من سوريا. كان هذا الشاب في وادي البقاع سنة 1991 وكان يعرف "سليم" أيضاً. كان بين التنظيم في السابق، لكنه حين فهم الأمور تركهم منذ زمن وبقي يقيم في مدينة السليمانية. حين علم بمكان الدكتور سليمان، استقل سيارة وتوجه إلى قرية "سراڤێ" على جبل "سورين". كانت هذه القرية قريبة من مدينة "سيد صادق"، وفيها مقر عسكري لحزب الاتحاد الوطني الكردستاني. كان الدكتور ورفاقه يسكنون في بيت معمرة حديثاً. قال ذلك الشاب للحراس إنه يود رؤية الدكتور سليمان، ففأخذوه إليه. وبعد التحية والسلام قال للدكتور:" لقد جلبت لك بشارة، لا أدري، هل أقولها لك هنا أم؟"

نظر الدكتور حوله وقال: "ليس هناك أحد غريب بيننا، تفضل قُل ما لديك."

- لقد عرفت مكان ابنتك يا دكتور، ولذلك أتيت إلى هنا. لقد أخبرني أحد معرافي بمكانها.

- أين هي؟

- في السليمانية، وفي منزل امرأة عجوز.

- حسناً، ومتى سنذهب لرؤيتها؟ كيف ستساعدنا في ذلك؟ هل تقيم في ذلك المنزل دائماً؟

- المنزل تحت سلطة PKK،لأن المرأة العجوز هي أم لشهيد في صفوف PKK وابنها الآخر كريللا حالياً.

كتم "الدكتور سليمان عواطفه وقال: "

- إنها ابنتي، وليس لها أحد هناك، كيفما كان عليّ أن أذهب لرؤيتها وليحدث ما يحدث.

ثم نظر إلى چكو وقال له:

- هيا لنذهب.

خرجوا بسيارتين مع ضيفهم. كان الضيف في المقدمة وهو يسيرون خلفه. وصل إلى حارة على أطراف مدينة السليمانية. طرقوا الباب الخشبي للمنزل. فتحت امرأة الباب وقالت لهم باللهجة الكردية السورانية: "من انتم؟" كان ذلك الشاب الكردي السوري يجيد تلك اللهجة، فجاوبها. حينها سمحت لنا المرأة بالدخول.

كان بيتاً فقيراً، بعض الفرش والسجاد القديم في أرضية الغرفة، وأمام الباب كانت كنبة قديمة مسندة إلى الجدار. كانت طفلة شقراء الشعر جالسة، عليها فستان مهترئ. جلسوا على تلك الكنبة، أما المرأة، كانت تحمل في يدها كرسياً وجلست معهم.

حمل الدكتور الطفلة في حضنه. لم تكن تعرف إنه والدها، وأرادت الإفلات من يديه وحضنه.

سأل "چكو" المرأة عن أحوالها، وقال لها إنه يريد أن يتعرف عليها عن قرب. فقالت له: "أنا من مدينة (حلبجة). أحرق جيش صدام قريتنا. كان وضعنا لا بأس به في السابق، لكن بعد كل ما جرى للمدينة التجأنا إلى السليمانية. فقد زوجي حياته وأبنائي الإثنين كان في الجبل، ثم استشهد واحد منهم.

سألها "چكو": من هي هذه الطفلة الصغيرة؟

صفنت المرأة قليلاً ثم قالت:

- إنها إبنة الحزب. والدها من كُرد تركيا، كان والدها مقاتلاً بين الرفاق. قتلت الدولة والديها. فآواها الحزب وسلمتها لي، وأنا أربيها الآن.

إذاً، هذا ما لقنوه لهذه المرأة! وضع الدكتور الطفلة أرضاً وقال لها: " أنا والد هذه الطفلة." لكن المرأة لم تصدقه. وحين أدركت إنهم قادمون لأخذ الطفلة منها، قالت لهم: "لن أعطيكم الطفلة. سوف تسببون لي الكثير من وجع الرأس." أدرك الدكتور أن أخذ الطفلة منها عنوة أمر غير جائز، لذلك، نظر إلى رفاقه

وقال لهم: "هيا لنذهب." شــكروا تلك المرأة وخرجوا من منزلها. ودع الدكتور ضــيوفها وتوجها هو و "چكو" إلى بيت "خديجة". وفور رؤيته لها، قال لها الموضـــوع. فرحت "خديجة" بالأمر، فقد كانت ستســتقبل طفلة صــغيرة في بيتها. ثم بدأت بالتحضــير للذهاب إلى بيت تلك المرأة. أخذت معها مرافقين وانطلقت بها الســيارة إلى هناك. ســردت للمرأة القصــة الحقيقية، وقالت لها أن والد الطفلة هو "الدكتور سليمان"، ثم أعطت للمرأة تطمينات أن أحداً لن يمسها بسوء، ومنحتها بعض النقود أيضاً وقالت لها: "هذه النقود لك لأنك كنت تقومين بخدمة الطفلة كل هذه المدة."

بدأت المرأة تنظر إلى النقود في يديها بسـعادة. تلك المرأة التي خسـرت كل شـيء في حياتها. حضـنت الفتاة بقوة ثم ســلمتها إلى الدكتور الذي حملها وركب هو والبقية فيها. كانت الطفلة تبكي بقوة، حاول " چكو" إيقاف بكاءها، لكنها كانت تصرخ في السيارة وتقول: "لا.. لا أريد."

حين وصــلوا إلى أمام منزل "خديجة" نزلوا من الســيارة، وكانت الطفلة ما تزال تبكي. قالت لها "خديجة" باللهجة السورانية: "لا تبكي يا حبيبتي. أنظري، لقد جلبناك على بيتك الجديد. سأشتري لك ثياباً جديداً، وأشتري لك الحليب، وسأشتري كل ما تريدينه. لكن قولي لي، ما هو اسمك؟" نظرت الطفلة حولها، فهي لا تعرف أحداً منهم، وسرعان ما بدأت بموجة بكاء أخرى.

نادة "خديجة" على ســائقها وقالت له: "إذهب واشــتري لها بعض الألعاب." كانت الطفلة متعودة على التنقل من مكان إلى مكان، فقد أرســل التنظيم والدتها إلى الســليمانية لتقوم بأعمال الدعاية للتنظيم. لذلك كانت تتنقل من بيت إلى بيت طفلتها معها. أدركت الطفلة أن ســكنها هذا كما كل البيوت التي أوت هي ووالدتها إليها، لذلك، توقفت عن البكاء حتى وصــل الســائق حاملاً معه بعض الالعاب في يده. كانت بين الألعاب عروسة بطولها، سرعان ما حملتها وحضنتها، قالت لها "خديجة": " ستصبح هذه العروسة طفلتك وعليك أن تعتني بها. الآن قولي لي ما هو اسمك؟" قالت الطفلة التي تحتضن لعبتها: "إسمي سوما."

كان إسمها الحقيقي هو "سما" ولأن كُرد الجنوب لا يجيدون لفظ اسمها، لذلك بدلوا "سما" بــــ"سوما". هناك منطقة أيضاً كردستان اسمها "سوما". و تعني في اللهجة الكردية السورانية (الرؤية).

تأقلمت الطفلة سـريعاً مع المجموعة. أصـبحت كريلا صـغيرة للجميع. كانت تجيد اللهجتين الكرمانجية والسورانية، وتمسك بيد "خديجة" تذهب معها إلى منزل "مام جلال".

في إحدى الأيام، كان "مام جلال" في اجتماع مع رفاقه، واضـــعاً رجلاً على رجل ويتحدث مع رفاقه. كانت "ســوما" هناك أيضــاً، تذهب وتجيء في تلك الصــالة حتى ملّت من ذلك الوضــع. كانت كلمة "مام جلال" طويلة جداً. توقفت أمامه وكانت تريد إيقافه عن الكلام، لكن "مام جلال" في غمرة حديثه، فما كان منها إلا أن ضــربت يدها برجله قائلة له: "توقف. أنت تكذب كثيراً." قهقه مام جلال والحضــور جميعهم ضاحكين من كلامها.

في إحدى الأيام أيضــاً، جائت "خديجة" إلى البيت وكانت تنتعل حذاءً ذا كعب عالي. لفت ذلك الكعب انتباه "سوما" وطلبت منها أن تشتري لها حذاءً بنفس تلك المواصفات. وهكذا، أصبحت "سوما" تملأ حياة "الدكتور ســليمان"، هذه الطفلة التي بقيت من قصــة حب لم تكتمل. لكن، كان عليه ألا يبقي الطفلة هناك، وكان يدرك أنه من الصعوبة العثور على والدتها في المدينة، فهي قد أجحفت بحق هذه الطفلة حين أتت بها إلى الحياة. لم يقتلها التنظيم بل أعفوا عنها، وهي بدورها رأت أن ذلك العفو هو فضل للتنظيم عليها، لذلك، قد تبقى إلى آخر يوم من حياتها تقوم بالدعاية والعمل ضـمن التنظيم، وقد لا ترى لا طفلتها ولا زوجها بعد ذلك.

قرر كل من الدكتور و"خديجة" إرسال الطفلة إلى عمها "سليم" في ألمانيا. حين أخبروه إنهم لقوا الطفلة

في الســـليمانية، كاد "ســـليم" يطير فرحاً. كان حينها يعيش في مدينة "لوبجكى Lübeck" الألمانية وقد يعمل كمسـؤول في مجموعة "نادي القلم PEN". حين وصـله الخبر، اتصـل على الفور بـــــ" أليزابيث وولهايما Elizabeth Wolheima" كســـؤولة فرع ألمانيا في نفس النادي، وقال له بلغته الألمانية المكسرة:

- لقد سمعت اليوم خبراً ساراً للغاية يا أليزابيت. أنا مسرور جداً جداً.
- ماذا هناك يا سليم؟ قل لي كي أفرح معك.
- لقد أصبحت لدينا طفلة!
- لا أصدق. كنت أنتظر بالفعل خبراً ساراً منك؟
- لقد تحدثت معك في السابق عن أخي القائد في الگريلا. خلف من زوجته طفلة في الجبال. لكن لم يكن يعلم بمكان ابنته. قبل أيام عثر عليها وعمرها الآن ســنتين ونصــف، لكنهم لا يعلمون شــيئاً عن والدتها. الطفلة في مدينة السليمانية التي تجري فيها الحرب الآن، وهي عند امرأة تعتني بها بشكل مؤقت. عليّ أن أجلبها إلى ألمانيا على الفور.
- هل تملك الطفلة جواز سفر؟
- كلا، لقد ولدت في الجبال. لا يوجد لها إسم في سجلات النفوس في أية دولة، وليس لديها جواز سفر.
- إذاً، علينا أن نشرح وضعها لمحام فهو سيفيدنا في ذلك. تعال إلى هامبورغ الآن.

بدون أن ينتبه للوقت إن كان ملائماً للسفر أم لا، خرج "سليم" من بيته بعد ان قال لزوجته "آيسل" عن الموضوع، وركب القطار متوجهاً إلى مدينة "هامبورغ". كان متأثراً جداً بالموضوع، وخاصة حين أدرك أن الجبال منحته طفلة.

توجه مع "اليزابيت" والمترجم "مصطفى" إلى المحامي وتحدثوا معه عن وضع الطفلة في السليمانية. قال لهم المحامي: "إنه عمل صعب. أطلب منكم مهلة سنة كي أتمم الإجراءات وأتعابي في الموضوع ثلاثة آلاف مارك." قال له "ســـليم": "الطفلة وحيدة هناك، وتجري حرب الآن في تلك المنطقة. علينا أن نجلبها في أسرع وقت." خرجوا من عند المحامي بدون ان يحققوا شيئاً.

حين لاحظت "أليزابيت" حزن "سليم" وقلة حيلته، قالت له: "لا عليك، لا تحزن. سأحل هذا الموضوع في الأســـبوع القادم." قال لها "ســـليم" مندهشـــاً: "وكيف؟". فقالت له: "أنا ذاهبة إلى برلين في الأســـبوع القادم، وسـألتقي بوزير الخارجية (جوشـكا فيشر Joschka Fisher) وسـأشـرح له هذا الموضـوع. هذه مسـألة انسـانية. إن أقنعته، سـأطلب من (منه) جواز سفر لدخول الأراضـي الألمانية وسأذهب بذلك الجواز إلى السليمانية وأجلب لك سوما."

فرح "سليم" كثيراً بذلك، قبّل وجنتي "أليزابيت من الفرح، ثم ودعها.

في مســاء نفس اليوم، رن هاتفه، وعرف فوراً صــوت "خديجة" التي قالت له: "إن أرســلنا الطفلة مع امرأة إلى استانبول، هل ستستطيع تأمين فيزا لهم؟" تحدث معها "سليم" بشأن مقترح "أليزابيث"، وقالت "خديجة": :إن تلك الخطوة جيدة، لكننا نود أن نرســل تلك المرأة أيضـــاً إلى ألمانيا. أنت قم بتأمين الدعوة للإثنتين، المرأة والطفلة. لنجرب هذا الخطوة أولاً، وإن لم نتوفق، حينها ســنختار الخيار الآخر." اســـتلم "سليم" صورة عن جواز سفر المرأة والطفلة، فرأى إنهم قد سجلوا إسم "سوما" على إسم تلك المرأة، أي إنها ابنتها في جواز السفر. لم تدم المعاملة طويلاً، وبعد خمسة عشر يوماً كانت المرأة التي إسمها "بيان" و"سوما" على متن الطائرة المتجهة إلى مطار مدينة "بون" الألمانية.

لقد نجت "سوما" والدور الآن على والدها ورفاقه. أصدر "الدكتور سليمان" بياناً للرأي العام يعلن فيه

تأسـيس تنظيم باسـم "مبادرة الحرية". لذلك، قامت الدولة التركية بالضـغط على الأحزاب الكردية في جنوبي كردستان وطلبت منهم: "سلموا لنا الدكتور سليمان ومجموعته".

إن صـدور البيان التأسـيسـي لمبادرة الحرية قد لاقى صـداه في أورب بين المثقفين الكُرد. بعض هؤلاء تركوا صفوف "PKK" حين أدركوا بأنه حزب لاديمقراطي ويتحرك تحت أوامر الاستخبارات الاقليمية، وحين سمعوا بتأسيس حركة كهذه- مبادرة الحرية- قرروا مساندتها وتأييدها.

قاموا بطباعة بعض البيانات والمناشـير، كما أن "سـليم" كان بينهم، حيث كانت له علاقات بعناصـر الگريلا المقيمين في جنوبي كردستان. أدرك "سليم" حين تواصل معهم عبر الهاتف أن بقاءهم في جنوب كردسـتان صـعب للغاية. مثال ذلك، "شـمدين سـاكك" الذي صـدر بحقه حكم الإعدام من قبل "PKK" في سـنة 1998، لكنه فرّ إلى جنوب كردسـتان ولجأ إلى الحزب الديمقراطي الكردسـتاني، لكن هذا الحزب لم يستطع حمايته بما فيه الكفاية، ثم تم القبض عليه تم إرساله إلى تركيا.

تحدث "سـليم" في هذا الأمر مع مجموعته في أوربا، لكنهم قالوا له: "لا نسـتطيع أن نفعل لهم شـيئاً بهذا الخصـوص، ليبقوا هناك." كان غرض المجموعة من ردهم هذا هو أن تبقى تلك المجموعة في جنوبي كردستان كقوة مسلحة لهم، وهم سيكونون واجهة سياسية لهم في أوربا. من جهة أخرى، لم يكونوا يودون أن يبرز اسـم "سـليم" في المقدمة، لأن "سـليم" قد ألف كتاباً عن عبدالله أوجلان وحزبه وكان بدورهم قد بدأوا بحملة تشهير ضده.

كان هذا الحكم جائراً. منذ سنة 1993 كانت حياة "سليم" في خطر. بقي عشرة سنوات في ألمانيا مختفياً. لأنه قال أن عبدالله أوجلان قد أسـس دكتاتورية لنفسـه ووضـع الحزب ومقدراته في يد الدول المحتلة لكردستان. ألّف كتاب "آيات آپو" ونشره باللغتين التركية والألمانية. الكثيرون ممن معه في المجموعة كان يدركون هذه الحاقئق جيداً لكنهم مع ذلك بقوا صاميتن وانسحبوا من صفوف الحزب بدون أن يتفوهوا ولو بكلمة، ولذلك لم تقم حملة تشـهير بحقهم. كانوا يودون أن يؤسـسـوا تنظيماً بين الكُرد في أوربا. اما سـليم، كان يتحرك وبنشاط كي لا يتم القبض على مجموعة السليمانية من قبل الدولة التركية.

لم يكن أمام تلك المجموعة في السليمانية سوى أمرين، إما الخروج من هناك، أو تسليمهم للدولة التركية. كان صـدام حسـين ما زال رئيسـاً للعراق، ولم يتم أعلان الفيدرالية في العراق، لذلك لم تكن الأحزاب الكردية قادرة على الوقوف في وجه التهديدات التركية. من جهة أخرى، كانت الدولة التركية قلقة من أمر هذه المجموعة التي قد تقوم بمقاومتهم من جديد، وقد يلتف حولها الملايين.

اتصـل "سليم" هاتفياً مع "الدكتور سليمان" و"هايام" وتحدثوا في هذه النقاط، وقرروا التالي: أولاً، كي لا يتم تسـليمهم للدولة التركية، عليهم مقابلة "مام جلال". ثانياً، عليهم إيصـال المجموعة عن طريق ايران إلى أرمينيا.

التقى "سليم" م صديق له كان ممثلاً للاتحاد الوطني الكردستاني في باريس وأخبره أن أخاه ومجموعته في السـليمانية، وأن تركيا تضـغط على "مام جلال" لتسليمهم، كما أن الناس لم تعد تثق بالأحزاب الكردية بعد تسليمهم مؤخراً "شمدين ساكك" للأتراك، وقال له أن الاتحاد الوطني الكردستاني عليه أن يؤمن على حياتهم ولا يسلمهم للأتراك.

تنفس "سـليم" الصـعداء حين قال له ممثل الاتحاد بإنه سيجاوبه بعد يومين. بالفعل، بعد يومين أرسـل له ممثل الاتحاد الوطني المعلومة التالية: " تحدثت مع مام جلال في الموضـوع، وقال لي: إننا بكل تأكيد لن نسـلم االدكتور سـليمان للدولة التركية، ليطمئنوا من هذه الناحية. وأضـاف: على هذه المجموعة أن تخرج من السـليمانية في أقرب فرصـة. لقد ضـغط الأتراك عليّ كي أسـلمهم الدكتور سـليمان وهايام أكثر مما

ضغطوا علي حين طلبوا تسليم عثمان أوجلان وجميل بايك. نحن لا نستطيع أن نتستر على هذه المجموعة عندنا."

على هذا الأساس، اتصل "سليم" مع "الدكتور سليمان" و"هايام". قال له الدكتور أن "آزمان" في أرمينيا ونستطيع أن ننسق معه، علينا أن نتواصل معه ونؤمن طريقاً للمغادرة. طلب "سليم" رقم "آزمان" الذي كان يعرفه منذ سنة 1992 حين كانوا في وادي البقاع. اتصل به وقال له: "عليك أن تدبر لنا مهرباً كي يقوم بتهريب الدكتور سليمان ومجموعته من ايران إلى ارمينيا. هل ستقبل الحكومة الأرمنية بهم كلاجئين أم لا؟"

قال له "آزمان": سنستطيع أن نؤمن مهرباً بمبلغ من المال، لكن لا أستطيع أن أقول لك شيئاً عن مسألة قبولهم كلاجئين في أرمينيا." بعدها، أعطاه رقم هاتف فتاة من مدنية "أورميا" وكانت سابقاً بين صفوف "PKK"، وقال له: "هذه الفتاة ستؤمن لكم مهرباً من ايران."

اتصل "سليم" بالفتاة، وشرح لها الموضوع، فقالت له: "سأستطيع تأمين مهرب لهم، لكن المهرب سيطلب المال لأجل ذلك." فقال لها "سليم بأنه سيحل مسألة تأمين المبلغ لها. ثم أعطاها رقم هاتف الدكتور وقال لها: "اتصلي به وجهزوا أنفسكم لذلك. أنا سأسافر عن قريب إلى أرمينيا وأحل مسألة تأمين المال."

بقيت مسألة موافقة الحكومة الأرمنية على ايوائهم. خرج من البيت وزار بعض معارفه من أجل تأمين مبلغ من المال. كما اتصل مع منظمة "TİKKO" التي علم أن لها علاقات جيدة مع الحكومة الأرمنية. كان ذلك الرجل من تلك المنظمة يقيم في مدينة "فرانكفورت" فاستقل سيارة برفقة بعض أصدقاءه وسافر إليه. التقى بذلك الشخص الذي وعده بمساعدته.

بعد أيام، أرسل "الدكتور سليمان" أول شخصين من مجموعته عن طريق تلك الفتاة إلى أرمينا. كان أحدهم "معصوم" الذي ترك الدراسة في جامعة "چوكوروڤا"، والتحق بـ"PKK" حين كان يمارس العمل الصحفي. بعدها قدم إلى قنديل، وأصبح رئيساً لوحدة النشر والطباعة في المجلس الرئاسي للحزب. كان أول شخص تأتي إليه التعليمات التي يصدرها أوجلان. كان يعتبر صندوق أسرار الحزب، أطلع المجموعة على تلك الأسرار لأنه كان يثق بـــ"الدكتور سليمان" ومجموعته، وحين ترك صفوف الحزب، وضع كل تلك المعلومات على أقراص "CD" وجلبها معه إلى السليمانية. أما الشخص الثاني، فكان إسمه "أحمد كونيا".

بعد ثلاثة أيام من مغادرة "أحمد" و"معصوم"، اتضح لهم أن تلك الفتاة كانت قد خططت لكمين لهم. وبدل أن يأخذهم المهربين إلى أرمينيا، أخذوهم وسلموهم إلى وحدة تابعة لعثمان أوجلان. وبعد يومين، تعرض "آزمان" لاعتداء بالضرب في أرمينيا وقد تعرض لجرح بليغ نتيجة ذلك. أدرك الجميع أن طريق أرمينيا بات أضغاث أحلام لهم.

قيل أن "معصوم" بقي لسنوات في سجون المجلس الرئاسي، ولم يتحدث أحد عن التعذيب الذي تعرض له. يقال إنهم حين أطلقوا سراحه، جعلوه يعمل راعياً للأغنام في قنديل" وحين حل فصل الشتاء وهطلت الثلوج بغزارة، لم يعودوا بحاجة إلى راع للأغنانم، لذلك، أخذوه إلى قمة جبال "زاغروس" وقالوا له: "سنطلق النار عليك إن اقتربت من المعسكرات. إذهب إلى أي مكان تريده." كانت قمم الجبال تلك، أرض قفر، تغطي الثلوج السميكة كل تلك القمم. سار في ذلك الجو العاصف والبارد. يُقال بأنه تم العثور على جثته في فصل الربيع بعد أن ذاب الثلج من حوله.

أما عن "أحمد"، فلم يعلم عنه أحد شيئاً رغم مرور كل تلك السنين.

وصلت كل من البرلمانية اليسارية "أولا ژيلپکی Ulla Jelpke" والمحامية "رنا" إلى مدينة

السليمانية للتحقيق في الإدعاءات. لكن "PKK" رفض اللقاء بهم، ولم تسمح لهم بزيارة سجونها. ثم بثت قنوات الحزب برامج تلفزيونية مع بعض الأشخاص الذين قالوا إنهم لم يعتقلوا ولم يكونوا مسجونين، على عكس ما يدعي الدكتور ومجموعته.

بعدها، أطلق الحزب تسمية العصابات على كل من ينشق أو يترك صفوف الحزب. كانوا يقولون أن " PKK وأوجلان يريدون إحلال السلام، لكن هؤلاء يريدون الحرب مرة أخرى." وكانوا يطلقون تسمية عصابات (KÖ-SÜL) أي "كولن- السليمانية" عليهم.

كانوا يجعلون المساجين يدلون كذباً أمام شاشات التلفزة، لكنهم مع كل تلك الأكاذيب، لم يستطيعوا التستر على قتل الكثيرين، مثال ذلك: ناظم آكتورك (دوران)، برزان درى (أبن عبدالرحمن درى) ،هارون (أبن نوراي شنێ)، رحمان شن، فاروق بوزكورت (القائد ناصر). لم تمض مدة طويلة حتى قالوا أن "ناظم" أحرق نفسه في السجن. أما "برزان درى" فقالوا إنه فقد حياته لسبب غير معلوم. أما "رحمان شن" فقالوا أنه حين كان ذاهباً للصيد، فنبح عليه كلب هناك ومن خوفه ألقى بنفسه من فوق مرتفع، وفقد حياته إثر ذلك. نشروا هذه الأقاويل في منشوراتهم. من قالوا عنهم أنهم غير مسجونون استطاعوا بعد مدة الهرب والنجاة منهم، أما القائد "ناصر" فقد قتلوه في مؤامرة حاكوها له.

كان القائد "ناصر" قد قال للدكتور: "إن حاولنا الإنشقاق، فإن دماء كثيرة سوف تراق. لن أدع كد السنين التي ناضلت فيها من أجل هؤلاء، سوف أبقى وأحاول أن أصحح أخطائهم.". حين ترك "الدكتور سليمان" ورفاقه الحزب، بدأ هو أيضاً يفكر بالأمر، حيث لم يقبل بمشروع الدولة التركية التي تود تنفيذه عن طريق أوجلان على الحزب. لم يتحمل ذلك التشويه، فبدأ بإضراب عن الطعام. وقد حوّل المجلس الرئاسي إضرابه هذا، على أنه إضراب عن الطعام من أجل القائد.

"في الملاحظات التي قدموها عن ناصر، قالوا بأنه ساند الفارين من الحزب. قالوا كذلك عن داوود أيضاً، بأنه عارض قرارات المؤتمر والمجلس الرئاسي وإنه قد أضرب عن الطعام. قال لهم عبدالله أوجلان: "عليكم بتفكيك شخصية ناصر، وإلا فأنه سيضرنا."[41]كان المجلس الرئاسي يرسل المعلومات عن نصار إلى عبدالله أوجلان عن طريق المحامين وقالوا في إحدى الملاحظات: "أن تصرفات وأسلوب داوود هو نفس أسلوب ناصر." كان كل من أوجلان وكاتب تلك العبارة "دوران كالكان" و"علي حيدر كايتان" يدركون معنى تلك الجملة. كان "داوود" هو الإسم الحركي لعضو اللجنة المركزية "رسول آلتينوك"، الذي كان مسؤولاً للحزب في أوربا، وقد انتقد أوجلان وزوجته "كسيرة" في اجتماعات الحزب. طلبوا "آلتينوك" إلى سوريا بحجة انعقاد كونفرانس للحزب. لكنهم ألقوا القبض عليه فور خروجه من مطار دمشق، وسلموه إلى "دوران كالكان" و"علي حيدر كايتان" في جنوب كردستان. بقي "رسول" لأشهر معدودة تحت التعذيب، لكنه لم يقبل منهم أية إملاءات، وللاحتجاج على التعذيب والاعتقال، قام بالإضراب عن الطعام حتى الموت، ثم قتلوه تحت التعذيب.

بات كل شيء واضحاً لـ"ناصر"، وبدأ المجلس الرئاسي بتنفيذ كلمات جملة أوجلان بحذافيرها، لكن مع كل ذلك الكذب والضغط عليه، لم يستطيعوا أن ينالوا منه، لذلك قاموا بحمة تشهير ضده. حين لم يؤازره أحد، قاموا ببناء زنزانة صغيرة له بالقرب من المقر الرئيسي. وضعوا الرمال في الأكياس، ووضعوا فوق بعضها حتى ارتفعت كجدار طوله مترين. زنزانة مربعة بطول وعرض متر وغطوها بالأكياس البلاستيكية، ووضعوه فيها سجيناً في تلك الزنزانة الصغيرة.

---

41 . ملاحظات المحاميين بتاريخ 21 تموز.

كان إثنا عشرة من عناصر الگريلا يقومون بحراسة تلك الزنزانة. يبدلون نوباتهم كل ساعتين. كان غالبية الحراس أميين ولا يفقهون شيئاً في السياسة. بعد سنين من تلك الحادثة، أدلى بعض أولئك الحراس بما شاهده حينها وقال: "كنا جميعنا قتلة بدون تفكير." في اليوم الذي قرروا التخلص منه، جاء عضو المجلس الرئاسي مراد قريلان إلى أمام باب الزنزانة ومعه "شرفان" الذي كان من منطقة "آغري". ونادى من بين الحراس على "ساڤاش موشي" و"عاكف دين المارديني". أبعدهم خطوات عن الزنزانة وقال لهم:" عليكم أنتم أن تقوموا اليوم بالحراسة، وكونوا يقظين جيداً. لقد تلقينا معلومات تفيد أن الجنود الأتراك وپيشمرگه الاتحاد الوطني الكردستاني سوف يقومون بعملية كي ينقذوا ناصر. إن سمعت أصوات إطلاق للنيران من حولكم، ادخلوا إلى الزنزانة فوراً واقتلوا ناصر، وضعوا رشاش البي كي سى بجانب هذه التلة القريبة من الزنزانة." تم تركهم وذهب.

لم يكن الحارس الأول يعرف أي شيء عن "ناصر" ولم يكن يعلم أنه قاتل لسنوات عديدة الجيش التركي في جبال كردستان، ولم يكن يعلم أنه كان قائداً عاماً على جميع القطعات في الجبال، لكن كل ما يعلمه إن هذا الشخص هو ضد أوجلان. في الهزيع الأخير من الليل، سُمعت أصوات القنابل والبنادق . حين سمع الحارس "شرفان" ذلك، اقترب من باب الزنزانة وأزاح الأكياس البلاستيكية عن سقفها ورمى بقنبلة يدوية فيها. حين رأى "ناصر" القنبلة تسقط بجانبه، حملها ورماها خارجاً ونظر حوله مستطلعاً ما يجري، ثم أخفض رأسه بسبب انفجار الرمانة التي رماها. حين رأى "شرفان" أمامه، قال له: "ماذا جرى يا رفيق، هل يهاجمنا الجيش التركي؟" فور انهاءه لسؤاله، سدد عليه "شرفان" بندقيته وبدأ يطلق النار عليه. عشرات الطلقات أصابت جسده الغض الذي ضمخ بالدماء، وأسلم الروح هناك.

كانت الدولة التركية قد قررت تصفية "الدكتور سليمان" ومجموعته، وكانت ستنفذ ذلك بواسطة أوجلان ومجلسه الرئاسي، وكان الجميع يعلمون بذلك.

في تلك الأثناء، دخل أشخاص جدد على الخط مع المجموعة وقاموا بمساعدتهم، وطلبوا منهم صور شخصية، حيث أصدروا لهم جوازات سفر في إحدى الدول الأوربية، وعن طريق بعض الأشخاص في الاستخبارات الايرانية، أمنوا لهم تأشيرات دخول وخروج، وطلبوا منهم على كل جواز سفر مبلغ ألفي دولار. في البداية وصل كل من "الدكتور سليمان" و"چكو" بمساعدة "خديجة" إلى طهران، ومن هناك غادروا إلى ألمانيا.

هناك حي في مدينة "بريمن" الألمانية إســمه "كاتنتورن". كل ذلك الحي مكون من بنايات ذو ثمانية طوابق، وكان غالبية سكان ذلك الحي من الغرباء.

كان "نجم الدين" أخ "الدكتور سـليمان" يسـكن في المبنى ذو الرقم (28) وفي الطابق السـابع من ذلك المبنى. كان شـقته مكونة من ثلاثة أقسـام. حين يدخل المرء، يرى ممراً أمامه، يفضـي هذا الممر إلى صالون، وفي نهاية الصالون باب زجاجي.

جدران القاعة مصبوغة باللون الأبيض، وأرضيتها من الخشب. كان هناك طاقم كنبايات في الصـالون تتسع لثمانية أشخاص على شكل حرف"ل". يتوسطها طاولة خشبية، وفي طرفها الآخر كرسي يجلس عليه "نجم الدين". كانت السـاعة معلقة على الجدار عند الكنبايات، ولوحة في الجدار المقابل لها، كانت "برات" إبن "نجم الدين" قد رسمها. على الجداؤ الآخر طاولة وتلفزيون، وموضوع على الطاولة صورة لـــ"حسن" الذي استشهد في معارك مع الجيش الترمي. مقابل تلك الطاولة وعلى الطرف الرابع كان هناك باب يفضي إلى الحمامات، كما كان هناك باب آخر يفضي إلى غرفة "برات".

جلس "الدكتور سـليمان" على إحدى تلك الكنبايات. ممشـط الشـعر، وحالق الذقن، لابسـاً قميصـاً أرزق اللون، وكعادته كان ينظر حوله مبتسماً.

التف حوله القرويون، وبينهم صديقه "مراد" الذي فرح برؤيته كثيراً. كانت "سوما" في حضن والدتها. أما "نجم الدين" كعادته، حمل كتاباً من الرف وبدأ يقلب صفحاته.

كان إبن أخيه "فرمان" قد قدم إلى ألمانيا وهو في عمر الخامسـة عشـرة وتعلم اللغة الألمانية حتى أنهى الثانوية التجارية وأصبح شاباً عمره إثنان وعشرون سنة. بدأ يسرد لعمه قصة وصوله إلى ألمانيا:

- أتى مقاتلين من الگريلا إلى مدرستنا واقتادوا استاذنا. حين وصل الخبر إلى چوليگ، حاصر. مئات الجند بالسـيارات إلى القرية. جمعوا كل رجال القرية ووضـعوهم في غرفة من غرف المدرسـة وبدأوا بالتحقيق معهم. دخلوا إلى بيتنا وبدأوا يشـتموننا، ولأنك كنت في الجبل، لذلك اقتادوا جدي وجدتي إلى "زيارتا درى" وقالوا لهم سنأخذكم إلى الجبال.

قاطهع (قاطعه) "طيب" قائلاً:

- انتظر، سـأكمل الباقي أنا. بعد مجيئكم إلى ألمانيا، سـمعت هذه القصـة من جد الدكتور سـليمان ومن القروي "أحمدي". كان جدك يقول: في المسـاء سـمعت طرقاً على الباب، ذهبت وفتحت الباب، فرأيت الجنود قد أمسكوا بأحمدي وقالوا لي، جهزوا انفسكم أنت وزوجتك، سوف نأخذكم إلى المخفر. بعد برهة، أركبونا في السـيارات، وفي الطريق إلى چوليگ، اوقفوا السـيارات عند المزار. تقدم مني قائد الجند وقال لي "يا خال، لقد خطف الإرهابيين أستاذ المدرسة في القرية، هل يعجبك ذلك أم لا" فرد عليه "كلا، ولماذا سيعجبني ذلك، فلا ذنب له في شيء. كانت هناك بعض المشاكل بينه وبين الطلبة، لكن علاقاتنا كانت جيدة معه" قال له الضـابط "لكنهم يقولون أن إبنك الدكتور سليمان هو من خطف الاستاذ" رد عليه جدك "وهل إبني لوحده في الجبال، أنت تعلم أن هناك الآلاف في الجبال" قال له الضـابط "حسب معلوماتي يا خال أن الدكتور سليمان هو شخص جسور ومقدام، لا أظنه سيقتل مدرساً مدنياً" فرد عليه جدك "إبني ليس في هذه المنطقة. إن كان هنا، كان سيأتي ويسأل عن أحوالنا، ثق تماماً بأننا منذ أربعة سنوات لم نلتقي له. لقد رأى بعض القرويين أن مسلحين اثنين اقتادا أستاذ المدرسـة. إن كان هؤلاء المسلحين معروفين لكان القرويون قد تعرفوا عليهم، لكن لم يعرفهم أحد. إبني شـاب ذكب ولا يلحق الضـرر بقريته." كان أحمدي يجيد اللغة

التركية أكثر من جدك، لذلك قال للضابط " يا حضرة الضابط، أنتم لا تعرفون الدكتور سليمان. إنه ذكي جداً، ولا يخطف أستاذ قريته. حين كان يدرس الجامة في أضنة، كان قد حفظ أرقام هواتف أصدقائه والذين يتعدى عددهم الأربعمائة وخمسين غيباً. هل يقوم شخص كهذا باختطاف أستاذ طلبة قريته ويترك أطفال قريته بدون أستاذ؟"

قال الضابط لجدك "حسناً يا خال، سنطلق سراحكم، لكن إن سمعت شيئاً عن إبنك، قل له كي يخلي سبيل الأستاذ. لديه أطفال أيضاً، إنه بريء ولا ذنب له" بعدها يطلق سراحهم.

قال فرمان:

- البعض يقول أن زوجة الأستاذ قد قالت للضابط إنهم إن ضغطوا عليهم فإنهم قد يقتلون زوجها، لذلك أخلى الضابط سبيل جدي. لكن الضابط وافق على طلبها وقال لها "سنخلي سبيلهم، لكن إن لم يتركوا الاستاذ إلى الغد فإننا سنحرق بيوتهم ونقتلهم".

قاطع الدكتور فرمان قائلاً:

- لم أكن في المنطقة حينذاك.

- كانت زوجة الأستاذ قد سلمت للجنود أسماء كل العائلات التي لجأ أبناؤهم إلى الجبال، لذلك كانت جدتي تقول "سيأتون ويقتلوننا" في تلك الليلة لم ننم من خوفنا. في الصباح الباكر، توجهت والدتي وأخي "برات" في أوسل سيارة إلى منطقة "ملاطية"، حيث والدها يسكن هناك. أما أنا وجدي، فقد خرجنا من القرية كي نتوجه إلى أضنة، فقد كان عمي "محمود" مدرساً هناك. لم نكن نعرف عنوانه جيداً، وكل ما أعرفه هو إسم القرية التي يعمل فيها مدرساً. بعد جهد جهيد وتوجهنا إلى تلك القرية، وسؤالنا عنه، وصلنا إلى أمام بيته، طرقنا الباب كثيراً، لكن لم يكن عمي هناك، وقال لنا أحد جيرانه إنه سافر إلى "جيهان"، فما كان منا ألا أن جلسنا أمام باب بيته منهكي القوى وقد هدنا الجوع والتعب. أما القرية، فقد كان القرويون يعيشون في خوف، حتى إنهم في الليل لم يكونوا يشعلون مصابيحهم خوفاً.

قاطع "كنعان" كلام "فرمان" وقال:

- عليك أن تذكر قصة "حاجي خليل" أيضاً، فهو وملا القرية تركا القرية أيضاً وتوجها إلى "ألازيز". قبل اختطاف استاذ القرية، قام الإثنان بجمع التواقيع ضد الاستاذ الذي كان يضرب تلاميذ القرية، ورفعوا تلك التواقيع إلى مفتش تربية "چوليگ" قبل اختطاف الاستاذ بيومين، وصدف أن الاستاذ اختطف في نفس تلك المعمعة. لذلك فرا من القرية. كان "حاجي خليل" يجلس في مقهى القرويين كل صباح، وحين يرى شخصاً متعلماً يجيد القراءة والكتابة، يبدأ بسرد قصته لذلك الشخص، فإن قال له عُد إلى قريتك فلا ذنب لك في شيء، حينها يشكره "حاجي خليل" ويبدأ بالأدعية له. أما إذا صدف وسأل أحد آخر وقال له هذا الشخص أنك أنت والملا قد قمتم أولاً بذلك، فإن الذنب يقع عليكم. حينها يصبح هذا الشخص عدواً لدوداً لـ"حاجي خليل".

قهقه الجميع من قصة كنعان عن "حاجي خليل"، بعدها سرد له صديقه "مراد" قصة أخرى جرت مع "حاجي خليل" قائلاً:

- قال لي صديق أن "حاجي خليل" كان جالساً في إحدى الأيام في مقهى القرويين في "ألأزيز"ن وكان قد مرّ وقت طويل على قصة اختطاف استاذ مدرسة القرية، لكن "حاجي خليل" من خوفه بقي المدينة ولم يتجرأ على العودة إلى القرية. لكن مدة ضيافته قد انتهت وبدأ مضيفوه ينزعجون من إقامته المطولة لديهم، لذلك كان يلجأ إلى ذلك المقهى ويمضي وقته فيها. في إحدى إحدى المرات، رأى إبن قريته "أنور" هناك. اقترب منه "أنور" وقبّل يديه قائلاً له: "يا خال، إن زوجة خالي تقول لك بألا تعود إلى القرية، فما زال

هناك خطر عليك" فيرد عليه "حاجي خليل" غاضباً: "ألم تقُل لك زوجة خالك في أي مكان سينام الحاجي، وماذا سيأكل. ألم تقل لك شيئاً من هذا أيضاً؟"

ضحك الدكتور بصول عال على قصة صدسقه "مراد"، ثم نظر إلى أخيه "نجم الدين" وقال له:

- وأنت، كيف أتيت إلى ألمانيا؟ لا بد لك قصص عن لجوءك إلى هنا.

- قررت المجيء إلى هنا منذ أعوام التسعينات. بعد ان تركتم جميعكم البيت، نظرت إلى وضـع البيت، فقد كان مسـؤولية البيت كلها على عاتقي. لجأت إلى العمل في البناء، ثم عن طريق بعض الأصـدقاء توجهت إلى استانبول، ومن هناك توجهت بحراً إلى أثينا. تعرفت على شـاب كردي سـوري هناك وكان اسـمه "عاكف"، كان هذا يود إرسـالي إلى الجبل بدوره، فقلت له: "هل جننت؟ كل أخوتي هناك وتريدني أن أذهب أنا أيضاً وأنت هنا تأكل الكباب وتعيش عيشـة رغيدة." ضـحك الرجل ويبدو أن أعجب بكلامي. ثم كلبت منه إرسـالي إلى ألمانيا، وقد كان شـهماً وسـاعدني في الوصـول إلى هنا، ثم عملت في البناء هنا أيضاً.

أراد "طيب" تغيير الموضوع وقال:

- يا أخ نجم الدين، بعد حادثة اختطاف الاسـتاذ بشـهرين، تم إطلاق سـراحي من السـجن وعدت إلى القرية، وكنت أزور بيتكم بين الحين والآخر، لكن غالبية القرويين كانوا يخافون زيارة بيتكم، حتى أن والدك في في إحدى خطب الجمعة عزم "خليل داغ" وقال له: "تعال معي إلى البيت، سوف أذبح لك ديكاً" فرد عليه خليل: "بيت خطر.. قسـماً، حتى لو ذبحت ثوراً، فإنني لن آت." كلما كنت أزور بيتكم، كنت أجد الأم "طيبة" وهي تندب وتتحسر وتنادي بإسمكم واحداً واحداً، من عمر وحتى سليم وآيسل. وكانت تقول: "ماذا أفعل، لم تكن لديكم أخت كي تبكي عليكم وتخفف عني كل هذا الألم." أحياناً كثيرة كانت تتذكر والدها وتقول: " كان عمره ثمانية عشـرة عاماً، وكان أصـغر من أخوته الخمسـة. حين هاجم الجنود على القرية، ربطوا أعناقهم بالحبال وسـاقوهم، ولم يعد يراهم مرة أخرى، حتى إنه لا يعرف إلى الآن أين هي قبورهم! الآن، أصـبحت مثل والدي، لم يبقى من أبنائي السـبعة أي واحد منهم، الباقي الوحيج سـاقوه إلى السجن أيضاً. قصتي هي كقصة والدي تماماً. لم يتغير فيها سوى الزمن". كانت تتحسر أكثر على حفيدها الذي سافر إلى ألمانيا، فقد بقيت وحيدة بعده في البيت. في إحدى الأيام، كان العم سليمان قد سافر إلى مكان ما، وبقيت الأم "طيبة" لوحدها في المنزل، سمعت بعض الأقاويل في القرية إنهم قد أحرقوا والدة "شمدين سـاكاك". الظاهر أن تلك الأقاويل قد أثرت فيها، وبدأت تخاف من المكوث وحيدة في البيت، لذلك حاولت مغادرة القرية واللجوء إلى قرية "ترابـاسـان". حين مرت من أمام بيتنا، وكانت تتحدث مع نفسـها. رأتها أختي وقالت لنا أن الأم "طيبة" تتحدث مع نفسها وهي تتوجه صوب إلى المزار. حين سمعت ذلك، قمت من مكاني وتوجهت مسـرعاً صـوب المزار، ولا قيتها فوق التل. حضـنتها وبدأت تبكي بحرقة، كان قبر إبنها "حسـن" بقربنا. قالت لي: "قلت لنفسـي سـأخرج بدون أن يراني (طيب) لأنه لو رآني لمنعني من المغادرة. قلت سأذهب خفية، عسى الذئاب تلتهمني أو يقتلونني الجنود". أخذتها إلى بيتنا، وبقيت ثلاثة أيام عندنا. كانت تنام مع جدتي في نفس الغرفة. عادت إلى بيتها في اليوم الرابع. كانت تقضـي النهار في بيتها، وفي الليل تذهب إلى بيت جيرانها "حسى گنجى" وتنام هناك."

أحس "الدكتور سليمان" بحزن عميق على مصير والدته ووالده وقال:

- إذاً بقيا يعيشان لوحدهما، حتى في القرية كانا وحيدين.

رد عليه "طيب":

- ماذا تقول يا أخي؟ لقد كان وضعاً صعباً للغاية. كان البعض يخاف أن يسلم على جاره. حين أراد طلب

www.arsiyakurdi.org

أخاك نجم الدين زوجته وأولاده كي يلحقوا به إلى ألمانيا، بقي والداك لوحدهما. بعد عودة والدك إلى القرية، طرق باب بيتنا، فتحت الباب، فكان هو ووالدتك أمام الباب. حضنني والدك بحرارة وبدأ يبكي. أردت أن أخفف عنه وقلت له: لقد رأيتم أياماً أصعب من هذه يا عم.. جلسنا بعدها وجلست بجانبه. قال لي: "بُني، أنت مثل أبنائي. لقد ربيت سبعة أبناء في هذا البيت، وقد قمت بكل ما أستطيعه لأجلهم، من دراسة وغير ها، وفقدتهم جميعهم ولم أرى أحداً منهم من حولي. لكن حين كان أولادهم عندي في البيت، كنت أحس أن كل أملاك العالم هي لي. كنت أفرح ببكاءهم وألعابهم وأصواتهم في البيت، لكنهم ذهبوا هم أيضاً. حين أوصلتهم إلى محطة الحافلات وعدت ورأيت طيبة لوحدها في البيت، حينها فهمت أننا وحيدين ولا أحد لنا." بكي بمرارة وبكت والدتك وبكيت معهم.

حين كان "طيب" يسرد هذا الموضوع، امتلأت مآقيه بالدموع. رفع رأسه، فرأى كل من حوله يبكون.

قال "الدكتور سليمان": "قوموا الآن لنخرج ونتمشى قليلاً." قام الجميع وخرجا من البيت. كانوا خمسة، حين خرجوا من المصعد، قال لهم كنعان: "ما رأيكم لو نتوجه جميعنا إلى هامبورغ ونعود ليلاً." وافق الجميع على الذهاب. توجهوا إلى محطة للسيارات قريبة منهم، لكن "فرمان" اقترح عليهم اقتراحاً آخر: "ما رأيك يا عمي لو نسافر بالقطار، فالسفر بالقطار له نكهة خاصة. فهو سريع من ناحية، ورخيص أيضاً." بعد هذا الاقتراح، توجهوا إلى محطة القطارات.

انتظروا مجيء القطار، وكان الدكتور ينظر حوله إلى تلك المحطة النظيفة والدكاكين المصفوفة باتقان بجانب بعضها. بعد برهة، ظهر القطار الذي سيقلهم من بعيد، فأطفأوا سجائرهم وتهيأوا للركوب. جلسوا جميعاً في عربة واحدة. قبل أن ينطلق القطار، أراد "كنعان" أن يتحدث عن مآثره في الجبال، فقاطعه الدكتور قائلاً له:

- لا تتحدث لي عن الجبل يا كنعان، تحدث لي عن هنا. عن ألمانيا. ماذا تفعل هنا.
- أوصل الطلبات إلى البيوت.
- كيف؟
- أستلم الطلبيات من البريد وأوصلها إلى عناوين أصحابها.
- كم ساعة تعمل؟
- ثمانية ساعات.
- هل تعلمت اللغة الألمانية؟
- قليلاً، لم أتعلم بشكل جيد بعد.

ثم توجه الدكتور إلى صديق طفولته "مراد" وسأله:

- وأنت يا مراد؟
- لقد درست اللغة وتعلمتها، والآن أقوم بالترجمة بين التركية والألمانية والكردية الزازاكية.
- عملك جيد إذاً؟
- نعم. أقيم في (كيله) وأموري جيدة.

قبل أن يسأل الدكتور "طيب" عن عمله وأموره، قال للدكتور:

- أما أنا فقد حصلت على حق اللجوء هنا، وتعلمت الألمانية قليلاً. لم أحصل على عمل حتى الآن لأنني كنت أساعد الرفاق، سوف أدبر عملاً لي في مكان ما عن قريب.

بعد حديث طويل، وصلوا إلى محطة "هامبورغ". كانت المحطة تعج بالركاب. نظر "الدكتور سليمان" حوله، إلى الحواجز الزجاجية والسلالم الألكترونية والمصاعد الهابطة والنازلة. كانت هذه المحطة تعتبر

قلب مدينة "هامبورغ" ويمر فيها أربعة عشرة سكة حديدية للقطارات. كانت محطة الحافلات تقع خلف محطة القطارات مباشرة. لذلك كانت تزدحم بالمسافرين دائماً. بعد سنوات طويلة، ولأول مرة يرى الدكتور نفسه بين إزدحام هائل من البشر بذلك الشكل. كان يسير خلف أصدقاءه، حتى وصلوا إلى ساحة واسعة. كان صديقه "مراد" يعتبر دليلهم السياحي، ويود أن يأخذهم إلى نهر "آلستر Alsterê".

كان الوقت شهر نيسان، وقد هطلت بضعة قطرات من المطر وتوقفت. كانت الغيوم البيضاء تعبر فوق تلك السماء، ونسمة هواء منعشة تلف ذلك المكان، وضباب خفيف يغلف ما حول النهر والبنايات من حولها.

كانت أسراب الإوز في النهر، لا تخاف من البشر، وكل يوم آحاد، كان أهالي تلك المدينة يخرجون من بيوتهم للتنوه ويسيرون بجانب النهر. كانت المدينة كلها في ذلك اليوم ببشرها وحيواناتها وطبيعتها تعيش في ألفة وسكينة وسلام.

لقد عانت هذه المدينة كثيراً من الحروب، لكنها نزعت عنها ثوب المأساة وبدأت ترتدي ثوب السلام. لقد أحرقوا هذه المدينة إبان الحرب العالمية الثانية. كانت طائرات الإنكليز والكنديين تقصفهم ليلاً، وطائرات الأمريكيين في النهار. يُقال أن حوالي تسعة أطنان من المتفجرات والقنابل قد ألقيت على هذه المدينة، وقُتل من سكنها حوالي إثنان وأربعين ألفاً، وأكثر من مليون شخصاً من سكانها هاجروها حينذاك. حتى أن إوزها وحماماتها قد هاجرت منها.

قرر الدكتور أن يقيم في هذه المدينة التي يستطيع فيها الخروف والذئب التعايش سوية. توجهوا إلى المقاهي على ضفاف النهر. مقاه راقية جداً، حيث يضعون كراسيهم وطاولاتهم تحت مظلة ملونة بألوان فاتحة. جلس الدكتور ورفاقه على إحدى الطاولات. قال له "مراد":

- هناك ممرات خاصة للمشي والركض على ضفتي النهر، ويومياً تشاهد العشرات يقومون بالرياضة الصباحية والمسائية أيضاً. الطقس هنا منعش جداً، وفي كثير من الأماكن تجد النهر يعبر بين الأحياء، وتجد الكافتريات والمقاهي من حولها.

حين كان "مراد" يتحدث لهم عن المكان، ترك أحد الكلاب صاحبه وجلس أمام "الدكتور سليمان" على قوائمه الخلفية. نظر إليه الدكتور وقال:

- أتوقع أن الكلاب أيضاً في هذه المدينة لا يهاجمون البشر.

ضحك مراد وقال:

- إنهم يرسلون كلابهم إلى مدارس خاصة يا دكتور ويدربونهم أيضاً. هناك علاقة وطيدة بين البشر و الحيوانات هنا.

- في بلادنا، الكلاب والبشر أعداء. حين يلمح الكلاب البشر، يهاجمون عليهم، والبشر أيضاً، يقتلون الكلاب متى ما يحلو لهم ذلك. هناك حرب مستعرة ودائمة بين الإنسان والكلاب في بلادنا.

قال "مراد":

- سافرت قبل أشهر إلى مقاطعة "بيرن" السويسرية، تلك المقاطعة جبلية وفيها غابات كثيفة، ويعيش في تلك الغابات والجبال الكثير من الذئاب والدببة. في سالف الأزمان، كانت هذه الحيوانات تشكل خطراً على البشر هناك، لذلك عقدت بلدية المقاطعة اجتماعاً ووصلوا إلى قرار بأن يأخذوا لتلك الحيوانات الخراف والأبقار المذبوحة كي يأكلونها، وبذلك لم تهاجم هذه الحيوانات البشر أبداً.

علق الدكتور على كلام "مراد" قائلاً:

- لو كان عندنا، لكنت ترى البشر يهاجمون على تلك الخراف المذبوحة قبل الذئاب والدببة، وكانوا

سيضعون كميناً لتلك الذئاب كي يقتلونها. الظاهر أن الحياة عندنا هي حرب مستمرة بين الحيوانات البشر، ولا حل ثالث أمامنا، إما القتل أو الموت.

بعد جلوسـهم لمدى طويلة في ذلك المقهى، قاموا من مكانهم ينوون رؤية معالم المدينة. ساروا في تلك الممرات بين المقاهي، حتى وصـلوا إلى مبنى البرلمان، ومن هناك رأوا المباني القديمة والقبب العالية المبنية بهندسـة معمارية فريدة. كان مبنى البرلمان أشـبه بأيقونة عالمية مكتملة من كل النواحي، لا تفي الكلمات حقها. مبنية بالحجارة المرصـوفة فق بعضـها. بحسـب معلومات "مراد" فإن ذلك المبنى جرى ترميمه في سـنة 1897، ويحتوي على سـتمائة وسـبعة وأربعين غرفة. كان المبنى يعج بالتماثيل وكانت أشبه بالتماثيل الرومانية القديمة.

كان في ساحة المبنى المزدانة بالعشب الأخضر قد صنعوا قبة من التماثيل. تم نحت تلك التماثيل في سـنة 1895- 1896 من قبل النحات "جوزيف فون كرامر Joseph von Kramer". كان سـكان هذه المجينة يعيشون في غرف صغيرة مبنية من الخشب، وكانت تفتقر إلى مياه الشرب، والتي أدت إلى فقدان ثمانية آلاف من أهل المدينة بمرض الكوليرا لحياتهم في سـنة 1892، لذلك قام هذا النحات خلود هذه الكارثة في أذهان أهل المدينة عبر هذه التماثيل البرونزية التي نحتها.

كان "مراد" سيشرح له قصص تلك المنحوتات، لكن المحامية "رَنا" دقت على هاتف الدكتور وقالت له: "سأزورك من أجل قضية لجوءك، ومن أجل ذلك عليّ أن التقي برفاقك أيضاً." قال الدكتور ما تطلبه منه المحامية، ثم قال لهم: "مدينة هامبورغ مدينة كبيرة جداً، لا نسـتطيع أن نجوب كل مكان فيها في أيام ولا في شهور. من الأفضل أن نعود. عليّ ان أعود وألتقي بالمحامية وأحل معها مسألة لجوئي."

حين خرج الدكتور من الباب الكبير لمبنى البرلمان، لاحظ كتابة مكتوبة على بابها، فطلب من "مراد" ترجمة تلك العبارة، فقال لها: "ما هو مكتوب هو: الحرية التي نالها الآباء والأجداد، على الأحفاد أن يحافظوا عليها."

توجه الدكتور لملاقاة المحامية "رَنا" التي قدمت إلى مدينة السـليمانية لأجله وسـاعدته في أصـعب ظروفه.

اجتازوا مبنى البرلمان، لفت انتباه الدكتور تمثال لرجل منحوت على شـكل غريب، كان رأسـاً عجيباً بدون عيون، يده اليمنى تحت ذقنه ويده اليسرى على صدره، عليه معطف طويل، ويرتدي جزمة في قدمه. وكإن التمثال مزعوج من ألمانيا ويفكر في مستقبله. نظر الدكتور إلى الإسم المكتوب تحت التمثال، فكان مكتوباً "هنري هيني Heinrich Heine" .

كان هذا الشـاعر من أصـول يهودية. كان اليهود في زمنه ممنوعون في ألمانيا، وكي يبقى في ألمانيا، غيّر دينه وأصبح بروتستانياً. كانت قصائده وانتقاداته تزعج ألمانيا حينذاك، لذلم هاجر إلى باريس ومنعت كتاباته في ألمانيا حتى سـنة 1835. بعد مرور مائة وخمسـين عاماً، نصـبوا تمثال هذا المفكر في هذه الساحة، وتعد هذه البادرة ذات دلالات كثيرة من قبل الألمان.

www.arsivakurdi.org

حين وصل "الدكتور سليمان" ورفاقه إلى مدينة "بريمن" كان الظلام قد حل. حين خرجوا من المحطة، طلب رقم المحامية في هاتفه وقال لها: "أنا الآن في بريمن، متى نستطيع أن نلتقي؟" فردت عليه: "أود أن أراك في هذا المساء إن كان مناسباً لك ذلك." قال لها: "لا يوجد أمامي أي عمل، سأكون بانتظارك أمام باب محطة القطارات هنا." أغلق الهاتف وقال لرفاقه: "تستطيعون الذهاب، أما أنا فسأنتظر المحامية هنا." ودعه رفاقه وتوجهوا صوب محطة الترام.

كانت "رَنا" تعيش في مدينة "بريمن" منذ سنوات طويلة. كانت في متوسط العمر وذات شعر أشقر، وعيون خضر وملامحها جميلة. كانت يسارية الآراء، كانت منذ سنة 1990 قد دخلت في قضية لحزب العمال الكردستاني في مدينة "دوسلدروف". وبعد تلك القضية، أصبحت معروفة من قبل "PKK".

حين سمعت "رَنا" أن "الدكتور سليمان" ورفاقه قد انشقوا عن الحزب، توجهت برفقة البرلمانية اليسارية "أولاا جيلبكه Ulla Jelpke" إلى مدينة السليمانية وتعرفوا على بعضهم البعض هناك. كان الدكتور يشعر أن هذه الإنسانة تتعاطف معه بشكل كبير، وقد سرد لها قصة ابنته "سوما" التي أرسلها إلى ألمانيا.

كان هناك شيء ما يربطهم ببعض، لكن الدكتور لم يفكر بمدى عمق تلك العلاقة. رآها قادمة صوبه وقد قصرت شعرها الأشقر. مدت يدها إليه تصافحه ورحبت بقدومه إلى ألمانيا.

كان الدكتور يهتم كثيراً باللغة الانكليزية منذ ان كان يدرس الطب في جامعة "چوكوروڤا"، وفي مدينة السليمانية أيضاً كان ينتهز الفرصة لتعلم هذه اللغة حتى أصبح يجيدها بطلاقة. لكن لغة "رَنا" الانكليزية لم تكن جيدة، إلا إنهما كانا يفهمان من بعضهما جيداً. قالت له: "لنذهب إلى السيارة." توجها إلى المكان الذي ركنت في المحامية سيارتها وانطلقا صوب المكان الذي سيجلسون فيه.

كانت "رَنا" تعرف مدينة "بريمن" جيداً، وكانت قد حددت مسبقاً إلى أي مكان سيذهبون، فأخذته إلى مطعم قريب من نهر "ويسر Weser" لتناول السمك والشراب هناك.

بعد جلوسهم في المطعم، تقدم منهم النادل وناولهم قائمة المأكولات. لم يكن الدكتور يجيد حرفاً من اللغة اللاتينية، لذلك نظر إلى "رنَا" محتاراً ما يطلب. أدركت بدورها ذلك وباتت تريه أنواع السمك هناك. ثم طلبت نوعاً شهياً من السمك واتفقا على تناول النبيذ الأبيض مع طعامهم.

ارتشفوا بضعة رشفات من النبيذ، بعدها بدأت "رَنا" تتحدث له عن حياتها في مدينة بريمن، وقالت له: "لقد ربيت ثلاثة أطفال، وقد كبروا الآن. انفصلت عن زوجي وأعيش وحيدة الآن." حين قالت ذلك، نظرت في عيني الدكتور. قد تكون هذه الإنسانة تبحث جل حياتها عن شخص مثل "أرنستو تشي غيفارا" ووجدته أخيراً. لم تحتسي "رَنا" الكثير من النبيذ لأنها كانت ستقود السيارة. حين أنهى الدكتور كأسه، قالت له: " لن نشرب المزيد من النبيذ هنا. لنذهب إلى بيتي ونتحدث هناك عن طلب لجوءك." لم يعترض الدكتور على اقتراحها هذا.

كان منزل "رنا" كبيراً وواسعاً. ممره يفضي إلى قاعة واسعة يتوسطها طاولة كبيرة والكراسي مصفوفة حوله. كانت لوحات كبار الفنانين على الجدران، وأصص للورود على الطاولات. كان المطبخ يقع في الجهة اليسرى من الصالة ومعد على الطراز الأمريكي، وعلى يمين المطبخ كانت هناك نافذة واسعة وباب يفضي إلى حديقة المنزل.

حين سحب الدكتور كرسياً من وراء الطاولة وجلس عليه، جلبت "رنا" قنينة من النبيذ وكأسين من

المطبخ وبدأت تصب النبيذ فيهما. ثم ضغطت على زر الموسيقا في الجهاز بقربها وانبعث منه أغنية "جاوبيلا". ساد السكون المنزل على وقع تلك الأغنية التي تعني للدكتور الكثير. كانت أضواء البيت وأصص الورود وكأنها تتمايل على تلك الموسيقا. حلق به خياله إلى جبال "سيبان" معقل العاشقين "خج وسيامند".

قاطع الدكتور ذلك الهدوء وقال لها: "متى سنذهب إلى دائرة اللجوء؟" كانت "رَنا" تود أن تؤجل النقاش في هذا الموضوع إلى اليوم التالي، لذلك صبت النبيذ مرة أخرى في الكأسات وقالت له: "تحدث لي عن نفسك يا دكتور!" إن كانت تطلب منه أن تتحدث نفسه، فإن الحديث سيطول أسابيعاً بأكملها، لكنه لم يكن يعرف كيف سيشرح لها ذلك، ثم قال: "أنا.. كيف سأتحدث عن نفسي؟ أنا لاجئ. جنرال أضاع جيشه، أو بطل لم يخسر أية معركة خاضها، لكنه ضاع. لا أعلم. سأسرد لك عن كل ذلك حين يحين الوقت لذلك، لكن المشكلة الآن هي اللجوء. كيف سيكون وضعي ووضع رفاقي من الناحية القانونية؟ تحدثي لي عن ذلك." قالت له: "أترك كل ذلك عليّ أنا، سأحل كل ذلك. سنتحدث غداً في ذلك. بعدها وضعت يدها على يده وقالت له: "أقضي ليلتك بقى هنا". دخلوا إلى غرفة أخرى وأطفأوا الأضواء.

كان من عادة الدكتور أن يستيقظ باكراً من النوم. قام وتوجه إلى الحمام، بحث عن المناشف والصابون فيه، ثم فتح صنبور الماء الساخن والبارد وبدأ يتحمم تحت الدوش. لأول مرة بعد عشرة سنوات، يتحمم الدكتور بالماء الساخن في حمام جميل وفخم كهذا.

خرج من الحمام، وبدأ ينشف جسده بين بخار الماء، ثم خرج ينشف شعره. لبس ثيابه وخرج إلى الحديقة. أخرج هاتفه كي يتصل برفاقه.

- أين أنت يا چكو؟

- أنا قادم بالقطار، وهايام وروكن سيأتون بالسيارة من منزل أخي.

- حسناً، هل تعرف الطريق إلى هنا جيداً؟

في تلك الأثناء خرجت "رَنا" من غرفة النوم وهي ترتدي جلباب النوم، وحين سمعت صوت الدكتور، اتجهت إليه في الحديقة. نظر إليها الدكتور وقال:

- چكو في طريقه إلى محطة بريمن، كيف أشرح له العنوان.

شرحت له العنوان بالتفصيل، وبدوره لقن " چكو" العنوان:

- أنظر يا چكو،حين تخرج من المحطة، سر إلى الأمام ولا تلتفت إلى اليمين أو اليسار، سر مع الجدار الحجري الذي يقع على يدك اليمين، بعد مسيرك لبرهة سوف تجد قطيع من الخنازير وكلب وراع. قف هناك وسنأتي بالسيارةكي نأخذك من هناك.

- هل تمزح معي يا دكتور؟ عن أي قطيع وأية خنازير وكلاب تتحدث؟

- لا أعلم يا چكو، رَنا هي من قالت لي ذلك. قالت أن هناك راع وقطيع من الخنازير وكلب. تُرى هل هم حقيقيين يا چكو؟

أغلق "چكو" الهاتف وهو يقهقه. أنهت "رَنا" تجهيز نفسها وتوجه الدكتور على الفور إلى السيارة. كان في لهفة لرؤية قطيع الخنازير ذاك. ركنوا السيارة في مكان ما هناك. كانت "رَنا" تبدو سعيدة في ذلك اليوم، كانت تلبس جاكيتاً جلدياً بني اللون، وبنطال قصير. رأوا أمامهم منحوتات لقطيع من الخنازير وكلب وراع هناك رافعاً يده. كان "چكو" واضعاً يده على ظهر تمثال الراعي ينتظرهم هناك. بعد ام مسك الدكتور بيده، قال له: "هل قد رأيت الخنازير وأصبحت صديقاً للراعي أيضاً." وضع يده على رأسه على رأس تمثال الكلب وبدأ يمسح عليه بيده. كانت المنحوتات مؤلفة من خمسة خنازر (خمسة خنازير) وكلب

والراعي. حسب ما قالت "رَنا" فإن تلك التماثيل تعود إلى العصر الوسيط، في زمن كان رعاة الخنازير يأخذون قطعانهم إلى السوق لبيعها، وقد أراد النحات أن يعيد إلى الأذهان تلك الحقبة بمنحوتاته تلك.

توجه ثلاثتهم إلى مبنى قريب من هناك فيه كافيتريا واسعة وجميلة. كان "سليم" و"آيسل" و"سوما" أيضاً سوف يتوجهون إلى هناك، خاصة من أجل قضية لجوء "سوما" التي لم تحصل بعد على أوراق اللجوء. كان "أليزابيت ولفهولهم Elizabeth Woolfheim" قد حصلت من أجلها على ورقة طبابة خاصة فقط، حيث تستطيع بموجب تلك الورقة زيارة الطبيب، لكنها لم تحصل لها بعد أية أوراق رسمية.

أما قصة "هايام" و"روكن" الذين كانا سيقدمان من "ووبرتال Wuppertal" فكانت نفس قصة "سوما". حين تركت "روكن" الحزب ونزلت من قنديل إلى السليمانية، تعرفت على "هايام" هناك، وقررا الزواج. أما مسألة مجيئهم إلى ألمانيا، فكانت حين قسموا أنفسهم إلى مجموعتين، المجموعة الأولى كانت مؤلفة من "الدكتور سليمان" و"چكو"، والثانية كانا "هايام" و"روكن"، لكن لأن الأخيرين لم يكونا يملكان الألفي دولار الذي طلبها منهم المهرب، بقيا في إحدى فنادق طهران حتى يؤمن لهم الدكتور المبلغ بعد وصوله إلى ألمانيا، وبعد وصول الدكتور إلى ألمانيا قال فتح الموضوع لأخيه "سليم" وقال له:

- بقي هايام وروكن في طهران لانهم لم يكونوا يملكون ألفي دولار. هناك مجموعة بين الاستخبارات الايرانية يؤمنون تأشيرات الخروج مقابل المال، ويطلبون على كل تأشيرة ألف دولار. إن قمنا بتأمين هذا المبلغ، فإنهم سيستطيعون الخروج من مطار طهران.

- سوف نؤمن المبلغ في برلين، لكن كيف سنرسله لهم؟

- هناك شخص في السفارة الايرانية في برلين واسمه الحركي "حجي". سنسلمه المبلغ وهو بدوره سيرسله إلى طهران.

- سوف نزور الليلة منزل (محمد جان يوجه Mehmet Can Yüce) ونقضي ليلتنا عنده، وفي الصباح سوف نتوجه ثلاثتنا إلى السفارة ونسلم ذلك الشخص المبلغ.

"محمد جان يوجه Mehmet Can Yüce" هو من مواليد قرية "ركاسان"، كان عضواً في اللجنة المركزية لـــ"PKK" قبل الانقلاب العسكري في 12 أيلول سنة 1980. أثناء قيام الانقلاب، ألقي القبض عليه وقضى عشرين عاماً من حياته في سجون الدولة التركية، وكان مسؤولاً عن آلاف المساجين من الحزب حتى في داخل السجن. كتب كتاباً ضخماً عن أوجلان الذي تحت عنوان "نهاية خطأ"، وقام بطباعته حين وصوله إلى المانيا.

قضى "سليم" والدكتور ليلتهم عنده وأرادوا أن يشهد على بعض الأحداث، فقد قضى سنوات طويلة في السجن، لذلك قال له "سليم":

- جهّز نفسك، سوف نذهب سوية إلى السفارة الايرانية غداً.

- وماذا سنفعل هناك؟

- هناك صديقين للدكتور بقيا في طهران. سوف نذهب ونسلمهم النقود كي يستطيعوا الوصول إلى هنا. أنظر إلى قدرنا نحن الكُرد، هناك جزء من وطننا يرزح تحت الاحتلال التركي، تقوم دولة الاحتلال هذه بالقبض على على رفاقنا وتزج بهم في السجون وتقتلهم، وهناك جزء آخر تحت الاحتلال الايراني، وهؤلاء يطلبون على شخص مبلغ ألفي دولار، ويقولون لنا بإننا سوف نخلصكم بهذا المبلغ من القتل والسجون. للأسف، هذه هي حقيقتنا.

في اليوم التالي توجهوإلى السفارة الإيرانية وسلموا المبلغ لذلك الشخص، وبعد أيام وصل كل من "هايام" و"روكن" إلى مطار مدينة "بون" الألمانية.

رأى الدكتور "سليم" و"آيسل" و"سوما" عند باب الكافيتريا، صافحوا بعضهم البعض، ثم طلبوا بعض العصـــائر وفناجين القهوة. فتحت "رَنا" ملفاً أمامها وقلبت أوراقه، ثم قالت بالألمانية "چوروككايا بگ" ونظرت في عيني الدكتور قائلة:

- لقد انهيت كل الترتيبات. جمعت كل الكتابات عنك في الصـــحف الألمانية. الآن بقي الأمر على إفادتك في المحكمة، وعلينا أن نتحدث في ذلك.

في تلك الأثناء، دخل المترجم "حســـين"، صـــافح الجميع وجلس. كان مجيئه جيداً، حيث أن لغة "رَنا" الانكليزية لم تكن على ما يرام. بعدها، رد الدكتور على "رَنا" قائلاً:

- أرى أن أقول كل شيء في المحكمة وبكل صراحة. لقد نشرنا كل شيء للرأي العام، وأصدرنا البيانات وأدلينا بالكثير من التصريحات للإعلام، وقد نشرت في الإذاعات والفضائيات وتدوالت العديد من الأقنية أخبارنا.

بعد أن ترجم "حسين" كلامه لـ"رنا"، قالت بدورها:

- المحكمة سوف تسألم عن كيفية وصولك من السليمانية إلى هنا. علينا أن نتناقش في هذا الأمر أولاً.

قال لها الدكتور:

- هل هناك مشكلة لو قلنا لهم عن طريقة مجيئنا بصراحة؟ لقد أتينا بجوازات سفر يونانية. أي، إنهم إذا سألوننا من أين حصلتم على تلك الجوازات، سنقول لهم إننا أصدرناها مقابل مبلغ مالي. حين أصدرنا هذه الجوازات، قامت الاســـتخبارات الايرانية بحل هذا الموضـــوع ودفعنا مبلغاً من المال مقابل جواز الســـفر والتأشيرات، وانطلقنا من مطار طهران وهبطنا في مطار بون.

- هل ما زالت تلك الجوازات معكم؟ هل تستطيعون أن تسلمونها إلى المحكمة؟

وضع الدكتور يده في جيبه وأخرج جواز سفره وسلمه إلى "رَنا". تفحصت بدورها الجواز بدقة وقالت:

- هذا الجواز ليس مزوراً، بل إنه حقيقي!

- ومتى قمنا بالتزوير؟ كل خطواتنا سليمة (قالها ضاحكاً)

حين رأت "رَنا" أن كل شيء على ما يرام، قالت:

- المشكلة الثانية والأهم هي: بحسب ما رأينا وشاهدنا في وسائل الإعلام، وهذا الشيء مهم للاستخبارات الألمانية، إن عبدالله أوجلان قد عاد إلى تركيا، وأوقف الكفاح المسلح وقال بإنهم منذ الآن سيقومون بالكفاح الســياســي في تركيا، أما الذين انشــقوا عن حزبه، يودون مواصـــلة الحرب. إن ســألتكم المحكمة عن هذه النقطة، بماذا ستجاوبون؟

كانوا يتناقشون منذ مدة طويلة عن ما قالته "رَنا" لهم الآن. حين جاء أوجلان إلى أوربا، بدأ يتحدث عن السلام والحرية والديمقراطية. لكنه لم يكن يفقه شيئاً عن الديمقراطية ولا الحرية ولا السلام. كان أداة بيد غيره، ينفذ ما يُطلب منه. كان هذا الموضـــوع في يد القيادة العامة التركية، ولأن الدكتور أدرك أن اقناعهم بهذا الكلام سيكون صعباً، قال للمحامية:

- منذ مدة طويلة كنا ضد منطق الحرب الذي أعلنه أوجلان. كان أوجلان محمياً من قبل سوريا وتركيا، وقد اســـتغلته هاتين الدولتين وجعلوا من الحزب حزباً إرهابياً. من قتل المدنيين، والنشـــاطات المتطرفة للحزب في أوربا، كل ذلك كان بتخطيط من سوريا وتركيا، وعبدالله أوجلان هو من نفذ هذا المخطط. نحن لسنا ضد أوجلان الذي يقبل بالسلام ولا ضده حين يفرض الحرب، لكننا ضد أوجلان الذي بنى ديكتاتورية في حزبه، وجعل تنظيمه في يد ايران وتركيا وسوريا. نحن ضد أوجلان الذي لا يحارب تركيا، بل يحارب الكُرد. لقد وضعنا أسلحتنا وأتينا إلى أوربا كما ترون الآن. لقد تم تهديدنا بالسلاح. أصدر عبدالله أوجلان

حكم الإعدام بحقنا. تقولون أن أوجلان يريد السلام؟ حسناً، إن كان يود السلام، لماذا يصدر أحكام الإعدام بحث رفاقه القدماء؟ حين كما في قنديل، أرسل إلينا أوجلان أوامره بالهجوم على حزب الاتحاد الوطني الكردستاني الذي يرأسه جلال طالباني. لقد عارضنا أمره هذا، لكن من نفذ أوامره قام بمهاجمة مقرات ذلك الحزب وقتلوا قرابة خمسين مقاتلاً من البيشمركه. هل هذا هو السلام الذي يريده؟ إن كان أوجلان شخص يريد السلام لما كنا نأتي إلى هنا. سأقول في المحكمة بأننا صد سلامه وضد دعواته للحرب أيضاً. لأننا ندفع الضريبة من الطرفين على حد سواء.

استمت "رَنا" إلى "حسين" وهو يترجم كلام الدكتور، ثم قالت:

- في النهاية فإن الحاكم هو من سيبت في هذه المسألة، وعليكم أن تكونوا مستعدين لذلك.

كاد الدكتور أن يعلق على كلامها، لكن وصول "هايام" و"چكو" و"روكن" جعل الجميع يقفون لمصافحتهم. حين رأت "سوما" قدوم "روكن" ركضت إلى حضنها، فهي تعرف منذ ان كانت في السليمانية. قبلتها "روكن" وأجلستها في حضنها. بدأ الدكتور يتحدث للقادمين عن فحوى نقاشهم مع المحامية، ثم أدلى كل واحد منهم برأيه أيضاً، حتى اقتنعت المحامية بكلامهم. بعدها دفعوا فاتورة حساب الكافيتريا وقاموا من أماكنهم، فقد كانوا ينتظرون جلسة لهم في الساعة الثالثة من نفس اليوم.

في جلسة الساعة الثالثة، بدأت "رَنا" تدلي ببعض المعلومات عن "سوما" للقاضية في المحكمة. نظرت القاضية إلى "سوما" التي كانت في حضن "آيسل" وابتسمت لها، فهي كانت تعرف مسبقاً قصتها من خلال "رًنا". ذهبت القاضية إلى غرفة أخرى وجلبت لعبة لـــ"سوما". كانت اللعبة عبارة عن ضفدع من القماش فاتح فمه، وسلمته إلى "سوما"، ثم قالت لـ"آيسل": "تستطيعون أنتِ وسوما الخروج، فنحن لا نأخذ الإفادات من الأطفال". كانت "سوما" لا تود الخروج، لكن "آيسل" اقنعتها وقال لها أن لديهم عمل سينهونه ثم سيلتحقون بنا. بدأت القاضية بالاستماع إلى إفادات الحاضرين الواحد تلو الآخر. استلمت منهم جوازات سفرهم. كانت إفاداتهم منطقية، وكانت التصريحات الصادرة في الإعلام توثق كل ما يقولونه.

اقتنع الجميع بأنهم سيحصلون على حق اللجوء حين خرجوا من قاعة المحكمة. قال لهم المترجم "حسين":

- إن كان لديكم الوقت أود أن أعزمكم على الأكل في مطعم مشهور هنا.

قالت له "رَنا":

- أعذرني، فلدي عمل في مكان آخر علي أن أقوم به.

سلمت مفتاح منزلها للدكتور وودعتهم.

قال "حسين":

هناك مطعم معروف هنا، ويقدم ماكولات شهية. ما رأيكم لو نذهب إليه؟

قبل الجميع بعزيمته وخرجوا متوجيهن إلى هناك.

قرر "الدكتور سـليمان" تعلم اللغة الألمانية. كما إنه كان يود تطوير لغته الانكليزية. باقتراح من "رَنا"،سـجل إسـمه في معهد "غوته". كان يجيد الكردية الزازكية والكرمانجية والقليل من الكردية السورانية. كان يعتقد بإنه من خلال لغته الانكليزية ستعلم الألمانية بسهولة. إذاً، بعد إثنا عشرة سنة عاد طالباً، وكان بدوره سـعيداً بذلك. كان يقوم في الصـباح الباكر، بعد تناوله لفطوره ينطلق إلى محطة القطارات في مدينة "بريمن" ويسـير من هناك حتى "ريمبرترنك Rembertiring"، وكان يصـل إلى المعهد، ويجلس في صفه المكون من ستة عشرة طالباً، وفور وصوله، يقول للجميع بالانكليزية "Good Morning".

في الدرس الأول، قالت له أستاذته أن "Good Morning" هي بالانكليزية وعليه أن يقول بالألمانية" Guten Tag". حين سألته عن وطنه، قال لها أن وطنه هو كردستان. كان بين الطلبة أشخاص من آسيا، أفريقيا، كوريا، والصـين. كان التعليم هناك على مسـتويات، وأراد الدكتور أن ينهي المسـتوى الثاني، ثم يُكمل البقية في الجامعة.

مع أن الدكتور ترك دراسة الطب في السنة الثالثة، إلا إنه لم يكن يستسيغ العودة إلى ذلك الاختصاص.

كانت هناك مؤسـسـة في ألمانيا واسـمها "الجوب سنتر"، تقدم للاجئين مصـاريفهم من مأكل ومشـرب وتقدم لهم مستحقاتهم أثناء زياراتهم للمشـافي والأطباء. كانت "رَنا" تنظر باسـصـغار إلى الذين يأخذون مستحاقاتهم من "الحوب سنتر"، فهي كانت يسارية، وكانت تحافظ على الجوب سنتر أكثر من أي موظف حكومي.

لم يكن الدكتور يود أن تصـرف صـديقته "رَنا" عليه، لذلك، أصـبح يبحص عن عمل له. أراد أن يعمل ويدرس في نفس الوقت، وبعد مدة وجيزة، دبر لنفسـه عمل في دائرة الضـمان على العجزة والمتقاعدين، ولأجل ذلك، كان عليه أن يحضر بضعة دروس لتعلم تلك المهنة.

بعد تلقيه الدروس، بدأ الدكتور بالعمل، وبدأ بدوره يلقن الدروس لغيره، حتى إنه حل كل مشاكله المادية في مدة قصـيرة، كما إنه أنهى المستوى المتوسط من دراسـته للغة، وبعدها أراد تسـجيل إسـمه في إحدى الكليات. لاقى صـعوبة بالغة في مسألة تأمين أوراقه الدراسية من مدارس وجامعات "چوكوروڤا"، وطلب المسـاعدة من "رَنا" التي حلت له هذا الإشـكال، بذلك، اكتملت كل أوراقه وسـجل إسـمه في جامعة " Bremen Hochschuleyê" قسم التربية.

كان التخرج من هذا القسم بحاجة إلى ثلاثة سنوات من الدراسة. اختار الدكتور هذا القسم لأنه كان يحب الغوص في العلاقات الاجتماعية بين البشر، لذلك اصطحب معه "رَنا" إلى مبنى تلك الجامعة المكونة من عشرة طوابق، وبعد بحث حثيث عن القسم التربوي فيها، استطاعوا الوصول إلى القسم وتسجيل إسمه كطالب فيه. بعد أن أنهى إجراءات قبوله في الجامعة، خرج مع "رَنا" وطلب منها التعرف على الجامعة وأقسـامها اكثر، فوافقته على ذلك. بدأ سـليم ينظر من حوله، تسـلقا بعض الأدراج إلى الطابق الآخر. رأى الدكتور رفوف الكتب على الجدران هناك، وبدأ ينظر إليها باهتمام. بعد الانتهاء من جولتهم تلك، طلب من "رَنا" الذهاب إلى كافيتريا الجامعة لاحتسـاء القهوة. ذهبوا إلى هناك، كان الطلبة هناك يحتسـون القهوة والعصـائر، ومنهم من يعمل على جهاز كمبيوتر أمامهن والبعض الآخر يحتسـي السـاندويتشـات. ذهب الدكتور وجلب القهوة له ولصديقته. أعجب الدكتور بمكان الجامعة وأجواءها التي كان سيبدأ الدراسة فيها بعد مدة قصيرة.

حين استقلا القطار، رن هاتفه، كان أخاه "نجم الدين" يتصل به، وقال له: "لقد أتى صديقك دريژ وهو ينتظرك هنا يود رؤيتك." كان الدكتور متشوقاً لرؤية صديقه الگريلا كثيراً، لذلك قال لأخيه:

- أعطه الهاتف، اود التحدث إليه.. حمداً لله على سلامتك يا دريژ. أنا قتدم الآن.

اعتذر من "رَنا" وغيّر بطاقة القطار إلى "آرستين" متوجهاً إلى منزل أخيه. كان قد سمع أن "دريژ" قد هرب من معسكر "خنيرى" القريب من قنديل ولجأ إلى ايران، وقد ساعده الدكتور في وصوله إلى ألمانيا. إذاً، لقد نجا صديقه من ذلك الجحيم ووصل إلى ألمانيا.

حين دخل صالة بيت أخيه الواسعة، رأى العديد من أصدقاءه وأقرباءه جالسن هناك ومسحة حزن على محيا الجميع. بعد ان رحّب بقدوم "دريژ"، سأل من حوله: "ما الأمر؟" جاوبته زوجة أخيه: "العمر الباقي لك يا دكتور، لقد توفي والدك!"

اكتفى الدكتور بالسؤال: "متى؟" رد عليه أخاه "سليم" قائلاً: "قبل ساعة من الآن ساءت حالته، كان يتناول أدوية مرض القلب، وحين انتهى دواءه، لم يشتري لنفسه مرة أخرى، لذلك ساءت حالته وأخذه جارنا حسين بسيارته إلى المشفى في چوليگ، وحملوه بمساعدة بعض الأقرباء إلى هناك. يقول حسين جارنا إنه ذهب لمناداة أحد الدكاترة، وبعد مرور دقائق بعد عودته مع الطبيب، رآه قد أسلم الروح." رفع ". في يوم 2001/12/27 ودع والدهم "سليمان" الحياة. ذرف الدكتور الدموع، ولم يعد يدري كيف يتصرف. لم تسنح له الفرصة للتحدث مع صديقه "دريژ" إلا في المساء.

كان جسد "دريژ" قد أصبح هزيلاً أكثر. عيناه غائرتان، وكفا يديه أصبحتا كبيرتين، ولأنه حلق شعر رأسهن كانت أذناه تبدوان أكبر من المعتاد. قال له الدكتور:

- أعلم كيف قبضوا عليك حين عدت من السليمانية وعذبك (علي كجى) كثيراً. تحدث لي عن ما جرى لم بعد ذلك.

- لقد رأيت وعايشت الكثير يا دكتور. لا تكفيني الأيام والأسابيع حتى أسرد لك كل شيء.

- ماذا فعلوا بكم حين أخذوكم إلى المعسكر؟

- ماذا فعلوا؟ أخذونا إلى (خنيرى) وهناك كانت هناك حفر قريبة من غرف التدريب. وضعونا في تلك الحفر التي يبلغ عمقها حوالي المتر ونصف. كان علينا أن نبقى واقفين على أقدامنا. هل تعلم ما كان يغيظني هناك؟ كانوا قد لقنوا الگريلا الذاهبون إلى الدروس أن يبصقوا على وجهي كلما مروا من هناك. أما الحراس الذين كانوا يحرسوننا، كانوا في الليل يتبولون علينا.

- قتلوا هارون إبن عبدالرحمن درى؟

- هو، وابن نورا شنى، كما قتلوا الكثير من الرفاق. حين فضح أمر قتلهم لهؤلاء في الإعلام، بدأوا يحسنون معاملتهم معنا قليلاً.

- كيف استطعتم الهرب من هناك؟

- كنت أنا و(زازا) قد وعدنا بعضنا على أن نستغل أقرب فرصة للهرب. هو بدوره هرب في إحدى المرات ووصل إلى ايران، لكنهم ألقوا القبض عليه مرة أخرى. دخل والده على الخط حينها وأنقذ حياته. حين أردنا الهرب سوية، دخلت فتاة من الگريلا واسمها "زلال" معنا على الخط وأرادت بدورها الهرب معنا، وقبلنا بها معنا. في السابق كان الهرب هيناً، لكنهم، حين رأوا الكثيرين يهربون، بدأوا بزرع الألغام حول المعسكر، وكان علينا أن نعبر حقل الألغام في هربنا. في إحدى الأيام، وفي تمام الساعة التاسعة مساء، كان الجميع يتفرجون على أحد البرامج في التلفزيون، فاستغلينا الفرصة، وعبرنا حقل الألغام واستطعنا النجاة والوصول إلى ايران.

حين انتهى حديث الدكتور مع "دريژ" عن مسألة هروبه، بدأوا يتحدثون عن مسألة لجوءه في ألمانيا. كان "سليم" جالساً بالقرب منهم ويستمع إلى كل ما قاله "دريژ"، فقال له: "سوف أجري لقاء معك تتحدث فيه عن ذكرياتك وما جرى معك هناك، كي يتعرف الشعب على ما قاموا به تجاهكم. قل ما تود قوله كي للمحكمة هنا أيضاً.

وافق "دريژ" على طلبه. طال حديثهما لساعات. كان ما يسرده "دريژ" غريباً وعجيباً، وقد ترك الكثيرون صفوف التنظيم بسبب تلك التصرفات الغريبة التي كانوا يقومون بها. حين سرد "دريژ" قصة إطلاقه لطلقة أثناء الكمين على الپيشمرگه في منطقة "آميدية" والقائهم القبض عليه بسببها، واقتيادهم له إلى المقر وحكموا عليه بالإعدام ، بعدها ذهب لجلب "هبون" من جبل "گارێ". قاطعه الدكتور قائلاً له: "ما هي أخبار هبون، هل تعلم أين هي الآن؟" سحب نفساً عميقاً وبدأ يذرف الدموع، ثم قال: "لقد قتلت رمياً بالرصاص في عملية في منطقة جولميرگ."

بعد أيام غادر "دريژ" مدينة بريمن، وبمساعدة الدكتور حصل على حق اللجوء في ألمانيا، وسكن في معسكر للاجئين في منطقة بعيدة عن بريمن.

وصله خبر من صديقه "گابار" في هذه المرة. كان هو وصديقته في ايران. استطاع الدكتور عن طريق أقرباءه الحصول على رقم هاتفه، وحين اتصل به، قال له "گابار": الآن أنا وصديقتي في ايران ومعنا جوازات سفر مزورة." ولأن علاقة الدكتور كانت وطيدة مع "گابار"، لذلك سأله: "من هي صديقتك؟ هل أعرفها؟" رد عليه قائلاً: "نعم، تعرفها، إسمها تارا وهي من منطقة موش." فرح الدكتور بهذا الخبر. سأله مرة أخرى عن تأشيرات الخروج من طهران، فقال له "گابار" بإنه يتصل به من أجل هذا الأمر. قال له الدكتور:

- هناك جماعة هناك يقومون بهذا العمل، لكنهم يطلبون مبلغ مالي مقابل ذلك.
- نعم، لقد أمننا المبلغ.

اتصل الدكتور فوراً بذلك الشخص الذي أمّن له التأشيرات، ورد عليه هذا بأنه جاهز لذلك.

كان قد أصيب "گابار" في سنة 1995 بطلقة في رأسه بالقرب من منطقة "آميدية" وقد نجا من الموت بأعجوبة. كانوا قد أخذوه إلى معسكر بعيد عن المنطقة، لكنه حين شفي من جرحه، سمع أن الدكتور ورفاقه قد تركوا الحزب. وفي خريف تلك السنة، قرر هو وصديقه "بدران" الفرار أيضاً.

حاولوا مرتين الفرار، مرة ابتعدوا عن المعسكر، لكنهم شاهدوا في طريقهم مجموعة من الگريللا، لذلك عادوا أدراجهم إلى المعسكر، وفي المرة الثانية، ساروا صوب جبال زاغروس، لكن الهطول الكثيف للثلج كان عائقاً أمامهم، وخافوا أن يضيعوا في تلك الجبال. لذلك عادوا مرة أخرىينتظرون حلول فصل الربيع.

بعد يومين اتصل به "گابار" وقال له: "في الساعة الثانية والنصف سوف تهبط طائرتنا في مطار فرانكفورت، واحتمال أن يلقواالقبض علينا في المطار، لذلك تعال لاستقبالنا برفقة محامي إلى هناك." وافقه الدكتور على ذلك، ثم توجه علىالفور إلى بيت "رَنا".

سرد الدكتور لها وهو ما زال في الممر أمام الباب قصة صديقه "گابار" وكيف حاربا سوية، وكيف أصيب في رأسه في جنوب كردستان، وكيف غاب عن الوعي وأصيب بفقدان في الذاكرة لمدة من الزمن. بعدها قال لها: " سيأتي "گابار" مع صديقة له بعد يومين وينزلون في مطار فرانكفورت. علينا أن نذهب إلى هناك ونساعدهم في الخروج من المطار."

- سيأتون عن طريق التهريب، أليس كذلك؟ أي بجوازات سفر مزورة؟"
- كلا، جوازات سفرهم غير مزورة، وعليها التأشيرة.

ارتاحت "رَنا" لذلك.

في يوم الخميس، قطعوا التذاكر من محطة القطارات في بريمن إلى فرانكفورت.

بعد ان استلم الدكتور جواز سفر اللجوء من ألمانيا، أصبح يسافر بين المدن الألمانية، يزور أصدقائه فيها، وأحياناً ما كان يسافر برفقة "رَنا" إلى دول أوربا الشرقية. لكن بعد الحادثة التي جرت معه حين سافر إلى دولة التشيك، بات يقلص من سفراته تلك. جرت تلك الحادثة على الشكل التالي: في الساعة التاسعة صباحاً حجزا تذاكر سفر بالقطار السريع إلى دولة التشيك، وحين دخل القطار إلى حدود تلك الدولة، أتى عنصرين من البوليس يفتشون جوازات سفر المسافرين. حين ناولهم الدكتور جوازه، تمعنوا فيه ثم أعطوه جوازه وغادورا. أدرك الدكتور حينها أن هناك خطب ما، لذلك قام من مكانه يود الذهاب إلى حمامات القطار. في ممر القطار لمح ثلاثة مدنيين يتوجهون صوبه ويودون الإمساك به، استعد الدكتور للعراك معهم، فهو مدرب على القتال الفردي. لم يكن يعرف الدكتور إنهم عناصر من البوليس، لذلك ضرب الأول برأسه، ولكم الثاني وأراده على الأرض. حين سمعت "رَنا" أن هناك خطب ما في الممر، توجهت إلى هناك ورأت الدكتور يتعارك مع ثلاثة أشخاص، لكن سرعان ما قدم حوالي عشرة عناصر من البوليس وقيدوا يديه خلف ظهره.

أخذوا الدكتور إلى قمرة الأمن في القطار، وبدأت "رَنا" بدورها تتصل بمعارفها في براغ. كان اسم الدكتور على لائحة الانتربول الحمراء، لذلك تم اعتقاله، وكان هناك احتمال أن يسلموه للحكومة التركية. حمل الدكتور هاتفه وبدأ يتصل بصديق له كان يعمل في المحاماة في مدينة "براغ" وأخبره بالتفصيل ما جرى معه. وأخبره إلى أي قسم للبوليس سيأخذونه. بعد وصولهم إلى براغ، أخذوه إلى القسم. أما "رَنا" التي أدركت أن أمر اعتقاله قد يطول لأيام، فقد حجزت لنفسها غرفة في إحدى فنادق المدينة، وبقيت في القسم تنتظر ما سيجري. بعد برهة رأت الدكتور خارجاً من القسم. من فرحتها هبت من مكانها وبدأت تحضنه.

حين طلبوا سيارة للأجرة للتوجه إلى الى الفندق، سرد لها الدكتور ما جرى معه في القسم قائلاً:

ـ أخذوني إلى المحاكمة، مع أت اسمي موجود على لائحة الأنتربول، زاد عليها ضربي لعنصري البوليس. قبل كل شيء أخذ القاضي إفادات عناصر البوليس. قبل أن ينطق القاضي بالحكم علي، دخل موظف وسلمه ورقة مرسلة بالفاكس وخرج. نظر إلى الورقة، ثم إلي. سألني القاضي: هل كنت تعرف أن المهاجمين عليك هم من عناصر البوليس؟. قلت له: كلا، فهم كانوا باللباس المدني، ولم يقولوا لي إنهم من البوليس، بل هاجموا علي بشكل مفاجئ. بعدها أنت حر الآن. لم أعرف السبب في إطلاقه لسراحي بتلك السرعة، لكنني أعتقد أن هناك من تدخل من قبلك من المسؤولين الكبار.

حين وصل الدكتور و"رَنا" إلى مطار فرانكفورت، لم يجدوا أحداً، كانت الطائرة قد هبطت قبل ساعة من وصولهم. ذهبت "رَنا" لتسأل البوليس عنهم، وسمعت منهم أن هناك شخص قد ألقي القبض عليه، فقالت إنها تود أن تكون محامية له. طالت عملية إطلاق سراح "گابار" عشرة أيام، وحين خروجه أخذوه بسيارة "رَنا" إلى مدينة "دوسلدروف". استقبلتهم "تارا" هناك. فتاة جميلة في متوسط العمر، شعرها أسود وعيناها واسعتان. كانت عيناها تلمعان من فرحتها بإطلاق سراح "گابار"، أما هي فلم يتم توقيفها حينها في المطار.

لم يكن ذلك البيت لـ"تارا" بل كان يسكنه أحد أقرباء "گابار". جلس الدكتور على الكنبة و"رَنا" مقابله. كان الدكتور يود أن يحث "گابار" على الحديث، لكنه لم يكن يعرف كيف يفتح الموضوع معه. لمح علبة تبغ حديدية أمامه. كانت العلبة من التبغ الايراني، حين فتحها، لم يجد فيها أي تبغ، بل على رأى إسم

www.arsivakurd.org

"تارا" مكتوباً على غطائها. سأل "گابار" قائلاً:

- هذه العلبة لك؟

- إنها هدية من تارا.

أدرك الدكتور أن هناك قصة لعلبة التبغ هذه، فسأله:

- كيف تجرأت أن تكشف علاقتك مع تارا؟

- لقد تعرفت عليها في قنديل. كان هناك شاب في وحدتنا اسمه زنار، أصيب بطلقة في رأسه، فقد على أثرها إحدى عينيه، ولم تكن هناك فرصة لمداواته، فبات رأسه كله متورماً من تأثير الجرح. قبل أن يصاب بذلك الجرح، وحين سلم أوجلان نفسه، بدأت الاجراءات في الجبل تخف من ناحية العلاقات بين الجنسين، وكان الكثير من الشباب والفتيات يفرون مع بعضهم. كان هذا الشاب قد تعرف على فتاة اسمها "بستا" من منطقة "بوطان" وكان يحبها حباً جماً، وكذلك كانت هي تبادله نفس المشاعر. في نفس الوقت كانت علاقة "تارا" مع "بستا" وطيدة أيضاً. في إحدى المرات حين اختلا الاثنان ببعضهما، بدءا يقبلان بعضهما، فرآهما بعض الحراس واعتقلوهم على الفور، وأثناء التحقيق معهم، اعترفوا أن هناك علاقة بيني وبين "تارا" أيضاً، وأدى هذا الأمر إلى اعتقالنا نحن أيضاً ومحاكمتنا. حاولت مرتين الفرار، لكنني لم أفلح في ذلك، فاضطررت للبقاء حتى حلول فصل الربيع، وأصبحت مجبراً على أن أجعل نفسي مريداً للقائد أوجلان كما أقراني، وكان علي أن أقول لـ"حيدو" "حيدر آغا".

بعد مرور أسابيع على ذلك، استطعت الاختلاء بها، وانتهزت الفرصة للبوح بكل مشاعري تجاهها. كان على المرء في تلك الظروف على أن يعتمد على أساس قوي متين، وإلا فإن ذلك يعني اللعب بالنار بينهم، وأي تصرف خاطئ قد يؤدي إلى القتل. سألتها حينها: هل لديك مقدسات في حياتك؟ نظرت إلي مستفسرة، وقالت: كلا. وكي أطمئن أكثر، سألتها أيضاً: "ولا توجد لديك أية مقدسات أخرى؟". فقالت لي: فهمت عليك، أنت تقصد أوجلان بحديثك. لم أحبه طيلة حياتي. حين قالت ذلك، أدركت حينها إنني أعتمد على أساس متين في علاقتي معها. في تلك اللحظة، أخرجت هذه العلبة من جيبها وناولتني إياها، ثم قالت لي: خذ هذه، ولا تنسني. ثم غادرت مسرعة إلى وحدتها.

فتحت العلبة ورأيت إسمها مكتوباً عليه، فوضعته في جيبي قميصي من جهة القلب، وبقيت معي تلك العلبة حتى الآن. وكأني أستمد قوتي من تلك العلبة، كلما أكون في موقف صعب علي، أضع يدي عليها وأتحسسها.

حين حلول الربيع، عقد "عباس" إجتماعاً معنا، وفي ذلك الاجتماع تجرأت وطلبت منه أن يرسلني إلى شرقي كردستان كي أقوم بالدعاية للحزب في المدن، فوافق على ذلك. حين دخلت إلى شرقي كردستان، هربت إلى السليمانية، وتلك قصة سأسردها لك في وقت آخر، حيث تم القبض علي هناك أيضاً.

- وأين رأيت تارا مرة أخرى؟

جاوبته "تارا" قائلة:

- سمعت من أحد الأصدقاء أن گابار معتقل في السليمانية وهو في دائرة الأمن هناك. ذهبت لزيارته واستطعت اللقاء به.

- أي إنك كنتِ قد هربت من قنديل حينذاك؟

- في إحدى المرات خرجت مع وحدتي إلى مناطق قريبة من حدود السليمانية، فانتهزت الفرصة حين رأيت نبع ماء على مبعدة منا، وقلت لرفاقي بإنني ذاهبة لشرب بعض الماء، واستغليت الفرصة وركضت بكل ما أوتيت من قوة.

أكمل "گابار" حديثه قائلاً:
- حين أفرج عني، التقيت بالرفاق ورأيت تارا. اخرجت علبة التبغ وفتحتها كي ترى إسـمها، فاحمر وجهها. قلت لها: قلتِ لي لا تنساني، وها ترين إنني لم أنساك."
بعدها انتقل "گابار" إلى موضوع آخر:
- أريد أن أتحدث معك في موضوع له علاقة بك.
- ما هو؟
- إن زيڤا، وروجين ماردين ودلو قد ذهبوا من السـليمانية إلى القامشـلي، وحتى الآن لا نعلم عنهم أي شيء.
- أعلم بذلك، ولي علاقة معهم.
كان الدكتور قد سمع أن زيڤاورفاقها في القامشلي، وطلب من أخاه "سليم" كي يتصل بصديق له من القامشلي كي يساعدهم هناك. فحاول "سليم" بدوره لساعات وهو يسأل هنا وهناك حتى حصل على رقم صديقه "مردان" الذي يسكن في القامشلي، وبعد أن أخبره بكل شيء، استطاع "مردان" أن يأخذهم ثلاثتهم إلى قريته في تلك المنطقة.
في يوم 30 أيلول سـنة 2004، كان جالسـاً في الدرس بجامعة هامبورغ، في السـاعة العاشـرة، طرق الباب ودخل بوليس مدني ونادى على الأسم الحقيقي للدكتور: "على سـعيد چوروككايا الخروج من الصف." إلى ذلك اليوم، لم يحدث وان دخل البوليس إلى الحرم الجامعي ويأخذ طالباً من الدرس. كبّل يديه وأخذه، بدون أن يعترض لا الأستاذ ولا الطلبة على ذلك.
أخذوا الدكتور أولاً إلى حجرة الموقوفين، وهناك قالوا له: "إسـمك على لائحة الانتربول بطلب من تركيا، وهم يبحثون عنم، لذلك جلبناك إلى هنا". في نفس ذلك اليوم، سـاقوه إلى مدينة "بريمن" تحت حراسة مشددةن ووضعوه هناك في زنزانة منفردة. كانت المرة الرابعة التي يتم فيها اعتقال الدكتور، مرة في "چوليگ" وأخرى في سجون "PKK" في قنديل، ومرة في مدينة "براغ" عاصمة التشيك، والآن في ألمانيا. كان الدكتور قلقاً من من مسألة لائحة الانتربول، وقد يسلمونه إلى تركيا بناءً على طلبها.
لم يكن لديه معلومات بخصـوص ذلك، لكنه كان يتوقع أن يبقى في المعتقل لمدة شـهرين فقط، حيث أن يعلم أن ألمانيا قد اعتقلت الكثيرين ممن في وضـعه ولم يبقوا في سـجونها لأكثر من شـهرين. كان يقول: "الأفضل أن أنتظر رنا".
أخذوه هذه المرة من باب حديدي إلى حجرة مظلمة، سقفها من الإسمنت وأرضيتها من الاسمنت، وفيها ضوء للانارة موضوعة في سقفها. كانت مساحة الحجرة حوالي ثلاثة أمتار عرضاً وثلاثة أمتار طولاً، لا شـيء فيها سـوى كنبة صـفراء جلدية، وحوض تواليت في الطرف الآخر، وبجانب التواليت ثلاثة أزرار. ضغط على الزر الأول، فسمع صوت خرير الماء في التواليت، ثم ضغط على الأخرى، فرأى الماء ينبعث من مجرى فوق التواليت، وحين ضـغط على الزر الثالث، رأى الماء ينبعث من فوهة أخرى. أجرك حينها أن هناك زر مخصـص لماء الشـرب والآخرين للغسـيل. إذاً، كان قدره هكذا، بعد كل تلك المصـاعب في جبال كردسـتان، لجأ إلى ألمانيا، ولم يكن يعلم إنهم سـوف يعتقلونه هنا أيضـاً. لم يكن يعلم منذ متى واسمه على لائحة الانتربول. احتمال كبير أن تكون تركيا قد وضعت اسمه على اللائحة بعد تركه للجبال، خاصة وان عبدالله أوجلان و دوران كالكان الذان يعملان لصالح الدولة التركية يرفعون التقارير عنه دائماً.
لم يكن يسمحون للدكتور بالتحدث أو اللقاء مع أحد سوى محاميته "رنا". فقد كانوا يشددون هذا الأمر. أما "رنا" فكانت تقول له: "سيأتي ملفك من تركيا، وسيدلي القاضي برأيه بحسب ذلك الملف." إضافة إلى

ذلك، فإنها كانت في دأب مستمر من أجله وتقوم بجمع التواقيع بمساعدة رفاقه. كانت "رنا" تستبعد تسليمه إلى تركيا، لكنها مع ذلك، لم تكن تعتمد على الصدفة في عملها.

في المرة الأولى التي أخرجوها من تلك الحجرة إلى باحة المعتقل، نظر الدكتور إلى السماء الصافية، ونظر حوله، فلم يرى سوى جدران اسمنتية بارتفاع ثلاثة أمتار من حوله، وعلى الجدران أسلاك شائكة. كان تسلق الجدار وقطع الأسلاك الشائكة هيناً، لكن لا يعلم ماذا يوجد في الطرف الآخر من الجدار؟ كان سيسأل عن ذلك. إن لم يكن هناك شيء بعد ذلك الجدار فإن عملية الفرار ستكون سهلة. كان يلزمه بطانية ومنشفة وحبل سميك من أجل الفرار. كان سيرمي الحبل إلى الطرف الآخر ويعلقه بالأسلاك، ثم يلف المنشفة على يديه ويتشلق الجدار، ويرمي البطانية على الأسلاك، ويجعلها حاجزاً بينه وبينها، ثم يقفز إلى الجهة الأخرى. لكن إن هرب، فإلى أين سيذهب؟ لا مكان أمامه للجوء إليه سوى جنوب كردستان. فقد تم إسقاط حكم صدام حسين من قبل أمريكا وحلفاءها، وأصبحت كل أراضي جنوب كردستان تحت سلطة الكرد، واتفقوا مع الحكومة المركزية في الدولة العراقية على الكيان الفيدرالي لإقليم كردستان. أسسوا برلماناً في أربيل، ووضعوا علم كردستان فوق كل المباني الرسمية، وأصبح أمن مدن كردستان تحت حماية قوات البيشمرگه.

لقد عاد من أربيل منذ مدة. كان الكثير من رفاقه قد تركوا صفوف "PKK" ويقول البعض أن أعدادهم بالآلاف. نصف المجلس الرئاسي قد ترك الجبل وغالبيتهم استقروا في مدينة "كويسنجق" التابعة لمحافظة السليمانية. في إحدى المرات، زارهم الدكتور سليمان برفقة "سعيد خوجه" و"ريناس جانو". استقبلهم هنام "خضر ساريكايا ديرسمي" وتبعوه إلى مكان تجمعهم.

كان عددهم حوالي إثني عشرة شخصاً، جالسين على كراسي بلاستيكية في حديقة مسورة. كان "كاني يلماز، نظام الدين تاس، وخضر يالجين ديرسمي" أضافة إلى الكادر المهم في الحزب "خليل آتاج" بين المجتمعين. حين توجه الدكتور سليمان ورفاقه إلى هناك، قاموا جميعاً لاستقبالهم، وخصصوا لهم كراس للجلوس. كان موضوعهم الأول هو موضوع المنشقين عن الحزب.

كان هناك بين الموجودين ممن كانوا أعضاء في المجلس الرئاسي، هؤلاء كانوا يتهمون الدكتور ورفاقه حينذاك بالخيانة، كما أصدروا أحكام القتل بحقه وحق رفاقه. كان "نظام الدين تاش" هو من يتحدث أكثر، لكن بعد برهة استلم "كاني يلماز" المسؤول السابق للحزب في أوربا دفة الحديث وقال: "هل تتذكرون انتخابات اللجنة المركزية في المؤتمر السادس للحزب؟ كان الدكتور سليمان وهايام قد حصلوا على أعلى نسبة من الأصوات، لكننا لم نفصح عن ذلك وأخذنا تلك الأصوات لأنفسنا. أردت أن أذكركم بذلك." ثم توجه إلى "نظام الدين" قائلاً: " أتذكر يا رفيق نظام الدين إننا كنا ننعت هؤلاء الرفاق الذين انشقوا عن الحزب بالخيانة، لكن توضح إنهم كانوا وطنيين ونحن كنا الخونة." كلما يتحدث الدكتور، كان الجميع يوافقونه الرأي. بعد الانتهاء من النقاش، سألهم الدكتور عن "نازێ"، وحين أشاروا له بيدهم على بيتها، قام من مكانه وتوجه إلى بيتها.

ان استطاع الدكتور القفز من فوق الجدار، كان سيتوجه على الفور إلى بيت "رنا" كي يجلب جواز سفره، ومن هناك كان سيتوجه إلى "امستردام" بإحدى السيارات، ومن هناك كان سيحجز على أول رحلة منطلقة إلى أربيل كي يذهب إلى رفاقه هناك.

طلب من بعض أصدقاءه الذين زاروه في السجن بطانيتين، كما سألهم عن السجن وما يوجد حوله خلف جدار باحة السجن. كان يود أن يصنع من إحدى البطانيات حبلاً سميكاً، ويستعمل الآخر للقفز من فوق الأسلاك الشائكة. بعد زيارة أخرى، استقى معلومات عن ما يحيط بالسجن وخطط للقيام بعملية الفرار. فقد

كان السجن يقع بين بيوت سكنية، وفور فراره، كان سينجو من أي خطر محدق به.

حين كان منهمكاً في التخطيط لعملية الفرار، سمع من محاميته بخبر وصول ملفه من تركيا. كان الملف عبارة عن خمسمائة وعشرين صفحة. حين اطلعت عليها "رنا" رأت أن تلك الصفحات كلها هي إفادات مأخوذة من اعترافات لأعضاء "PKK"، وهذا الاعترافات لا تشكل أدلة دامغة في المحاكم الألمانية.

على ذلك الأساس، لم يكمل صنع الحبل من تلك البطانية ولا يفشي لمحاميته بمخططه ذاك. بعد مرور عشرة أيام، أدلى قاشي محكمة "بريمن" برأيه للمحكمة وقال: إن غالبية هذا الملف مكون من إفادات شخصية، وليس فيها أية أدلة مقنعة. لذلك نطالب من المحكمة إطلاق سراح المتهم." بذلك، قضى الدكتور سليمان مدة شهرين في السجن.

www.arsivakurd.org

بعد أن أنهى "الدكتور سليمان" دراسته الجامعية، بدأ بالعمل بشكل فردي. كان في ذلك الحي الذي يقيم فيه أخاه "نجم الدين" الكثير من العائلات، وأغلبهم من الغرباء، قد قدموا من دول مختلفة وحصـلوا على حق اللجوء في ألمانيا. البعض منهم كان يعمل في أعمال البناء كعمال، والبعض الآخر يعتمد على صندوق الإعالة الاجتماعية "الجوب سـنتر"، أي إنهم بالكاد يحصـلون على مصـروفهم اليومي. أطفالهم الذين يدرسـون في المدارس الاعدادية والثانوية لم يكونوا قادرين على الدراسـة في الجماعات، وكانت هناك مدارس خاصـة تفوق طاقتهم المادية، ولا يسـتطيعون إرسـال أبناءهم إليها. إضـافة إلى أن آباء وأمهات الأطفال لم يكن قد تعلموا اللغة الألمانية بعد.

حين رأى الدكتور وضـعهم ذاك، ذهب والتقى بذوي أولئك الأطفال، وتحدث معهم كيفية مسـاعدة أبناءهم، ثم كتب قائمة بأسـماء الطلاب من مختلف المراحل. كانت هذه هي المرحلة الاولى من عمله. أما المرحلة الثانية، فكان عليه العثور على مكان لتعليم هؤلاء الأطفال.

كان يبحث عن مكان مناسب لمشروعه ذاك. في إحدى الايام حين كان يسير في وسط الحي، لفت انتباهه بناء مكنون من غرفتين ضمن الحديقة هناك، كانت براكيات مسبقة الصنع. فذهب إليها وبدأ يتفحص البناء من الخارج. كانت الشبابيك مكسورة، لكنه حين نظر من خلال النافذة إلى الداخل، عرف أن تلك البراكيات كانت تسـتعمل في السـابق كمدرسـة لتعليم الرسـم، لكن بسـبب مرورالوقت على بقاءه فارغاً، فقد كان الاهتراء بادياً على جدرانه. ذهب إلى مقر رئاسة الحي وسأل عن صـاحب تلك البراكيات، وعلم منهم أن صاحبها امرأة، فأخذ عنوانها وتوجه إليها. كانت امرأة تناهز الخامسة والأربعين من عمرها، عرض عليها الدكتور مشـروعه وإنه يود اسـتئجار تلك البراكات منها. رحبت المرأى باقتراحه، حتى إنها لم تطلب منه الآجار، وكل ما طلبت منه أن يقوم بنفسه بترميم وتصليح تلك البراكات على نفقته. بعدها، توجه إلى القائم بأعمال المدارس في الحي، ووافقه بدوره، وتوجه معه إلى ذلك المكان. فتح له ودخلوا سوية، كانت البراكة الأولى تحتوي على غرفتين وصـالة واسعة ودورتين للمياه، إضـافة إلى غرفة أخرى صـغيرة بالمستطاع جعلها غرفة مكتب. كانت هناك بعض الطاولات والكراسي الخشبية القديمة وقد أصابها العفن بسبب مرور الزمن عليها.

بعد أن غادروا المكان، قالت له المرأة: "أكتب لي مشروعك وطلبك بشكل رسمي، وسوف أساعدك في ذلك." بذلك، قطع الدكتور المرحلة الثانية من مشـروعه. أما المرحلة الثالثة، فاكان عليه تأسـيس جمعية، بحيث تكون هذه الجمعية مكاناً لتدريس الأطفال، ومكاناً لاجتماع عائلات الحي بين بعضـهم، فهو كان قد تعرف على الكثيرين من العائلات في الحي. كان يود أن يعلم ذوي الطلبة اللغة الألمـانيـة، وأن يجعلها مركزاً فولكلورياً كردياً ويعلمهم اللغة الكردية الزازاكية أيضـاً، ومن أجل ذلك، أقنع سـبعة أشـخاص من حوله لتشكيل لجنة لرئاسة الجمعية، وكتب كل ذلك كمشروع متكاملو سلمه لأحدى الأشخاص الحقوقيين كي يقوم له بالإجراءات القانونية، وسمى جمعيته بإسم "مكاننا". بعد مدة، استلم الموافقة من مجلس الحي، كما استلم مفاتيح البراكية من صاحبته. كان الدكتور يعرف الكثيرين في الحي ممن يقومون بأعمال البناء، حتى أن شباب الحي عرضوا عليه المساعدة في أعمال ترميم البناء.

زرع الدكتور فيهم روح التعاون بذلك، فقاموا أولاً بإخراج كل المواد المكسـورة من البناء ورميها في المكان المخصـص. ثم بدأوا بحفر أرضـية الحديقة المحيطة بالبناء ورمي الحشـائش اليابسـة من حوله، ثم دخلوا إلى داخل المبنى، كان الطلاء قد تقشـر كله، فبدأوا بتقشـير ما تبقى منه، ونزعوا النوافذ القديمة

ووضعوا مكانها نوافذ جديدة، قاموا بطلاء المبنى من الخارج باللون الأصفر والنوافذ باللون الأبيض، كما قاموا بطلاء الجدران الخشبية من الداخل باللون الأبيض. علقوا اللوحات على الجدران واستطاع الحصول على عفش كامل من كراس وطاولات وعدة مطبخ من مكان بيع الأدوات المستعملة بسعر مقبول، ووضع لافتة مكتوب عليها باللهجة الكردية الزازكية "جمعية مكاننا الثقافية" وقاموا بافتتاح الجمعية.

بقيت خطوة أخيرة يقوم بها، وهي تأمين المدرسين والأساتذة لتعليم الأطفال، ولاقى الحل لذلك أيضاً، فقد تعرف على بعض أصدقاءه الطلبة الذين كانوا يدرسون معه في الجامعة، وطلب منهم التدريس في أوقات محددة لهم، ووافقوا بدورهم على ذلك، وكان سيدفع لهم راتب شهري مقداره أربعمائة يورو. لأجل الدروس الفولكلورية وتعليم الرقص، حدد فتاة كانت من قريته لأجل ذلك، كما طلب من صديق له كان قد ألّف معجماً في اللهجة الزازكية كي يقوم بتعليم الاطفال هذه اللهجة. بذلك، حققت كل مشاريع الدكتور هدفها ووصل إلى غايته. كانت الجمعية تعج يومياً بأبناء الحي من الأطفال وعائلاتهم.

تعرّف الدكتور بذلك على الكثيرين من أبناء الحي. في إحدى المرات، قال له أحدهم، أن هناك مطعماً لبيع الساندويتشات والحلوى في حي "St. Jürgen" وهي معروضة للبيع. توجه الدكتور مع ذلك الشخص بسيارته التي اشتراها حديثاً إلى ذلك المكان. كان بناء المطعم عائداً لبلدية "بريمن". تحدث مع صاحب المحل الذي قال إنه منذ مدة طويلة يعمل هناك وقد مل من العمل ويود أن يبيعه، وطلب مائتا ألف يورو لبيعه. نظر الدكتور إلى المطعم، كان واسعاً ويشرف على ثلاثة شوارع رئيسية في الحي، كما إنه كان قريب على الملعب الرئيسي في البلدة، وقال له الرجل أن المطعم يزدحم بالزبائن أثناء قيام مباريات الدوري في اللملعب. بعد أسبوع أمن مبلغ مائة وعشرين ألف يورو وسلمها لصاحب المحل، وبذلك أصبح المطعم له. كما أمن العمال الذين سيعملون معه، وبدأ العمل فيه. كان آلاف الزبائن يأتون يومياً إلة مطعمه، وبدأ منهمكاً في العمل طيلة ساعات يومه. بعد مدة طويلة، حين انهى الدكتور الديون المترتبة عليه، قام ببيع المحل بسعر أغلى مما اشتراه. كما ندم صاحبه السابق على بيعه وعاد واشتراه مرة أخرى.

إذاً، أصبح رأسماله حوالي مائة وعشرين ألف يورو، وفتح بهذا الرأسمال معملاً بسيطاً في مدينة "هامبورغ". بعد انقضاء بضعة أسابيع، زاره صديقه "عبدالله إرماك" وقال له أن هناك محل لغسيل الملابس في "هامبورغ" معروض للبيع، وشرح له مكان المحل وعنوانه، وقال له أن صاحب المحل هو شخص من مدينة "آمد" واسمه "تيفون" وينوي العودة إلى تركيا وترك العمل في ألمانيا.

أعطاه صديقه رقم هاتف "تيفون"، وقام الدكتور متوجهاً إلى العنوان. اتصل بـ"تيفون" والتقيا ببعض في إحدى الكافيتريات بالقرب من المحل. طلب "تيفون" أربعمائة وخمسين ألف يورو كي يبيع محله، وفي النهاية اتفقا على أربعمائة وعشرين ألف يورو، كان على الدكتور أن يسلم مبلغ مائة وخمسين ألف يورو كمقدم ، وفي نهاية الشهر مبلغ مائة وخمسين ألف أخرى، اما المبلغ الباقي، فاتفقوا على على تقسيطه بمبلغ ثمانية آلاف وخمسمائة يورو شهرياً.

لم يكن غرضه من كل ذلك جمع الأموال، بس كان يجمع من هنا وينفقها من هناك على رفاقه الذين يعتبر نفسه على الدوام قائداً لهم، يأتون إليه لطلب المساعدة المادية منه ولا يتوانى بدوره على تقديم ما يملك لهم. لم تتغير تصرفاته تجاههم، حين كان في الجبل أيضاً يتعامل مع رفاقه بنفس الطريقة، يقدم لهم ما يطلبونه منه. كان يحصل على المال في الجبل أيضاً، وفي ألمانيا أيضاً يحصل عليه بكل سهولة، لكنه ينفق كل ماله على الرفاق من حوله.

بعد ان فتح محل غسيل الملابس، كان عليه أن يؤمن مبلغ مائة وخمسين ألف يورو في الشهر التالي، وان لم يؤمنه فإنه سيخسر المائة وخمسين الأولى التي دفعها كمقدمة للمحل. هكذا كان اتفاقه مع "تيفون"،

إضافة إلى انه لم يكن هناك أي سند بيع وشراء بينهم، وسلمه المبلغ الأول بدون توقيع أو عقد شراء، لذلك، لم يكن يستطيع إرجاع ذلك المبلغ بأي شكل من الأشكال القانونية.

كانت المرة الأولى في حياته التي يتعرض فيها لهكذا موقف، ويجد نفسه في أزمة لا يستطيع حلها. تذكر صـــديق طفولته "مراد" الذي كان يعمل كمترجماً، ويعلم إنه يملك ذلك المبلغ. تذكر حين كان الإثنان معاً على مقعد دراســـي واحد في قريتهم "چلكانيێ" وكيف إنه في إحدى المرات كتب على كرتونة عبارة "الموت للفاشـية" وأعطاها لـــــ"مراد" الذي لم يكن يفهم معناها، وطلب منه أن يلصـق تلك الكرتونة على جدار منزل "مســـتى علي"، وذلك لأن هناك إبن لهذا الشـــخص وهو الوحيد في الجيش التركي من أبناء القرية، وحين عاد إبنهم في مساء ذلك اليوم ورأى تلك العبارة، حصلت مشادة في القرية إثر ذلك. كان ذلك أول نشاط سياسي له ولصديقه "مراد" في حياتهم.

في النهاية، قرر الدكتور الاتصال به، وحددا موعداً للقاء في مدينة "هامبورغ" وفور لقاءه به، فتح معه موضـوع شـراءه لذلك المبلغ والدين المترتب عليه. إبتسم له "مراد" وقال: "لا تنزعج بهذا الخصـوص، سـوف أؤمن لك المبلغ في الوقت المحدد." ارتاح الدكتور بعد جوابه ذلك وارتشـفا القهوة سـوية بعدها. في رأس الشهر، جلب "مراد" لصديقه المبلغ وبذلك أصبح شريكاً له في المحل.

لم يكن "مراد" لديه الوقت ليأتي إلى المحل، والأقســـاط الشـــهرية الأخرى كان عليه دفعها في وقتها المحدد، وفور أنهاءه للأقسـاط، بحسـب الأتفاق، كان "تيفون" سـيوقع له على أوراق البيع الرسـمية للمحل ويضعها باسمه.

أنهى كل الاجراءات المتعلقة بالمحل، وكان المورد الذي يجنيه يكفيه لمساعدة أصدقاءه أيضاً. كان لديه هاجس واحد فقط وهو انشغال تفكيره بالأحداث التي تجري في الوطن.

حين سمع أن كل من "زيڤا، روجين ماردين ودلو" قد وصلوا إلى مدينة "كولن" و"دوسلدروف"، ذهب على الفور برفقة "رَنا" كي يشـرح لهم أمور أوراق تقديم لجوءهم. حين عادت "رنا" إلى "دوسـلدروف" بقي بدوره في منزل "چكو"، حيث كان سيلتقي في اليوم التالي بـ"زيڤا" في مدينة "دوسلدروف".

كانت كل آمال "زيڤا" قد تحطمت، ولم تعد تثق في نفســـها، كانت كحمامة فزعة جالســـة متكورة على بعضـها. حين رأت الدكتور قادماً من بعيد، قامت من مكانها وتوجهت صوبه تقبله من وجنتيه.

حين جلسا قبالة بعضهم البعض، بدأوا يحدقون في بعضهم بدون أن ينبت أي منهم بشفة. وكأن الكلام قد نفذ بينهم، وكأن جدار من الصـــقيع قد بنُي بينهم. تألمت "زيڤا" كثيراً، وأدركت أن الذنب لم يكن ذنب الدكتور، فالإثنان قد أضـــاعا أشـياء كثيرة في حياتهم. تذكرت ذلك الكهف الذي التقوا فيه لأول مرة، حين قال لها الدكتور: "أنت من تودين القيام بعملية انتحارية؟" وحديثه معها عن الموت والحياة. تلك القبلة منه على جبينها. كانت تقول في نفسها، ليته تركني أفجر نفسي، ولا أرى كل ما حل بي. ليتني تحولت إلى كتلة من نار ولم أرى تلك الأيام. ليت جسدي كان يتناثر في الانفجار ولا أرى تلك المرارة التي ذقتها.

كانت مديونة للدكتور مرتين، لكنه في نفس الوقت كان سبباً في مآسيها. لو لم يتدخل، لما كانت الآن حية ولما كانت ترى كل ذلك التعذيب الذي لاقته. ولما ســـارت حافية بين الصـــخور، ولما كانت تنتظر فزعة لحظة إعدامها.

إذاً، لقد تكسـر كل شـي من حولها ولا مجال أمامها لتجبير كل تلك الكسـور. كان ذلك الجدار الصـقيعي بينهم بحاجة إلى الوقت حتى يذوب.

فاق الإثنين من غيبوبتهما تلك حين اقترب منهم النادل قائلاً :"تفضلوا." طلبوا فنجانين من القهوة، بعدها بدأت "زيڤا" تسـرد له ما جرى معها في سـوريا وقصـــة وصـولهم إلى ألمانيا. رن هاتف الدكتور، كان

المتصل هو "دريژ". ارتشف آخر رشفة من فنجان قهوته وودعها مصافحاً.
كان "دريژ" مقيماً في مدينة "كولن" تزوج مرتين وطلق زوجاته. قبل أربعة سـنوات، رأى "مايا" في إحدى الاماكن العامة في مدينة "كولن". لم يصـدق عينيه، لكنه حين اقترب منها، أدرك انها هي بنفسـها. تذكر حين حكموا عليه بالإعدام ووضـعوا في حفرة في وادي "زێ" وكيف أمر "علي حيدر كايتان" أن تصبح "مايا" حارسة عليه. نعم، كانت هي "مايا" بنفسها. كما إنهم حين أرسلوه إلى جبل "گارێ" لجلب "هبون" من هناك، عينوا "مايا" مرة أخرى لحراسـته. كانت "مايا" أمام إحدى المحلات هناك تنظر إلى الفسـاتين فيها. اقترب منها "دريژ" وقال لها: "مرحباً يا رفيقة." اندهشـت "مايا"، نظرت خلفها وتعرفت عليه على الفور.
كان "دريژ" سـعيداً بترك "مايا" للحزب، وعفا عنها هناك. حين سـمع انها تقيم في إحدى معسـكرات اللاجئين، أعطاها رقمه وعنوانه وتواعدوا على اللقاء. ازدادت لقاءاتهم وقررا الزواج، وبعد سنة أتاهم ولد وأسموه "هبون" على إسم صديقهم الذي كان محاصراً في جبل "گارێ"، وبعد مدة من انقاذه من الحصار، فقد حياته في معركة في منطقة "جولميرگ".
كان "الدكتور سليمان" بانتظار "دريژ" و"مايا" في محطة القطارات في "كولن"، لمحهم من بعيد، كان "دريژ" في المقدمة وابنهم "هبون" يركض كي يلحق بوالده، وخلفهم "مايا". كان الدكتور على علم بقصة "دريژ" و"مايا" في منطقة "زێ" لذلك كان يتأمل طويلاً قدومهم إليه ويقول في داخله: "قد يكون القدر هكذا. قبل عشـرة سـنوات من الآن في منطقة "زێ" كان "دريژ" يسـير في المقدمة، و"هبون" وراءه، و"مايا" خلفهم. الآن، تغير المكان فقط، وأصبح "هبون" طفلاً صغيراً."

بعد جلب جثامين إبنيها "عمر" و"حســن" إلى القرية ودفنهم في مقبرتها، اعتزلت والدة "الدكتور ســليمان" الحياة، وكان دأبها أن تحمل القرآن في يدها وتتوجه إلى المقبرة وتجلس بين قبري ولديها لتقرأ الآيات على قبرهما. بحســب قناعاتها فإن إبنيها يتعذبان في قبرهما، وهي تخفف عذابهما بقراءة الآيات. كانت تعيش على قناعاتها هذه، في الوقت الذي كانت تخفف فيه بذلك من آلامها. ســافرت إلى ألمانيا برفقة زوجها "ســليمان" إلى ألمانيا لرؤية ولديها "ســليم" و"نجم الدين". كما إنها ســافرت لوحدها مرة أخرى لرؤية إبنها "الدكتور سـليمان". حين توفي زوجها، اعتكفت في القرية ولم تكن تخرج من البيت إلا لزيارة القبور. بعد ســنتين، أصــبحت طريحة الفراش ولم تعد تقوى على الخروج. كان إبنها "صــادق" وزوجته "ســونا" تعتنيان به. بقيت على تلك الحالة، بين الموت والحياة، وكأن روحها كانت عصــية على الخروج من جسدها. قال القرويون: "إن روحها بقيت عصية في جسدها لأنها آذت زاهدة، وعلى زاهدة أن تصفح عنها حتى تسلم الروح".

سمع "سليم" بذلك، حتى أن امرأة من القرية اتصلت به وقالت له: "إن زاهدة تحبك، اتصل بها واسأل عنها، وقُل لها كي تصفح عن والدتك، فقد تسلم الروح بذلك."

مع أن "سـليم" لم يكن مقتنعاً بهذه الأمور، إلا أنه اتصـل بــــ"زاهدة" وسـأل عن أحوالها، ثم فتح معها الموضــوع وقال لها: "أنتِ على حق يا زاهدة، كل ما قالوه عنك كان كذباً وافتراءً، وقد قلت هذا الكلام في السابق لوالدي أيضـاً، إذهبي إلى والدتي واصـفحي عنها، فقد تسلم الروح، فكما تعلمين، القرويين يؤمنون بهذه الأمور."

ردت عليه قائلة: "قُل لي اقتلي نفسك ولا تطلب مني هذا الطلب. لن أصفح عنها."

بعد تلك الحادثة التي جرت معها في القرية، قطعت "زاهدة" كل علاقة لها بــــــ"ســـليمان" وزوجته "طيبة"، وكانت تتحاشــى رؤيتهم. حين جلبوا جنازة "حســن" إلى القرية، بكت عليه بكاءً مريراً، وذهبت إلى بيت "طيبة"، لكن "طيبة" أســمعتها كلاماً لاذعاً مرة أخرى، وعادت مكســورة القلب مرة أخرى إلى بيتها.

حين توفيت "طيبة" بتاريخ 2011/11/8، لم يستطع لا "سـليم" ولا "الدكتور سـليمان" المشـاركة في جنازتها، فقد كانا مطلوبين من الحكومة التركية.

قرأ "الدكتور سليمان" في إحدى الصحف الألمانية خبراً مفاده إنهم بصدد افتتاح مركز تجاري في حي "ويلهمسبورغ Wilhelmsburg"، كان ذلك المكان يبعد حوالي سبعة كيلومترات عن مكان محله. كان ذلك الحي يقطنه حوالي ثلاثة وخمسين ألف نسمة من السكان. فكر الدكتور أن يفتح محلاً هناك، لذلك قام باتصالاته، والتقى بالمسؤولين عن ذلك المركز وقدم لهم مشروعه.

كان بحاجة إلى نصـف مليون يورو لافتتاح محل غسـيل الألبســة هناك، لكنه لم يوفي بعد أقســاط دكانه القديم. اتصـل بصـديقه "مراد" مرة أخرى وطلب لقاءه. حين التقيا، قال له الدكتور: "لقد رأيت مكاناً جديداً ومزدحماً بالناس، ولا يوجد أحد غيرنا هنا."

- يا دكتور، نحن لم ننتهي من ديون المحل السابق بعد، ولم نستفد منه شيئاً حتى الآن. أصبر حتى نستفيد من محلنا السابق بعض المال ومن ثم نفكر بهذا المشروع الجديد.

لم يكن الدكتور يفكر بذلك الشـكل، كان مبدأه في الحياة هو أن يغامر حتى ينتصـر، كان كذلك في الجبل أيضاً. وأدرك "مراد" أن الدكتور حين يضع شيئاً في باله، فلابد أن ينفذ ما في رأسه، لذلك سأله:

- ما هو المبلغ المطلوب لافتتاح مشروع كهذا؟
- حوالي نصف مليون يورو.
صفّر "مراد" وقال:
- لا أملك هذا المبلغ الضخم، من أين لي ذلك؟
- سأتدبر الأمر.
بقي "مراد" يحدق فيه صامتاً، احتسى فنجان قهوته، ثم ودعه.
في صباح اليوم التالي، توجه الدكتور على الفور إلى ذلك الحي، وبدأ يدون على دفتره ملاحظاته عن عدد سكان الحي، عدد المحلات، ومتى سينتهون من افتتاح المركز؟
بعد أيام، اتصل مرة أخرى بـ"مراد" الذي سأله:
- ماذا حصل معك يا دكتور بشأن ذلك المركز؟
- سوف أكتب مشروعي وأسحب المبلغ من البنك.
- البنك لا يمنح القروض يا دكتور.
- وكيف تعلم بذلك؟ سأقدم طلبي لهم ونرى. سنكون بحاجة إلى عشرين ألف يورو لكتابة هذا المشروع، وان لم يوافق البنك على القرض، حينها سأخسر مبلغ العشرين ألف يورو أيضاً.
- لقد رأيت مشروعاً مشابهاً له على الانترنت، سوف أعمل عليه.
حين قال ذلك، فهم "مراد" إصراره على افتتاح ذلك المشروع، لذلك قال له:
- حسناً، هناك صديقة لي تعمل في هذا المجال، سوف أعرفك عليها وتحدث معها في الأمر.
في اليوم التقوا مع تلك المرأة وسلّمها الدكتور مشروعه، ثم عاد الدكتور إلى بيته وبدأ يفكر من أي بنك سوف يطلب القرض؟ في اليوم التالي اتصل بـ"مراد" وطلب منه الذهاب معه إلى البنك.
حين التقيا، لاحظ "مراد" كُم قميص الدكتور المقطوع، فضحك وقال له:
- أنت غريب بالفعل يا دكتور، كيف سنذهب ونطالب بنصف مليون يورو بقميصك المقطوع هذا؟
مدّ الدكتور يده إلى كُم قميصه وقال له:
- الآن لاحظت ذلك، حسناً فعلت إنك أخبرتني. سيقولون لي إذهب واحصل على قميص جيد، وبعدها تعال واطلب منا النصف مليون يورو. هل سيقولون ذلك؟
توجها على الفور إلى محل لبيع الألبسة، واشترى هناك قميصاً مناسباً له، لبسه هناك ورمى القديم هناك. بعدها بدأ يؤشر لـ"مراد" على العنوان، وكان البنك الذي ستوجهون إليه اسمه "فولكس بنك". وصلوا إلى المكان المقصود ورأوا مبنى البنك المكون من أربعة طوابق. دخلوا إلى المبنى، بقرب الباب الخارجي كانت هناك غرفة زجاجية فيها عاملة استعلامات. سألوها عن قسم القروض في البنك، فقالت لهم: "في الطابق الثاني، الغرفة الثالثة."
طرقوا باب الغرفة الثالثة، ودخلوا، استقبلتهم امرأة في عقدها الثالث، كانت شقراء الشعر وتلبس بدلة سوداء أنيقة. حين لاحظت دخولهم، قامت من مكانها رحبت بهم وصافحتهم، وأشارت إليهم كي يجلسوا. قبل أن يتفوهوا، سألتهم: "ماذا تفضلون أن تشربوا؟" طلبوا القهوة، وضغطت على زر فوق طاولتها تطلب فنجاني قهوة لضيوفها.
عرّف الدكتور نفسه لها على إنه رجل أعمال، وقال عن "مراد" إنه مترجم خبير وشريك له. قالت له المرأة: "بماذا أستطيع أن أخدمكم؟" ابتسم الدكتور وقال لها:
- لقد أتينا لطلب قرض من عندكم. المبلغ بسيط، نصف مليون يورو فقط. هناك مركز في حي

www.arsivakurdi.org

ويلهلمسبورغ سيتم افتتاحه، ونوج ان نفتح محلاً جديداً لنا فيه، لذلك نحن بحاجة إلى مبلغ من المال، وقبل أن نتحدث عن ذلك المركز، أود منك الإطلاع على محلي القديم ونسبة وارداتنا منه.

سلمها ملف محله القديم وملف صادرات وواردات المحل، ثم قال لها:

- كما ترون، نحن نكسب شهرياً حوالي عشرة آلاف يورو من هذا المحل، وسعر محلنا حوالي نصف مليون يورو، لذلك نطلب مقابل ذلك قرضاً بنصف مليون يورو منكم. لكن هناك شيء آخر"

ابتسمت المرأة وقالت: "ماهو؟"

ناولها الدكتور المشروع الذي أعده بشأن المحل الجديد مع مخطط للمركز المزمع افتتاحه وقال لها:

- كما ترين، هذا المبنى جديد، والمحل الذي نريده يقع الطابق الثاني، ومساحته حوالي 110 أمتار. سوف نقوم هنا بعمل غسل الثياب بأحدث الماكينات، كما سنزوج المحل بماكينات خياطة وخياطين. ستكون واردات هذا المحل أفضل من محلنا السابق. إن قلتم كيف تتكهن بذلك، سأقول لكم السبب، لقد أشرت في مشروعي إلى هذه النقاطن وهي، أن هناك ثلاثة وخمسين ألف نسمة يقطنون في هذا الحي. حوالي سبعة آلاف شخص سيعملون في هذا المركز وفي كل طوابقه. كما أن المركز يقع بالقرب من محطة القطارات. أي أن حوالي مائة ألف شخص سوف يمرون من هناك يومياً. كذلك، في ذلك المكان وعلى مبعدة سبعة كيلومترات، لا يوجد أي محل يقوم بغسيل الثياب وخياطتها. لقد شرحت في مشروعي كل ذلك."

سلمها أوراق المشروع وبقي ينتظر رأيها، فقالت له:

- أشكركم على هذا التوضيح الذي قدمتموه لي. صراحة، لقد شرحت كل شيء بالتفصيل وقد اقتنعت به بدوري، لكن عليّ أن أعود بدوري إلى إدارة البنك وأقنعهم بذلك، ونتباحث في الأوراق التي قدمتموها.

سلمها الدكتور نسخة من الأوراق لديه، ثم احتسوا قهوتهم وطلبوا المغادرة، فسارت معهم المرأة إلى الباب تودعهم وقالت لهم: "سأتصل بكم فور حصولي على النتيجة من أدارة البنك".

خرجا من البنكن كان "مراد" ما زال غير مقتنعاً بموافقة البنك على منحهم القرض. قهقه الدكتور قائلاً له:

- هل رأيت ماذا فعلت بقميصي الجديد، أنا لم أشتري هذا القميص الغالي بدون سبب.

حين غادره "مراد" عائداً إلى بلدته، ذهب الدكتور إلى مقهى في نفس المبنى الذي فيه محله. كان لديه بعض الأصدقاء من "چوليگ" يلتقون هناك ببعضهم، وكانوا أيضاً أصحاب محلات قريبة من ذلك المكان. كان مؤيدوا "PKK" يدورون على المحلات ويقولون لأصحابها "لا تستقبلوا الدكتور سليمان في أماكن عملكم".

من كان منهم على علاقة بالحزب، كان قد أمن لنفسه فرصة للعمل ومكان للإقامة، وكانوا يكذبون على الناس ويقولون لهم أن عبدالله أوجلان يقاوم من سجنه في إيمرالي ويفاوض الأتراك على حقوق الشعب الكردي، ومن انشق عن الحزب، فإنهم يخدمون الدولة التركية.

بعض من كان يقوم بالدعاية لـــــ "PKK" في مدينة "هامبورغ" كانوا غشيمين، وبعضهم أصبحوا كالعصابات، يجنون النقود من الناس، وأحياناً كثيرة ما يصدف أن يلتقوا بالدكتور الذي كان يعريهم أينما وجدهم.

في إحدى المرات، ذهب برفقة صديقين له إلى محل لبيع الساندوتشات وطلب من النادل ثلاثة ساندويشات، وحين جلوسهم في المطعم، لاحظ شخصاً تقدم من النادل وبدأ يوشوش له بكلام ما في أذنه. فعاد النادل إلى الدكتور وأصدقاءه وقال لهم: "هيا، قوموا من هنا، ليست لدينا ساندويتشات نبيعها لكم".

استشاط الدكتور غيظاً وقال من مكانه، وذهب إلى النادل خلف الحاجز الزجاجي وسحب مسدسه

ووضـعه على رقبته وقال له: "يا عديم الأخلاق، لقد طلبنا منك سـاندوتشـات، لماذا لا تجلبها لنا وتسـمع أكاذيب غيرنا؟" حين رأى النادل إنه جدي في تهديده، قال له: "لقد أسـأت فهمي، أنا لم أقل شـيئاً والله." وبيدين مرتجفتين جلب لهم ما يريدون.

حين كان جالسـاً مع أصـدقاءه في المقهى ذلك، دخل أحد من مؤيدي "PKK" إلى المقهى، وفور رؤيته لهم، تقدم منهم وسلم عليهم وصـافحهم جميعهم، عدا الدكتور سليمان. غضـب الدكتور من موقفه هذا كثيراً، وبدأ يتابعه في المبنى. لم يسـتطع الدكتور الاقتراب منه لأن المبنى كان مراقباً بالكاميرات، لذلك تبعه حتى خرج من المبنى ودخل إلى إحدى الأحياء المجاورة. تبعه الدكتور حتى وصـل إليه وجرّه من رقبته قائلاً له: "لماذا صـافحت الجميع ولم تصـافحني؟" رد عليه الرجل: "أنا لا أعرفك، لذلك لم أصـافحك." قال له الدكتور: "في الأسـاس، أنت تعرفني جيداً." وضـربه ضـربة برأسـه أردته أرضـاً وقال له: "يا عديمي الشرف، نحن من حاربنا وواجهنا الويلات، وأنتم هنا تلصقون جرائمكم بحق الشرفاء أيها الكلاب وتسلبون من الناس أموالهم." بدأ بضـربه ضـرباً مبرحاً والرجل يتلوى بين يديه على الأرض. حين رأى الدكتور أن الناس من حوله ينظرون إليه، قام عن الرجل ووضع يده في جيبته مغادراً المكان وكأن شيئاً لم يحصل.

أحياناً ما كان يحس بصـعوبة في التأقلم مع الحياة الأوربية. كان يشـتاق لجبال وطنه ويحس بآلام ومأس شعبه، لكنه كان يعلم تمام العلم أن العودة إلى الوطن هو ضرب من المستحيلن حيث الجبال مراقبة من قبل الجيش التركي وأعضـاء "PKK" الذين يعاونونهم والذين يخفون علاقاتهم المشـبوهة تلك مع الدولة التركية.

كان الملايين من الكُرد قد لجأوا إلى أوربا، تشـتتوا في المقاطعات الألمانية، ومن أجل تأسيس مركز أو مؤسسة كردية في أوربا، شـارك في الاجتماعات وكتب ملاحظاته مع رفاقه من أجل ذلك. لاحظ التشاؤم بين صـفوف الكُرد هناك، وكي لا يفقد الأمل بدوره، بدأ ينهمك في عمله. بعد ان وافق البنك على منحه قرض مقداره ثلاثمائة ألف يورو، اسـتلم مفتاح المحل الجديد، وبدأ بجلب عدة المحل من ماكينات غسـيل الثياب الضـخمة وماكينات التنشـيف والخياطة، ثم وضـع ديكوراً جميلاً بواسـطة معارفه للمحل. بقي أن يضعوا إسماً للمحل، فاتفق هو و"مراد" على أن يسموا المحل بإسم "م. س" أي "مراد وسليمان". مرّت الأيام وكان عملهم في المحل الجديد على ما يرام. أراد "مراد" أن يخبر الدكتور ببشـارة، فاتصـل به على الهاتف وقال له:

- مع إننا بتنا نخوض في هذا العمل، لذلك علينا أن نوسع مشروعنا يا دكتور، لذلك لدي بشـارة لك بهذا الخصوص.

- كيف سنقوم بتوسيع مشروعنا؟

- لقد رأيت مكاناً آخر، علينا أن نشـتريه أيضـاً. في حي "مونسـتر Münster" سـيفتتح مركز جديد، وسألتهم وجاوبوني إنهم يريدون أن يفتحوا محلاً كمحلنا هناك.

- حسناً، ولِمَ لا. إذهب إلى هناك واستطلع الأمر، ثم سنذهب سوية إلى هناك.

-43-

في بدايات شهر آب سنة 2014، قرر "الدكتور سليمان" الاستراحة لبعض الوقت والسفر إلى مدينة "لوبيك Lübeck" التي كان يقطنها أخاه "سليم" في فترة من الفترات، وكان بدوره يعرف معالم تلك المدينة. بدون أن يُخبر أحداً استقل سيارته وتوجه إلى تلك المدينة، حيث سيحجز لنفسه غرفة في أغلى وأعلى فندق هناك واسمه "ماريتم Maritim".

أحياناً ما كان يتوجه إلى أماكن لا يتوقعها أحد. ركن سيارته في موقف السيارات وحمل حقيبته على ظره وتوجه صوب البحر، سالكاً الطريق الصخري صوب الشاطئ.

كان الشاطئ في منحدر واسع. كان المكان مزدحماً بسبب حرارة الجو. كان الآلاف من الرجال والنساء والأطفال ممددين تحت أشعة الشمس هناك. البعض كان يسبح في مياه البحر الزرقاء. الأطفال يلعبون ويلهون. كان طول الشاطئ قرابة الكيلومترين، كان يفصل عن الشاطئ والفندق فسحة كبيرة خضراء.

كانت ساحة واسعة بأرض غرانيتية ملونة أمام الفندق. سلك الدكتور الطريق في الفسحة الخضراء تلك متوجهاً إلى الفندق. كان الطابق الأول منه مفروشاً بسجاد عليه رسومات بحرية، ويتوسط قاعتها عواميد مرمرية عليها نقوش في غاية الجمال. سار حتى وصل إلى عاملة الاستعلامات، وقال لها: "أود حجز غرفة لمدة يومين لشخص واحد فقط. وأريدها في الطوابق العليا من الفندق". قالت له عاملة الاستعلامات: "الطابق الثالث عشر هو محجوز للطلبات الخاصة، لكنني سأدبر لك غرفة في ذلك الطابق. وافق الدكتور على عرضها. فقالت له: "هل تود أن يصلك الفطور الصباحي إلى غرفتك؟ وهل تود ستستعمل حوض السباحة وحمام الساونا؟" فأجابها الدكتور بنعم.

سلمته بطاقة غرفته وتوجه الدكتور إلى المصعد. كان الممر مكتظاً بنزلاء الفندق، حين دخل المصعد، رأى رجلان وامرأة وفتاة جميلة فيه. نزلوا في الطابق السابع. أما هو، فقد أكمل إلى الطابق الثالث عشر. وضع البطاقة الالكترونية على الباب، فانفتح له الباب، كان كل شيء مضاءً في الغرفة. على يمينه الحمامات، وعلى يساره خزانة للملابس. وضع حقيبته هناك، وتوجه إلى الداخل، فرأى سريراً أبيضاً ناصعاً يتسع لشخصين في منتصف الغرفة.

كان مرآة تتوسط الجدار المقابل للسرير. سار إلى النافذة، رأى منظراً خيالياً أمامه. كان البحر الأزرق يمتد حتى الأفق، ولم يكن ما بعد ذلك البحر سوى من الخرائط. كان يحد البحر جزيرة "فيهمان" التي تفصل ألمانيا عن الدنمارك ويمتد حتى السواحل النرويجية، وعلى اليمين يمتد حتى السواحل الدنماركية، ومن الجهة العليا يمتد حتى السويد وفنلندا، وطرف آخر منه يصل حتى سانت بطرسبورغ.

بقي أمام النافذة يستمتع بذلك المنظر من النافذة. السفن البعيدة، الزوارق، والنوارس المحلقة في سماء الشاطئ. بمرور الوقت، اشتدت حرارة الجو، حمل حقيبته وأخرج منها منشفته ومايو السباحة، ووضع بطاقته الالكترونية ونقوده في حقيبة يد صغيرة وخرج صوب الشاطئ. كانت الرمال ساخنة جداً والشاطئ مزدحم بالمصطافين، مدد منشفته في مكان هناك ووضع نظارته الشمسية، وتمدد على تلك الرمال. بعد برهة، سار صوب البحر, كان الماء بارداً، لكنه حين رأى الأطفال يلهون بين الماء، سار هو أيضاً بين الأمواج وبدأ يسبح. لم تكن مياه البحر نظيفة، فقد دنسها البشر. بعد مرور بعض الوقت، حمل أشياءه وتوجه إلى الفندق يقصد حوض السباحة وحمام الساونا فيه. توجه أولاً إلى الحمامات ونظف جسده من مياه البحر، لفّ منشفته حول جسمه ثم توجه إلى حوض الساونا الساخن. كان الحوض ساخناً جداً حتى تعرّق كامل جسده. كان حوالي عشرة أشخاص جالسين في ذلك الحوض. بعد برهة، دخلت فتاة جميلة

شقراء، شبه عارية، تحمل في يدها منشفة وعطر الاوكاليبتوس. بدأت ترش ذلك العطر على الماء وفي الهواء حتى تناثر في الجو. كان الجالسين في الحوض يستنشقون البخار المعطر بقوة. كانت تقوم بعملها وكإنها تقدم عرضاً راقصاً للزبائن، والجميع ينظرون إليها وإلى جمالها.

بعد ان انتهى عملها، قام الجميع من أماكنهم أيضاً. خرج الدكتور من ذلك الحوض وتوجه إلى حمام الساونا الياباني، وكان أشد حرارة من الحوض السابق، وبعدها ذهب إلى غرفة الاستحمام، تحمم صعد إلى غرفته.

قبل غروب الشمس، بدا الشاطئ هادئاً، يُسمع صوت الأمواج من أمام الفندق. كان هناك مطعم كبير في الطابق السفلي من الفندق، توجه إلى ذلك المطعم، كان المطعم مفتوحاً وفيه الكثير من المأكولات الساخنة والباردة وأنواع كثيرة من الفواكه والحلويات. بعد تناوله لطعامه هناك، خرج إلى الفسحة أمام الفندق. كان المكان مزدحماً بالناس. جلس على كرسي هناك وأشعل لفافة تبغ، وبدأ ينظر إلى المارّة عساه يجد شخصاً يعرفه.

عاد إلى غرفته في وقت متأخر من الليل، ولشدة تعبه، نام فوراً. استيقظ في الساعة الثامنة صباحاً، وقبل أن يذهب إلى الحمام، حمل هاتفه وبدأ يتصفح الأخبار منه. لفت انتباهه خبرٌ منشور في عدة وكالات ومواقع الكترونية. نظر إلى التاريخ، كان الثالث من شهر آب، الخبر كان يتناول هجوم تنظيم يُسمى بالدولة الإسلامية في العراق والشام على منطقة سنجار، وقد قبض هذا التنظيم على آلاف الإيزديين كأسرى، وعشرات الآلاف من أهالي المنطقة قد فروا إلى جبل سنجار.

كان الدكتور يُدرك مدى وحشية وهمجية ذلك التنظيم الذي كان يقوم منذ أشهر بالمجازر في سوريا والعراق، وتنشر تلك العمليات على صفحات الانترنت، كما إنه كان يدرك المنطق الديني لهذا التنظيم، فهم يرون أن قتل الإيزديين واجب عليهم طالما إنهم غير مسلمين، وبذلك تكون املاكهم ونساءهم سبايا لهم. كان يود أن يعلم إلى أين وصل هجوم هذا التنظيم على كردستان. رنّ هاتفه، وكانت "رَنا" تود المجيء إليه، لكنه قال لها: "كلا، لقد هاجم تنظيم داعش كردستان ويقوم المجازر والقتل الجماعي فيها" أغلق الهاتف وذهب ليغسل وجهه. جهز حقيبته ونزل إلى استعلامات الفندق، وأعاد مفتاح وبطاقة غرفته، ثم خرج.

وصل بعد ساعة إلى بيت أخيه "سليم" في مدينة "هامبورغ" الذي كان يتابع بدوره أخبار كردستان. قال له "سليم":

- هل سمعت بهجوم داعش على كردستان؟

- نعم.

- الوضع خطير. كردستان لم تواجه إلى هناك خطر كهذا. الكُرد ليس لهم دولة في الشرق الأوسط، ولا يملكون الطائرات والصواريخ والدبابات كي يحموا أنفسهم، لذلك، قد تحدث مجازر كبيرة بحثهم.

- على المرء أن يفكر جيداً في هذا التنظيم الذي يدعى داعش. حتى الغربيين لم يعرفوا بعد هذا التنظيم بشكل جيد.

- هناك الكثير من الآراء المختلفة عن هذا التنظيم. البعض يقول أن أمريكا واسرائيل هما من أسستا هذا التنظيم، وذلك لضرب المسلمين بالمسلمين. والبعض الآخر يقول أن التنظيم تحت سيطرة السعودية وتركيا. والبعض الآخر يقول أن التنظيم يحارب نظام البعث في سوريا. وهناك من يرى أن التنظيم هو امتداد لتنظيم القاعدة في أفغانستان، وهو تنظيم ديني متطرف.

- كل هذه الآراء ضعيفة. يبرزون هذه التوقعات كي يخفوا الحقيقة. إنها منطقة الشرق الأوسط، وعلى

المرء أن يعرفها عن قرب. ليس هناك إثبات حتى الآن يكشف الحقائق.
- هناك حرب مستعرة في الشرق الأوسط منذ أربعين سنة. أنت كنتَ صغيراً حينذاك، أما أنا، فأتذكرها جيداً. كي يعرف المرء ماهية داعش، عليه أن يفهم ويُدرك جيداً أحداث سـنة 1980. ترك شـاه ايران المدعوم من أمريكا امبراطوريته بعد أربعين سـنة من الحكم في ايران. في اليوم الأول من شـباط سـنة 1979، عاد آية الله الخميني من باريس على متن طائرة إلى طهران. الشـعب الايراني كان قد نزل إلى الشوارع فرحاً بإسقاط ديكتاتورية الشاه، لم يكونوا يعلمون ما سيحل بهم بعد ذلك.
كانت هناك أهداف لآية الله الخميني الذي قد وصـل بنفسـه إلى مسـتوى النبوة. كانت طموحاته تتجاوز حدود ايران، وكان يود أن تعم ثورته تلك كل البلدان الإسـلامية. كان الحكم في ايران بيد الشـيعة، أما في الدول المجاورة لها، فقد كان بيد السـنة، لكن الخميني وأعوانه كانوا يدركون أن هناك شـيعة في الدول المجاورة له. عدا ذلك، كان للسـنة في تلك الدول علاقات وطيدة مع أمريكا والغرب. هاتين الحقيقتين وضحتا استراتيجية الخميني، فقد كان عليه أن يتوجه بخطابه إلى الفقراء والمساكين الشيعة في تلك الدول.
وكان هدفه من ذلك، ضـرب المصـالح الامبريالية في تلك الدول السـنية. الدول المجاورة لايران هي العراق، باكسـتان، أفغانسـتان، تركمانسـتان، أذربيجان، أرمينيا، وتركيا. كان الهدف الأول للخميني هو العراق، لان ذلك البلد يعتبر مركزا للسنة وللشيعة أيضـاً. ان استطاع السيطرة على العراق، حينها ستمتد ثورته إلى دول الخليج، وصـولاً إلى اليمن. كان صـدام حسين يُدرك غايات الخميني المبطنة، وقبل أن يبدأ الخميني بمخططه هذا، بدأ صـدام بالهجوم على ايران واسـتطاع احتلال بعض الأراضـي الايرانية، وبدأت الحرب حين ردت ايران على الهجوم.
- هل تتذكر متى بدأت الحرب العراقية الايرانية؟
- بدأت الحرب بتاريخ 22 أيلول سـنة 1980 بأمر من الرئيس العراقي صـدام حسـين، واسـتمرت ثمانية أعوام، أي إنها انتهت في سنة 1988. بحسب الاحصائيات حينذاك، فقد حوالي مليون شخص حياته وجرح مليونين آخرين جراء الحرب. أما من الناحية المادية، فقد قدروا الخسائر المادية بحوالي 150 مليار دولار. لم ينتصـر أي طرف منهم ولا ينهزم أي منهم أيضـاً. كل ما حصـل أن الخميني فشـل في مشـروعه الثوري ذاك. الغرب استغلوا صدام حسين كأداة لصد مشروع الخميني التوسعي.
- في تلك الحرب، بقيت ايران وحيدة، أما صدام حسين فقد كان مدعوم عالمياً. أليس كذلك؟
- نعم. الدول الغربية، وأمريكا وروسيا ساندت صدام حسين، والدول العربية فتحت أبواب بنوكها وبدأت القروض تتدفق على صـدام حسـين الذي كان يشـتري بتلك القروض الأسـلحة من أمريكا وروسـيا والدول الغربية.
- ساند الكُرد ايران في تلك المعمعة، أليس كذلك؟
- كلا، ليس كل الكُرد. كان كُرد شرقي كردستان يودون الإطاحة بنظام الخميني وانتصار صدام حسين في الحرب. أما الكُرد في جنوب كردستان، فقد كانوا يودون هزيمة صدام حسين، لذلك، قام صدام حسين بالقاء القنابل الكيميائية على مدينة "حلبجة" وقتل خمسـة آلاف كردي من سـكان تلك المدينة، ثم قام بالعمليات العسـكرية في إقليم كردسـتان وقتل في تلك العمليات قرابة مائة وثمانين كردي. كان العالم كله صامتاً أمام تلك المجازر التي يقوم بها صدام حسين بحق الكُرد.
- بعد الحرب العراقية الايرانية، اصـبح صـدام حسـين كالمنتصـر عسـكرياً في الشـرق الأوسـط، اليس كذلك؟
- نعم، أصبح كالمنتصر عسكرياً، لكنه كان في أمام ازمة اقتصادية. تراكمت عليه ديون الدول العربية،

وآبار النفط لم تكن تعمل، وكي يحل أزمته تلك، طلب من الدول العربية والكويت التي منحته قروض بمليارات الدولارات أن تعفيه من ديونهان وكانت حجته في ذلك بقوله لهم: "لو لم أكن انا، لكان الخميني سيحتل كل بلدانكم. أنا لم أحاربت من أجل نفسي، بل حاربت عوضاً عنكم جميعكم. لقد قمت بإيقاف ايران من التمدد، ومن أجل إيقاف عدونا الآخر- اسرائيل- سأكون بحاجة إلى أسلحة أقوى، لذلك عليّ أعد جيشي من جديد" طالبت الكويت بديونها منه. لكن صدام حسين خرج بحجة أخرى وهي أن "الكويت كانت في السابق منطقة تابعة لمحافظة البصرة العراقية، وقد اقتطعها الانكليز عنوة عن العراق وسلموها بعائلة الصباح" ورفض الاعتراف بالكويت كدولة ذات سيادة بين دول الأمم المتحدة، كما إنه قال أن هناك آبار نفط عراقية داخل الأراضي الكويتية. لذلك، حدثت الأزمة بين الدولتين، وفي النهاية، احتل صدام الكويت بتاريخ الاول من آب سنة 1990. في هذه المرة، لم يسانده دول العالم. بل أعلنت الأمم المتحدة وأمريكا والدول الاوربية أن صدام حسين هو محتل وعليه الخروج من الكويت. كتب بعض الكتاب كـ"فوكوياما" عباراتهم قائلين بـ"هل هي نهاية التاريخ؟" وحددوا بذلك ظهور نظام عاملي جديد. بدأ الرئيس الأمريكي جورج بوش مسرعاً بالعمل الدبلوماسي من أجل إخراج صدام حسين من الكويت. أراد أن يقنع العالم بذلك من جهة، ومن جهة أخرى، بناء قاعدة عسكرية له في السعودية. أما روسيا، فلم تكن تود أن تقوم أمريكا بعملية عسكرية ضد صدام حسين. لأن صدام حسين منذ تسلمه السلطة كان مشتر جيد للأسلحة الروسية، ونتيجة المباحثات بين أمريكا وروسيا كانت ألا يتم الإطاحة بحكم صدام حسين، بل إخراجه فقط من الكويت واتفقا على أن يخرج الجيش الأمريكي بعدها من الخليج. كما أن الدول الأوربية لم تكن تود الغطاحة (الإطاحة) بنظام صدام حسين، فقد كانوا يرون أن هناك فراغ سيحدث نتيجة ذلك، وستستفيد ايران مرة اخرى من ذلك الوضع وتبدأ بالتوسع في المنطقة. للمرة الأولى بعد الحرب العالمية الثانية، اجتمعت قوات ثلاثين دولة تحت قيادة أمريكا، وبدأوا عملية عسكرية سنة 1991 منطلقين من السعودية، وأسموها بـ"عاصفة الصحراء" لتحرير الكويت. لم يستطع الجيش العراقي مقاومة ذلك الهجوم الهائل، وخرج من الكويت. لم يكن غرض امريكا إخراج صدام من الكويت، بل أرادت أن تكون عملية كسر العظم لصدام كي لا يقوى على مهاجمة أية دولة أخرى، مستعملة في عمليتها تلك الطائرات وأنظمة الصواريخ الحديثة. دمروا كل مواقعه الاستراتيجية في البصرة. بعدها أقر مجلس الامن الدولي في الخامس من نيسان سنة 1991 القرار (688) منطقة حظر طيران في كردستان العراق. بذلك استطاعوا ايقاف صدام حسين عند حده وجعلوه في دائرة ضيقة لا يستطيع الخروج منها.

قام "الدكتور سليمان" وحمل كتاباً عن حياة أسامة بن لادن من رف الكتب، وعاد وجلس في مكانه. بدأ يُقلب صفحات الكتاب وقال:

- أظن أن النقاش حول النظام العالمي الجديد واحتلال الكويت هو شيء مهم.

- نعم، نستطيع أن نقول أن حرب الخليج هي بداية للنظام العالمي الجديد. انقسمت الاتحاد السوفييتي بعد حرب الخليج. انهارت الأنظمة الاشتراكية في البلقان حين انتهت الحرب الباردة، وأصبح العالم كله في وضع جديد.

- حين وضعوا حداً لصدام حسين، قام الكُرد والشيعة بالانتفاضة في العراق. لم يستطع صدام حسين مواجهة أمريكا والقوات الدولية، لكنه لقمع الشيعة والكُرد، بدأ بعملياته ضدهم، وتوجه ملايين الكُرد صوب الجبال، حتى وصلت أمواج هجرتهم إلى تركيا أيضاً. أسست أمريكا موقعاً عسكرياً في قاعدة "أنجرليك" في مدينة "أضنة" وأسماها "قوات المطرقة" وكان الغرض من ذلك المطار العسكري هو ضرب قوات صدام إن قام بمهاجمة خط العرض (36) أي إقليم كردستان.

كان يود "سليم" أن يسأل عن الكتاب الذي تناوله الدكتور من الرف، لكن الدكتور استلم زمام الحديث قائلاً:

- علينا أن نتحدث عن أسامة بن لادن أيضاً. بعد حرب الخليج، انكسرت صورة صدام حسين أمام العرب، وباتت فكرة الوحدة العربية بعيدة المنال بعدها. قبل أن تتحول أزمة الخليج إلى حرب مستعرة، كان أسامة بن لادن يعود إلى الرياض قادماً من أفغانستان. كان يقول أن على الدول الإسلامية أم تحل مشاكلها بين بعضها بنفسها، وكان عليهم أم يواجهوا صدام حسين عبر تشكيل وحدات عسكرية، وأن تمادى في حربه وعدوانه، فإن تلك الوحدات كانت ستواجهه. حين رأى بن لادن أن السعودية قد سمحت لأمريكا بانشاء قاعدة عسكرية على أراضيها، عاد إلى أفغانستان، وأعلن الجهاد ضد الدول المتعاونة مع الامبريالية الأمريكية تحت إسم تنظيم "القاعدة"، لأن تلك الدول قد قامت بهتك الإسلام. كان ينادي بانهيار الأنظمة السنية وبناء سلطة الشعب في تلك الدول، سلطة تعتمد على الاسلام الحقيقي. برأيي أن كلامه ذلك كان مهماً.

كان ما يزال يقلب صفحات الكتاب، رأى القسم الذي يتحدث فيه الكتاب عن بن لادن، وبدأ يقرأ مقطعاً منه:

- احتلت روسيا أفغانسات في 24 كانون الثاني سنة 1979. بدأ المجاهدين الإسلاميين بمحاربة السلطة الشيوعية. بدأت كل من أمريكا، السعودية، باكستان، والصين بدعن المجاهدين ضد السوفييت. فقد كانوا يرون أن الايديولوحية الاسلامية هي خير من تواجه الايديولوجية الشيوعية. برز اسم أسامة بن لادن الذي تدرب على أيدي الاستخبارات الأمريكية حينذاك، وقالوا له وللمجاهدين أن عليكم أن وتواجهوا محتلي أراضيكم. لم يكن المجاهدين وأسأمة بن لادن يودون أن يتحركوا في دائرة صغيرة كما فعل صدام حسين وآية الله الخميني، بل أرادوا توسيع رقعة ثورتهم إلى كافة الدول الإسلامية. كان بن لادن يقول بأنه سوف يهاجم الأنظمة المتعاونة مع الامبريالية أولاً ومن بعدها سوف يبدأ بالهجمات على أمريكا والغرب. كانت جبال أفغانستان العالية هي معاقل له، ومن هناك كان سيرسل الجهاديين إلى كل أنحاء العالم. أولئك الجهاديين العقائديين الذي دربهم بنفسه كان سينفذون الهجمات على الأهداف المعلنة. حركة القاعدة هذه ظهرت بعد النظام العالمي الجديد، وبدأ يظهر على السطح معها مصطلح واسمه "عمليات المدن".

أدرك "سليم" أن الدكتور يود من نقاشه هذا أن يوجد الربط والعلاقة بين صدام حسين وتنظيم القاعدة، لذلك قال:

- هل تعلم أن أمريكا أعلنت الحرب على العراق لسببين رئيسيين. أولاً، أن أمريكا كانت تقول أن صدام يملك أسلحة كيميائية، وإنهم كانوا يشكون في علاقة صدام حسين مع القاعدة ثانياً. بعد أن قام تنظيم القاعدة بتفجير مركز التجارة العالمي، قامت أمريكا بالهجوم على العراق بدلاً عن القاعدة واحتلت العراق، وبعد أن أسقطوا نظام صدام وقاموا بإعدامه، تناثرت كل الحجارة من أماكنها.

قال الدكتور بعد برهة من التفكير في كلام "سليم":

- لا أتذكر الآن أين قرأت ذلك، أن جندي أمريكي يقول لـ"صدام": "سوف تغادر قريباً إلى جهنم" فيرد عليه صدام "سوف ترون حين تأتون إلى العراق" لم يكن القبض على صدام بتلك الصعوبة، حتى أن نظامه البعثي لم يقاوم.

وافقه "سليم" وأردف قائلاً:

- نعم، كان الأمر هكذا. ما زالت النقاشات مستمرة عن مقاومة الجيش العراقي الضعيفة. هناك آراء مختلفة بهذا الخصوص. البعض يقول أن صدام حسين قد قال لجنرالاته قبل اندلاع الحرب بألا يقاوموا

وأقنعهم بعدم المواجهة. والبعض يقول أن قادة الجيش العراقي قد تركوا المقاومة تحت تأثير الطريقة الكسنزانية[42] التي لها علاقات مع أمريكا واسرائيل، كما أن البعض يقول أن عدم مقاومة الجيش كان تكتيكاً من صدام. كان يرى أن أمريكا تستطيع أن تحتل العراق، لكنها لن تستطيع أن تديره. يُقال أنه حين اعتقل قال لضابط الاستخبارات المركزية الامريكية "جون نيكسون" :"لن تستطيعوا أن تديروا أمور العراق ولن تنتصروا في ذلك، لأنكم لا تعرفون العراق، لغة شعبه، أهله، تاريخه وثقافته. ستدركون قريباً مدى صعوبة ذلك عليكم". كما أنه قال للآلاف من اعضاء وقادة حزب البعث كي يخرجوا بالزي المدني بين الشعب ويستعدوا لمقاومة طويلة الأمد.

وضع "الدكتور سليمان" الكتاب من يده على الطاولة أمه وقال:

- وسنرى ذلك بعد التطورات التي حدثت بعد اعدام صدام. قامت أمريكا بإزاحة صدام، وأبعدت حزب البعث عن السلطة. كانت هناك قوتين في مواجهة صدام حينذاك، وهما الكُرد والشيعة. جعلت الكُرد والشيعة يتفقان على الحكم الفيدرالي في العراق، إقليم كردي وآخر عربي. لكن بقي حزب البعث والسنة خارج السلطة الجديدة، وبدأت الجماعات الصدامية المختبئة بين الشعب بالتحرك. كانوا بحاجة لأيديولوجيا في تحركهم هذا، لذلك استلهموا تكتيكات القاعدة وطبقوها على العراق.

أدرك "سليم" أن الدكتور يخوض في موضوع شائك ومهم، لذلك أراد التعمق في الموضوع قائلاً:

- لا تنسى سوريا أيضاً، فالحكم في سوريا كان في يد الأقلية العلوية، وقد أتى الأسد إلى السلطة عن طريق انقلاب عسكري في سنة 1970، وبقي متمسكاً بالسلطة بقوة الحديد والنار. بدأ بضرب حركة الإخوان المسلمين في محافظتي حمص وحماه بيد من حديد. قتل عشرات الآلاف منهم، ومن يعتقلهم لا يفرج عنهم، بل قتل أغلبهم في السجون رمياً بالرصاص. السنة في سوريا كانوا ينتظرون الخلاص من طغيانه منذ سنوات.

- كنت سأتحدث عن ذلك. الملايين في سوريا يشكون من الحكم في سوريا، وان أضفنا ذلك العدد على العدد الموجود في العراق، فسيتحولون إلى قوة لا يستهان بها على الساحة. بدأ ضباط صدام حسين وأنصار حزب البعث واستخباراته باللقاء بهؤلاء، واستطاعوا دمج الأحزاب الصغيرة والكبيرة في العراق وسوريا في تنظيم واحد ووضعوا اللبنة الأولى لتنظيم داعش.

وافقه "سليم" الرأي قائلاص:

- كان هناك شخص يدعى طارق الهاشمي، ويعتبر من رؤساء سنة العراق. كان نائباً لرئيس الجمهورية العراقي جلال طالباني، ورئيساً للحزب الإسلامي في نفس الوقت. أراودا القبض عليه لأنه قام بالأعمال التخريبية والعصاباتية. خرج من العراق، وبدأ بمحاربة الكُرد، ثم بدأ يبحث لنفسه عن مكان آمن حتى عثر عليه في النهاية.

هذا الشخص، من مواليد سنة 1942، وهو من عشيرة "مشهدان"، وكان جده جنرالاً في الجيش العثماني. طارق الهاشمي هذا، هو خريج الأكاديمية العسكرية، وقد تلقى دورات تدريبية عسكرية في كل من بريطانيا ودولة التشيك وأصبح أستاذاً في الأكاديمية الرئاسية. اختفى هذا الشخث عن الأنظار بعد ان استقر في تركيا.

---

42 . الطريقة الكسنزانية: أتى اسمها من عشيرة (كسنزان) القريبة من مدينة السليمانية. كانت قريبة من الطريقة القادرية في السابق، لكنها تغيرت في الأربعين سنة الأخيرة وفتحت أبوابها أمام الجميع. أقامت علاقات مع أمريكا واسرائيل وقبلوا بجنرالات صدام وأولاده وزوجته كمريدين لطريقتهم. بحسب بعض الأقاويل، لم يقاوم جنرالات صدام الجيش الأمريكي بسبب ذلك، ويُقال إنهم عثروا على مخبأ صدام من خلال هذه الطريقة.

-لا تكتفي تركيا بالهاشمي فقط، بل أرادت أن تجمع كل التنظيمات الراديكالية كلها. بعد انتفاضة الشعب السوري سنة 2011، جمعت تركيا ثلاثمائة معارض للنظام السوري في فندق "فالز" بمدينة أنطاليا وكان غالبيتهم ممثلين عن الأحزاب الاسلامية الراديكالية، وقال لهم متحدث بإسم الحكومة التركية "سنساعدكم بشرط أن تحموا حدود الدولة السورية" قال لي أحد الدكاترة الكُرد الذي كان مشاركاً في ذلك الإجتماع. ما أود قوله أن الحكومة التركية أرادت أن تسيطر على الانتفاضة في سوريا والتي امتدت إلى العراق أيضاً.

- المجموعات الراديكالية الاسلامية في العراق وسوريا، أرادت أن تسيطر وتدير التظاهرات التي خرجت تحت اسم الربيع العربي، وكانت الساحتين السورية والعراقية هما الأنسب لهم. كان الشعب بانتظار الشرارة ليقوم في وجه الظلم والطغيان الذين خلفاهما كل من الأسد وصدام في ذلك البلدين. بعد انهيار حكم صدام، بدأت ايران بتوطيد العلاقات مع الشيعة في العراق، وطبعاً كان علاقاتها جيدة مع سوريا في السابق. أرادت الأنظمة الثلاثة، الشيعية في ايران والعراق والعلوية في سوريا أن يصدروا النفط والغاز عبر البحر المتوسط إلى الأسواق العالمية، وعقدوا اتفاقاً بشأن ذلك. هذا الاتفاق كان مثار قلق من لدن أمريكا والدول الغربية وتركيا، لذلك أرادوا أن ينتفض الشعب السوري. هل تعلم من أين بدأت الشرارة الأولى؟

- كلا، لا أتذكر.

- انهار حكم حسني مبارك في مصر والذي امتد حكمه ثلاثين عاماً نتيجة انتفاضة شعبية، كذلك بدأت الانتفاضات في كل من البحرين وليبيا واليمن. في تلك الأثناء تتحدث امرأتان سوريتان وهن دكاترة من مدينة درعا على الهاتف مع بعضهن البعض وتتحدثان عن اسقاط حكم مبارك في مصر، فتقول إحداهن للأخرى "لقد سقط حسني مبارك، لتكن تلك العاقبة علينا أيضاً". كانت المخابرات السورية تتنصت على الهواتف، فتقوم بإلقاء القبض على الدكتورتين، ويقصون شعورهن ويعذبونهن. حين ينتشر ذلك الخبر في المدينة، يبدأ مجموعة من أطفال المدارس بكتابة شعار "الشعب يريد إسقاط النظام" على جدران المدارس. حين يرى أزلام السلطة ذلك الشعار المنتشر في العالم العربي، يبدأون باعتقال الأطفال وتعذيبهم أشد تعذيب، حينذاك يتدخل أسر وعشار الأطفال، لكن النظام يعتقلهم أيضاً، فيقوم أهالي المدينة بانتفاضة شاملة سرعان ما امتدت إلى كل المدن السورية، وبدأ النظام السوري باستخدام الأسلحة الحية ضد المنتفضين. تقف أمريكا والدول الغربية وتركيا والسعودية مع مطالب المنتفضين المحقة، ويبدأ ضباط صدام حسين وعناصر استخباراته وأنصار البعث بانتهاز الفرصة للتدخل، ويجلبون القوى الراديكالية من الدول الأخرى إلى تلك الساحة. وقبل أن تنكشف معالمهم من قبل الدول الغربية، يبدأون بالسيطرة على مساحة تقارب سبعة وثمانين ألف كيلومتر من الأراضي السورية.

كان "سليم" يود ان يتحدث عن أسباب انتشار داعش، لذلك قال:

- هؤلاء الوحوش الذي يطلقون على أنفسهم تسمية داعش، قاموا بأفظع المجازر، قاموا بجمع كل من تقع عليهم أيديهم، من العلويين، الشيعة، المسيحيين، والكُرد في الساحات. وبدأت تذبحهم كالنعاج أمام الكاميرات ونشروا فظائعهم هذه على وسائل التواصل الاجتماعي. من شاهدوا هذه الفيديوهات، تركوا بيوتهم وممتلكاتهم يفرون من ذلك البطش، منهم من قطع البحار كي يصل إلى مكان آمن ينقذ فيه نفسه وعائلته. كانت داهش حين تحتل أية منطقة، تبدأ بعمليات الذبح أمام أعين الناس، وتأخذ النساء كسبايا حرب وتبيعهن كالعبيد في الأسواق. الآن، جاء دورنانح الكُرد. حين احتلت داعش مدينة الموصل، استولت على الأسلحة الثقيلة العائدة للجيش العراقي، وبدأت بتلك الأسلحة الهجوم على كركوك. كانوا يستطيعون حماية أنفسهم، لكنهم تركوا سنجار لقمة سائغة للظالمين.

لم يتحمل "الدكتور سليمان" المزيد من النقاش، وقال:

- أود الذهاب إلى جنوب كردستان في أقرب وقت. سأذهب وأستطلع الوضع هناك. إن رأيته مناسباً لي، سأبقى هناك وأحارب. لقد قطع مئات الآلاف من الكُرد حقول الألغام والبحار ووصلوا إلى أوربا. أما أنا، فسأعمل العكس. لدي جواز سفر أوربي، ولدي محلين هنا، ولدي ما يكفيني من الأموال. سوف أغادر أوربا وأتوجه إلى كردستان. حين تجد المحتلين يحتلون وطنك، ويقتلون أبناء شعبك، فواجبك الوطني يحتم عليك أن تذهب وتحارب أولئك المحتلين والقتلة.

أدرك "سليم" أن الدكتور جدي في مسعاه هذا، لذلك قال له:

- بذهابك فقط لن يتغير قدر الكردي. على كل البشرية أن تحارب داعش، وليس الكُرد فقط. فهي تشكل خطراً محدقاًعلى كل البشرية. إن لم تتحرك القوات الأممية، فمن الصعوبة أيقاف هؤلاء. إن منطقة الشرق الأوسط كبرميل من البارود، والسنية هي البارود والشيعية فتيل ذلك البارود. ألا تعلم أن المسلم في تلك الجغرافيا يقتل أخاه المسلم من مئات السنين؟ يمتد صراعهم هذا من أيام النبي محمد، كان اسم كبير الأمويين معاوية بن أبي سفيان، كان هذا الرجل قائداً لجيش الكفار في معارك الأحد وبدر والخندق. كانت والدته هند بنت عتبة. حين قتل عم الرسول قتل عتبة والد هند وأخويها وليد وشعيب. كي تنتقم هند لوالدها وأخويها، حررت عبداً واسمه وحشي وأغدقت عليه الهدايا، وجعلته يقتل عم الرسول حمزة بن عبدالمطلب في معركة أحد، ولم تكتفي بذلك، بل قطعت جسده وأخرجت كبده وبدأت تلوكه في فمها، ثم بصقته، ومثلت بجثته بحيث قطعت أذنيه وأنفه. كان معاوية إبن هذه الإمراة، مع إنه هو ووالدته أصبحوا مسلمين، إلا إنهم كانوا يكنون الكره للنبي وعائلته، ووقفوا في وجه خلافة علي، ولم يدعوا الحسن بن علي يستلم الخلافة، بل سمموه وقتلوه. حين مات الحسن، جعل هذا من ابنه يزيد خليفة، كان يزيد مثل جدته، يود الانتقام من عائلة النبي، لذلك طلب من الحسين بن علي أن يطأ رأسه له، لكن الحسين رفض ذلك، فقام هذا باغتيال الحسين وإحدى وسبعين من أقرباءه في صحراء كربلاء. منذ ذلك اليوم، وكأن اللعنة حلت المسلمين، بدأوا يقتلون بعضهم البعض. أعود إلىتلك الأيام حين أرى الحرب الحالية.

قال "الدكتور سليمان":

- حربنا هي ليست حرب سنية وشيعية، بل سنحارب من يحتل أرضنا، وثتا رجالنا ونساءنا وحولوهن إلى سبايا."

قام من مكانه وأردف:

- في وقت قصير سأعد نفسي للذهاب إلى كردستان.

-44-

كان هناك معمل للديكورات في حي "ميتران" بمدينة دهوك. وصل الدكتور بسيارة أحد أصدقاءه إلى المدينة قادماً من مطار أربيل. كان صاحب المعمل "الاسر زازا" صديقاً له وتمتد صداقتهم إلى أمد بعيد. حضنا بعضهما بحرارة حين التقيا، وذهب برفقته إلى بيته.

حين هاجمت داعش سنجار، تواصل معه الدكتور عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وقد قال له حينها إنهم يقومون بجمع الأموال للضحايا، وأرسل له الدكتور حينذاك مبلغ خمسمائة يورو.

كان البيت مفروشاً باتقاناً، ومكون من غرفتين وصالة واسعة وحمامات. جلس الدكتورعلى في الصالة. سأله صديقه عن أخباره، وثم بدأ يسرد له قصة صداقته به:

- حين كنت قائداً للكريلا، كنت أنا أيضاً كريلا في منطقة آمد. لكن لم يصدف أن نلتقي ببعضنا. أنت لا تعرفني، لكنني أعرفك جيداً. حين انسحبنا إلى قنديل، لم نلتقي أيضاً، فقد كان كل واحد منا في معسكر بعيد عن الآخر. لم أراك أو ألتقي بك أبداً، لكنني تأثرت بأفكارك، وكنت تكبر في عيني كلما كانوا يقومون بالدعاية ضدك.

- لقد مرّت تلك الأيام. الآن نحن أمام مجزرة، وأتابع الأخبار عبر الانترنت. كيف هو الوضع هنا الآن؟

- لقد سقطت سنجار يا دكتور، بدون مقاومة انسحبوا. انسحب الجيش العراقي من سنجار حين سقطت الموصل، ولم تكن قوات البيشمرگه مهيأة لذلك الهجوم المباغت لداعش الذي هاجموا بعشرات السيارات المدرعة. فرّ الأهالي من سنجار، من استطاع أن ينفذ بجلده نفذ، ومن لم ينفذ وقع في الأسر.

- تُرى ألم يكن إقليم كردستان على علم بهجوم داعش؟

- لا أعلم يا دكتور، إسألهم هم عن ذلك. لكن مئات الآلاف تركوا مدنهم وقراهم وفرّوا صوب الجبل، وما زالوا هناك. البعض منهم وصل إلى دهوك. أستطيع أخذك غداً إليهم.

- حسناً، وكيف هي معنويات الشعب؟

- في الأيام الأولى كان الخطر كبيراً. كانت داعش قد بثّت الرعب في كل مكان. إن لم تتدخل أمريكا وايران لكانوا قد دخلوا المدن. حين هاجمت داعش أربيل بتلك السيارات المصفحة، لم تكن لدى البيشمرگه الأسلحة الكافية لمقاومة تلك الأسلحة التي يمتلكونها هم.

- الآن، الخوف يدب في صفوف الشعب؟

- لم يزل الخطر بعد. الدولة العراقية تتجه صوب الانهيار. لقد سيطرت داعش على أسلحة الجيش العراقي وتوجهت إلى بغداد.

- الانتصار صعب بقوات البيشمرگه لوحدها. على الشعب أيضاً أن يقاوموا. ألا يستطيعون حماية قراهم ومدنهم؟

- مستحيل يا دكتور، ليست هناك جاهزية لذلك. لم يتلقوا أي تدريب على المعارك. لا توجد أسلحة كافية ولا ذخيرة.

- وهل بات الفرار قدرنا؟

- لا حل أمامنا سوى المساعدة الدولية وقوات البيشمرگه. إن لم تتدخل الطائرات الأمريكية لما استطعنا إيقاف زحف داعش.

جلب صديقه العشاء، وبعدها، تناقشوا حتى وقت متأخر من الليل. ثم سلّمه صديقه مفتاح البيت وودعه. فتح الدكتور التلفزيون وبدأ يتابع الأخبار. تمدد على الأريكة وقال: "غداً سوف التقى بالفارين من المعارك،

ســأفهم منهم لماذا تخلوا عن ســنجار. ســوف أزور الجبهات إن كان هناك مجال لذلك، وأرى معنويات الشعب والبيشمركه، وسوف ألتقي بأصدقائي الذين حاربنا سوية وأتحدث معهم." كان يعتقد أن هناك حل، والحل ليس بالفرار وترك الوطن. "لا خير في الخوف". قال ذلك ونام.

في الساعة الثامنة صباحاً تناول فطوره مع "الاسر"، وحين خرجا من البيت، قال له الدكتور:

- أود أن توصلني إلى محل "الاجڤان آمد"، وأنت إذهب إلى عملك،ثم سنلتقي لاحقاً.

بعد دقائق، انزله "الاســر" أمام مجل "الاجڤان". كان "الاجڤان" حارســاً للدكتور حين كانوا في الجبال، ومنذ سـنوات لم يلتقيا ببعضـهما. حين رآه "الاجڤان" هبّ من خلف طاولته وبدأ يحضـنه، قال له الدكتور: "هل رأيت؟ يقولون جبل وجبل لا يلتقيان، لم البشــر يلتقون." فرح "الاجڤان" كثيراً برؤية قائده وطلب له فنجاناً من القهوة وأجلسه في صدر المحل.

حين جلس الدكتور، بدأ يتفحص المحل، كان الجدار مغطى بأوراق الجدران، وكانت بعض الكاتلوكات موضوعة على الرفوف. كان الدكتور قد أرسل له بعضها من ألمانيا.

كان "الاجڤان" شخصاً بشوشاً كالدكتور. لكن السنين حفرت آثارها على وجهه. في تلك الليلة التي ترك فيها صــفوف "PKK" ، كانوا على قمة جبل في منطقة "دولا كوكه" الواقة بالقرب من الحدود الايرانية. وقد التقيا هناك. ســاروا صــوب منطقة "زلێ" ومن هناك أرادوا أن يصــلوا إلى أحدى مقرات الاتحاد الوطني الكردســتانين لكنهم عدلوا عن قرارهم ذاك ودخلوا الأراضــي الايرانية حين سـمعوا أن "PKK" بصـدد القيام بهجوم هناك. لكن القوات الايرانية أيضـاً كانت تقوم بالعمليات ضـدهم هناك. لذلك اختبأوا في الغابات المحيطة بتلك المنطقة. أرسـلوا رفيقين لهم إلى بعض القرى الصـديقة لجلب بعض الخبز لهم، لكن ألقي القبض عليهم من قبل مؤيدي "PKK"، لكن الدكتور و"هايام" استطاعا انقاذهما. غيّروا أماكنهم مرة أخرى، وفي الصباح ساروا صوب مناطق سيطرة الاتحاد الوطني الكردستاني مرة أخرى. كان "الدكتور سليمان" يقول "صعب علينا أن نقاوم في ظل هذه الظروف، لقد أضطررنا أن نترك الجبل ونعود إليه مرة أخرى. إن توجهنا إلى شـمالي كردسـتان، سـنكون مجبرين على الاشـتباك مع رفاقنا" لذلك، وعوضـاً عن ذلك، اتصــل بصــديقه "آزمان" في أرمينيا واتفقوا أن يعبروا هناك على مجموعات واســتعدت المجموعة التي تضــم "الاجڤان، هوكر، شــاهين دوغان، وممى" حيث أمّن دليلهم مهرّباً لهم. كان "ممى" من كُرد روسـيا، ويعرف معالم تلك المنطقة جيداً. قضـوا ليلتهم الأولى في "سـردشـت" وفي الليلة الثانية توجهوا صــوب الحدود، في اليوم الثالث وصــلوا إلى مدينة "مهاباد" وقضــوا ليلة فيها، وفي الليلة الرابعة وصــلوا إلى مدينة "أورمية"، والخامسة إلى "ماكو". في الليلة السادسة وصلوا إلى حدود أذربيجان. وضعهم الدليل على حدود منطقة "نخجفان" ومن هناك كان صديقهم "ممى" سيقود الطريق، وحسب قوله أن الطريق إلى أرمينيا لن يطول أربعة شــاعات. رأوا قرية من بعيد، وتوجهوا إلى الجبل القريب من تلك القرية، رأوا صخرة مكتوب عليها كتابة لاتينية، علموا من خلالها إنهم في أذربيجان وإنهم أضاعوا طريقهم.

قال لهم "ممى" لنذهب إلى القرية ونطلب منهم بعض الطعام، فقالوا لـه: "نحن قريبون على حدود أرمينيا، وقد يبلغون السـلطات عنا" لكن "ممى" طمأنهم وقال لهم: "من عاش في ظل الحكم السـوفييتي لا يعرف هذه الأشــياء." توجه كل من "شــاهين" و"ممى" إلى القرية ولم يعودوا منها. لســاعات كانوا ينتظرونهم هناك، وبعد مدة قصيرة، رأوا الجند يبحثون في الأرجاء، وسرعان ما وقعوا في كمينهم، حيث حاصـروهم من كل الاتجاهات. كانت البوليس الاذربيجاني يشـك بإنهم قادمون من أرمينيا، لذلك اعتقلوهم ووضـعوا أكياسـاً على رؤوسـهم وكبلوا أياديهم وأودعوهم في سجون مظلمة تحت الأرض. لاقوا الويلات في تلك السـجون من تعذيب وتحقيق. كانت الحياة تسـير هناك على الرشـوة، إن لم تقدم الرشـوة لهم لن

تستطيع العيش. قال أحد السجانين لـــ"لاجڤان": أنطق بالشهادتين" وبعد ان نطق بها "لاجڤان" أضاف عليها بعض الآيات القرآنية. حينها أدرك السجان أن لاجڤان غير أرمني.

لم يتحمل "لاجڤان" التعذيب المهين في تلك السجون، لذلك بدأ بالإضراب عن الطعام، وفي اليوم السادس من إضرابه، أدرك المسؤولون وضعه بعد تدخل منظمات من الأمم المتحدة، وفي إحدى الليالي كبّلوا يدي "لاجڤان" و"هوكر" واقتادوهم إلى المطار وسفروهم إلى استانبول، وهناك ايضاً ألقوهم في السجون لسنوات عديدة، وبعد إخلاء سبيله، أتى إلى دهوك وفتح ذلك المعمل. لكنه لم يهدأ منذ ذلك الوقت، بقيت حسرة الجبال في قلبه.

قال له الدكتور حين رآه شارداً: "ما بك يا لاجڤان، بماذا تفكر؟" حمل فنجان قهوته وقال: "أنا سعيد برويتك (برؤيتك) يا دكتور. لقد بدأت الحرب في سنجار وكردستان، والديكور ليست مهنتي، مهنتي ومكاني في الجبال." ضحك الدكتور وقال له: " أمامنا حرب في السهول، وجهّز نفسك لها" كان "لاجڤان" يُدرك أن قائده لا يلقي كلامه جزافاً، ففرح لكلامه هذا.

أردف الدكتور قائلاً:

- أنا لست مرتاحاً في أوربا يا جفان. أنا لم آت في سياحة إلى هنا. أود أن أصل إلى إحدى المسؤولين العسكريين هنا وأذهب إلى جبهات القتال. أود معرفة وضع البيشمركه، وكي أعرف الوضع جيداً عليّ زيارة الفارين من سنجار، وبعدها سأقرر ما سأفعل.

تحمس "لاجڤان" حين سمع كلام قائده وحمل هاتفه قائلاً:

- سوف أتصل بـ"روبار".

كان "روبار" قائداً قديماً أيضاً بين صفوف "PKK". ترك الحزب أثناء انشقاق الدكتور ورفاقه واستقر في مدينة دهوك. لم يمض وقت طويل حتى كان القادة الثلاثة مع بعضهم مرة أخرى.

بعد أن تحدث "روبار" مع الدكتور، اقترح ان يلتقوا مع "عبدالخالق بابيري" ممثل الحزب الديمقراطي الكردستاني، هذا الرجل له باع طويل بين صفوف البيشمركه منذ أن كانوا يقارعون دكتاتورية صدام حسين، وكانت لديه معلومات كافية ووافية عن شمالي كردستان. كان "روبار" يعرفه جيداً، كما أن الدكتور أيضاً كانت له معرفة سابقة به. اتصل به "روبار" وحدد موعداً معه، وتوجهوا ثلاثتهم بسيارة "روبار" إليه. لم يكن منزله بعيداً عن هناك، بل بعد برهة وصلوا إلى منزله المكون من ثلاثة طوابق، يحرسه حارس بزي الكوماندوس الذي فتح لهم الباب الحديدي، وسرعان ما خرج "عبدالخالق بابيري" لاستقبالهم وقبّلهم واحداً واحداً.

حين جلسوا، طلب لهم القهوة، ودخل الدكتور في الموضوع وقال له بأنه يريد زيارة جبهات القتال، وقبل "عبدالخالق بابيري" بذلك. حيث أن من الصعوبة التوجه إلى الجبهات بدون قرار منه، لأنها كانت ممنوعاً على المدنيين زيارة الجبهات. بعد أن تناولوا طعامهم عنده، وشربوا الشاي، قال لهم "عبدالخالق":

- كل شيء جاهز، هيا لنذهب.

خرجوا بثلاثة سيارات لاندروفر. السيارة التي كانت تقل "عبدالخالق" وضيوفه كانت سيارة مصفحة، كان أفراد الحماية في السيارتين الأخريتين.

كانوا سيتوجهون بداية إلى مدينة كركوك. حين سيطرت داعش على مدينة الموصل، تركت القوات العراقية مدينة كركوك أيضاً واستفادت بيشمركة كردستان من ذلك الفراغ، وتمركزت على أطراف المدينة. في الاساس مدينة كركوك هي مدينة كردستانية، بعد انهيار حكم صدام حسين، بقيت مناطق "كركوك، قسم من الموصل، نينوى، خانقين، شيخان، مخمور، سنجار، وزمار" كمناطق متنازع عليها

بين إقليم كردستان والحكومة العراقية. حين كان صدام حسين في الحكم، قام بتهجير الكُرد منها وجلب العوائل العربية إلى المدينة كي يقوم بتعريبها، وبعد أن انهار نظامه، اتفق الكُرد والحكم في بغداد على إعادة المهجرين إلى بيوتهم وترحيل العوائل العربية التي جلبها صدام حسين إلى مناطق الوسط والجنوب، والخطوة التالية بعدها هو إجراء استفتاء في هذه المناطق، يخيّر هذه الاستفتاء الأهالي بالبقاء في إقليم كردستان أو في العراق العربي. هذا ما تنص عليه المادة (140) من الدستور العراقي الذي اتفق عليه الجانبان. لكن لم يحدث شيء من ذلك، فلم تقم الحكومة لا بترحيل تلك العوائل العربية ولم تقم بإسكان الكُرد فيها أيضاً.

حين سيطرت داعش على سنجار، تقدمت أكثر حين رأت انسحاب الجيش العراقي من محيط تلك المناطق، وبدأت بالسيطرة على القرى الكلدانية والآشورية الواقعة ضمن حدود إقليم كردستان، وبدأت بالقتل وسبي النساء في تلك القرى. في يوم 19 آب سنة 2014، كان داعش قد عد العدة للهجوم على أربيل عاصمة إقليم كردستان، وفي يوم 20 آب توجهت قوافل التنظيم صوب العاصمة، لكن طائرات (ف18) الأمريكية التي انطلقت من الخليج كانت لهم بالمرصاد.

بحسب "عبدالخالق بابيري" كان طول الجبهة مع داعش حوالي (1100) كيلومتر. كانت قوات البيشمرگه تحمي المناطق على طول تلك الحدود، حيث تقوم بحفر الخنادق فيها، وتشتبك مع عناصر داعش هناك في عمليات كر وفر. حين وصلوا إلى كركوك، توجهوا إلى مقر "كمال كركوكي" الذي كان رئيساً لبرلمان كردستان، لكن حين قامت الحرب، وضع اللباس المدني جانباً ولبس الزي العسكري وبدأ يقود جبهة كركوك. كان قد أصيب في سنة 1976 بطلقة في كتفه وعلى إثرها بدت إحدى يديه مشلولة من ذلك. كما إنه حلف بعدم الزواج إلى أن يسيطر الكُرد على كركوك، وحين دخلتها القوات الكردية تزوج ووفى بوعده. كان صديقاً مقرباً من "عبدالخالق" حتى إنهم يلتقون بين بعضهم بدون مواعيد مسبقة. فرح الدكتور كثيراً حين رأى " حسين يزدان بنا" رئيس حزب الحرية الكردستاني في شرقي كردستان عنده. كان بشواربه الكثة وهيئته يشبه ستالين، حتى إنهم كانوا يلقبونه بـــ" ستالين الكردي". استقبلوهم بحفاوة بالغة أمام باب المقر.

كان "حسين يزدان بنا" من شرقي كردستان، وقارع النظام الإيراني سنوات طويلة. حين هاجم داعش كردستان، قدم إلى كركوك لحمايتها مع قوات "كمال كركوكي". أما"عبدالخالق بابيري" كما أسلفنا سابقاً، فقد حارب منذ سنوات طويلة نظام البعث البائد في العراق. "الدكتور سليمان" من شمالي كردستان، وقد حارب النظام التركي قرابة عشرة سنوات بين صفوف الگريلا. وحين سمع بهجوم داعش، ترك ألمانيا وأتى للالتحاق بالمعارك. و "لاجڤان" و "روبار" أيضاً كذلك كانوا من شمالي كردستان وكانا قادة لجبهات في الجبال.

جين جلسوا جميعهم في المقر، علم "كمال كركوكي" أن الدكتور هو أخ "سليم" لذلك قال له:

- يا دكتور، قلت هذا الكلام لسليم وسأكرره لك أيضاً. في سنة 1993، بدأت القوات الأممية بقيادة أمريكا بغملياتها العسكرية ضد صدام حسين، وبدأت بقصف مدينة بغداد. كنا على شفا تحقيق حلمنا. قمنا بالجاهزية للسيطرة على كركوك. وقد كنت قائد الوحدة التي ستسيطر على المدينة. دخلت مع القوات إلى كركوك، وتوجهت على الفور إلى قصر الوالي كي نسيطر على ذلك القصر. وصلت إلى الباب، فرأيت أن بيشمركة الاتحاد الوطني الكردستاني قد سبقونا إلى هناك- كانت علاقات الحزبين لم تكن على مايرام حينذاك-. دخلت القصر، فرأيت "رزكار علي" قائد بيشمركة الاتحاد الوطني جالساً يدخن سيجارته خلف الطاولة هناك. لم أكن أحب ذلك الرجل، ولم نكن نتحدث مع بعضنا. جلست أمامه على كرسي وبدأت أنظر

إليه. لا أعلم كم مرّ من الوقت، حتى رأيت قائداً أمريكياً ومعه مجموعة من الصحفيين قد دخلوا بدورهم إلى الغرفة. جلست على يمين ذلك الرجل و"رزكار" على يساره. جلسنا ثلاثتنا خلف الطاولة الكبيرة، وبدأ بمؤتمر صحفي هناك وأصبح يرد على أسئلة الصحفيين. بعد انتهاء اللقاء الصحفي، أمر القائد الأمريكي بإخراج الصحفيين من الغرفة وبقينا لوحدنا. توجه الرجل بكلامه لي ولـ"رزكار" قائلاً: "كركوك لن تكون ملكاً لأحد، لا لكم ولا للعرب." انقهرت من كلامه. لكن انتهى اللقاء بدون أن نناقشه. كما ترى يا دكتور، كركوك مهمة بالنسبة لنا. في الأيام الصعبة نحن نحميها، ثم تأتي القوى العظمى وتتدخل ويسلمونها لطرف آخر. في هذه المرة، حين هاجم سيطر داعش على الموصل، ترك العرب الشيعة كركوك، وتدخلنا نحن لحمايتها بدماءنا، لكن لا أدري إن كان ستبقى في تحت سيطرتنا بعد انتهاء الحرب.

كان الدكتور يدرك أن مرد ذلك هو لعدم وجود دولة كردية ولا جيش كردي يحافظ على حدود كردستان.إن لم يعلن الكُرد عن استقلالهم لن يستطيعوا السيطرة على كركوك التي تعتبر منبعاً للنفط في المنطقة. أراد أن يقول ذلك لهم، لكنه فضل الاستماع إلى آرائهم. تناقش مع "حسين يزدان بنا" عن الوضع في شرقي كردستان قليلاً، وما هي لحظات حتى قال لهم "كمال كركوكي" كي يتوجهوا إلى الجبهات. ساروا بسيارات مدرعة صوب خنادق البيشمرگه. كانت قوات البيشمرگه كلها تتحرك بسرعة في تلك المناطق، تقوم بحفر الخنادق ووضع المتاريس وتضع عليها الأسلحة الرشاشة. كان "كمال كركوكي" يقول: "من الصعب جداً حماية كركوك وصد هجمات داعش بالأسلحة الخفيفة التي نمتلكها، في حين أن داعش قد سيطر على الأسلحة الثقيلة من الجيش العراقي في الموصل." كانت قوة مؤلفة من ثلاثين ألف مقاتل من البيشمرگه قد تمركزت في كركوك بعد أن فرّ منها العرب الشيعة أثناء هجوم داعش.

قال له الدكتور:

- ألم تحسوا أنتم والدولة العراقية بتحركات داعش قبل ذلك؟

بعد برهة من التفكير، رد عليه "كمال":

- في يوم 30 كانون الثاني سنة 2013، ظهر داعش في مدينة الأنبار، وقد سيطر بشكل جزئي على تلك المناطق، بعدها سيطر على ناحية "سليمان بك" القريبة من كركوك. وفي بدايات سنة 2014 اشتبك مع الجيش العراقي في مناطق الرمادي والفلوجة، ومع أن الجيش العراقي استخدم السلاح الجوي، إلا إنهم قاموا بالعمليات هناك. في يوم 8 نيسان 2014، سقطت الفلوجة بيد داعش. في يوم السادس من حزيران، هاجم داعش الموصل ونزح أهالي المدينة منها، وفي اليوم التاسع من نفس الشهر، استولت داعش بقوة مكونة من ألف عنصر على المدينة. استطاع أكثر من خمسمائة ألف مدني من الفرار من المدينة. بعدها قطع داعش الطرق إلى المدينة وحاصرها.

- ماذا حدث للجيش العراقي والقوات الأمنية في الموصل؟

- ترك الجيش العراقي قبل الشعب المدينة وفرّ صوب بغداد. سيطرت فلول داعش الذي لاحقوهم حتى حدود بغداد على الكثير من المدن والنواحي هناك. سيطرت على "طوزخورماتوا التابعة لمحافظة صلاح الدين، و ينكيجه و باستمالي و محفوله. ولم يتوقفوا هناك، بل سيطروا على بلدة "بيجي" واستولوا على الأسلحة في مستودعاتها، وبدون ان يتوقفوا، توجهوا إلى كركوك، وسيطروا على مدن الحويجة و الملا عبدالله والرياض التابعة لكركوك. هنا، قمنا بصد هجماتهم وبقوة في المناطق القريبة من الموصل وهي "سيبلكا، كوريني، سنوني، سنجار والربيعة". في يوم 16 حظيران، سيطر داعش على ناحية "تلعفر" ومدينة "بيجي" التي تعد القاعدة العسكرية الأكبر في العراق، والآن يتجه داعش صوب بغداد. كردستان في خطر، حتى إنهم بتاريه 7 آب هاجموا مخيم "مخمور"، وقد نزح اللاجئون هناك من المخيم. وفي اليوم

التالي هاجموا سد الموصل واستولوا عليه. كما احتلت سنجار منذ الثالث من آب. نحن الآن في حرب واسعة مع داعش، لكننا بانتظار مساعدة دولية لنا.

شكره الدكتور على المعلومات التي أدلى بها. وبعد ان زاروا عدة جبهات أخرى، عادوا إلى كركوك. قال لهم "عبدالخالق" أن: "المنطقة هنا قد أعلنت عنها بأنها منطقة عسكرية ممنوعة" واقترح عليهم العودة إلى دهوك.

في اليوم التالي، قال الدكتور لرفاقه:

- أود زيارة الفارين من سنجار.

رد عليه "روبار":

- سوف أرتب لك لقاءً مع مسؤول الاستخبارات العسكرية في منطقة سنجار. كان هو المسؤول الأول في المنطقة حين هاجم داعش سنجار، وقد تم اتهامه في الإعلام كثيراً، ويُقال بأنه تم أعفاءه من كل مهماته بعد ذلك. هو يعلم بكل شيء، قبل الهجوم وبعده. هو من أقرباء عبدالخالق بابيري، إن أردت سأجعلم تلتقي به.

- نعم، لقد سمعت الكثير عنه. لماذا لم يقاوموا في سنجار؟ أود أن ألتقي بشخص مثله وأعرف منه الحقائق. حدد لنا موعداً معه إن استطعت ذلك. سوف أذهب لمقابلة بعض العوائل أيضاً لأرى كيف يفكرون وكيف هو وضعهم؟

- أعرف مكاناً قريباً من هنا تسكن فيه عائلة مكونة من شابين وامرأة عجوز وابنتها من سنجار.

ركبوا سيارة "روبار" وتوجهوا إلى هناك، كان البيت يتوسط حديقة واسعة فيها أشجار الفواكه بمختلف أصنافها. استقبلهم رجل طاعن في السن، كان من البيشمرگه القدامى، يلبس الزي الكردي، وقد حفر الزمن تجاعيده على وجهه. لأنه كان يعرف "روبار" مسبقاً، لم يستفسر منهم عن أي شيء، بل أدخلهم إلى الصالون، وبعد برهة جلبوا لهم صحون فيها فواكه صيفية من أشجار حديقته. كان البيت الذي يقيم فيه العائلة اليزيدية في الطرف الآخر من الحديقة، وقد آواهم هذا الرجل في ذلك البيت بدون أن يأخذ منهم الأجرة، لكن مقابل ذلك، كانوا يعملون في حديقته مقابل عشرة دولارات كيومية لكل واحد منهم. حين دخل شاب إلى الصالون وفي يده كاسات الشاي، قال الدكتور سليمان:

- وهذا الشاب من أقرباءك؟

قال له البيشمرگه العجوز بعد برهة من التفكير:

- كلا، إنه من إيزديي سنجار. لقد أنقذوا أنفسهم من جحيم طواغيت داعش ولجأوا إلى دهوك. لقد جلبت البعض منهم بسيارتي إلى هنا وأسكنتهم في حديقتي هنا، وأخذت البقية إلى معسكرات اللاجئين. يقع بيتهم خلف الحديقة من الجانب الآخر.

ابتسم الدكتور في وجهه وقال له:

- أنت مسلم، والإيزديين الفارين من المسلمين قد لجأوا إلى بيتك، وقد فتحت بابك لهم. هل يجوز ذلك في ديننا أم لا؟

أدرك الرجل أن الدكتور يمزح معه، لذلك قال:

- تلك الديانة التي لا تعترف بالانسانية ليست ديانتي يا دكتور؟

طلب الدكتور الإذن من صاحب البيت كي يتحدث مع الشاب الإيزدي، وبعد موافقته، سأل الدكتور الشاب:

- كنتم هناك حين هاجم داعش سنجار؟

- نعم، كنا هناك.
- ألم تستطيعوا أن تفعلوا شيئاً آخر عدا الهرب؟
- كانت سياراتهم وأسلحتهم ثقيلة، حتى إننا لم نكن نستطيع الهرب. استغليت فرصة أمامي وحملت والدتي المُقعدة على ظهري وتوجهت إلى الجبل. إخوتي وأخواتي ايضاً استطاعوا الهرب، لكن والدي وقع في قبضتهم.

قال الشاب "وقع والدي في قبضتهم" وكإنهم تركوا الخروف في فم الذئب.

طلب الدكتور منه رؤية والدته وإخوته، فقاموا وتوجهوا إلى بيت ذو جدران بيضاء. في البداية دخل الشاب كي يُخبر أهله بقدوم الضيوف. فُتح الباب ودخل الدكتور، فرأى امرأة طاعنة في السن جالسة في ركن من الغرفة. سلّم عليها، فردت عليه المرأة التحية.

سمع منها قصة هربهم من سنجار. وقالت أن تلك الشابة هي حفيدتها. لم يكن الدكتور يود أن يفتح جراحها، إلا أنه سألها:

- ماذا كان يعمل زوجك؟ كيف أخذوه أسيراً؟

لم تتفوه المرأة العجوز بأية كلمة، لكن الفتاة جاوبته من المطبخ:

- لدينا هويته، أستطيع أن أجلبها لك.
- هل أستطيع رؤيتها؟

جلبت الفتاة هوية الأحوال المدنية العائدة لجدها. نظر الدكتور إلى الصورة على الهوية. كان شارباه كثّان وأبيضان مثل عمامته. يلبس قميصاً أسوداً. كانت كل الكتابات على الهوية باللغة العربية. حين هاجموا سنجار، أخذوه أسيراً ولم يبق شيئ خلفه سوى هذه الهوية. كي لا يفتح جراح العائلة أكثر، ودعهم الدكتور وخرج من بيتهم. تحدث مع صاحب البيت – البيشمرگه القديم- حتى وصلوا إلى سيارتهم. ودّعه أيضاً وغادر.

في اليوم التالي، التقى الدكتور بشاب إيزدي في سوق مدينة دهوك وكان اسمه "خالد". كان قد فرّ من سنجار بدوره، لكن والدته وأختاه كن قد وقعن في الأسر. لم يكن "خالد" يهدأ ويستكين، كان يسرد تلك الوحشية التي رآها بعينيه للجميع ويقول: "علينا أن نفعل شيئاً. لماذا أنتم صامتوت؟ كيف تنظرون إلي هكذا وتمرون وكأن شيئاً لم يحدث؟ بائع الشاي يوزع كاسات الشاي. الحانوتي يبيع بضاعته. المؤذن يؤذن في المسجد والناس يذهبون إلى المسجد. الحكومة لا تمنحنا أسلحة كي نقاتل بها."

حفرت كلام هذا الشاب في ذاكرة الدكتور الذي قال: "حسناً، الآن أدركت ما عليّ فعله. لقد فرّ الآلاف من الشباب الكُرد من الحرب. أخواتهم وأمهاتم وقعوا في الأسر ويقومون باغتصابهن. ذبحوا أقربائهم، والشباب لقة حيلتهم يفرّون. علي أن اوقف ذلك وأجمعهم في مكان ما وأدرّبهم على فنون القتال كي يقاتلوا داعش. إنه عمل عظيم إن استطعت إليه. إن بقاؤهم هنا وهربهم إلى أوربا او الحدود التركية ليس حلاً. يستطيعون الهرب وإيصال أنفسهم إلى هناك، لكن ضميرهم سيؤنبهم إلى الأبد." قال ذلك لـــ"لاجڤان" و"روبار" ووافقاه على مقترحه، ثم غادروا سوق المدينة.

في اليوم التالي، التقى الدكتور مع "سربست بابيري" في المكان الذي تواعدوا فيها، وكان مقراً عسكرياً. كان الإثنان يعلمان بعض المعلومات عن بعضهما. جلسا قبالة بعضهما، وبدأ الدكتور يسأله بحنق:

- أردت اللقاء بك منذ اليوم الأول لهجوم داعش على سنجار، وذلك لأنكم كنتم المسؤولين المباشرين هناك.

قال له "سربست بابيري" بلكنة كردية جميلة:

www.arsivakurdi.org

- نعم يا أخي، أثناء الهجوم كنت في سنجار. أولاً، علينا أن نُدرك ما نقصد حين نقول سنجار. علينا أن نعلم أن سنجار هي أرض كردستانية من الناحية التاريخية، لكنها حالياً ليست ضمن أراضي جنوب كردستان، وليست هناك أية حدود بينها وبين إقليم كردستان حتى. هناك مناطق "تلعفر" و"تل كيف" بين إقليم كردستان وسنجار. وهذه المناطق الثلاث هي مناطق متنازع عليها بحسب الدستور العراقي، وملفها الأمني بيد الحكومة العراقية. كان الإيزديون يشكلون الأغلبية في هذه المناطق، لكن صدام حسين جلب العرب السنة والتركمان إلى هذه المناطق، كي يقومو بتعريب هذه المناطق. سنجار هو إسم جبل، ثم أصبح إسم المدينة، ثم السهل. ظهر إسمها في كـــ"شينار" في الوثائق الأكادية، حتى ورد إسمها في التوراة على أن قلعة بابل بُنيت في سنجار. قام صدام حسين بجلب العرب والتركمان والآشوريين والمسلمين والمسيحيين والشبك إلى هذه المنطقة كي يغير من ديموغرافية المنطقة. ثم بنى مجمعات هناك وقام بنقل الإيزديين من الجبال إلى تلك المجمعات. حين سيطرت داعش على الموصل، انسحبت القوات العراقية من سنجار. كان لحزبنا مكتب في المدينة وكنت المسؤول عن المكتب. كما كان لحزب الاتحاد الوطني الكردستاني أيضاً مقراً في المدينة. فقمنا بزيادة الاجراءات الأمنية في المدينة وتعزيز قوات البيشمرگه فيها. كانت الحكومة العراقية في حرب مع داعش. في البداية، لم تكن هناك أية علامات أو إشارات على هجوم داعش على كردستان، ولم نكن نمتلك أية استراتيجية في المناطق المتنازع عليها بيننا وبين الحكومة العراقية.

- متى عرفتم أن داعش سوف تهاجم سنجار؟

- لقد وصلتني المعلومات قبل ثلاثة أيام من هجومهم. قمت بجمع رؤساء الإيزديين وأخبرتهم أن داعش سوف تهاجم هذه المناطق، وقد وصلتنا الأخبار عن ذلك، وقلت لهم، تعلمون أن ديانتكم الإيزدية تعتبر كفراً للدواعش وسيكون دمكم مباحاً لهم، وستكون نساءكم سبايا لهم.

- بماذا ردوا عليك؟

- لم يصدقوا كلامي. بل قالوا لي، كلا، لن يهاجموننا. كانت لدي معلومات أن عناصر داعش المتخفيين بالزي المدني قد دخلوا بين الايزديين، وذلك لأن قرى العرب السنة كانت متاخمة لقرى الايزديين، وكانوا جيراناً لبعض في بعض القرى. طمأنهم هؤلاء أن داعش لن تقترب منهم، وقد وثق الإيزديون بكلامهم. قلت لهم كي يفرغوا المنطقة، لكنهم لم يقتنعوا بكلامي.

- وأنتم بدوركم صدقتم أن داعش لن تهاجم. حتى إنني سمعت أن داعش قد أخبرت إقليم كردستان إنها ليست بصدد القيام بهجوم ضدهم، وأن حربهم هي مع الحكومة العراقية.

- لسنا نحن فقط، بل كل العالم لم يفهموا أية لعنة هي داعش. حين قامت الانتفاضة في سوريا ضد بشار الأسد، قامت أمريكا والكثير من الدول الأخرى بمساندتها.

- بالمختصر، هذا يعني أن داعش هاجمتكم، وأنتم انسحبتم بدون مقاومة؟

- كي تستطيعوا الحرب، فعليكم أن تمتلكوا استراتيجية لذلك. لم تكن أمامنا أية استراتجية. لم نكن نمتلك لا الأسلحة ولا قوات البيشمرگه الكافية في تلك البقعة التي هي تحت سلطة الحكومة العراقية بشكل رسمي، حتى إننا لم نكن في ذلك المستوى الذي نستطيع أن نحمي فيه الشعب هناك. تم فرض حصار علينا بشكل سيء. للأسف، لقد فرّ قرابة ثلاثين ألفاً من الكُرد والأشوريين والشبك صوب الجبل. أما الذين وقعوا في الأسر، فقد أخذوهم بدون عودة. البعض من الذين لجأوا إلى الجبال ماتوا عطشاً. لقد أخليت المنطقة بالكامل من سكانها، وأصبحت تحت سيطرة داعش.

بعد ان استمع إليه، توضح كل شيء أمامه. لم يعد هناك داع من أية أسئلة أخرى يسأله. عاد إلى صديقيه

"لاجڤان" و"روبار" الذين كانا ينتظرانه، ويبديان اســتعدادهما للقتال معه. لكنهم لا يعلمون عن كيفية مشـــاركتهم، وكانوا يثقون بالدكتور كل الثقة في ذلك. حين وصـــل ثلاثتهم إلى معمل "لاجڤان"، قال لهم الدكتور مخططه:

- علينا أن نؤسـس أكاديمية تدريبية في جبهات القتال. سـنقوم بجمع الشـباب الكُرد من أجزاء كردسـتان الأربعة الذين يودون قتال داعش. سوف نقوم بتدريبهم على السلاح ونزع الألغام وزراعتها. الشوارع هنا مليئة بالشبان الذين يودون محاربة داعش. سنؤسس جيشنا من هؤلاء.

قال "روبار":

- وهل ستسمح قيادة الإقليم لنا بذلك؟

- سـنحاول كي نجعلهم يوافقون على ذلك. لا أحد يسـتطيع منعنا من القتال في سـبيل وطننا. حتى الملا مصـطفى بارزاني حارب في الأجزاء الأخرى من كردسـتان، ولا أظنه قد طلب الإذن من أحد حين قيامه بذلك.

سأله "لاجڤان":

- ومن أين سنؤمن الأسلحة يا دكتور؟

نظر الدكتور إليه مبتسماً.

- لقد حصـلت على بندقية كلاشـينكوف وعشـرين طلقة من صـديقي "لاسر زازا". تأمين السـلاح ليس صعباً. ستكون خطتنا هي ضرب داعش والاستيلاء على أسلحتهم، ثم محاربتهم بأسلحتهم. سوف أتحدث مع المسؤولين الأمريكيين والألمان وأقدم لهم مشروعي.

تحمس "لاجڤان" من كلام الدكتور وقال:

- ومتى سنبدأ يا دكتور؟

- بداية، عليّ العودة إلى ألمانيا. سـوف أقوم ببعض الخطوات هناك. عدا ذلك، سـوف أقوم بتأمين بعض المعدات العسـكرية من هناك، كأدوات زرع الألغام، وألبسـة عسـكرية مضـادة للرصـاص، وبعض أجهزة اللاسلكي.

قال "روبار" الذي له تجربة في الحرب في جنوبي كردستان:

- علينا أن نفتح هذا الموضوع اولاً مع العم "عبدالخالق" ثم نقنع "علي عوني" بذلك.

- حسناً، حين عودتي سوف نكتب مشروعنا ونقدمه لهم على إننا نود أن نؤسس وحدات من المتطوعين، ثم نتواصل مع وزارة البيشمرگه ونحاول أن نحصل على موافقتهم.

حين انتهى قادة الجبال الثلاثة من نقاشـهم، عاد "روبار" إلى بيته. أما الدكتور و"لاجڤان" فقد ذهبوا إلى بيت آخر.

عاد الدكتور من ألمانيا وقد وضع حقيبته المليئة في فندق في حي "عنكاوا" بمدينة أربيل. كانت الحقيبة مليئة بالأدوات العسكرية التي جلبها معه من ألمانيا، من مناظير، وأجهزة الكشف عن الألغام، سكاكين، لاسلكين كاميرات وبعض الهواتف. أما عدته الشخصية، فكانت مكونة من عدة الحلاقة ومعجون وفرشاة الاسنان، وبعض الالبسة المناسبة لطقس المنطقة.

كان جالساً في الفندق، يفكر إلى أين يتوجه. بعد برهة، رن هاتفه، وكان المتصل هو "حسين يزدان بنا" يخبره أن هناك مراسين تشييع شخص باسم "فرحان آغا" في حديقة "سامي عبدالرحمن" في مدينة أربيل. ترك حقيبته في الفندق واستقل سيارة أجرة متوجهاً إلى هناك.

تعرّف على مسؤولي الحزب الديمقراطي الكردستاني ومن بينهم "علي عوني" الذي كان مسؤولاً عن منطقة "ناڤران" القريبة من الموصل. تلك المنطقة كانت داعش قد سيطرت على تلك المنطقة، و"الدكتور سليمان" كان ينوي بدوره انشاء مقره هناك.

كان قد درس المنطقة جيداً واستعان بالخرائط حين كان في ألمانيا. كان قد استقى معلومات عن "علي عوني" من أخيه "سليم" الذي قال له: "يعلم جيداً بمشاكل الكرد في شمالي كردستان، وهو شخص يؤمن بخلاص كردستان بأجزاءها الأربعة". كان "علي عوني" شخصاً ذو قامة فارعة، وبشوش دائماً. يحب المزح ويضحك دائماً، كان يقوم بالنشاط المدني ويعد من مسؤولي حزبه، لكنه حمل السلاح أيضاً حين قامت الحرب. كان كمستشار للقادة في المناطق التي تتعرض للهجمات.

كان هناك الكثير في بال "الدكتور سليمان" وأراد أن يبوح بكل شيء لـــ"علي عوني". عرّف عن نفسه في البداية وقال: "لمدة عشرة سنوات حاربت الجيش التركي الذي يعد من أكبر الجيوش في حلف الناتو، وكنت قائداً للجبهات، ومسؤولاً عن الإيالات وشاركت في مئات العمليات ولم أنهزم وانتصرت في الكثير من تلك العمليات. الحرب هي مهنتي." كان "علي عوني" يعرف بعض المعلومات عنه، لكنه لا يعرف عنه الكثير، لكنه كان قج تعرف على أخاه "سليم" في سنة 2010، لذلك قال له: "تستطيع أن تقدم مشروعك لوزارة البيشمرگه وترسل رسالة بخصوص ذلك إلى الرئيس مسعود بارزاني."

حين عاد الدكتور إلى الفندق، كان مفعماً بالأمل، لذلك انكب على كتابة مشروعه كي يقدمه إلى وزارة البيشمرگه، طالباً فيه الوزارة الموافقة على إنشاء مقر له في منطقة "ناڤران" وإمداد المتطوعين من عناصره بالأسلحة والطعام وباقي مستلزماتهم.

في اليوم التالي، إتصل بصديقه "زيا" الذي مان معه بين الگريللا. لم يهتم الدكتور كثيراً باقتراح "علي عوني" في تقديم مشروعه إلى وزارة البيشمرگه، لأنه كان يضع احتمالاً كبيراً أن طلبه قد لا يلبى ويبقى بدون جواب حتى، وكان سيعوج إلى ألمانيا بدون أن يقوم بشيء. لكنه لم يفعل ذلك، بل كان يقول: "كردستان وطني، والآن يتعرض هذا الوطن للهجوم، وواجبي أن احارب الذي يهاجمون وطني. لذلك، لن أطلب الإذن من أحد في سبيل ذلك." كان يقول ذلك ويذهب على الفور للمشاركة في الحرب. صحيح أن الدكتور كان من شمالي كردستان، لكنه لم يعترف بأي من الأشكال الحدود التي وضعها الأعداء بين أجزاء كردستان.

بأحاسيسه تلك، ذهب إلى "علي عوني" وقال له:

- حدد لي مكاناً كي أجعله مقراً.
- انتظر يا دكتور، لنفكر في الأمر ونذهب إلى وزارة البيشمرگه من أجل ذلك.

- أنت ترى أن المنطقة تغلي من حولنا يا أخ علي، وأمريكا قد تدخلت في الحرب، وستقصف داعش بطائراتها، وقد أسسوا غرفة للعمليات في أربيل. سوف نقوم بإنشاء مقرنا ونحارب على الأرض. المشروع الذي سنقدمه إلى وزارة البيشمرگه جاهز، لنقوم بالتجهيزات ولا نتوانى عن إعداد أنفسنا للحرب سواء أن وافقوا أم لا، وإلا فإن الوقت ليس في صالحنا.

- لقد أخبرت عبدالخالق بابيري بذلك، وهو أيضاً يريد تأسيس وحدة للمتطوعين، لكننا علينا أن نمهد الطريق لذلك.

- لم أفهم من الناس هنا شيئاً. كل ما تطلبه منهم يردون عليه بـ(أهلاً وسهلاً) (على العين والرأس) لكن بدون أية نتيجة تذكر. الشعب هنا محبر على الدفاع عن نفسه وعلينا ألا نقف مكتوفي الأيدي ونفتح المجال للشبان من أجزاء كردستان الأربعة كي يدافعوا عن وطنهم.

- حسناً، سوف ألتقي مساءً مع الشيخ لقمان، واستفسر منه عن الوضع في منطقته وعن رأيه في ذلك. كيف تريد المنطقة التي تزمع إنشاء مقر فيها؟ أريد أن أعرف ذلك مسبقاً.

- أود مكاناً يتسع لمائة شخص. يكون فيه ماء، ويتم تزويده بالطعام، وسأطالب بالأسلحة من وزارة البيشمرگه. إن منحونا الأسلحة،كان بها، وإن لم يمنحوننا، فإننا سنعتمد على الأسلحة التي سنغنمها من داعش أثناء عملياتنا ضدهم، وان تطلب الأمر، سوف أتحدث مع القادة الأمريكيين والألمان بهذا الخصوص.

حين رأى "علي عوني" جدية الدكتور وإصراره، حدد له مكاناً لإقامته. حمل الدكتور حقيبته الثقيلة تلك وتوجه إلى ذلك المنزل. كان المنزل خاوياً، لا شيء فيه سوى تلفزيون وساعة جدارية يُسمع دقاتها وستائر على النوافذ. وضع الدكتور حقيبته بعد ان شكر السائق وعنصر الحماية الذين قدما معه إلى هناك. بعد أن بقي لوحده، تقدمت منه قطة رقطاء، حينذاك أدرك أنه ليس وحيداً في ذلك المنزل. توجه إلى المطبخ وفتح باب الثلاجة، فقد كان الجوع ينتابه. لأجل قطته أيضاً فتح لها علبة سمك سردين، وبدأت القطة تأكل منه بنهم.

سيبدأ منذ الغد للبحث عن رفاقه القدامى المقربين منه. كان البعض منهم عناصر في وحدته حين كان قائداً بين الگريلا. ترك الآلاف من الگريلا الجبال حين سلم عبدالله أوجلان نفسه للدولة التركية، وبدأ قادة التنظيم بالتعاون مع الدولة التركية، وقد لجأ هؤلاء الگريلا إلى إقليم كردستان. كانوا يقضون حياة صعبة وشاقة من الناحية المادية، وذلك لأنهم أبوا تسليم أنفسهم للدولة التركية، ولم يكونوا يستطيعون أن يجمعوا أنفسهم في تنظيم آخلا. أراد جميعهم الإنضمام إلى الحرب ضد داعش، لكن كان على المرء جمعهم في مكان واحد والاستفادة من خبراتهم في الحرب.

فتح حقيبته وأخرج دفتراً وقلماً منها. جلس على كرسيه وبدأ يكتب أسماء رفاقه الذين يستطيعون أن يدربوا العناصر. كان عليه أن يعثر على الفتيات المقاتلات أيضاً وكتب شعاراً لهم على دفتره وهو "حاربوا كي لا تصبحن جواري بيد داعش" كتب ما ما يخطر في ذهنه، ثم بدأ يتفحص بيته الجديد. كان البيت وكإنه لرجل ميسور الحال. حدد غرفة نومه. حين عاد إلى الصالون، رأى القطة التي شبعت من أكل السردين تتجه صوبه وهي تموء، فربت على ظهرها ورأسها.

احتمال كبير أن تكون كل بيوت هذه القرية فارغة. كان هناك مركز للبيشمركة في بداية الطريق الرئيسي للقرية. سلّم "علي عوني" مفتاح المنزل الذي كان يقيم فيه هو سابقاً. وقد يكون أصحاب المنزل قد سلموه المفتاح قبل خروجهم منه.

استيقظ مبكراً كعادته واتصل بـ"لاجڤان" في دهوك كي يلتقيا، ثم ذهب إلى أربيل وعقد بعض اللقاءات

المهمة مع رفاقه، وتواصل مع التنظيمات الكردية السورية والايرانية في أربيل، وقد عرض مشروعه على البعض منهم. تعرّف على "محمد رسول" من الحزب الديمقراطي الكردستاني في ايران. كان "محمد" رجل في متوسط العمر، وقد قارع النظام الايراني لسنوات طويلة، وقد قدم إلى جنوبي كردستان بناء على طلب من حزبه، وذلك لأنه كان مطلوباً في ايران، وأصبح مستشاراً عسكرياً لرئيس الحزب. كان يقيم في مدينة "كويسنجق" القريبة من السليمانية. كان متزوجاً من فتاة كردية من ايران. كان الدكتور سعيداً بمشاركته في تلك الوحدة المزمع انشاءها، فهو يود مشاركة الكُرد من كل أجزاء كردستان معه في تلك الوحدة.

غادر مع "الاجڤان" في نفس اليوم إلى مدينة دهوك. تواصل مع أصدقاءه الذين كانوا يساعدون الفارين من سنجار، فهو يود أن يضع في برنامجه مساعدة اللاجئين الإيزديين أيضاً.

تشاور مع بعض رفاقه القدماء المقيمين في دهوك عن مدى صعوبة مشاركة الكرد من أجزاء كردستان الأربعة. كان هؤلاء لهم علاقات مع المسؤولين في الإقليم. التقى بهم في منزل صيفي عائد لـ"عبدالخالق بابيري"، قال الدكتور للمجتمعين هناك:

- علينا أن نتعاون مع الأجهزة الأمنية في موضوع المتطوعين. علينا أن نعرف مهارات كل واحد منهم حسب الحاجة، وبعد التدريب نرسلهم إلى المكان المناسب لهم. كما علينا أن نجمع معلومات كاملة عن كل متطوع، من أين أتى؟ وماذا يستطيع أن يقدم؟ علينا أن نكون على تواصل دائم معهم، وكي يستطيعوا البقاء في الإقليم، يجب أن تكون إقامتهم بشكل قانوني، وعلى الإقليم أن تؤمن لهم مكان الإقامة، ومأكلهم ومشربهم.

كان "ريباز" ينصت بصمت إلى مقترحات الدكتور، فهو خريج كلية الحقوق ويعلم جيداً بالمسائل القانونية في الإقليم، لذلك قال:

- بالمستطاع تأسيس جمعية كهذه، وأستطيع مساعدتكم في ذلك وأكون فرداً في رئاستها.

قال له الدكتور:

- عظيم جداً أن يكون صديق مثلك في رئاسة الجمعية، علينا أن نتكاتف في المحن مع بعضنا، لا في الجانب العسكري، بل في كل المجالات. نحن بحاجة إلى متطوعين في كل المجالات، وخاصة الانسانية، من حيث تقديم المساعدة للمحتاجين والذي بدون مأوى، والمتضررين من الحرب، وتنظيف المدن والشوارع، وتنظيم المتبرعين بالدم. علينا أن نقوم بكل هذه الأشياء.

كان هناك برلماني باسم "ريناس" مشاركاً معهم في ذلك الاجتماع، وقد أبدى إعجابه بالفكرة وقال: "إن هذا شيء إيجابين وعلينا دعم هذه الخطوة." كما أن بعض الفنانين أبدوا استعدادهم في مساعدة هذا المشروع وإيصاله إلى الجهات المسؤولة. قبل أن ينتهي الاجتماع، قال الدكتور: "نحن بحاجة إلى لجنة لكتابة برنامج ونظام الجمعية." وفي المحصلة انتخبوا كل من الدكتور والبرلماني "ريناس" و "ريباز" من اجل ذلك.

قضى الدكتور ليلته في بيت "الاجڤان" وفي الصباح توجها إلى المنطقة التي يتواجد فيها "علي عوني"، والظاهر أن "عالشيخ لقمان" قد فتح معه الموضوع، لذلك قال مبتسماً للدكتور:

- قُل لي يا دكتور، كيف سارت أمورك؟ بعد قليل سيأتي الشيخ لقمان وسنتحدث سوية في الموضوع. قلت له أن يأتي لي بشخص في مقتبل العمر، وهو "محمد آغا". هؤلاء آغاوات عشيرة شرفانيان. كان فرحان آغا شخص معروفاً في هذه المنطقة وهو عم الشيخ لقمان. هذه العشيرة تتكون من أربعين قرية ولديهم مسلحين من أبناء هذه القرى.

قال له الدكتور:
- وهل تحدثتم بصدد مقرنا الذي ننووي تأسيسه؟
- نعم، تحدثنا في ذلك وقال أن المكان متوفر. سيأتي بعد قليل ونذهب سوية لرؤية المكان.
كان "علي عوني" يود أن يتحدث معه عن تفاصـيل لقاءه مع "الشـيخ لقمان". في تلك الأثناء، توقفت سـيارتين من نوع لاندروفر أمام مكتب الحزب ونزل منها حوالي ثمانية مسـلحين. كان "الشـيخ لقمان" يتقدمهم، وحين دخل صافح الدكتور بحرارة، ثم جلسوا في المكتب، وبعد برهة قال "علي عوني" لـ"الشيخ لقمان":
- هذا هو صديقنا الدكتور سليمان الذي حدثتك عنه. إنه قادم من ألمانيا وهو خبير في المسائل العسكرية، وهو يود أم يؤسس اكاديمية يدرب فيها المتطوعين.
رد عليه "الشيخ لقمان":
- حينأخبرني الأخ علي بالموضـوع، فاتحت عمي بشـأن ذلك وقد أعجبته الفكرة. وقد حددنا مكاناً لذلك. هناك قرية باسـم (نرجس) قد تم تفريغها بسـبب هجمات داعش. هناك طاحونة فارغة في القرية، مبناها ضخم وأظن أنها ستكون مناسبة كي تكون مركزاً للمقر.
تحمس الدكتور للفكرة وقال له:
- في أية منطقة تقع تلك القرية؟ هل تستطيع أن تحددها لي؟
- تبعد هذه القرية مسافة سبعة عشرة كيلومتراً عن مدينة الموصل، وتبعد تسعة كيلومترات عن منطقة شيخان. وتقع المطحنة على الطريق المؤدي إلى شيخان.
دخل شخص يحمل صينية عليها كأسات الشاي. بدأ الدكتور كعادته باحتساء الشاي بسرعة. كانت هذه عادته في الجبال أيضـاً، يأكل ويشـرب بسـرعة ويقوم على الفور، وكأن عدوه خلفه. حتى حين كان في أوربا، لم يكن يسـتكين في مكان، حيث يقضـي يوماً في "هامبورغ" وآخر في "دوسـلدروف" وآخر في "برلين". حين أنهى "علي عوني" الرشفة الأخيرة من كأسه، قام الدكتور على الفور وقال له:
- علينا أن نذهب على الفور لرؤية ذلك المكان.
بعد مسير نصف ساعة بالسيارات، وصلوا إلى مكان خال، فيه مبنى مكون من طابق واحد. دخلوا إلى ذلك المبنى، كانت صالة المبنى حوالي ثلاثين متراً مربعاً ويتسع لحوالي خمسين عنصر من البيشمرگه. وكان بجانبخ مطبخ ودورتين للمياه، وثلاث غرف للنوم. أما المطحنة، فكانت تقع خلف ذلك المبنى، فذهبوا إلى المطحنة أيضاً وحددوا الساحة الواسعة أمامها مكاناً للتدريب.
تفحص الدكتور المكان جيداً. نظر إلى القرية مقابل المطحنة. كانت بيوتها فارغة تماماً. لفت انتباهه ثلاث مبان على مسـافة كيلومتر من هناك، فسـأل الشـيخ عنها. رد عليه الشـيخ أن المباني الثلاثة فارغة أيضاً، فعرض عليه الدكتور كي يستعملوا تلك المباني الثلاثة أيضاً. كان الدكتور يود أن يضع نقاط مراقبة وحماية على طريقي الموصـل وشـيخان، على أن يتناوب الحراس على الطريقين على مدار الليل والنهار. بعدها، توجه الدكتور إلى البراكة على الطريق، وجفع بابها، فرأى إنها غرفة كاملة وفيها طاولة وكرسـي. فكّر الدكتور أن يأتي بسرير أيضاً إلى هناك، وبذلك يكون كل ما ذهنه قد تم.
توقف كل من الدكتور و "علي عوني" و"الشـيخ لقمان" في صـالة المبنى ذاك، وأتفقوا على القيام بالخطوات العملية. بدأوا يتناقشـون عن تسـمية لتلك الوحدة العسـكرية، فقال "عوني": "أقترح ان يكون إسـمها وحدة قوات آكري." وقبل الإثنان بمقترحه. لم يكن الدكتور سـليمان مواطناً من كردسـتان العراق، لذلك لم يستطيعوا أن يسموا الوحدة باسمه. ثم بدأوا يتباحثون عن الأعضاء الذين سينتمون إلى هذه الوحدة.

www.arsivakurdi.org

كان "الشـــيخ لقمان" يود أن يطوع بعض الأشـــخاص من قراهم كي يتلقوا التدريب العســـكري فيها. أما الدكتور ســـليمان، فقد اقترح اســـم "مامو" وكان إيزدياً ورفيقاً له حين كانوا بين الگريللا، وهو من كُرد روســـيا، وبعد نزوله من الجبل، أقام في روســـيا وكانت له علاقات مع الحكومة هناك. كان يعمل في القنصلية الروسية في مدينة أربيل قبل اندلاع الحرب. لذلك اقترح عليهم الدكتور إسم "مامو" لخصوصيته تلك وعلاقاته، حيث يســـتطيع أن يطلب الأســـلحة والمعدات من الحكومة الروســـية بدوره. بعدها اقترح "الشيخ لقمان" أيضاً بعض الأسماء من جانبه. كان "الشيخ لقمان" هو المؤسس الفعلي للوحدة، أما الدكتور سليمان، فقد كان قائدها.

حين غادر "علي عوني" المكان، نادى الدكتور على أفراد حماية "الشـــيخ لقمان" طالباً أن يجلبوا له سريراً من المبنى ويضعوا في البراكة هناك. حمل الدكتور حقيبته وجهاز كمبيوتره ووضعه على الطاولة في البراكة وقال لـ"الشيخ لقمان":

- كم شخصاً تستطيع أن تجلبهم اليوم لتلقي التدريب؟

- حوالي ثلاين شخصاً.

- وكيف سنؤمن لهم البطانيات والأسرة والطعام؟

- من ســـيأتي اليوم هم من القرى المحيطة. ســـأقول لهم كي يجلبوا بطانياتهم ولوازمهم معهم. أما عن المأكل والمشرب، فسنحل ذلك مع الأخ علي عوني.

انفرجت أسارير الدكتور بعد سماعه هذه التسهيلات في العمل.

ذاع خبر تأســيس الوحدة العســكرية في كل مكان. حين ســمع الشــباب الموجودون في المخيمات بذلك، راجعوا إدارات مخيماتهم يريدون الانضــمام إلى الوحدة، وكان بين هؤلاء ســبعة عشــرة فتاة، كان البعض منهم من كُرد ايران، والبعض من كُرد ســوريا، لكن أغلبهم كانوا الفتيات الإيزديات الناجيات من المجازر في سنجار.

قبل حلول المســاء، وفى "الشــيخ لقمان" بوعده وأتى بثلاثين شــخصــاً كي يتلقوا التدريب وكانوا قد جلبوا بطانياتهم ومســـتلزماتهم معهم، حتى أن البعض منهم كانوا قد جلبوا أســـلحتهم أيضـــاً. اســـتقبلهم الدكتور بحرارة، ثم طلب منهم كي يضعوا أغراضهم في الداخل، أما هو، فقد اتصل بـــ" ممو موويي" وأخبره كي يأتي غداً إلى مقر الوحدة.

بعد أن اســـتقر المتدربون هناك، طلبهم الدكتور إلى الخارج وطلب منهم أن يقفوا في صـــفين منتظمين أمامه. لم يكونوا يعلمون بعد بالانضباط العسكري، مع أن البعض منهم كان قد انضم إلى الپيشمرگه لأيام، إلا إنهم كانوا يعملون كأفراد حماية فقط، ولم يكونوا قد تلقوا التدريب العســـكري الكافي. بعد أن نظموا أنفسهم بشق الأنفس في صفين، صعد الدكتور إلى المصطبة أمام المطحنة وقال لهم:

- أرحب بكم حميعكم يا رفاق في هذا المقر العسكري. من الآن فصاعداً أنتم بيشمركة، وعليكم أن تتبعوا الانضباط العسكري هنا. ستكون ساعات النوم وساعات الاستيقاظ محدودة، كما سيتم وضع نقاط الحراسة جول المقر ليلاً نهاراً. على الحراس أن يكونوا يقظين بشـــكل كامل، حيث أي إهمال في الحراس قد يودي بحياتنا حميعنا. العدو قريب منا، ويقال أن الأنهار تنام، لكن العدو لا ينام. ســـوف نقوم بتقســـيمكم إلى مجموعات صـــغيرة ونحدد قائداً لكل مجموعة. إن حدث أي خلاف بين إثنين، عليهم أن يبلغوا قائد مجموعتهم أولاً، ولا يحاولوا أن يحلوا ذلك الإشـــكال بمفردهم دون الرجوع إلى قائد المجموعة. ان لم يستطع قائد المجموعة حل ذلك الإشكال، حينها عليه أن يخبر الأعلى منه رتبة. ستكون هناك مناوبات في المطبخ وبشـــكل دوري، الكل يجب أن يعمل هنا. على الجميع أن يقوموا بالرياضـــة الصـــباحية وأن ينتبه

جيداً لدروسه العسكرية ويشارك في الدروس العملية والنظرية.
نادى الدكتور على أحد العناصر الذي يجيد القراءة والكتابة، وقال له:
- أكتب أسماء الجميع والمعلومات عنهم على الدفتر.
حين كتب الأسماء وقرأ المعلومات عنهم، لاحظ أن ستة عشرة منهم قد جلبوا أسلحتهم معهم.
قرأ الدكتور أول أسمين على الدفتر وقال لهم:
- سوف تقومون بحراسة البوابة الرئيسية. صحيح أنه لا توجد بوابة رسمية لنا، لكننا في الغد سوف نضع الرمل في الأكياس ونضعها أمام البوابة.
ثم نادى إلى أربعة أسماء أخرى، وأمرهم بحراسة طريق الموصل وقال لهم:
- سوف تفتشون السيارة العابرة كلها، وان بادركم الشك في أي منها، أطلقوا النار عليها فوراً.
ثم قرأ أسماء أربعة آخرين لحراسة الطريق المؤدي إلى شيخان، وثلاثة آخرين للحراسة فوق التل المطل على المقر، وكل ساعتين سوف يتم تبديل الحراس وكلمة السر. تحدث لهم بالتفصيل عن أهمية كل ذلك بالنسبة لهم.
ذهب الدكتور إلى الصالة التي ستكون مهجعاً للمتدربين، وحدد واحداً من بينهم قائلاً له:
- من الآن فصاعداً أنت ستكون مسؤول المهجع. إن حدث أي إشكال ولم تستطع حله عليك أن تخبرني به.
رد عليه الرجل وقال له:
- سوف أقوم بهذه المهمة بكل سرور.
- جهز قائمة الآن بأسماء الحرس ومواعيد الحراسة كي يكون كل واحد منكم على علم بتوقيت نوبته. حين يحين موعد نوبة الحراسة، على الحارس أن يذهب أعزلاً من السلاح ويستلم السلاح وكلمة السر من الحارس الذي قبله. كلمة السر الليلة هي "مرحبا بقوات آكري" لا تنسوا كلمة السر هذه. أكتب كل ما أقوله لك على ورقة وعلقها على جدار المهجع.
حمل مسؤول المهجع ورقة وقلماً. لقنه الدكتور المعلومات قائلاً:
- الاستيقاظ في الساعة السادسة والنصف صباحاً. الرياضة الصباحية من الساعة السابعة وحتى الثامنة. الفطور الصباحي من الساحة الثامنة وحتى الساعة التاسعة. من الساعة التاسعة وحتى الثانية عشرة، دروس في التكتيك العسكري والتدريب على الأجهزة العسكرية والسلاح. من الساعة الثانية عشرة وحتى الساعة الثالثة، طعام الغداء واستراحة الظهيرة. من الساعة الثالثة سوف تُعطى الدروس العملية والاستعدادت. في الساعة السابعة طعام العشاءن وفي الساعة التاسعة فما فوق، استراحة وحلول توقيت النوم.على الجميع أن يتقيد بهذا الجدول، ومن لم ينفذ هذه التعليمات سوف يتم تسريحه من الوحدة.
حين لاحظوا انضباط وشدة قائدهم، وافق جميع المتطوعين على البرنامج بدون اعتراض. وغادرهم الدكتور إلى غرفته كي ينام. أما مسؤول المكتب، فقد كتب كل تلك التعليمات بالأحرف اللاتينية على الورقة وعلقها على جدار المهجع.
في اليوم التالي، استيقظ الجميع باكراً، واجتمعوا بشكل عشوائي في الساحة. حين رآهم الدكتور على تلك الحالة، ابتسم وقال لهمك
- ما هذه الحالة؟ هل يجوز أن تكون الحياة العسكرية بهذا الشكل؟ نحن لسنا ذاهبون إلى صيد الخنازير. عليكم أن تصطفوا بشكل عسكري. أيها المسؤول، إجعلهم يصطفون في صفين بجانب بعضهم.
صرخ فيهم المسؤول وأمرهم للاصطفاف، لكنهم لاقوا صعوبة في ذلك. تدخل الدكتور حينذاك وقال

www.arsiyakurdi.org

لهم:

- ليصطف كل إثنان وراء بعضهما ويضعا أيديهما إلى أكتاف بعضهما.

قاما بذلك. ثم أمرهم:

- الآن ليخطوا أحدكم خطوة نحو اليسار والآخر خطوة نحو اليمين ويضع يده على كتف زميله.

اكتمل تنسيق الصفين. لكن غالبيتهم لم يكونوا يمتلكون الأزياء العسكرية. لم يرتح الدكتور لذلك، وكان عليه أن يؤمن لهم زياً موحداً.

في فترة الظهيرة، قدم "علي عوني" مع مجموعة من الفتيات إلى الوحدة، كما قدم "ممو" أيضاً. سلموا التعليمات للفتيات أيضاً بالإضافة إلى جدول الحراسة، فقد كانت النسوة أيضاً سيشاركن في نوبات الحراسة على طريق شيخان.

بعد أن جهزوا كل تلك الترتيبات، ظهر كلبين من خلف البيوت كانا يتقدمان صوب المقر. لم يترك القريون أثراً خلفهم سوى هذين الكلبين. نظر الدكتور إليهم وقال في نفسه: "لو كان كل شخص يجب قريته مثلكم، لما تحولت القرية إلى أطلال." كانت علامات الجوع بادية على الحيوانين، لذلك أمر الدكتور المسؤول كي يجلب لهما شيئاً يأكلانه.

لقد أتت كميات كافية من الأرزاق إلى المقر في ذلك اليوم. شاي، برغل، سجائر، عدس، خبز، جبنة، زيتون، بندورة.. قدم الكلبان أيضاً إلى أمام الدكتور والمسؤول عن المهجع وكإنهما ممتنان لهما. قال الدكتور سليمان:

- سوف نربي هذه الكلاب. البُني سيكون لي وسيكون اسمه (شرو)، سأقوم بتدريبه بحيث إنه لن يدع العدو يقترب من المقر بأي شكل من الأشكال. أما الآخر، فهو لكن ولك الحرية في اختيار اسم له. لكن لا تنسى أن تطعمهم إن لم أكن موجوداً.

بعد ان اجتمع خمسين عنصراً في المقر، حدد لهم الدكتور عنوان الدرس الأول وهو "عرّف عن نفسك، ثم عن سلاحك بعد ذلك". خصص ذلك اليوم من أجل ذلك، حيث بدأ كل فرد بالتعريف عن نفسه بشكل مختصر أمام الجميع. كان وضع النسوة القادمات من المخيمات مثيراً للشفقة، كانت ثياب البعض منهن ممزقة، والبعض الآخر لم يكن يملكن جزمة حتى. أما النسوة القادمات من ألمانيا، فكن قد جلبن لهن بعض الألبسة العسكرية والجزمات معهن من هناك.

كان هناك أشخاص غريبي الأطوار بين عناصر الوحدة. كان أحدهم يدعى "الشيخ صدقي" الذي كان يحتسي الويسكي، مع أن تناول المشروبات ممنوعاً في المقر. لكن الدكتور كان يقدر وضعه ويتغاضى النظر عنه. يُقال إنه كان مهرباً مشهوراً في المنطقة، كانت له علاقات مع مهربي الموصل، وذلك لأنه كان يعمل في التهريب في تلك المنطقة وما حولها، وكان المهربون يثقون به ثقة تامة. كان اولئك المهربين يتعاملون مع عناصر داعش، وكانوا يخبرونه بتحركاتهم بالتفصيل، ويحددون له ساعة خروجهم وإلى أي مكان يتوجهون. كان هذا بدوره يعطي تلك الإحداثيات للوحدات القريبة، وهم بدورهم يدلون بتلك الإحداثيات لمركز العمليات المشتركة في أربيل، والتي تعطي تلك الإحداثيات لطائرات التحالف التي كانت تغير وتقصف أرتال داعش تلك. كان "الشيخ صادق" كنزاً من الأسرار. عمره يناهز الخامسة والخمسين، يقوم بكل أعماله مخموراً، حتى إنه لم يكن يجد ضرورة للذهاب إلى طبيب أسنان كي يداوي أسنانه المنخورة ويصلحها.

كان المسؤول يرى نفسه ملكاً على المقر أثناء غياب الدكتور.

في ذلك اليوم الذي يأتي فيه اللحم إلى عناصر الوحدة، كان يخبأه عنهم، وكان يذهب إلى غرفته ويتفرج

على الأفلام التركية ويقوم بشوي اللحم ويأكله أمام مراى الجميع. كان مولعاً ببطنه وأكله فقط ولا يهمه أي شيء آخر في الحياة.

كان هناك شاب في الوحدة اسمه "شيار"، يحب الدكتور كثيراً وينفذ كل ما يطلبه منه على الفور. يكون سعيداً بوجود الدكتور، ويطغى الحزن على سحنته حين غيابه. كما كان هناك شاب في مقتبل العمر واسمه "آلا"، يحمل في يده بندقية كلاشينكوف. سلمها جده الذي استشهد إلى والده، ووالده بدوره سلمها له. قال له والده: "حين تنتهي طلقاتي، سأترك آخر طلقة كي أقتل بها نفسي" وكان قد ترك مكاناً لتلك الطلقة على سبطانة البندقية.

كان هناك "شرو" أيضاً، وهو من كُرد سوريا. حين هاجمت داعش مناطقهم، غادروا عن طريق التهريب إلى تركيا واستقر به المقام في مدينة أزمير، ومن هناك، جمعوا أنفسهم وأصبحوا أحد عشر شخصاً وعن طريق المهربين، أرادوا الإبحار بالزوارق إلى الجزر اليونانية، لكن الزورق المطاطي انفجر في منتصف الطريق، وغرق تسعة منهم، أما هو فقد فقَد طفليه وزوجته، وحين بقي لوحده، غادر تركيا ولجأ إلى جنوب كردستان، وانضم إلى "قوات آكري" فور سماعه بتأسيسها.

أما "فراس" فكان من كُرد مدينة الموصل، لم يكن يتحدث مع أحد، كانت همومه تفوق الجبال، ولم يكن يبوح لأحد بها إلا للدكتور. قتل داعش أخوين ووالده وأخته. أما زوجته وأطفاله الإثنين ووالدته، فقد وقعوا في الأسر.

أما "عزيز" فكان شاباً انيقاً من مدينة زاخو، كان والده يعمل في الجمارك. كان "عزيز" يحب فتاة، لكن والده لم يخطبها له، لذلك ترك دكان الحلاقة خاصته والتحق بالوحدة. لاحظ الدكتور إنه ذكي جداً في مجال الألغام، لذلك بدأ يعلمه ويلقنه الدروس عنها.

كانت "نجيبة" التي فرّت من سنجار هي وزوجها قد غادرا إلى استانبول (إسطنبول) ، يودون اللجوء إلى أوربا، لكن حين انقطعت بهم السبل، أرادت العودة إلى جنوبي كردستان، لكن زوجها لم يوافق على العودة، فعادت لوحدها والتحقت بقوات آكري.

أما "نازى" صديقة الدكتور القديمة، فكانت منذ تركها لجبل قنديل قد انغمرت في الحياة المدينة، وحين بدأ هجوم داعش على المنطقة، أرادت المشاركة في المعارك من خلال الوحدة التي أسسها الدكتور.

كان هناك شخص اسمه "پتو"، كانوا يقولون بأنه كان لص مشهور. كان يسرق البصل حتى من الوحدة. وكانوا يقولون إنه انضم إلى الوحدة من أجل السرقة فقط.

أما "جسيم" فكان تاجراً للسلاح ورجلاً غريب الأطوار. كان محكوماً عليه في سجن دهوك. انضم إلى الوحدة بدل أن يقضي أيامه في السجن، حيث كانت الأيام التي يقضيها تُحسب له من مدة محكوميته. كان يتلقى التدريب ويتاجر بالسلاح في نفس الوقت. كان من عادته حين يسافر إلى دهوك، يجلب معه كيساً مليئاً ببطاطا الجيبس، وحين يحل الليل، يبدأ بفتح أكياس البطاطا المقرمشة ويبدأ بأكلها، ولم يكن يعطي ولا قطعة منها لزملاءه، وحين ينتهي من أكلها، يبدأ بمص إصبعته أمام الجميع.

في الليالي التي لا يكون الدكتور متواجداً في الوحدة، كان المسؤول يقوم بعملية عسكرية ضد الحمام. كان في القرية المقابلة لمقر الوحدة بيوت خالية. في االليل كانت الحمامات تأوي إلى البيوت، وكان بدوره يأخذ بعض العناصر معه ويذهب لاصطياد الحمام ويجلبها ويسلمها للنساء في الوحدة.

سمع الدكتور بهذه القصة، وصاح فيه بصوت سمعه الجميع: "أنا أدربكم على قتال وحوش داعش، وأنت بدون خجل تذهب وتقتل تلك الحمامات البريئة بدون وازع من ضمير، ثم تسلم تلك الحمامات المقتولة للنسوة المفجوعات" ثم جرده من كل مسؤولياته.

كان الدكتور حين ينهي التدريب في مدة أسبوعين، يقوم بعدها بتدريبهم بشكل عملي على حروب السهول والمدن، والإغارة في الليل. كان كل من يود أن يتعلم أصول القتال والحروب يستفيدون من معلوماته استفادة جمة. كان يقول لهم: "أحياناً كثيرة يجد المرء مجبراً على خوض الحروب. عليه حينذاك أن يرى في الحرب على إنه فن من الفنون ويحاول الانتصار بكل السبل. الحرب ليست حركة خيّرة، لأنها تجلب الموت للطرفين، ومن لم يواجهها إن حلت عليه سيكون خاسراً."

في إحدى الأيام، بعد ان انتهى الدكتورمن الدروس، ذهب إلى غرفته كي يرتاح، وبدأ يتفرج على التلفزيون. أتاه اتصال من مقر "علي عوني يخبروه أن داعش قد استولى على تل استراتيجي بين قرية "نركز: ومدينة الموصل. كان ذلك التل تلاً استراتيجياً، حيث يمر الطريق البري المؤدي إلى المدينة بجانبه. كان "سربست ترافانش" (سربست تروانشي) هو من يقود وحدة البيشمركه في قرية "نركز" القريبة من التل. تحمس الدكتور لاستعادة ذلك التل حين سمع بذلك الخبر، ومن ناحية أخرى، كان يود أن يختبر وحدته بعد كل ذلك التدريب المكثف الذي كان يقوم به ورأى فيها فرصة لمعرفة نتيجة تدريبه لهم.

اتصل على الفور بـ"علي عوني" وأراد منه المجيء إلى المقر. حين قدم "علي عوني"، قال له الدكتور:

- طالما أن داعش قد بات قريباً من وحداتنا، لذلك علينا أن نهاجمهم.

- لا نعلم إلى الآن عدد قواتهم وأية أسلحة يمتلكون.

- نحن نعلم بتضاريس هذ المنطقة جيداً، أما هم، فغرباء ولا يملكون معلومات كافية عن المنطقة، ولا يتوقعون أن نهاجمهم، لذلك سوف نباغتهم بهجوم كاسح وسريع.

- إنها مخاطرة، لكن إن كنت مصراً على ذلك، سوف أبلغ فرحان آغا كي يأتي ببعض المسلحين.

وافق الدكتور على ذلك وذهب إلى الخارج يطلب جميع العناصر في ساحة الاجتماع. اختار الدكتور واحداً وعشرين عنصراً من بينهم وقال للبقية ألا يرتاحوا الليلة ويحرسوا المقر جيداً. كان من بين العناصر الذين اختارهم للعملية الشاب الايزدي الجريء "شرفان"، كما كان أخ "الشيخ لقمان" ايضاً بينهم، وشاب آخر اسمه "دلدار" وكان شاباً مثقفاً وجريئاً بدوره، والمقاتل "شفان" الذي كانت لديه خبرة في الحروب. وكان بجانب الدكتور "ممو ممويي" المقاتل السابق في الجبال والصديق المقرب للدكتور. كان الدكتور يثق فيهم جميعهم، ثم قال لهم بعد ان جمعهم في الساحة:

- يا رفاق، لقد استولى داعش على التل المطل على وادي (نافران) (ناوران) القريب من الموصل والذي كنا نقوم بتدريباتنا عليه. لا نعلم كم عددهم وعلى ماذا ينوون. سوف نقوم بمهاجمتهم ونستعيد التل منهم. هل هناك أحداً منكم لا يود أن يشارك في العملية؟

قال الجميع بصوت واحد: كلا.

انتابته الغبطة من حماسهم وبدأ يشرح لهم خطته في الهجوم قائلاً:

- قبل كل شيء، علينا أن نتسلل بسرية بالغة إلى موقعهم. حتى الهمس ممنوع والسعال أيضاً. سوف نضطر أن نقطع مسافة طويلة زحفاً. حين نصبح على مقربة منهم، سوف أرى تحركاتهم بالمنظار الليلي معي وأرى تحركاتهم وتمركزاتهم وعددهم وآلياتهم ونوعية الأسلحة معهم، وعلى ضوء ذلك، سوف نضع خطتنا، ولا يجوز أن تطلقوا النار إلا حين أبدأ أنا برمي القاذف عليهم.

بدأ الجميع بتفقد أسلحتهم وعتادهم، وشكلوا ثلاثة مجموعات، كل مجموعة مكونة من سبعة عناصر، وحدد قائداً على كل مجموعة منهم. كما شدد عليهم كي يموهوا ثيابهم وأنفسهم جيداً ويخلعوا الزي البراق عن أنفسهم. بعد برهة، قدم إلى المقر ثلاثمائة مسلح من طرف "الشيخ لقمان". لم يكن الدكتور ينوي أن يهاجم بكل ذلك العدد عليهم، لذلك قسمهم بدورهم إلى مجموعات، كل مجموعة مكونة من عشرين

عنصراً، وحدد القادة على المجموعات، ثم جمع القادة فقط وقال لهم:
- أنتم إبقوا هنا على أهبة الاستعداد في سياراتكم. عند أطلاقي لثلاثة أعيرة مخططة، سوف تتحركون بسرعة صوبنا وسوف ألقاكم على الطريق وأخبركم بما تفعلون.

بعد أن جهز كل هذ الأمور، بدأ بالمسير مع عناصره العشرين. كان يعرف تضاريس المنطقة جيداً. كانوا يتقدمون في الخنادق التي حفرتها قوات الپيشمرگه في السابق. كان يسيرون في رتل واحد، يفصل عن كل عنصر وآخر أمتار. بدأوا يسيرون الهوينى حين وصلوا إلى مقربة من الموقع المحدد، ينبطحون على الأرض ويستكشفون المنطقة من حولهم. كان الدكتور يأمر البعض كي يكملوا المسير زحفاً في إحدى الاتجاهات، وينظر بمنظاره الليلي إلى التل، وحين يجدون أن ما حولهم آمن، يرفعون رؤوسهم ويكملون مسيرهم بتؤدة. نظر الدكتور بالمنظار الليلي إليهم، كانت ستة سيارات واقفة هناك وبعض الداعشيين جالسين بالقرب منها. نظر إلى الطرف الآخر، كان خمسة داعشيين يحرسون التل وثلاثة آخرين في الوادي، وقد يكون هناك حراس على طريق الموصل أيضاً، لكنه لم يراهم. بعد أن رأى كل ذلك، أشر لقادة المجموعات كي يأتوا إليه زحفاً، وبدأ الدكتور يقول لهم همساً:

-غالبية الدواعش جالسون حول سيارتهم، والحراس يحيطون بهم من كل الاتجاهات. سوف نتوجه إلى التل الآخر المقابل للوادي. لكن كونوا حذرين جداً، فإن أحسوا بنا، سوف تفشل خطتنا وينقضون علينا، لكننا إن باغتناهم، فإنهم لن يجدوا الفرصة للهرب حتى.

ساروا زحفاً حتى وصلوا إلى مسافة المدى المجدي للرمي. تمعن الدكتور في النظر بمنظاره مرة أخرى وبدأ يعد الدواعش. كانوا ثلاثين داعشياً هناك، إضافة إلى سيارتين من نوع "همر" وأدرك بخبرته أن إحداها معدة للتفجير الانتحاري. قال الدكتور لرفاقه:

- حين أطلق القاذف، قوموا بإطلاق النيران على السيارات، وبعدها انسحبوا على وجه السرعة إلى خلف التل حيث تكونون بعيدين عن رصاصاتهم. بعدها سننسحب بحسب ما يجري على الأرض.

سدد الدكتور القاذف صوب عربة الهمر المفخخة. قبل أن يطلق رفاقه النيران من بنادقهم، حصل انفجار ضخم ارتجت الأرض من تحتهم. كانت قطع العربة والأشلاء التي من حولها تتطاير في السماء. لم يبق أي من الدواعش الذين حول عرباتهم حياً، لذلك لم يطلقوا الرصاص صوبهم. سمعوا صوت الدكتور وهو يقهقه ضاحكاً ملئ شدقيه، كانت ضحكته كصرخة للنصر. بعدها، أطلق الدكتورر ثلاثة طلقات مخططة في السماء وقال لرفاقه:

- لنحمي بعضنا وننزل إلى الوادي. لينزل سبعة منكم من اتجاه وسبعة آخرين من الاتجاه الآخر. أطلقوا النار على كل من تجدونه يتحرك هناك. حتى الآن لم يطلق أحد النيران علينا، الظاهر إنهم قد قتلوا جميعهم، والباقي منهم على قيد الحياة فاقد للوعي بكل تأكيد. سوف نركز على الجرحى وفاقدي الوعي منهم. سوف أذهب بمجموعتي إلى فوق التل وسوف أنظم المسلحين القادمين من المعسكر. خذ معك ستة مسلحين يا دلدار، وأنت يا شفانن خذ ستة معك على أن تكون هناك مسافة عشرة أمتار بين كل واحد منكم. هيا تحركوا بسرعة! احملوا كل ما تجدونه هناك من أسلحة ومعدات، وضعوا عنصرين كحراس على تلك الأسلحة التي اغتنمناها.

تسلق الپيشمرگه المدربين بسرعة البرق التل، حين وصلوا إلى الموقع، رأوا قطع العربات المدمرة والأشلاء متناثرة هناك. ساروا زحفاً إلى مقربة من هناك، لم يكن أي منهم حياً، لقد احترق الدواعش في جحيمهم. لم يعرفوا لم كان الدواعش ملتمين حول السيارات وتوقعوا أن يكونوا في اجتماع هناك.

حين لم يلاحظوا أي خطر من حولهم، قاموا وهم يسددون سبطانات بنادقهم على الموقع وساروا صوب

العربات المدمرة. كان عدد القتلى من الدواعش حواالي خمسة وعشرين قتيلاً. قاموا بجمع أسلحتهم وذخيرتهم وكل معداتهم العسكرية بأمر من الدكتور. ثم تمركز الدكتور وفراد مجموعته في مكان آمن وذهب برفقة إثنين من الپيشمرگه لملاقاة المسلحين القادمين من المقر. وجه كل سيارة من تلك السيارات القادمة صوب جهة محددة، كما أرسل بعضها صوب الموقع اللمدمر، وأرسل البعض منهم صوب التل الواقع على طريق الموصل، وذلك يقوم بتأمين كل الطريق ويتأكد أن المنطقة قد أصبحت خالية من الدواعش. حين بدأوا بالتحرك، أتت وحدة "سربست ترفانيش" ايضاً. كان هناك صراع "سربست" و"الشيخ لقمان" وقد ظهر صراعهم في هذه المنطقة. بدأوا يتناقرون بين بعضهم بشأن الغنائم، ولأن "سربست" كان قائد تلك المنطقة، لذلك كانت عربات الهمر من حصته، أما مسلحي "الشيخ لقمان" فكانوا يأخذون كل ما تقع عليه أيديهم. لم يبق شيء لوحدة الدكتور سوى الذخيرة وتلك السيارات المدمرة والمحطمة.

قبضوا على ثلاثة دواعش وأرسلوهم إلى مدينة دهوك. وسلموا الجثث إلى إليهم أيضاً. في تلك الأثناء، أنهت وحدة "سربست" عملية التمشيط.عادت وحدة الدكتور إلى مقرها، وفي صباح اليوم التالي، توجهت القنوات الفضائية صوب مكان العملية، حيث أدلى الدكتور لتلك الفضائيات بحيثيات العملية وكيفية تنفيذها.

في اليوم التالي، قال "ممو ممويي" للدكتور:

- هناك الآلاف من الإيزديين الفارين من سنجار قد استقروا حول معبد لالش. إنهم يعيشون بخوف هناك ويخافون أن يهاجمهم الدواعش في وقت. إن هدف داعش الرئيسي هو لالش، هذا ما يتناقله الناس بين بعضهم.

- علينا أن نؤسس وحدة عسكرية على الفور هناك. علينا أن نقوم بتدريب الشبان الفارين إلى هناك. هل يحملون معهم أسلحة هناك.

- سووف نستطيع تأمين الأسلحة لهم، وان تطلب الأمر، سوف نطلب من وزارة الپيشمرگه الأسلحة لهم.

- إن لم تمنحنا وزارة الپيشمرگه الأسلحة، سوف أطلبها من القوات الأمريكية وأتواصل مع القادة الألمان بشأن ذلك. وأنت بدورك موظف في القنصلية الروسية، وتواصل أيضاً ممع جمعية الصداقة الروسية الكردية. إذهب إلى الإيزديين وشكل لجنة منهم، وسوف نلتقي مع السفير الروسي، كما سنكتب رسالة باسم الإيزديين إلى الرئيس الروسي بوتين. إذهب الآن والتقي بوجهاء الإيزديين كي يؤمنوا لنا مكاناً كي نؤسس فيه مركزاً للتدريب هنااك.

- تعال كي نذهب سوية يا دكتور، سوف أجعلك تلتقي بوجهاء الإيزدية. سوف تستطيع إقناعهم بأسلوبك.

- حسناً، سوف أحدد ثلاثة من الپيشمرگه كي يديروا المقر ويقوموا بالتدريبات هنا بغيابي. علينا أن نتوجه على الفور الآن إلى وادي لالش.

كان المرة الثالثة لـــ"الدكتور سليمان" التي يزور فيها "لالش" التي تعتبر معبداً مقدساً لإيزديي العالم كله، كما هو الحال أن مكة هي مقدسة للمسلمين، والفاتيكان مقدس للمسحيين، كذلك يعتبر معبد "لالش" هو وجهة الإيزديين في كل العالم.

يُقال: "أن الإيزديين هم أبناء الكلمة، لذلك بقي تاريخهم وثقافتهم وعباداتهم وكتبهم مخفية، فهم كانوا يقومون بالعبادة موجهين انظارهم صوب الشمس".

لا داع لأن نغوص كثيراً في التاريخ. قبل مائة عام من الآن، لم يكن هناك إسم تركيا ولا العراق ولا سوريا موجود على الخرائط العالمية. حتى أن الكتب التاريخية لم تذكر إسم هذه الدول. في تلك الأثناء، كان الإيزديون يعيشون في ثلاثة مناطق جبلية، وبقيت الجبال تأويهم لمئات السنين. من هذه الجبال جبل "قرجداغ" الذي يمتد م (من) "رها" ويصل حتى "آمد"و"ماردين". الجبل الثاني، هو جبل "عبدالعزيز" الواقع بالقرب من مدينة الحسكة، والجبل الثالث هو جبل "سنجار".

إن مكوث الإيزديين في الجبال وعدم نزولهم إلى السهول لم يكن عن عبث. يقضون حياتهم التي رسمها لهم الآباء والأجداد كرُحّل بين الجبال. بحسب ما يقول المسلمين والمسيحيين أن الإيزديين "يعبدون ملك الشر" لذلك وضعوهم في دائرة الموت، وضاقت بهم الحياة في السهول، لذلك لجأوا إلى الجبال.

بحسب ما هو وارد في القرآن، أن الله أمر الملائكة كي يخلقوا الإنسان من الطين. قامت الملائكة بذلك. بعدها أمرهم كي يسجدوا لذلك المخلوق. رفض الملاك الأكبر من بينهم وهو "إبليس" ومن إيمانه الشديد بالله أن يسجد لبني آدم المخلوق من طين وهو نار. لذلك حلت على إبليس اللعنة. بحسب المسيحيين، فإن إبليس قد عصى أمر الله، لذلك تم تجريده من ملائكيته. لأن المعتقد الإيزدي يفسرون هذا الأمر بشكل مختلف ويقولون أن إبليس هو ملاك، كما كل الملائكة ولقبوه بـــ"الملك طاؤوس"[43]. لذلك حاربتهم الأديان التي احتلت هذه المناطق، ولذلك أنجبروا على اللجوء الجبال. أي أن قدرهم أصبح كقدر إبليس.

وصل الدكتور وصديقه "ممو" إلى مقربة من المعبد. كان المسير بالأحذية إلى هناك يعتبر ذنباً، لذلك وضعوا أحذيتهم وجواربهم في السيارة وتسلقوا الجبل وهم حفاة يسيرون صوب المعبد.

كان الطريق الذي يسيرون فيه معبداً وفي (وفيه) بعض الحفر هنا وهناك. كان أمامهم باب مقوس عليهم أم يجتازوه. حين ينتهون من الباب المقوس، كان هناك نهر عليهم اجتيازه من فوق جسر، يقول الإيزديون لذلك الجسر" جسر الصراط" وبعدها يشاهد المرء بعض الأبنية القدينة. كان معبد "لالش يقع في ذلك الوادي، يحيط به أشجار التوت، والكثير من الحجرات والقبور والكهوف المقدسة.

اجتازوا عدة أبواب للقاء "بابا جاويش" مسؤول المعبد. وصلوا إلى ساحة معبدة بالحجارة السوداء ووقفوا أمام باب المعبد الذي كان محفوراً عليه صور الأفاعي. حين وضع الله آدم وحواء في جنات عدن، ظهر لهم الملك طاؤوس على شكل رجل وأخرجهم من هناك. كانت الحية مقدسة في المعتقدات الزرداشتية، حتى أن النبي رزادشت كان يرافقه نسر ووحية (وحيّة)أثناء لجوءه إلى الكهوف لمدة خمسة عشرة عاماً.

حين بنا النبي نوح سفينته، أخذ الأفعى معه، وحين حدث ثقب في السفينة، أدخلت الحية نفسها في ذلك

43. https://tr.wikipedia.org/wiki/Melek_Tavus

الثقب كي لا تمر المياه إلى ادخل السفينة، وبذلك أنقذها وأنقذ بقية الحيوانات من الغرق.

طهرت في الألواح القديمة لملحمة جلجامش أن "جلجامش توجه إلى أورنابشـــتم كي يدله على مكان هشــبة الخلود. فيدله هذا أن تلك العشــبة هي في تحت المحيط، ويدله على موقعها. يربط جلجامش حجارة ثقيلة برجله وينزل إلى قاع المحيط حتى وصــل إلى المكان المحدد، لكن حية قريبة منه قد تناولت العشــبة من يده وغيرت جلدها وعادت فتية".

كان هناك اتفاق بين النبي سـليمان والأفعى. عصـــا النبي موسـا تحول إلى أفعى. إسـم الأفعى في اللغة اليونانية هو "آسكاليبيوس" على إسم آلهة الصحة عند الإغريق. وحسب أسطورة اغريقية أصبحت الأفعى هي آلهة للصحـة. كما كان هناك حية ملتفة على عكازات الآلهة ويظهر ذلك في التماثيل التي تم نحتها في ذلك الزمن.

كان على معرفة مسبقة بـــــ"بابا جاويش" حيث إنهما التقيا في السـابق وكانت بينهما مودة. صــافحهم بحرارة وتقدمهم إلى مزار "الشـيخ آدي". كان المرء يسـمع صـمت التاريخ من ذلك المزار. داروا حول المزار ثلاثة مرات، ثم جلسـوا على صـخرة بيضـاء بالقرب من المزار. علقوا خرقة قماش على المزار، فكان في معتقدهم أن الخرقة تلك حين تتلتصـق بالجدار، فذلك دلالة على تحقيق أماني ذلك الشـخص الذي يضعها هناك.

كانت هناك غرفة بالقرب من المزار، يدخل إليها المرء عبر ثقب (مدخل) ضـــيق، وفيها الكثير من الجرار الفخارية السوداء، وفيها دهن وزيت لإشعال النيران فيها، وبجانبها غرفة أخرى فيها شواهد لقبور الأوباء الإيزديين.

حين خرجوا من مزار "الشيخ آدي"، رأوا باباً واسعاً أمامهم ومنه ينزل المرء بأدراج إلى الأسفل. توجه الدكتور إلى هناك، لكن "بابا جاويش" أوقفه بيده بهدوء وقال له: "لايســـتطيع أحد أن ينزل إلى هنا عدا الإيزدي" لم يعلق الدكتور على كلامه، لأنه كان يعلم أن ســؤاله ســيكون بدون جواب. حين خرجوا من هناك، قال له صديقه "ممو":

- هناك في الأسفل، توجد ماء زمزم، ينزل إليه الإيزديون ويشربون منه ويغسلون أيديهم وأرجلهم فيه. لا يجوز للنسوة والرجال الاغتسال سويةة فيه، وان حدث ذلك، يعتبر كل رجل وامرأة يغتسلان فيه سوية مطلقين، وسيصبحان كأخوة منذ ذلك الوقت.

جلسـوا في مضـافة المزار واتكأوا على المخدات فيه. كانت المضـافة تتسع لأكثر من مائتي شـخص. اختصـر الدكتور كلامه لـــــ"بابا جاويش" وعرض عليه الموضـوع بأسلوبه العسـكري. ابتسـم له "بابا جاويش" وقال:

- كما تعلم يا دكتور، لقد فرّ الآلاف من المذابح في سنجار ولجأوا إلى هذا المعبد المقدس. لقد رأيتم الخيم البيضـــاء في طريقكم إلى هنا. هناك مســـافة قصـــيرة تفصـــلنا عن الدواعش، وهم يهاجموننا بالمدرعات ويطلقون علينا القذائف بالمدافع والدبابات من بعيد، أما نحن، فلا حول ولنا، ولا نعلم ماذا سـنفعل. لقد تهنا ونخاف من قادم الأيام.

- العدو الأكبر للمرء هو الخوف والتخبط وقلة حيلته. سننتصر على عدونا حين نتحرر من هذا الخوف. علينا أن نحمي لالش والناس الذين لجأوا إلى هنا. هناك الكثير من الرجال ويستطيعون حماية المعبد. علينا أن نشكل قوة من هؤلاء، لذلك أطلب منكم أن تؤمني لي مكاناً لتدريبهم وتمدني بالرجال والشبان.

- أشكرك. سوف أوصل مقترحكم هذت للمجلس. عدا ذلك، عليكم أن تأخذوا الإذن من قيادة البيشمركه والحزب أيضاً.

- سوف أتواصل مع مسؤولي الحزب الديمقراطي. أليس علي عوني هو المسؤول؟ سوف أتواصل معه. سأكون سعيداً لو أخذتم موافقة المجلس أيضاً.

في تلك الأثناء، دخل رجلس في متوسط العمر، يلبس ثياب أنيقة. صافح الجميع وجلس بالقرب من الدكتور وقال له: "أنا رئيس جمعية لالش." كان هذا الشخص قد جاب كل أوربا، وفرح كثيراً حين سمع أن الدكتور قد ترك أوربا كي يأتي إلى المنطقة ويحارب داعش.

غادر "بابا جاويش" المجلس كي يقضي بعض أموره. كان رئيس جمعية لالش شخصاً مثقفاً، يؤمن بالعلم ويدرك دقائق الأمور في الديانة الإيزدية، لذلك سأله الدكتور:

- ما معنى كلمة ايزدي؟

- أزدا، تعني ما خلقه الله.

- كيف ستكون نهاية العالم حسب معتقداتكم؟

- بحسب المعتقدات الايزدية، فإن لا نهاية للعالم. لقد خلق الله هذا الكون ولن يفنيه.

- كيف هي طقوس العبادة لديكم؟

- كل مؤمن إيزدي، يقوم بعبادته في اليوم مرتين متوجهاً صوب الشمس. لأن الملك طاؤوس والإنسان الأول قد والشاهد (جار) قد خلقوا في يوم الأربعاء، فهم يعدون هذا اليوم مقدساً بالنسبة لهم، وهو يوم استراحة لهم.

- من هو الشاهد (جار)؟

- بحسب المعتقدات الايزدية، فنحن الايزديين من صلب (جار).

- ما هي مقدساتكم؟

- لا يجوز أن نسمي الملك طاؤوس بالشيطان في ديانتنا وهو ذنب كبير، كذلك التسمية بأسماء (كتاني، مَلون، نال، شار، شات) هي من المحرمات وتعتبر كفراً إن سمى الايزدي ابناءه بهذه الأسماء.

- ما هي طقوسكم؟

- حلاقة شعر النساء هو ذنب، كذلك حماية الاشجار المقدسة. لا يجوز الزواج في شهر نيسان. لا يجوز أكل لحم الغزلان والقرع الحامض، كذلك محرم علينا تناول الخس، لأن لونه مقدس. كذلك لبس الألبسة اللازوردية محرمة لدينا.

- كما أعلم، هناك نظام تسلسلي لرجال الدين بين الايزديين كما بين الهنود.

- نعم، لدينا المير، وهو أعلى سلطة، ثم الشيخ، وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام. وبعد الشيخ يأتي المريد والفقير. تستطيع كل الطوائف هذه التزاوج فيما بينها عدا طبقة المير.

- لقد سمعت بكلمة (حفت راز- الأسرار السبعة) بين الايزديين. ماذا تعني هذه الكلمة؟

- الشيخ شمس الدين، الشيخ فخر الدين، الشيخ سجاد الدين، الشيخ نصر الدين، الشيخ حسن، الشيخ آدي، والملك طاؤوس، هم الأسرار السبعة.

- كيف تحولت هذه الاسماء إلى أسرار؟

- لا تقُل لأحد ما سأبوح به لك. لقد تحول الملائكة على شاكلة البشر عند مثولهم أمام عرش الله. يقولون أن الشيخ آدي حين أتى من هكاري إلى وادي لالش، تعرّف هنا على كل من الشيخ شمس الدين، الشيخ فخر الدين، الشيخ سجاد الدين، والشيخ نصر الدين. هؤلاء الشيوخ كانوا أبناء إيزدينا مير، بعدها انضم اليهم حسن البصري الذي نسميه بالشيخ حسن. هؤلاء الشيوخ والشيخ آدي والملك طاؤوس، جعلوا الأسرار السبعة تلتقي هنا، أي سبعة أشياء مبهمة، ولا يحق لأي كان أن يسأل أو يعرف هذه الأسرار.

www.arsivakurd.org

- أي إنك تود القول أن سبعة ملائكة قد هبطوا إلى الأرض، لكنهم بلباس البشر وقد وضع هؤلاء أسس الديانة الإيزدية.
- هذا ما قالوه عنا.
لم يسأله الدكتور أسئلة أخرى عن الدين، بل غيّر الموضوع وقال له:
- أود اللقاء مع العائلات الفارة من سنجار. هل تستطيع ان تساعدني في ذلك؟
وافق الرجل على طلبه وخرجوا سوية حفاة إلى المكان الذي ركنوا فيه سيارتهم. سارت بهم السيارة في الوادي حتى شاهدوا الخيم البيضاء، وقفوا عند أول خيمة، شاهدوا امرأة هناك تهدهد وتدندن بعض المراثي، فتوقفوا يستمعون إليها لبرهة. لم يفهم الدكتور منها شيئاً، لذلك سأل صديقه:
- هل تستطيع أن تشرح لي ماذا تقول هذه االمرأة؟
- هي قصيدة تركية كُتبت في هذه الأيام، تقولها المرأة باللغة الكردية:
الشمس هي نظرة إيزدية
تتجمع وجوهنا في محشرها
افتحي وجهك يا لالش
هومنا لا تتسعك ولا تتسع للتاريخ.
بدون أن يقاطعوا المرأة، ساروا باتجاه خيمة أخرى، كانت بعض الفتيات جالسات أمامها. حين رأت الفتيات الرجال الثلاثة قادمين صوبهن، قاموا من مكانهم وساروا كي يدخلن إلى داخل الخيمة. قال لهم رئيس الجمعية: "توقفن، إنهم يريدون التحدث إليكن." تقدمت منهم فتاة في العشرين من عمرها، كانت جميلة المحيا والعيون. تلبس فستاناً أحمراً ونطاق أصفر اللون تضعه على جيدها وتضع إيشارباً ابيضاً (أبيض) على رأسها. كانت تتوقع أن يكون القادمين صحفيين،لكنها توقفت في مكانها، وكأن جناحاها قد انكسرا. اقترب منها الدكتور سليمان وسلّم عليها. فردت التحية بحركة من رأسها. قال لها الدكتور:
- هل هربتم من سنجار؟
حرّكت رأسها بالإيجاب مرة أخرى. فقال لها:
- هل تستطيعين أن تقولي لي ماذا حدث معكم هناك. أنا قائد لقوة من البيشمركه المتطوعين واسمي الدكتور سليمان.
سردت له الفتاة كل ما جرى معهم بالتفصيل كأية امرأة تُدرك كل ما حولها. حين وصلت بحديثها عن داعش، وسياراتهم المدرعة، بدأ جسدها يرتعش وبان الخوف والذعر على محياها، وقالت:
- حين وصلت سيارات الدواعش، لبست حذائي وهربت صوب الجبل. كنت وحيدة في البيت وقد سمعت إنهم يقومون بذبح الرجال بسكاكينهم، ويسوقون النساء إلى أسواق الموصل وتلعفر لبيعهن هناك. لقد استطعت النجاة، لكن أقربائي، أعمامي، أخوالي وخالاتي وأطفالهم قد وقعوا في قبضتهم. كانت كارثة، طوفان، زلزال وفيضان حل علينا.
بدأت بالبكاء بعد كلماتها هذه، وحين ادركت إنها لن تستطيع الاستمرار في الحديث، تنحت جانباً وظهرت فتاة أخرى من خلفها، كانت في الساعة عشرة من عمرها. قالت لهم هذه الفتاةك
- أسمي نورا. كنا سبعة أخوة وأخوات، لجأنا مع والدي والدتي وأعمامي وأطفالهم إلى الجبل. لم يكن وصولنا إلى الجبل صعباً، لكن إلى أين كنا سنصل بعد ذلك؟. لم يكن معنا لا طعام ولا شراب. احترقنا تحت أشعة شمس آب الحارقة. حتى الحجارة كانت قد أصبحت جمراً من حلونا. لسبعة أيام لم نتذوق فيها لا طعاماً ولا شراباً. جُفّت حلوقنا من العطش. مات الكثيرون. قامت قيامة الإيزديين على جبل سنجار. لم

يساعدنا أحد. لم يكن الرب هناك في ذلك اليوم. بعض النسوة أتاهن المخاض على الجبل، كانت صرخاتهن تشق عنان السماء. جُفّت ضروع النسوة من ذعرهن. لم ينم أحد هناك.

أضافت فتاة أخرى خلفها على كلامها قائلة:

- غالبية من فرّ إلى الجبل كانوا أطفال وعجائز ومُقعدين. البعض من الشباب كانوا يحملون الكبار سناً على ظهروهم. كانوا يترنحون في مسيرهم إلى الجبل.

التفت الدكتور إلى أصدقائه غاضباً وقال لهم:

- لنعد.

شكر الفتيات وتوجهوا صوب سيارتهم. ودّعوا رئيس جمعية لالش، وتوجهوا على الفور إلى مكتب "علي عوني".

كان يعلم الدكتور أن "علي عوني" سيوافق على مقترحه. وقال لرفاقه: "لن أجلس وسأقول له طلبي على الفور." حين رآه "علي عوني" أدرك أن هناك شيئاً ما. لذلك صافحه وأدخله إلى مكتبه يتبعهم "ممو".

تحدث له الدكتور عن مشروعه في لالش وما جرى معه ومع "بابا جاويش". ابتسم "علي عوني" ورأى إنها فكرة إيجابية، ثم قال له:

- علاقاتي جيدة جداً مع الإيزديين وسوف استطيع إقناعهم بسهولة، كما أن الحزب سيقوم بكل ما يلزم من أجل ذلك.

كان الدكتور من عادته إن صمم على شيء، فلا بد له من تنفيذه، وحين خرج من مكتب "علي عوني" قال له:

- في غضون ثلاثة أيام سوف أبدأ بتدريب الرجال في لالش.

لأن "علي عوني" كان يُدرك أن الدكتور هو رجل المرحلة، قام باتصالاته على الفور، وأقنع المجلس الايزدي ووجهائهم وقام بتجهيز كل شيء. كانت هناك قاعة تقع على بعد خمسة كيلومترات من معبد لالش وعلى طريق شيخان. حددوا تلك القاعة كمكاناً للوحدة المزمع إنشاءها.

بعد ثلاثة أيام، حين سمع الدكتور أن كل شيء جاهز، ارسل في طلب القائد "روبار" و"نازى" المقيمة في أربيل، والشيخ "سيدو إيزدي" الذي عاد من ألمانيا كي يحارب داعش.

بعد ظهر ذلك اليوم، التقى الجميع هناك. اجتمعوا في القاعة، وحددوا مسؤولي الوحدة الذين سيقومون بإعطاء التدريبات النظرية والعملية. وكان المسؤولين هم كل من الدكتور سليمان، "روبار"، "نازى"،"الشيخ سيدو" والجنرال "بابكر" لأجل ذلك، حيث سيقوم كل واحد منهم بمهماته على حدة.

لم يكن غرضهم هو التدريب فقط، بل تأسيس وحدة حماية سنجار أيضاً. كانوا سيجلبون مستلزماتهم اللوجستية عن طريق المعبد، حيث كان هناك ما يكفي من الأسلحة في وادي "لالش".

حين انتهى الاجتماع، قال الدكتور لكل من "روبار" و"الشيخ سيدو":

- علينا أن نذهب ونستكشف المكان، ماذا يوجد في هذه المنطقة، وكيف هي جبالها؟ وديانها ومفارقها، غاباتها، هل توجد كهوف في الجبال هنا أم لا؟ أين تقع المناطق الاستراتيجية هنا؟ من أي طريق يستطيع العدو مهاجمتنا؟ الطرق المعبدة، وطرق مرور السيارات. علينا أن نعرف كل هذه الأشياء وإلا فإننا لن نستطيع أن نحارب وسنخسر الحرب.

ثم صعد إلى الجبل من خلف القاعة تلك. فقال له الشيخ:

- يا دكتور، لن تستطيع أن تتسلق الجبل من هناك.

- تعال يا سيدو. لن تستطيع أن تجد طريقاً مستوياً حين تقوم الحرب. هناك أغنية لدينا تقول (كيفما كان

الجبل عالياً، فلا بد من وجود طريق إليه، وكلما ضاقت الحياة على المرء، فإن الجبال ستكون طريقه).
كان غرض الدكتور من تسلقه الجبل هو الوصول إلى أعلى قمة عليه واستطلاع كل الطرق من هناك. لم "يلاقي الدكتور و"روبار" أية صعوبة في التسلق، لكن "الشيخ سيدو" أنهكه التعب وبدأ يتصبب عرقاً حتى وصل إليهم، فهو لم يحارب مع الگريلا في الجبال. حين وصل الدكتور إلى القمة، أخرج دفتره وبدأ يقول لـ"روبار":

- هناك خمسة طرق هنا تؤدي إلى الوادي، وما تبقى بعدها هي طرق سهلية.

لأربعة ساعات متوالية، كان يبحث عن الكهوف وأماكن المياه الصالحة للشرب والجبال القريبة ويدون ويرسم على دفتره كل هذه المعلومات. حين عاد إلى القاعة رسم خارطة على ورقة وصاح على "الشيخ سيدو" قائلاً له:

- أنت تعلم بأوضاع الناس هنا جيداً. قُل لي كم هو عدد الناس هنا بشكل تقريبي.

- لقد فرّ الكثيرون من سنجار، وهناك عدد كبير هنا. لا أستطيع أن أخمن عددهم، فليست هناك احصائية بهذا العدد، لكنني سأسأل وأرد لك الجواب.

- عليّ أن أعرف عددهم. كم رجل وكم امرأة لجأوا إلى هنا، وكم هو عدد الذين يستطيعون أن ينضموا إلينا كمتطوعين. إضافة إلى مسافة بُعد العدو عن هذا المكان وما هي التكتيكات التي يمارسها في هجومه وما هي نقاط ضعفه ونقاط قوته. علينا أن نعرف كل هذه الأمور.

- لا أستطيع الإجابة على كل استفساراتك هذه يا دكتور، لكنني سأساعدك في الحصول على كل هذه المعلومات.

في اليوم التالي، أتى كل من "بابا جاويش" و"الشيخ سيدو" والجنرال "بابكر" بخمسة وأربعين متطوعاً لتلقي التدريب على مرحلتين. في المرحلة الأولى سيقوم "الدكتور سليمان" بتدريبهم، ويتعرف على قدراتهم ويدربهم على الأسلحة والعمليات العسكرية.

في اليوم الأول حين التقى بالمتطوعين، قال لهم:

- على المرء ألا يخاف من داعش، لأنهم جبناء. وسبب خوف الناس منهم هو دعايتهم لوحشيتهم. ليس هناك مستقبل لداعش هنا. إنهم مثل النار التي سرعان ما تتقد وتنطفئ. إن كنا جريئين، فإنهم سيكونوا جبناء. كل العالم معنا وداعش لوحدها. لدينا جبال، لا أحد سيستطيع مواجهتنا إن لجأنا إلى جبالنا. آباؤنا وأجدادنا جعلوا من هذه الجبال ملاذاً لهم ولم يدعوا أية امبراطورية غازية تدنس هذه الجبال المنيعة. حتى العثمانيين لم يستطيعوا أن يقاوموهم. البارحة رأيتم صدام حسين الذي كان يقول أن سنجار هي أرضي، وكيف التف حبل المشنقة على رقبته. الآن يقوم بقايا نظامه ويودون احتلال بلادنا. الهرب والفرار ليس حلاً، بل علينا أن ندافع عن بلادنا. هل تعلمون ما هو الوطن يا تُرى؟ أنتم تهربون لأنكم قد لا تعرفون ما هو الوطن. الوطن هو أنتم، هو أباك وأمك وأخوتك. الوطن هو المكان الذي قضيت فيه طفولتك وشبابك. الوطن هو لالش النوراني. الوطن هو اللغة والحبيبة. بدون هذه الأشياء ستكونون لا شيء. أي إنكم كل هذ الأشياء، وحماية الوطن هو من حماية هذه الأشياء. لكن، كيف ستحمونها؟ والغرض من هذا التدريب هو هذه الكيفية التي سنتحدث فيها. قبل كل شيء عليكم أن تكسروا حاجز الخوف لديكم. عليكم ألا تقولوا أن عدوي قوي ولا استطيع هزيمته. الفيل هو حيوان كبير جداً يزن خمسة أو ستة أطنان، لكن بإمكان النمل أن يرديه أرضاً بكل بساطة. سوف تتسلق أرجل الفيل وتدخل من أذنيه حتى تصل إلى دماغه، وسيفقد توازنه بكل سهولة ويقع أرضاً. نقاط الماء التي تنسكب نقطة نقطة تسطيع أن تثقب الصخر. هل تستطيعون أن تذكروا لي إسم شخص قام بظلم وقمع ضد أباءكم وأجدادكم وهو ما زال على قيد الحياة؟ لم يبق أحد

منهم، لكنكم بقيتم على أرضكم.

لم تكن كل التدريبات نظرية، بل كانوا يعتمدون الدروس العملية بشـكل أكبر. حملوا أسـلحتهم جميعهم وخرجوا إلى المكان وشـرح لهم الدكتور كل الطرق المؤدية إلى لالش وطريقة حمايتها وكيفية وضـع الكمائن عليها.

وقف الدكتور على هضبة يمر بجانبها الطريق إلى منطقة "شيخان" وقال لهم: "هنا سنضع الكمين. قد لا يعرف الكثيرون منكم ما هو الكمين. أود في البداية أن أشـرح لكم ماهو الكمين؟ في الحروب الغير نظامية، يكون تكتيك الكمين فاعلاً جداً. الكمين هو أن نحتاط للعدو الذي سـيمر من منطقة أو طريق ما وننقض عليه ونلحق به الخسـائر الفادحة. إن مرّت قوات العدو من هذه المنطقة، فإنها مجبرة أن تسـير ببطئ، لأنها سـتسـير من فوق الهضـبة، وإن وضـعنا الألغام في طريقهم وجهزنا بنادق أوتوماتيكية في الأماكن الاسـتراتيجية، حينذاك من الصـعب على العدو التراجع أو الهرب حتى. قبل كل شـيء سـيتفاجأ بانفجار اللغم الذي سيدمر الكثير من عرباته، وبعد ذلك ستطلق البنادق الرصاص الكثيف صوبهم.

بعد ذلك، طلب من كامل المجموعة الاجتماع في سـاحة التدريب، كما طلب من "الشـيخ سـيدو" الألغام كي يتعرف المتدربين عليها. كان من المحال تدريب خمسـة وأربعين متطوعاً على الألغام، لذلك اختار من بينهم أربعة متطوعين المتحمسين للتدريب على الألغام وقال لهؤلاء الأربعة:

- هل هناك من بينكم من يخاف من هذا العمل؟ هذا العمل لا يقبل الخطأ، وأي خطأ فيه هو سـيؤدي إلى الموت الحتمي. إن كنتم جريئين، ولا تخافون، فإنه عمل سهل وبسيط في نفس الوقت.

اسـتلم مهمة تدريب المتطوعين الأربعة. كان عليه أن يدربهم على طريقة إعداد اللغم للتفجير، وطريقة تفكيكها.

انتهت الدورة الأولى في غضـون خمسـة عشـرة يوماً. وجهزوا خمسـة وأربعين متطوعاً آخر للدورة الثانية. أرادوا أن يطبقوا مشروعاً عسكرياً تكون فيه الدورة الأولى هي المدافعة عن لالش، والدورة الثانية ستأخذ فيها دور المهاجم. كان "الدكتور سليمان" سيكون بين الدورة الثانية التي ستهاجم المنطقة. حضر "علي عوني" و"بابا جاويش" هذا العمل التدريبي. فأعدوا الطلقات الحلبية (الخلبية) لأجل ذلك. بدأت القوات من اللدورة (الدورة) الثانية تهاجم لالش، وبدأت القوات المدافعة بإطلاق الرصـاصـات الخلبية عليهم، وتحولت السـاحة إلى سـاحة معركة. لم تسـتطع القوات المهاجمة إكمال هجومهم، وبدأت القوات المدافعة بالقبض على الكثيرين منهم وأسـرهم وفرّ البقية من ميدان المعركة. كان الدكتور قد رسـم لكل مجموعة أدوارها وقد أدى الجميع أدوارهم بحسـب المخطط الذي وضـعه. رأى الأهالي واللاجئين ذلك العرض العسكري هناك وانتابتهم الغبطة والسـروررن (السـرور)وبدأت الضـحكات وعلامات الفرح على وجوههم وارتفعت بذلك معنوياتهم إلى أبعد حدود.

في فترة المسـاء، كانت سـتقام مراسيم تخريج الدفعة الأولى من البيشـمرگه المتطوعين المدافعين عن سنجار. كان "علي عوني" قد أعد النياشين التي سيضـعها على صدور أعضاء الدورة المتخرجة. سـار المتدربون في صـف عسـكري واحد أمام الجميع على أنغام النشـيد القومي الكردي "أي رقيب" وأعلام كردستان في أيديهم. وضعت النياشين على صدور المتخرجين. من فرط سعادة وجهاء لالش، دعوا جميع المتخرجين واللحاضرين إلى وليمة عشاء في في لالش.

كان الكثير من الضيوف مجتمعين في بيت "الدكتور سامي" وأغلبهم من الذين تركوا صفوف "PKK"، وخاصة بعد تسليم عبدالله أوجلا نفسه للسلطات التركية في كينيا سنة 1999. حين أراد "الدكتور سليمان" الإنشـقاق حينها من االحزب، كان كل من "الدكتور سـامي" والقائد" ناصـر" ضـد فكرته هذه، وقد دفع "ناصـر" بحياته من أجل فكرته تلك، أما "الدكتور سـامي" فقد أنقذ نفسـه في اللحظات الأخيرة ولجأ إلى مدينة أربيل، وتزوج من صديقة له وأصبح أباً لطفلين. كان يعمل في إحدى الفضائيات الكردية في المدينة، ويقيم في أرقى الأحياء فيها.

كان بين الضيوف "الدكتور عكيد" لقب بالدكتور لأنه درس الطب مثل رفيقيه الدكتور سليمان والدكتور سـامي. وهو بدوره أمضـى سـنوات طويلة في جبال "ديرسـم". كما كان بين الحضـور "عمر" الصـديق المقرب لـــ"سـليم" أخ الدكتور سـليمان، وكان يعمل بدوره في شـركة للعقارات، وكانت زوجته معه في المجلس. كما كانت "نازى" التي عانت الويلات في الجبال حاضـرة أيضـاً. كما كان "حسـين" الذي كان يكتب الشعر، جالساً قبالة "نازى" وسرد للدكتور سليمان لقاءهم الأول سنة 1997 في جبال "متينا". بعد نزول "حسـين" من الجبل، انضـم إلى الپيشـمرگه وأصـبح ضـابطاً. كما كان بين الحاضـرين كل من "لاجڤان" والقائد "روبار".

أحيـانـاً كثيرة مـا كـان هؤلاء ينتهزون الفرص ويلتقون هكـذا، لكن هـذه المرة التقوا بنـاء على طلـب "الدكتور سـليمان"، فقد كانت المنطقة تغلي وتقوم فيها أحداث غريبة وكأنها الحرب العالمية الثالثة، وكان وطنهم هو سـاحة هذه الحرب. أرسـلت الأمم االمتحدة قواتها إلى المنطقة بناء على قرار صـادر منها، وأرسلت كل من ألمانيا، امريكا، بريطانيا، إيطايا وفرنسا قواتها إلى أربيل عاصمة جنوب كردستان وبنت قواعداً لها على أطراف المدينة, كانت الطائرات الحربية تقوم من هذه القواعد وتدك مجموعات داعش ومراكزها في سوريا والعراق، وبذلك توقف زحف داعش على كردستان.

قبل أن ترسل ألمانيا صـواريخ "ميلان" المضـادة للدروع وتدرب قوات الپيشـمرگه على ذلك النوع من الصـواريخ، كان داعش يقوم بالمجازر الكبيرة والبشـعة في المنطقة. كانوا يضـعون أطنان من المتفجرات في العربات المصـفحة ويوجهونها كي يفجرونها بين مجموعات الپيشـمرگه. كان من المحال تفجير هذه العربات المفخخة بالأسلحة التقليدية. كان عناصر داعش لا يحاربون بالبنادق والقواذف، بل كان سلاحهم الفتاك في معاركهم هو هذه العربات المفخخة. يتوجهون بها إلى القرى والمدن ويفجرونها بواسـطة انتحاري يقودها وبتفجيرها كانوا يقتلون العشرات ويدمرون الكثير من المباني.

حين أرسلت ألمانيا تلك الصواريخ إلى قوات الپيشمرگه، تغيرت قواعد المعركة وتوقفت عربات داعش المفخخة عن الهجوم. حيث كل ما دخلت عربة من عرباتهم في المدى المجدي للصـاروخ، كانت تتحكم لا محالة. كان هذا السلاح يصيب الهدف بنسبة مائة في المائة ولا مجال للهدف للنجاة منه.

لأن داعش خسـر الكثير من عرباته المفخخة وعناصـره، ترك ذلك التكتيك، وبدأ كلما يحتل منطقة من المناطق، يحفر أنفاقاً تحتها، يقوم بتشـغيل الأسـرى الذين يقبضـون عليهم في حفر تلك الأنفاق، ثم يذبحون أولئك الأسـرى الذين ينهون عملهم في الحفر، ويضـعون جثثهم في مقابر جماعية. توقفت عمليات داعش في جنوب كردستان والعراق، لكنها كانت تتقدم في سوريا. أرادوا احتلال المناطق التي تركها الجيش في العراق، وحين بدأوا بالهجوم على كوباني، بدأت هجرة الكُرد من هناك صوب تركيا.

لقد أثر هجوم داعش على كوباني في "الدكتورر سـليمان" لذلك جمع رفاقه جميعهم في منزل "الدكتور

سامي"، وفتح معهم الموضوع قائلاً:
- إن داعش تتقدم صوب كوباني يا رفاق، والدولة التركية تساندهم بشكل علني. اليساري "دوغو برينچك Doğu Perinçekê" يصفق لداعش علانية. ماذا نفعل؟ وماذا على شعبنا في جنوب كردستان أن يفعل؟ ماذا ستفعل قوات الپيشمرگه؟ أردت أن نتناقش في هذه الأمور.
توجه إلى الشاعر "حسين" بكلامه، فجاوبه هذا لأنه يُدرك غرض الدكتور من هذا الحديث:
- إن إرسال الپيشمرگه والعربات المدرعة إلى كوباني برأيي هو ضرب من الخيال. هل تصدق أن تركيا التي كانت تعارض قيام فيدرالي كردي في العراق أن تسمح لقوافل الپيشمرگه بالمرور من تركيا إلى كوباني.
تدخل "الدكتور عكيد" في النقاش قائلاً:
- حين مرّت قافلة الپيشمرگه من معبر فيشخابور إلى شمالي كردستان، اجتمع الشعب الكردي بكباره وصغاره على طرفي الطريق حاملين علم كردستان وكانوا يرددون الأناشيد القومية الكردية ويرفعون الشعارات الحماسية. كنت أقول إنها المرة الاولى التي يقوم فيها الحس القومي الكردي.
تأثر "روبار" بكلامه قائلاً:
- الشعب مستعد منذ زمن، والشعور القومي متقدم في أجزاء كردستان الأربعة، لكن هناك البعض لا يود ذلك.
قال الدكتور:
- نعم، علينا أن نقف على من يقف في وجه ذلك. حين كان عبدالله أوجلان يدير حزبه من سجنه في إيمرالي، قام بخداع الكثيرين تحت شعار "أنا أعقد لقاءات من أجل السلام مع الدولة" مع بعض مؤسسات الدولة، وأوقف العمليات العسكرية. الأحزاب الكردية التي كانت تعارض "PKK" رأوا أن هذه الخطوة هي خطوة ايجابية، وذلك لأن الدولة أوقف عملياتها ضد الگريللا، وسمحت لهم بالنزول إلى المدن. كما انفصلت آراء المجلس الرئاسي لـ "PKK" عن عبدالله أوجلان بعد اندلاع الحرب الأهلية في سوريا.
قال له "لاجڤان":
- أي إنك تود أن تقول أن عبدالله أوجلان وقنديل لا تتطابق آراؤهم في هذه النقطة.
- كلا، إنهم يفكرون بنفس التفكير. لكن كل طرف منهم تحت أمر قوة مختلقة. ينفذون ما يطلبه منهم أسيادهم. لقد ظهرت هاتين الجبهتين في الحرب السورية. النظام السوري وحزب الله المرتبط بايران، والنظام العراقي الشيعي، PYD، وPKK، وحتى روسيا. هؤلاء يشكلون الجبهة الأولى، أما الجبهة الثانية، مكونة من التنظيمات الراديكالية والجهادية في سوريا والعراق، الدولة التركية، السعودية وقطر. لكن عبدالله أوجلان بقي تحت تأثير الدولة التركية، تضارب هذا الأمر بين تركيا وسوريا وايران وقنديل، وأية خطوة منه كانت ستنسف عملية الأخوة أو طريق الحل الذي كان ينادي به.
قال "لاجڤان":
- حسناً، وحكومة جنوب كردستان، هي أقرب إلى أية جبهة من الجبهتين تلك؟
- هناك جبهة ثالثة. حكومة جنوب كردستان هي في هذه الجبهة. هذه الجبهات من الجبهات التي تقودها أمريكا.
أراد حسين أن يغير وجهة النقاش، فقال:
- سنكون جنوداً للغير إن لم نتفق نحن الكُرد في الأجزاء الأربعة. في الأشهر الماضية التقى ممثلوا الأحزاب الكردية في مدينة دهوك، واتفقوا بعد تسعة أيام من النقاش، بحسب اتفاقهم الذي حضره المجلس

www.arsivakurdi.org

الوطني الكردي، وحزب الاتحاد الديمقراطي، ومنظومة المجتمع الديمقراطي تف-دم، وEGRK، فإنهم سيشكلون قيادة سياسية وعسكرية مشتركة، وتم التوقيع على الاتفاقية في مساء نفس اليوم الذي انتهى فيه الاجتماع. لكن ما هي النتيجة؟ مرت أشـــهر عديدة على هذه الاتفاقية بدون أية خطوات ملموســـة على الأرض.

ابتسم له الدكتور قائلاً:

- إرادة PYD و المجلس الرئاسـي في قنديل مسـلوبة. لأن حزب PYD يُدار من قبل قنديل. والمجلس بدوره تحت أٌمرة النظامين الايراني والسوري. توجه الجنرال الايراني قاسم سليماني إلى قنديل فور اندلاع الحرب الأهلية في ســوريا، واتفق مع قيادة حزب العمال الكردســـتاني، فقاموا بحل PJAK حزب الحياة الحرة الكردستاني الذي -على أساس- أسسه PKK في مواجهة النظام الايراني، وبذلك أصبحوا في الجبهة التي يتزعمها سوريا وايران.

قالت "نازى" مؤكدة على كلام الدكتور:

- هل لاحظتم أن النظام الايراني منذ ذلك اليوم يقوم بإعدام أعضـــاء حزب الحياة الحرة الكردســـتاني واحداً تلو الآخر، ولا أحد يعلم عدد الذين أعدمهم النظام الايرني. هل ســمعتم إدانة من قبل قنديل على هذه الإعدامات؟

كانت الأنظار كلها على "نازى"، لكن تدخل "لاجڤان" قائلاً:

- لم تظهر كلمة إدانة لا من قنديل، ولا منPKK ولا من HDP، لكن حين يعدم عربي من فلســطين، او دعكم من فلسطين، لو أعدم رجل في أرجنتين حتى، نراهم يخرجون في التظاهرات لأجله.

احتد النقاش بينهم، جلبوا أقداح الشـاي وصـحون الجوز والزبيب واللوز ووضـعوها على الطاولة. حين سمعوا صوت الاطفال من الغرفة الأخرى، توقفوا عن النقاش قليلاً وبدأوا يحتسون الشاي.

قطع "حسين" ذلك الهدوء قائلاً:

- أود ان أحدثكم عن "بيشمركة روج". لقد وضع النظام السوري غرب كردستان في يد حزب PYD، وقام بهذه الخطوة عن دراية منه. سحب النظام السوي قواته من المنطقة، وأسند مهمة حماية تلك المناطق لذلك الحزب. ماذا فعل هذا الحزب في المناطق الكردية هناك؟ أغلق مكاتب الأحزاب المعارضـــة للنظام السـوري، وقام بتهجير المعارضـين له. يوجد الآن قرابة مائة ألف لاجئ في مدينة دهوك وكلهم فارين من قمع PYD. تتكون بيشـــمركة روج من أولئك الشـــباب الفارين، وتم تدريبهم من قبل القوات الخاصـــة في وزارة البيشمركه، لكنهم لا يستطيعون الدخول إلى غرب كردستان ولا محاربة داعش أو النظام السوري. لماذا؟ لأن النظام السـوري والايراني لا يريدون ذلك. يقول PYD بشـكل علني "إن عادوا بيشـمركة روج فإننا سنقاتلهم" وحجتهم في ذلك، هو رفضهم لوجود قوتين عسكريتين في نفس المنطقة.

ضحك الدكتور كعادته وقال لـ"حسين":

- كنتُ سـأفكر في الموضـوع إن قالها أحد آخر. هناكك قوات عسـكرية لـــPKK في ايران وما زالت موجودة. هل يطلب منهم الحزب الديمقراطي الكردســـتاني-ايران وحزب كومله الخروج؟ هناك قوات عسكرية لهم في جنوبي كردسـتان أيضـاً، وفي سـنجار. لماذا يقبلون وجود قوات مختلفة في تلك المناطق ولا يقبلونها في المناطق التي تحت ســلطتهم؟ الظاهر أن تلك القوات التي تؤتمر من الغير، يقول لهم ذلك الغير أن القوات التي تريد إقامة دولة كردية عليها ألا تأتي إلى هنا.

تدخل صاحب البيت في النقاش قائلاً:

- لقدد تحدثتم في السياسة كثيراً يا دكتور. قُل لي الآن، ماذا تفعل وكيف هو الوضع معك؟
ضحك الدكتور مرة أخرى وقال:
- قلتَ لي، كيف هي أحوالك؟ سأقول لكم هذه القصة كي تضحكوا قليلاً. في منطقة (نافران) (ناوران) كان هناك رجل إيزدي قد تطوع من أجل التدريب. كان هذا الرجل كتوماً، قليل الكلام، ولا يضحك أبداً. كنت أمزح معه أحياناً. كنت أمسكه من كتفيه وأقول له "كيف هي أحوالك؟" كنت أسأله هذا السؤال كلما أراه. لم أكن أعلم أن اسم زوجته (روشى)[44]. الأمر ان هذا الرجل حين يذهب الرجل إلى البيت، يسأل زوجته ويقول لها: هل تعرفين الدكتور سليمان؟" حين تقول له المرأة لا أعرفه، يقوم بضربها ويقول لها: كيف لا تعرفينه وهو حين يراني يسألني عنك دائماً. تُقسم له زوجته إنها لا تعرفني، لكنه يضربها ولا يصدقها. يحس الجيران بهم ويتدخلون بينهم، ويسألونه عن سبب شجارهم، يقول لهم الرجل السبب، فيجاوبه الجيران: يا حمار. الرجل يسألك عن أحوالك. أنت لم تفهم ما يقوله لك، لذلك بدأت تشك في زوجتك وتضربها. حينذاك يتوقف الرجل عن ضرب زوجته.
ضحك الجميع من هذه القصة. قالت "نازى":
- تحدث لنا عن قصة ذلك الرجل الذي أتى من ألمانيا وقام بخداع البيشمركه المتطوعين.
- قصدك جبار؟ كنتُ أعرفه في ألمانيا. كان من هذه المناطق، ويقول لو احتاج الأمر، سأفدي كردستان بدمي. كان يُظهر نفسه على أنه شخص وطني وقومي. حين بدأت حرب داعش، اتصلت به وقلت له أنا ذاهب، تعال كي نذهب سوية. قال لي: لدي عمل، سأقضيه وألحق بك فوراً. كان وضعه المادي جيداً. حين كنت في قوات آكري، رأيته قادماً، رحبت به وسألته إن كان قادماً كي يحارب معنا. فقالت له: دبر لنفسك زياً عسكرياً وسأضيفك إلى عناصر هذه القوة كي تقوم بالتدريب. فكر قليلاً وقال لي: والله يا دكتور، كما ترى، بلغت عتياً في العمر، ولا استطيع القتال وأنا في هذه السن، لكنني سأجلب لكم متطلبات الوحدة والأرزاق بسيارتي. في البداية ظننت إنه سيجلب لنا الأرزاق من ماله الخاص، لكنه قال لي: أعلم أن وزارة البيشمركه تمدكم بالمال، سأجلب لكم كل ما تريدونه بتلك الاموال. بدأت أسك فيه، فأنا سمعت عن بعض تصرفاته في ألمانيا أيضاً. لكنني قلت له: حسناً، أنت معتمدنا من أجل هذا العمل. أجلب لنا كل متطلباتنا وأجلب الفواتير معها كي يصرفها لك المحاسب. بعد أيام، طلبت الفواتير من المحاسب وصورت الأشياء التي جلبها وذهبت إلى دهوك كي أقارن الأسعار. كنت أعرف أن "جبار" لا يقوم بهذا العمل بدون أن يأخذ عمولته. ذهبت إلى الدكاكين والمحلات وسألت عن الأسعار هناك. كان صاحبنا هذا يشتري من محلات الجملة ويحسبها علينا بسعر المفرد ويستفيد من كل فاتورة مبلغاً منا. حين عدت إلى المقر، لفت انتباهي زي كوماندوس كان أربعة عناصر يلبسونه، فسألتهم:
- من أين لكم هذا الزي؟
- جبار جلبها لنا.
- بكم اشتريتموها منه؟
- البدلة الواحدة بمائة وخمسة وعشرون دولار.
كنت أعلم أنها أرخص من ذلك بكثير. صورتها هي أيضاً وذهبت إلى محل لبيع الألبسة العسكرية. نظر إليها صاحب المحل وقال لي أن البدلة بخمسة وسبعين دولار. عدت إلى المقر وقلت له: "أنت تريد

44 . روشێ: إسم علم كردي مؤنث. وهي اختصار لإسم (روشن- النور) حين يُختصر الإسم إلى (روش) يعطي معنى آخر وهو الحال والأحوال. (المترجم)

www.arsivakurdi.org

أن تستفيد من هؤلاء الذي يفدون شعبهم بدمهم. لا أريد أن أراك هنا مرة أخرى." أناس مثل هؤلاء يظهرون أثناء الحروب، وهم كالعقبان يحومون حول الجيف.

قال "لاجڤان":

- قبل أيام كتب لي شخص لا أعرفه على الماسنجر، كنت في الصورة معه بزي البيشمرگه. قال لي إنه من منطقة شيخان وإنه يحبك كثيراً. ارسلت له صورة لي ولك أيضاً وعرف أني مقيم في دهوك. ثم طلب رؤيتي واللقاء. حددنا المكان والزمان، وأتى في موعده. كان شاباً في العشرينات من عمره.

- ما اسمه؟

- ريبر.

- أها.. هناك جرح على جبينه؟ أعرفه جيداً. إنه ابن عائلة فقيرة، توفي والده ويعيل والدته وأختيه. طلب منك أن تدبر له عملاً بكل تأكيد؟

- نعم. تحدثنا كثيراً. سألته عنك وقلت له: (ماذا تعلمت من الدكتور سليمان؟)، فجاوبني: (تعلمت من الدكتور سليمان إننا يجب أن نحارب من أجل وطننا بدون مقابل. تعلمت منه هذا الشيء خلال تدريبه لنا. خضت دورتين بين قوات آكري، مدة كل دورة عشرين يوماً. لم أشبع فيها مطلقاً، كنت جائعاً دائماً. في إحدى الأيام أتي صديق للدكتور سليمان من ألمانيا، وكان اسمه طيب. جلب لكل عناصر الوحدة السمك. في ذلك اليوم فقط شبعت من الأكل) ضحكت من كلامه وقلت له: (هي كي نذهب ونأكل شيئاً). حين ذهبنا إلى إحدى المطاعم، قال لي: (أنا أعيل ولدتي (والدتي) وأختي، دبّر لي عملاً أشتغل به. قُل للبارتي كي يقبلوني بين البيشمرگه).

في تلك الليلة عاد كل من الدكتور و"لاجڤان" و"روبار" بسيارة "روبار" إلى مدينة دهوك. في الطريق قال لهم الدكتور:

- لقد غيّر داعش تكتيكاته بعد استخدام البيشمرگه صواريخ ميلان ولا ينفذون الهجمات السيارات المفخخة، وباتوا عوضاً عن ذلك يفخخون المباني التي يتركونها وراءهم ويفخخون كل الطرق المؤدية إلى القرى والمدن التي يخسرونها. إن الطائرات الحربية تقصفهم من السماء وتدمر مواقعهم، لكن الألغام التي يزرعها داعش تصبح عائقاً أمام تقدم البيشمرگه الذين لا يملكون الخبراء الكافيين في نزع الألغام. كما إنهم يحفرون الأنفاق التي باتت ملاجئ لهم، ينامون وياكلون فيها، ويستعينون بكاميرات المراقبة لمراقبة سطح الأرض، وفور رؤيتهم لعناصر البيشمرگه، يخرجون بقناصاتهم ويصطادون عناصرنا، ويعودون ليختبئوا في حفرهم وأنفاقهم.

قال "لاجڤان":

- إنها حرب خطيرة بالفعل. تُرى كيف تقيم أمريكا وقوات التحالف هذا الأسلوب؟

- لا يستطيعون ان يفعلوا شيئاً الآن. هم يقصفون من السماء، وعناصر داعش يختبئون في جحورهم تحت الأرض. أما العمليات البرية، فعلى قوات البيشمرگه القيام بها. لكن داعش تزرع الكثير من الألغام، وبذلك لا تستطيع البيشمرگه التقدم. قوات البيشمرگه غير مدربة التدريب الكافي. إن قوات البيشمرگه جريئة وبطلة إن امتلكت الأسلحة الكافية ويجيدون استعمال الأسلحة بمختلف أنواعها. لكنهم يتوقفون عن تقدمهم بسبب الألغام. لقد قررت أن أدرب فريقين لنزع الألغام. هناك بعض السيارات العسكرية التي تكشف مخابئ الألغام من بعيد وتقوم بإبطالها أيضاً. هناك صديق لي في ألمانيا قد تواصل مع شركة اسرائيلية تبيع هذه السيارات وبدوري طلبت النماذج منه. لنرى، قد نقنع البروقراطيين هنا بشراء هذه السيارات. هناك بيرقراطيون ظهروا هنا يوافقون على كل شيء تطلبه، لكن بدون فعل.

قال "روبار" الذي كان يقود السيارة:

- وهل تعرف نوعية الألغام التي يزرعها داعش يا دكتور؟ إن العمل في هذا المجال خطر جداً. قسماً بالله إني أخاف منه. لديك رؤية استراتيجية في الأمور يا دكتور، لماذا لا تترك هذا المجال؟

- لقد انتهى عهد القتال بالبنادق يا روبار. كانت هناك مقولة تُقال في السابق وهي (انتهت الرجولة باختراع البندقية) والآن انتهت الرجولة باختراع القنابل والألغام. لقد دربنا الپيشمرگه على فك وتركيب بندقية الكلاشينكوف وكيفية تسديدها والضغط على الزناد. لقد تعلمتَ هذه الأشياء. ماذا يفيد هذا التعليم الآن؟ هل هناك عدو يواجهك بالبندقية الآن؟ لقد جهزت وحدتي على أكمل وجه. هل تعلمون إنني تلقيت تدريبي هذا في فلسطين، كما تدربت عليه في جبال كردستان. قرأت الكثير من الكتب وأصبحت لي تجربة في هذا المجال. كنت أعد الألغام بنفسي في المناطق التي كنت أقودها، حتى إنني ألفت كتاباً عن المتفجرات. لقد سلمت الكتاب لشخص كنيته برواري يعمل في الوزارة، لنرى إن كانوا سيترجمونه ويطبعونه أم لا. أوج أن أدرب فريقاً من شمال كردستان على الألغام وطريقة زرعها وتفكيكها.

قال "لاجڤان":

- بالفعل يا دكتور، لقد حان الوقت كي ننظم الشباب من شمالي كردستان والذين نتواصل معهم هنا.

- حين يود المرء تحقيق أهداف شعبه، عليه أن يهيء هذا الشعب من الناحية النفسية والاقتصادية والفنية والعسكرية. علينا أن تكون لدينا استراتجية، والاستراتجية هي فن، الغرض منها اقتناص الفرص.

- حسناً، لماذا ستلزمنا الاستراتجية؟

- أولاً، علينا أن نبنى قوة عسكرية وطنية منظمة. وثانياً، يكون لدينا تكتيك سري وخفي لا يعلم به أحد.

- وكيف ستؤثر هذه الأمور على الاستراتيجية المزمعة؟

- هناك ثلاثة أمور تؤثر على الاستراتيجية. أولها الخوف، وثانيها الشرف، وثالثها المصالح. وهذه الأمور الثلاثة متعلقة ببعضها البعض.

- كيف ستكون استراتجيتنا في شمالي كردستان برأيك؟

- قصدي أن الاستراتيجية القومية يجب ان تكون على أساس كردستان مستقلة. اولاً، من حقنا أن يكون لدينا دولة. ثانياً، علينا أن نحافظ على لغتنا ونقوم بتدريسها ونحمي رموزنا القومية، ثالثاً، أن تنظيم الشعب الكردي واجب على كل فرد.

- أية قوة تؤثر على الاستراتيجية القومية؟

- الآن، لها تأثيرات على البعض بشكل إيجابي وعلى البعض الآخر بشكل سلبي. وسأعدها لك: 1- PKK والتنظيمات المرتبطة بها. 2- التنظيمات الاسلامية. 3- جنوب كردستان والحزب الديمقراطي الكردستاني. 4- التنظيمات الكردية الأخرى.

- فهمت ذلك، لكن ما هو المطلوب من أجل استراتيجية متينة.

- أولاً، هدق واضح. ثانيأن تنظيم نشط وكوادر شابة ومتعلمة.

قال القائد "روبار":

- كم شخصاً درّبت لحد الآن يا دكتور، وكم شخصاً من شمالي كردستان كان من بينهم؟

- لقد تخرجت ثمانية دورات حتى الآن. كل دورة كانت مكونة من ثمانين شخصاً، وبالطبع، كان بينهم شباب من شمال كردستان.

- لم يرسل أي تنظيم آخر من شمالي كردستان أعضاءه لمحاربة داعش. هل لاحظت ذلك؟

- إنهم يحاربون في فنادق أربيل البراقة والفخمة، ويديرون الحرب من هناك.

www.arsivakurdi.org

www.arsivakurdi.org

-48-

كان الدكتور قد سمع أن عملية تحرير سنجار ستتم، وقد أعدت البيشمركه تحضيراتها للقيام بهذه العملية. كان يود ان يكون بين تلك القوة التي ستحرر المدينة. لكن لم يكن أحد يفشي بموعد القيام بها. تذكر صديقه القديم "جلال شرنخي" الذي ترك قنديل بدوره وانضم إلى قوات البيشمركه الخاصة "زيرفاني" وأصبح ضابطاً في صفوف تلك القوات. صديقه هذا سيخبره بتوقيت العملية إن كان على علم بها. حمل هاتفه وطلب رقم "جلال"، فأتاه صوت صديقه يسأله:

- مرحبا يا دكتور، كيف حالك؟

- كيف سيكون الحال؟ أنا أود أن أسمع منك الأخبار.

- لا توجد أية أخبار لدي.

- متى سنتوجه إلى سنجار؟

- والله لا علم لدي بذلك.

- طالما إنك حلفت، فهذا يعني أنك لست على علم بشيء.

- لا يبوحون لنا يا دكتور، الأمر سري جداً.

- عليك أن تخبرني حين تبدأ العملية. منذ سنة ونصف وأنا أنتظر هذا اليوم. ها أقول لك، عليهم ألا يقاتلوا بالبنادق، إنهم سيحاربونكم بالمتفجرات والألغام، عليكم أن تكونوا يقطين من هذه الناحية.

- حسناً يا دكتور. لنرى إلى ما ستؤول إليها الأمور.

- لا تنسى، سوف أزعل منك إن ذهبت بدوني.

- أنت تشارك في كل شيء يا دكتور.

- وهو كذلك. أتمنى لكم النصر. أنا بانتظار الأخبار منك.

أغلق الخط وانزعج لأنه لم يعرف شيئاً عن العملية من "جلال". أراد أن يلتقي بصديقه الشاعر "حسين" فهو إضافة إلى كونه بين البيشمركه ويعمل في مقر الجنرال "عزيز ويسي" فقد كان يعد مراسلاً حربياً أيضاً. اتصل به واتفقا على اللقاء في كافيتريا الفنانة "روجين" في مبنى "فاميلي مول" بمدينة أربيل.

تعرف على الفنانة "روجين" عن طريق اخيه "سليم"، بدوره كان يصطحب ضيوفه المهمين إلى تلك الكافيتريا، كما إنه كان يدعوا الفنانة "روجين" إلى مقر قوات آكري كي ترفع من معنويات المقاتلين. جلس في الكافيتريا يحتسي الشاي، وبعد برهة جاء صديقه "حسين". قال له الدكتور فور جلوسه:

- هل بدأت عملية تحرير سنجار؟

- بدأت العملية، لكننا لم نقتحم المنطقة بعد.

- أنت قادم من هناك؟

- نعم، أتيت قبل قليل، وسأعود اليوم إلى هناك.

- تحدث لي عن الوضع هناك.

- قبل العملية سألت الجنرال (بهجت) عن العملية، فقال لي أن العملية ستمتد من سد الموصل وحتى جبل سنجار وصولاً إلى الحدود السورية، بمساحة تقارب مائة كيلومتر طولاً وخمسين كيلومتر عرضاً. القوات الخاصة "زيرفاني" سوف تهاجم من الشرق والأخرى من الغرب، وسوف تلتقي القوتان في سنجار.

- كيف بدأت العملية؟

- كنا قد أنهينا استعداداتنا، وبدأت طائرات التحالف بقصف مخابئ داعش في جنوب منطقة (زمار) وبدأت الوحدات المهاجمة بتمشيط الطريق. يشارك في العملية حوالي عشرة آلاف من قوات الپيشمرگه، كما أن مقر قيادة العملية قد تم تحديدها في منطقة تقع جنوب نهر دجلة. مسعود بارزاني رئيس كردستان هو من يقود هذه العملية بنفسه. الجنود الكُرد لأول في التاريخ يقومون بعملية تاريخية ومهمة كهذه.

- أين كنتَ حين بدأت العملية؟

- نمنا نحن المراسلين الحربيين في وقت متأخر، وحين استيقظت، لم اجد أحداً من حولي. كانوا قد تحركوا في تمام الساعة الرابعة صباحاً. كنت نائماً بثيابي العسكرية. قمت وركضت مسرعاً صوب الطريق. لم أرى أحداً من كثافة الضباب حول نهر دجلة. في ذلك الجو ركضت صوب طريق (زمار)، فلمحت قافلة الپيشمرگه واقفة هناك، سألتهم: لِمَ أنتم واقفون هنا؟ فقالوا لي أن داعش قد دمر الجسر على الطريق.

- ماذا فعلتم، هل سلكتم طريقاً آخر؟

- كلا، قامت فرقة الهندسة بترميم الطريق في غضون ساعة، وسارت القافلة حتى أشرقت الشمس وانزاح الضباب. رأيت القرى المتناثرة من حولنا. كان الهدف الأول لنا هو قرية (كُبانى) وبعد قصف طائرات التجالف للقرية مرتين على التوالي، هاجمت قوات الپيشمرگه القرية وسيطرت عليها. كانت القرية خالية، وقد فرّ منها الداعشيون منذ وقت طويل.

- هل لاقيتم صعوبة في تحرير القرى الأخرى؟ هل واجهكم أحد هناك؟

- سيطرنا على كل القرى حتى الظهيرة. ردوا علينا بالنيران في قرية (كارز) وفي قرية (كلكاميش) بدأ قناصيهم بالرمي على قواتنا، ثم فرّوا بعدها من القرية، لكن قوات الپيشمرگه حاصرتهم. بحلول المساء كانت القريتين تحت سيطرة قواتنا. لكنهم هاجموا قواتنا بسيارة مفخخة كانت مركونة في باحة إحدى البيوت، وقبل أن تصل إلى هدفها دمرها الپيشمرگه، لكن أصيب عشرة من الپيشمرگه بجروح جرّاء ذلك.

- كم قُتل من الدواعش؟ هل تعرف العدد؟

- بعد ان سيطرنا على تلك القرى، توجهنا صوب الجنوب. رأيت ثلاثة جثث لقتلى داعش هناك وكان بعض عناصر الپيشمرگه الغشيمين يتصورون معها للذكرى. ورأيت جثث ثمانية قتلى داعشيين في سيارة مدمرة، كانت الجثث قد تفحمت. نظرت إلى تلك الجثث وبدأت أفكر فيهم، كيف لهؤلاء الذين احترقت جثثهم كانوا يقتلون الأطفال والنساء بدون وازع من ضمير.

- نسيت أن أسألك، هل مدّت قوات التحالف الپيشمرگه بأسلحة نوعية من دبابات ومدافع أم لا؟

- هناك عشرة دبابات فقط مع العشرة آلاف مقاتل من الپيشمرگه، وتلك الدبابات قديمة أرسلها الجيش الروسي لصدام حسين وقد اغتنمتها الپيشمرگه وقامت بتحديثها. إحدى تلك الدبابات أنقذت حياة المئات من الپيشمرگه. حين كرت قافلة الپيشمرگه من إحدى القرى، كانت سيارتين مفخختين تابعتين لداعش مختبئتين خلف البيوت، وحين رؤيتهم لقافلة الپيشمرگه توجهوا بسرعة كي يفجروا أنفسهم بين القافلة، لكن أحد أفراد الپيشمرگه وكان كبيراً في العمر، ركض إلى الدبابة وأطلق الطلقات صوب تلك السيارات حتى دمرها.

- هل أسرتم عناصر من داعش وتحدثتم معهم؟

- رأيت ثلاثة منهم في الصندوق الخلفي لإحدى حافلات الپيشمرگه. قبضوا عليهم وأخذوهم إلى دهوك. كانت وجوههم مصفرة من الخوف والذعر. مع أن البرد كان قارس جداً إلا إنهم كانوا لا يرتجفون، وكإنهم أجساد بلا دماء ولا أحاسيس ولا روح.

- ألم يكن هناك سكان في تلك القرى التي تسيطرون عليها في طريقكم، أم كان خالية؟

- داعش دمرت بيوت الكُرد في تلك القرى، أما عرب تلك المنطقة، فكانوا يقفون على حافتي الطريق ويبدون فرحهم بمرور قوافل البيشمركه.
- حسب ما فهمت، فإن داعش لم يقاوم، بل فروا من المعركة.
- استولينا على مساحة سبعة كيلومترات في غضون ثلاثة أيام. كنا نتقدم ونحن نُدرك إننا سنواجه المفخخات والانتحاريين. وصلنا في يوم عيد الإيزديين إلى معبد "شرفدين" على سفح جبل سنجار.
فهم الدكتور من "حسين" أن قوات البيشمركه باتت على مقربة من سنجار. طلب الطعام له ولصديقه من النادل، وبعد تناولهم للطعام، قام "حسين" كي يعود إلى ساحة المعركة. بقي الدكتور جالساً لوحده هناك يحتسي الشاي، وحين رأته الفنانة "روجين" أنه جالس لوحده، تقدمت منه قائلة له:
- ما خطبك يا دكتور، بماذا تفكر هكذا؟
- لا شيء جديد. تعالي واجلسي.
قضى بضعة ساعات معها في تلك الكافيتريا. كانوا يتحدثون عن الأحداث الأخيرة في تركيا وشمال كردستان كما تحدثوا عن الفن والموسيقا (الموسيقى). لكن تفكير الدكتور كله كان على العملية في سنجار. كان عليه أن يشارك فيها. ودّع "روجين" وتوجه بسيارته إلى مقره في "نافران" (ناوران). وصل في منتصف الليل إلى المقر، وساتقبله كلبه "شرو" أمام الباب. جلس القرفصاء وبدأ يربت على ظهر الكلب ويقول له: "لا يطعمونك شيئاً حين لا أكون موجوداً". صاح على أحد الحراس كي يذهب إلى المطبخ ويجلب للكلب بعض الأكل. ثم دخل إلى غرفته وبدأ يكتب شيئاً على ورقة أمامه. كان وكإنه مزمع على القيام بأمر ما. كانت أغلب العمليات العسكرية تبدأ في ساعات الصباح الاولى. كان يثق بـــ"شيار" كثيراً من بين كل المتطوعين، خرج من الغرفة وقال لأحد الحراس: "نادوا لي على شيار." بعد دقائق كان شيار واقفاً أمامه في الغرفة وبندقيته في يده. فور دخوله قال له الدكتور:
- هل أنت مستعد يا شيار؟
- نعم يا دكتور، أنا جاهز؟
قهقه الدكتور قائلاً له:
- جهّز نفسك يا شيار، سوف نذهب إلى سنجار. هناك عملية هناك وغداً صباحاً ستقتحم قوات البيشمركه المدينة، سنذهب ونشارك في العملية هناك.
صاح "شيار" فرحاً:
- سنذهب أنا وأنت لوحدنا؟
- كلا، سنأخذ معنا ثلاثة آخرين. لا تتسع السيارة سوى لخمسة أشخاص. سنأخذ معنا عنصرين مُدرّبين بشكل جيد على الألغام، وهم "صبري" و"علي" وبدورك اختر عنصراً آخر كي يكتمل عددنا.
- حسناً يا دكتور، سوف آت بـ"إيبو" معي. سوف تكون راضياً عنه.
قهقه الدكتور مرة أخرى قائلاً:
- إنه نهم للأكل ويحب بطنه كثيراً. قد نبقى لأيام بدون طعام، كيف سنشبعه لهذا الرجل؟
أصرّ شيار على أخذ "إيبو" معهم. قال له الدكتور:
- جهّزوا أنفسكم بسرعة.
وضعوا أجهزة الكشف عن الألغام والبنادق والذخيرة في السيارة، وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل توجهوا إلى سنجار التي تبعد عنهم مسافة مائة وثلاثين كيلومتراً.
حين اجتاز سد الموصل على نهر دجلة، كان قد بقي أمامه مسير مائة كيلومتر. كانت حواجز البيشمركه

توقف سيارتهم على الطريق، وحين يرون هوية البيشمرگه مع الدكتور يسمحون له بالمرور. وصلوا فجراً إلى منطقة سـنجار. كانت قافلة البيشـمرگه واقفة هنا. ركن الدكتور سـيارته على طرف وقال لرفاقه: "احملوا الأجهزة والبنادق، سوف نكمل الطريق مشياً." نزلوا من السيارة وساروا مسرعين وهم يحملون الأسلحة والمعدات. ساروا حتى نهاية القافلة، وكان العديد من الضباط الكبار من البيشمرگه واقفون هناك. كانت وحدة الكشف عن الألغام قد عادت من المدينة وأخبرت الضباط أن الدواعش قد فخخوا كل شوارع وساحات المدينة.

قال أحد الجنرالات: "علينا أن نتقدم ببطء وعليكم أن تكونوا حذرين جداً." حمل الدكتور جهاز الكشـف عن الألغام وكان "شيار" يتبعه وهو يحمل جهازاً آخر. سار الدكتور خطوتين إلى الأمام وبدأ يضع جهاز الكشف على الأرض. حين صدر صوتٌ من الجهاز، توقف الدكتور، أما البقية فقد خطو عدة خطوات إلى الوراء. جلس الدكتور على الأرض وبدأ يزيح التراب عن اللغم يريد أن يعرف نوعيتها. تعرف على نوعيتها وطلب من شيار صندوق العدة، ثم قام بقطع الأسلاك وإبطال مفعولها. صفق له الجمع من حوله. قام الدكتور بإبطال سـتة ألغام مضـادة للدروع في ظرف سـاعة واحدة. التفت إلى القائد وقال له: "الآن الطريق آمن، تستطيعون التقدم."

كانت هناك ساحة كبيرة على الجهة اليمنى منهم، وتسمى تلك الساحة بـــ"ساحة القمح" في المدينة. أمر القائد أن يجتمع العناصـر جميعهم هناك كي يخبرهم بطريقة اقتحامهم للمدينة. كان الدكتور يسـير صـوب السـاحة ويضـع جهاز الكشـف على الأرض باحثاً عن الألغام. لمح داعشـي قد خرج من تحت بطانية وهو يركض بسـرعة صـوب سـيارة من "سـكودا" كانت مركونة هناك. انبطح جميع المقاتلين ظناً منهم أن الداعشي يحمل حزاماً ناسفاً، لكن الدكتور بتجربته في القتال أدرك إنه لا يحمل حزاماً ناسفاً، لأنه لو كان مفخخاً لكان سيركض صـوبهم. حمل الدكتور على الفور بندقيته وسـددها إلى الداعشـي، لم تصبه الطلقة الأولى، لكن الثانية أردته أرضـاً. سار الدكتور مسرعاً صوبه وهو يسير على نفس الخط الذي سار عليه الداعشي. لاحظ إنه كان متوجهاً إلى تلك السيارة المركونة، فذهب الدكتور إلى السيارة وتفحصـها، كانت السيارة مفخخة بكمية كبيرة من مادة الـــ"TNT". أدرك الدكتور أن الداعشي كان يود الوصول بنفسه إلى السـيارة كي يقوم بتفجيرها، ولو وصـل إلى مبتغاه لكان قد سـقط كل البيشـمرگه مع قادتهم ضـحايا لذلك التفجير.

كانت الكاميرات كلها على الدكتور وهو يقوم بإبطال مفعول الألغام هناك، بذلك قد انقذ أرواح العشـرات من البيشـمرگه. كان يسـتعجل في عمله والكاميرات تلاحقه، التفت إليهم وقال لهم كي يسـيروا على مكان وقع أقدامه. طلب من "شيار" سكيناً ومفكاً من الحقيبة وبدأ بفك الأسلاك الخارجة من عبوات التفجير في السيارة. كان الجميع مذعورين من حوله، لكنه كان يقوم بعمله مبتسماً ويمزح مع "شيار" المذعور بدوره بين الفينة والأخرى. كان "شيار" يقول:

- لقد أرسل الله لنا الدكتور من ألمانيا إلى هنا. لا خوف عليه.

لم يكن هناك داعشيين في سنجار، لكن كان هناك انتحاريين منهم، وبدورهم كان يختبئون يودون الفرار. كانت قوات التحالف قد قصفت المدينة ليلاً، فتحولت كلها إلى خراب. إلا أن الداعشيين قبل خروجهم منها، كانوا قد فخخوا البيوت والشوارع وملأوا المراكز بالكمائن المفخخة.

كان هذا تكتيكهم الجديد في الحرب. قوات التحالف قد أنهت مهمتها بقصـف المدينة، وعلى قوات البيشـمرگه أن تقوم بتمشـيط المدينة، لكن أطنان من المتفجرات كانت مرزوعة في المدينة، وكان تحرير المدينة واقف على إبطال تلك الكمية الهائلة منها. كان الدكتور سيدلي بتصريح لفضائية "روداو" وسيقول

في تصـريحه: "لقد أبطلنا مفعول أربعين طناً من أصـل مائتي طن من المتفجرات لحد الآن وقد بقي القليل كي ننتهي من البقية." كانت هناك وحدات الكشف عن الألغام بين قوات الپيشمرگه الـــ"زيرفاني" أيضـاً وهي بدروها تقوم بعملها في المدينة.

قاموا بتمشـيط الشـوارع والسـاحات الكبيرة، وبدأت القوات بالانتشـار والتمركز في فيها. فجأة ظهرت أمامهم شيء غريب، قدمت ثلاثة سيارات إلى داخل المدينة، كانت تلك السيارات عائدة لعناصر "YPG" و "PKK" والحشد الشعبي. الـــ"YPG" هي قوات في غربي كردستان وتأخذ أوامرها من قنديل، أما الحشـد الشـعبي، فكانت قوات شـيعية عراقية مكونة من إرهابيين درّبتهم الحكومة الايرانية. نزلوا من سياراتهم ورفعوا أعلامهم وأخرجوا آلات التصوير، يصورون أعلامهم في المدينة. كانوا يودون بذلك أن يقولوا للإعلام بإنهم هم من حرروا المدينة. حين رأى قادة الپيشـــمرگه ذلك، أرادوا التدخل، لكن أتتهم الأوامر من القيادة العليا كي يتركوهم وشأنهم.

كانت منطقة سنجار منطقة متنازع عليها بحسب الدستور العراقي، ذلك، كان الحشد الشعبي يظهرون أنفسهم على إنهم قوات عراقية، أما "PKK" و"PYD" فقد كانوا يبحثون عن الحجج والذرائع كي يقوموا بحرب ضد الپيشمرگه، لقد كانت ايران التي تريد ذلك وتأمرهم بذلك.

اسـتمر الدكتور ورفاقه في إبطال الألغام في المدينة حتى وصـلوا إلى مركز المتفجرات العائد لداعش. نادى على الكاميرات كي يصـوروا تلك الاطنان من المواد المتفجرة، وبدأ يتحدث عن أنواعها، كان ألغام مضـــادة للدروع وللأفراد، الألغام التي تفجر عن بعد، أو بواســـطة الضـــوء. العبوات والطناجر المليئة بالمتفجرات، والأسـلاك والكابلات. كان يتحدث أمام الكاميرات وكإنه يلقي درسـاً عن هذه المتفجرات. ثم قال لرفاقه:

- خذوا كل هذه الأشياء يا رفاق، إنها غنيمتنا من داعش. سوف نقوم بهذه الادوات بتأسيس معمل خاص بنا للمتفجرات وسنصنع الألغام والقنابل بأنفسنا.

جلبوا سيارتين إضافة إلى سيارتيهم ووضعوا فيها تلك المتفجرات والادوات. وسلموا الادوات والاجهزة الخطرة لقيادة المخابرات "باراســـتن". حين عاد الدكتور إلى مدينة دهوك، كانت أغلب قنوات التلفزة تبث لقطات من عمليات تفكيكه للألغام والعبوات في سنجار. كان الدكتور ذو الوجه البشوش هو رجل المرحلة الذي قام بإبطال الألغام في سنجار.

في نفس اليوم عقد قائد قوات كردسـتان مسـعود بارزاني مؤتمراً صـحفياً على جبل سـنجار معلناً فيه تحرير سنجار للرأي العالمي. كان موقع سنجار مهماً جداً لداعش، فقد كان يربط منطقة الموصل العراقية بمحافظة الرقة السـورية المهمتين بالنسـبة للتنظيم، لكن بعد تحرير سـنجار، انقطع ذلك التواصـل بين المدينتين.

نقل الدكتور سـليمان كل أدوات تصـنيع الألغام والمتفجرات التي اسـتولوا عليها من داعش إلى مكتب الحزب الديمقراطي الكردستاني- ايران في أربيل. فقد كان خلف المكتب قبو على شكل نفق طويل، وجعل تلميذه "محمد" الذي دربه بنفسـه حارسـاً عليها. ثم طلب من بعض النجارين كي يصـنع له عدة صـناديق، وجلبها ووضع تلك الأدوات والمتفجرات فيها بعد ان كتب على كل صندوق نوعية المواد التي فيه.

بعد عشـرة أيام من تحرير سنجار، طلبوا الدكتور إلى سـتوديو قناة "روداو" لإجراء لقاء صـحفي معه. في نشـرة الأخبار المسـائية، كان وجهاً لوجه مع "دلبخوين دارا" مذيع تلك النشـرة. كان يضـحك كعادته. عرّفه المذيع بالمشـاهدين وقال: "الدكتور سـليمان كان من أكبر القادة في حزب العمال الكردسـتاني." ثم سأله عن مشاركته في عملية تحرير سنجار وعملية تفكيكه لاطنان من المتفجرات هناك قائلاً له:

- ألم تخف حين قطعت أسلاك المتفجرات تلك؟
جاوبه الدكتور ضاحكاً:
- كلا، الإنسان يخاف حين يقدم على عمل لا يجيده. إن كنت تجيد عملك وكنت جريئاً، لن تخاف أبداً.

www.arsivakurdi.org

كان "ممو ممويي" من كُرد روسـيا، وقد شـارك في الحرب ضـد الدولة التركية مع حزب العمال الكرسـتاني وتعرّف على الدكتور سـليمان هناك. حين رأى هذا أن عبدالله أوجلان والتنظيمات المرتبطة به يعملون أن أجل الدول المحتلة لكردستان ويخدعون الشعب الكردي بشعاراتهم، ترك صفوف الحزب ولجأ إلى روسـيا. عاد إلى أربيل واسـتقر فيها حين قامت الحرب في جنوب كردسـتان وأسـس جمعية الصـداقة الروسية والكردية، وكان يسكن مع زوجته وطفليه في الطابق الثاني لمكتب الجمعية. كان الدكتور سليمان حين يزور أربيل، يقيم في غرفة بالطابق الثاني في بيت"ممو".

في إحدى الأيام، حين عاد "ممو" إلى بيته من "المصيف" وهو المقر الذي يقيم فيه قادة إقليم كردستان. رأى ستة سيارات مدرعة واقفة أمام بيته ويحرسـها قوات كوماندوس أجنبية. نظر إليهم وتوجه إلى مكتب جمعيته. حين دخل إلى المكتب، رأى "الدكتور سـليمان" قد وضـع لغماً على الطاولة ويتحدث باللغة الانكليزية مع ستة جنود هناك.

لم يفهم "ممو" ما يجري حوله، لذلك قال:

- من هؤلاء يا دكتور، ماذا تفعلون؟

جاوبه الدكتور بعد أن عرّفه على الحضور على رئيس جمعية الصداقة الروسية الكردية:

- إنهم ضـباط في قوات التحالف. قبل أيام تواصـلت مع الجنرالات الأمريكان والألمان وتحدثت معهم بشأن الألغام المضادة للأفراد والدروع، فأعجبوا بمقترحاتي واتصلوا بي كي نلتقي في مكان ما. أعطيتهم عنوان البيت هنا، فاتصـلوا بي يريدون المجيء، وقلت لهم تفضـلوا. هل ترى هذا اللغم؟ كنت قد خبأته في سـقيفة البيت. لم أتعرف على نوعية هذا اللغم بين كل الألغام التي قمت بتفكيكها، فجلبته لهم ظناً مني إنهم سيعرفون نوعيته، لكنهم لم يعرفوا عنه شيئاً أيضاً.

بعد كل ذلك التوضيح، بدأ "ممو" يرحب بالضيوف والتفت إلى الدكتور قائلاً له:

- هل جلبت شيئاً للضيوف؟

- كلا.

توجه "ممو" فوراً إلى المطبخ. كانت صـورة الرئيس الروسـي فلاديمير بوتين معلقة على جدار المكتب وعلى الجدار المقابل، كان العلم الروسـي وعلم كردسـتان معلقاً عليه. كان الضـباط الحاضـرين هناك من جنسـيات مختلفة، أمريكان، بريطانيين، فرنسـيين وألمانيين. يتحدثون مع الدكتور وبين بعضـهم باللغة الانكليزية عن ذلك اللغم على الطاولة.

عاد "ممو" من المطبخ وفي يده أقداح الويسكي ووضعها على الطاولة قائلاً للدكتور:

- خذ هذا اللغم من هنا، لو ينفجر بنا هنا سوف يخلد إسمنا في التاريخ على إننا عملاء لقوات التحالف.

حمل الدكتور اللغم وخرج، ثم عاد مبتسماً. صبّ الويسكي في الأقداح، ثم سرد لهم الدكتور قصته، من التحاقه بالجبال في شمالي كردستان، وتركه لحزب العمال الكردستاني مروراً بلجوئه إلى ألمانيا وحصوله على الجنسـية هناك، حتى وصـل إلى انخراطه في الحرب ضـد داعش. تحدث لهم عن مصـاعب الحرب الغير نظامية ضد الجيوش النظامية وقال لهم:

- إن داعش لا تقاتل بالبنادق، بل تحارب بالمفخخات والألغام والكمائن فقط. إن المرء حين يواجه هؤلاء، عليه أن يكون ملماً بالألغام والمتفجرات.

كان ضـباط قوات التحالف يسـتمعون إليه بشـغف، وقبل خرجوجهم (خروجهم)، اعطوه كروتهم

الشخصية وطلبوا منه إلقاء الدروس عن هذا المجال في مقراتهم. فجاوبهم الدكتور:
- إن وافقت القيادة هنا على ذلك، سوف آت بكل سرور.
حين خرجوا من هناك، تحدث الدكتور لـ"ممو" عن فحوى لقاءه بهم. كانا سيتوجهان بعد ذلك إلى ساحة التدريب. لم تمض أيام حتى وطلبه جهاز الاستخبارات العسكرية في قوات "زيرفاني"ز حين ذهب إلى هناك، رأى ثلاثة أشخاص جالسين، وكان أحدهم ذو حواجب غليظة والظاهر إنه كان رئيس تلك المجموعة. بعد الترحاب به، أراد رئيسهم أن يمازح الدكتور قائلاً له:
- هل أنتم خبراء عسكريون. أين حصلتم على شهاداتكم؟
انزعج الدكتور من سؤاله هذا وقال:
- نعم، أنا درست في الكليات العسكرية.
- أين؟
- في أكبر مدرسة عسكرية في العالم.
- أكبر مدرسة عسكرية في العالم؟
- نعم، لقد قدت الحرب ضد الجيش التركي لأكثر من عشرة سنوات في شمال كردستان. الامريكان والألمان يعرفون ذلك، لكنكم انتم لاتعرفون.
أراد ذو الحواجب الغليظة تلطيف الجو وقال:
- أعذرني يا دكتور، نحن نؤدي واجبنا وعلينا أن نسألكم هذه الأسئلة. مثلاً، ماذا تعرفون عن الحروب؟
جاوبه الدكتور بغيظ مرة أخرى:
- أنا أدرب البيشمرگه في (نافران) (ناوران) على المتطوعين على استراتيجية (سون تزو Sun Tzu) أقول لهم، إن عرفت نفسك وعرفت عدوك، فإنك لن تخسر في الحرب أبداً. لكنك ستخسر إن لم تعرف نفسك وتعرف عدوك.
سأله الرجل الذي لم يفقه معنى كلمة (سون تزو Sun Tzu):
- وماذا أيضاً.
- هل سمعتم بـ(كلاود برنارد Claude Bernard)؟
- كلا.
- أدرب البيشمرگه المتطوعين في (نافران) هلى معاني أقوال (كلاود برنارد Claude Bernard).
- أية أقوال؟
- مثلاً، يقول (العدو الأكبر هو من تعلم الحقائق).
- إنها أقوال فلسفية يا دكتور.
- أدربهم على فلسفة الحرب أيضاً. يقول الفيلسوف الألماني (نيتشه): (فاقد الأمل لا يستطيع تسلق جبال الحقيقة).
- حسناً، وماذا تعرفون عن المتفجرات، وأين تعلمت تفكيكها؟
- لقد تلقيت دروسي الأولى عن المتفجرات على يد أستاذ في هذا المجال في فلسطين. لدي خبرة عشرة سنوات في هذا المجال، كما لدي كتاب عن المتفجرات والألغام وأنواعها، وكتابي الآن لدى رئاسة وزراء الإقليم هنا.
- حسناً، نحن نقدر جهودك يا دكتور، ونعرفك جيداً، لكننا مجبرين على أن نلقي عليك هذه الأسئلة كي نرفع تقريرنا إلى مسؤولينا عنك.

www.arsivakurdi.org

خرج الدكتور من مكتب الاستخبارات. كان يشكو من القادة العسكريين في الإقليم، فهو ترك المانيا قادماً كي يحارب من أجل وطنه. الكثيرون هنا كانت خبرتهم قليلة، أما هو، فله باع طويل في حرب العصابات، لكن القادة هنا لم يكونوا يهتمون به بشكل كاف. غالبية الساسة من شمالي كردستان كانوا قد لجأوا إلى أربيل وكانوا يتحركون حسب مصالحهم فقط، لذلك كان قادة الإقليم يظنون أن كل من لجأ إلى الإقليم من شمالي كردستان هم على نفس الشاكلة. لكن الدكتور، لم يكن يكل ويمل، وكان يُدرك إنهم سيفهمونه يوماً ما.

بعد أيام، أتاه إتصال كي يتوجه هو و"ممو" إلى منطقة "بناسلاوا" القريبة من أربيل حيث الجنرال "دلدار. كان الدكتور يعرف تلك المنطقة العسكرية السهلية ، حيث يتواجد فيها قوات البيشمرگه وقوات التحالف الدولي. استقبله الجنرال "دلدار" بحفاوة في مكتبه، وقدم لهم الشاي والقهوة. قال له الدكتور:

- لقد أتيت بعلم قيادة إقليم كردستان كي أقوم بتدريب الجنود هنا.
- سوف أخبر القادة هنا كي يؤمنوا لكم كل متطلباتكم.

كان الجنرال شخصاً متواضعاً ذكياً، ومحترماً للغاية. اتصل بالهاتف مع المسؤولين هناك، ثم دخل أحد الجند كي يرافق الدكتور وصديقه إلى مكانهم.

اجتمع الدكتور مع المتدربين ليلاً وأبدى استعداده لتدريب البيشمرگه وعناصر قوات التحالف. كان مسؤول التدريب هو "الملازم عمر" الذي وضع له الدكتور البرنامج كي يبدأ التدريب من الساعة الثامنة وحتى الثانية عشرة ظهراً، ثم فترة راحة حتى الثالثة، بعدها يكملون التدريب حتى الساعة الخامسة، وبعدها يتوجه كل عنصر إلى وحدته.

أخرج الدكتور كمبيوتره المحمول من حقيبته، عرض للمتدربين درسه الأول على برنامج (Power Point) قائلاً لهم:

- أنتم تتلقون تدريبكم على مواجهة الجيوش النظامية، وهذا الشيء مهم لكم. لكن ما سادربكم عليه مختلف، لأن داعش تستعمل معنا تكتيك الحروب الغير نظامية. علينا أن نتعرف أولاً على هذا النوع من الحروب، وبعدها سأدربكم على أساليب هذه الحرب، والدرس الثاني سيكون عن المفخخات والألغام والقنابل. تُصنع داعش أغلب الألغام التي تستعملها بنفسها، وقوات التحالف لا تعرف نوعية هذه الألغام، ولا تعرف سوى الألغام المصنعة في معامل الأسلحة. أما درسي الثالث، فسيكون عن أنفاق داعش. من لا يعرف متفجرات داعش وأنفاقه لن يعرف محاربتهم. لن نستطيع محاربتهم بالتكتيكات القديمة المتبعة، وإن انتصرنا عليهم، فسيكون نصراً يخلف الكثير من الضحايا. إن قمتم بإحصاء عدد شهداء البيشمرگه الذين استشهدوا بألغام داعش والذين استشهدوا بسبب أنفاقها وتقارنوا العدد مع الذين استشهدوا بالبنادق، حينها ستفهمون كلامي وغرضي من هذا. في السابق كانت الجرأة كافية في القتال، أما الآن، فإن الجرأة التي تفتقد إلى العلم ستؤدي إلى الهزيمة لا محالة.

كانت عناوين الدروس مكتوبة على برنامج الكمبيوتر على الشكل التالي:

- نظام الحرب الغير النظامية.
- فهم السلاح.
- معرفة الذات.
- معرفة العدو.
- معرفة الأصدقاء.
- معرفة المحيط والمكان.

كان الدكتور يلقي الدروس هنا ويذهب إلى مقره أيضـــاً- قوات آكري- كي يدرب المتطوعين هناك. في إحدى الأيام، حين أنهى الدروس هنا، أراد التوجه إلى مدينو دهوك يرافقه أربعة من عناصـــر البيشـــمرگه المســلحين من قواته، وكان بدوره يحمل بندقية اســتعاردها من أحد العناصــر. حين وصــلوا إلى الطريق الرئيسي المؤدي إلى دهوك، رأى مدرعة أمريكية وخلفها مدرعة للبيشمركة (للبيشمرگه) تتوجهان صوب ناحية "تلسـقوف". كانت هذه الناحية تحت سـيطرة داعش، وكان معظم سـكانها من الكلدانيين الذين أخلوا المدينة بعد احتلال داعش لها.

الشـعب الكلداني شـعب عريق في هذه المنطقة، وهم من الشـعوب التي سـكنت هذه المنطقة قبل اكتشـاف الكتابة. هم أيضـــاً مثل الإيزديين، لديهم قصـــة عجيبة. يقول بعض المؤرخين بانهم ينتمون إلى الطائفة الكاثوليكية الآشـــورية. ويرجح البعض الآخر أصـــولهم إلى الخالديين القدماء في العصـــر البابلي. أطلق اليونانيين القدماء إســـم الخالديين على موطنهم في كتاباتهم. كما يظهر إســمهم في التوراة على إنهم كهنة وفلكيين. لغة الشــعب الكلداني هي اللغة الآرامية، وكانت هذه اللغة هي لغة النبي عيســـى. كان اليونايين القدماء يطلقون تسـمية الكلداني على السـحرة والكهنة الذي يعيشـون في منطقة ميزوبوتاميا السـفلية. أما علماء الآثار، فيقولون بأن الكلدانيين كانوا يبنون القلاع العالية ويضعوا مناظيرهم فوقها لاستكشاف النجوم وتكهنوا بمسـتقبل البشــرية من خلالها. منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا، تغيرت أشـياء كثيرة في منطقة ميزوبوتاميا. لم تبق أية علاقة للبشـر بالعلم والمعرفة، بل أصـبح كل شـيء معرضـاً للنهب من قبل حاملي السيوف والغزوات، حتى وصـل الأمر بالكلدانيين بأن يصـنفوا من بين الشـعوب المنقرضـة. كان المثقفين الكلدانيين يطلقون على شعبهم تسمية "ورود ميزوبوتاميا الذابلة". هذه المدينة- تلسقوف – الآن محتلة من قبل الظلاميين وأصـبحت متشـحة بالسـواد. لكن لماذا تتوجه هاتين المدرعتين إلى هناك؟ بعد برهة من التفكير، أوقف الدكتور سيارته وقال لرفاقه:

- لقد عرفت لماذا توجهت المدرعتين إلى هناك.

- لماذا؟

- المدرعة الأمريكية تحمل فريقاً متخصصاً لنقل الإحداثيات إلى الطائرات الحربية التي تقصف مقرات داعش. تعالوا لنلحق بهم، وحين تقصف الطائرات مقراته الدواعش في المدينة من الجو، سوف نتدخل من البر.

كان البيشمرگه الثلاثة الذين معه مترددين في الذهاب معه، لكنه قال لهم:"لا تخافوا، إن كنتم واثقون من أنفسـكم، فإنكم لن تنهزموا أبداً." غير مسـاره وتوجه إلى تلسـقوف وأصـبح على مقربة من المدرعتين الأخريتين. حين باتوا على بعد كيلومتر واحد عن المدينة، تعرضوا لوابل من النيران. وكان جندي أمريكي قد أصـــيب بطلقة، لكن الظاهر أن إصـــابته كان طفيفة. اتصـــلوا بالمقر في أربيل كي تأتي حوامة وتأخذ المصاب. لكن وصول الحوامة إلى ذلك المكان كان خطراً أيضاً، فهم على مدى مرمى قناصات الدواعش.

حمل الدكتور منظاره وبدأ يستطلع كل مكان من حوله، فقال لهم:

- إن الداوعش على مسـافة خمسمائة متر عنا. وهذا خطأ من المدرعتين اللتين اقتربتا كثيراً من المدينة. في الطرف الآخر هناك مبنى من طابقين وهو أقرب مبنى علينا، لا مجال أمامنا إلا الاسـتيلاء على هذا المبنى، لأننا محاصرون من ثلاثة جهات الآن.

سألهم الدكتور:

- هل معنا قاذف آر بي جي؟

- نعم، لكنها في مدرعة البيشمرگه.

نظر الدكتور حوله، كان الجميع منبطحين على الأرض، وطلب من أقرب عنصر قريب من السيارت أن يذهب ويجلب القاذف بسرعة.
كان الدواعش يطلق ونوابل النيران عليهم، لكن مع ذلك نفّذ ذلك الپيشمرگه أوامر قائده وركض مسرعاً حاملاً القاذف وناوله للدكتور.
أشار الدكتور للجميع كي يهبطوا من فوق الجرف على ظهورهم سحلاً حتى يصلوا إلى حفرة قريبة من المبنى، وطلب منهم بعض القنابل اليدوية. بعد أن قام الجميع مع الامريكان بما طلبه منهم، شرح لهم خطته بأنه سوف يرمي القاذف المبنى الذي كان قناص داعشي متمركزاً فيه، وبدورهم يطلقون النيران صوب المبنى المقابل الذي كان يطلق النيران عليهم بكثافة. نفذ ذلك بسرعة قصوى. حين أطلق طلقة الـــ آر بي جي على المبنى، أطلقوا النيران على المبنى الآخر وركض الدكتور ورفاقه مسرعين إلى المبنى. فور دخوله إلى الطابق الأرض، رأى داعشي ملقى على الأرض وقد تفتت رأسه، ثم سار إلى غرفة في نهاية الممر، فتح الباب وألقى بقنبلة يدوية إلى الداخل وأمر رفاقه كي ينبطحوا أرضاً. فتح الباب ورأى داعشي آخر قد تهشم جسده، من طلقة قاذفه. ثم ركضوا إلى الطابق الثاني وكان داعشي آخر ملقى على ظهره وسلاحه في يده. حمل "شيار" المرافق للدكتور ذلك السلاح وتوجهوا إلى الغرف الأخرى. لم يجدوا شيئاً. كان كل ما حولهم هادئاً.
بعد استيلائهم على المبنى، فتحوا خطاً آخر للنجاة وباتوا محاصرين من جهتين فقط، وما هي إلا لحظات حتى سمعوا صوت حوامة أمريكية قادمة لتحمل الجندي المصاب. قال الدكتور حانقاً: "تباً للحرب النظامية، هكذا هم. يحملون أنفسهم ويغادرون بدون أن يسألوا عن مصير البقية." بعدها عادت المدرعتين أيضاً وبقي الدكتور ورفاقه لوحدهم في ذلك المبنى. كان الدكتور يفكر بالانسحاب، لكن كيف؟ حمل جهاز اللاسلكي وطلب بعض قادة الپيشمرگه، لكن لم يجاوبه أحد. تذكر صديقه "عبدالخالق بابيري"، حمل هاتفه واتصل به، وشرح له الوضع. بعدها، بدأ هو ورفاقه يراقبون المكان بحذر من خلال النوافذ، وفي كل حركة بسيطة منهم كان الطلقات تنهال عليهم من المبنى المقابلن حتى أن أحد رفاقه أصيب بطلقة في كف يده، وقام الدكتور بمداواته بالاسعافات الأولية التي معهم. في تلك المعمعة، وصلت ثلاثة سيارات إحداها عليها سلاح الدوشكا، كان"عبد الخالق" فيها. اتصل به وقال له:
- أين انتم يا دكتور؟
- أنا أرى سيارتك. نحن في المبنى الملاصق للطريق، وفي المبنى المقابل هناك قناص داعشي. قُد سيارتك صوب الحفرة التي فيها سيارتنا وتقدم قليلاً، ثم قوموا بإطلاق النار من الدوشكا صوب ذلك المبنى كي يتسنى لنا الخروج والوصول إليكم.
حين بدأت الدوشكا بالرمي، ركضوا مسرعين وهم يحمون بعضهم البعض بإطلاق النار حتى وصلوا إلى ذلك الجرف القريب من السيارات حيث هم بعيدون عن مدى مرمى نيران العدو. بعدها توقفت سيارة الدوشكا عن إطلاق النيران وانطلقت السيارات مسرعة صوب مدينة دهوك، وخرجوا من ذلك الحصار بجريح واحد فقط وهو ذلك الپيشمرگه الذي أصيب في يده.

في يوم الرابع من نيسان سنة 2016، كان "روبار" وزوجته وابنته "لافين" ذات الإثنتي عشرة ربيعاً و"لاجڤان" و"الدكتور سليمان" مجتمعين في باحة دار على قمة جبل عال في منطقة "آميدية". كان ذلك المنزل عائداً لإحدى أصدقاء "روبار"، كان البيت محاطاً بكروم العنب وأشجار التفاح والدراق وأنواع أخرى من الفواكه. لكن الظاهر أن أحداً لم يزر ذلك البين منذ فترة طويلة، وكان الإهمال وعدم الاعتناء بادياً عليه. كانت "لافين" تحمل في يدها قفصاً فيه صغير سنجاب، اشتراها لها والدها من أحد الباعة على الطريق. أعدوا طعام الإفطار وجهزوا مكاناً لإشعال النار كي يقوموا بتحضير الشاي وشوي اللحم، وأوكلوا تلك المهمة ل"روبار" الذب كان يمتلك خبرة في ذلك منذ إن كان گريللا في الجبال.

كان الدكتور قد عاد قبل أيام من ألمانيا التي أراد أن يصفي أعماله هناك، حيث خسر في محله الثاني، أما محله الأول، فقد أسنده إلى ابن أخيه "فرمان". كان سعيداً ببقاءه في كردستان، وكأنه خلق كي يحارب فقط. كانت علامات السعادة بادياً عليه والابتسامة لا تفارق محياه.

مدوا الحصر والبطانيات في باحة المنزل بعد أن نظفوا الحشائش، وحين جلسوا، بدأ "لاجڤان" يسأله عن رأيه في حرب الخنادق في شمالي كردستان:

- هل انتهت حرب الخنادق يا دكتور، ما هو رأيك في تلك الحرب؟

- متى بدأت تلك الحرب؟ في الثامن من آب سنة 2015، أليس كذلك؟ تحدثنا مطولاً في هذا الموضوع آنذاك. على أساس أن عبدالله أوجلان كان يقوم بمفاوضات السلام مع الدولة التركية، وعلى أساس أن عبدالله اوجلان كان هو المفاوض الوحيد، وقد بدأت عملية وقف لإطلاق النار دون تحديد معالمها، حيث أن قوات الگريللا لم تكن تقوم بالعمليات العسكرية، وقد تأقلموا مع ذلك الوضع وبدأوا ينزلون إلى المدن، أو أن المجلس الرئاسي المختبئين في قنديل كانوا وراء إرسال هؤلاء الشباب إلى المدن. كانوا يقولون لهم: "إذهبوا إلى المدن وافرضوا سلطتكم على الشعب ولا تدعوا الدولة تقود هذا الشعب." أصبح هؤلاء النازلين إلى المدن يفرضون سلطاتهم على الشعب. في الأسواق والحارات وعلى المتعهدين. بدأوا بإدخال الأسلحة إلى الأحياء، أمام مرأى الدولة بأذرعها من بوليس وجهاز الميت التركي، لكن هؤلاء كانوا يراقبونهم بصمت ويتركونهم يقوموا بما يحلوا بهم. فعلوا ذلك بتاريخ 17 نيسان سنة 2005 أيضاً، حيث أسس عبدالله أوجلان والميت التركي سوية تنظيماً باسم "KCK منظومة المجتمع الكردستاني" وقد صرح نائب رئيس الوزراء التركي "بشير آتالاي Beşir Atalay" حينذاك بالتالي: "لقد أسسنا سوية ذلك التنظيم". تُرى لماذا ستقوم أية دولة كانت بتأسيس تنظيم مع رئيس حزب معتقل لديها؟ كما تعلم، إن حزب العمال الكردستاني هو تنظيم فوقي، وكل التنظيمات التابعة له تُدار من قبل هذا التنظيم. حسناً، تُرى كم عنصراً من الدولة التركية كان قد تم تعيينه في هذا التنظيم؟ هل يعرف أحداً منهم هذه المعلومة؟ في الرابع والعشرين من ديسمبر، بدأوا بحملة تمشيط ضد عناصر منظومة المجتمع الكردستاني، وكي لا يتم الكشف عن عناصر الميت المنخرطين بين هذا التنظيم، قامت الحكومة بإمرار قانون في الدستور وعرضته على البرلمان التركي. تنظيم كهذا، أرسل الشباب إلى المدن ويتتبع أخبارهم ويراقبهم على مدار الساعة وأية اسلحة يدخلونها، كما أن عملاء الدولة بينهم كانوا يقومون بمعرفة من يعارض الدولة ومن يقف معها منهم، ويقومون بعمليات التمشيط ضد المعارضين لهم ويلقونهم في السجون.

- أعتقد أن هناك علاقة بين حرب الخنادق في شمالي كردستان والحرب الأهلية في سوريا يا دكتور، حيث المجلس الرئاسي لـــ"PKK" يؤيدون سوريا وايران. حين قامت حكومة رجب طيب أردوغان بدعم

الإسلاميين الراديكاليين في سوريا، كانت خطوته هذه مثار قلق من قبل النظامين في سوريا وايران، وأرسلوا إشارات إلى نظام أردوغان مفادها (إن كنت تساند الإسلاميين الذين ينهبون المدن السورية، ها نحن أيضاً بأوامر قنديل سوف ندمر مدنك."

- آراؤنا متطابقة في هذا الموضوع. الميت التركي وعبدالله أوجلان الذي كان يعمل معهم، كي يقوموا بإنهاؤ الردايكاليين (الراديكاليين)، أرادوا أن يصفوا الكُرد الوطنيين أيضاً. اما المجلس الرئاسي في قنديل، كان مجبراً على تنفيذ أوامر سوريا وايران. هذه السياسة أدت إلى مقتل عشرات الآلاف من الشباب، وتهجير الملايين من الكُرد، وخسارة كل تلك المدن التي كانوا يتولون إدارتها. هذه هي العملية التي كانوا يقولون عنها عملية السلام.

وضع "روبار" إبريق الشاي على النار وقال لهم:

- دعوا السياسة الآن وقوموا ساعدوني قليلاً.

قام الدكتور و"لاجڤان" من أماكنهم وذهبوا إليه كي يساعدوه. أما "لافين" فكانت تلعب مع سنجابها في القفص وقالت لوالدها:

- أبي، مار رأيك كي اخرجه من القفص قليلاً.

- لا تفعلي ذلك، إن خرج بين كل هذه الأشجار فإنه لن يعود مرة أخرى.

كانت زوجة "روبار" تغسل البندورة والبصل الأخضر، أما الدكتور، فقد دخل إلى البيت كي يستكشف الغرف في داخله. فور دخوله، رأى قبعة مكسيكية معلقة على الجدار، حملها ووضعها على رأسه وخرج. قال لهحين رآه "لاجڤان" على تلك الهيئة:

- إنها مناسبة لك جداً.

- انتظر حتى أجلب بندقيتي وأتصور صورة تذكارية بالبندقية والقبعة المكسيكية.

حمل بندقيته وبدأ "لاجڤان" يصوره عدة صور من هاتفه.

كاد الشاي أن يغلي على النار. وضعوا الجبنة والزيتون والخضار على السفرة. رن هاتف الدكتور وكان المتصل "عبدالخالق بابيري" الذي قال له:

- هل تعلم بأن قوات البيشمركه قد حررت ناحية تلسقوف يا دكتور. لقد أتيت اليوم إلى هنا، وهناك سيارة بيكاب بيضاء مركونة في الشارع. هذه السيارات كانت لقوان البيشمركه، لكن الدواعش تركوها هنا بدون أن يمسوها حتى، ونحن نشك إنها مفخخة ونخاف الاقتراب منها. عليك أن تأتي على الفور من أجل ذلك.

أغلق الدكتور الهاتف وقال:

- علينا أن نذهب. لن نستطيع تناول الفطور.

قال "روبار":

- ماذا حصل يا دكتور؟

شرح له الدكتور الوضع. حملوا كل ما جلبوه معهم وتوجهوا صوب سياراتهم. سألهم الدكتور:

- لقد نسيت، كم تبعد تلسقوف عن مدينة دهوك؟

جاوبه "روبار":

- حوالي ستة وأربعين كيلومتراً، تقع الموصل بعدها بثلاثين كيلومتراً. لقد كنتَ في ألمانيا يا دكتور، هل تعرف كيف قاموا بتحرير تلك المدينة؟

- لقد تابعت أخبار تحريرها من الفضائيات.

- في البداية قامت قوات التحالف بقصف المدينة قصفاً مركزاً، ثم بدأت قوات الپيشمرگه بقيادة مسرور بارزاني بالهجوم البري. قاوم الدواعش بسيارات همر العسكرية المدرعة، لكن الپيشمرگه استعملت صواريخ (ميلان) ضدها. قتل 180 داعشي في تلك العملية، كما استشهد ستة عشرة عنصراً من قوات الپيشمرگه.

- ليتهم كانوا يأتون في ذلك اليوم الذي كنا فيه هناك، لكنا قد أنهينا كل شي في ذلك اليوم. لكن لا أدري لِمَ لم يأتوا حينذاك؟

وضعت "زريفة" زوجة "روبار" و"لافين" كل الأغراض التي جلبوها معهم في البيت وتوجهوا جميعهم صوب "تلسقوف".

كانت بندقية الدكتور من النوع الجيد، أما بندقية "روبار" فكانت يصيبها الاستعصاء حين إطلاق عدة رصاصات بها، كان يعاتب الدكتور ويقول له: "لم تدبر لي بندقية جيدة يا دكتور". لم يكن يجاوبه، بل يضحك في وجهه. أما "لاجڤان" فقد كان أعزلاً.

حين وصلوا إلى "تلسقوف" أشار الدكتور لـ"روبار"إلى ذلك البيت الذي كانوا قد استعصوا فيه سابقاً. كانت قوات الپيشمرگه فيه، أما البيت الآخر الذي كان قناصة داعش يطلقون منه النيران عليهم، فكان قد تدمر بالكامل من قصف الطائرات. توقفت السيارة أمام البيت، ولاحظ الدكتور رجلاً عجوزاً هناك، فسأله:

- هل تعرف صاحب هذا البيت يا عم؟

- إنه بيت نوح سماش، لكنه تركه وفرّ من المدينة كلها.

كانت المدينة خالية من السكان، لا حركة فيها. حتى زقزقات العصافير لم تكن تُسمع منها. ساروا بالسيارة عدة أمتار أخرى، وتوقفوا أمام مركز للبيشمركة، حيث كانت صور الرئيس بارزاني معلقة على طرفي الطريق.

حين ركن السيارة في مكانها المخصص، تقدم منه "إدريس" سائق "عبدالخالق بابيري" الذي كان يعرف الدكتور جيداً. رحب بهم واقتادهم عبر ممر طويل إلى غرفة في نهاية الممر. كان الجنرال "طارق" و"عبدالخالق بابيري" وعدة ضباط من ذوي الرتب العالية جالسين في الغرفة.

كان الظاهر أن ذلك البيت لأحد أغنياء المدينة. استولى عليه داعش، وبعد ان تم تحرير المدينة، استولى عليه قوات الپيشمرگه. تذكر الدكتور حينذاك فيلماً وثائقياً عن غابات أفريقيا وكيف أن مجموعة من بنات آوى تلتهم غزالاً، ثم تأتي القرود فتهرب بنات آوى، ثم تأتي الأسود، فتهرب القرود. هكذا هم الناس أيضاً في منطقة الشرق الأوسط.

حين جلبوا الشاي، بدأ "عبدالخالق يسرد له قصة تلك السيارة وركونها في مكان مشكوك في امره. قام الدكتور من مكانه على الفور، وقام البقية يلحقون به. سارت سياراتهم صوب طريق الموصل. بعد مسير ثلاثة كيلومترات، التفت السيارت إلى اليمين وما هي إلا عدة مئات من الامتار حتى لاحظ الدكتور البيكآب الأبيض في واد خال هناك. كان الوقت أوائل شهر أيار والعشب الأخضر طويل يصل إلى خصر الإنسان. توقفت السيارت وتوجه الدكتور صوب البيكآب، بدأ يتفحصها ويسير حولها إن كانت هناك أسلاك هناك أم لا، وحين لم يجد شيئاً، نظر من نوافذها إلى الداخل. مدّ يده كي يفتح بابها، لكنه سمع صوت طلقة نارية وصرخة من حولهم. انبطح هو ورفاقه على الفور. بدأت الطلقات من حولهم، وسرعان من بدأت الإطلاقات من عربة الدوشكا العائدة لـ"عبدالخالق بابيري". كان الدواعش قد اختبأوا بين الزرع هناك، ينتظرون حلول المساء كي ينفذوا عملية عسكرية ويستعيدوا المدينة من الپيشمرگه.

حمل الدكتور منظاره وهو منبطح على الأرض يريد استكشاف مكان الدواعش والأماكن الأخرى من

حولهم. لاحظ الدكتور حفرة في منتصـــف ذلك الوادي. ولكن الطلقات كانت تطلق تباعاً بدون توقف. لقم الدكتور بندقيته وقال لرفقه: "ســـوف نعود إلى خلف الوادي ونحاول الوصـــول إلى تلك الحفرة زحفاً. إن كانت فارغة، فإننا سـنكون في مأمن هناك، وإن كان الدواعش مختبئين فيها، فسـنطلق النار عليهم." وافقه "روبار" الرأي وتبعهم "لاجڤان" الأعزل من السلاح.

زحفوا على بطونهم بسرعة صوب الحفرة تلك، ولحسن حظهم كانت خالية. قلع الدكتور بعض الحشائش الخضراء من حوله ولفها على رأسه، وقام صديقيه أيضاً بنفس الشيء، ثم حمل منظاره وأخرج رأسه من الحفرة يستطلع الوضع. رأى داعشياً على مسافة ثلاثين متراً منه يطلق النار صوب البيشمرگه. سدد عليه الدكتور وأرداه أرضاً بطلقة واحدة. ثم همس لـ"روبار" قائلاًله: "هناك ستة آخرون، أنظر إلى هناك وفور رؤيتك لهم أطلق النار عليهم." سددا بنادقهما صـوب الدواعش السـتة المختبئين هناك، وأردوهم قتلى. قام أحد الدواعش يود إطلاق النار عليهم، لكن الدكتور سدد على رأسـه وأراده أرضـاً. بسقوط ذلك الداعشـي، سـمع انفجاراً قوياً بالقرب منه، ورأى جثة تتطاير في السماء ووقع نصـفها العلوي بالقرب منهم. كان ذلك الرجل قد فخخ نفسه ويريد تفجير نفسه بينهم، لكنهم لم يمهلوه ذلك وأرسلوه إلى جنته التي يسعى إليها.

اسـتولى الدكتور ورفاقه على المنطقة حول الحفرة وقتلوا كل الدواعش من حولهم. حملوا الأسـلحة التي بحوزة الدواعش وسـاروا صـوب "لاجڤان"، وضـع الدكتور تلك الأسـلحة أمام "لاجڤان" وقال له: "وتقول لي إنك لا تدبر لي بندقية جيدة، ها هي البنادق خذ واختر أية بندقية تريد." اختار "لاجڤان" بندقية "M4" أمريكية الصـــنع. ثم حملوا بقية الأسـلحة التي اغتنموها وخرجوا كفرسـان منتصـرين من الحفرة. كانت وحدات البيشمرگه العائدة لـ"مسرور بارزاني" و"وحيد قافلي" (وحيد كوفلي) قد قدمت أيضاً.كانت معركة حامية الوطيس، قتل على أثرها ثلاثة وأربعين داعشياً وأربعة من الدواعش الانتحاريين.

كان الدكتور و"لاجڤان" قد وضـعوا الأسلحة في الحفرة وتوجهوا صـوب سيارات البيشـمرگه، لكنهم لم يجدوا إلا القليل منها حين عادوا لأخذها.سأل الدكتور"لاجڤان" مستغرباً:

- أين هي الأسلحة؟ لقد سلمتها لك.

- لا أدري، لكننا حين توجهنا صوب السيارات رأيت رجلاً مسلحاً يحملها.

- كيف كانت هيأته؟

- طويل القامة وسمين.

- إنه قائد البيشـــمرگه الذي تخلى عنا حين كنا محاصـــرين في ذلك البيت. منذ ذلك الوقت وأنا أعلم إنه إنسان منافق.

حين رآه "عبدالخالق بابيري" حانقاً، سأله:

- ماذاحصل يا دكتور؟

- إنه منافق. بعض الأشـــخاص كالعقبان التي تنقض على الجيفة. يهربون من الحرب، لكنهم يسـتولون على الغنيمة. لا أسـتطيع تحمل هذه التصـــرفات. إنه هو الذي تخلى عنا حين كنا محاصـــرين من قبل الدواعش.

- لا تهتم يا دكتور، حسابه عندنا.

ترك الدكتور رفاقه وتوجه صـوب سيارة "روبار"، شـغل السـيارة وسـار بها مسرعاً صـوب الطريق المؤدي إلى مدينة دهوك.

بعد مسيره بالسيارة لوحده مسافة خمسة عشرة كيلومتراً، رأى سيارة ذلك الرجل من بعيد، فأسرع أكثر للحاق به. توقفت سياراتهم أمام مركز عائد للبيشمركة، ودخل ذلك الرجل إلى المقر وهو يحمل أربعة قطع

من الأسلحة معه. بعد برهة وصل الدكتور أيضاً إلى هناك وجخل ذلك المقر، سمع ذلك الرجل يقول لقائده:

- لقد اغتنمت هذه الأسلحة من الدواعش وقد أعطيت بعض القطع لبعض الأشخاص من كُرد تركيا.

لم يكد ينهي حديثه حتى دخل الدكتور وقال:

- إنه يكذب. لقد تركني قبل أيام في قبضة داعش وهرب، واليوم سرق هذه الأسلحة أيضاً. حين رأى إنني سأحاسبه هناك، جلب هذه الأسلحة إليك، أو إنه سرقها كي يبيعها.

كان ذلك القائد يعرف الدكتور من خلال الفضائيات، لذلك صرخ على ذلك السارق وأمر عناصره:

- خذوه إلى السجن.

خرج الدكتور من هناك وتوجه إلى دهوك. تذكر في الطريق فيلماً وثائقياً آخراً عن غابات أفريقيا وكيف أن قطيعاً من الأسود تنقض على الزرافة، لكن الضباع والعقبان كانوا متجمعين حولهم، يحاولون أكل ما تبقى من الجيفة، أو يسحبوا قطعة من اللحم خفية عن الأسود.

www.arsivakurdi.org

www.arsivakurd.org

كان الجو حاراً جداً في ذلك اليوم. في فترة الظهيرة هبت عاصفة غبارية، وكأن السماء تُمطر رملاً. كانت الطرق الاسفلتية كلها مصفرة من الغبار. لم يكن ينوي "الدكتور سليمان" الخروج في ذلك اليوم، فقد بقي لوقت متأخر من الليل مع أصدقاءه، وفي صباح اليوم التالي صباحاً بعد تناوله للفطور، خرج لرؤية صديق له، والآن يسير صوب منزل "مم ممويي".

صعد إلى الطابق الثاني، فتح باب غرفته، ثم توجه فوراً إلى المغاسل. نظر إلى وجهه في المرآة، كان شعره ووجهه مغبرّاً. غسل وجهه جيداً، وأراد أن يتحمم، لكنه من شدة تعبه، تمدد على فراشه. كان جو الغرفة حاراً جداً، ولم يكن هناك أي تكييف فيها. لكنه مع ذلك، غرق في نوم عميق.

كان جالساً في الكرسي الخلفي للسيارة مع صديقه "أونر"، أما في الكرسي الأمامي، فكان "تورستين يايكر Torstein Yaeger" وزوجته "بريت اويكار Berit Oygart" جالسين. كانت السيارة تسير بهم على طريق اسفلتي بمحاذاة بحيرة. بعد برهة، انتهى لطريق الاسفلتي وسارت السيارة في طريق محاط باشجار الصنوبر من جانبيه. صعدت السيارة في طريق جبلي. كانت الخضرة تكتسي كل مكان. الجميع كانوا يتحدثون فيما بينهم، بينما الدكتور ينظر من النافذة إلى تلك الطبيعة الخلابة من حوله.

انتهى الطريق الاسفلتي، وسارت السيارة بين الرمال لعدة أمتار، ثم توقفت. قال "أونر": "سنكمل مسيرنا مشياً، لأن السيارة لا تستطيع السير في هذا الطريق" حملوا حقائبهم التي تحتوي على طعامهم وشرابهم وساروا خلف بعضهم البعض. لم يكن الدكتور سليمان يعلم إلى أين يتوجهون! كان يسير معهم وهو ينظر حوله. يستنشق الهواء النقي من حوله وينظر إلى الأعشاب الفريدة التي يراها لأول مرة في حياته.

تسلقوا هضبة أمامهم، كانت المناظر الخلابة تحيط بهم من كل الأرجاء، البحيرة. كانت تغطي كامل مساحة الوادي في الأسفل، والغابات تحيط بها. بعد مسير خطوات، رأى فوق الهضبة بيتاً بجدران الخشبية مصبوغة باللون الأسود ونوافذه مطلية باللون الأبيض. كان البيت مكوناً من قسمين. وكل قسم فيه بناء مستقل. دخلوا من باب أحمر إلى البناء الواقع في جهة اليسار. ساروا في ممر خشبي حتى وصلوا إلى صالون البيت. وضعوا حقائبهم هناك. كانت الكراسي تحيط بجدران الصالون، عدا الجدار الذي يحتوي على الموقد.

كان سائق السيارة التي أقلتهم هو صاحب هذا البيت. أخذهم إلى غرف البيت واحدة واحدة، إضافة إلى المطبخ والحمامات وموقد الحطب. سلمه مفتاح البيت وخرج مع "أونر" وزوجته. بقي لوحده بين تلك الطبيعة التي وكإنها قطعة من الجنة. كان للصالون خمسة نوافذ، ثلاثة منها تطل على البحيرة، والنافذتين الأخرتين تطلان على الجبال.

أدرك بعد أيام من مكوثه هناك أن الحياة هنا مختلفة. في بلاده، كانت الفصول تتعاقب كل ثلاثة أشهر، لكنها مختلفة هنا. كان الثلج يهطل ليلاً، وتشرق الشمس في الساعة الرابعة، وبعد ساعتين، كان البياض يكتسي بحلته على الأرض وتظهر الأعشاب الغضة الخضراء، وتبدأ الجداول بعرض سيمفونيتها.. العصافير تزقزق على الأشجار والأيائل ترعى في تلك المروج. في فترة الظهيرة، يتحول الفصل إلى فصل صيف حار. وأثناء المغيب، يحس المرء بحزن يغلف الأرجاء، وتصفرّ الأعشاب، وتتوقف الجداول عن الخرير، حيث يحل فصل الخريف.

كان اليوم الواحد هنا حاملاً لأربعة فصول، ولا تمر الأشهر بالفصول، بل الساعات كانت هي التي

تفصل بين فصل وآخر.

في إحدى الأيام خرج يتصفح المنطقة من حوله، وأراد أن يعرف سر تلك الأشجار المتناسقة والتي كلها بطول واحد. في طريقه لاحظ العشب تحت رجليه، كان مكوناً من ثلاثة طبقات، طبقة عشبية صفراء وأخرى يابسة وأخرى خضراء. كان العشب طرياً وكأنه يسير على القطن لا على العشب. أدرك أن الأرض رخوة جداً من تحته وأن تلك الأشجار لا تستطيع مقاومة الرياح العاتية التي تهب عليها، فتقلعها من جذورها الرخوة، وتجعلها سماداً للنباتات التي تنبت هناك. كان يحب الجبال، تلك الجبال التي كانت تحميه كأمه. فهو إبن الجبال.

لم يلاحظ أي أثر للبشر من حوله أبداً. كانت نسمة هواء باردة تضرب وجنتيه. حمل بعض الحطب من هناك، وعاد إلى ذلك البيت، وضع الحطب في الموقد وسكب عليه بعض النفط ثم أشعله. لم يكن ينبعث من ذلك الحطب تلك الحرارة التي كانت تنبعث من موقد بيته في القرية. اقترب من الموقد أكثر يريد أن يشعر بحرارة النار، لكن هيهات. فكّر في الأمر وسبب اختلاف الحطب بين هنا وبين الحطب في قريته، فقال بينه وبين نفسه: "الحطب هنا لا يشبع بأشعة الشمس، فالنهار قصير هنا".

لم ينل الحرارة الكافية من ذلك الموقد، وفي غمرة الجو البارد ذاك، فتح عينيه. كان في غرفته في "أربيل" والجو حار وخانق،يتصبب العرق من جسمه. رن هاتفه. كانت "روجين" هي المتصلة. فتح الخط وقال:

- تفضلي.

- كيف حالك؟ كن حذراً يا دكتور، الجرائد التركية تكتب عنك، والفضائيات في كردستان تبث الأخبار عنك. هناك البعض لا يستسيغون بقاؤك هنا أيضاً.

- أعلم بذلك. لقد أتيت إلى هنا لكي أشارك في معركة تحرير بلادي، ولا يهمني أي شيء آخر، وان مت، فإني سأطلب منك طلباً وحيداً وهو أن تغني عني كما غنت "ناتاليا غوردون" عن "أرنستو تشي غيفارا".

- لا تقُل ذلك يا دكتور! أنت جنرال هذا الشعب ولن يحدث شيء لك.

- كل شيء وارد يا روجين.

انتهى الحديث بينهم بذلك الشكل. كان "الدكتور سليمان" قد سمع من بعض الجهات في هولير وتركيا وأوربا أن أنصار "PKK" يقومون بالدعاية بين الناس بأن مسعود بارزاني رئيس إقليم كردستان قد منح فيلا وراتب شهري وقدره أربعة آلاف دولار للدكتور سليمان، وأن الدكتور يحارب مقابل المال. وبحسب بعض المتسلقين الذي انشقوا عن "PKK" فإن ألمانيا قد أرسلت الدكتور سليمان إلى المنطقة مقابل مبلغ مادي.

كان الدكتور يزيح الأقنعة عن هؤلاء بأفعاله، ويقول: "الوطنية هي أن لا تقف مكتوف الأيدي حين يحتل وطنك، ويتم بيع نساء وطنك كالعبيد في الأسواق، وتُقطع أيادي أبناء وطنك بالسواطير. الوطنية هي أن تزيل الألغام حين يجعل العدو من وطنك حقلاً للألغام." حين كان مسعود بارزاني رئيس إقليم كردستان ينام في الخنادق بين البيشمرگه وهو في السبعين من عمره، وابنه مسرور بارزاني يحمل بندقيته ويحارب وهو رئيس استخبارات الإقليم، حينذاك كان بعض المتسلقين في فنادق أربيل والسليمانية يلقون الكلام على عواهنه عن الدكتور سليمان.

أراد الدكتور الخروج من البيت، لكن رن هاتفه وكان "لاجڤان" هو المتصل، حيث قال له: "هناك مقابلة معك قد نشرت على موقع (روداو). هل رأيتها؟" أغلق الدكتور خط وتصفح الموقع من هاتفه، ولفت

انتباهه الجمل التالية:
" هولير- روداو- قال سعيد چوروككايا المعروف باسم الدكتور سليمان، معروف عنه أنه كان من قيادات حزب العمال الكردستاني القدماء، أن حدود كردستان يجب أن تحمى بألغام الـــ"TNT". وأردف چوروككايا الخبير في نزع الألغام، أن عملية نزع الألغام أصبحت متطورة جداً وقال "يمكنني صنع قنبلة تنفجر تحت تأثير صوت شخص واحد فقط ، أو عندما يشرب الماء. حتى عندما يمارس الجنس." الحرب مع داعش ليست الأخيرة، فهناك أعداء كثيرون للكُرد ، ومنهم الحشد الشعبي الذي يعد أكثر خطورة من داعش. كما قال: " إن التحالف الدولي لن يساند الكُرد في حربهم مع الحشد الشعبي. لذلك على إقليم كردستان أن يكون مستعداً لذلك. على الكُرد التفكير بجدية في كيفية تمكنهم من الدفاع عن حدودهم ضد الحشد الشعبي، وأن يكون لديهم خطة لأجل ذلك. قد تمهلهم الحكومة العراقية اسبوعاً لإخلاء مدينة كركوك، أو ستقوم بالقتال ضدهم. على الكُرد أن يدركوا ذلك قبل فوات الأوان. إذا أمكن ، يجب تأمين حدود جنوب كردستان بطريقة مخططة بأنواع متطورة من مادة الـ TNT. حينذاك لا يمكن للحشد الشعبي ولا داعش عبور هذه الحدود."[45]

في الليلة السابقة، كان الدكتور قد تناقش مع أصدقاءه عن وجوب تأسيس جيش قومي للكُرد. كان يقول: "أن عدد الجنرالات بين الپيشمرگه قد يفوق عدد الجنرالات في الجيش الصيني، لكن هناك الكثير من هذه الجنرالات يفتقدون للخبرة العملية." وكان يشرح لهم الأسباب التي تحتم بناء هذا الجيش القومي في النقاط التالية:

"1- يجب بناء جيش مشبع بالروح القومية.
2- على هذا الجيش أن يُدرّب بتدريب عصري ونظام حديدي.
3- على هذا الجيش تلقي التكتيكات والتدرب على استخدام الأسلحة الحديثة.
4- على هذا الجيش أن يبقى على اسمه السابق، وهو جيش الپيشمرگه."

كانت هذه الأفكار في ذهنه حين اتصل به مساعده "محمد" قائلاً له:
- هناك عملية في قرية قريبة من مخمور.
- وما المشكلة في ذلك؟
- تحاول الپيشمرگه السيطرة على القرية المحتلة من قبل داعش، لكنهم يواجهون صعوبة في ذلك.

في قرية الدكتور سليمان القديمة في شمالي كردستان، كان هناك شخص واسمه "سعيد عارف" كان هذا الشخص فور سماعه لصوت الطبل والمزمار يتجه إلى ذلك العرس، ولا يتخلّف عن عرس يقام في القرية وفي القرى المجاورة أيضاً. كان الدكتور أيضاً كذلك، حين يسمع أن هناك اشتباك أو معارك في مكان ما، لم يكن يستكين أو يهدأ.

قال الدكتور لـ"محمد":
- هل توجد سيارة تقلنا إلى هناك؟
- سوف أؤمن سيارة.

التقيا في مكان اتفقا عليه. كان "محمد" قد جلب للدكتور بندقية أيضاً، كما أن جهاز الكشف عن الألغام كان موجوداً في السيارة. توجهت السيارة بهم إلى القرية التي تحصل فيها الاشتباكات. حين وصل الدكتور إلى هانك، رأى "هيفيدار" مراسلة قناة (روداو) التي كان يعرفها مسبقاً. كانت "هيفيدار" تجيد اللغة

[4545] https://www.rudaw.net/turkish/kurdistan/2611201511.

الألمانية وتذهب مع الدكتور إلى كل العمليات التي يقوم لها. كان الدكتور متحمساً حين رآها، لذلك قال لها بصوت مبحوح:

- أنتِ هنا يا هيفيدار؟ لا تقتربي أكثر من منطقة الاشـــتباك. تعالي معي. هل ترين ذلك البيت على تلك الهضبة، هناك مسلحون يطلقون النيران من ذلك البيت على الپيشمرگه. سوف أفجر هذا البيت الآن.

- حمدلله على سلامتك يا دكتور. منذ ساعات وهم يطلقون النار من ذلك البيت. هناك قناص متواجد فيه، وقد حاول الپيشمرگه كثيراً أن تصيبيه، لكنه لم يتوقف عن الإطلاق.

سألها الدكتور عن اسم قائد الپيشمرگه، ثم التقى به بعد برهة واستفسر منه عن الوضع وأدرك من خلاله إنهم قاموا بتمشــيط كل بيوت القرية وبقي ذلك البيت فقط هناك. طلب منه الدكتور قاذفة ورمانتين يدويتين وقال له: "أنا سأحل الموضوع."

جلبوا له ما يريد من أســلحة. كان ينظر من بعيد إلى البيت. تفحص النوافذ والأبواب فيه. كان المنزل مكون من طابقين. الطابق السفلي فيه نافذتين كبيرتين مكسرتين وباب بينهما. أما في الطابق الثاني، فكانت توجد غرفة تظهر نافذتين مكسورتين أيضاً عليها، أما الفسحة خلف المنزل، فلم يكن فيها أية شبابيك، كما أن هناك حديقة واسعة أمام المنزل.

نادى الدكتور على "محمد" وقال له:

- لقد وجدت طريقة للاستيلاء على المنزل. على طرفي البيت هناك ثمانية شـبابك. أود ثمانية عناصـر من الپيشـمرگه مسلحين، وكل واحد منهم سوف يطلق النار على النافذة التي سنحددها لها. كما أوج أربعة آخرين يتســللون زحفاً إلى مقربة من البيت حين أطلاق النار ويرمون القنابل اليديوية على الداخل بإشــارة مني.

- وماذا سنفعل بشأن الطابق الثاني؟

- سوف أتسلل حتى الجدار المحيط بالباحة وستكونون معي. سوف أرمي بقذيفة إلى الباب ونتسلل إلى الطابق الأرضي ومن هناك سوف نهاجم الطابق الثاني.

بدأ على الفور بتنفيذ مخططه، حيث سـار ثمانية عناصـر من الپيشـمرگه بخفية وسـددوا فوهات بنادقهم على الشـــبابيك، وأربعة آخرين هيأوا قنابلهم، وفور إعلان البدء، بدأوا بإطلاق النيران على النوافذ، في حين تسلل الأربعة الآخرين ورموا بالقنابل إلى داخل البيت، وسرعان ما رمى الدكتور القاذف على الباب، وما هي إلا لحظات حتى وكان الدكتور و "محمد" في الطابق الأرضـي. تسـللوا إلى الطابق الثاني أيضـاَ، لكنهم لم يجدوا أحداً هناك. ضـرب الدكتور باب غرفة النوم بقوة برجله وانفتح الباب، لم يكن أحداً موجوداً فيه أيضـــاً، لكنه لمح صـــورة للفنانة الكردية "روجين" عارية الكتفين معلقة على الجدار. نادى على "هيفيدار" مراسلة قناة "روداو" وقال لها:

- تعالي وانظري إلى هذا الخبر المناسب للنشر في الجبهات العسكرية. لقد رأينا صورة الفنانة روجين في غرفة نوم أمير داعش.

قهقهت "هيفيدار" وجهزت الكاميرا للتصوير. حمل الدكتور هاتفه واتصل بالفنانة "روجين" حين فتحت الخط، بدأت "هيفيدار" بالتغطية المباشرة.

- أنتي الآن في بث مباشر على قناة روداو يا روجين.

- لماذا، ما الأمر؟

- لقد علق الدواعش صورتك على جدارهم.

- أنت تمزح!

- لا أمزح. لقد سيطرنا على منزل في إحدى القرى الآن، وأظن أن هذا المنزل عائد لأمير داعشي. لقد كانت صورتك معلقة على جدار غرفته.

- قد يكون المنزل لأحد الكُرد الذين يحبون أغانيّ يا دكتور.

- سأعطي الهاتف لهيفيدار مراسلة القناة وتحدثي معها.

حين تحدثت "هيفيدار" مع "روجين" نزع الدكتور صورتها عن الحائط ووضعها في جيبه. حين انتهى البث المباشر للقناة. أرادوا أن يعرفوا ان كان هناك في البيت نفق أرضي، لذلك توجهوا إلى الطابق الأرض وقبو البيت وبدأوا يبحثون هنا وهناك، لكنهم لم يعثروا على أي شيء. سألهم الدكتور إن كانوا متأكدين ان الطلقات كانت تنبعث من هذا البيت؟ فأكدوا له ذلك.

توجه الدكتور مع "محمد" إلى أربيل ونزل الدكتور قرب القلعة من السيارة. كان قد انتابه الجوع، لذلك أراد التوجه إلى إحدى المطاعم. رن هاتفه، وكان المتصل هو الجنرال في القوات الخاصة "عزيز ويسي":

- مرحباً يا دكتور.

- أهلا.

- أين أنت الآن؟

- أنا في أربيل.

- لدينا معضلة، ولم نستطع حلها إلى الآن. هل تستطيع أن تأتي الآن.

- ما هي المشكلة؟

- لقد سيطرت البيشمرگه على قرية هنا، لكن منذ يومين فقد خمسة من عناصرنا حياتهم بإطلاق النيران عليهم. هناك شيء ما في هذه القرية لا نعلم ما هو.

- أين؟ ما هو اسم القرية.

- قرية تاخى.

- كيف سآتي؟ لا أعرف الطريق إلى هناك.

- إبق أنت في مكانك، سأرسل من يأتي إليك ويوصلك إلى هنا.

- بندقيتي معي، وأنا جائع. إذاً، سوف أتناول طعامي في فندق (دارين بلازا)، سأكون هناك.

اتصل الدكتور بصديقه "زيا"حين عرف موقع القرية من الجنرال "عزيز ويسي"، وطلب أن يأتي بسيارته ويأخذه إلى هناك. فور وصوله إلى القرية، تحدث مع الجنرال وفهم منه ما يجري هناك. قال له الدكتور:

- إن كان الأمر كذلك، فلا بد من وجود نفق تحت الأرض في هذه القرية، يخرجون من الأنفاق ويقتلون عناصرنا ويعودون ليختبئوا فيها.

- وأنا أيضاً أشك في ذلك، لكننا حاولنا كثيراً العثور على أنفاق ولم نجدها.

- هل بحثتم في الطوابق الأرضية لكل البيوت.

- نعم.

- إذاً، عليّ أن أعرف من أين تم استهداف البيشمرگه الخمسة، ومن رآهم حين انصابوا وألتقي بهم. قبل أن ألتقي بهم عليك أن تأمر الجميع أن يقوموا بنوبات الحراسة وهم منبطحين.

التقى الدكتور بالكثيرين ممن رأوا اسشتهاد خمسة عناصر من البيشمرگه. كان يود بذلك أن يعرف من أين تأتي الطلقات النارية صوبهم، وأدرك من خلال إفاداتهم أن الطلقات كانت تأتي من جهة الجنوب. حين تأكد من ذلك، ذهب إلى جنوب القرية وانبطح بين الأعشاب هناك، كما أمر خمسة عناصر آخرين كي

ينبطحوا في أماكن متفرقة بالقرب منه. بعد ساعتين من مكوثه هناك، كان يحمل منظاره ويستطلع تلك الشاهدة، شاهد رأساً يتحرك بين الأعشاب على مسافة مائتي متر منه. نادى على العناصر الخمسة الآخرين الذين معه وقال لهم: "أن رأس النفق هناك. إذهبوا إلى هناك ومن يخرج من ذلك النفق اقتلوه." ثم نادى على قائد البيشمرگه قال له: "لقد اكتشفت مقدمة النفق، بقي لي أن أكتشف نهايته، وعلي أن أذهب وأبحث في بيوت القرية."ذهب إلى البيوت وبدأ يبحث فيها، لكنه لم يكتشف شيئاً فيها.

لمح في أسفل القرية قطعة أرض قد نبتت عليها أشواك برية، توجه إلى هناك وبدأ يزيح تلك الأشواك من هناك، فلمح لغماً على الأرض تحت الأشواك. حمل عدة تفكيك الألغام وبدأ يفك اللغم حتى وصل إلى الصاعق، ثم نادى على أربعة عناصر من البيشمرگه. حفر التربة قليلاً هناك، فظهرت فوهة بئر أمامه. أزاح التراب بهدوء من حول الفوهة، فلمح في عمق البئر لغماً آخر. طلب من العناصر من حوله كي يجلبوا له عصا غليظة وحبلين من القرية. توجهوا على الفور إلى القرية وجلبوا له ما يريد. ربط مقدمة الحبلين بتلك العصا وعقد عقدتين في نهاية كل حبل وربطهما برجليه، وأمر العناصر الأربعة أن ينزلوه إلى البئر، وهو يحمل معه عدة تفكيك الألغام وبندقيته. أنزلوه بالحبال إلى القعر الذي كان عمقه حوالي المترين. بدأ الدكتور على وجه السرعة بفك ذلك اللغم أيضاً وسحب الحبل كي يرفعوه إلى السطح. حين أخرجوه، امرهم هذه المرة أن ينزلوه ببندقيته فقط، وأن ينتبهوا على الفوهة الأخرى ويكونوا جاهزين لإطلاق النار. نزل إلى النفق على مهل وبدأ يسير خطوة خطوة مع الجدار، لم يسمع أي صوت من النفق، لكنه بعد عدة خطوات أخرى، سمع صوتاً وكإنه صوت تلقيم السلاح، وبعدها سمع صوت طلق ناري قريب منه وبدأ التراب ينهمر من سقف النفق على رأسه. سدد الدكتور بندقيته إلى وسط النفق وبدأ يطلق النار رشاً أمامه وهو يركض إلى الأمام، تلعثم بشيء أمامه، توقف في مكانه ونظر إلى ذلك الشيء. كانت بندقية قناص. حملها وأكمل إطلاق النار حتى وصل إلى الفوهة الأخرى من النفق، وخرج منها. كان عناصر البيشمرگه قد أردوه جريحاً ومصاباً بطلقة في بطنه. كان الداعشي رجل في متوسط العمر، حليق الشعر وطويل اللحية. أمر الدكتور عناصر البيشمرگه كي يسلموه إلى جهاز الاستخبارات "الپاراستن" وتفتيش النفق وإخراج كل الموجودات بداخله.

حمل الدكتور سلاحه واتجه صوب أربيل. اتصل بالجنرال"عزيز ويسي" وأخبره بما حصل. قال له الجنرال: "لا تدلي بأية أخبار عن هذه العملية لوسائل الإعلام يا دكتور."

-52-

استيقظ باكراً كعادته في ذلك الصباح. تذكر اخاه "سليم" حين قال له: "إن الدعاية في جنوب كردستان وبين الأحزاب الكردية هناك ضعيفة. الدعاية سلاح قوي جداً في الحروب. حين ثار سبارتاكوس ضد حكم روما، نادى على صديق له وقال له، دوّن كل ما نقوم به وما نفعله؟ ما يجري في كردستان الآن، لا يصل إلى العالم إلا من خلال القنوات الأخرى." لذلك، حين سافر الدكتور إلى ألمانيا، جلب معه كاميرا، وكان كلما يتوجه إلى الجبهات أو حين يقوم بتفكيك الألغام، يسند مهمة التصوير إلى أحد عناصر البيشمرگه الذين معه، وكان يأتي إلى البيت ويفرغ محتوى الكاميرا على هارد ديسك. في ذلك اليوم، كان يود ان يشاهد ما صوره سابقاً على الهارد. سمع طرق على الباب، وحين فتحه، كان مساعده "محمد" أمام الباب. دخلا إلى غرفته وفور جلوسهم سأله الدكتور:

- هل تعلم يا محمد بأننا اقتربنا من نهاية حربنا مع داعش، بقيت الموصل فقط، وقد استطعنا تحرير نصف المدينة حتى الآن. لكن، متى تنتهي هذه الحرب، سيأتي الدور على الحشد الشعبي. سيهاجمنا كل من هب ودب طالما بقينا نحن الكُرد بدون دولة مستقلة. منذ أشهر ونحن نقوم بتفكيك الألغام، كم لغماً قمنا بتفكيكه حتى الآن حسب تقديرك يا محمد؟

- الكثير جداً. لكنني لا أعرف العدد.

- حسناً، كم طناً من متفجرات الـ"TNT " استولينا عليها؟

- كذلك لا أعرف.

- والألغام التي زرعها داعش؟

- لماذا تسأل هذه الأسئلة يا دكتور

- لقد قام فريقنا بالكثير من العمل، لكن لم يستوعب أحد مدى أهمية عملنا هذا. سوف آت معك إلى شرق كردستان حين ننتهي من عملنا في هذه المنطقة. ذلك الجزء من كردستان جميل جداً وقد بقيت كثيراً هناك في السابق وأعرف تلك المناطق شبراً شبراً.

- إن استولينا على الكثير من المتفجرات هنا، سوف نفتح معملاً للتفجيرات هناك.

- سنقوم بالكثير من الأشياء حين نذهب إلى هناك. صحيح إنهم قد جزأوا كردستان إلى أربعة أجزاء، لكنني لا أعترف بتجزأتهم ولا أعترف بالحدود التي وضعوها. لقد حاربت في أجزاء كردستان الأربعة وما زلت كذلك. في أي جزء ينتفض أبناء شعبي سأكون معهم. هل تعلم أن ايران هي أكثر دولة مستفيدة من حروب داعش؟ فالحرب لم تقترب من أراضيها. قواتها تحارب في العراق، وفي سوريا وصلت إلى مستوى أعلى. النظامين العراقي والسوري باتوا تحت سلطتها هي. كما انها هي من تدير حزب الله و"PKK" و"PYD". كما إنها باتت مستولية على جغرافية تمتد من باكستان حتى بيروت وفلسطين. حتى إنها بدأت تتدخل في اليمن أيضاً. أظن أن القوى الكبرى لن يتركوا لها الحبل على مغاربه، ومتى ما تنتهي الحرب مع داعش، سوف تتج أنظارهم صوب أيران.

- ليت يحدث ذلك. كان شعبنا هناك سيقوم بالانتفاضة. حزبنا هناك جاهز لأي تغيير طارئ.

- المهم هي الانتفاضة يا محمد. هل تعلم أننا نحن الكرد قد قمنا بمئات الانتفاضات، وقد حاربنا كثيراً أيضاً. لكننا لم نحصل حتى الآن على أية نتائج من تلك الانتفاضات والحروب.

- لماذا؟

- إننا كشعب، نفتقر إلى الحس القومي. نحن نحارب بطريقة أحسن من أجل الغير، لا من أجل شعبنا.

- كيف ذلك؟
- نحن كقومية مُستعمَرين. احتُلت بلادنا وتم تقسيمها بين أربعة دول، وهذه الدول اغتصبت كل حقوقنا. لو ننظر إلى المستعمرات الأخرى في العالم- والحقيقة أن المستعمرات قليلة جداً عدانا نحن- حين يدخل مستعمرهم في حرب ما، فإنهم ينتهزون الفرصة كي نالوا حقوقهم. في كردستان الشمالية، حين انتهت الامبراطورية العثمانية إلى الزوال سنة 1918، وتم التوقيع على معاهدة "سيفر" والتي يمنح بموجبها الحكم الذاتي للكُرد. عوضاً أن يستغل الكُرد هذه الفرصة ويحاربوا العثمانيين ويبنوا دولتهم، ذهبوا في مرعش و رها و ديلوك إلى محاربة الفرنسيين وتعاونوا مع الأتراك كي يبنوا الدولة التركية. إنهم لم يقاتلوا من أجل أنفسهم، بل من أجل الغير. سنحت لهم الفرصة، لكنهم لم يستغلوها. حسناً، ماذا استفادوا من حربهم تلك؟ هم لم يصبحوا شيئاً، لكن الأتراك أصبحوا أفنديتهم. كما نرى الأمر نفسه في جنوب وغرب كردستان التي يديرها سلطة "PYD". لقد انهزمت كلا الدولتين السورية والعراقية أمام داعش. كان علينا أن نركل نظام تلك الدولتين ونعلن عن دولتنا. لكننا لم نقم بذلك، بل لم نطالب بضمانات من دول العالم أن لا ينكر هؤلاء لحقوقنا مرة أخرى. أخاف حين تنتهي هذه الحرب، أن تقوم هذه الدول مرة أخرى بسلبنا حقوقنا وعدم منحنا أية منها.
- ماذا سنفعل نحن الكرد في شرقي كردستان إن أدارت أمريكا الأزمة في ايران؟
- بداية، يجب أن يكون لكم برنامج. أي، ما هي مطاليبكم من الدولة الايرانية؟ الفيدرالية؟ عليكم أن تضعوا برنامجكم لأجل ذلك، وتطلبوا هذا الحق في البداية من الدولة الايرانية، ثم تعلنونها على الرأي العام. عليكم أن تقولوا بإننا لسنا أعداء ولا أصدقاء لأية دولة. نحن نطالب فقط بحقنا في الفيدرالية في الدولة التي نحن من ضمنها الآن.
- ايران لا تعترف بنا كقومية أبداً.
- إن كان كذلك، إن لم تمنحكم أمريكا والدول الأخرى الفيدرالية بشكل رسمي، بدوركم لا تساعدوهم في حربهم ضد ايران.
- لماذا؟
- حربكم ستكون عبثية لأن أمريكا وايران سوف تتفقان ولن تحصدوا بدوركم سوى الهزيمة. أو قد يتغير النظام الحالي في ايران ويأتي نظام آخر ولن تكونوا في برنامجها حتى.
- إذاً، ماذا سنفعل إن بدأت الحرب هناك؟
- على المرء أن يوقع على اتفاقات جادة ومضمونة مع شركاءه، وبعدها ينخرط في الحرب.

حين كانوا في غمرة نقاشهم هذا، سمعوا صوت سيارة للبيشمرگة توقفت في الخارج. قام "محمد" ليستطلع الأمر من النافذة وقال للدكتور كي يخرجوا لملاقاة القادمين. كانوا أربعة عناصر من البيشمرگه ومعهم رجل أجنبي. كان بادياً عليه إنه صحفي، حيث كان يحمل كاميرا تصوير معه. تقدم من الدكتور ورحب به، فقال الصحفي له: " إسمي نيكلاس ميلتيو Niklas Meltio، اعمل كمراسل لتلفزيون دولة فنلندا، وقد سمعت أن هناك بيشمركة متطوعين يعملون في حقل تفكيك الألغام، لذلك أتيت كي أكتب وأصور تقريراً عن ذلك." أخذه معه الدكتور إلى الوحدة، حيث كانوا سيقومون بنزع وتفكيك الألغام في ذلك اليوم. في تلك الأثناء، رن هاتف الدكتور وكان المتصل جنرال عسكري واسمه "نورالدين هركي" الذي قال له:
- مرحباً يا دكتور.
- أهلا وسهلاً.

- أين أنتم الآن؟
- أنا في مقر قوات آكري.
- أنا في قرية (تيزخراب) الواقعة بين موصل وبعشيقة. لقد حررنا هذه القرية الآن من يد داعش. لقد فتشنا كل البيوت هنا، لكن هناك بيت مكون من طابقين خارج القرية ووجدنا فيه نفق، في بداية النفق محفور بئر وفيه أدراج تؤدي إلى الأسفل. البيت محاصر الآن، لكنني لا أعلم كيف أتصرف.
- لكنني الآن في طريقي لنزع الألغام.
- قد يكون هذا النفق خطيراً جداً يا دكتور. إن أنقذتني من هذه المصيبة سأكون ممتناً لك.

كان الدكتور قد شارك "نورالدين" الكثير من المعارك، إلا إنه لم يكن يدرك شيئاً عن الألغام. غيّر الدكتور رأيه وأراد التوجه إلى هناك وجهّز خمسة من عنصار البيشمرگه معه، ثم قال للصحفي الفنلندي: "تستطيع أن تأتي معنا إلى هناك."

لم تكن تلك القرية بعيدة عن المقر ووصلوا على الفور إلى هناك حيث استقبلهم الجنرال "نورالدين". أشار إليه على المنزل الذي يحتوي النفق. حمل الدكتور بندقيته على كتفه وبدأ يسير إلى ذلك البيت وخلفه العناصر الخمسة والصحفي الفنلندي.

حين وصلوا إلى مقربة من البيت، رأوا كل شيء مدمر ومهشم من كثرة القذائف والصواريخ التي أطلقتها الطائرات. الطابق الثاني كان مدمراً بالكامل وما تبقى مهشم، الأبواب والنوافذ والجدار مدمرة بالكامل.

سار الدكتور ومساعده "محمد سليمان" في الممر المؤدي إلى النفق. وقف الدكتور بجانب فوهة البئر ثم قال: "ليحرس أحدكم فوهة البئر هنا ريثما أعود." ثم خرج من البيت وصعد إلى الطابق الثاني المدمر. نظر حوله ورأى فسحة مليئة بأشجار الزيتون. قد تكون فتحة النفق الأخرى هناك.

نظر إلى الطرف الآخر، فرأى حافلة بيضاء واقفة هناك. نادى على البيشمرگه كي يرافقوه إلى هناك. بعد أن بحثوا حولها، لفت نظر الدكتور أسلاك كهربائية في موضوعة على لوحة قيادة الحافلة. صاح على رفاقه: "انتبهوا، هذه الحافلة مفخخة."

طلب من "شيار" أن يجلب له حقيبته، وفور جلبه لها، أخرج عدته منها وبدأ بقطع الأسلاك الخارجة من لوحة الحافلة، ثم توجه إلى خلفيتها، فرأى البراميل البلاستيكية المليئة بالمتفجرات. قطع أسلاكها على عجل وجلس كي يرتاح قليلاً بعد إزالته لهذا الخطر الذي إن انفجر، لكان سيدمر حوالي كيلومتر مربع من حوله. تتبع الأسلاك الخارجة من مؤخرة الحافلة، فرأى أربعة ألغام بين كل واحدة وأخرى حوالي مترين، ورآى إنها كانت موصولة مع المتفجرات في داخل الحافلة.

أرسل ثلاثة عناصر من البيشمرگه إلى تلك الفسحة المغطاة بأشجار الزيتون وقال لهم: "انبطحوا أرضاً وكونوا يقظين، لأننا حين نخرج المتفجرات من النفق قد يخرجون منه ويبدأون بإطلاق النيران من حولهم." كما أرسل "محمد" و"شيار" إلى البيت المدمر ذاك. أما هو و"محمد رسول" فقد بدأوا عملهم في إبطال العبوات المتفجرة هناك.

لم يكن "محمد رسول" يعلم أن عناصر داعش قد خبأوا متفجرات "TNT" تحت تلك الألغام. وضع قدمه تحت الأرض التي كانت تحتوي تلك المتفجرات. لم يسمع صوت الانفجار، حيث تناثرت الصخور وارتطمت إحداها برأسه، أردته ميتاً على الأرض.

كان الصحفي الفنلندي يصور المكان حين حدوث ذلك الانفجار. كان الدكتور ممدداً على ظهره وينادي: "النجدة، النجدة" لقد كان دأبه في الحياة أن يركض هنا وهناك لنجدة ملايين الناس، والآن، باتت" النجدة"

كلمته الأخيرة.

بعد ان فقد الدكتور حياته، كتب الكثيرون عنه. لكن صديقته "آسلي يوكسل بايداغ Aslı Yüksel Baydağ" التي كانت تحبه كثيراً، اختصرت الكثير عنه بمقولتها " كنا قليلون حوله، لكن كل واحد منا فقد جزءاً برحيله"

ونحن فقدنا الكثير برحيلك يا دكتور. كل أحلامنا، وأمانينا، وأفكارنا. طفولتنا، شقاوتنا، براءتنا، تلك الأحاسيس الرقيقة التي كنت تخبأها في قلبك الرقيق ذاك. فقدنا كل هذه الأشياء بفقدانك. جرأتك التي كنت تحسد عليها، والتي كنت تأبى أن تتكبر أمام الغير لقيادتك للآلاف. أليست كل هذه الصفات من صفات الأبطال؟

برحيلك، تركت شيئاً منك فينا، حتى الذين أذنبوا بحقك، كان يحسدونك
لقد رحلت يا دكتور
هل رأيت؟ لقد رحلت
لم تعد للحياة متسع بعد
وبقي القليل لنا.

كما أصبحت الأسطر التالية التي كتبها "الدكتور عكيد" كنبذة قصيرة عن حياته:

"حين ألقي القبض على (تشي غيفارا) ثم قتلوه، تدوال الناس بعض الأساطير عن تلك الكتب التي كانت في حقيبته. كان أكثر كتاب موجود في الحقيبة ويختصر حياة (غيفارا) هو كتاب (دونكيشوت) للكاتب الاسباني (سرفانتس) والكتاب الآخر كان كتاب الثورة الدائمة لـ(تروتسكي).

حسناً، أي شيء سيعبر عن حياة (الدكتور سليمان)؟ اليوم، تفحصت الأشياء التي تركها في خُرجين ممزقين، وكان يقول عنها أشيائي المبعثرة، كانت أشياء متواضعة. كان فيه كتاباً لـ(ميكيافيلي) عن الإدارة، وكتاب آخر وعنوانه (الاستراتيجية)، وبعض الكتابات على دفتره عبارة عن معان كلمات لتعليم اللهجة الكردية السورانية، وبدلتين عسكريتين، ولعبة أطفال كانت عبارة عن سيارة عسكرية، وأظنه كان يفكر أن يستعملها في عمله بالألغام، خوذة وقميص أبيض، ذلك القميص الذي سلمته لتلك المرأة التي كان يحبها ذارفة الدموع عليه.

إنسانٌ لا نستطيع أن نقارنه بأحد. مرّ في بحياتنا، ورأينا الحيوات نفسها في مرآته. كان حراً طليقاً لا يلجمه شيء. لم تلتفت روحه الطفولية إلى أية مصلحة دنيئة. لذلك، كان يحبه الكثيرون، وينفر منه من لا يحبون الأحرار.

لا المدح ولا الذم يوفيه حقه، ولا الوطن كان يتسعه، ولا أي حزب أو أية قوالب أيديولوجية. لا المقامات تتسعه ولا غيرها، لذلك ، لم يكل في حياته.

كان خارج السرب، كان طفلاً، وبطلاً بحسب الكثيرين، وخائناً لدى البعض الآخر. لكن لم يكن يعرفه أي منهم، لأنه كان بعيداً تماماً عن النزوات والعقد، وبعيداً عن الكراهية والغطرسة.

الآن، لقد ترك لنا فراغاً، تبحث أرواحنا عن شيء ينقيها. ستبقى ضحكته معلقة في أروحنا كراية ترفرف إلى الأبد.

على الغلاف الأخير

- لن أحارب من أجل تركيا ديمقراطية، لكنني مستعد أن أفدي كردستان حرة وديمقراطية بروحي. (د. سعيد چوروككايا)

- الدكتور سعيد هو جنرال استقلالنا وحريتنا. لقد شارك في حماية كردستان بقلب صاف. أحيي روح الدكتور سعيد النقية والطاهرة وأرواح كل شهداء كردستان. (مسعود بارزاني رئيس إقليم كردستان)

- أتى الدكتور سعيد إلى هذه الحياة كي ينقذها من هذه الحرب، لكنه فداها بحياته. علينا أن نكتب إسمه بأحرف من ذهب في الصفحات الكبرى العائدة لجيش حكومة كردستان، كي تظل ذكراه ماثلة دائماً. (الفيلسوف برنارد هنري ليفي Bernard-Henri Levy)

- كان الدكتور سعيد هو رمز لليقظة القومية الكردية، رمز للراية واللغة الكردية، رمز ليقظة الوطن وحرية الكُرد. (المفكر اسماعيل بيشكجي)

- كان سعيد كالريح، لا يكل ولا يمل، ليست هناك كلمات توفيه حقه. (الكاتبة آليزا ماركوس Alîza Marcûs)

www.arsivakurd.org

-53-

كان الجو حاراً جداً في ذلك اليوم. في فترة الظهيرة هبت عاصفة غبارية، وكأن السماء تُمطر رملاً. كانت الطرق الاسفلتية كلها مصفرة من الغبار. لم يكن ينوي "الدكتور سليمان" الخروج في ذلك اليوم، فقد بقي لوقت متأخر من الليل مع أصدقاءه، وفي صباح اليوم التالي صباحاً بعد تناوله للفطور، خرج لرؤية صديق له، والآن يسير صوب منزل "مم ممويي".

صعد إلى الطابق الثاني، فتح باب غرفته، ثم توجه فوراً إلى المغاسل. نظر إلى وجهه في المرآة، كان شعره ووجهه مغبرّاً. غسل وجهه جيداً، وأراد أن يتحمم، لكنه من شدة تعبه، تمدد على فراشه. كان جو الغرفة حاراً جداً، ولم يكن هناك أي تكييف فيها. لكنه مع ذلك، غرق في نوم عميق.

كان جالساً في الكرسي الخلفي للسيارة مع صديقه "أونر"، أما في الكرسي الأمامي، فكان "تورستين يايكر Torstein Yaeger" وزوجته "بريت اويكار Berit Oygart" جالسين. كانت السيارة تسير بهم على طريق اسفلتي بمحاذاة بحيرة. بعد برهة، انتهى لطريق الاسفلتي وسارت السيارة في طريق محاط باشجار الصنوبر من جانبيه. صعدت السيارة في طريق جبلي. كانت الخضرة تكتسي كل مكان. الجميع كانوا يتحدثون فيما بينهم، بينما الدكتور ينظر من النافذة إلى تلك الطبيعة الخلابة من حوله.

انتهى الطريق الاسفلتي، وسارت السيارة بين الرمال لعدة أمتار، ثم توقفت. قال "أونر": "سنكمل مسيرنا مشياً، لأن السيارة لا تستطيع السير في هذا الطريق" حملوا حقائبهم التي تحتوي على طعامهم وشرابهم وساروا خلف بعضهم البعض. لم يكن الدكتور سليمان يعلم إلى أين يتوجهون! كان يسير معهم وهو ينظر حوله. يستنشق الهواء النقي من حوله وينظر إلى الأعشاب الفريدة التي يراها لأول مرة في حياته.

تسلقوا هضبة أمامهم، كانت المناظر الخلابة تحيط بهم من كل الأرجاء، البحيرة. كانت تغطي كامل مساحة الوادي في الأسفل، والغابات تحيط بها. بعد مسير خطوات، رأى فوق الهضبة بيتاً بجدران الخشبية مصبوغة باللون الأسود ونوافذه مطلية باللون الأبيض. كان البيت مكوناً من قسمين. وكل قسم فيه بناء مستقل. دخلوا من باب أحمر إلى البناء الواقع في جهة اليسار. ساروا في ممر خشبي حتى وصلوا إلى صالون البيت. وضعوا حقائبهم هناك. كانت الكراسي تحيط بجدران الصالون، عدا الجدار الذي يحتوي على الموقد.

كان سائق السيارة التي أقلتهم هو صاحب هذا البيت. أخذهم إلى غرف البيت واحدة واحدة، إضافة إلى المطبخ والحمامات وموقد الحطب. سلمه مفتاح البيت وخرج مع "أونر" وزوجته. بقي لوحده بين تلك الطبيعة التي وكإنها قطعة من الجنة. كان للصالون خمسة نوافذ، ثلاثة منها تطل على البحيرة، والنافذتين الأخرتين تطلان على الجبال.

أدرك بعد أيام من مكوثه هناك أن الحياة هنا مختلفة. في بلاده، كانت الفصول تتعاقب كل ثلاثة أشهر، لكنها مختلفة هنا. كان الثلج يهطل ليلاً، وتشرق الشمس في الساعة الرابعة، وبعد ساعتين، كان البياض يكتسي بحلته على الأرض وتظهر الأعشاب الغضة الخضراء، وتبدأ الجداول بعرض سيمفونيتها.. العصافير تزقزق على الأشجار والأيائل ترعى في تلك المروج. في فترة الظهيرة، يتحول الفصل إلى فصل صيف حار. وأثناء المغيب، يحس المرء بحزن يغلف الأرجاء، وتصفرّ الأعشاب، وتتوقف الجداول عن الخرير، حيث يحل فصل الخريف.

كان اليوم الواحد هنا حاملاً لأربعة فصول، ولا تمر الأشهر بالفصول، بل الساعات كانت هي التي

تفصل بين فصل وآخر.

في إحدى الأيام خرج يتصفح المنطقة من حوله، وأراد أن يعرف سر تلك الأشجار المتناسقة والتي كلها بطول واحد. في طريقه لاحظ العشب تحت رجليه، كان مكوناً من ثلاثة طبقات، طبقة عشبية صفراء وأخرى يابسة وأخرى خضراء. كان العشب طرياً وكإنه يسير على القطن لا على العشب. أدرك أن الأرض رخوة جداً من تحته وأن تلك الأشجار لا تستطيع مقاومة الرياح العاتية التي تهب عليها، فتقلعها من جذورها الرخوة، وتجعلها سماداً للنباتات التي تنبت هناك. كان يحب الجبال، تلك الجبال التي كانت تحميه كأمه. فهو إبن الجبال.

لم يلاحظ أي أثر للبشر من حوله أبداً. كانت نسمة هواء باردة تضرب وجنتيه. حمل بعض الحطب من هناك، وعاد إلى ذلك البيت، وضع الحطب في الموقد وسكب عليه بعض النفط ثم أشعله. لم يكن ينبعث من ذلك الحطب تلك الحرارة التي كانت تنبعث من موقد بيته في القرية. اقترب من الموقد أكثر يريد أن يشعر بحرارة النار، لكن هيهات. فكّر في الأمر وسبب اختلاف الحطب بين هنا وبين الحطب في قريته، فقال بينه وبين نفسه: "الحطب هنا لا يشبع بأشعة الشمس، فالنهار قصير هنا".

لم ينل الحرارة الكافية من ذلك الموقد، وفي غمرة الجو البارد ذاك، فتح عينيه. كان في غرفته في "أربيل" والجو حار وخانق،يتصبب العرق من جسمه. رن هاتفه. كانت "روجين" هي المتصلة. فتح الخط وقال:

- تفضلي.

- كيف حالك؟ كن حذراً يا دكتور، الجرائد التركية تكتب عنك، والفضائيات في كردستان تبث الأخبار عنك. هناك البعض لا يستسيغون بقاؤك هنا أيضاً.

- أعلم بذلك. لقد أتيت إلى هنا لكي أشارك في معركة تحرير بلادي، ولا يهمني أي شيء آخر، وان مت، فإني سأطلب منك طلباً وحيداً وهو أن تغني عني كما غنت "ناتاليا غوردون" عن "أرنستو تشي غيفارا".

- لا تقُل ذلك يا دكتور! أنت جنرال هذا الشعب ولن يحدث شيء لك.

- كل شيء وارد يا روجين.

انتهى الحديث بينهم بذلك الشكل. كان "الدكتور سليمان" قد سمع من بعض الجهات في هولير وتركيا وأوربا أن أنصار "PKK" يقومون بالدعاية بين الناس بأن مسعود بارزاني رئيس إقليم كردستان قد منح فيلا وراتب شهري وقدره أربعة آلاف دولار للدكتور سليمان، وأن الدكتور يحارب مقابل المال. وبحسب بعض المتسلقين الذي انشقوا عن "PKK" فإن ألمانيا قد أرسلت الدكتور سليمان إلى المنطقة مقابل مبلغ مادي.

كان الدكتور يزيح الأقنعة عن هؤلاء بأفعاله، ويقول: "الوطنية هي أن لا تقف مكتوف الأيدي حين يحتل وطنك، ويتم بيع نساء وطنك كالعبيد في الأسواق، وتُقطع أيادي أبناء وطنك بالسواطير. الوطنية هي أن تزيل الألغام حين يجعل العدو من وطنك حقلاً للألغام." حين كان مسعود بارزاني رئيس إقليم كردستان ينام في الخنادق بين البيشمرگه وهو في السبعين من عمره، وابنه مسرور بارزاني يحمل بندقيته ويحارب وهو رئيس استخبارات الإقليم، حينذاك كان بعض المتسلقين في فنادق أربيل والسليمانية يلقون الكلام على عواهنه عن الدكتور سليمان.

أراد الدكتور الخروج من البيت، لكن رن هاتفه وكان "لاجڤان" هو المتصل، حيث قال له: "هناك مقابلة معك قد نشرت على موقع (روداو). هل رأيتها؟" أغلق الدكتور خط وتصفح الموقع من هاتفه، ولفت

انتباهه الجمل التالية:

" هولير- روداو- قال سعيد چوروككايا المعروف باسم الدكتور سليمان، معروف عنه أنه كان من قيادات حزب العمال الكردستاني القدماء، أن حدود كردستان يجب أن تحمى بألغام الـ"TNT". وأردف چوروككايا الخبير في نزع الألغام، أن عملية نزع الألغام أصبحت متطورة جداً وقال "يمكنني صنع قنبلة تنفجر تحت تأثير صوت شخص واحد فقط ، أو عندما يشرب الماء. حتى عندما يمارس الجنس." الحرب مع داعش ليست الأخيرة، فهناك أعداء كثيرون للكُرد ، ومنهم الحشد الشعبي الذي يعد أكثر خطورة من داعش. كما قال: " إن التحالف الدولي لن يساند الكُرد في حربهم مع الحشد الشعبي. لذلك على إقليم كردستان أن يكون مستعداً لذلك. على الكُرد التفكير بجدية في كيفية تمكنهم من الدفاع عن حدودهم ضد الحشد الشعبي، وأن يكون لديهم خطة لأجل ذلك. قد تمهلهم الحكومة العراقية اسبوعاً لإخلاء مدينة كركوك، أو ستقوم بالقتال ضدهم. على الكُرد أن يدركوا ذلك قبل فوات الأوان. إذا أمكن ، يجب تأمين حدود جنوب كردستان بطريقة مخططة بأنواع متطورة من مادة الـ TNT. حينذاك لا يمكن للحشد الشعبي ولا داعش عبور هذه الحدود."[46]

في الليلة السابقة، كان الدكتور قد تناقش مع أصدقاءه عن وجوب تأسيس جيش قومي للكُرد. كان يقول: "أن عدد الجنرالات بين البيشمرگه قد يفوق عدد الجنرالات في الجيش الصيني، لكن هناك الكثير من هذه الجنرالات يفتقدون للخبرة العملية." وكان يشرح لهم الأسباب التي تحتم بناء هذا الجيش القومي في النقاط التالية:

"1- يجب بناء جيش مشبع بالروح القومية.

2- على هذا الجيش أن يُدرّب بتدريب عصري ونظام حديدي.

3- على هذا الجيش تلقي التكتيكات والتدرب على استخدام الأسلحة الحديثة.

4- على هذا الجيش أن يبقى على اسمه السابق، وهو جيش البيشمرگه."

كانت هذه الأفكار في ذهنه حين اتصل به مساعده "محمد" قائلاً له:

- هناك عملية في قرية قريبة من مخمور.

- وما المشكلة في ذلك؟

- تحاول البيشمرگه السيطرة على القرية المحتلة من قبل داعش، لكنهم يواجهون صعوبة في ذلك.

في قرية الدكتور سليمان القديمة في شمالي كردستان، كان هناك شخص واسمه "سعيد عارف" كان هذا الشخص فور سماعه لصوت الطبل والمزمار يتجه إلى ذلك العرس، ولا يتخلّف عن عرس يقام في القرية وفي القرى المجاورة أيضاً. كان الدكتور أيضاً كذلك، حين يسمع أن هناك اشتباك أو معارك في مكان ما، لم يكن يستكين أو يهدأ.

قال الدكتور لـ"محمد":

- هل توجد سيارة تقلنا إلى هناك؟

- سوف أؤمن سيارة.

التقيا في مكان اتفقا عليه. كان "محمد" قد جلب للدكتور بندقية أيضاً، كما أن جهاز الكشف عن الألغام كان موجوداً في السيارة. توجهت السيارة بهم إلى القرية التي تحصل فيها الاشتباكات. حين وصل الدكتور إلى هانك (هناك) ، رأى "هيفيدار" مراسلة قناة (روداو) التي كان يعرفها مسبقاً. كانت "هيفيدار" تجيد

[4646] https://www.rudaw.net/turkish/kurdistan/2611201511.

اللغة الألمانية وتذهب مع الدكتور إلى كل العمليات التي يقوم لها. كان الدكتور متحمساً حين رآها، لذلك قال لها بصوت مبحوح:

- أنتِ هنا يا هيفيدار؟ لا تقتربي أكثر من منطقة الاشتباك. تعالي معي. هل ترين ذلك البيت على تلك الهضبة، هناك مسلحون يطلقون النيران من ذلك البيت على البيشمركه. سوف أفجر هذا البيت الآن.

- حمدلله على سلامتك يا دكتور. منذ ساعات وهم يطلقون النار من ذلك البيت. هناك قناص متواجد فيه، وقد حاول البيشمركه كثيراً أن تصيبه، لكنه لم يتوقف عن الإطلاق.

سألها الدكتور عن اسم قائد البيشمركه، ثم التقى به بعد برهة واستفسر منه عن الوضع وأدرك من خلاله إنهم قاموا بتمشيط كل بيوت القرية وبقي ذلك البيت فقط هناك. طلب منه الدكتور قاذفة ورمانتين يدويتين وقال له: "أنا سأحل الموضوع."

جلبوا له ما يريد من أسلحة. كان ينظر من بعيد إلى البيت. تفحص النوافذ والأبواب فيه. كان المنزل مكون من طابقين. الطابق السفلي فيه نافذتين كبيرتين مكسرتين وباب بينهما. أما في الطابق الثاني، فكانت توجد غرفة تظهر نافذتين مكسورتين أيضاً عليها، أما الفسحة خلف المنزل، فلم يكن فيها أية شبابيك، كما أن هناك حديقة واسعة أمام المنزل.

نادى الدكتور على "محمد" وقال له:

- لقد وجدت طريقة للاستيلاء على المنزل. على طرفي البيت هناك ثمانية شبابك. أود ثمانية عناصر من البيشمركه مسلحين، وكل واحد منهم سوف يطلق النار على النافذة التي سنحددها لها. كما أوج (أوجه) أربعة آخرين يتسللون زحفاً إلى مقربة من البيت حين أطلاق النار ويرمون القنابل اليديوية (اليدوية) على الداخل بإشارة مني.

- وماذا سنفعل بشأن الطابق الثاني؟

- سوف أتسلل حتى الجدار المحيط بالباحة وستكونون معي. سوف أرمي بقذيفة إلى الباب ونتسلل إلى الطابق الأرضي ومن هناك سوف نهاجم الطابق الثاني.

بدأ على الفور بتنفيذ مخططه، حيث سار ثمانية عناصر من البيشمركه بخفية وسددوا فوهات بنادقهم على الشبابيك، وأربعة آخرين هيأوا قنابلهم، وفور إعلان البدء، بدأوا بإطلاق النيران على النوافذ، في حين تسلل الأربعة الآخرين ورموا بالقنابل إلى داخل البيت، وسرعان ما رمى الدكتور القاذف على الباب، وما هي إلا لحظات حتى وكان الدكتور و "محمد" في الطابق الأرضي. تسللوا إلى الطابق الثاني أيضاً، لكنهم لم يجدوا أحداً هناك. ضرب الدكتور باب غرفة النوم بقوة برجله وانفتح الباب، لم يكن أحداً موجوداً فيه أيضاً، لكنه لمح صورة للفنانة الكردية "روجين" عارية الكتفين معلقة على الجدار. نادى على "هيفيدار" مراسلة قناة "روداو" وقال لها:

- تعالي وانظري إلى هذا الخبر المناسب للنشر في الجبهات العسكرية. لقد رأينا صورة الفنانة روجين في غرفة نوم أمير داعش.

قهقهت "هيفيدار" وجهزت الكاميرا للتصوير. حمل الدكتور هاتفه واتصل بالفنانة "روجين" حين فتحت الخط، بدأت "هيفيدار" بالتغطية المباشرة.

- أنتي الآن في بث مباشر على قناة روداو يا روجين.

- لماذا، ما الأمر؟

- لقد علق الدواعش صورتك على جدارهم.

- أنت تمزح!

- لا أمزح. لقد سيطرنا على منزل في إحدى القرى الآن، وأظن أن هذا المنزل عائد لأمير داعشي. لقد كانت صورتك معلقة على جدار غرفته.

- قد يكون المنزل لأحد الكُرد الذين يحبون أغانيّ يا دكتور.

- سأعطي الهاتف لهيفيدار مراسلة القناة وتحدثي معها.

حين تحدثت "هيفيدار" مع "روجين" نزع الدكتور صورتها عن الحائط ووضعها في جيبه. حين انتهى البث المباشر للقناة. أرادوا أن يعرفوا ان كان هناك في البيت نفق أرضي، لذلك توجهوا إلى الطابق الأرض وقبو البيت وبدأوا يبحثون هنا وهناك، لكنهم لم يعثروا على أي شيء. سألهم الدكتور إن كانوا متأكدين ان الطلقات كانت تنبعث من هذا البيت؟ فأكدوا له ذلك.

توجه الدكتور مع "محمد" إلى أربيل ونزل الدكتور قرب القلعة من السيارة. كان قد انتابه الجوع، لذلك أراد التوجه إلى إحدى المطاعم. رن هاتفه، وكان المتصل هو الجنرال في القوات الخاصة "عزيز ويسي":

- مرحباً يا دكتور.

- أهلا.

- أين أنت الآن؟

- أنا في أربيل.

- لدينا معضلة، ولم نستطع حلها إلى الآن. هل تستطيع أن تأتي الآن.

- ما هي المشكلة؟

- لقد سيطرت البيشمركه على قرية هنا، لكن منذ يومين فقد خمسة من عناصرنا حياتهم بإطلاق النيران عليهم. هناك شيء ما في هذه القرية لا نعلم ما هو.

- أين؟ ما هو اسم القرية.

- قرية تاخى.

- كيف سآتي؟ لا أعرف الطريق إلى هناك.

- إبق أنت في مكانك، سأرسل من يأتي إليك ويوصلك إلى هنا.

- بندقيتي معي، وأنا جائع. إذاً، سوف أتناول طعامي في فندق (دارين بلازا)، سأكون هناك.

اتصل الدكتور بصديقه "زيا"حين عرف موقع القرية من الجنرال "عزيز ويسي"، وطلب أن يأتي بسيارته ويأخذه إلى هناك. فور وصوله إلى القرية، تحدث مع الجنرال وفهم منه ما يجري هناك. قال له الدكتور:

- إن كان الأمر كذلك، فلا بد من وجود نفق تحت الأرض في هذه القرية، يخرجون من الأنفاق ويقتلون عناصرنا ويعودون ليختبئوا فيها.

- وأنا أيضاً أشك في ذلك، لكننا حاولنا كثيراً العثور على أنفاق ولم نجدها.

- هل بحثتم في الطوابق الأرضية لكل البيوت.

- نعم.

- إذاً، عليّ أن أعرف من أين تم استهداف البيشمركه الخمسة، ومن رآهم حين انصابوا (أصيبوا) وألتقي بهم. قبل أن ألتقي بهم عليك أن تأمر الجميع أن يقوموا بنوبات الحراسة وهم منبطحين.

التقى الدكتور بالكثيرين ممن رأوا استشهاد خمسة عناصر من البيشمركه. كان يود بذلك أن يعرف من أين تأتي الطلقات النارية صوبهم، وأدرك من خلال إفاداتهم أن الطلقات كانت تأتي من جهة الجنوب. حين تأكد من ذلك، ذهب إلى جنوب القرية وانبطح بين الأعشاب هناك، كما أمر خمسة عناصر آخرين كي

ينبطحوا في أماكن متفرقة بالقرب منه. بعد ساعتين من مكوثه هناك، كان يحمل منظاره ويستطلع تلك الشاهدة، شاهد رأساً يتحرك بين الأعشاب على مسافة مائتي متر منه. نادى على العناصر الخمسة الآخرين الذين معه وقال لهم: "أن رأس النفق هناك. إذهبوا إلى هناك ومن يخرج من ذلك النفق اقتلوه." ثم نادى على قائد البيشمركه قال له: "لقد اكتشفت مقدمة النفق، بقي لي أن أكتشف نهايته، وعلي أن أذهب وأبحث في بيوت القرية."ذهب إلى البيوت وبدأ يبحث فيها، لكنه لم يكتشف شيئاً فيها.

لمح في أسفل القرية قطعة أرض قد نبتت عليها أشواك برية، توجه إلى هناك وبدأ يزيح تلك الأشواك من هناك، فلمح لغماً على الأرض تحت الأشواك. حمل عدة تفكيك الألغام وبدأ يفك اللغم حتى وصل إلى الصاعق، ثم نادى على أربعة عناصر من البيشمركه. حفر التربة قليلاً هناك، فظهرت فوهة بئر أمامه. أزاح التراب بهدوء من حول الفوهة، فلمح في عمق البئر لغماً آخر. طلب من العناصر من حوله كي يجلبوا له عصا غليظة وحبلين من القرية. توجهوا على الفور إلى القرية وجلبوا له ما يريد. ربط مقدمة الحبلين بتلك العصا وعقد عقدتين في نهاية كل حبل وربطهما برجليه، وأمر العناصر الأربعة أن ينزلوه إلى البئر، وهو يحمل معه عدة تفكيك الألغام وبندقيته. أنزلوه بالحبال إلى القعر الذي كان عمقه حوالي المترين. بدأ الدكتور على وجه السرعة بفك ذلك اللغم أيضاً وسحب الحبل كي يرفعوه إلى السطح. حين أخرجوه، امرهم هذه المرة أن ينزلوه ببندقيته فقط، وأن ينتبهوا على الفوهة الأخرى ويكونوا جاهزين لإطلاق النار. نزل إلى النفق على مهل وبدأ يسير خطوة خطوة مع الجدار، لم يسمع أي صوت من النفق، لكنه بعد عدة خطوات أخرى، سمع صوتاً وكإنه صوت تلقيم السلاح، وبعدها سمع صوت طلق ناري قريب منه وبدأ التراب ينهمر من سقف النفق على رأسه. سدد الدكتور بندقيته إلى وسط النفق وبدأ يطلق النار رشاً أمامه وهو يركض إلى الأمام، تلعثم (تعثر) بشيء أمامه، توقف في مكانه ونظر إلى ذلك الشيء. كانت بندقية قناص. حملها وأكمل إطلاق النار حتى وصل إلى الفوهة الأخرى من النفق، وخرج منها. كان عناصر البيشمركه قد أردوه جريحاً ومصاباً بطلقة في بطنه. كان الداعشي رجل في متوسط العمر، حليق الشعر وطويل اللحية. أمر الدكتور عناصر البيشمركه كي يسلموه إلى جهاز الاستخبارات "الپاراستن" وتفتيش النفق وإخراج كل الموجودات بداخله.

حمل الدكتور سلاحه واتجه صوب أربيل. اتصل بالجنرال"عزيز ويسي" وأخبره بما حصل. قال له الجنرال: "لا تدلي بأية أخبار عن هذه العملية لوسائل الإعلام يا دكتور."

www.arsivakurd.org

-54-

استيقظ باكراً كعادته في ذلك الصباح. تذكر اخاه "سليم" حين قال له: "إن الدعاية في جنوب كردستان وبين الأحزاب الكردية هناك ضعيفة. الدعاية سلاح قوي جداً في الحروب. حين ثار سبارتاكوس ضد حكم روما، نادى على صديق له وقال له، دوّن كل ما نقوم به وما نفعله؟ ما يجري في كردستان الآن، لا يصل إلى العالم إلا من خلال القنوات الأخرى." لذلك، حين سـافر الدكتور إلى ألمانيا، جلب معه كاميرا، وكان كلما يتوجه إلى الجبهات أو حين يقوم بتفكيك الألغام، يسند مهمة التصوير إلى أحد عناصر البيشمركه الذين معه، وكان يأتي إلى البيت ويفرغ محتوى الكاميرا على هارد ديسك. في ذلك اليوم، كان يود ان يشاهد ما صوره سابقاً على الهارد. سمع طرق على الباب، وحين فتحه، كان مساعده "محمد" أمام الباب. دخلا إلى غرفته وفور جلوسهم سأله الدكتور:

- هل تعلم يا محمد بأننا اقتربنا من نهاية حربنا مع داعش، بقيت الموصل فقط، وقد استطعنا تحرير نصف المدينة حتى الآن. لكن، متى تنتهي هذه الحرب، سيأتي الدور على الحشد الشعبي. سيهاجمنا كل من هب ودب طالما بقينا نحن الكُرد بدون دولة مستقلة. منذ أشهر ونحن نقوم بتفكيك الألغام، كم لغماً قمنا بتفكيكه حتى الآن حسب تقديرك يا محمد؟

- الكثير جداً. لكنني لا أعرف العدد.

- حسناً، كم طناً من متفجرات الـ"TNT " استولينا عليها؟

- كذلك لا أعرف.

- والألغام التي زرعها داعش؟

- لماذا تسأل هذه الأسئلة يا دكتور

- لقد قام فريقنا بالكثير من العمل، لكن لم يستوعب أحد مدى أهمية عملنا هذا. سوف آت معك إلى شرق كردستان حين ننتهي من عملنا في هذه المنطقة. ذلك الجزء من كردستان جميل جداً وقد بقيت كثيراً هناك في السابق وأعرف تلك المناطق شبراً شبراً.

- إن استولينا على الكثير من المتفجرات هنا، سوف نفتح معملاً للتفجيرات هناك.

- سنقوم بالكثير من الأشياء حين نذهب إلى هناك. صحيح إنهم قد جزأوا كردستان إلى أربعة أجزاء، لكنني لا أعترف بتجزأتهم ولا أعترف بالحدود التي وضعوها. لقد حاربت في أجزاء كردستان الأربعة وما زلت كذلك. في أي جزء ينتفض أبناء شعبي سأكون معهم. هل تعلم أن ايران هي أكثر دولة مستفيدة من حروب داعش؟ فالحرب لم تقترب من أراضيها. قواتها تحارب في العراق، وفي سوريا وصلت إلى مستوى أعلى. النظامين العراقي والسوري باتوا تحت سلطتها هي. كما انها هي من تدير حزب الله و"PKK" و"PYD". كما إنها باتت مستولية على جغرافية تمتد من باكستان حتى بيروت وفلسطين. حتى إنها بدأت تتدخل في اليمن أيضاً. أظن أن القوى الكبرى لن يتركوا لها الحبل على مغاربه، ومتى ما تنتهي الحرب مع داعش، سوف تتج أنظارهم صوب أيران.

- ليت يحدث ذلك. كان شعبنا هناك سيقوم بالانتفاضة. حزبنا هناك جاهز لأي تغيير طارئ.

- المهم هي الانتفاضة يا محمد. هل تعلم أننا نحن الكرد قد قمنا بمئات الانتفاضات، وقد حاربنا كثيراً أيضاً. لكننا لم نحصل حتى الآن على أية نتائج من تلك الانتفاضات والحروب.

- لماذا؟

- إننا كشعب، نفتقر إلى الحس القومي. نحن نحارب بطريقة أحسن من أجل الغير، لا من أجل شعبنا.

- كيف ذلك؟
- نحن كقومية مُستعمَرين. احتُلت بلادنا وتم تقسيمها بين أربعة دول، وهذه الدول اغتصبت كل حقوقنا. لو ننظر إلى المستعمرات الأخرى في العالم- والحقيقة أن المستعمرات قليلة جداً عدانا نحن- حين يدخل مستعمرهم في حرب ما، فإنهم ينتهزون الفرصة كي نالوا (ينالوا) حقوقهم. في كردستان الشمالية، حين انتهت الامبراطورية العثمانية إلى الزوال سنة 1918، وتم التوقيع على معاهدة "سيفر" والتي يمنح بموجبها الحكم الذاتي للكُرد. عوضاً أن يستغل الكُرد هذه الفرصة ويحاربوا العثمانيين ويبنوا دولتهم، ذهبوا في مرعش و رها و ديلوك إلى محاربة الفرنسيين وتعاونوا مع الأتراك كي يبنوا الدولة التركية. إنهم لم يقاتلوا من أجل أنفسهم، بل من أجل الغير. سنحت لهم الفرصة، لكنهم لم يستغلوها. حسناً، ماذا استفادوا من حربهم تلك؟ هم لم يصبحوا شيئاً، لكن الأتراك أصبحوا أفنديتهم. كما نرى الأمر نفسه في جنوب وغرب كردستان التي يديرها سلطة "PYD". لقد انهزمت كلا الدولتين السورية والعراقية أمام داعش. كان علينا أن نركل نظام تلك الدولتين ونعلن عن دولتنا. لكننا لم نقم بذلك، بل لم نطالب بضمانات من دول العالم أن لا ينكر هؤلاء لحقوقنا مرة أخرى. أخاف حين تنتهي هذه الحرب، أن تقوم هذه الدول مرة أخرى بسلبنا حقوقنا وعدم منحنا أية منها.
- ماذا سنفعل نحن الكرد في شرقي كردستان إن أدارت أمريكا الأزمة في ايران؟
- بداية، يجب أن يكون لكم برنامج. أي، ما هي مطالبيكم من الدولة الايرانية؟ الفيدرالية؟ عليكم أن تضعوا برنامجكم لأجل ذلك، وتطلبوا هذا الحق في البداية من الدولة الايرانية، ثم تعلنونها على الرأي العام. عليكم أن تقولوا بإننا لسنا أعداء ولا أصدقاء لأية دولة. نحن نطالب فقط بحقنا في الفيدرالية في الدولة التي نحن من ضمنها الآن.
- ايران لا تعترف بنا كقومية أبداً.
- إن كان كذلك، إن لم تمنحكم أمريكا والدول الأخرى الفيدرالية بشكل رسمي، بدوركم لا تساعدوهم في حربهم ضد ايران.
- لماذا؟
- حربكم ستكون عبثية لأن أمريكا وايران سوف تتفقان ولن تحصدوا بدوركم سوى الهزيمة. أو قد يتغير النظام الحالي في ايران ويأتي نظام آخر ولن تكونوا في برنامجها حتى.
- إذاً، ماذا سنفعل إن بدأت الحرب هناك؟
- على المرء أن يوقع على اتفاقات جادة ومضمونة مع شركاءه، وبعدها ينخرط في الحرب.

حين كانوا في غمرة نقاشهم هذا، سمعوا صوت سيارة للبيشمرگة توقفت في الخارج. قام "محمد" ليستطلع الأمر من النافذة وقال للدكتور كي يخرجوا لملاقاة القادمين. كانوا أربعة عناصر من البيشمرگه ومعهم رجل أجنبي. كان بادياً عليه إنه صحفي، حيث كان يحمل كاميرا تصوير معه. تقدم من الدكتور ورحب به، فقال الصحفي له: " إسمي نيكلاس ميلتيو Niklas Meltio، اعمل كمراسل لتلفزيون دولة فنلندا، وقد سمعت أن هناك بيشمركة متطوعين يعملون في حقل تفكيك الألغام، لذلك أتيت كي أكتب وأصور تقريراً عن ذلك." أخذه معه الدكتور إلى الوحدة، حيث كانوا سيقومون بنزع وتفكيك الألغام في ذلك اليوم. في تلك الأثناء، رن هاتف الدكتور وكان المتصل جنرال عسكري واسمه "نورالدين هركي" الذي قال له:
- مرحباً يا دكتور.
- أهلاً وسهلاً.

www.arsyakurdi.org

- أين أنتم الآن؟
- أنا في مقر قوات آكري.
- أنا في قرية (تيزخراب) الواقعة بين موصل وبعشيقة. لقد حررنا هذه القرية الآن من يد داعش. لقد فتشنا كل البيوت هنا، لكن هناك بيت مكون من طابقين خارج القرية ووجدنا فيه نفق، في بداية النفق محفور بئر وفيه أدراج تؤدي إلى الأسفل. البيت محاصر الآن، لكنني لا أعلم كيف أتصرف.
- لكنني الآن في طريقي لنزع الألغام.
- قد يكون هذا النفق خطيراً جداً يا دكتور. إن أنقذتني من هذه المصيبة سأكون ممتناً لك.

كان الدكتور قد شارك "نورالدين" الكثير من المعارك، إلا إنه لم يكن يدرك شيئاً عن الألغام. غيّر الدكتور رأيه وأراد التوجه إلى هناك وجهّز خمسة من عنصار البيشمرگه معه، ثم قال للصحفي الفنلندي: "تستطيع أن تأتي معنا إلى هناك."

لم تكن تلك القرية بعيدة عن المقر ووصلوا على الفور إلى هناك حيث استقبلهم الجنرال "نورالدين". أشار إليه على المنزل الذي يحتوي النفق. حمل الدكتور بندقيته على كتفه وبدأ يسير إلى ذلك البيت وخلفه العناصر الخمسة والصحفي الفنلندي.

حين وصلوا إلى مقربة من البيت، رأوا كل شيء مدمر ومهشم من كثرة القذائف والصواريخ التي أطلقتها الطائرات. الطابق الثاني كان مدمراً بالكامل وما تبقى مهشم، الأبواب والنوافذ والجدار مدمرة بالكامل.

سار الدكتور ومساعده "محمد سليمان" في الممر المؤدي إلى النفق. وقف الدكتور بجانب فوهة البئر ثم قال: "ليحرس أحدكم فوهة البئر هنا ريثما أعود." ثم خرج من البيت وصعد إلى الطابق الثاني المدمر. نظر حوله ورأى فسحة مليئة بأشجار الزيتون. قد تكون فتحة النفق الأخرى هناك.

نظر إلى الطرف الآخر، فرأى حافلة بيضاء واقفة هناك. نادى على البيشمرگه كي يرافقوه إلى هناك. بعد أن بحثوا حولها، لفت نظر الدكتور أسلاك كهربائية في موضوعة على لوحة قيادة الحافلة. صاح على رفاقه: "انتبهوا، هذه الحافلة مفخخة."

طلب من "شيار" أن يجلب له حقيبته، وفور جلبه لها، أخرج عدته منها وبدأ بقطع الأسلاك الخارجة من لوحة الحافلة، ثم توجه إلى خلفيتها، فرأى البراميل البلاستيكية المليئة بالمتفجرات. قطع أسلاكها على عجل وجلس كي يرتاح قليلاً بعد إزالته لهذا الخطر الذي إن انفجر، لكان سيدمر حوالي كيلومتر مربع من حوله. تتبع الأسلاك الخارجة من مؤخرة الحافلة، فرأى أربعة ألغام بين كل واحدة وأخرى حوالي مترين، ورآى إنها كانت موصولة مع المتفجرات في داخل الحافلة.

أرسل ثلاثة عناصر من البيشمرگه إلى تلك الفسحة المغطاة بأشجار الزيتون وقال لهم: "انبطحوا أرضاً وكونوا يقظين، لأننا حين نخرج المتفجرات من النفق قد يخرجون منه ويبدأون بإطلاق النيران من حولهم." كما أرسل "محمد" و"شيار" إلى البيت المدمر ذاك. أما هو و"محمد رسول" فقد بدأوا عملهم في إبطال العبوات المتفجرة هناك.

لم يكن "محمد رسول" يعلم أن عناصر داعش قد خبأوا متفجرات "TNT" تحت تلك الألغام. وضع قدمه تحت الأرض التي كانت تحتوي تلك المتفجرات. لم يسمع صوت الانفجار، حيث تناثرت الصخور وارتطمت إحداها برأسه، أردته ميتاً على الأرض.

كان الصحفي الفنلندي يصور المكان حين حدوث ذلك الانفجار. كان الدكتور ممدداً على ظهره وينادي: "النجدة، النجدة" لقد كان دأبه في الحياة أن يركض هنا وهناك لنجدة ملايين الناس، والآن، باتت" النجدة"

كلمته الأخيرة.
بعد ان فقد الدكتور حياته، كتب الكثيرون عنه. لكن صديقته "آسلي يوكسل بايداغ Aslı Yüksel Baydağ" التي كانت تحبه كثيراً، اختصرت الكثير عنه بمقولتها " كنا قليلون حوله، لكن كل واحد منا فقد جزءاً برحيله"

ونحن فقدنا الكثير برحيلك يا دكتور. كل أحلامنا، وأمانينا، وأفكارنا. طفولتنا، شقاوتنا، براءتنا، تلك الأحاسيس الرقيقة التي كنت تخبأها (تخبئها) في قلبك الرقيق ذاك. فقدنا كل هذه الأشياء بفقدانك. جرأتك التي كنت تحسد عليها، والتي كنت تأبى أن تتكبر أمام الغير لقيادتك للآلاف. أليست كل هذه الصفات من صفات الأبطال؟

برحيلك، تركت شيئاً منك فينا، حتى الذين أذنبوا بحقك، كان يحسدونك

لقد رحلت يا دكتور

هل رأيت؟ لقد رحلت

لم تعد للحياة متسع بعد

وبقي القليل لنا.

كما أصبحت الأسطر التالية التي كتبها "الدكتور عكيد" كنبذة قصيرة عن حياته:

"حين ألقي القبض على (تشي غيفارا) ثم قتلوه، تدوال (تداول) الناس بعض الأساطير عن تلك الكتب التي كانت في حقيبته. كان أكثر كتاب موجود في الحقيبة ويختصر حياة (غيفارا) هو كتاب (دونكيشوت) للكاتب الاسباني (سرفانتس) والكتاب الآخر كان كتاب الثورة الدائمة لـ(تروتسكي).

حسناً، أي شيء سيعبر عن حياة (الدكتور سليمان)؟ اليوم، تفحصت الأشياء التي تركها في خُرجين ممزقين، وكان يقول عنها أشيائي المبعثرة، كانت أشياء متواضعة. كان فيه كتاباً لـ(ميكيافيلي) عن الإدارة، وكتاب آخر وعنوانه (الاستراتيجية)، وبعض الكتابات على دفتره عبارة عن معان كلمات لتعليم اللهجة الكردية السورانية، وبدلتين عسكريتين، ولعبة أطفال كانت عبارة عن سيارة عسكرية، وأظنه كان يفكر أن يستعملها في عمله بالألغام، خوذة وقميص أبيض، ذلك القميص الذي سلمته لتلك المرأة التي كان يحبها ذارفة الدموع عليه.

إنسانٌ لا نستطيع أن نقارنه بأحد. مرّ في بحياتنا، ورأينا الحيوات نفسها في مرآته. كان حراً طليقاً لا يلجمه شيء. لم تلتفت روحه الطفولية إلى أية مصلحة دنيئة. لذلك، كان يحبه الكثيرون، وينفر منه من لا يحبون الأحرار.

لا المدح ولا الذم يوفيه حقه، ولا الوطن كان يتسعه، ولا أي حزب أو أية قوالب أيديولوجية. لا المقامات تتسعه ولا غيرها، لذلك ، لم يكل في حياته.

كان خارج السرب، كان طفلاً، وبطلاً بحسب الكثيرين، وخائناً لدى البعض الآخر. لكن لم يكن يعرفه أي منهم، لأنه كان بعيداً تماماً عن النزوات والعقد، وبعيداً عن الكراهية والغطرسة.

الآن، لقد ترك لنا فراغاً، تبحث أرواحنا عن شيء ينقيها. ستبقى ضحكته معلقة في أروحنا كراية ترفرف إلى الأبد.

على الغلاف الأخير

- لن أحارب من أجل تركيا ديمقراطية، لكنني مستعد أن أفدي كردستان حرة وديمقراطية بروحي. (د. سعيد چوروككايا)

- الدكتور سعيد هو جنرال استقلالنا وحريتنا. لقد شارك في حماية كردستان بقلب صاف. أحيي روح الدكتور سعيد النقية والطاهرة وأرواح كل شهداء كردستان. (مسعود بارزاني رئيس إقليم كردستان)

- أتى الدكتور سعيد إلى هذه الحياة كي ينقذها من هذه الحرب، لكنه فداها بحياته. علينا أن نكتب إسمه بأحرف من ذهب في الصفحات الكبرى العائدة لجيش حكومة كردستان، كي تظل ذكراه ماثلة دائماً. (الفيلسوف برنارد هنري ليفي Bernard-Henri Levy)

- كان الدكتور سعيد هو رمز لليقظة القومية الكردية، رمز للراية واللغة الكردية، رمز ليقظة الوطن وحرية الكُرد. (المفكر اسماعيل بيشكجي)

- كان سعيد كالريح، لا يكل ولا يمل.. ينهمر بغزارةٍ وقوة. لا تمنحه الكلمات حقه" (الكاتبة آليزا ماركوس Alîza Marcûs)

www.arsivakurdi.org